المركز القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة

المرجع فى علم النفس السياسى

الجزء الأول

تحرير

داڤيد أو. سيرز

ليونى هادى

روبرت جيرفيس

ترجمة

ربيع وهبة

مشيرة الجزيرى

محمد الرخاوى



مراجعة وتقديم

قدرى حفنى



1484

المرجع فى علم النفس السياسى
(الجزء الأول)

المركز القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

- العدد: 1484
- المرجع فى علم النفس السياسى (الجزء الأول)
- دافيد أو. سيرز، وليونى هادى، وروبرت جيرفيس
- ربيع وهبة، ومشيرة الجزيرى، ومحمد الرخاوى
- قدرى حفنى
- الطبعة الأولى 2010

هذه ترجمة كتاب:

Oxford HandBook of Political Psychology

Edited by: David O. Sears, Leonie Huddy, and Robert Jervis

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ – ٢٧٣٥٤٥٢٦ **فاكس:** ٢٧٣٥٤٥٥٤
EL Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo.,
e.mail:egyptcouncil@yahoo.com **Tel.:** 2735424 – 2735426 **Fax:** 27354554

المرجع فى علم النفس السياسى

(الجزء الأول)

تحرير

دافيد أو. سيرز

ليونى هادى

روبرت جيرفيس

ترجمة

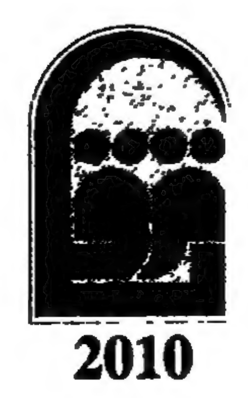
ربيع وهبة

مشيرة الجزيرى

محمد الرخاوى

مراجعة وتقديم

قدرى حفنى



2010

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

المرجع فى علم النفس السياسى (الجزء الأول) / تحرير: دافيد أو. سيرز، ليونى هادى، روبرت جيرفيس، ترجمة: ربيع وهبه، مشيرة الجزيرى، محمد الرخاوى، مراجعة وتقديم: قدرى حفنى؛
ط ١ - القاهرة: المركز القومى للترجمة، ٢٠١٠
٦٠٤ ص، ٢٤ سم
١ - علم النفس السياسى.
(أ) أو. سيرز، دافيد (مُحرر)
(ب) هادى، ليونى (مُحرر مُشارك)
(ج) جيرفيس، روبرت (مُحرر مُشارك)
(د) وهبه، ربيع (مُترجم)
(هـ) الجزيرى، مشيرة (مُترجم مُشارك)
(و) الرخاوى، محمد (مُترجم مُشارك)
(ز) حفنى، قدرى (مُراجع ومُقدم)
(ح) العنوان ١٥٨,٦

رقم الإيداع: ٢٠٠٩/١٩٠٨٢
الترقيم الدولى: I.S.B.N - 978 - 977 - 479 - 588 - 8
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتويات

الفصل العاشـــر

مقدمة الترجمة العربية

بقلم: قدرى حفنى

علم النفس والسياسة

لقد بدأت الاستفادة من الحقائق النفسية فى المجالات المتعددة لممارسة السياسة مع بداية ممارسة الإنسان للسياسة، أى قبل ظهور علم النفس باعتباره علما. وعلى سبيل المثال، فقد عرف البشر الحرب النفسية ومارسوها منذ عرفوا ومارسوا الحرب بمختلف أشكالها, أى منذ فجر التاريخ، رغم أن المصطلح لم يبدأ تداوله إلا مع نذر الحرب العالمية الأولى، بعد أن تطورت الممارسة القديمة من صرخة توقع الرعب فى قلب العدو، أو تثير الشجاعة فى قلب المهاجم، إلى أن أصبحت على ما نشهده اليوم من منشورات وإذاعات ومحطات بث تلفزيونى، إلى آخر تلك الخطط الفنية المعقدة التى يضعها المتخصصون فى فروع الحرب النفسية، ولعلنا لا نبالغ إذا ما قلنا إن ممارسة الحرب النفسية لم تتوقف قط حتى فى فترات السلام القليلة المتناثرة التى عاشتها البشرية عبر تاريخها الطويل، حيث ظلت الحرب النفسية قائمة لا تفتر فى فترات القتال والسلام على حد سواء، ولعلها تكون أكثر صخبًا, بل أشد خطرًا حين تخمد نيران القتال وتصمت المدافع. ولكن علم النفس منذ أصبح علما كان ينأى بنفسه عن خوض غمار السياسة. وربما يرجع ذلك لأنه – أى علم النفس– كان آخر العلوم انفصالا عن الفلسفة، ومن ثم كان يريد أن يولى ظهره لكل ما بدا له نظريا فلسفيا، لينفى عن نفسه شبهة "الانحياز" اللصيقة بالممارسة السياسية، حفاظا على تلك الهالة من "الموضوعية" التى تحيط بالعلوم الطبيعية.

ومع بداية اهتمامى بعلم النفس السياسى فى مطلع السبعينيات، حين كان مجال علم النفس السياسى كتخصص علمى ما زال يتحسس طريقه آخذا فى التبلور، وجدت أنه لا بد لى من التعرف على ملامح تاريخ تلك العلاقة بين علم النفس والسياسة، وسرعان ما بدا لى أن علم النفس كما درسته فى الجامعة قد بزغ من رحم عالم يموج بالتغيرات الاجتماعية الفكرية العنيفة. عالم الثورة الصناعية بما أفرزته من اغتراب للإنسان عن عمله ومن ثم عن عالمه. عالم الثورة الفرنسية، بما أفرزته من تحطيم لقيم إقطاعية سادت طويلاً لترسخ قيما جديدة تحمل شعارات الحرية والإخاء والمساواة. عالم الصراع بين فلسفة مثالية ميتافيزيقية تحاول التمسك بمواقعها والتماسك فى مواجهة فلسفة مادية ماركسية صاعدة،

فى ظل هذا المناخ نشأ فلهلم فونت مؤسس ذلك العلم الجديد. الذى كان تجسيدًا لمحاولة الإفلات الفكرى من مأزق الاختيار بين المادية الماركسية، والمثالية الميتافيزيقية بتبنى فلسفة ماخ النقدية التجريبية. وقد كان ذلك الأمر موضوعا لعدد من المقالات نشرتها آنذاك[1]. إن فهم دلالة افتتاح فونت لأول معمل يحمل اسم علم النفس فى لايبزيج عام ١٨٧٩ يصبح مستحيلاً، إذا لم نعرف فونت المفكر الإيديولوچى والمناضل السياسى. لقد كان فونت مشتبكا مع تيارات الصراع الفكرى السياسى التى سادت عصره، حتى أن فلاديمير لينين قد طرح اعتراضات قوية ضد أفكار فونت فى كتابه "المادية والنقد

---

(١) انظر:

"رأى فى نشأة علم النفس"، الفكر المعاصر، القاهرة، العدد ٢٦، إبريل ١٩٧٠، ٤٢-٣١

"نظرة مادية إلى نشأة علم النفس"، الفكر المعاصر، القاهرة، العدد ٦٤، يونيو ١٩٧٠، ٣٠-٤٠

"علم النفس بين الطبقية والموضوعية"، الفكر المعاصر، القاهرة، العدد ٦٨، أكتوبر ١٣، ١٩٧٠-٢٢

"علم النفس الصناعى والصراع الطبقى"، الفكر المعاصر، القاهرة، العدد ٧٦، يونيو ١٩٧١، ١٠-١٥

"علم النفس الصناعى والاشتراكية"، مجلة " الفكر المعاصر " (القاهرة)، العدد ٧٨، أغسطس ١٩٧١، ص ص ٧ ٥:

"فونت... فيلسوفا، وسياسيا، وعالما"، مجلة علم النفس، القاهرة، العدد الأول، يناير ١٩٨٧، ٤٣ – ٤٦

التجريبى"[٢] ويتفق ذلك مع حقيقة أن فونت قد أصدر فى لايبزج عام ١٨٨١ - أى بعد افتتاح معمله الشهير بعدة سنوات - مجلة اختار لها اسما بالغ الدلالة هو: "دراسات فلسفية". وظلت تصدر تحت هذا الاسم حتى عام ١٩٥٠ حيث تغير اسمها إلى "دراسات نفسية". وقد نشر فونت فى مجلته هذه عام ١٨٩٧ - أى بعد مضى اثنين وعشرين عاما على افتتاح معمله - مقالا فلسفيا تزيد صفحاته عن الثلاثمائة صفحة، أفاض فيه فى تبيان موقفه الفلسفى المثالى. وأوضح فونت فى هذا المقال أيضا ارتباطه الفكرى بعالم الطبيعة الفيلسوف النمساوى أرنست ماخ (١٨٨٣ - ١٩١٦)، الذى كان ينتمى بفكره إلى المثالية الذاتية ويعد من مؤسسى المذهب الفلسفى المعروف بالنقدية التجريبية[٣]، بل إنه يشير بوضوح فى مقدمة سيرته الذاتية التى نشرت عام ١٩٢٠ أى بعد عام من وفاته، إلى أن أقوى دوافعه للإنجاز كان الدافع السياسى، وأن ذلك يصدق بصفة خاصة على نقاط التحول البارزة فى حياته، ويعرف فونت الدافع السياسى بأنه "الاهتمام برفاهية الدولة والمجتمع"[٤]. لقد كان إنشاء فونت لمعمله، وتركيزه على إمكانية الدراسة العلمية المعملية للشعور بمثابة الخروج من مأزق الصراع بين تطرف مادى يرفض وجودا مستقلا للشعور، وتطرف ميتافيزيقى يرجع الشعور إلى قوى خرافية خارج الوجود الإنسانى، وبدت فلسفة إرنست ماخ فيما يتعلق بالخبرة الشعورية بمثابة الطريق النموذجى لحل تلك المعضلة. وفى عام ١٨٧٦، وإثر افتتاحه لمعمله الشهير، ألقى فونت خطابا فى جامعة لايبزيج بمناسبة تدشينه أستاذا جاء فيه:

---

(2) Lenin, V.I.(1920) Materialism and empiriocriticism: Critical comments on reactionary philosophy

(3) Danziger. Kurt()" Wundt's theory of behavior and volition", IN, Wilhelm Wundt and the making of a scientific psychology, R.W.Rieber, Ed., Plenum Press. 1980

(4) Diamond, S. " Wundt before Leipzig " .IN, Wilheim Wundt and the making of a scientific psychology, R.W.Rieber, Ed., Plenum Press , 1980, P.5

"إنه بقدر نزعتنا اليوم – وبحق – للمطالبة بأن يكون للخبرة تأثيرها على الفلسفة، ينبغى أن يكون تأكيدنا أن الفلسفة فى عصرنا هذا تحديدا ينبغى أن تمارس تأثيرها القديم بين العلوم الإمبيريقية .. إن الإمبيريقية الحديثة إنما تستمد أسسها من الفلسفة .. ولعل الزمن لا يطول كثيرا، وتستعيد الميتافيزيقا –التى تلقى احتقارا بالغا من قبل الباحثين الإمبريقيين– بعضا من مكانتها المرموقة"(٥).

ولقد لفت نظرى عند إعادة اكتشافى لفونت أن ما درسته ويدرسه المتخصصون فى علم النفس يكاد لا يشير من قريب أو بعيد لكل ما يتعلق بموقفه الفكرى، فى محاولة للفصل المتعسف بين فونت العالم صاحب المعمل وفونت المفكر صاحب الموقف الفلسفى، والانتماء القومى، والممارسة السياسية العملية. وفى نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات من القرن التاسع عشر، ومع ازدهار المناخ الليبرالى، لقد لعب فونت دورًا نشطا من خلال عضويته فى "الرابطة التربوية للعمال"، حيث قام مع مجموعة من زملائه من أساتذة جامعة هايدلبرج بإلقاء محاضرات عامة فى فروع الرابطة فى عديد من المدن الألمانية، وفى عام ١٨٦٦ انتخب فونت عضوا فى المجلس النيابى لبادن ممثلاً لمقاطعة هايدلبرج

ولا يختلف الأمر كثيرًا بالنسبة إلى سيجموند فرويد الذى تستحيل الإحاطة بدلالة نظريته فى التحليل النفسى، أو فهم طبيعة الخلاف المستعر بينه وبين مخالفيه، إذا لم نتعرف على بنائه الفكرى وطبيعة انتماءاته السياسية، وخاصة فيما يتصل برؤيته للحرب والسلام، وللصهيونية واليهودية، والتى حاولنا إلقاء الضوء عليها فى عدد من المقالات(٦).

---

(5) Rieber, R.W., ed.,Wilhelm Wundt and the making of a scientific psychology. Plenum Press, 1980

(٦) "إخفاق التحليل النفسى من فرويد إلى فروم، تأليف: هازى ك. ويلز"، عرض نقدى، المجلة، القاهرة، العدد ١٠٨، ديسمبر ١٩٦٥، ١١٩-١٢٣ =

لقد كان فرويد مفكرا مشتبكا مع قضايا عصره من الماركسية[٧] إلى الدين[٨]، وكان عالما عبقريا من نوع خاص، ولكنه كان كذلك يهوديا من نوع خاص[٩]، كما كان سياسيا من نوع خاص[١٠].

وكذلك الأمر فيما يتعلق بالسلوكية، التى نشأت فى ظل سيادة الفلسفة البرجماتية على المناخ السياسى الفكرى فى أمريكا، واشتبكت فكريا وتطبيقيا مع ذلك المناخ، بحيث إننا لا نستطيع أن نفهم إسهاماتها فى مجال التعلم مثلا، بمجرد الإحاطة بنتائج تجاربها المعملية معزولة عن موقفها السياسى الفكرى، والذى لاقى قدرا من النقد الفكرى السياسى لا يقل عما لاقاه من تدعيم ورواج، فقد نالت السلوكية هجوما من اليسار واليمين على حد سواء. لقد أدانها ناعوم شومسكى باعتبارها تروج للمجتمع الشمولى الدكتاتورى، كما أن سبيرو اجنيو نائب الرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون قد أدان مفهوم

- "سيجموند فرويد والصهيونية"، شئون فلسطينية، مايو ١٩٨٩، ٧٣ – ٨١
- "الصراع العربى الإسرائيلى أين يقف فرويد؟"، وجهات نظر، إبريل ٢٠٠٧ ص ص ٥٢ – ٥٩

(7) Brooks, Keith "Freudianism is not a basis for Marxist psychology", IN, Brown, Phil (ed.) Radical psychology, Tavistock publications, 197

(٨) انظر:

- Freud, S (1990) Penguin Freud Library Vol 12 "Civilization, Society and Religion"
- Freud, S (1990) Penguin Freud Library Vol 13 "The Origins of Religion"
- Fromm, Eric (1950) Psychoanalysis and Religion, Yale University Press
- Handelman, S. and Smith, J eds. (1990) Psychoanalysis and Religion John Hopkins University Press
- James J. Dicenso.The Other Freud: Religion, Culture, and Psychoanalysis, London, Routledge, 1999

(9) Gay peter, A godless Jew: Freud, atheism, and the making of psychoanalysis. Yale University press, New Haven and London, in association with Hebrew Union College Press, Cincinnati, 1987

(10) Fromm, E. Sigmund Freud's mission: An analysis of his personality and influence, Harper & Brothers,1959

"الهندسة الاجتماعية" – كما أفصح عنه سكنر فى كتابه المعنــون "مــا وراء الحرية والكرامة"[(١١)]، وكذلك روايته فالدن ٢ ***Walden Two*** التى نشرت عام ١٩٤٨– باعتبار ذلك المفهوم يمثل خطرا على الحرية وعلى النظام الأسرى

أما إذا انتقلنا إلى الضفة الأخرى من ذلك العالم الذى أصبح قديمًا، أى إلى الاتحاد السوفييتى الذى كان، لوجدنا أن رصد تدخل السياسة فى تحديــد مسار علم النفس لا يحتاج تنقيبًا، فقد كانت قرارات اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى هى التى تحدد أى النظريات النفسية أولى بالاتباع، وأيها تستحق الإدانة والتحريم. ويكفى الإشارة إلى ذلك القرار الشهير الذى صــدر عام ١٩٢٦ بإدانة علم التربية سواء من حيث النظرية أم من حيث التطبيــق باعتباره يمثل مواقف علمية زائفة ومعادية للماركسية[(١٢)].

لقد كانت العلاقة المتبادلة بين العلوم الإنسانية عامة – ومن بينها علم النفس– علاقة تمتد إلى تاريخ نشأة تلك العلوم جميعا، وإن كانت الأزمــات والحروب بمثابة البوتقة التى جسدت دوما تلك العلاقة.

إن الحرب بما تثيره من قضايا، وما تفرضه من متطلبات، وما تخلقه من مشكلات، وبما لكل ذلك من طبيعة ملحة. تترك آثارًا عميقة ليس علــى نفوس البشر فحسب بل على مسار المعرفة الإنسانية بعامــة، وفــى مجــال الاكتشاف والاختراع على وجه الخصوص. وليس ذلك غريبا، فالحاجة كما يقال هى أم الاختراع. وليس من حاجة ولا احتياج بــأكثر ولا أقــسى ممــا تفرضه الحروب.

---

(١١) Skinner, B.F. Beyond Freedom and Dignity. وقد صدرت ترجمة عربية لهــذا الكتــاب تحــت عنوان "تكنولوجيا السلوك الإنسانى"، ترجمة عبدالقادر يوسف، ضمن سلسلة عالم المعرفة، أغــسطس ١٩٨٠

(١٢) قدرى حفنى، "الدراسات النفسية بين التشابه والاختلاف"، الطليعة، القاهرة، ديسمبر ١٩٧٠، ٨٢–٨٨

وتؤكد مارجريت نميد هذه الحقيقة بوضوح فتقول، وهى بصدد الحديث عن البحوث التى اتبعت طريقة الدراسة عن بعد، خلال الحرب العالمية الثانية: لقد "أنجز العمل الرائد الذى استخدم هذه الطريقة خلال تلك الحقبة الأخيرة من الأحداث السياسية التى خلقتها الحرب العالمية الثانية، وأيضا خلال ما خلقت تلك الحرب من عالم منقسم، ولقد تركزت تلك الدراسات على جماعات قومية فى محاولة لاكتشاف ما فى سلوك أعضاء تلك الدول القومية من انتظامات حضارية تعزى إلى أنهم قد تربوا فى أمة معينة أو أنهم قد نزحوا إلى موطن جديد وعاشوا فيه فترة تبلغ من الطول ما يكفى لكى يصطبغوا بأشكالها الحضارية. ومن هنا فقد أطلق على تلك الدراسات دراسات الطابع القومى. إن هذا التركيز على الحضارات القومية قد أملاه الاهتمام بالدور الذى يلعبه السلوك ذو المنشأ القومى فى الحرب، وفى صنع وتحديد السياسات والمسائل التربوية الداخلية، وحملات البناء المعنوى وما إلى ذلك... لقد كان التأكيد القومى بمثابة السمة الغالبة فى دراساتنا لأنها – أى تلك الدراسات – خططت لمساعدة الحكومات القومية فى التعامل مع أعضاء أمم أخرى يسلكون بدورهم على مستوى قومى سواء كأعضاء فى الجيوش أم فى وفود المفاوضات أو ما إلى ذلك "[١٣].

ويؤكد جورر تلك الحقيقة بقوله "لقد أنجزت الدراسات التى اتخذت اسم دراسات فى الطابع القومى تحت ضغط الحرب العالمية الثانية حيث كانت الأهداف العملية – أى وضع إطار عمل للحرب النفسية – أكثر إلحاحا من الحاجة إلى إحكام النظر"[١٤].

---

(13) M. Mead & R. Meuatrx. (eds.), The study of culture at a distance, The University of Chicago Press. 1953.

(14) Gorer G. " National character: theory and practice " IN, M. mead and . Metraux, (ed.) . The study of culture at a distance , The University of Chicago Press , 1953

كذلك يقول إنكلز وليفنسون " لقد أعطت الحرب العالمية الثانية دفعة قوية لتلك البحوث، سواء خلالها أو بعدها مباشرة حين قدم العديد من الانثروبولوجيين والمحللين النفسيين وغيرهم إسهاماتهم فى استكشاف سيكولوجية أمم متعددة وخاصة الأعداء العسكريين للولايات المتحدة الأمريكية"(١٥).

لقد اكتسبت الحرب الأخيرة عالميتها من حقيقة تعدد الأطراف المشتركة فيها إلى حد لا نجاوز معه الحقيقة إذا قلنا إنه ليس من بقعة فى العالم المعروف آنذاك لم تشارك فى تلك الحرب مهاجمة أو مدافعة أو موقعا لاقتتال المتحاربين، أو مصدرا لمساعدة فريق منهم، أو حتى فى التحكيم بينهم. ورغم تلك العالمية، وما تفترضه من حد أدنى من تشابه الاحتياجات العملية، فإن الولايات المتحدة الأمريكية كانت وحدها محل نشأة وازدهار بحوث تلك المرحلة، فى حدود المتاح منشورا على الأقل وهنا ينبغى أن نتساءل: لماذا؟

إن الأمر يرجع فيما نرى إلى:

أ - أن الولايات المتحدة باعتبارها "العالم الجديد الملىء بالثروات" كانت - بل ما زالت - مركزا لجذب المهاجرين من كافة أنحاء العالم وبخاصة من صفوف العلماء والمتخصصين. وكان طبيعيا أن تزداد حركة الهجرة إلى الولايات المتحدة خلال تلك الفترة القلقة السابقة مباشرة للحرب والمصاحبة والتالية لها أيضا. وكان طبيعيا أيضا أن يكون من بين هؤلاء عدد من أبرز المتخصصين فى العلوم بما فيها العلوم الإنسانية من الأوروبيين بعامة ومن الألمان بشكل خاص.

(15) Inkeles . A. and D. J. levinson " National character: The study of modal personality and socio cltural systems . IN. G. Lindzey & E. Aronson . (eds.) . The handbook of social psychology . second edition . volume four . Addison - Wesley . 1969.

ب – لقد كانت الولايات المتحدة خلال الحرب أكثر الدول الكبرى أمنًا. بل إنها قد ظلت بعيدة بالفعل عن الاشتراك المباشر فى الأعمال الحربية منذ إعلان الحرب فى أول سبتمبر ١٩٣٨ إلى هجوم اليابانيين على ميناء بيرل هاربور فى السابع من ديسمبر عام ١٩٤١ وهى الفترة التى تميزت باشتداد حركة الهجرة بشكل مكثف وخاصة من ألمانيا إلى الولايات المتحدة.

جـ – فى عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية كانت الولايات المتحدة تكاد تكون الدولة الكبرى الوحيدة التى لم تتعرض للتدمير. فى حين تعرض المنتصرون والمهزومون على حد سواء لدمار شديد. ومن ناحية أخرى فقد تصدت الولايات المتحدة بحكم نظامها الاجتماعى واحتفاظها بقوتها الاقتصادية لقيادة أحد المعسكرين اللذين انقسم إليهما عالم ما بعد الحرب. وقد فرض ذلك التصدى على الولايات المتحدة مهمتين: الأولى تحمل مسئولية إعادة بناء أوربا المدمرة وذلك من خلال مشروع مارشال. والثانية الحلول محل الدول الاستعمارية التقليدية فى الأسواق العالمية. وقد أدت هاتان المهمتان إلى رواج لا حدود له للصناعة الأمريكية كفل فائضا يسمح بتمويل العديد من البحوث المتخصصة.

خلاصة القول إن ظروف الحرب العالمية الثانية قد فرضت من ناحية، تجمع عدد كبير من الكفاءات البارزة فى العلوم الإنسانية فى الولايات المتحدة، وفرضت من ناحية أخرى احتياجا ملحا لدى السلطة الأمريكية لفهم شعوب ذات حضارات عريقة تمثلت أساسا فى اليابان والصين وألمانيا والاتحاد السوفيتى. نضيف إلى ذلك كله توافر الإمكانيات المالية لإجراء مثل تلك البحوث. ونضيف أيضا تخلف الاهتمام بالعلوم الإنسانية فى المعسكر المقابل للولايات المتحدة الأمريكية آنذاك لأسباب لسنا فى مجال التعرض لها تفصيلاً. من كل ذلك نستطيع أن نتبين أن نشأة وازدهار ذلك النوع الجديد من الدراسات كان بحق استجابة موضوعية لظروف الحرب العالمية الثانية،

واختيار الولايات المتحدة بالذات موقعا لهذه النشأة. وذلك الازدهار قد فرضته أساسًا تلك الظروف ولم يكن مجرد تلبية لحاجات أمريكية خ اصة. ويتفق ذلك مع تركز الدراسات التى أجريت فى هذه المرحلة على شعوب بعينها كاليابانيين والصينيين والروس.

يحدد دويجلر وفريجدا[١٦] الأهداف العملية لمثل هذه الدراسات على الوجه التالى:

١- إمكانية استخدام هذه الدراسات فى الحرب النفسية باعتبارها يمكن أن تسهم فى "فهم عدو فعلى أو محتمل. وبالتالى فإن تلك الدراسات فى جوهرها سلاح فعلى: إن كشف ضعف ذلك العدو، وأوهامه، ومعاييره، وقيمه، ورموزه، يمكن أن يسهم فى هزيمته النهائية".

٢- إمكانية استخدام تلك الدراسات فى مجال الدعاية الداخلية. أى "فى تبرير اتجاهاتنا العدوانية، بإبرازها مقدار ما يتميز به العدو من إثارة للنفور وبعد عن الديمقراطية والحضارة، وهى بذلك (أى تلك الدراسات) تقوى من تصميمنا على هزيمته، وتخفف من تأثمنا حيال استخدام شتى الوسائل لتحقيق ذلك"

٣ - "فضلاً عن ذلك فإن تلك الدراسات لا تقدم لنا المعلومات عن أعدائنا فحسب بل عن حلفائنا أيضا وإنها قد تمكننا من المضى معهم بشكل أفضل، ومن التعامل معهم بكفاءة أكبر. وقد نصل إلى فهم أفضل لما يعانونه من مشاكل وبالتالى يصبح فى وسعنا مساعدتهم بكفاءة أكبر"

وتؤكد مارجريت ميد نفس تلك الأهداف بقولها وهى بصدد الحديث عن اتجاه البحث الذى اتبعته فى دراستها عن بعد "لقد استخدم هذا الاتجاه...

(16) Duijker. H.C.J. & N.H. Frijda national character and national stereo types. North - Holland. 1960

لتحقيق العديد من الأهداف السياسية: إنجاز مهام حكومية داخلية معينة، وتيسير العلاقة مع الحلفاء، وترشيد العلاقات مع جماعات الأنصار في البلدان الخاضعة لسيطرة العدو، والمساهمة في تقييم قوى الأعداء ونواحي ضعفهم، وتقديم المشورة في إعداد الوثائق على المستوى الدولي"[١٧].

لقد نشر لاسويل عام ألف وتسعمائة وسبعين مقالاً اختار له عنوانا بالغ الدلالة: "هل يجب على العلم أن يخدم السلطة السياسية؟" أشار فيه بوضوح إلى أن "القول بتأثر السلطة السياسية بالمعرفة العلمية وتأثيرها فيها ليس من قبيل الاكتشاف الجديد"[١٨]

لقد دار حوار شيق حول تلك القضية بين دافيد ماندلبوم[١٩] ومارجريت ميد[٢٠]، قرر فيه ماندلبوم بوضوح "أن أى مجال للبحث يرتبط كلية وبشدة بمجموعة معينة من المؤثرات السياسية لا يمكن إلا أن يعانى كمجال للبحث العلمى أو الأكاديمى" فى حين أكدت مارجريت ميد فيما يشبه الاعتذار طبيعة الظروف الملحة التى حتمت القيام بمثل تلك البحوث مشيرة إلى أنه إذا ما ساد العالم قدر من الهدوء يجعل القيام بدراسات كتلك التى اضطرت للقيام بها فى السنوات العشر الأخيرة ليس أمرا ملحا "فإننى لن أمس موضوع الطابع القومى فى الخمس والعشرين سنة القادمة لأننى أظن أن الأكثر أهمية هو أن أعود إلى غينيا الجديدة"

كذلك فإن هيسوفى[٢١] فى عرضه لما دفعه إلى كتابة كتابه "الأمريكيون والصينيون: أسلوبان فى الحياة" يؤكد أن الدافع الأساسى وراء

---

(17) Mead, M. " Political applications of studies of culture at distances ", M. Mead & R. Metraux, (eds.). The study of culture at a distance, The University of Chicago Press, 1953

(18) Lasswell, H.D. " Must science serve political power ?", American psychologist 25, 1970, 117

(19) Mandelbaum, D.G. " On the study of national character". The American Anthropologist, 55, 1953, 174

(20) Mead M. " Oral remarks",IN S Tax et al., (eds.), An appraisal of anthropology today, University of Chicago Press, 1953

(21) Hsu . F. L. K. Americans and Chinese: two ways of life , Schumann, 1953

كتابته لهذا الكتاب ليس دافعا علميا ولا تصنيفيا بل هو "السعى نحو المحافظة على الذات... ليس من وقت طويل للتفكير، فالموقف ملح... وكل قادر على التفكير ينبغى أن يقدم وبدون إبطاء كل ما يستطيعه للكشف عن تلك القوى الرئيسية التى تدفعنا إلى موقفنا الحالى"

وفى الحقيقة فإن تلك المشروعات القومية قد بدأت بمنحة مالية قدمها خلال الحرب مكتب البحوث التابع للبحرية الأمريكية لبحث الحضارات المعاصرة فى بعض البلدان الأسيوية والأوربية. وتولت روث بندكت[٢٢] الإشراف على فريق البحث الذى تشكل بناء على تلك المنحة فى جامعة كولومبيا. وكانت روث بندكت خلال إشرافها على هذا الفريق وقيامها بدراستها عن الطابع القومى اليابانى تشغل منصب رئيس قسم التحليلات الأساسية التابع لمكتب مخابرات ما وراء البحار فضلا عن عملها كمحللة متخصصة فى العلوم الاجتماعية فى قسم الروح المعنوية بالخارج. وكلا المنصبين يتبعان مكتب المخابرات الحربية الأمريكية.

ولقد قامت الجمعية الأمريكية اليهودية فى مايو عام ١٩٤٤ بدعوة مجموعة من الأساتذة الأمريكيين المتخصصين فى العلوم الإنسانية بمختلف اتجاهاتها ومدارسها للقاء استمر يومين حول موضوع التعصب الدينى والعنصرى. وانبثق عن هذا اللقاء فريق للبحوث على رأسه أربعة من أشهر المتخصصين فى الموضوع آنذاك هم سانفورد وأدورنو وبرونشفيك وليفنسون[٢٣]. وقد صدرت عن هذا الفريق مجموعة من البحوث المنشورة التى حملت عنوان دراسات فى التعصب والتى كانت رغم عمومية عنوانها تكاد تقصر بحوثها على معاداة السامية، بل بالتحديد على المشاعر المعادية لليهود فحسب.

(22) Benedict, R. The chrysanthemum and the suord: Patterns of Japanesa culture, Houghton mifflin, 1946

(23) Adorno, T.W. etal. The authoritarian personality, Harper, 1950.

ويتفق ذلك مع ما يشير إليه باورز[٢٤] فى مقال له نشر عــام ١٩٦٧ بقوله "إن مستوى دعم المصادر العسكرية للعلوم السلوكية الآن يفوق بكثيــر نظيره فى الأربعينيات... فعلى مستوى المبالغ المعتمدة تزايد ما كان يقــدر إجمالا بحوالى مليونى دولار إلى ما يقــرب مــن العــشرين مليونــا مــن الدولارات. وعلى مستوى التنظيمات تشهد هــذه الأعــوام أقــساما للعلــوم السلوكية تقام فى مكتب سكرتارية وزارة الدفاع. وفى مراكز قيادات القوات المسلحة الثلاث يشكل العلماء السلوكيون مكاتب علمية استشارية. وقد أقيمت أيضا أقسام منظمة للعلوم السلوكية فى وكالات البحوث الأساسية مثل مكتب بحوث البحرية، ومكتب البحوث العلمية للقوات الجوية.. ورغــم أن الكتلــة الأساسية لهذا النشاط الذى تقوم به العلوم السلوكية تقع الآن على عاتق علــم النفس وعلمائه، فإن ثمة نسبة متزايدة من علم الاجتمــاع وعلمائــه أيــضا" ويمضى باورز مشيرا إلى أن هذا النشاط المكثف قد أسفر عن العديــد مــن برامج البحوث التى شهدتها فترة الحرب الكورية على الخصوص، ومرحلــة الحرب الباردة والحروب المحدودة بشكل عام، فقد دفعت ظروف ما بعد عام ١٩٥٠ بالجيش الأمريكى إلى إعداد نفسه لاحتمال خوض حروب "مع عــدد كبير من المجتمعات الأجنبية" مما يتطلب " دراسات دقيقة لأساليب حياة هذه الشعوب التى قد تحدث معها التصادمات". وقد بلغ مــن اهتمــام المؤســسة العسكرية الأمريكية بهذه الدراسات الحد الذى أدى عام ألف وتسعمائة وسبعة وخمسين إلى إنشاء قسم خاص بالجامعة الأمريكية فــى واشــنطون يتفــرغ أعضاؤه تماما لمثل تلك البحوث وسمى مكتب بحوث العلميات الخاصة Soro وقد قام هذا المكتب بدراسات شملت خمسين بلدا أجنبيا متنوعا تــضم فيمــا بينها الاتحاد السوفيتى، والصين، والهند، ولاوس، وغينيا، ولبنان، وكوبــا، وفرموزا، ويشرح باورز طبيعة الظروف التى أحاطت بهذا النشاط المكثــف

(24) Bowers, R. V. "The military establishment", P. F. Lazarcfeld et al. (eds). The Uses of sociology. Basic Books, 1967

قائلا "لقد أصبح واضحًا بعد الحرب العالمية الثانية أن التخطـيط العـسكرى يحتاج إلى تقديرات يمكن الركون إليها تماما بشأن قدرة المناطق الاقتصادية والاجتماعية وشبكات المراكز الحضارية على الصمود فى وجه هجوم ذرى" ولقد تمت بالفعل الخطوة الأولى لتحقيق ذلك متمثلة فى اتفاق هيئـة بحـوث المصادر البشرية التابعة للقوات الجوية Hrri مع مكتب البحوث الاجتماعيـة التطبيقية التابع لجامعة كولومبيا على مشروع بحث يـشرف عليـه العـالم الاجتماعى كنجزلى دافيس وذلك بهدف إنجاز "كـشاف شـامل للمـصادر الحضرية فى العالم يتضمن ملفات بالمعلومات الأساسية عن كل مدينة كبرى فى العالم بحيث تمكن تلك البيانات المحللين من إجراء دراسـات مقارنـة.. وتطوير أساليب أكثر قابلية للاعتماد عليها من أجل اختيار أهداف القـصف الجوى "، ويشير باورز إلى عديد من نماذج هذه البحوث العسكرية الأكاديمية المشتركة مشيرا إلى ذلك التعاقد الذى أبرم أيضا بين هيئة بحوث المـصادر البشرية التابعة للقوات الجوية، ومركز البحوث الروسـية التـابع لجامعـة هارفارد. وقد أجريت بمقتضى هذا التعاقد، وتحت إشراف كلايد كلا كهـون دراسة استمرت أربع سنوات بهدف معرفة طبيعة الحياة "كما تبـدو داخـل الاتحاد السوفيتى" ويؤكد باورز " إن جانبـا ضـئيلاً فحـسب مـن قـصة الاستخدامات العسكرية لعلم الاجتماع هو الـذى تـضمه الوثـائق العامـة المنشورة. أما الجزء الأكبر فيوجد فى تقارير مازالـت موضـع التطبيـق العلمى، وفى توجيهات القادة العسكريين وفى تلك الوثائق والنشرات المحدودة التى لاتضم عادة إلى الملفات الرسمية فيما بعد تاريخ معين، وبالتالى لا يمكن الرجوع إليها إلا فى الملفات الشخصية".

ويعد مشروع كاميلوت[٢٥] نموذجا لذلك النوع من المشروعات التى تم فيها استخدام خبرات علماء النفس ضمن بقية علماء الإنسانيات لخدمة أهداف

(25) Horowitz . I. L. " The life and death of project Camelot " . Trans - Action. 3 . 1965.

سياسية محددة، والمشروع واحد من المشروعات التى كان يقوم بها مكتب بحوث العمليات الخاصة التابع للجامعة الأمريكية بواشنطون Soro بمنحة تبلغ ستة ملايين دولار ولفترة كان مقدرا أن تستمر أربع سنوات. وقد كان الهدف من مشروع كاميلوت هو دراسة الظروف التى يمكن أن تؤدى إلى التدخل العسكرى فى مختلف البلدان النامية وقد انكشف الهدف الحقيقى الذى كان متكتما للمشروع نتيجة "خطأ" أحد المشرفين عليه بتورطه فى الحديث عن ذلك الهدف مع أحد المسئولين فى حكومة شيلى مما أدى إلى إحداث فضيحة مدوية فضلا عن توقف المشروع نفسه

ذلك عن تاريخ العلاقة بين علم النفس والسياسة أو بالأحرى العلاقة بين علم النفس والسلطة السياسية. ورغم ذلك التاريخ الطويل، ورغم أن علماء النفس لم يكفوا عن تقديم مساهماتهم فى التطبيقات السياسية العملية، منذ نشأة علم النفس، وحتى الآن، فقد أجفلوا طويلاً عن صك مصطلح "علم النفس السياسى". ربما نفورًا من الإفصاح عن مواقفهم السياسية، أو ترفعًا عن إلصاق شبهة السياسة بالعلم.

لقد نشر هانز أيزنك عام ١٩٥٤ كتابًا بعنوان "سيكلوچية السياسة"[٢٦] أهداه إلى صغير يدعى جارى "آملا أن ينشأ فى مجتمع يهتم بعلم النفس أكثر من اهتمامه بالسياسة". ثم يمضى محاولا الربط بين الاتجاهات السياسية وأنماط الشخصية، مؤكدًا بوضوح محاولته الفصل بين كونه مواطنًا له مواقفه السياسية، وبين كونه عالمًا ينبغى أن ينأى بعلمه عن الأحكام القيمية، حتى أنه لم يستخدم تعبير علم النفس السياسى طيلة صفحات الكتاب. أما بيتر دى بريز أستاذ علم النفس فى جامعة كيب تاون بجنوب أفريقيا، فلم يكن غريبًا أن يحاول فى كتاب له صدر عام ١٩٨٠ بعنوان "علم النفس

---

(26) Eysenck. H.J.The Psychology of Politics (1954), Taylor & Francis Group

الاجتماعى والسياسة"[٢٧] تطبيق إحدى نظريات علم النفس الاجتماعى المتعلقة بالهوية لتفسير العملية السياسية التى عايشها فى موطنه، ورغم ذلك فإنه يعبر فى مقدمة كتابه عن رؤيته السلبية للسياسة مستعيرًا عبارة الكاتب والشاعر الفرنسى بول فاليرى "كانت السياسة هى فن منع البشر من التدخل فيما يعنيهم، ثم أضيف إليها فن دفع هؤلاء البشر إلى اتخاذ قرارات فى أمور لا يفهمونها". ولكن ظهور علم النفس السياسى كتخصص قائم بذاته ظل إلى نهاية الستينيات، وتم تدريس أول مقررات دراسية على مستوى الشهادة الجامعية الأولى والدراسات العليا تحت هذا المسمى فى السبعينيات.

ويعتبر علم النفس السياسى، بشكل بالغ العمومية، وكما ورد فى هذا الكتاب، "تطبيقا لعلم النفس البشرى فى دراسة السياسة. حيث يستفيد علم النفس السياسى من منجزات علم النفس فى مجال النظريات النفسية، وبحوث الشخصية، والأمراض النفسية، وعلم النفس الاجتماعى، وعلم نفس النمو، وعلم النفس المعرفى، والعلاقات داخل الجماعات؛ كما يتناول علم النفس السياسى ظواهر سياسية مثل السير الذاتية، والقيادة، والسلوك السياسى الجماهيرى، وتأثيرات الإعلام الجماهيرى، والتنشئة السياسية والتربية المدنية، والصراع الدولى، واتخاذ القرارات فى مجال السياسة الدولية، وحل الصراعات، والصراعات القائمة على العرق والنوع الاجتماعى والقومية وغير ذلك من تجمعات، والتيارات السياسية، والحراك السياسى"

ومن ثم فإن لعلم النفس السياسى دورًا فى تزويد صاحب القرار بما يلزمه من بيانات موضوعية تتعلق باتجاهات الرأى العام المحلى والعالمى، الراهنة والمتوقعة، بحيث يضمن للقرار السياسى أكبر قدر ممكن من التقبل والتأثير. كذلك فإن لعلم النفس السياسى دورًا فى تزويد المفاوض بما يلزمه من معلومات عن فنيات التفاوض، وسمات الطرف الآخر التى تؤثر فى

---

(27) Du Preez, (1980): Social Psychology of Politics. Oxford: Basil Blackwell.

أسلوبه التفاوضى، واتجاهات الجماعات الضاغطة حيال الموضوع محل التفاوض إلى آخره[٢٨]. ويلعب علم النفس السياسى أيضًا دورًا أساسيًا فى مجال إدارة الأزمات الداخلية والخارجية بما يتيحه لصاحب القرار من معلومات تتعلق برؤية الجماهير فى الداخل والخارج لطبيعة الأزمة، وتوقعاتهم لمسارها، مما يسهم فى ترشيد قرارات إدارتها[٢٩].

والحديث عن علم النفس السياسى بهذا التحديد، لا يعنى بحال أنه يمثل موقفًا فكريًا موحدًا متسقًا من القضايا ذات الطابع السياسى كالعنف والحرب والدين والجنس إلى آخره. بل إن علماء النفس بعامة يتباينون من حيث توجهاتهم الفكرية ومصالحهم الاقتصادية ومن ثم من حيث توظيفهم لعلمهم. إن من بين أولئك المتخصصين من كرسوا أنفسهم لخدمة قوى الشر والتعصب والعدوان موظفين علمهم فى خدمة النازية، أو المكارثية، أو الستالينية، أو الصهيونية إلى آخره، ومنهم أيضًا من دفعوا من أرزاقهم، ومن حريتهم، بل ومن قدموا حياتهم استشهادًا فى سبيل قوى الخير والعدل والحرية، موظفين علمهم فى خدمة حركات التحرر أينما كان موقعها. وإذا كان أبناء الفريق الأول قد وجدوا لأنفسهم مكانًا فى العديد من التنظيمات الحكومية الرسمية، فإن أبناء الفريق الثانى قد أقاموا لأنفسهم عشرات التجمعات غير الحكومية التى تعبر عن أهدافهم.

---

(٢٨) انظر للكاتب:

- "سيكولوجية التفاوض"، أعمال المؤتمر الدولى للعلوم الاجتماعية وتنمية المجتمع، الكويت، ١٠-٢٠٠١/٤/١٢
- "حول سيكولوجية التفاوض"، المجلة المصرية للدراسات النفسية، المجلد الرابع عشر، العدد ٣٢، أكتوبر ٢٠٠١، ص ١-١٠

(٢٩) انظر للكاتب:

- الحرب النفسية، مجلة وجهات نظر، مايو ٢٠٠٣
- "علم النفس وإدارة الأزمات"، المؤتمر الدولى السابع عشر للإحصاء وعلوم الحاسب وتطبيقاته العلمية والاجتماعية، القاهرة، إبريل ١٩٩٢

علم النفس السياسى: تاريخ شخصى

كانت علاقتى بعلم النفس والسياسة موضوعا لمحاضرة عامة لى تحت عنوان " علم النفس والسياسة فى مصر"[30] أشرت فيها إلى أن تلك العلاقة قد تشابكت مع تاريخى الشخصى وليس الفكرى فحسب. فى منتصف الخمسينيات، حين التحقت بالجامعة كانت مصر تشهد تبلور ملامح يوليو ١٩٥٢، وكان غبار أحداث ما عرف باسم أزمة مارس لم يهدأ بعد، وقبلها كانت أحداث كفر الدوار. كانت كلمات الديمقراطية، والإقطاع، والاحتلال البريطانى، والثورة، بل والإسلام أيضًا، تتردد مختلطة بأسماء محمد نجيب وجمال عبد الناصر وخالد محيى الدين، وأيضًا خميس والبقرى عمال كفر الدوار الذين تم إعدامهم، وعدلى لملوم نموذج الإقطاع الذى حوكم وسجن، إلى آخر قائمة طويلة من أسماء نجوم هذه المرحلة. وفى مثل هذا المناخ تزدهر عادة التساؤلات الكبرى عن حركة التاريخ وتوجهات المستقبل. كانت تلك التساؤلات تشغل آنذاك غالبية أساتذة الجامعة وطلابها على حد سواء.

فى ظل هذا المناخ كانت بداية تعرفى على الماركسية وعلى التحليل النفسى معًا كان الفكر الماركسى آنذاك ينفض عن نفسه آثار الستالينية، محاولاً أن يتحسس مواطئ أقدامه فى مرحلة ما بعد ستالين، مراجعًا للعديد من تصوراته الدوجماطيقية القديمة، مخففًا من حدة اتهام المخالفين بالهرطقة. أما بالنسبة للتحليل النفسى فقد شهدت تلك الفترة حوارًا خصبًا بين اليسار الماركسى الأوربى وبين التحليل النفسى، وبدأنا نتعرف على فلهلم رايخ، وجورج بوليتزير، وهنرى فالون، ولوسيان سيف. وشهدت تلك الفترة كذلك بزوغ عدد من الفرويديين الجدد المتمردين على التحليل النفسى الفرويدى شدنى منهم ايريك فروم.

---

(٣٠) برنامج محاضرات لجنة علم النفس، المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة، ٣ يناير ٢٠٠١

لقد بدت لى تلك الماركسية الجديدة المتآلفة مع اتجاهات أولئك الفرويديين الجدد بمثابة المصدر النموذجى للإجابة على التساؤلات الوطنية الكبرى التى كانت تشغل جيلى آنذاك ومضيت فى طريقى وقد خيل إلى أننى قد أوتيت من العلم الكثير، إلى أن وقعت واقعة يونيو ١٩٦٧ وعندها تكشف لى آنذاك -فيما تكشف- كم كنت متجاهلا بل جاهلا لطبيعة ما ألفنا أن نطلق عليه آنذاك "إسرائيل المزعومة". وبدأت أتلفت حولى كمتخصص فى علم النفس بحثًا عن سبيل للتعرف على ذلك المجهول "إسرائيل". ووجدتنى غارقًا منذ ذلك الحين فى خضم "علم النفس السياسى".

لم يكن دافعى للاهتمام بعلم النفس السياسى منذ البداية اهتماما أكاديميا نظريا يوجهه فضول الباحث العلمي فحسب، بل كان دافعا وجوديا إذا صح التعبير، ومازلت أذكر حتى الآن بكثير من الخجل مدى تفاؤلى بمجريات مواجهتنا مع إسرائيل فى أيامها الأولى. وأذكر كذلك كيف تلاشى ذلك التفاؤل الساذج مع بداية نذر الهزيمة، وكيف تحول الخجل إلى إحساس ثقيل بالتقصير فى الفهم وفى الفعل على حد سواء. وبدأ تساؤل مؤلم يلح على كما يلح على غالبية أبناء جيلى: لماذا لم نفهم؟ لماذا لم نتوقع ما حدث؟ والأهم من ذلك وماذا بعد؟ لقد كنت مهتما فى المقام الأول بالإجابة عن أسئلة ذات طابع عملى سياسى وطنى: لماذا؟ وكيف هزمتنا إسرائيل؟ ومن هم أولئك الإسرائيليون الذين أوقعوا بنا تلك الهزيمة؟ وقادنى سعيى للبحث عن إجابة لتلك الأسئلة إلى استثمار ما أعرفه كمتخصص فى علم النفس. واكتشفت أنه إذا كان متاحا بدرجة ما أن أعرف شيئا نظريا عن محاولات علماء النفس فى هذا المجال، فإن التعرف على ما درسه الإسرائيليون أنفسهم عن مجتمعهم لم يكن أمرا ميسورا بحال فى وقت كانت فيه معرفة الآخر محرمة إلا على نخبة السلطة لو شاءت أن تعرف، وقليلا ما كانت تشاء ذلك. لقد كان الخيار العربى منذ نكبة ١٩٤٨ أن نغلق الأبواب على أنفسنا حيال كل ما

له علاقة بإسرائيل، دون تفرقة بين معرفة الآخر والقبول بذلك الآخر، ولا حتى بين يهود صهاينة أقاموا دولة إسرائيل وعرب فلسطينيين فرض عليهم الاحتلال حمل الهوية الإسرائيلية، فضلاً عن النفور من مجرد رؤية أى تباين بين إسرائيلى وآخر، أو بين يهودى وآخر.

وبدت بارقة أمل حين بادر الأستاذ محمد حسنين هيكل بعد شهور من الهزيمة بالتفكير فى إنشاء مركز الدراسات الفلسطينية والإسرائيلية، وأسند رئاسته للصديق الأستاذ حاتم صادق خريج كلية الاقتصاد والعلوم السياسية وزوج الدكتورة هدى عبد الناصر كريمة الرئيس جمال عبد الناصر. وكنت من الذين تم الاتصال بهم ودعوتهم للنظر فيما يمكن أن يسهموا به فى أنشطة هذا المركز الوليد. وتحول الأمل إلى واقع، بسقوط المحظور، وإتاحة الفرصة فى هذا المركز للاطلاع على ما ينشر فى إسرائيل وعن إسرائيل. وسرعان ما نمت مكتبة المركز لتضم -فيما تضم- إصدارات علماء الإنسانيات من الإسرائيليين وغيرهم. وبفضل هذه الثروة العلمية تمكنت من إنجاز باكورة أعمالى فى هذا المجال، كتاب "تجسيد الوهم"[٣١] الذى استهل به المركز إصداراته عام ١٩٧١. والذى كان بمثابة المحاولة العربية الأولى للاقتراب من فهم السيكلوچية الإسرائيلية فهمًا علميًا.

وبفضل ما لقيته دراستى الأولى هذه من تشجيع واعتراف[٣٢]، وافقت كلية الآداب بجامعة عين شمس على تسجيل رسالتى للحصول على درجة الدكتوراه فى موضوع "الشخصية الإسرائيلية: دراسة فى الأشكنازيم"[٣٣].

---

(٣١) تجسيد الوهم: دراسة سيكولوجية للشخصية الإسرائيلية، مركز الدراسات الفلسطينية والصهيونية، القاهرة، ١٩٧١

(٣٢) حصل هذا الكتاب على جائزة الدولة التشجيعية فى علم النفس عام ١٩٧٢.

(٣٣) دراسة فى الشخصية الإسرائيلية: الأشكنازيم، رسالة دكتوراه، منشورات مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، ١٩٧٥

علم النفس السياسى فى بلادنا

لم تكن بلادنا استثناءً من حيث وجود ذلك التشابك الوثيق بين السياسة وتاريخ علم النفس. لقد قام علم النفس فى بلادنا على أكتاف ثلة معدودة من الرواد لعل فى مقدمتهم يوسف مراد، ومصطفى زيور. اللذين أصدرا أول مجلة تحمل اسم علم النفس فى يونيو ١٩٤٥، واستمرت حتى فبراير ١٩٥٣. وسوف نعتمد فى موضوعنا على أعداد هذه المجلة: إلى جانب مقابلات مع عددٍ من رواد وأساتذة علم النفس فى منتصف السبعينيات، من بينهم مصطفى زيور وعبد العزيز القوصى ومصطفى سويف وقد شاركت فى إجراء تلك المقابلات مع الزميلين صفوت فرج، ومحمود عبد الحليم.

تتصدر العدد الأول من المجلة بصمات سياسية لا تخطئها العين: صورة الملك فاروق "راعى العلم، والأمين على التراث الثقافى فى مصر الحديثة"، ثم "كلمة جماعة علم النفس التكاملى المشمولة برعاية سمو الأميرة شويكار". ويقول سويف فى مقابلة معه فى يونيو عام ١٩٧٦ " لفت نظرى أن المجلة كانت تحمل عنوان "تحت رعاية الأميرة شويكار" وكان الجو السياسى فى مصر ملتهبًا ضد الملك والعائلة المالكة وابتدأت بعض الهتافات فى بعض المظاهرات فى هذا الاتجاه فشعرت بنوعٍ من الاستغراب ولكن لم تثر عندى أى شيء من المعارضة ولكن كان تساؤلاً بينى وبين نفسى"

وحوت المجلة فى عددها الصادر فى أكتوبر ١٩٤٥، موضوعا يستوقف النظر عن "اختيار ضباط الجيش" يتضمن الإشادة بنجاح الأسلوب الذى تتبعه بريطانيا فى اختيارها لضباط جيشها. وتضمن العدد التالى الصادر فى فبراير ١٩٤٧ كلمة تحت عنوان "علم النفس فى كلية أركان الحرب الملكية"، تبدأ بالإشارة إلى أن المقالة التى نشرت فى العدد السابق كان لها أحسن الأثر فى الأوساط العسكرية العليا، وأن كلية أركان الحرب

الملكية قد نظمت سلسلة من المحاضرات فى علم النفس بدأت من ديسمبر ١٩٤٦ ساهم فيها الدكتور يوسف مراد. ولم يفت المجلة أن تورد حضور "لفيف من كبار ضباط الجيش وعلى رأسهم عثمان باشا المهدى، والأميرالاى أحمد بك فهيم كومندان الكلية الحربية، والدكتور عازر بك دميان من كبار ضباط الجيش. وقد أبدى عزته رغبته فى إدخال نظام الاختبارات فى الجيش، وإنشاء العيادات السيكلوچية إلى جانب العيادات الطبية."

وإثر حرب ٤٨ خصصت المجلة عددها الصادر فى يونيو/سبتمبر ٤٩ لموضوع علم النفس والحرب، تصدره مقال للأميرالاى أحمد شوقى عبدالرحمن بك –الذى اتضح فيما بعد أنه من تنظيم الضباط الأحرار– يتناول فيه الدور الذى لعبته الشائعات المعادية فى نشر الذعر بين الفلسطينيين" إبان الحرب الأخيرة."

ويورد يوسف مراد فى سيرته الذاتية التى نشرها مراد وهبه ما يوضح أن الدعوة إلى إدخال الخدمات النفسية فى الجيش قد تحققت بعد الثورة مباشرة فى أغسطس ١٩٥٢حيث ساهم فى أنشطة "إدارة التدريب الحربى" بتنظيم قسم للخدمة السيكلوچية فى الجيش، وتطبيق اختبارات الذكاء والشخصية على طلبة الكلية الحربية فى ١٠،١١ من سبتمبر ١٩٥٢ ثم إلقاء محاضرتين فى كلية أركان الحرب التى لم تعد ملكية آنذاك عن الانفعالات والتمويه والإخفاء، وذلك فى ٢٨،٣١ يناير ١٩٥٣، ثم التدريب لمدة شهر فى صيف ١٩٥٣على الاختبارات فى مركز الخدمة السيكلوچية للجيش الفرنسى فى مدينة فرساى.

ولم يكن مراد هو الفارس الوحيد فى هذا الارتباط المبكر بالنظام الجديد، بل نافسه فرسان آخرون من كلية التربية. ففى نفس مجال الخدمات النفسية للقوات المسلحة كان ثمة فارس آخر هو أحمد زكى صالح. أما القوصى فقد ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالصاغ كمال الدين حسين أشهر وزراء

التعليم فى عهد الثورة، الذى عينه مستشارًا فنيًا له بوزارة التعليم. وكـذلك السيد خيرى الذى اختار لإسهاماته مجالين متميزين: مجال الصناعة ومجال الأمن القومى للنظام الجديد. أما عثمان نجاتى فإنه يشير فى مقابلتنا معه إلى إسهامه فى إنشاء إدارة لتحليل الرأى العام فى مصلحة الاستعلامات التى كان يرأسها عبد القادر حاتم.

كان هؤلاء هم أبرز فرسان علم النفس الذين التصقوا بوضوح وبشكل قاطع بنظام يوليو عند بزوغه، ولكن ظل على الضفة الأخرى صنف آخـر من الفرسان، لعل أبرزهما المصطفيان: زيور، وسويف. إنهما ينتميان لمدرستين من مدارس علم النفس لم يعرف بينهما سوى الشقاق والنفور: مدرسة التحليل النفسى بتفرعاتها المختلفة، والمدرسة السلوكية بألوانها المتعددة. ترى كيف جمعهما فى مصر موقف سياسى واحد؟

ويبدو أن مقولة إن مصر قد تخصصت فى كسر القوانين التاريخية العامة تصدق على حالتنا هذه. لقد اختلفت توجهات مدرسة التحليل النفسى فى مصر عن نظيرتها فى بلدان العالم الغربى من حيث الموقف من قضية الاستعمار الصهيونى لفلسطين. المحللون النفسيون فى العالم الغربى بحكم صهيونية غالبيتهم وقفوا بعلمهم إلى جانب نشأة إسرائيل الدولة، ودافعوا بقدر ما وسعهم الجهد عن مبررات تلك النشأة. وكان طبيعيًا والأمر كذلك أن يجد المتأمل فى سير حياة العديد من أقطاب حركة التحليل النفسى أن الخيوط متداخلة متشابكة بين ممارستهم العملية للنشاط الصهيونى والتحليل النفسى

ذلك هو موقف التحليل النفسى الفرويدى، ولكن لو نظرنا إلى زيور الذى كان لا يفتأ يعبر عن انتمائه للفرويدية الأرثوذكسية، لوجدناه مختلفًا فى موقفه السياسى الوطنى، سواء من حيث قضايا الوطن الداخلية وعلى رأسها قضية الليبرالية، أومن حيث القضية الفلسطينية. كان زيور مؤمنًا بالحرية السياسية، وقد انعكس ذلك فى احتضانه ومساندته لأبنائه الذين استضافتهم

السجون والمعتقلات السياسية المصرية بتهم متباينة يجمعها رفض النظام القائم، والذين يشكلون مجموعة تستوقف النظر من أوائل خريجى قسم علم النفس: أحمد فائق، ورءوف حلمى، وحسين عبد القادر، ومحمود الأنصارى، وعبد القادر شاهين، ولطفى فطيم، وكاتب هذه السطور. لقد احتضنهم زيور جميعًا فى وقت كانت فيه مجرد شبهة التمرد على النظام كفيلة بالفرار من صاحبها وتجنبه تجنب السليم للأجرب.

كذلك فقد كان زيور مهمومًا بقضية "الفتنة الطائفية". تحدث وكتب فى فبراير ١٩٥٢عن سيكلوچية التعصب إثر إحراق كنيسة بالسويس، وتطرق فى معالجته للموضوع إلى أحداث ٢٦ يناير، مفسرًا الظاهرتين باعتبارهما صورًا من إزاحة العدوان الموجه أصلا إلى المحتل الإنجليزى، وأن إزاحته بهذه الصورة إنما ترجع إلى قيام ما يحول دون توجيهه إلى هدفه الأصيل. ولم يفت زيور التحذير من الاكتفاء بالتفسيرات النفسية مشيرًا بوضوح إلى "أنه لا سبيل إلى ضبط العدوان فضلاً عن نقله إلا إذا عالجنا مصادر النقمة والحرمان الأصلية... وغنى عن البيان أن هذا يقتضى دراسة الأحوال الاقتصادية، ولابد لنا من الاستعانة فى ذلك بالأخصائيين فى علوم الاقتصاد" لعل تلك العبارة وحدها تضع زيور ومدرسته المصرية للتحليل النفسى، فى موقع متمايز عن المدرسة الفرويدية الأرثوذكسية التى قامت فى الغرب على الاختزالية السيكلوچية بما يخدم الهدف الصهيونى. ولقد اتضحت الصورة أكثر فى إقدامه على معالجة العدوان الإسرائيلى من منظور التحليل النفسى فى مقالين نشرا عام ١٩٦٨ محاولاً تفسير رحلة اليهودى التائه من الجبن إلى العدوان، كذلك لماذا اختار اليهود أرض فلسطين، فإذا به فى أكثر من موضع يؤكد أن المعالجة النفسية للموضوع لا ينبغى أن تغفل العوامل السياسية والاقتصادية والإمبريالية التى أدت إلى ما حدث.

أما المصطفى الثانى، مصطفى سويف فقد آثر أن يكون موقفه من قضية الديمقراطية السياسية موقفًا حياتيًا صارمًا وإن كان صامتًا. لقد شاء له القدر أن يتتلمذ على يوسف مراد، رفيق زيور فى إصدار مجلة علم النفس. ولقد عرضنا للموقف الذى اختار مراد أن يتخذه من السلطة سواء فى ظل الملكية، أو بعدها. ويسجل سويف فى مقابلاتنا معه أنه حدث خلاف حاد بينه وبين مراد عقب قيام الثورة حيث طلب منه مراد فى أواخر ١٩٥٢ أن يعاونه فى تطبيقات علم النفس فى الجيش، ويبدو أنه أى مراد كان على ثقة تامة من موافقة سويف على ذلك، ولا غرو فهو تلميذه الأثير، الذى مازال ينجز رسالته تحت إشرافه، فإذا بسويف يقول له بوضوح "أنا لا أستطيع أن أسمح لنفسى أن أضع علمى فى خدمة هذا الحكم الاستبدادى". وبطبيعة الحال فقد تغيرت مواقف الجميع مع تعرجات مسار ثورة يوليو والتفاف العديد من المثقفين الوطنيين حولها

فكرة هذا الكتاب

تعد الجمعية الدولية لعلم النفس السياسى International Society of Political Psychology ISPP بمثابة المنبر الدولى الرسمى للمشتغلين بعلم النفس السياسى فى العالم، وقد تأسست عام ١٩٧٨ وبلغ حجم عضويتها ١٣٠٠ عضو، وتصدر عنها منذ نشأتها مجلة فصلية تحمل اسم "علم النفس السياسى"، فضلاً عن أنها تواظب على عقد مؤتمر سنوى، وفى اجتماعها السنوى فى أمستردام عام ١٩٩٩، طرح رئيس الجمعية آنذاك دانييل بار-تال Daniel Bar-Tal أستاذ علم النفس الاجتماعى بجامعة تل أبيب فكرة صدور هذا المجلد تحت الإشراف العلمى للجمعية.

ويكتسب هذا المجلد مكانة متميزة بين الكتب التى تناولت علم النفس السياسى، وذلك لعدة اعتبارات:

الاعتبار الأول، أنه يصدر عن تجمع علمى يضم غالبية المشتغلين فى هذا التخصص، ومن ثم فقد أتيح لمن قاموا على إصداره فرصة المفاضلة والانتقاء بين مجموع المتخصصين لاختيار أفضلهم.

الاعتبار الثانى، أنه يصدر بعد مضى أكثر من ثلاثة عقود على تكريس علم النفس السياسى كمجال متميز من مجالات العلوم الإنسانية.

الاعتبار الثالث، ولعله الأهم – فيما نرى– أن غالبية من قاموا بتحريره وكتابة فصوله، ليسوا مجرد مجموعة متميزة من المتخصصين فى علم النفس السياسى، ممن أتقنوا حرفتهم فبلغوا بها غاية التخصص المهنى الأكاديمى فحسب، ولكنهم إلى جانب ذلك قد حاولوا –أو حاولت أغلبيتهم– ممارسة علمهم عمليا، أى الاقتراب من ممارسة السياسة بشكل أو بآخر، والمتأمل فى سيرهم الذاتية يكتشف أنهم ينتمون بشكل عام لتيار معاد للحروب والدكتاتورية والعنصرية، منحاز إلى الديمقراطية والسلام والمساواة.

ولعلنا لو توقفنا أمام بعضهم لاتضحت لنا الصورة: دافيد سيرز David Sears من خبراء معهد بروكنجز Brookings Institution الذى يعد من أهم مراكز التفكير الأمريكية التى تتبنى فكرا أقرب للحزب الديمقراطى، والتى تعتبر المصدر الرئيسى لأفكار ذلك الحزب، فى مقابل مؤسسة هيريتدج Heritage Foundation الأقرب إلى حزب المحافظين. ميشيل بيللنج Michael Billing الذى تخصص فى البداية فى علم النفس التجريبى، ثم لم يلبث أن اتجه صوب المشكلات الاجتماعية متخذا موقفا فكريا يتضح على سبيل المثال من عنوان كتابه "الفاشيون: الجبهة القومية من منظور علم النفس الاجتماعى" الصادر عام ١٩٧٨[٣٤] والذى يكشف فيه عن الطبيعة العنصرية الفاشية

(34) Billig, M. (1978). Fascists: A social psychological view of the National Front. London: Academic Press

المعادية للسامية لما عرف بحزب الجبهة القومية البريطانية اليمينى المتطرف الذى بلغ أوج انتشاره فى السبعينيات والثمانينيات، والذى كان يقصر عضويته على البريطانيين البيض دون غيرهم. أما جون داكيت John Duckitt فقد حصل على درجة الدكتوراه من جامعة University of the Witwatersrand فى جنوب أفريقيا وكان موضوعها تعصب البيض ضد السود ومنذ ذلك الوقت ظلت موضوعاته الأثيرة هى التعصب والسلطوية والعنصرية. أما هربارت س. كلمان Herbert C. Kelman أستاذ علم النفس بجامعة هارفارد، والذى قضى عام ١٩٧٧ عضوا بهيئة التدريس بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، فقد ذاعت شهرته أساسا لتنظيمه سلسلة من اللقاءات غير الرسمية عام ١٩٨٩ بين أفراد من منظمة التحرير الوطنى الفلسطينية وبعض السياسيين الإسرائيليين فيما يعرف بالمفاوضات الموازية، أو مفاوضات المسار الثانى second-track negotiations.

أما دانييل بار- تال Daniel Bar-Tal أستاذ علم النفس الاجتماعى بجامعة تل أبيب فيستحق منا وقفة خاصة، فهو يهودى إسرائيلى، وغنى عن البيان ما يعنيه ذلك من توجس بالنسبة لقارئ عربى لا يملك أن ينزع نفسه من أحداث صراع ممتد عبر أجيال طويلة، غير أن بار - تال يعد من اليهود الإسرائيليين القلائل الذين اتخذوا موقفا محددا إلى جانب خيار السلام منذ كان طالبا بجامعة تل أبيب فى أواخر الستينيات[٣٥] حيث أسس مجموعة صغيرة من طلاب جامعة تل أبيب تسعى لتدعيم التعايش مع الفلسطينيين أسماها Siyah بمعنى الحوار، وشارك منذ عام ١٩٩٤ فى إصدار دورية ربع سنوية باسم إسرائيل – فلسطين Palestine Israel Journal التى تبنت الدفاع عن حق الفلسطينيين فى إقامة دولتهم إلى جانب دولة إسرائيل، وأن السبيل الأمثل لتحقيق هذه الغاية هو الحوار، وكان من كتابها من الفلسطينيين زياد أبو زياد، وغسان كنفانى، وسارى نسيبة، ورشيد خالدى، وخليل شقاقى.

---

(35) http://www.counterpunch.org/bartal0422.html

وخلال تجولى فى شبكة المعلومات الدولية لاستكمال مادة هذه المقدمة، وفى نفس الوقت، لمتابعة أحداث الهجوم الإسرائيلى الوحشى على قطاع غزة، وقعت على "خطاب مفتوح من عالم النفس الاجتماعى الإسرائيلى دانييل بار-تال حول حرب غزة" يحمل تاريخ ١٦ فبراير ٢٠٠٩ موجها إلى يهود إسرائيل، ولعله من المناسب عرض بعض من مقتطفاته والنص كاملا مازال على شبكة المعلومات الدولية(٣٦).

"لعلها واحدة من أقسى فترات حياتى السياسية كيهودى أعيش فى دولة إسرائيل. لقد وجهت أحداث الحرب فى غزة ضربة قاصمة لقناعاتى بأن ثمة أملاً فى حل سلمى للصراع بين الإسرائيليين والفلسطينيين يمكن أن يتحقق فى المستقبل القريب، وفضلا عن ذلك فقد اهتزت ثقتى فى إنسانية البشر حين شاهدت مدى السهولة التى يستجيبون بها لنداء الحرب معبرين عن مشاعرهم الوطنية العمياء، ورغبتهم فى الانتقام، ونزعهم الشرعية عن الآخر، وانعدام حساسيتهم تجاه الحياة البشرية، مقابل الصعوبة الكبيرة التى تواجه عملية إقناع البشر بالتحرك نحو السلام. لقد شاهدنا مرارا كيف أن الأمر يستغرق سنوات لإقناع الناس بأهمية السلام، فى حين أن الأمر لم يستغرق سوى وقت قصير للغاية لإقناعهم بضرورة الحرب، بل لقد كان الأصعب هو إقناعهم حتى بمراعاة الاعتبارات الأخلاقية فى حربهم. لقد عانيت لأسابيع مترددا فى كتابة مثل ذلك الخطاب المفتوح. لم أستطع خلالها الاقتراب من الورق وإمساك القلم، شاعرا باليأس والعجز. ولكن ما دفعنى فى النهاية للكتابة هو مجرد الإحساس بالمسئولية عن إعلان رأى آخر بديلا لوجهات النظر الرسمية التى تدعمها الغالبية العظمى من يهود إسرائيل. من المهم أن تعرفوا أن ثمة أقلية من اليهود فى إسرائيل يهتمون بالاعتبارات الأخلاقية ويعارضون هذه الحرب

---

(36) http://lindyloosmuze.blogspot.com/2009/02/daniel-bar-tal.html

"ماذا أستطيع أن أقول حين أعرف أن حوالى ١٣٠٠ فلسطينى لقوا حتفهم، وأن نصفهم على الأقل من المدنيين الأبرياء، من الأطفال والنساء وكبار السن، وأن أكثر من ٤٠٠٠ قد جرحوا، وأن آلاف المساكن قد دمرت، وأن عدة آلاف قد أصبحوا بلا مأوى. وأيضا على الجانب الإسرائيلى قتل ١٣ إسرائيليا منهم ثلاثة مدنيين، إلى جانب مئات من الجرحى وآلاف خافوا من مئات الصواريخ التى أطلقت على إسرائيل.

"إننى أستطيع أن أكرر تبريرات الحكومة الإسرائيلية من إطلاق مئات عديدة من الصواريخ على الأراضى الإسرائيلية جنوب غزة لعدة سنوات فضلا عن المستوطنات الآهلة بالسكان، وأن أية حكومة لا يمكنها القبول بإيقاع الأذى على مواطنيها، وأنه "بعد ثمانى سنوات من ضبط النفس قررت إسرائيل أن تتحرك لمواجهة الهجمات الإرهابية القادمة من قطاع غزة. لقد أسيء فهم ضبط النفس الذى التزمت به إسرائيل واعتبر ضعفا من وجهة نظر حماس وأطراف محور التطرف الذى تقوده إيران". وأن "إسرائيل قد التزمت باتفاق ثنائى يتيح للسلام فرصة أخيرة وفقًا للمبادرة المصرية لفترة تهدئة فى يونيو ٢٠٠٨، والتى تم خرق بنودها مرارا من جانب حماس.

إنه لمن الطبيعى تماما أن يحرص من يرسلون الجنود للحرب على الدفاع عن قرارهم وتبريره. إنه قانون بشرى. ولكن تلك المبررات لا تروى القصة كاملة. وحتى لو قبلنا بالحجج الإسرائيلية منفصلة عن الخلفيات والتعقيدات، فإنها لا تكفى لتبرير حجم الدمار والخسائر فى صفوف المدنيين الفلسطينيين. إن اتساع مدى وحشية الأفعال الإسرائيلية تشهد على تلك الجذور الممتدة فى عمق أشد الجوانب إظلاما للكائنات البشرية. إنها تعبر عن الرغبة فى محو مشاعر الفشل فى الحرب اللبنانية الثانية خلال صيف ٢٠٠٦، كما تعبر عن ذلك الإحساس الدفين بشعور الضحية نتيجة لاستمرار جناح حماس العسكرى فى إطلاق الصواريخ على المستوطنات المدنية فى

الجنوب، لقد أدى شعور الضحية إلى الاندفاع للانتقام عقابا على ما وقع من أضرار وتلافى تكرارها، معتمدين على الاعتقاد بأن إسرائيل بانسحابها من قطاع غزة عام ٢٠٠٥، سمحت للفلسطينيين بأن يعيشوا حياتهم، ولكنهم بدلا من ذلك انهمكوا فى الإرهاب.

ولكن الحقيقة أكثر تركيبا بكثير من تلك الحكايات التى تروجها المؤسسات السياسية والعسكرية الإسرائيلية، والتى نجحت من خلالها فى تشكيل أفكار الجمهور اليهودى فى إسرائيل. إنه لأمر مثير للسخرية، لأن واحدا من أهداف الحرب كان التأثير على وعى الفلسطينيين بحيث يتبين لهم مدى الضرر الذى أوقعته حماس بحياة الفلسطينيين وبأهدافهم. وما حدث هو أنه بدلا من تحقق هذا الهدف، فقد أدت الحرب إلى تقوية دعم الصقور على الجانبين، مما أدى إلى مزيد من تحطيم العملية السياسية. وفضلا عن ذلك فإنه من الصعب اكتشاف أية مكاسب سياسية ذات معنى حصلت عليها إسرائيل بما يوازن نتائج تلك الحرب. لقد عدنا إلى نفس الخطوط التى كنا عندها قبل الحرب مع كل ما سببته من خسائر ودمار مرعب.

إن تحليل الموقف نفسيا يبين حجم التحيز والتشويه والانتقائية الذى يشوب نقل وبث المعلومات عبر قنوات الإعلام الإسرائيلية. ولا يعنى ذلك أن المعلومات الأخرى البديلة غير متاحة فى إسرائيل، ولكن من يهتمون بمعرفة الحقيقة لا يتجاوزون قلة صغيرة. وبذلك فإن غالبية اليهود الإسرائيليين لا يعرفون ما ارتكبته إسرائيل خلال عقود من احتلالها غزة. إن غالبية اليهود الإسرائيليين لا يعرفون أن حماس قد تأسست بدعم من السلطات الإسرائيلية لتكون بديلا للحركة القومية المتمثلة فى منظمة التحرير الفلسطينية. إن غالبية اليهود الإسرائيليين لا يعرفون أن حماس الحركة الأصولية الدينية تقدم خدمات اقتصادية وصحية وتعليمية للشعب الفلسطينى. لا يعرف غالبية اليهود الإسرائيليين أن حماس قد انتخبت ديمقراطيا (وبإصرار من الولايات المتحدة الأمريكية) لرئاسة حكومة السلطة الوطنية الفلسطينية نظرا لفساد

منظمة فتح وكذلك بسبب عدم جدوى المفاوضات مع إسرائيل والتى لم تقدم أى حل للصراع. إن غالبية اليهود الإسرائيليين لا يعرفون أن تمسك رئيس الوزراء الإسرائيلى آرييل شارون بأنه "لا يوجد شريك فلسطينى"هو ما أدى إلى قرار الانسحاب من غزة من طرف واحد دون تفاوض مع السلطة الفلسطينية، ولقد جرى ذلك لنزع الشرعية عن السلطة الفلسطينية فى محاولة للسيطرة على الضفة الغربية. وفضلا عن ذلك فإن ذلك الانسحاب من طرف واحد لم يحرر غزة، بل حولها إلى سجن كبير حيث تسيطر إسرائيل على مداخل غزة وتتحكم فى كافة أوجه الحياة البشرية فيها. لقد قررت إسرائيل أن تغير من مساندة أبناء غزة لحماس من خلال فرض حصار لا يسمح سوى بالحد الأدنى من متطلبات الحياة ويدفع بغزة إلى كارثة اقتصادية. غير أن اليهود الإسرائيليين يعرفون أنه حتى بعد الانسحاب من غزة استمرت حماس فى إطلاق الصواريخ على المستوطنات المدنية، ولكن قلة من اليهود الإسرائيليين يعرفون أن مئات الفلسطينيين قد قتلوا على أيدى القوات الإسرائيلية فيما بين ٢٠٠٥، ٢٠٠٨. قلة من اليهود الإسرائيليين لا يعرفون أن الأنفاق لم تحفر أساسا لتهريب الأسلحة- كما تعتقد الغالبية- بل لتهريب البضائع التى لم يكن متاحا وصولها إلى غزة. إن قلة فحسب يعرفون أن ثمة علاقة بين العنف الإسرائيلى والعنف الفلسطينى، مفضلين اعتبار الأخير سلوكا متعصبا يفتقد للمنطق والأخلاق، فى حين أن الأول دفاعى أخلاقى له مبرراته المقنعة.... إن قلة من اليهود الإسرائيليين يعرفون أن إسرائيل هى التى كسرت هدنة ٤ نوفمبر ٢٠٠٨ عندما قتلت ستة فلسطينيين. إننى لا أتعاطف مع حماس، فهى منظمة دينية أصولية تمارس الإرهاب، ولكنها أيضا حركة اجتماعية تحظى بمساندة واسعة من المجتمع الفلسطينى نظرا لأنها تمثل بديلا للهوية الفلسطينية القومية التى تشعر بالمهانة....

صحيح أن الفلسطينيين قد لعبوا دورا فى إخفاق عملية أوسلو، ولكن التفاوت الهائل فى ميزان القوى يضع المسئولية الكبرى عن استمرار

الصراع على الجانب الإسرائيلى. إن إسرائيل تمتلك تقريبـا كافـة الأوراق اللازمة لحل الصراع: لقد احتلت الأرض، واستولت على القدس الـشرقية، وسيطرت على حياة الفلسطينيين، ووسعت باستمرار من انتشار المستوطنات فى الضفة الغربية، ومارست أساليب العنف لعقاب وقمع الفلسطينيين فى ظل دعم مستمر –حتى الآن على الأقل– من القوى العظمى

سوف يسجل التاريخ ما بقى من القصة: إن الحرب لم تنـدلع بـشكل تلقائى، بل سبقها إعداد محكم شمل تحديد حجمها وأنـواع الأسـلحة التـى ستستخدم وما إلى ذلك. كما أنه قد تقرر تعمد استخدام القوة المفرطة لحماية حياة الجنود الإسرائيليين ولتلقين الفلسطينيين الدرس. وكانت نتائج الحـرب مأساوية. لقد قدمت دليلا قاطعا لكل طرف على أن الطرف الآخـر شـرير عديم الأخلاق. والآن فإن قلة منا فحسب هنا وهناك يستطيعون تقييم حجـم المأساة، وتفسير ما حدث، والصلاة من أجل أن تحدث معجـزة مـن قـوى خارجية تتدخل لتنقذنا من أسوأ الغرائز البشرية"

لعل حديثنا المطول بعض الشيء عن بار– تال لا يعتبر تزيـدا؛ فمـا دمنا فى مجال الحديث عن علم النفس السياسى، حيث تفاعل السياسة مع بقية العلوم الإنسانية ومنها علم النفس، فمن حق القارئ علينا أن يعرف لمن يقرأ، وإن كان ذلك لا يعنى بحال أن قراءة ما يكتبه الآخرون، أيا كانوا – ومـنهم الإسرائيليون بطبيعة الحال– ينبغى أن تتعرض لأية قيود، سوى الوعى بهوية الكاتب، ومراعاة قواعد النشر.

وفى النهاية نود أن نتوجه بشكر خاص للأستاذ الدكتور: ماجد عثمان، وفريقه المعاون فى "مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار برئاسـة مجلـس الوزراء"، للجهد التطوعى المضنى الذى بذلوه فى إعداد الكـشاف الملحـق بالكتاب، كى تكتمل الفائدة للقارئ العربى.

قدرى حفنى

القاهرة فى ١٦ مارس ٢٠٠٩

اعتراف بالفضل

لقد صدر "مرجع أكسفورد فى علم النفس السياسى"، تحت الإشراف الرسمى للجمعية الدولية لعلم النفس السياسى (ISPP). فى الاجتماع السنوى الذى عقد فى أمستردام عام ١٩٩٩، طرح رئيس الجمعية آنذاك دانييل بار- تال Daniel Bar – Tal فكرة مؤداها أن التطور السريع فى نظر مجال علم النفس السياسى، يقتضى معاودة النظر فيه. واقترح تحرير مجلد جديد تال للمجلدين السابقين الذين غطيا المجال تغطية شاملة: أولهما "مرجع فى علم النفس السياسى" Handbook of Political Psychology الذى حررته جين كنوتسون Jeanne Knutson (١٩٧٣)، والثانى "علم النفس السياسى" Political Psychology الذى حررته مارجريت هيرمان Margaret Hermann (١٩٨٦). وقمنا بعد ذلك بتطوير الاقتراح واختيار المؤلفين. وقد حالفنا الحظ فاستطعنا انتقاء قائمة من أفضل المتخصصين المعاصرين فى علم النفس السياسى. وخلال اجتماع الجمعية فى العام التالى فى سياتل Seattle عام ٢٠٠٠ قرر الرئيس الجديد للجمعية ومجلس إدارتها تبنى الاقتراح. ولقد كنا حيال تحد مثير: أن نجمع ذلك المجال الثرى المتنوع متعدد التخصصات مترامى الأطراف الذى يحمل اسم علم النفس السياسى فى مجلد واحد. ورغم ذلك فإننا نأسف لأننا لم نستطع تغطية بعض الموضوعات المهمة نظرا لقصور المساحة عن استيعابها. ونود أن نعبر عن شكرنا العميق لقادة وأعضاء الجمعية الدولية لعلم النفس السياسى، وخاصة دانييل بار - تال، وايرفين شتاوب Ervin Staub، وروبرت ا. لين Robert E. lane، وجورج ماركوس George E. Marcus، وستانلى رينشون Stanley Renshon، وشارلز تابر Charles S. Taber، ودافيد ونتر David Winter. كما أننا ندين بالفضل

لمحررتنا فى مطبعة جامعة أكسفورد، ديدى فلمان Dedi Felman وزملائها الذين ساعدوا فى إخراج الكتاب وخاصة جانيفر رابابورت Jennifer Rappaport وجيسيكا رايان Jessica Ryan. ونحتفظ بتقديرنا الخاص للمجهودات التى لم تعرف الكلل التى بذلتها مارلين هارت Marilyn Hart بمعهد بحوث العلوم الاجتماعية بجامعة كاليفورنيا بلوس انجلوس، التى استطاعت بمهارة بالغة أن تحافظ على هذا المشروع الطويل المركب منتظما فى مساره، وظلت طوال الوقت محتفظة بقدرتها المعتادة على تشجيع الجميع وإثارة حماسهم.

مقاربات نظرية

الفصل الأول

علوم النفس التي يعتمد عليها علم النفس السياسى[٣٧]

دافيد أو. سيرز، ميونى هادى وروبرت جيرفيس

يعتبر علم النفس السياسى، بشكل بالغ العمومية، تطبيقا لعلم النفس البشرى[٣٨] فى دراسة السياسة. حيث يستفيد علم النفس السياسى من منجزات علم النفس فى مجال النظريات النفسية، وبحوث الشخصية، والأمراض النفسية، وعلم النفس الاجتماعى، وعلم نفس النمو، وعلم النفس المعرفى، والعلاقات داخل الجماعات؛ كما يتناول علم النفس السياسى ظواهر سياسية مثل السير الذاتية، والقيادة، والسلوك السياسى الجماهيرى، وتأثيرات الإعلام الجماهيرى، والتنشئة السياسية والتربية المدنية، والصراع الدولى، واتخاذ القرارات فى مجال السياسة الدولية، وحل الصراعات، والصراعات القائمة على العرق والنوع الاجتماعى والقومية وغيرها، والتيارات السياسية، والحراك السياسى. وعلى الرغم من أن العديد من العاملين فى هذا المجال من متخصصى علم النفس والعلوم السياسية، فإن بين صفوفهم أيضا مؤرخين وعلماء اجتماع وعلماء أنثروبولوجيا وأطباء نفسيين، ومتخصصين فى مجال علوم الاتصال وأيضا علماء تربية ومحامين.

---

(٣٧) قامت بترجمة هذا الفصل مشيرة الجزيري

(٣٨) Human Psychology تعبير علم النفس البشرى ليس بالتعبير المألوف لدى القارئ غير المتخصص، فضلا عن أنه لا يستخدم كثيرا بين المتخصصين إلا فى مجال التفرقة بين فروع وتطبيقات علم النفس التى تتعلق بالإنسان فى مقابل كافة ما يتعلق بالسلوك الحيوانى، دون أن يعنى ذلك استبعاد العديد من قوانين علم النفس البشرى المعتمدة على إجراء تجارب على الحيوانات وخاصة فى مجالى التعلم والإدراك (المراجع)

ويرجع ظهور علم النفس السياسى كتخصص قائم بذاته إلى نهاية الستينيات. وعلى حد علمنا، فقد تم تدريس أول مقررات دراسية على مستوى الشهادة الجامعية الأولى والدراسات العليا تحت هذا المسمى فى السبعينيات (Funk and Sears, 1991). أما الآن، فإن تدريس علم النفس السياسى يجرى سواء على مستوى الشهادة الجامعية الأولى أم الدراسات العليا فى معظم الجامعات بالولايات المتحدة الأمريكية، وإن لم يحمل الاسم نفسه دائما، كما يتزايد تدريسه فى كليات التعليم الحر[٣٩] الأصغر حجمًا، وفى جامعات أخرى حول العالم. وقد أنشئت الجمعية الدولية لعلم النفس السياسى (ISSP)، وهى الجمعية الرئيسية لعلم النفس السياسى عام ١٩٧٨ تحت القيادة القوية لجين ناتسون Jeanne Knutson، ونجحت فى تطوير دورية علم النفس السياسى *Political Psychology*، التى ما زالت مستمرة فى الصدور منذ عام ١٩٨٠، وبطبيعة الحال فإن ثمة منافذ عديدة أخرى لنشر الأبحاث فى هذا المجال، كما تشير إلى ذلك المراجع الخاصة بكل فصل من فصول هذا الكتاب.

ويخضع تخصص علم النفس السياسى - كما هو الحال بالنسبة للتخصصات الأكاديمية الأخرى - لعملية دورية لتقييم وضعه ومدى تقدمه واتجاه ذلك التقدم. ففى تخصصات علم النفس بشكل خاص والعلوم السياسية أيضا، ثمة تقليد بإصدار كتب مرجعية[٤٠] من هذا النوع (انظر Greenstein and Polsby, 1975; Gilbert, Fiske and Lindsey, 1998). وهناك كتابان سابقان

---

(٣٩) يقصد بتعبير كليات التعليم الحر liberal arts colleges فى الولايات المتحدة الأمريكية تلك الكليات التى لا تتخذ مناهجها طابعا مهنيا ولا تتضمن دراسات عليا تتجاوز الدرجة الجامعية الأولى وتتركز مقرراتها فى مجال المعرفة العامة وتنمية القدرات العقلية. ووفقا لدائرة المعارف البريطانية فإن تعبير الحرة Libral الذى اتسمت به هذه الكليات يرجع تاريخيا للتمييز بين التعليم الذى يحتاجه السادة الأحرار فى مقابل التعليم المهنى والتقنى الذى يلزم العبيد والأقنان (المراجع)

(٤٠) كتب مرجعية Handbooks آثرنا هذه الترجمة للمصطلح التى رأيناها الأنسب للقارئ العربى، رغم أنها قد لا تلتزم بحرفية النص الذى قد يحمل معنى الموجز أو الدليل الإرشادى (المراجع)

عن علم النفس السياسى: "المرجع فى علم النفس السياسى" (Knutson, 1973) و"علم النفس السياسى" (Hermann, 1986). وقد شهد المجال نموا عظيما منذ ذلك الحين ونتيجة لذلك، اقترح دانيل بار- تال Daniel Bar-Tal وايرفين شتاوب Ervin Staub فى عام ١٩٩٩- باعتبارهما الرئيس والرئيس المنتخب لجمعية علم النفس السياسى- أن نتولى إعداد طبعة جديدة.

ويضم هذا الكتاب المرجعى، الذى أعدته مجموعة من علماء السياسة وعلماء النفس ممن يحظون بدرجة عالية من الاحترام، تلخيصا لما أسهم به علم النفس فى فهمنا للسلوك السياسى للنخبة السياسية ولعامة المواطنين على حد سواء. ويلقى المساهمون فى هذا الكتاب -مستندين إلى مجموعة متنوعة من نظريات علم النفس- الضوء على عدد من القضايا المركزية مثل تأثيرات الشخصية على نمط القيادة، ونشوء التحيزات التى تشوش على اتخاذ القرار السياسى، وجذور الاضطهاد العرقى، ومسببات الصراعات المجتمعية العنيفة. ويتمثل الهدف الذى نسعى إلى تحقيقه، فى إبراز المحتوى الرئيسى الراهن لعلم النفس السياسى. ولقد حرصنا على تقديم عمل شامل، ومعاصر، وعالمى، يهدف فى المقام الأول لاستعراض المعارف الراهنة استعراضا منظما يشمل كافة مجالات علم النفس السياسى، ويتسم كذلك بالمعاصرة من خلال إبراز أحدث التطورات الجارية فى المجال. ومن ناحية أخرى فإننا عندما دعونا الكتاب الآخرين للمساهمة، حرصنا على دعوة أكثر العلماء تميزا فى كافة مجالات علم النفس السياسى، ومن ناحية ثالثة، فقد انصب اهتمامنا على تقديم عمل يتسم بتداخل الحقول المعرفية تماما، وبالفعل فقد تم اختيار كتاب ينتمون إلى العلوم السياسية وعلم النفس بشكل متساو تقريبا. ومن ناحية رابعة فقد حرصنا على تقديم كتاب عالمى وليس مجرد إنتاج أمريكى، ولذا فقد ضم الكتاب عددا كبيرا من المؤلفين من بلدان أخرى من العالم. ويقدم كل فصل من فصول الكتاب رصدا للأبحاث المتطورة فى

مجالى علم النفس والعلوم السياسية، مما سوف يجعل منـــه مرجعـــا مهمـــا وضروريا للعلماء وللدارسين المهتمين بنقاط تلاقى هذين التخصصين. ومن شأن هذا الكتاب المرجعى أن يتيح في مجلد واحد فرصة لاستعراض ما هو معروف حتى الآن عن علم النفس السياسى فى أشكاله المتعددة.

مقاربات نفسية للسياسة:

سوف توضح الفصول التالية أنه لايوجد "علم نفس سياسى" واحد، بل عدد من الظواهر السياسية التى تم تحزيها من وجهة نظر نفسية وباســتخدام عدد من النظريات النفسية. وبهذا المعنى فإن ثمة عددا من "علــوم الــنفس السياسى" وإن كانت بعض النظريات بالطبع أكثر مواءمة لبعض الظواهر من غيرها. وقد يكون مفيدا فى هذا السياق أن نستعرض مقاربات علــم الــنفس النظرية الأكثر أهمية التى طبقت فى دراسة السياسة (انظر أيضا . Sullivan, Rahn and Rudolph, 2002).

الشخصية:

تستخدم إحدى المقاربات التى تعرف خطأ على أنها المقاربة النفـــسية، شخصية الفرد أو تلك الخصائص التى تميز طباعه، كمتغير أولى للتفــسير. وتعرف الشخصية عادة على أنها تلك الخواص الفردية الفارقة التـــى تظـــل ثابتة مع تغير المواقف المحيطة، فقد نصف – على سبيل المثال – زعيمـــا قوميا بأنه "شديد العدوانية" ونعنى بذلك أن لديه أو لديها الاستعداد فى معظم المواقف أكثر من بقية الناس أن يكون مبادرا، بأكثر من التزامه برد الفعـــل لما يصدر عن الآخرين، وأن يكون غاضبًا وعدائيًا بدلا من أن يكون لطيفًـــا ورقيقًا.

لقد كان لسيجموند فرويد Sigmund Freud أثر كبير على علماء النفس السياسي الأوائل، إذ إن تحليله النفسي لنوعيات معينة من الأفراد، كان مفيدًا في تحليل شخصيات زعماء سياسيين بعينهم. وقد كان هارولد لاسويل Harold Lasswell في كتابه "الباثولوجيا النفسية والسياسة" (١٩٣٠) Psychopathology and Politics رائدا في تحليل شخصيات الناشطين السياسيين فيما يتعلق بالصراعات اللاشعورية التي حفزت أنشطتهم السياسية. وقد شجعت هذه المقاربة على كتابة عدد من السير الذاتية النفسية للزعماء المشهورين مثل تحليل شخصية وودرو ويلسون الذي أعده جورج وجورج (١٩٦٥) وتحليل شخصية مارتن لوثر كنج على يد اريك اريكسون (١٩٥٨). وكان الامتداد الطبيعي لمثل ذلك الفحص للأفراد هو تصنيفهم إلى فئات وفق شخصياتهم مثل تصنيف باربر (١٩٧٢) الرباعي لرؤساء الدول: نشط Active أو خامد Passive وإيجابي Positive أو سلبي Negative. وقد امتد هذا التحليل المكثف للأفراد البارزين إلى تحليل الأفراد العاديين. فقد فحص سميث، وبرنر، ووايت (١٩٥٦) الوظائف النفسية التي تخدمها وجهات النظر السياسية للمواطنين العاديين، كذلك درس مين (١٩٦٢) القيم والإيديولوجيات التي يستخدمها المواطنون العاديون في تفكيرهم السياسي.

إن هذه المقاربة الوصفية الكيفية Idiographic لدراسة الشخصية والسياسة بالتركيز على أمزجة أو خصوصية أفراد معينين تتقابل مع المقاربة الكمية Nomothetic التي تعتمد على إحصاءات تشمل العديد من الأفراد في مواقع متباينة فيما تتعلق بتوافر بعد معين من أبعاد الشخصية. ولعل أشهر الأمثلة في هذا المجال هو كتاب "الشخصية السلطوية"[٤١] The Authoritarian

(٤١) قامت الجمعية الأمريكية اليهودية في مايو عام ١٩٤٤ بدعوة مجموعة من المتخصصين في العلوم الإنسانية بمختلف اتجاهاتها ومدارسها للقاء استمر يومين حول موضوع التعصب الديني والعنصري. وانبثق عن هذا اللقاء فريق للبحوث على رأسه أربعة من أشهر المتخصصين في الموضوع آنذاك هم سانفورد وأدورنو وبرونشفيك وليفنسون. وقد صدرت عن هذا الفريق مجموعة من البحوث المنشورة التي حملت عنوان دراسات في التعصب –أشهرها هذا الكتاب– والتي كانت رغم عمومية عنوانها تكاد تقصر بحوثها على معاداة السامية، بل بالتحديد على المشاعر المعادية لليهود فحسب (المراجع)

Personality (Adorno, Frenkel-Brunswick, Levinson and Sanford, 1950). وهو جهد بالغ الطموح والتأثير إذ يستهدف - من خلال استخدام استبيان واحد - التمييز بين الشعوب السلطوية غير الديموقراطية وتلك الأميل إلى المساواة والديموقراطية. وعلى سبيل المثال، فمن الأرجح أن تحظى عبارة مثل "إن أى زعيم جيد لابد وأن يكون حاسما مع رعاياه حتى يحظى باحترامهم" بنسبة أكبر من موافقة الحاصلين على درجات عالية فى السلطوية مقارنة بالحاصلين على درجات أقل.

لقد هيمنت مقاربة الشخصية على علم النفس السياسى فى الأربعينيات والخمسينيات (Sullivan et. al 2002). ويقدم جرينشتاين (1987) تحليلاً شاملاً عن متى وكيف تصبح تحليلات الشخصية أكثر نفعا فى علم النفس السياسى (انظر أيضا Runyan 1984). وعلى الرغم من أن مقاربة الشخصية قد تضاءلت من حيث الأهمية اليوم، فإنها لا تزال تؤثر فى بحوث السلوك الجماهيرى والسياسى كما يظهر فى عرض جون داكيتJohn Duckitt لتفسير التعصب Prejudice وتحليل دافيد وينتر David Winter للفروق الفردية بين أفراد النخبة وتأثيرها فى السلوك واتخاذ القرار.

نظريات التعلم السلوكية:

خرجت مقاربة عامة أخرى من عباءة النظريات السلوكية التى راجت فى أواسط منتصف القرن العشرين. وتؤكد إحدى صور النظريات السلوكية على تعلم العادات الدائمة، التى توجه بدورها السلوك اللاحق، وقد انبثقت تلك النظريات من دراسات التشريط[٤٢] الكلاسيكى Classical Conditioning

---

(٤٢) لقد شاع تعبير تشريط كترجمة لمصطلح Conditioning باعتبار أن الاستجابة المتعلمة لمنبه جديد تكون مشروطة بارتباط ذلك المنبه الجديد بالمنبه الأصلى الطبيعى، رغم أن المعنى الدقيق فيما نرى ينصرف إلى تكييف الاستجابة فى ضوء واقع مستحدث كما هو الحال مثلا فى تعبير أجهزة تكييف الهواء، ورغم ذلك فقد التزمنا بالترجمة الشائعة للمصطلح (المراجع)

لبافلوف Pavlov[٤٣] الذى توصل إلى أنه يمكن تعديل سلوك الكلاب بجعلها تفرز لعابا عند سماع صوت جرس، إذا ما تكرر تقديم الطعام بعد سماع هذا الصوت، وانبثقت تلك النظريات كذلك من دراسات واطسون Watson وسكينر Skinner عن التشريط الأدائى instrumental conditioning، والتى توصلا من خلالها إلى أن الحيوانات تستطيع تطوير عادات معقدة إذا كان ذلك مفيدا فى إشباع حاجاتها الأساسية مثل الجوع أو العطش، وانبثقت تلك النظريات بالإضافة إلى ذلك من التعلم بالتقليد Imitative Learning الذى درسه باندورا Bandura الذى توصل إلى أن الأطفال ينخرطون فى سلوك التقليد دون أن يؤدى ذلك إلى أى إشباع لحاجاتهم. وقد هيمنت مثل هذه النظريات على تحليل المواقف السياسية الجماهيرية. ولقد انبثق مجال التنشئة السياسية كذلك - كما وصفه سيرز وليفى Sears &Levy- من الافتراض القائل بأن الأطفال يتعلمون المواقف السياسية الأساسية (مثل تعريف الأحزاب أو التعصب العنصرى) من أسرهم وأصدقائهم، وأن بقايا هذه المواقف الأولية تظل مهيمنة على اتجاهاتهم فى مرحلة النضوج فى وقت لاحق من حياتهم، مثل تفضيلاتهم الخاصة بالانتخابات الرئاسية. كما تم كذلك تحليل آثار وسائل الاتصال الجماهيرية فيما يتعلق "بتعزيزها" لما سبق التعرض له من اتصالات مشابهة (Klapper, 1960; Zaller, 1992، انظر Kinder الفصل الحادى عشر).

---

(٤٣) ايفان بتروفيتش بافلوف (١٨٤٩-١٩٣٦) عالم روسى مخضرم شهد العصر الإمبراطورى ثم عصر الثورة البلشفية، ورغم حصوله على جائزة نوبل فى الفسيولوجيا عن بحوثه فى فسيولوجيا الجهاز الهضمى لدى الكلاب، فقد ذاعت شهرته فى تاريخ علم النفس باعتباره مؤسس علم النفس السلوكى من خلال اكتشافه قوانين التعلم الشرطى التى تقوم على إمكانية أن يتعلم الفرد الاستجابة بشكل معين لمنبهات كانت "محايدة" أى لم تكن تثير لديه مثل تلك الاستجابات، وقد اتسع نطاق تطبيقات تلك النظرية السلوكية ليشمل إلى جانب مجال التعلم مجالات العلاج النفسى والحرب النفسية وأيضا علم النفس السياسى. ورغم أن بافلوف لم يكن من مؤيدى الثورة البلشفية فإنه لم يتعرض للمضايقات ولعل مكانته العلمية هى التى حالت دون ذلك. (المراجع)

نظرية النمو:

كانت نظرية النمو المعرفى Cognitive Development للطفل التى قدمها فى الأصل بياجيه Piaget ثم قام كولبرج Kohlberg وآخرون بتوضيحها وإلقاء المزيد من الضوء عليها إحدى النظريات المهمة فى مواجهة تأكيد السلوكيين على التعلم الاجتماعى. وترى النظرية أنه كلما كبر الأطفال، مروا بمراحل معرفية متباينة فى فهمهم للعالم الاجتماعى، إذ يبدأون أولاً فى فهم الآثار الإيجابية أو السلبية للأفعال، ثم يركزون بشكل أكبر على الآراء المختلفة بشأن السلطة، وأخيرا، تتطور لديهم القدرة على فهم ما يتعلق بالقيم الأخلاقية النسبية والمطلقة.(Tapp and Kohlberg. 1971). وقد أشار البعض إلى أن التقدم بالمرور على تلك المراحل، عادة ما لا يكتمل حينما يصل الناس إلى مرحلة النضج، مما يؤدى إلى إمكانية تواجد الفروق الفردية بين البالغين بالنسبة لمستوى التطور المعرفى أو الأخلاقى (Rosenberg 1998). وقد كانت بداية الاعتماد على هذه المقاربة فى مجال التنشئة السياسية فى مرحلة ما قبل النضج. ويناقش سيرز وليفى Sears and Levy المقاربات النظرية المختلفة لاكتساب المواقف والاتجاهات بين الأطفال فى ضوء تعريف رحب للتنشئة السياسية.

نظريات الحافز:

تتمثل الفكرة السلوكية العامة الثانية فى أن السلوك تحكمه بنية الحوافز Incentives التى تحيط بالموقف الراهن للفرد، فالفأر الذى يجد نفسه، على سبيل المثال، فى مصيدة، يتجه إلى السبيل الذى يحمل أكبر قدر من المكافأة وأقل قدر من العقاب، ويتجنب غير ذلك من السبل التى تقل فيها المكافأة ويزداد العقاب. وقد أكدت مشتقات من تلك النظريات فى مرحلة تالية، على

الحوافز الإيجابية والسلبية التى تدفع الناس نحو اتباع سلوك معين أو إثنائهم عنه. وقد قام كيرت ليفينKurt Lewin بتطوير شكل مختلف من تلك النظريات أطلق عليه "نظرية المجال"field theory ، حيث يكون الأفراد دائما فى مجال تتجاذبهم فيه القوى الداخلية والخارجية إلى اتباع سلوك معين أو تحاشيه.

ولقد أثرت تلك النظريات أيضا ولفترة طويلة فى دراسة السلوك السياسى الجماهيرى، إذ تم تحليل السلوك الانتخابى الجماهيرى فيما يتعلق "بالضغوط" على الناخب لدفعه للتصويت فى اتجاه معين كتلك الضغوط المرتبطة بالتفضيلات السياسية السائدة بين الجماعات الديموجرافية التى ينتمى الناخب إليها (Lazarsfeld, Berelson and Gaudet. 1948) أو "القوى قصيرة المدى" كالجاذبية الشخصية للمرشح، أو التفضيلات المتعلقة بالشئون الخارجية ,Campbell, Converse Miller and Stokes, 1960)، انظر أيضا الفصل ١٢). وتمثل القيم الأساسية كذلك حوافز من شأنها تدعيم اتباع أفعال سياسية معينة أو مقاومتها (انظر الفصل ١٤). وكثيرًا ما يتم تحليل الفعل أو العنف الجماعى فى ضوء الحوافز الإيجابية والسلبية المرتبطة به (انظر الفصل ٢٠).

وتعد التقييمات الذاتية للحوافز بالغة الأهمية بمثابة إضافة إلى الموضوع، فعلى سبيل المثال تتنبأ نظرية "القيمة المتوقعة" expectancy value بأن اختيارات الفرد سوف تميل تجاه البدائل التى تحمل أكبر قدر من القيمة الإشباعية المحتملة، وتضاعفها توقعات الشخص الذاتية عن احتمالات أن تكون تلك القيمة ناتجة عن ذلك الاختيار (انظر الفصل ٢, Edwards, 1954). ويتجلى التشابه بين مثل هذه النظريات ونظرية الاختيار الرشيد التى تعتبر نظرية مركزية فى الاقتصاد الكلاسيكى الحديث، والذى يكتسب المزيد من الشعبية فى العلوم السياسية. ونسعى فى الجزء التالى إلى مناقشة هذه الصلة بشكل أكثر تفصيلاً.

التعرف الاجتماعى Social Cognition:

بدأت حركة الجشتالت[٤٤] Gestalt التى هاجرت من ألمانيا إلى الولايات المتحدة الأمريكية قبل الحرب العالمية الثانية بافتراض أن الناس لديهم حاجة للفهم ولتكوين نظام إدراكى، ومن ثم فإنهم يطورون تلقائيا معارفهم وإدراكاتهم التى تساعدهم على تبسيط العالم الإدراكى الذى تسوده الفوضى (Asch, 1952; Krech and Crutchfield, 1948). وقد قام Heider (١٩٥٨) وفستنجر Festinger (١٩٥٧) وآخرون بتطبيق ذلك على دراسة الاتجاهات، بافتراض أن الناس مدفوعون للسعى نحو الاتساق المعرفى (Abelson, Aronson, MaGuire, Newcomb, Rosenberg and Tannenbaum, 1968) وقد أعقب ذلك تحليلات عديدة لظواهر السلوك الانتخابى، ووسائل الاتصال الجماهيرى، اعتمادا على ميول الأفراد لتبنى تفضيلات انتخابية وسياسية تتسق مع اتجاهاتهم القوية الأخرى (مثلاً: Sears, 1969; Sears and Whitney, 1973)

وقد تم فى مرحلة لاحقة إدراج مقاربة الاتساق المعرفى فى مجال "التعرف الاجتماعى" الذى يقوم على تحليل الأفراد باعتباهم يسعون لتطوير آراء مبسطة عن العالم الخارجى، وأنهم قادرون على تلقى معلومات جديدة بسهولة، ولكنهم فى حاجة أيضا إلى الاختزال فى المعالجة المعرفية بسبب محدودية قدراتهم على تلك المعالجة. (Fiske and Taylor, 1991). كما تأثر مجال التعرف الاجتماعى بالثورة المعرفية الأكثر عمومية فى مجال علم

---

(٤٤) تعنى جشتالت بالألمانية "الشكل" ولكن معناها عصى على الترجمة للعربية، وقد نشأت مدرسة الجشتلت فى علم النفس كرد فعل رافض لمنطلقات علم النفس البنيانى الذى يقوم على مفهوم "البنية" Structure وكانت أهم إنجازاتها فى مجالى الإدراك والتعلم تقوم على أن الفرد يدرك الموقف ويستجيب له باعتباره "كل" وليس مجموع أجزاء، ولذلك يطلق عليها البعض "سيكلوجية الكل". وقد فضلنا إبقاء المصطلح بصورته الأجنبية الأكثر شيوعا. (المراجع)

النفس والتى ظهرت فى الثمانينيات، والمستندة إلى تطبيق نموذج الحاسب الآلى على هيكل وعمليات النظام المعرفى،

مما أدى إلى سلسلة من الاستبصارات الأساسية فيما يتعلق بأوجه القوة والقصور فى المعالجة البشرية للمعلومات التى كانت تطبق فى مجال التحليل السياسى.

لقد ساعدت الحاجة إلى الاقتصاد المعرفى على شرح النزعة تجاه الاتساق المعرفى، كما وجهت الانتباه إلى الموجزات أو المختصرات المعرفية(٤٥) التى يمكن أن تشوه عملية صنع القرار بين النخب (Jervis, 1976 كما يمكن كذلك أن تشوه التفضيلات العامة للجماهير، (Larson, 1985 ويعرض ليفى Levy (الفصل الثانى) أثر المقاربة النفسية على صنع القرار فى السياسة الخارجية ويستكشف تلك التحيزات بدرجة أكبر من التفصيل مميزا بين التحيزات "الباردة" القائمة على الموجزات المعرفية، وتلك القائمة على الدوافع "الساخنة" مثل الاتساق المعرفى والتفكير القائم على التمنى. ويستعرض لاو Lau (الفصل الثانى) البحوث المتعلقة بنظرية القرار السلوكى مفاضلاً بين النماذج المعيارية والتوصيفات السلوكية فيما يتعلق بكيفية اتخاذ العامة لقراراتهم السياسية وخاصة تلك المتعلقة بالانتخاب. وفى هذا السياق أيضا، تؤدى ما تفرضه الحدود الإدراكية على العقلانية إلى استراتيجيات متنوعة لحل المشاكل تتضمن الطرق المختصرة. وبالمثل، يقوم تابر Taber (فى الفصل الثالث عشر) بتطوير نموذج لمعالجة المعلومات فيما يتعلق بصنع قرار الناخب.

---

(٤٥) تعنى الموجزات المعرفية Cognitive Heuristics استكشاف الحلول السريعة المختصرة لمشكلة جديدة مركبة، اعتمادا على الحدس أو الانطباع أو المعلومات الشائعة، ورغم ما توفره تلك الموجزات من اقتصاد فى الوقت والجهد؛ فإنها تتأثر بالعديد من التحيزات المعرفية. ولعلها تشبه فى هذا الصدد الاعتماد على الأنماط الإدراكية الجامدة Stereotypes التى تقوم على اختزال الإدراك فى التعامل مع الآخرين، أو الاعتماد على المحاولة والخطأ فى حل المشكلات. (المراجع)

ويسمح التركيز على الطرق المختصرة الإدراكية باستغلال النخب لمصالح الجماهير، إذ تقوم النخب بتحديد كيفية طرح القضايا، وترتيب الأولويات، وذلك من خلال ممارسة سلطتهم فى وضع جدول الأعمال Iyen-gar and Kinder, 1987 1987 – انظر الفصل ١٧) ولكن كما أشارت ماكجرو McGrow فى الفصل الثانى عشر فى مناقشتها للعملية الديناميـة لتكوين الانطباع، حينما يتصل الناخبون بالمرشحين السياسيين من خلال الشبكة الإلكترونية، وكيف أنهم كثيرا ما ينسون التفاصيل ولكنهم يصلون إلى القرار "الصحيح" عن المرشح الذى يتفق وتفضيلاتهم. وفى هذه الحالة، فإن الحاجة إلى الاقتصاد الإدراكى لا تؤدى إلى انحياز عملية صنع القرار السياسى. ويستنتج Taber فى الفصل الثالث عشر وLau فى الفصل الثانى أن استخدام الطرق المختصرة المعرفية قد لا يؤدى إلى تحيز قرار الناخب العادى كما كنا نخشى فى وقت من الأوقات (انظر أيضا Lau and Redlawsk, 1997).

وقد أثيرت بعض الشكوك مؤخرا إلى حد ما حول التأكيد المعرفى المركزى للتعرف الاجتماعى، ومن ثم بدأت المشاعر والعواطف تلعب دورا أكبر، كما قام جورج ماركوس George Marcus بوصفها فى الفصل السادس.

العلاقات داخل الجماعات

تعتبر العلاقات داخل الجماعات مجالاً نشطا بشكل خاص داخل علم النفس السياسى فى الوقت الراهن وتعكس فصول هذا الكتاب تلك المقولة؛ فبالإضافة إلى مناقشات هادى Huddy بالفصل الخامس عشر و Duckitt بالفصل السادس عشر والتى تتناول مباشرة الأبحاث المتعلقة بالجماعات، يتضمن الفصل الثالث الذى كتبه Sears وLevy جزءا عن تطور الهوية العرقية خلال مرحلة الطفولة؛ كما يناقش بيليج Billig فى الفصل السابع استخدام ضمائر الجماعة فى دراسته للبلاغة السياسية، وتستعرض McGraw

أثر العرق Race على تقييم المرشح فى سياق مناقشتها عن الانطباعات السياسية؛ ويعرض Klandermans فى الفصل التاسع عشر مناقشة عن دور التوحد مع الجماعة Group Identification فى تكثيف الالتزام تجاه الحركات الاجتماعية.

ولا يجسد مجال العلاقات داخل الجماعات مقاربة نظرية واحدة، ولكنه يستند إلى نظريات نفسية عديدة. فقد ركزت البحوث الأولى عن العلاقات داخل الجماعات التى أجريت فى الخمسينيات والستينيات بشكل أولى على العداء الموجه إلى خارج الجماعة خاصة تجاه اليهود والزنوج (Allport, 1954)، كما ركزت البحوث الخاصة بالشخصية السلطوية على أهمية عوامل الشخصية على تطور التحيز العرقى والمعاداة للسامية (Adorno et al. 1950) وقد سيطرت على البحوث فى مجال التحيز العرقى مؤخرا النظريات التى تؤكد على دور التعلم الاجتماعى فى اكتساب المواقف العرقية السالبة، والصور النمطية والمعتقدات السلطوية Altemeyer 1988, Ashmore and Del (Boca 1981, Sears 1988).

إلا أن النظريات فى مجال العلاقات داخل الجماعات أصبحت تؤكد بشكل متزايد على القدرة النفسية المميزة لحدود وارتباطات الجماعة. فعلى سبيل المثال، يولى البحث المعاصر أهمية متزايدة للولاءات داخل الجماعة مركزا بشكل أقل على الفروق الفردية وبشكل أكبر على العوامل المتعلقة بالجماعة والتى تسهم فى تطوير الارتباطات داخلها والتنافر والبغض خارجها. وقد سلطت ليونى هادى Leonie Huddy الضوء فى الفصل الخامس عشر على التمييز المهم بين المقاربتين الأساسيتين المتعلقتين بالجماعة: نظرية الهوية الاجتماعية Social Identity التى تركز على التقدير الاجتماعى والاحترام المتبادل داخل الجماعة كدوافع لتطور الهوية وزيادة أفضلية الجماعة بالنسبة لأعضائها (Tajfel 1981, Tajfel and Turner 1986) ونظريات

المصالح الواقعية التى تركز على اقتسام المصالح المادية والصراع حول المصادر الحيوية كمنابع للترابط داخل الجماعة، وتوجيه العداء إلى خارجها (Blummer, 1958, Bobo, 1983, LeVine and Campbell 1972; Sidanius and Pratto, 1999).

وتستنتج ليونى هادى أن الأثر السياسى للهويات القوية للجماعة تكون عادة أكثر ارتباطا بالمصالح الرمزية عن المصالح الواقعية. ويحاول Duckitt أن يوفق بين مستويات الجماعة والأفراد الخاصة بالنظريات التى تتناول نمو التحيز، فيقوم بتطوير نموذج مختلط حيث تؤدى اللامساواة داخل الجماعة إلى الرغبة فى الهيمنة على الجماعات الأخرى (بالاتساق مع نظرية الهيمنة الاجتماعية Social Dominance Theory)، بينما يؤدى التهديد من داخل الجماعة إلى كراهية علنية صريحة من بعض الأفراد تجاه أعضاء الجماعة الذين يمثلون تهديدا (وهى شبيهة بالنتائج الخاصة بالسلطوية)

التطورات الجديدة:

بدأ الآن علم النفس التطورى Evolutionary Psychology[٤٦] وعلم الأعصاب Neurosience فى التأثير فى البحوث المتعلقة بالعديد من المشكلات الخاصة بعلم النفس السياسى. ويستعرض Sidaniun و Kurzban علم النفس التطورى بالتفصيل فى سياق مناقشتهما لأصول التمركز حول العرق ethnocentrism والخلافات الخاصة بالنوع الاجتماعى فى السلوك السياسى وتطور التراتبية القائم على أساس الجماعات. وتتعلق التطورات الخاصة بعلم

---

(٤٦) يستند علماء النفس التطورى على مفاهيم الانتخاب الطبيعى التى قامت عليها الداروينية فى نظرتهم للعديد من أنماط السلوك البشرى باعتبارها تكيفات مع مواقف تكرر مواجهة البشر الأوائل لها فقد واجه هؤلاء الأسلاف مثلا ضرورة التواصل مع بعضهم البعض ومع تكرار إلحاح هذه الحاجة انبثقت لديهم قدرات عقلية خاصة تؤهلهم لاكتساب اللغة وتوارثوا تلك القدرات عبر مراحل التطور وهو ما لم يحدث بالنسبة للقراءة والكتابة (المراجع)

النفس التطورى بشكل وثيق بالتطورات الأخيرة فى علم نفس الأعصاب Neuropsychology فيصف Kurzban و Sidanius فى الفصل الخامس على سبيل المثال المخ البشرى بأنه نظام "دوائر متخصصة وظيفيا" مصمم من خلال عملية التطور للقيام بمهام مميزة. ولقد شكلت تلك الرؤية النابغة من علم نفس الأعصاب الأساس الذى تستند إليه مقاربة جورج ماركوس George Marcus للانفعالات، حيث يطرح رؤية مهمة فى مجال علم النفس السياسى، تفند الرأى التقليدى القائل بأن الانفعالات تتعارض مع عملية اتخاذ القرار بشكل عقلانى، فقد خلص إلى تباين تأثير العديد من الاستجابات الانفعالية كالحماس Enthusiasm والقلق Anxiety والنفور Aversion، فالقلق -على سبيل المثال- يحفز البحث عن معلومات جديدة وعلى النقيض من ذلك، يؤدى الحماس أو النفور إلى الميل للركون إلى ما هو قائم وعدم اتخاذ مبادرات للبحث عن معلومات جديدة.

ويعتمد بيللنج Billig على المقاربة الأكثر شيوعا فى العلوم الاجتماعية الكيفية، أى تحليل الخطاب Discourse analysis[٤٧]، لإعادة وضع متغيرات نفسية مركزية مثل الهوية فى إطار مفهومى جديد، باعتبارها نتاجا لحوار يكمن داخل سياق معين، وهو ما يؤدى إلى الرأى القائل بأن المواقف والاتجاهات السياسية لا بد من دراستها فى سياق مثير للنقاش والجدل.

وقد اعتنى علماء النفس السياسى بشكل متزايد بالدور النظرى والامبريقى المعقد للنوع الاجتماعى، وتقدم شابيرو Sapiro فى الفصل السابع عشر عرضا لهذه البحوث معتمدا على شريحة عريضة من المصادر فى علم

---

(٤٧) نشأ مصطلح تحليل الخطاب مع ظهور مقال (هاريس)الذى نشر عام ١٩٥٢ حيث أشار إلى تمدد الإجراءات التوزيعية لبعض وحدات الجملة، وقد بدأت ملامح الاهتمام بتحليل الخطاب تتضح مع بداية الستينيات، واتجه علماء اللسانيات النفسية Psycholiguistics المهتمون بتحليل الخطاب إلى قضايا تتصل باللغة والإدراك اعتمادا على منهجيات علم النفس التجريبى التى مكنتهم من معالجة مشكلات الإدراك من خلال نصوص قصيرة أو سلسلة من الجمل المكتوبة (المراجع)

السياسة وعلم النفس، وتنتهى إلى معارضة فكرة أن للنوع الاجتماعى آثارًا واضحة ومتسقة وترى على العكس أن آثاره السياسية متغيرة ومشروطة. ففى بعض الظروف تختلف ردود أفعال النساء والرجال بالنسبة للأحداث السياسية كما أن الموضوعات السياسية القائمة على أساس النوع الاجتماعى (كالسياسيين والسياسيات)، يمكن أن تستثير ردود أفعال واضحة قائمة على أساس الصور النمطية للنوع الاجتماعى.

وثمة اتجاه مهم آخر يهتم بفحص التفاعل بين النخب السياسية والعامة. لقد أصبح مفهوم الأطر Frames من المفاهيم التى تزداد أهمية فى سياق دراسة سياسة الجماهير. ويناقش كل من Kinder فى الفصل الحادى عشر وKlandermans فى الفصل التاسع عشر استخدامات الأطر من قبل النخب السياسة وزعماء الحركات الاجتماعية لتشكيل الرأى العام حول قضية ما أو مشكلة أساسية. وتستعرض McGraw محاولات السياسيين ونجاحهم فى تطوير صورتهم أمام الرأى العام إلا أن تلك المقاربة تعتبر حديثة نسبيا بالنسبة لدراسة السلوك السياسى وهى فى حاجة إلى المزيد من التطوير.

ويعد التأكيد النسبى على ثبات السلوك والاتجاهات فى مقابل قابليتها للتغير من الموضوعات المثيرة للجدل فى علم النفس السياسى، وثمة بحوث بدأت تجرى فى عدة مجالات لتناول هذا التباين، وتهتم تلك البحوث -على سبيل المثال- بدراسة كيف أن منبها خارجيا قد يدفع إلى تفعيل فكرة سبق اكتسابها عن السلطوية (Duckitt)، أو أن يعزز تعلقا عاطفيا بالجماعة سبق تكوينه من قبل (Huddy)، ويطرح هذا التفاعل بين الناس والمواقف رؤية نفسية أكثر إحكاما عن العملية السياسية تأخذ فى اعتبارها ذلك التنوع فى الاتجاهات السياسية والسلوك عبر المواقف المختلفة، كما يقدم إطارا قد يكون مفيدًا لمزيد من البحث فى المستقبل.

النظريات البديلة

ثمة سؤال مثير يتردد كثيرا: ترى هل ثمة بديل للنظريات النفسية فى مجال السياسة؟ غنى عن البيان أنه لم يتم حتى الآن الاتفاق على نظرية واحدة فى علم النفس البشرى، وحتى هذه اللحظة، لم نتمكن من الإجابة على أسئلة من نوع: هل سيمكننا فى المستقبل تطوير مثل هذه النظرية؟، وهل يمكن تخطى العوائق التى تحول دون ذلك من خلال إجراء المزيد من الأبحاث؟، أم أن الأمر متأصل فى تلك الطبيعة المعقدة والمتغيرة للسلوك البشرى؟. ورغم ذلك يبقى السؤال الأساسى عما إذا كان بإمكاننا التوصل إلى نظرية معقولة ومقنعة دون أن تكون ذات طابع نفسى خالص.

قد يبدو للوهلة الأولى أنه لا محل لأى من علوم النفس فى النظريات المهمة والمهيمنة فى العلوم السياسية، وقد يبدو ذلك صحيحا فيما يتعلق بالنظريات التى يمكن أن تسمى بالنظريات المادية، إذ إنها ترى أن الناس إنما تسعى إلى تحقيق مصالحها المادية الذاتية (والشكل الأكثر وضوحا فى هذا الصدد هو الحصول على الثروة)، باستخدام الوسائل الأفضل تصميمًا لتحقيق تلك الأهداف بأقل تكلفة. وأكثر أنواع تلك النظريات وضوحا، نظرية الاختيار الرشيد rational choice ونظرية المبارياتgame theory .

ولا يكمن السؤال فيما إذا كانت مثل تلك النظريات صحيحة أم لا، بل إنه سؤال مفاهيمى يتعلق بما إذا كان يمكن اعتبارها نظريات غير نفسية. ونحن نعتقد أنه لا يمكن اعتبارها كذلك. فعلى الرغم من أنها تجسد نوعا مختلفا وأكثر بساطة من علم النفس عن ذلك الذى تصوره الأدبيات التى تم استعراضها فى هذا الكتاب، فإنها لا تزال تستند إلى فرضيات، عادة ما تكون ضمنية عن كيف يفكر الناس وكيف يشعرون. إن المصالح تتبع تقديرات البشر، وبينما قد يكون بعض ما يقدرونه ماديا، إلا أن قليلاً من تلك المصالح

فحسب يمكن فهمه دون نوع ما من علم النفس. وفيما يتطلب البقاء الإنسانى على قيد الحياة حدا أدنى من الطعام والحماية، فإنه لا يمكن حصر أغلب أنواع السلوك البشرى فى تلك الحدود، إذ إن الأفراد يسعون عادة إلى تحقيق أكثر من ذلك، فمعظم النظريات المادية تتعامل مع قيم وأهداف وتفضيلات الناس كبديهيات مسلم بها، وليس ذلك بالأمر المستغرب، إذ لا يمكن لنظرية واحدة أن تحيط بكل شئ، ولكن ذلك لا ينبغى أن ينسينا أن تفسير تلك الأشياء يعد جزءا مركزيا من العلوم الاجتماعية. وبالإضافة إلى ذلك، فمن المؤكد أن علم النفس يضم قدرًا كبيرا من المكونات الاجتماعية، فالقيم والتفضيلات تنبثق -جزئيا- من كيفية التنشئة الاجتماعية للأفراد وتتشكل من خلال التقليد والاستجابات وردود الأفعال حيال ما يثمنه ويسعى إليه الآخرون.

وبالطبع لا تؤدى التفضيلات بشكل آلى إلى تبنى السلوك. ولنعرف كيف يتصرف الناس لتحقيق أهدافهم، لا بد من أن نتعرف أولاً على معتقداتهم الخاصة بالوسائل والأهداف. فعلى سبيل المثال، لا يمكن تفسير سلوك زعيم قومى لمجرد معرفة أنه يرغب فى تحقيق السلام، بل لا بد من معرفة رؤيته لكيفية تحقيق ذلك. كذلك فإن الوقوف عند حدود القول بأن الدافع الأساسى للسياسيين يتمثل فى فكرة البقاء فى السلطة كما تفترض نظريات الاختيار الرشيد، لا يتيح لنا معرفة رؤيتهم لما يعتقدون أنهم فى حاجة إليه لتحقيق هذا الهدف. إن الاستراتيجيات والخطوط والسياسات نادرًا ما تكون واضحة وهو ما تؤكده حقيقة أنها كثيرًا ما تكون محلاً للجدل، كما أن الاستراتيجيات التى يتم تبنيها كثيرًا ما يتضح خطؤها. إن الناخبين وصانعى القرار من النخب الذين يسعون لتحقيق نتائج معينة، لا بد أن يصلوا إلى قرار بشأن السياسات الأكثر ترجيحا لتحقيق الهدف المنشود. وأما

المجادلات حول مدى عقلانية تلك السياسات، فهى تنبش السطح فحسب - فى أفضل الحالات - وقد تكون مضللة فى أسوئها إذ إنه لـيس هنـاك وسـيلة عقلانية واحدة لتناول تلك المهام.

ويصبح دور علم النفس أكثر وضوحا - بالرغم مـن إغفالـه- فـى سياقات مثل السياسة الدولية، حيث نتنـاول عـددًا محـدودًا مـن الأفـراد المنخرطين فى تفاعل استراتيجى، مما يعنى أن النتيجة لا تعتمد فحسب على ما يفعله كل فرد مستقلاً عن الآخرين، بل على تفاعل سلوك الجميع، حيـث يسلك كل طرف متوقعا سلوك الطرف الآخر مع العلم بأن الطـرف الآخـر يقوم بفعل مشابه، وهذا هو جوهر نظرية المباريات التى لا يمكن مطلقـا أن تكون متناقضة مع علم النفس، بل إنها - كما يفهمها ممارسـوها - مـشبعة تماما بعلم النفس .(Kreps, 1990; O'Neil, 1999 Schelling, 1960) إذ لابد لكـل طرف أن يطور توقعاته عما سيفعله الطرف الآخر، وليس من سبيل لفـصل تلك العمليات وتقسيمها إلى أجزاء استراتيجية وأخرى نفسية، ناهيـك عـن وضع نظرية استراتيجية فى مواجهة أخرى نفسية. الأرجح هو أن يرتبط علم النفس والاستراتيجية ببعضهما.

وبشكل عام، تسعى مقاربات نظرية الاختيار الرشيد Rational Choice أو النظرية الإيجابية Positive Theory أو "النظرية الـشكلية" Formal Theory إلى نمذجة السلوك البشرى بشكل حسابى بافتراض السلوك "العقلانى" القـائم على الوصول بالمصالح الشخصية المادية إلى الحد الأقصى. لقد ألهم ذلـك بدوره الجهود التى تسعى إلى تحديد العوامل النفسية التى تدعو الأفراد إلـى تبنى سلوك لا يتسق مع الاختيار الرشيد، بصرف النظر عما إذا كان يتعلـق باتخاذ قرار فردى (انظر Lau وLevy بشكل خاص) أو بالتفاعل مع آخـرين (انظر Kelman وFisher الفصل العاشر).

التخصصات الأخرى:

ليس هدفنا أن نشير إلى أن مجال علم النفس السياسى إنما يقترض أفكاره من علم النفس، إذ إن ماكجرو وكروزنيك (2002; Krosnick 2002) يؤكدان أن علماء النفس السياسى لديهم ما يساهمون به لتطوير النظريات النفسية من خلال تنقيحها، بحيث تصبح تنبؤاتها قابلة للتعميم إلى ما يتجاوز حدود معامل التجارب، ويبدو هذا الاحتمال واضحًا على مدى فصول هذا الدليل.

بالإضافة إلى ذلك، فقد قدمت تخصصات أخرى مساهمات مهمة فى مجال علم النفس السياسى، فكما أشار الجزء السابق, قدم علم الاقتصاد مساهمات مهمة من خلال تقديم بديل مهم للمقاربات النفسية كما ساهم علم الاجتماع بنماذج للسلوك الجماعى (انظر Klandermans فى الفصل التاسع عشر وStaub وBar-Tal فى الفصل العشرين)، وتحليل الأبنية الاجتماعية لكل من السلوك المؤسسى (انظر Ichilov الفصل الثامن عشر) والفردى، خاصة فى مجال العلاقات بين الجماعات (انظر Huddy الفصل الخامس عشر وSidanius and Kurzban فى الفصل الخامس وDuckitt فى الفصل السادس عشر). وقد قدم مجال الإعلام تحليلات للبلاغة وللخطاب يمكن استخدامها فى شرح خطاب النخب (انظر Billig , الفصل السابع). وقدم تخصص التاريخ قدرًا كبيرًا من المادة الثرية لعالم النفس السياسى، إما فى شكل دراسات ديناميية نفسية Psychodynamics (George and George 1956) أو معرفية (Jervis 1976; Larson 1985) عن الأفراد أو سلوك الجماعات الصغيرة ((Janis, 1982أو الكبيرة (Volkan 1988).

ولعل واحدا من أهم ملامح علم النفس السياسى التى تسترعى الانتباه هو أن تحديده لمحتواه النظرى الامبيريقى قد نبع من بحثه عن تفسيرات

للأحداث التى تجرى فى الواقع السياسى، وليس الوقوف عند مجرد إثارة واختبار نظريات أكاديمية مجردة. لقد حفزت الانتخابات الأمريكية التى تجرى بشكل منتظم قدرًا كبيرًا من الدراسات عن السلوك الانتخابى، مثلما حفزت الحرب الباردة قسطًا كبيرًا من الدراسات عن صنع القرار فى مجال السياسة الخارجية والعلاقات الدولية.

تنظيم الكتاب:

يركز الجزء الأول من هذا الكتاب على نظريات علم النفس، ويتضمن النظريات الأساسية وتطبيقاتها على صنع القرار والنمو من الطفولة إلى مرحلة النضج، والشخصية، وعلم النفس التطورى، ودراسة الانفعالات، ومقاربة تحليل الخطاب عن البلاغة، ثم ننتقل إلى التركيز الجوهرى للمجالات المتعددة لبحوث علم النفس السياسى التى تتجه إلى الاشتراك فى أكثر من مقاربة نظرية. وفى الجزء الثانى، نبدأ بسلوك النخب فى مجال العلاقات الدولية بالتركيز على نماذج صنع القرار من السياسة الخارجية والتفاعل الاستراتيجى وحل النزاعات. ويسلط الجزء الثالث الضوء على التفاعل بين النخب والجماهير من خلال وسائل الإعلام وردود أفعال الناخبين تجاه المرشحين السياسيين. ويتناول الفصل الرابع السلوك السياسى الجماهيرى من خلال تحليل الفهم السياسى ودور القيم والعلاقات بين الجماعات والدور السياسى للنوع، ويتناول الفصل الخامس السلوك الجمعى من خلال تأثيرات التربية المدنية والسلوك السياسى الجمعى وتأثيرات السياسة على المجتمع الأكبر. وأما الخاتمة فتضم بعض ملاحظات علم من أعلام علم النفس السياسى روبرت لين Robert E. Lane الذى يتأمل التباينات التى أشرنا إليها من قبل، بين المقاربتين النفسية والاقتصادية فى تحليل السلوك السياسى.

وقبل أن نصل إلى النهاية، نود أن نحيل القارئ المهتم بشكل أعمق بعلم النفس السياسى، إلى أعمال أكثر تخصصًا لها أهداف مختلفة عن أهدافنا وإن احتفظت بنفس العناوين. إن الهدف من هذا الدليل أن يكون تصريحًا شاملاً للحالة الراهنة للمعرفة فى مجال علم النفس السياسى. وهناك ثلاثة كتبRenshon and Duckitt 2000 (وMonroe 2000وKulinski 2002) لا تسعى إلى تقديم مثل هذا العرض الشامل للبحوث فى مجالات فرعية محددة فى علم النفس السياسى، لكن لكل منها هدفين محدودين أو ثلاثة. فكل منها يشتمل على مقالات تستعرض البرامج البحثية لعدد منتقى من الكتاب، كما أن كلاً منها يتضمن مقالات تعبر عن آراء عن كيفية إجراء البحوث النفسية السياسية. ويعتبر العمل الأخير مثالاً عن البحوث التى تجرى عن التقاء علم النفس السياسى مع الثقافة، على سبيل المثال فى اليابان، وأمريكا اللاتينية والشرق الأوسط وشرق أوروبا الخ. وتعد كل منها ذات قيمة لعلماء النفس السياسيين الذين يرغبون فى اكتساب وجهات نظر متبصرة عن هذا المجال بشكل عام أكثر من الدارسين الذين يسعون إلى تقدير الوضع الراهن للمعارف فى هذا المجال أو الباحثين المبتدئين. وأخيرًا يضم Kullinski 2002a) فصولاً كتبها باحثون آخرون، يشرحون فيها أبحاثهم الخاصة. ولا يسعى هذا الكتاب لأن يكون شاملاً فيما يتعلق بمجال علم النفس السياسى، فكل مقال من المقالات يصف برنامج أبحاث معين بدلاً من أن يغطى موضوعًا برمته.

بمعنى آخر، بالرغم من تشابه العناوين، يختلف هذا الكتاب فى الغاية منه وقيمته عن الكتب الأخيرة فى هذا الموضوع، فالهدف منه أن يكون مرجعًا أوليًا للمجالات العديدة المختلفة التى تقع تحت مظلة "علم النفس السياسى".

References

Abelson, R. P., Aronson, E., McGuire, W. J., Newcomb, T. M., Rosenberg, M. J., & Tannenbaum, P. H. (Eds.). (1968). *Theories of cognitive consistency: A sourcebook*. Chicago: Rand McNally.

Adorno, T. W., Frenkel-Brunswik, E., Levinson, D. J., & Sanford, R. N. (1950). *The authoritarian personality*. New York: Harper & Row.

Allport, G. W. (1954). *The nature of prejudice*. Garden City, NY: Doubleday Anchor.

Altemeyer, B. (1988). *Enemies of freedom: Understanding right-wing authoritarianism*. San Francisco: Jossey-Bass.

Asch, S. E. (1952). *Social psychology*. Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall.

Ashmore, R. D., & Del Boca, F. K. (1981). Conceptual approaches to stereotypes and stereotyping. In D. L. Hamilton (Ed.), *Cognitive processes in stereotyping and intergroup behavior* (pp. 1–35). Hillsdale, NJ: Erlbaum.

Barber, J. D. (1972). *Presidential character: Predicting performance in the White House*. Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall.

Blumer, H. (1958). Race prejudice as a sense of group position. *Pacific Sociological Review, 1*, 3–7.

Bobo, L. (1983). Whites' opposition to busing: Symbolic racism or realistic group conflict? *Journal of Personality and Social Psychology, 45*, 1196–1210.

Campbell, A., Converse, P. E., Miller, W. E., & Stokes, D. E. (1960). *The American voter*. New York: Wiley.

Edwards, W. (1954). The theory of decision-making. *Psychological Bulletin, 51*, 380–417.

Erikson, E. H. (1958). *Young man Luther: A study in psychoanalysis and history*. New York: Norton.

Festinger, L. (1957). *A theory of cognitive dissonance*. Evanston, IL: Row, Peterson.

Fiske, S. T., & Taylor, S. E. (1991). *Social cognition* (2nd ed.). New York: McGraw-Hill.

Funk, C. L., & Sears, D. O. (1991). Are we reaching undergraduates? A survey of course offerings in political psychology. *Political Psychology, 12*, 559–572.

George, A. L., & George, J. L. (1956). *Woodrow Wilson and Colonel House: A personality study*. New York: Dover.

Gilbert, D. T., Fiske, S. T., & Lindzey, G. (Eds.). (1998). *The handbook of social psychology*. Boston: McGraw-Hill.

Greenstein, F. I. (1987). *Personality and politics: Problems of evidence, inference, and conceptualization*. Princeton: Princeton University Press.

Greenstein, F. I., & Polsby, N. W. (Eds.). (1975). *Handbook of political science*. Reading, MA: Addison-Wesley.

Heider, F. (1958). *The psychology of interpersonal relationships*. New York: Wiley.

Hermann, M. G. (1986). *Political psychology*. San Francisco: Jossey-Bass.

Iyengar, S., & Kinder, D. R. (1987). *News that matters: Television and American opinion*. Chicago: University of Chicago Press.

Janis, I. L. (1982). *Groupthink*. New York: Free Press.

Jervis, R. (1976). *Perception and misperception in international politics*. Princeton: Princeton University Press.

Klapper, J. T. (1960). *The effects of mass communications*. Glencoe, IL: Free Press.

Knutson, J. N. (Ed.) (1973). *Handbook of political psychology*. San Francisco: Jossey-Bass.

Krech, D., & Crutchfield, R. A. (1948). *Theory and problems of social psychology.* New York: McGraw-Hill.

Kreps, D. M. (1990). *Game theory and economic modelling.* New York: Oxford University Press.

Krosnick, J. A. (2002). The challenges of political psychology: Lessons to be learned from research on attitude perception. In J. H. Kuklinski (Ed.), *Thinking about political psychology* (pp. 115–152). Cambridge: Cambridge University Press.

Krosnick, J. A., & McGraw, K. M. (2002). Psychological political science versus political psychology true to its name: A plea for balance. In K. R. Monroe (Ed.), *Political psychology* (pp. 79–94). Mahwah, NJ: Erlbaum.

Kuklinski, J. H. (2002a). *Citizens and politics: Perspectives from political psychology.* Cambridge: Cambridge University Press.

Kuklinski, J. H. (Ed.).(2002b). *Thinking about political psychology.* Cambridge: Cambridge University Press.

Lane, R. E. (1962). *Political ideology: Why the American common man believes what he does.* Glencoe, IL: Free Press.

Larson, D. (1985). *Origins of containment.* Princeton: Princeton University Press.

Lasswell, Harold D. (1930). *Psychopathology and politics.* New York: Viking.

Lau, R. R., & Redlawsk, D. P. (1997). Voting correctly. *American Political Science Review, 91,* 585–598.

Lazarsfeld, P. F., Berelson, B., & Gaudet, H. (1948). *The people's choice* (2nd ed). New York: Columbia University Press.

LeVine, R. A., & Campbell, D. T. (1972) *Ethnocentrism: Theories of conflict, ethnic attitudes, and group behavior.* New York: Wiley.

Monroe, K. R. (Ed.). (2002). *Political psychology.* Mahwah, NJ: Erlbaum.

O'Neill, B. (1999). *Honors, symbols, and war.* Ann Arbor: University of Michigan Press.

Renshon, S. A., & Duckitt, J. (Eds.). (2000). *Political psychology: Cultural and crosscultural foundations.* New York: New York University Press.

Rosenberg, S. (1988). *Reason, ideology, and politics.* Princeton: Princeton University Press.

Runyan, W. M. (1984). *Life histories and psychobiography: Explorations in theory and method.* New York: Oxford University Press.

Schelling, T. C. (1960). *The strategy of conflict.* Cambridge, MA: Harvard University Press.

Sears, D. O. (1969). Political behavior. In G. Lindzey & E. Aronson (Eds.), *Handbook of social psychology* (Vol. 5, rev. ed., pp. 315–458). Reading, MA: Addison-Wesley.

Sears, D. O. (1988). Symbolic racism. In P. A. Katz & D. A. Taylor (Eds.), *Eliminating racism: Profiles in controversy* (pp. 53–84). New York: Plenum Press.

Sears, D. O., & Funk, C. L. (1991). Graduate education in political psychology in the United States. *Political Psychology, 12,* 345–362.

Sears, D. O., & Whitney, R. E. (1973). Political persuasion. In I. de S. Pool, W. Schramm, F. W. Frey, N. Maccoby, & E. B. Parker (Eds.), *Handbook of communication* (pp. 153–289). Chicago: Rand-McNally.

Sidanius, J. & Pratto, F. (1999). *Social dominance: An intergroup theory of social hierarchy and oppression.* New York: Cambridge University Press.

Smith, M. B., Bruner, J. S., & White, R. W. (1956). *Opinions and personality.* New York: Wiley.

Sullivan, J. L., Rahn, W. M., & Rudolph, T. J. (2002). The contours of political psychology: Situating research on political information processing. In J. H. Kuklinski (Ed.), *Thinking about political psychology* (pp. 23–47). Cambridge: Cambridge University Press.

Tajfel, H. (1981). *Human groups and social categories: Studies in social psychology.* Cambridge: Cambridge University Press.

Tajfel, H., & Turner, J. C. (1986). The social identity theory of intergroup behavior. In S. Worchel & W. G. Austin (Eds.), *Psychology of intergroup relations* (2nd ed., pp. 7–24). Chicago: Nelson-Hall.

Tapp, J. L., & Kohlberg, L. (1971). Developing senses of law and legal justice. *Journal of Social Issues, 27,* 65–92.

Volkan, V. D. (1988). *The need to have enemies and allies: From clinical practice to international relationships.* Northvale, NJ: Aronson.

Zaller, J. (1992). *The nature and origins of mass opinion.* New York: Cambridge University Press.

الفصل الثانى

نماذج صنع القرار[٤٨]: ريتشارد ر. لاو

إذا كانت السياسة– وفقا لتعريف كلاسيكي– تتضمن "التوزيع السلطوى للقيم "authoritative allocation of values (Easton, 1953)، فإن دراسة السياسة يجب إذن أن تتضمن كيفية اتخاذ مثل هذه القرارات القائمة على التوزيع السلطوى، كموضوعة تنظيمية محورية. ويمكن تناول هذه المسألة من أكثر من منظور: المنظور الأول معنى بكيفية اتخاذ الفاعلين السياسيين *الأفراد* للقرارات السياسية، سواء كانوا ملوكًا أم ديكتاتوريين، وسواء كانوا سياسيين أو من عامة الناس، فرغم ندرة القرارات التى تتخذ بمعزل تام عن قرارات أخرى، فإنه وفقًا لهذا المنظور فإن عملية صنع القرار تعد مسألة تتعلق فى الغالب بعلم النفس الفردى: تفضيلات فردية، وبحث عن معلومات، وذاكرة، ومفاضلة. المنظور الثانى يهتم بكيفية اضطلاع *المؤسسات* التشريعية، والتنفيذية، والقضائية، وغيرها من المؤسسات فى النظام البيروقراطى الحكومى الأوسع– بعملية صنع القرارات. فالمؤسسات كلها وإن كانت تتألف من أفراد، إلا أن لكل مؤسسة طرقها القانونية، وتقاليدها الخاصة، "وإجراءات عمل معيارية" خاصة بها، فى جمع المعلومات، وحصر التفضيلات، واتخاذ الإجراءات. كما أنه فى كثير من الحالات يمكن أن تطغى المعايير والإجراءات المؤسساتية على عمليات صنع القرار الفردية. وقد حاول "مارش" March (1994) أن يمسك بهذا الفرق فى المنظور بطرح سؤال عما

---

(٤٨) قام بترجمة هذا الفصل ربيع أحمد مرسى وهبة.

إذا كان يُنظر إلى صنَّاع القرار عمومًا كفاعلِين مستقلين أم على أنهم أساسًا موَجهون بـ "الخواص النظامية لبيئة متفاعلة" (p. ix).

وبدون قصد التقليل من أهمية العوامل المؤسساتية فى فهم القرارات السياسية، فإن هذا الفصل سيركز على كيفية صنع القرار من قبل الفاعلِين السياسيّين الأفراد. فقد كان صنع القرار الفردى همًّا أساسيًّا لعلماء النفس، بينما تواتر علماء الاقتصاد والاجتماع والمنظّرون التنظيميُّون على دراسة تجمعات أوسع مثل المؤسسات والشركات. ويعتبر التراث فى هذا الصدد متميزًا وضخما على نحو كبير فى هذين المجالين. وسوف نحصر تركيزنا هنا لينصب على المنظور الفردى. وللحصول على رؤى جيدة من البحوث التى استهدفت المستوى المؤسسى بصورة أكبر، يمكن للقارئ الرجوع إلى الأعمال الكثيرة التى قام بها "مارش" (مثل: March 1988, 1994; March & Olsen, 1989; March & Simon, 1958) والبحوث الأولى لـ "سيمون" Simon (1947). كما تمثل بحوث آليسون (Allison 1971; Allison & Zelikow, 1999) عملاً رائعًا فى مقابلة منظّرى صنع القرار الفردى والمؤسسى فى سياق أزمة الصواريخ الكوبية.

وبالرغم من تركيز اهتمامنا على صناع القرار السياسيين الأفراد، فإن النظم الديمقراطية توفر فئتين مهمتين منهم: السياسيين وغيرهم من النخب الحكومية، وعامة المواطنين. ففى ظل الديمقراطية الحقيقية، فإن الأفراد من كلا الفئتين يجب أن يضطلعوا بصنع قرارات سياسية وفق معدل تكرار معقول. وهنا يعد مستوى الخبرة أو المعرفة السياسية أحد الأبعاد الواضحة التى يتحدد بناء عليها الاختلاف بين هاتين الفئتين من صانعى القرار. ومن ناحية التعريف على الأقل، يعد النخبويون السياسيون خبراءً سياسيين: فلديهم عمومًا معرفة وخبرة أكثر ارتباطًا تفوق ما لدى عامة المواطنين بكثير. ومن ناحية أخرى، نجد تنوعًا كبيرًا بين عامة المواطنين فى قدر ما يعرفونه

ويهتمون به حول المواضيع التى عادة ما يطلب منهم اتخاذ قرارات بشأنها كجزء من دورهم كمواطنين.

وسوف أحاول فى هذا الفصل، تقديم إطار عام لدراسة صنع القرار بحيث ينطبق على كل من عامة المواطنين (أى "الجمهور") والنخب السياسية. فالنخب السياسية وعامة المواطنين لا يختلفون فقط فى قدر الخبرة التى يضيفونها بطبيعة الحال إلى مهمة صنع القرار، بل أيضًا فى نمط القرارات التى يطلب منهم عمومًا اتخاذها أو صنعها. وسوف أحاول هنا الإشارة إلى بعض الفروق الأكثر وضوحًا، وسوف أركز على كيفية صنع القرار لدى عامة المواطنين فيما أطرحه من أمثلة وفيما أستطرد إليه فى تناول الإطار الأساسى لصنع القرار. (حيث سيكون موضوع السياسة الخارجية وصنع القرار لدى النخبة: بؤرة التركيز الخاصة فى الفصل الثامن).

ومن المفيد فى البداية أن نميز بين "الحكم judgment" و"صنع القرار decision- making". إذ طالما ارتبط الاثنان ببعضهما البعض (انظر مثلاً: Slovic & Lichtenstein, 1971)، وهما من الناحية المعيارية متكافئان بمعنى أن صانع القرار ينبغى أن يختار بديلاً فى حالة إذا ما كان ذلك البديل مفضّلاً أكثر من غيره. ومع ذلك، فإن الحكم وصنع القرار ليسا الشيء نفسه، فالحكم يتضمن تقييمًا لكيان مفرد عبر متصل معين: إلى أى مدى يعد الشيء ثقيلاً أو خفيفًا، ساطعًا أو معتمًا (حكم سيكوفيزيقى)؛ إلى أى مدى يعد الشخص جذابًا/فَكِهًا/محبوبًا/ذكيًا (حكم شخص)؛ وإلى أى مدى يحتمل وقوع حادثة بعينها (حكم احتمالى)، كما يتضمن الحكم رسم خريطة لبعض المنبهات الغامضة داخل نسق إدراكى، والميل إلى إصدار أو إطلاق حكم يعد ميلاً واقعيًا على نحو خاص بالنسبة للناس فى العالم الاجتماعى. وسوف نقابل "كاثلين ماكجرو" Kathleen MacGrwaw فى مراجعتها لهذا التراث فى انطباقه

على الفاعلين السياسيين فى الفصل الثانى عشر. (انظر أيضًا: Druckman & Lupia, 2000).

أما القرار فيتضمن *اختيارًا* من بين بديلين أو ثلاثة بدائل: *هل* أتعاطى مخدرات *أم لا؟ من* أتزوج؟ متى أتقاعد؟ *أى* المرشحين أؤيد فى الانتخابات؟ والقيام بفعل الاختيار هو التزام تجاه البديل المختار أكثر من كونه إطلاق حكم يتعلق بالمَوضوع المقصود، كما أنه قد يتضمن أيضًا البحث عن أسباب *لتبرير* الاختيار (Slovic, Fischhoff, & Lichtenstein, 1982). والناس طوال الوقت يطلقون الأحكام بدون أن يتطلب ذلك بالضرورة "ترجمة أحكامهم إلى أفعال".

وغالبًا ما يتم التعامل مع القرارات كما لو أنها لا تعدو كونها اختيار البديل الأعلى تقييمًا. وهذا خطأ يرجع إلى سببين على الأقل: الأول، أن الناس (والمؤسسات) يتخذون جميع القرارات بدون تقييم البدائل أولاً وفق بعد أو قياس عام أو كلى معين، ومن هذا النوع تلك القرارات "ابنة لحظتها"، كقرارات اعتيادية أو "جاهزة" (Quadrel, Fischhoff, & Davis, 1993)، ولكن المشكلة أكبر من هذا بكثير. فإذا عرفت مثلاً أنى سأموت غدًا، ربما سأفكر بشكل جيد فى المطعم المفضل لدى لأتناول فيه آخر وجبة لى، ولكننى فى معظم الوقت أقرر ما إذا كنت أريد أن أتناول طعامًا صينيًّا أو إيطاليًّا أو مكسيكيًّا ليس وفقًا لجودة هذه المطابخ المختلفة أو ذوقها أو مدى كونها صحية، ولا بسبب الحكم على جودة الخدمة أو مهارة الطاهى فى أى من المطاعم المجاورة التى تقدم هذه الأنواع المختلفة من الأطعمة، بل لأننى "أشعر" فحسب أننى أريد طعامًا صينيًّا الليلة.

ولكننى أظن أن قرار التصويت على نحوٍ خاص- أو المفاضلة بين أناس مختلفين- نادرًا ما يتم بدون القيام أولاً بتقييم لمرشحين مختلفين لتولّى منصب من المناصب. حيث إن تقييم المرشح يعد- وعلى نحو وثيق- ضمن خيارات التصويت.

السبب الثانى فى الخطأ المتعلق بالمساواة بين الحكم وصنع القرار هو أن التقييمات العامة، حتى عند القيام بها، لا تملى بالضرورة اختيارًا معينـــا. فقد يصوّت الناس "استراتيجيًا"، أى يختارون بديلاً أقل تفضيلاً لأن مرشحهم الأكثر تفضيلاً ليس لديه فرصة فى الفـــوز (Abramson, Aldrich, Paolino, & Rohde, 1992). وقد يصوّت الناس لمرشح لا يحبّذونه بالذات لسبب خارجى لا علاقة له بالقرار نفسه (التحرك "ضد خيارى الأفضل")، وذلك، على سبيل المثال، لإسعاد أحد الأبوين أو لإسعاد صديقة. على أية حال، سأترك التراث المتعلق بالانطباع عن الشخص (المرشح) للفصل الثـــانى عـــشر، وأركـــز بصورة حصرية على خيارات أو قرارات واضحة.

يبدأ هذا الفصل بوضع إطار عام أكثر اكتمالاً للمكونات التى تـــصنع "قرارًا"، وهى مناقشة تمضى بيسر إلى مقاربة الاختيار العقلانى الاقتصادى الكلاسيكية لصنع القرار، تلك المقاربة المرتبطة بكل مـــن "فـــون نويمـــان" و"مورجنشترن" von Neuman and Morgenstern (1947) والتى تقـــدم معيـــارًا يمكن على أساسه الحكم على قرارات معينة، فليس ممن رصدوا فعليًا صنع القرار من يؤمن بأن المقاربة الكلاسيكية تقدم وصفًا دقيقًا للطريقة الفعليّة التى يسلك بها صناع القرار. وسيناقش هذا الفصل باستفاضة تلك المقاربة التـــى تتخذ من الوصف الدقيق هدفًا أساسيًا لها؛ أى النظرية السلوكية فى القـــرار. وكما سأبين، فإن النظرية السلوكية فى القرار تنطلق من رؤية مختلفة جـــدًا "وأكثر محدودية" للقدرات المعرفية الإنسانية عن المقاربة الكلاسيكية. ومـــن المفارقات، أن نقطة الانطلاق المحدودة للغاية هذه توفر كثيرًا مـــن الأبعـــاد الأساسية لدراسة صنع القرار. وبالتالى، فسوف أخـــصص بعـــض الوقـــت لمناقشة أساليب دراسة صنع القرار التى تم تطويرها بفعل هـــذه المقاربـــة، وبخاصة أساليب تتبع المسار process tracing methods. وأخيـــرًا، ســـنتناول وباختصار قرارًا سياسيًا من القرارات الشائعة الشهيرة التى قـــام باتخاذهـــا

مواطنو الحياة اليومية مرات كثيرة أثناء حياتهم وهم كبار حول ما إذا كانوا سيصوتون فى الانتخابات أم لا؟ وكيف؟

إطار عام لدراسة صنع القرار

كما ذكرنا، فإن أى قرار يتضمن *اختيارًا*، والاختيار يتطلب على الأقل *بديلين* يمكن الاختيار منهما. ويرتبط كل بديل بمجموعة من المعتقدات حول *النتائج* التى يُحتمل أن تكون مرتبطة به، وهى معتقدات قد تكون ذات طابع شخصى لصانع القرار. ولابد من ارتباط كل نتيجة *بقيمة* معينة أو بتفضيل معين، وهو ما قد يكون مرة أخرى أمرا فريدًا بالنسبة لكل صانع قرار. إن البدائل والمعتقدات والقيم المرتبطة بالنتائج تمثل الخصائص الثلاث التى توفر الإطار العام لأى قرار (Hastie, 2001).

ويمكن تصنيف القرارات داخل هذا الإطار عبر عدد هائل من الأبعاد، وأهم بعدين منها هما:

الأول: ما إذا كانت البدائل مُثبَتَةً ومقدَّمة كما هى إلى صانع القرار، فى حالة كون القرار "جيد التحديد" أو "جيد البناء" (Langley, Simon, Bradshaw, & Zytkow, 1987) أو ما إذا كان على صانع القرار أن يبحث عن المسارات البديلة أو يقوم ببنائها، وهو ما يحدث فى أغلب الأحوال فى السياقات التنظيمية وحيال المشكلات السياسية شديدة التعقيد. وهى الحالة التى يكون القرار فيها "سيئ التحديد" أو "سيئ البناء".

الثانى: ما إذا كان حدوث النتائج المرتبطة بكل بديل مؤكدًا أو يقينًا (إذا دفعت اليوم خمسين دولارًا فى سَنَد، يمكننى أن أصرفه بمائة دولار خلال خمسة عشر عامًا) وهى الحالة التى يكون القرار فيها *بلا مخاطر*، أم أن ثمة بعض الاحتمالات (إذا انتخب جورج دبليو بوش رئيسًا، فإنه سوف يستقطع

الضرائب، ويزيد من إنفاقات الدفاع، وسيكون متعاطفًا مع الناس خارج التحالف الجمهورى). وفى هذه الحالة يكون القرار *محفوفًا بالمخاطر*.

وسوف أحدد مناقشتى على أنماط القرارات جيدة التحديد التى ركزت عليها النظريات والتقنيات الخاصة بدارسة صنع القرار، تلك النظريات التى انبثقت من علم النفس. لذا يجب التماس مجموعة من النظريات والمناهج المستقلة لدراسة توليد أو اكتشاف البدائل، وهى مسألة لا يتسع لها المجال فى هذا الفصل (يمكن الرجوع إلى: Gettys, Pliske, Manning, & Casey, 1987; Keller & Ho, 1988). ومع ذلك، يمكن عادة دراسة القرارات جيدة التحديد كما لو كانت تحدث على مراحل، حيث تكون مرحلة تجميع المعلومات وتوليد البدائل فى البداية منطقيا، وحينئذٍ يمكن تطبيق النظريات والمناهج التى تتم مناقشتها على البدائل "المطروحة" وقت الاختيار.

وقد درس علماء النفس كلا من القرارات التى تكتنفها المخاطرة وتلك التى تخلو من المخاطرة، ويمكن بسهولة إدماج عدم اليقين فى أكثر نماذج صنع القرار شيوعًا. وعلى سبيل المثال، فإن المعتقدات المرتبطة بالنتائج أو المترتبات المرتبطة ببعض البدائل لا تتضمن فحسب تبين طبيعة تلك المترتبات، بل الطريقة التى يحتمل أن تقع بها، وبذلك فإن البعد الخاص بعدم اليقين يجد مكانه بسهولة ضمن هذا الفصل. إن جميع القرارات على مستوى معين تتضمن مخاطرة (فالحكومة الأمريكية يمكن أن تفلس قبل حلول وقت صرفى لقيمة السند)، ولكن احتمالات حدوث نتائج من هذا النوع عادة ما تكون ضئيلة بما يجعل من المعقول عدها بلا مخاطر. ومع ذلك فإن كثيرًا من القرارات يحتوى على بدائل تحمل على نحو حقيقى قدرًا كبيرًا من عدم اليقين يجب وضعه فى الحسبان عند النظر فى تلك القرارات.

جدول ٢-١

إطار بنائى عام لتحليل صنع القرار

بدائل متعددة	كلّ مرتبط بنتيجة واحدة أو أكثر	ولها قيم ثابتة بالنسبة لصانع القرار	أى منها يمكن أن تكون لها أهمية فارقة	و/أو تحدث على نحو احتمالي
البديل الأول	نتيجة ١	+	الوزن ١	احتمال ١-١
	نتيجة ٢	-	الوزن ٢	احتمال ٢-١
	نتيجة ٣	+	الوزن ٣	احتمال ٣-١
البديل الثاني	نتيجة ١	+	الوزن ١	احتمال ١-٢
	نتيجة ٢	-	الوزن ٢	احتمال ٢-٢
	نتيجة ٣	+	الوزن ٣	احتمال ٣-٢
البديل الثالث	نتيجة ١	+	الوزن ١	احتمال ١-٣
	نتيجة ٢	-	الوزن ٢	احتمال ٢-٣
	نتيجة ٣	+	الوزن ٣	احتمال ٣-٣
البديل الرابع	نتيجة ١	+	الوزن ١	احتمال ١-٤
	نتيجة ٢	-	الوزن ٢	احتمال ٢-٤
	نتيجة ٣	+	الوزن ٣	احتمال ٣-٤

يوفر جدول ٢-١ إطارًا عامًا لتحليل القرارات التى تحتوى البدائل المتعددة والنتائج والقيم كملامح هيكلية رئيسية للقرارات التى تم التخطيط أو التحضير لها. كما يضيف الجدول أيضًا احتمالية القرارات الخطرة أو المجازفة إلى إمكانية كون النتائج المختلفة ذات أهمية متباينة بالنسبة لصانع القرار كمركب إضافى. فإذا جاءت جميع النتائج متساوية الأهمية، فإن الأوزان فى هذا العمود ستكون جميعها ١٠٠ (أو ببساطة يتم تجاهلها). بالمثل، فإنه مع القرارات التى لا تتضمن مجازفة ستكون الاحتمالات جميعها

مؤدية إلى ١،٠٠. وللتبسيط، فإن الجدول يفترض أن كل نتيجة من النتائج المرتبطة بأى بديل تكون فى الوقت نفسه مرتبطة بكل بديل. وفى الممارسة قد لا يكون الأمر على هذا الحال، ولكن حينذاك سيكون الاحتمال صفرًا.

وبالنسبة لمشكلات القرارات جيدة التحديد فإننى أركز هنا على البدائل والنتائج التى "تقدم إلى" صانع القرار من خلال المشكلة نفسها. أما القيم، وأوزان الأهمية، والاحتمالات المرتبطة بكل نتيجة فهى ذاتية فى طبيعتها ويجب تحديدها من قبل صانع القرار نفسه.

الاختيار العقلانى/ النظريات الاقتصادية لصنع القرار

إن نظريات العلوم الاجتماعية الرئيسية الأولى لصنع القرار ذات التوجه المعيارى، والتى انبثقت فى مجال الاقتصاد، كانت تصف الطريقة التى ينبغى على صناع القرار أن يسلكوا بها، فإذا وضعت فى اعتبارها عدم التيقن اكتسبت النظرية إطار "القيمة المتوقعة". وترى هذه المقاربة العامة أنه ينبغى على صُنَّاع القرار جمع معلومات كافية حول كل مسار محتمل للفعل من أجل تقييمه، وأن كل نتيجة أو محصلة مرتبطة بكل بديل يفترض أن تكون ذات أهمية لدى صانع القرار. وتكون قيمة النتائج المرتبطة بكل بديل، والتى يتم قياسها أو وزنها من خلال الاحتمال المتوقع لحدوثها، مجمعةً بطريقة تكميلية بسيطة لتحديد القيمة الكلية المرتبطة بكل بديل. وبعد الانتهاء من عملية تجميع المعلومات وتقييم البديل، يفترض أن يقوم صناع القرار بالاختيار من بين البدائل بطريقة ما من طرق تعظيم القيمة value-maximization[٤٩] (على سبيل المثال: اختيار البديل صاحب أكبر قيمة

---

(٤٩) عندما يشير الناس إلى حل "أفضل" أو "مثالى"، فإنهم عادة ما يعنون البديل المعظم للقيمة. والمقاربة العقلانية تفترض أيضًا أن يتبع صناع القرار عددًا من المبادئ الحسنية الرسمية فى إصدار أحكامهم الاحتمالية وتقييماتهم القيمية، بما فى ذلك الاعتياد والاستقلال عن البدائل غير ذات الصلة، =

متوقعة؛ واختيار البديل الذى يقلل الحد الأقصى من الندم[٥٠]). وهذا المنظور الاقتصادى المعيارى حول العقلانية يرى الإنسان *(الإنسان الاقتصادى)* كـ "آلات حاسبة لا محدودة القـدرة" (Lupia, McCubbins, & Popkin, 2000) أو كما لو كانوا شياطين (Gigerenzer & Todd, 1999) يستطيعون بسهولة تأدية جميع المعالجات المعرفية المطلوبة بغية الوصول إلى قرار.

لقد أصبح مصطلح "عقلانى" محمّلاً بالعديد من المعانى المتباينة (انظر: Converse, 1975; March, 1978; Rubenstein, 1998). وسوف أقتصر فى هذا الفصل على *العقلانية الإجرائية* ***procedural rationality*** من بين معانى المصطلح؛ أى على العملية التى يتم بمقتضاها القيام بالاختيار. فـ "الاختيار العقلانى" يقوم على تفضيلات ثابتة نسبيًا وتتبع *منطقًا من التسلسل*، يتم من خلاله إملاء الأفعال عن طريق توقع القيمة المرتبطة بالنتائج المستقبلية (March, 1994). وصناع القرار العقلانيون يكونون مدفوعين بتعظيم "مصالحهم" بالرغم من أن النظرية لم تقدم شيئًا يذكر حول ما يجب أن يكون عليه كنه هذه المصالح. كما أن القيد المفروض على معنى العقلانية يلفت الانتباه أيضًا إلى حقيقة أن الاختيار العقلانى لا يضمن تحقيق نتيجة تعظيم القيمة، بل يضمن فقط كونها الأكثر ترجيحًا للتحقق.

= والانتقالية، وتباين الإجراءات، والسيطرة، وكل الأوامر الخاصة نظرية "بايز" الحسابية Bayes's theorem. وبالرغم من أن هذه المبادئ يمكن أن تبدو مهددة، فإنها فى الغالب تعد منطقية تمامًا وحدسية، وهى مقبولة على نحو واسع من قبل صناع القرار عندما يتم تفسيرها. ويلخص "داويز" Dawes (1988) هذه المبادئ بطريقة أكثر سهولة بقولهم إن القرار يمكن أن يعتبر "عقلانى" لو كان: (١) قائمًا على الوضع الراهن من المقومات الحالية بحيث تكون الخسائر أو المكتسبات المفقودة متكافئة؛ (٢) قائمًا على جميع النتائج المرتبطة بالاختيار؛ و(٣) يكون عدم اليقين متضمنًا ولا يخرق أيًا من القواعد الأساسية للاحتماليات. (المؤلف)

(٥٠) تقوم نظرية الندم Theory of regret على حقيقة أن الندم بعد خسارة ناجمة عن قرار خاطئ يؤثر على اتخاذ قرارات شبيهة فيما بعد خوفا من تكرار الخسارة حتى لو لم تكن الحسابات العقلانية تبرر مثل هذا الخوف (المراجع)

ولنضع فى الاعتبار، كمثال، القرار الخاص بما إذا كان ينبغى على أن أمارس لعبة "الأرقام الثلاثة" فى اليانصيب والتى تتكلف دولارًا واحدًا، حيث تقوم على سحب ثلاثة أرقام من بين الأرقام من صفر إلى ٩٩. وإذا سحبتُ الرقم الصحيح، أربح ٤٩٩ دولارًا (٥٠٠ دولار مطروح منها دولار واحد تكلفة اللعبة)؛ وإذا التقطت رقمًا آخر، فلن أربح شيئًا، ولكن يبقى أننى تكلفت دولارًا ثمن التذكرة. ولنفترض أن تذاكر اليانصيب تباع فى المحال حيث أبتاع قهوتى فى طريقى إلى العمل كل صباح، كما أن لدى الاختيار الأوتوماتيكى بالكمبيوتر ليختار لى رقمًا عشوائيًا، فإننى هنا لا أتكبد خسائر ملموسة فى أى الأحوال حتى أننى لن أبذل جهدا فى اختيارى للأرقام أو فى الوصول إلى مكان بيع التذاكر، كما أننى أجنى سعادة نفسية كبيرة باستغراقى فى تخيل ما ينبغى أن أفعله بالأموال إذا ربحت. فإذا اخترت أن ألعب، فإننى إما أن أربح ٤٩٩ دولارًا مع احتمالية (ح) ضئيلة، أو أن أخسر دولارًا واحدًا باحتمالية (ح-١). ومن ناحية أخرى، إذا اخترت عدم اللعب سيكون لدى مالى فى حافظتى كوضع راهن بنسبة احتمال ١٠٠% من اليقين. وهناك مساحة صغيرة للمعتقدات الشخصية فى هذا الاختيار، حيث تكون النتائج المرتبطة بكل بديل قليلة وسهلة التحديد، والاحتمالات المرتبطة بكل نتيجة يمكن أيضًا حسابها ببساطة. ويمكن للجدول ٢-٢ أن يمثل وبصورة صادقة لوغاريتمات قرارى ولوغاريتمات أى شخص آخر يقوم باتخاذ القرار نفسه.

جدول ٢-٢

تحليل القيم المتوقعة حول ما إذا كان "العقلانى" يمكن أن يلعب يانصيب الأرقام الثلاثة أم لا

بدائل متعددة	كل بديل مرتبط بنتيجة أو أكثر	لها قيم ثابتة بالنسبة لصانع القرار	أى منها قد يحدث على نحو احتمالي	القيمة المتوقعة
البديل ١: يلعب	النتيجة ١: يكسب	٤٩٩ دولار	احتمال (ح)١ ١	القيمة المتوقعة١= ٠٠١*(٤٩٩ دولار) + ٩٩٩* (-١ دولار) = ٥٠ سنتًا
	النتيجة ٢: يخسر	-١ دولار	ح ١ -٢	
	النتيجة ٣: الوضع القائم	٠	ح ١-٣	
البديل ٢: لا	النتيجة ١: يكسب	٤٩٩ دولار	ح ٢ -١	القيمة المتوقعة ٢ = ٠
	النتيجة ٢: يخسر	-١ دولار	ح ٢ -٢	
	النتيجة ٣: الوضع القائم	٠	ح ٢- ٣	

ملحوظة: هذا المثال يفترض أن أى قيم غير مالية مرتبطة بالقرار تكون صغيرة جدًا إلى درجة يمكن تجاهلها.

لقد تم بالفعل وضع القرار الذى يناسب الإطار العام على نحو كامل. وللتبسيط، فإن جدول ٢-٢ يتجاهل عمود الأهمية الفارقة. فهناك بدائل متعددة للاختيار من بينها (ألعب ولا ألعب)، ونتائج مرتبطة بكل بديل (نتيجة واحدة فقط، بالتأكيد للبديل الثانى، ونتيجتان ممكنتان للبديل الأول، وكلاهما مرتبط بدرجة من التشكك) وقيمة مرتبطة بكل نتيجة (المبلغ المالى الذى سأربحه أو أخسره). والقيمة المتوقعة المرتبطة بالنتيجة الثانية بدرجة يقين تصل إلى ١٠٠% هى الحالة الراهنة أو الوضع القائم، أو "صفر" أى لا مكسب ولا خسارة. وهناك شك مرتبط بالبديل الأول والخاص بلعب اليانصيب، والقيمة المتوقعة لذلك البديل هى إجمالى قيمة النتيجة الأولى (ربح ٤٩٩ دولارًا)، مضروبة فى نسبة احتمالها (٠،٠٠١)، زائد القيمة المتوقعة للنتيجة الثانية (خسارة ١ دولار) مضروب فى نسبة احتمالها (٠،٩٩٩). وعندما تجرى العملية الحسابية البسيطة هذه، تكون القيمة المتوقعة المرتبطة بلعب هذه اللعبة ناقص ٥٠ سنتًا.[٥١] ومن ثم لا ينبغى لأحد أبدًا أن يلعب لعبة يانصيب الأرقام الثلاثة، لأنها رهان خاسر. فإذا كان اختيارى حول لعب اليانصيب يمكن وصفه (إجرائيًا) كاختيار "عقلانى"، فإننى يجب أن أتَّبع الخطوات الموضحة هنا للوصول إلى قرارى.

وتعد نظرية *المنفعة الذاتية المتوقعة* *subjective expected utility* النظرية الأكثر عمومية لقيمة التوقع (von Neuman and Morgenstern, 1947; see also Luce & Raiffa, 1957; Raifa, 1968; Savage, 1954). ويعد مفهوم "المنفعة" حلاً

(٥١) لاحظ أن الخمسين سنتًا لا تكون قيمة مرتبطة أبدًا مع أية نتيجة يمكن أن تحدث على الإطلاق عند اختيار اللعب. فعندما تكون النتائج محل شك، فإن القيمة المتوقعة تأتى بمعنى "على المدى البعيد": فإذا كان شخص يلعب اقتراع الأرقام الثلاثة مرة بعد أخرى، فإنه أو إنها سوف تخسر ٥٠ سنتًا فى كل مرة تلعب فيها. (المؤلف)

ذكيًا لمشكلة تحليلية شديدة المراوغة، وتستحق بعض النقـاش[٥٢]. والقـرار الذى يتم العمل عليه بخصوص ما إذا كان المرء ينبغى أن يلعب يانـصيب الأرقام الثلاثة كان قرارًا بسيطًا إلى حد كبير؛ لافتراضه أن القيم المرتبطـة فقط بأية نتيجة كانت قيمًا مالية. ولكن دعونا ننظر فحسب فـى أى اقتـراح يمكن أن يطرحه مرشح فى حملته الانتخابيـة. ولنقـل مـثلا أن "روجـر الجمهورى" Roger Republican يخوض الانتخابات ضد "ديبرا الديمقراطيـة" Debra Democrat على منصب الحاكم للولاية، وأنه يقتـرح تخفـيض ١٠٠ دولار مرة واحدة فى ضرائب دخل الولاية لكل دافعى الـضرائب كمهمـاز للاقتصاد الراكد، فإذا أصبح مقترح "روجر" قانونًا، فماذا سـتكون عواقبـه على؟

- أولاً، سأفيد من تخفيض ١٠٠ دولار من الـضرائب. حـسنٌ، هـذه علاوة تروق لى؛ وكل ما عداها سواء، فسوف يكـون لـدى ١٠٠ دولار أفضل من عدمها. المال شىء ملموس جـدًا وسـهل علـى الاستيعاب.
- فى الوقت نفسه، فإن ريع الدولة سينخفض كثيرا فى المدى القـصير على الأقل، حتى إذا أنعش هذا المقترح اقتصاد الدولة وولَّـد ريعًـا

---

(٥٢) يقارن الاقتصاديون "المنفعة" بقيمة عددية واضحة، لأن معظم الناس يرون الفرق بين الـصفر دولار والـ ١٠٠ دولار أكثر كثيرًا من الفرق بين الـ ١٠,٠٠٠ دولار والـــ ١٠,١٠٠ دولار. فمنحنـى "المنفعة الذاتية" للثروة المتزايدة يكون مقعرًا (أى ينزلق للأسفل). وهو تنقيح امبريقى مهـم، ولكـن تطبيقاته أكثر ضيقًا فى المجال أو المدى من مشكلة التناسب التى سنناقشها لاحقًا. غيـر أن الميـزة الحقيقية لنظرية المنفعة الذاتيـة المتوقعـة عنـد "فـون نويمـان" von Neuman ومورجينـشترن Morgenstern بالنسبة للاقتصاديين تتمثل فى منهجها فى تحويل التفضيلات الترتيبيـة ordinal إلـى وظائف منفعة أصلية cardinal، والتى تسمح عندئذ بوجود عمليات حسابية أكثـر قـوة فـى اللعبـة وتطبيقات هذا التغيير كبيرة جدًا، حيث إنها أساس معظم الاقتصاديات الصغرى الحديثة وقد سـمحت بتطور نظرية اللعبة. ونظرية المنفعة الذاتية المتوقعة تبدأ بافتراض استبعاد عدم التناسب. (المؤلف)

إضافيًا على المدى الطويل. وهذا الانخفاض المتوقــع فــى المــدى القصير قد يكون له أثر سلبى على حياتى، فيما يتعلق بنقص خدمات الدولة التى أنتفع منها. على سبيل المثال: أعمال الحفر فى شارعنا قد تستغرق وقتًا أطول لإصلاحها، وقد يقل عدد أفــراد الــشرطة فــى الشوارع، وربما تحتاج معامل العلوم فى المدارس القديمة فى ولايتنا إلى تصليح لقدم أجهزتها. وهذا ما قد يسفر وقتئذ عن اضطرارى إلى إصلاح سيارتى بصورة أكثر تكرارًا، أو تركيب إنذار السرقة فــى منزلى، أو حتى إرسال أطفالى إلى مدارس خاصة. وبالرغم من أن الأمر سيستغرق مدًى أطول وسيكون من الصعب "رؤية" ذلك بدقة، إلا أننى أستطيع فهم هذه التكلفة بلغة الدولار، ويمكن أن تكون ماثلة فى قرارى.

- وماذا عن فقراء ولايتى، الذين لا يدفعون الضرائب ولا يتلقون منفعة مباشرة، والذين رغم ذلك يعتمدون أكثر منى على خدمات الدولـــة؟ لست منهم، ولكن المشكلة لا علاقة لها بمصلحتى الماديــة الذاتيــة. والحقيقة أننى ببساطة لا أحب حقيقة كونى أعيش فى ولاية تحـــاول حل أزماتها الاقتصادية على حساب الفقراء. وبالمثل، فإنه فى الوقت الذى تحتوى فيه مدارس الحى الذى أسكنه على معامل علوم جديدة، فإن تلك المدارس الموجودة فى أحياء فقيرة من الولايـــة لا تحتـــوى على مثل هذه المعامل، وهذا يضايقنى لأننى أعتقد أن هذا ليس عدلاً، وخطأ. ومرة أخرى فإن معارضتى تعد رمزية إلى حد كبيــر فـــى طبيعتها.

نستطيع أن نمضى قدمًا، ولكن النقطة هنا هى كيف يمكـــن بطريقـــة عقلانية تضمين هذه الخسائر والمنافع المتنوعة التى قد تحدث إذا أصبح هذا الاستقطاع فى الضرائب قانونًا؟ أى أنه من السهل مقارنة الدولارات، ولكـــن

كيف لى أن أقيم مكسب ١٠٠ دولار فى حافظتى على أساس خسائر رمزية متنوعة سأراكمها إذا أصبحت هذه التخفيضات فى الضرائب قانونًا؟ المشكلة ترتبط بعدم القابلية للمقايسة incommensurability– عدم القابلية لمقارنة النتائج المتنوعة المرتبطة بهذا البرنامج. والحل الذكى لنظرية المنفعة الذاتية المتوقعة هو اختراع مفهوم فرضى لـ "المنفعة" الذاتية يمكن رد جميع الخسائر والمنافع إليه. ومع هذا الافتراض، تصبح جميع القيم (أى المنافع) قابلة للمقايسة، ومن ثم يمكن إجراء تحليل القيمة المتوقعة. ويمكننى أن أربط منفعة إيجابية ما بـ ١٠٠ دولار، ومنفعة سلبية معينة بالعيش فى ولاية مدارسها متدهورة، ويعانى فقراؤها معاناة حقيقية، وتقل فيها الأماكن المفتوحة، ثم أقوم بحساباتى.

ولكن هل يمكن لأحد أن يقوم بهذا فعلاً؟ إننى أعرف كثيرًا عن السياسة، وكان من السهل على أن أضع القائمة الإجرائية للخسائر والمنافع المحتملة لمقترح تخفيض الضرائب من قبل روجر الجمهورى. وكان من الممكن بسهولة أن أخرج بقائمة أطول. ولكن ما قدر المعلومات التى ينبغى على الإلمام بها حول هذه السياسة؟ عقلانيًا، يجب أن أبحث عن كافة المعلومات ذات الصلة.[٥٣] حتى بفرض أننى لدى "سجل للمنفعة" فى ذهنى

---

(٥٣) "الصلة" مرة أخرى تكون محددة بطبيعة الحال تحديدًا ذاتيًا، حيث تشمل كل شىء "أهتم" به يكون متأثرًا بهذه السياسات. وكثيرًا من نماذج الاختيار العقلانى، وعلى رأسها داونز (1957) Downs، تعتبر تكلفة تجميع المعلومات كوسيلة لتحديد الأعباء الملقاة على صانع القرار. ويمكن لهذه النماذج أن ترى كـ "تحسين مقيد optimization under constraints." ويجب تجميع معلومات جديدة حتى تتجاوز التكاليف الهامشية للمعلومات الإضافية العوائد الهامشية من تلك المعلومات. وبالرغم من أن الاعتبار فى تكاليف المعلومات يبدو للوهلة الأولى طريقة محنكة لتقييد الجهد المعرفى بحدود معينة، فإن أية قاعدة كابحة تستغرق فى حقيقة الأمر جهدًا معرفيًا أكبر لتوظيفها (Gigerenzer & Todd, 1999: Vriend. 1996). وبمعنى عملى، إن البحث عن المعلومات– تجميع بيانات– يحتمل أن تكون الخطوة الأكثر إثمارًا وتأثيرًا فى عملية صنع القرار، بالرغم من كونها خارج مملكة كثير من نماذج الاختيار العقلانى (المؤلف)

يمكن بسهولة أن يحدد المنافع الخاصة بنتائج مختلفة، فبمجرد أن تكون هناك نتائج أو اعتبارات كثيرة يجب وضعها فى الحسبان، فإن كلا منها سيكون موزونًا أو مقيّمًا باحتمال معين للحدوث مقدرًا بتقدير ذاتى، ومن ثم فإن متابعة تعقب الحسابات المختلفة سيصبح أمرًا جد صعب ويشكّل تحديًا حقيقيًا. وحتى الآن مازلنا نتحدث عن بديل واحد فحسب. فإذا كان لى أن أتخذ قرارًا ما بين مشروع روجر وخطة (أو خطط) بديلة، سوف يتوجب على عقلانيًا أن أبحث تحديدًا عن المعلومات ذات الصلة حول كل المشاريع محل الاهتمام. وصعوبات الحساب تتضاعف بسرعة. بل الأسوأ، إذا افترضنا أننى أقرر ما إذا كنت سأصوت لروجر أو ديبرا فى الانتخابات القادمة، وكان مقترح خفض الضرائب هذا واحدًا من دزينة من السياسات المختلفة التى سيتناظر عليها المرشحون أثناء الحملة. هنا يكون مستوى الحسابات المطلوبة لاتخاذ قرار "عقلانى" صعبًا جدًا، خاصة عندما نقر بأن الفروق فى السياسات هى بعد واحد فقط مما يمكن على أساسه مقارنة المرشحين. وفعليًا إذا اتخذ الناس قرارات بهذه الطريقة، يمكن أن يصنفوا كعفاريت فى قدراتهم المعرفية.

ومن هنا فنحن بصدد قضيتين: الأولى، تتعلق بالقدرة، والثانية تتعلق بالدافعية. فهل من *الممكن* لصانع القرار الذى يفتقد إلى الأدوات المساعدة (أى من لا يملك حاسوبًا، أو حتى قلم رصاص وورقة، وآلة حاسبة) أن يقوم بأى شىء آخر سوى اتخاذ القرارات الأبسط بالطريقة التى توجهها مقاربة الاختيار العقلانى؟ بناءً على عدد الحسابات المتضمنة، وحدود الذاكرة العاملة (نناقشها فيما بعد)، يجب أن تكون الإجابة بالنفى. حسنٌ، ولكن ماذا عن صانع القرار "المسلح بالأدوات المساعدة"؟ إن الجنس البشرى، على كل حال، توافرت لديه ورقة وأدوات للكتابة (لو لم نقل كمبيوتر) لآلاف السنين. ومن ثم فالإجابة هنا يحتمل أن تكون بالإيجاب، نعم – ففى الغالب تكون المطالب

الحسابية فى إطار المعقول، ومشكلة الذاكرة يمكن التغلب عليها ببساطة عن طريق عمل قوائم بالجمع والطرح المرتبط بأى بديل (انظر، على سبيل المثال: Kelley & Mirer, 1974).[٥٤]

ولكن هل لى أن أقوم بكل هذا الجهد كى أصنع قرارًا؟ هنا تظهر قضية الدافعية، وهى تمثل تحديًا خطيرًا أمام مقاربة الاختيار العقلانى. وربما يمكننى أن أتبع معظم ما تمليه نظرية المنفعة الذاتية المتوقعة للوصول إلى قرار جيد حول أى المرشحين أؤيد فى الانتخابات. ولكن لماذا أرهق نفسى بهذا؟ فالمسألة تستغرق عملاً كثيرًا كى أعلم كل ما أريد حول المرشحين المتنافسين. ووفقًا للنظرية، لن يكون عقلانيًا أن أنفق كل هذا الجهد إلا إذا كانت القيمة المتوقعة من وراء اختيار التصويت الصحيح أعظم من تكاليف عملية تجميع المعلومات والحسابات. فمن المهم أن ندرك أننا لا نقوم بمجرد مقايضة المنفعة الأكبر المتوقعة، ولنقل مثلاً من فوز روجر الجمهورى بدلاً من فوز ديبرا الديمقراطية على أساس تجميع المعلومات وحسابات الخسائر أو التكلفة التى تستغرقها عملية تحديد أى المرشحيْن سأؤيد. تلك قد تكون منفعة جوهرية حقيقية. ولكن من الواجب وزنها مقابل احتمال أن يكون من شأن صوتى تحديد نتيجة الانتخابات- وهذه الاحتمالية، بالنسبة لجميع الأغراض العملية، صفر. بمعنى آخر، حتى إذا كان الفارق فى المنافع المرتبطة بفوز روجر أو ديبرا فرقًا شاسعًا، فإننى مازلت سأتلقى واحدة أو أخرى من تلك المنافع بغض النظر عما أفعله. تمامًا كما أن لعب يانصيب الأرقام الثلاثة رهان خاسر، فإن تحديدى لأى من المرشحين أصوت- وهو

(٥٤) من منظور ارتقائى، فإن توافر الحبر والورق لعدة آلاف من السنين لن يكون على أية حال كاف للمخ البشرى لأن يتكيف عليه. حيث إنه من الناحية الوظيفية، فإن العقول التى تستخدمها جميعًا اليوم لصنع القرار قد تطورت فى وقت كان فيه أفضل أسلافنا يمكن أن يفعلوه أى فيما يتعلق بالحسابات كان يقوم بعلامات قليلة فى التراب بعصا- إذا كان هذا النشاط قد حدث لأى أحد (المؤلف)

ما سيئول حقيقةً إلى الاقتراعات ككل- وفقًا لمقاربة الاختيار العقلانى، يعد نشاطًا غير عقلانى. وهذه المحاجة يمكن أن تُمَد على استقامتها (انظر مثلاً: Meehl, 1977)، إلا أن الطريقة الوحيدة التى يمكن أن تصان بها "العقلانية" هى من خلال تبنِّى المفهوم الاقتصادى "التفضيلات المتكشفة": طالما أن الناس يصوتون بالفعل فإننا نعرف أن المنفعة من التصويت تفوق التكلفة، باعتبار أن ترسيخ مفاهيم مثل ضرورة أن يقوم المرء بأداء واجبه الوطنى Civic duty قد جعل التصويت يعتبر منفعة عظيمة (Riker & Ordeshook, 1968). وللأسف فإن هذا "الحل" سرعان ما يجعل المقاربة ككل محض رطانة[٥٥].

إن كثيرًا من الناس، بالرغم من ذلك، يلعبون اليانصيب أسبوعيًا، ويضيقون بعملية التصويت فى الانتخابات، وهو ما يشير إلى أحد شيئين: إما أن كثيرًا من الناس غير عقلانيين، أو أن منظور الاختيار العقلانى مَعيب نوعًا ما[٥٦]. والعيب فى اعتقادى ليس فى افتراض أن الناس يريدون أن يكونوا عقلانيين، بل فى ادعاء أنهم يقومون باتخاذ قراراتهم بالطريقة الواجبة فى حالة كونهم سيضمنون اتخاذ القرار المعظّم للقيمة. ويصور "مارش" March (1994) هذه القضية بدقة عندما يسأل هل يتبع "صانعو القرار منطق المترتبات، فيقومون بالمفاضلة بين البدائل وفقا لأولوية تقييم ما يترتب عليها"؟ (p. viii). إن "منطق المترتبات" لا يعبر ببساطة عن كيفية اتخاذ الناس لمعظم القرارات فى كل جوانب حياتهم، بما فى ذلك الجانب السياسى.

---

(٥٥) لعرض أكثر بلورة وتفصيلاً لهذه المحاجة، انظر: Green and Shapiro (1994)، وللاطلاع على جوهر المحاجة انظر أيضًا: Simon (1985, 1995)، وللاطلاع على استجابات مختلفة لهذه المحاجة من منظور الاختيار العقلانى، انظر: Aldrich (1993) or Friedman (1995) (المؤلف)

(٥٦) توفر نظرية "كاهنمان" و"تفيرسكى" Kahneman and Tversky's (1979; Tversky & Kahneman 1992) إطارًا بديلاً يناسب على نحو أفضل فى تفسير نمذجة السلوك الذى يبدو "غير عقلانى" مثل لعب اقتراع الأرقام الثلاثة (انظر: Levy, 1997, and chapter 8). (المؤلف)

ومقاربة المنفعة الذاتية المتوقعة للاختيار العقلانى لا ينبغى أن تحتاج إلى تطبيقها كوصف سلوكى لكيفية اتخاذ الناس أو المنظمات للقرارات. كما لا يجب لهذا القصور أن يلغى جوانب المنظور الأكثر جاذبية والمتمثل فـى مضمونها المعيارى القوى. وإذا كان لصانع القرار أن يتبع ما تمليه مقاربـة الاختيار العقلانى، فعليه أن يكون متأكدًا من أنه سوف يتخذ القرار "الأفضل" بالنسبة له. وبناءً على افتراضات معينة معقولة وغير قابلـة للجـدل، مثـل تعظيم مصالح غالبية الناس، فإن عقلانية صنع القرار الفردى يمكن أيـضًا "تجميعها" للتوصل إلى أحكام معيارية حول الترتيبات المؤسـساتية لـصنع القرار (انظر: Jones, 1994).

نظرية القرار السلوكية

فى مقابل التركيز على الجوانب المعيارية فى النظريـة الكلاسـيكية لاتخاذ القرار، نجد أن نظرية القرار السلوكية يجرى التعامل معهـا دائمًـا باعتبارها تهدف بالأساس إلى وصف وفهم الطريقة التى يقوم بها الناس فعليًا باتخاذ قراراتهم. كما أن كافة دراسات صنع القرار فى عالم الواقع تشير إلى أنه يندر الإحاطة بجميع البدائل، أو وضع جميع النتائج فى الاعتبار، وكذلك جميع القيم المطروحة فى وقت واحد. فالناس عمومًا يميلون إلى البدائل التى تكون "جيدة بدرجة كافية" بدلاً من البحث عن البديل ذى القيمة الأعظم.

وتبدأ مقاربة النظرية السلوكية فى القرار برؤيـة البـشر *كمعـالجين للمعلومات ذوى قدرة محدودة limited information processors*، يفتقدون الميل إلى أو القدرة على القيام بذلك النوع من الحسابات "التسلسلية" الموصوفة من قبل منظور الاختيار العقلانى (Anderson, 1983; Hastie, 1986; Simon, 1979).

وقد كان مصطلح "الشح المعرفى[٥٧] cognitive miser" معروفًا وشائعًا ذات يوم فى تمثيله لهذه الرؤية (Taylor, 1981)، ولكنه يعد مضللاً نوعًا ما من حيث كونه يشير إلى الانتقاء الشعورى للموارد المعرفية التى تفتقد الدقة. وربما تكون "العقلانية المحدودة Bounded rationality" التى صاغها للمرة الأولى "سيمون"[٥٨] Simon (1947, 1957)، مصطلحًا أفضل لتوصيف المعرفة الإنسانية.

الحدود المعرفية للعقلانية

ترى ما هى على وجه الدقة تلك الحدود التى تقيد معالجة المعلومات؟ يحتج لوبيا، وماكوبينس وبوبكين Lupia, McCubbins, and Popkin (2000) على أن "عقلانية سيمون المحدودة لا تقدم إلا القليل فيما يتعلق بالتحديد المنهجى لحدود العقلانية" (p. 10). ولا يمكننى تصور ما كان يفكر فيه كل من لوبيا وزملاؤه عندما كتبوا هذا، لكن ما كتبوه قد لا يكون مسرفا فى البعد عن الصواب. لقد ناقش "تشارلز تابر Charles Taber العقلانية المحدودة فى الفصل الثالث عشر على نحو أكثر شمولية، ولكن دعونى أبيّن موقع بعض

---

(٥٧) يقصد بالشح المعرفى Cognitive Miser عجز الأفراد عن التعامل العلمى المنطقى الدقيق مع الكم الهائل بالغ التعقيد من المعلومات، ومن ثم فإنهم يتجاهلون قدرا كبيرا من تفاصيل تلك المعلومات ويلجأون إلى الاستنتاجات السريعة فى تلخيص وتصنيف تلك المعلومات فى قوالب جاهزة لا تتطلب سوى قدر شحيح من المعلومات، فلا يتطلب الأمر مثلا تحليل كافة المعلومات المتاحة عن فرد معين والاكتفاء بمعرفة خاصية واحدة تميزه كلون البشرة مثلا لنستغنى بها عن بقية التفاصيل وندرجه ضمن فئة عرقية محددة نتعامل معه وفقا لذلك (المراجع)

(٥٨) هربارت الكسندر سيمون (١٩١٦-٢٠٠١) عالم أمريكى حاصل على جائزة نوبل فى الاقتصاد عام ١٩٧٨. جمع بين علم النفس والرياضيات والاقتصاد فضلا عن ريادته فى مجال الذكاء الاصطناعى، وتعبر فكرته عن العقلانية المحدودة Bounded rationality عن عجز الأفراد عن التعامل بعقلانية كاملة فى اتخاذ قراراتهم، ومن ثم فإن تلك القرارات تبتعد بدرجة كبيرة عن العقلانية مقتربة من الاعتماد على الانطباعات الانفعالية (المراجع)

هذه القيود على العقلانية اللامحدودة omniscient؛ والتي يمكن تصنيفها كحدود مفروضة على المعالجة والاسترجاع، وتبدأ حدود المعالجة بالتوجهات الفيزيقية لأعضائنا الحسيّة. فالكائنات البشرية (و الذين تطلق عليهم ج. ك. رولنج تعبير muggles) يختلفون عن " مودى ذى العين المجنونة"، أحد أساتذة الفنون السرية فى مدرسة "هارى بوتر"(٥٩) السحرية "هوجورتس"، فليس لديها أعين يمكن أن ترى فى جميع الاتجاهات، أو أذن يمكن أن تميّز أكثر من صوت أو صوتين فى وقت واحد. وحتى بالنسبة للمناظر التى تكون شاخصة أمام أعيننا والأصوات القريبة من آذاننا، يبقى دائمًا فى مجالنا البصرى والسمعى المزيد مما يتجاوز القدرة على المعالجة، وذلك نظرا لأن كافة المنبهات القادمة يجب أن تمر عبر الذاكرة "قصيرة المدى" أو "النشطة"، وأن تلك الذاكرة قصيرة المدى لها قدرة أو سعة محدودة جدًا (حوالى ٧، زائد أو ناقص ٢، من أجزاء المعلومات؛ Miller, 1965). وهذه المرحلة التى تمثل عنق زجاجة الذاكرة قصيرة المدى تعد عمليا بمثابة القيد أو الحد الأكثر أهمية على العقلانية الكلاسيكية. ونتيجتها أن *الانتباه*، وما يؤثر فيه من عوامل، يصبح ذا أهمية حيوية بالنسبة لمعالجة المعلومات. والطبيعة المحدودة للذاكرة العاملة تحتم معالجة معظم المعلومات على التوالى، أى هدف واحد فى المرة الواحدة.

ومن هنا فإنه يمكن تخزين المنبهات بصورة تقل أو تزيد ديمومة فى الذاكرة طويلة المدى شريطة أن تكون تلك المنبهات قد عولجت عبر الذاكرة

---

(٥٩) هارى جيمس بوتر Harry James Potter هو بطل السلسلة التى تحمل نفس الاسم للمؤلفة البريطانية ج. ك. رولنغ، وتشير الرواية إلى تلقى بوتر تدريبه على السحر فى مدرسة هوجوارتس Hogwarts التى كان ضمن أساتذتها مودى ذو العين المجنونة Mad eye - Moody وهو ساحر قدير له عين سحرية تدور فى محجرها بجنون طوال الوقت، تمكنه من أن يرى أمامه وخلفه وتخترق الجدران لترى ما خلفها والأشياء التى لا تراها العين العادية وبالمقابل فإن تعبير Muggle يقصد به أولئك الذين يفتقدون أى نوع من القدرات السحرية (المراجع)

النشطة. وعادة ما تنظر إلى الذاكرة طويلة المدى باعتبارها شبكة ترابطية من العُقد nodes تكون الوصلات فيما بينها ذات سعة غير محدودة بالنسبة لجميع الأغراض العملية. ومن ناحية أخرى، فإن الاسترجاع من الذاكرة طويلة المدى، يكون بعيدًا عن الكمال إذ يتوقف على الطريقة التى تمت بها معالجة المنبه فى أول مرة (أى الأشياء الأخرى التى كان مرتبطًا بها)، وهياكل الذاكرة التى كانت موجودة مسبقًا (المخططات Schemas) والتى يمكن ارتباطه بها، ومدى تكرار وحداثة تعرض الفرد للمنبهات نفسها (مما يؤثر فى قوة الوصلات بين العقد)، وهكذا (انظر: Anderson, 1983; Hastie, 1986; Simon, 1957, 1979; Smith, 1998). إن محدودية القدرة على الاستدعاء من الذاكرة يشكك فى مصداقية أحد الافتراضات الأساسية لاتخاذ القرار بطريقة عقلانية والذى يقوم على أن وجود تفضيلات مسبقة لدى الناس فيما يتعلق بالنتائج، وأن تلك التفضيلات ثابتة نسبيًّا، وأنها متوافرة بصورة مباشرة، وفى النهاية، فإن هذه الحدود المعرفيّة تجعل من تصور الإنسان الاقتصادى[٦٠] Homo economicus باعتباره آلة حاسبة غير محدودة القدرة تصورا مبالغا فى المثالية

إذن كيف يساير الناس ذلك؟

إذا كان لدى البشر كل هذا القدر من القيود على قدرتهم على معالجة المعلومات، فكيف يمكن لهم أن يتماشوا مع عالم قد يغمر حواسهم بمنبهات لا حصر لها؟ ويظل الناس يرغبون فى اتخاذ قرارات جيدة، رغم أنهم لا يستطيعون فعل ذلك بالطريقة المُثلى كما يصفها الاختيار العقلانى. الإجابة

(٦٠) Homo economicus استخدم هذا المصطلح للمرة الأولى ستيوارت ميل فى نقد لنظريات الاقتصاد السياسى التى تنظر إلى الإنسان باعتبار أن هدفه الأسمى هو الحصول على الثروة وتنميتها وأنه مزود بالقدرات العقلية اللازمة لممارسة ذلك بكفاءة (المراجع)

أن الكائنات البشرية قد طورت عددًا من الآليات أو القواعد المعرفية للتعامل مع فيض المعلومات، وهذه الآليات بطبيعة الحال تعمل تلقائيًا أو أتوماتيكيًا بدون أى تحسب أو تدبر شعورى، ومعظمها آليات عامة تمامًا ولها تشعباتها فى كثير من جوانب الحياة الإنسانية، فعلى سبيل المثال، يبدو أن التصنيف إلى فئات - أو بعبارة أخرى التجميع - يعد خاصية أساسية للإدراك البشرى، حيث إنه عندما يتم إدراك منبهات جديدة، فإن أول شىء يحاول الناس فعله هو تصنيف تلك المنبهات ضمن مجموعة مألوفة (Cantor & Mischel, 1979; Rosch, 1978). إن بنية الذاكرة تتخذ شكل "مخطط Schema"، أو تنظيم هرمى للمعرفة فى مجال معين، يحمل عادة اسمًا لفئة، وصفات محددة لمجال المنبه، وخصائص محددة للفئة، وصلات بين كل هذه العناصر (Fiske & Taylor, 1991; Lau & Sears, 1986). وتتميز تلك المعالجة القائمة على الفئة -والمخطط- بالكفاءة المعرفية، لأنه بمجرد إدراك منبه من المنبهات باعتباره مماثلا لمنظومات معينة موجودة مسبقًا، فإن تفاصيل المنبه الجديد يمكن آنذاك أن يتم تجاهلها تقريبا، وتبنى "القيم الافتراضية" المرتبطة بذلك المخطط.[٦١] وفى هذا الصدد، يقدم كل من "كونوفر" Conover، و"فيلدمان" Feldman (1984, 1986, 1989)، و"لودج" (Hamill, Lodge, & Blake, 1985; Lodge & Hamill, 1986) كثيرًا من الأمثلة السياسية حول المعالجة القائمة على المخططات.

وبالتحول إلى الموضوع الأهم بالنسبة لهذا الفصل، فإن صانعى القرار -فيما يبدو- يبسطون من مهمتهم بثلاث طرق أساسية على الأقل، هى

---

(٦١) تنتج الكفاءة المعرفية من كون المرء قادرًا على تجاهل التفاصيل الخاصة بمنبه معين تكون حاضرة فى البيئة المعلوماتية إذا كان المنبه قد تم تصنيفه كمثال آخر لمجموعة معينة مألوفة. كما تنتج الكفاءة أو الفاعلية أيضًا من كون المرء قادرًا على عمل استدلالات قائمة على الفئة أو التصنيف حول منبه معين حتى عندما لا تكون المعلومات المفصلة موجودة فعليًا فى البيئة المعرفية أى تجنب البحث عن المعلومات الإضافية. (المؤلف)

"التفكيك decomposition، والمونتاج editing، واستخدام موجزات كشفية heuristic use.

أولاً) *التفكيك*: يشير إلى تقسيم القرار إلى أجزاء، أسهل على التقييم من القرار ككل. فالمرشح الذى يخوض منافسة على منصب سياسى قد يحاول وضع استراتيجية حملة انتخابية باتخاذ قرارات منفصلة حول الإعلان فى التلفاز، والظهور الشخصى، والمواقف من السياسات. وتفكيك المشكلة هنا يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالتخصص وتقسيم العمل الذى يعد أساسيًا لأى تنظيم ناجح.

ثانيًا) *المونتاج*: يشير إلى تبسيط القرار باستبعاد –أى تجاهل– بعض الجوانب وثيقة الصلة به. فقد يبسّط الناخبون من مهمتهم فى اتخاذ القرار بقصر انتباههم على المرشحين المألوفين، وبالتالى التخلص بفاعلية من بديل أو أكثر من بين بدائل الاختيار. ويقلص "ناخبو القضية الواحدة" من عدد "النتائج" المرتبطة بكل مرشح والتى يجب وضعها فى الاعتبار إلى عدد يمكنهم التعامل معه، وبالتالى يتجنبون بشكل كبير الحاجة إلى حل تضارب الأهداف. ويمكن لصانع القرار ببساطة أن يحصى عدد الإضافات pluses والنواقص minuses المرتبطة بكل بديل، بدلاً من محاولة وزنها حسب أهميتها أو وضع مدرج تقييمى يحتوى على أكثر من مستويين. وكل هذه الإجراءات من شأنها أن تبسّط وعلى نحو كبير اتخاذ أى قرار.

ثالثًا) *الموجزات الكشفية*: هى استراتيجيات لحل المشكلات، غالبًا ما توظف تلقائيًا أو على نحو لا شعورى فى "جعل متطلبات معالجة المعلومات الخاصة بالمهمة داخل حدود معينة" (Abelson & Levi, 1985, p. 255). إنها مختصرات معرفية، أى قياسات تقريبية لتقديم أحكام أو استدلالات معينة تفيد فى صنع القرار. وهى وإن كانت قاصرة عن البحث الكامل نسبيًا عن البدائل والنتائج المرتبطة بها مما يقتضيه الاختيار العقلانى. وقد حدد "كاهنمان"

و"تفيرسكى" Kahneman and Tversky (1972, 1973, 1984; Tversky & Kehneman, 1973, 1974) ثلاث موجزات كشفية معرفية مشتركة يوظفها صانعو القرار عوضًا عن تجميع وتحليل المعلومات المفصلة، مما يتيح لصانعى القرار أن يبسّطوا من الأحكام المركبة بتركيز الانتباه على موضوع صغير من بين جميع المعلومات المتاحة أو الممكنة. وهذه الموجزات الكشفية تشمل حالة *التوافر availability* التى تحكم على التكرار، والاحتمالية، والسببية عن طريق مدى توافر أو إمكانية الوصول إلى أمثلة ملموسة فى الذاكرة، أو مدى سهولة توليد سيناريو مُحكَم(٦٢)؛ وتشمل أيضًا *التمثيل representativeness* الذى يختص بتحديد أمثلة معينة لفئات معينة (أنماط، ومنظومات) وفقًا لمدى ملاءمة أو مضاهاة المثال الخاص للخواص الأساسية لفئة معينة بدلاً من فئة أخرى؛ وتشمل الموجزات الكشفية كذلك *التثبيت والتعديل anchoring and adjustment* فيما يتعلق بتشكيل استجابة مؤقتة ثم تعديلها عن طريق مراجعة البيانات ذات الصلة.

هذه الآليات التبسيطية الثلاثة تساعد جميعها فى حل مشكلات العقلانية المحدودة. وهى آليات عامة جدًّا تنطبق على أنواع كثيرة ومختلفة من القرارات التى يتخذها أنماط كثيرة من الناس. ونستطيع أن نتبنى منظور داروينى Darwinian ونخلص إلى أن هذه التبسيطات يجب، عمومًا، أن "تعمل" بمعنى أن تنتج معظم الوقت خيارات "جيدة بدرجة كافية". وحتى إن لم تكن تلك الاختيارات هى الأفضل، فإنها على الأقل تشجع تكاثرها، ونادرًا ما تكون سيئة بالدرجة المؤدية للانقراض. وبالرغم من ذلك، فمن الأهمية بمكان أن نقر بأن ثلاثًا من هذه الآليات التبسيطية يمكن– فى بعض الأحيان– أن تفضى إلى قرارات ضعيفة. فالتفكيك، مثلاً، يمكن أن يفضى إلى قرارات

---

(٦٢) توليد السيناريوهات السببية الممكنة أحيانًا ما يكون ميسرًا من شعور كما هو مساعد التكشف المخصص بـ "المحاكاة" (Kahneman and Tversky, 1982). (المؤلف)

محرجة عند معالجة عناصر القرار كعناصر مستقلة بينما هى فى حقيقة الأمر ليست كذلك. فالمرشحة التى تشدد على مجموعة من السياسات فى ظهورها الشخصى ومجموعة أخرى من السياسات فى إعلاناتها السياسية، إنما تقدم فى أفضل الأحوال رسالة مفككة وغير مركزة، وعلى أسوأ تقدير يمكن أن يؤخذ عليها كونها تزاوج بين سياسات متناقضة. كما يمكن للمونتاج أن يقود إلى قرارات ضعيفة، حين يمكن للجوانب المتجاهلة من القرار أن تسفر، وبطريقة تراكمية، عن نظام تفضيل جديد عبر البدائل لو أنها وضعت فى الاعتبار. كما يمكن أن تؤدى الموجزات الكشفية إلى انحيازات منظمة، عندما لا يكون العامل الذى بسببه يكون الموجز الكشفى مؤثرا بصورة عامة (مثل أن تكون الأحداث الأكثر تكرارًا أسهل فعليًا فى الاستدعاء؛ وأن تكون المؤشرات العددية لمضمون القرار معقولة) ورغم ذلك فقد لا يكون ذلك صحيحا بالنسبة لأمثلة بعينها.

إذن فصانعو القرار يواجهون مأزقًا حقيقيًا مع الحدود المعرفية. ومن ناحية أخرى، لأننا لسنا آلات حاسبة غير محدودة أو شيطانية، فإننا ببساطة *نحتاج* إلى تطوير مختصرات معرفية، وبعض وسائل تسهيل القرارات، بحيث يمكننا القيام بالاختيار، فالحصول على المعلومات ومعالجتها يمكن أن تكون مكلفة جدًا فيما يتعلق بالوقت والجهد المعرفى، فى حين أن أية مختصرات وتبسيطات نتبناها يكون لها ثمنها أيضا: فهى أحكام غير دقيقة وتقل بشكل ما عن القرارات المعظمة للقيمة. إننى أستطيع فهم كثير من النتائج المتنوعة فى النظرية السلوكية للقرارات، عن طريق الإشارة إلى أن صانعى القرار يسترشدون عمومًا بهدفين متنافسين: (١) الرغبة فى اتخاذ قرار جيد؛ و(٢) الرغبة فى التوصل إلى قرار بأقل جهد معرفى ممكن (انظر، على سبيل المثال: Hogarth, 1975; Payne, Bettman, & Johnson, 1993; Shugan, 1980; Wright, 1975).

وهذه الرؤية تقود إلى تمييز آخر مهم بين مقاربة الاختيار العقلاني ومقاربة النظرية السلوكية فى القرار. فمقاربة الاختيار العقلانى تركز الانتباه على *بنية* أو *عناصر* القرار – البدائل المتعددة، وقيمة النتائج المختلفة المرتبطة، وبنسبة احتمال معينة، بكل بديل. ونظريات القرار السلوكية، فى المقابل، تكون أكثر اهتماما بالعمليات الديناميية *لكيفية صنع القرار*، وبالبحث عن المعلومات، وباستراتيجيات المفاضلة بين البدائل. وليس من قبيل المفاجأة أن باحثى النظرية السلوكية للقرار قد طوروا منهجيات ملائمة على نحو خاص لملاحظة صنع القرار، مع الافتراض الأساسى بأن الطريقة الأفضل لدراسة صنع القرار هى ملاحظة القرار أثناء عملية اتخاذه أو صنعه (Svenson, 1979). وهذه المنهجيات *المتتبعة للعملية* تستقصى المعلومات التى تم الحصول عليها والأسلوب المتبع للحصول عليها لاستخلاص الاستراتيجيات المتبعة فى صنع الاختيار.

منهجيات تتبع العملية لدراسة صنع القرار

لقد اتبع أصحاب النظرية السلوكية فى صنع القرار استراتيجيتين أساسيتين لدراسة القرارات "أثناء حدوثها: استراتيجية البروتوكولات الشفهية Verbal Protocols واستراتيجية اللوحات المعلوماتية Information Boards". وتعنى البروتوكولات الشفهية، أن يطلب من صانع القرار "التفكير بصوت عال" أثناء اتخاذه للقرار، معبرا جهرا عن "كل فكرة عابرة" (Ericsson & Simon, 1984). ومن هنا يفترض فى صانع القرار قدرته على أن يفصح عن محتويات ذاكرته العاملة وقت صنع القرار(٦٣).

---

(٦٣) تستغرق المسألة بعض الممارسة للقدرة على عمل هذا بدون التداخل بصورة ملحوظة مع صنع القرار نفسه. وقد ميّز إريكسون Ericsson وسيمون Simon بين التعبير اللفظى المصاحب، حيث يحاول صانعو القرار التعبير عن أفكارهم وقت اتخاذهم للقرار. والبرونوكونات اللفظية الاسترجعية، حيث يحاول صانعو القرار وصف العمليات المعرفية التى حدثت سابقا زمنيًا. ولا ينبغى للعملية الأخيرة أن=

وتعتبر البروتوكولات الشفهية تكنيكًا ممتازًا للبحث الاستكشافى، لتطوير نماذج لكيفية تصرف الناس فيما يتعلق باتخاذ نمط معين من القرارات. ومع ذلك، ولأن التقارير الشفهية تعد أقل قابلية للتحديد الكمى بسهولة، فإن البروتوكولات الشفهية تعد عمومًا تكنيكًا أقل قوة لاختبار الفروض.

التكنيك الرئيسى الثانى لتعقب العملية لدراسة صنع القرار هى لوحة المعلومات (Carrol & Johnson, 1990) فإذا كانت دراسة البروتوكولات الشفهية تشبه التنصت السمعى على القرار خلال اتخاذه، فإن لوحات المعلومات تعد أكثر شبهًا بالتلصص البصرى لأنها تضع أمام متخذ القرار نوعا من المصفوفة على شاشة الحاسب، حيث تمثل أعمدة المصفوفة البدائل المطروحة أمام متخذ القرار، فى حين تكون الأعمدة بمثابة المواصفات المختلفة للاختيار (أى النتائج المرتبطة بكل بديل). وتكون خلايا المصفوفة خالية بيضاء حيث لا تظهر أية بيانات عن البدائل أو نتائجها إلا إذا ضغط متخذ القرار بفأرة الكمبيوترعلى إحدى الخلايا فتظهر له المعلومات الخاصة بها، أى أن عليه أن يحدد ما الذى يريد أن يعرفه ليتخذ قراره. وهكذا فإن كل فعل يقوم به صانع القرار يسجل عن طريق الكمبيوتر، بحيث نجد فى النهاية سجلاً كاملاً يحتوى على ما احتاج صانع القرارلمعرفته، ومقدار الاهتمام الذى أولاه لكل معلومة، والتسلسل الذى اتبعه فى اختيار تلك المعلومات.

استراتيجيات القرار

استراتيجية القرار هى مجموعة العمليات العقلية والجسمية التى

- تعتبر منهجية لتعقب المعالجة على الإطلاق، فهى يجب أن تعتمد على الذاكرة طويلة المدى وليس قصيرة المدى، والناس ويكون الناس فقراء بصورة سيئة بعد المقررين عن الحقيقة عما أثر فى سلوكهم (Nisbett & Wilson, 1977). ويمكن للناس أن يعطوا تبريرًا عقلانيًا مقنعًا لسلوكهم، ولكن تفسيراتهم قد تكون مرتبطة بعض الشىء بسبب قيام الناس فعليًا بما قاموا به. (المؤلف)

يستخدمها الفرد للوصول إلى قرار. وهى عمومًا تتضمن تحديد البدائل، والبحث عن المعلومات حول النتائج الممكنة المرتبطة بالبدائل المختلفة، والقيام بوضع أحكام احتمالية حول احتمال حدوث هذه النتائج المختلفة، والبحث فى الذاكرة لتحديد قيمة كل من هذه النتائج وأهميتها فى سياق معين، وهكذا. واستراتيجية القرار تتضمن أيضًا طريقة للاختيار من بين البدائل. ومع طرق تعقب العملية -التى أشرنا إليها آنفا- يكون من الممكن ملاحظة استراتيجيات القرار أثناء اتخاذه.

وقد تبنى أصحاب النظرية السلوكية فى صنع القرار عددًا من الاستراتيجيات المختلفة أو "القواعد" التى يمكن استخدامها من قبل صانعى القرار للوصول إلى قراراتهم. وتختلف هذه الاستراتيجيات من حيث مدى صعوبة استخدامها، وقدر المعلومات المتوافرة التى تضعها فى الاعتبار، واحتمالية التوصل إلى "أفضل" قرار. وسوف أشير إلى الاستراتيجيات التى توظف جميع المعلومات المتوافرة بصفتها *قواعد Rules* القرار وتلك التى تتجاهل بعض المعلومات بصفتها *موجزات Heuristics* [٦٤] القرار.

والطريقة الرئيسية لتصنيف استراتيجيات القرار فى أدبيات النظرية السلوكية هى مدى مواجهتها أو تجنبها للصراع (Billings & Marcus, 1983; Ford, Schmitt, Schechtman, Hults, & Doherty, 1989). وعندما يتم تفضيل بديل من البدائل على بعد من أبعاد الحكم، ويتم تفضيل بديل آخر وفق بعد آخر، يصبح احتمال تضارب القيم أو المقايضات[٦٥] قائمًا[٦٦].

---

(٦٤) انظر الهامش رقم ٤٥ فى الفصل الأول (المراجع)

(٦٥) المقصود هو أنه فى حالة الصراع بين بديلين مفضلين أو مايعرف بصراع موجب-موجب يصبح أحد الحلول المحتملة الجيدة هو التضحية بأحد البديلين ولو مؤقتا بدلا من التعرض لخسارتهما معا فى حالة استمرار المفاضلة بينهما مع استمرار الصراع فيما يشبه أسطورة حمار بوريدان التى تروى أن حمارا أنهكه الجوع والعطش وقد وضع إلى يمينه دلو ماء وإلى شماله رزمة قش، وبقى مترددا هل يأكل أولا أم يشرب حتى نفق (المراجع)

(٦٦) إذا كان بديل من البدائل محل تفضيل على كل أبعاد الحكم، فيقال إنه يسيطر على البدائل الأخرى (Dawes, 1998)، ومن ثم لا يكون هناك صراع أو تضارب فى صنع القرار (المؤلف)

- تعد الاستراتيجيات *التعويضية* *Compensatory* من القواعد المركبة معرفيًا لدمج المعلومات، حيث يفترض أن يحدد صانعو القرار قيمة معينة لكل خاصية مرتبطة بكل بديل من بدائل الاختيار، ويمكن أن تكون بعض هذه القيم إيجابيا وبعضها الآخر سلبيًا، وعندما تجمع معًا فى تقييم عام أو قرار كلى، فإن القيمة الإيجابية وفق بعد من الأبعاد يمكن أن *تعوض* أية قيمة سلبية على بعد آخر. وبذلك تتم مواجهة الصراع وحله من خلال عملية دمج المعلومات الإيجابية والسلبية أو القيم المرتبطة بالاختيار. وبذلك فإن الاستراتيجيات التعويضية تسعى للحصول على نتائج "ذات عائد له قيمة"، ولتجنب الخلط، يمكن أن نستعمل مصطلح "المنفعة" بمعنى أنها تقوم على حساب المنفعة.
- وفى المقابل تكتفى الاستراتيجيات غير *التعويضية* *Noncompensatory*، لتجنب الصراعات بالاعتماد على المعلومات غير المكتملة، فالقيم السلبية حول خاصية أو نتيجة محتملة لا يمكن أن تُقايَض مقابل قيم إيجابية حول خاصية أو نتيجة أخرى؛ وبدلاً من ذلك، عادة ما تلغى البدائل التى تتوافر عنها معلومات سلبية، مهما كانت قيمتها حيث لا تؤخذ المنفعة فى الحسبان.

وتشير نتائج العديد من البحوث إلى أن معظم صانعى القرار يحاولون – فى أغلب الوقت– تجنب الاستراتيجيات التعويضية (Hogarth, 1987; Jervis, 1976)، رغم أن هذا التجنب يزيد من احتمال الحصول على قرارات أقل دقة. وفيما يلى سنراجع استراتيجيات القرار الرئيسية.

استراتيجيات القرار التعويضية

تمثل *قاعدة الإضافة الموزونة* *weighted additive rule* وقاعدة المنفعة المتوقعة expected utility شكلين أساسيين للاختيار العقلانى ومن ثم يعتبران

بمثابة قاعدتين معياريتين. وكلاهما تشيران إلى أن صانعى القرار يقيّمون كل بديل وفقًا للمنافع الخاصة بكل الخواص أو النتائج ذات الصلة به، ومن خلال التقييم الكلى للبدائل كلها، ثم اختيار البديل الأعلى تقييمًا. وقد يكون نموذج الانحدار الخطى[٦٧] linear regression بمثابة المثال الأدق لتلك الاستراتيجية. وتفترض قاعدة الإضافة الموزونة أن صانعى القرار أكثر اهتمامًا بالأهمية النسبية لكل خاصية، فى حين تفترض قاعدة المنفعة المتوقعة اهتمام صانعى القرار باحتمالية حدوث كل محصلة أو نتيجة. ومن ثم فإن القاعدتين، تتضمنان قدرًا كبيرًا من التركيب المعرفى، وتفترضان معًا أن الصراعات إنما تتم مواجهتها وحلها عبر الأوزان أو الاحتمالات المختلفة.

أما موجزات *الأوزان المتساوية* ***equal weights heuristic*** فهى رؤية مبسطة من قاعدة الإضافة الموزونة والمنفعة المتوقعة، حيث يفترض أن تكون الأوزان و/أو الاحتمالات جميعًا مساوية لـ واحد صحيح (١٠٠). وتعتبر موجزات الأوزان المتساوية أقل تركيبيا من أى من القاعدتين السابقتين، بالرغم من أن القاعدة تفترض أن جميع الخواص ذات الصلة تكون محل الاهتمام فيما يتعلق بالبديل، وأنه ينبغى مواجهة الصراعات وحلها عن طريق التوافق. وبسبب المعلومات التى يتم تجاهلها (أى أوزان واحتمالات الأهمية)، فإن قاعدة الأوزان المتساوية لا تتطابق تمامًا مع أى من قاعدتى الأوزان الإضافية أو المنفعة المتوقعة من حيث التوصل إلى القرار الذى يحقق الوصول إلى أعلى قدر من القيمة، وبالرغم من ذلك فإن العديد من الباحثين يرون أن قاعدة الأوزان المتساوية تتسم عمليا بنفس دقة القاعدتين السابقتين تقريبا (Dawes, 1979; Einhorn & Hogarth, 1975).

---

(٦٧) الانحدار الخطى linear regression مصطلح إحصائى لا علاقة له بتعبير الانحدار الشائع الذى يعنى الحركة من أعلى إلى أسفل، بل يعنى رصد بيانى إحصائى لحركة متغير معين، فإذا ما اتخذت تلك الحركة خطا أقرب للاستقامة أصبحنا حيال انحدار خطى. فإذا ما ابتعد ذلك المسار عن الاستقامة واقترب من الانحناء أصبح الانحدار غير خطى nonlinear (المراجع)

وتأتى استراتيجية حساب تكرارات *الموجزات الخاصة بالملامح الجيدة والسيئة* *frequencies of good and bad features heuristic* لتمثل استراتيجية أبسط من الاستراتيجيات السابقة، إذ لا تتجاهل الأوزان والاحتمالات فحسب، بل أيضًا التمييزات الدقيقة للمنفعة (Alba & Marmorstein, 1987). ويفترض أن تكون خاصية كل حكم ذات مستويين فقط، جيد وسيئ، وعلى صانعى القرار أن يحصوا ببساطة عدد الملامح الجيدة والسيئة المرتبطة بكل بديل، وهنا تختفى أية مشكلات متعلقة بعدم التناسب.

قاعدة تجميع الفروق *additive difference rule* وهى من الناحية المنطقية مساوية لنموذج الإضافة Add model. حيث يكون على صانعى القرار مقارنة البدائل المتعلقة بكل خاصية معينة على حدة وحساب وتجميع الفروق بين البدائل. وكما هو الخال مع قاعدة الجمع الموزون يفترض وضع جميع المعلومات فى الاعتبار، ووزن الاختلافات وفقا لأهميتها النسبية لدى صانعى القرار. فإذا توافر أكثر من بديلين، فإن الأمر يصبح أكثر تعقيدًا، ولكن "آشنبرينر" Aschenbrenner، و"بوكنهولت" Bockenholt، و"آلبرت" Albert، و"شمالهوفر" Schmalhofer (١٩٩٦) أشاروا إلى أسلوب أكثر إقناعا فى إطار هذه القاعدة، حيث تجرى المقارنة بين بديلين، وإلغاء البديل الخاسر ثم مقارنة البديل الرابح بطريقة زوجية مع بديل ثالث، وهكذا، حتى يتم تحديد البديل الأفضل.

موجزات غالبية الأبعاد التوكيدية *majority of confirming dimensions heuristic* هى صيغة مبسطة من قاعدة تجميع الفروق، حيث تجرى مقارنة بسيطة بين بديلين على أساس أيهما أفضل فحسب، ثم مقارنة البديل "الأفضل" ببديل جديد، وهكذا حتى يتم النظر فى جميع البدائل.

استراتيجيات القرار غير التعويضية

الموجزات الكشفية المؤدية للغرض أى التى تيسر الوفاء بالغرض دون التمسك ببلوغ الكمال ***satisficing heuristic*** (SAT) [٦٨] تعد من أشهر موجزات اتخاذ القرار ورودًا فى أدبيات النظرية السلوكية (Simon, 1957). وهى تفترض أن صانعى القرار يضعون مستويات لما يطمحون إليه بالنسبة لكل خاصية من خواص الحكم التى تعنيهم، ثم ينظرون فى البدائل المطروحة بديلا تلو الآخر بترتيب عشوائى، ويستمرون فى ذلك إلى أن يتم تحديد بديل يلبى أو يتجاوز مستوى الطموح المفترض بالنسبة لكافة المحكات، عندئذ يتوقف البحث ويتم اختيار هذا البديل. أما إذا لم يسفر البحث عن العثور على مثل هذا البديل، عندئذ يتم النزول بمستوى الطموح، وإعادة الكرة من جديد إلى أن يتم العثور على البديل الذى "يفى بالغرض" بالنسبة لمحكات كافة الخواص، ولذلك يطلق على مثل تلك الاستراتيجيات استراتيجياتٌ رابطة، إذ تقوم على عمليات معرفية بسيطة نسبيًا متجنبة الصراع والتضارب بالبحث عن بديل مناسب لكل معيار من معايير الحكم دون مقارنة البدائل ببعضها البعض. والحقيقة أن بعض البدائل قد يتم تجاهلها تماما، كذلك فإنه ليس من ضمان لاختيار شىء مقارب للبديل "الأفضل". ومن الواضح أن الترتيب الذى يتم النظر به فى البدائل يمكن أن يحدد البديل الذى سيقع عليه الاختيار.

الموجزات الكشفية المعجمية ***lexicographic heuristic*** تضع فى الاعتبار قيمة كل بديل على أساس أهم خاصية للحكم، ثم تنتقى البديل ذا القيمة الأعلى (Tversky, 1969). وإذا كان بديلان أو أكثر مرتبطين بناءً على أعلى قيمة،

---

(٦٨) Satisficing مصطلح نحته هربارت سيمون من كلمتى: يشبع Satisfy ويفى بالغرض Suffice ولذلك لم نشأ أن نكرر النحت بالعربية فنصطنع تعبيرا ثقيلا يجمع بين الكلمتين، فآثرنا ترجمة المعنى (المراجع)

فإنه يتم مقارنة البدائل الباقية على أساس الخاصية الثانية من حيث مستوى الأهمية، وهكذا حتى تتبقى خاصية واحدة فقط.(٦٩) ويمكن لقاعدة الموجزات الكشفية المعجمية أن تتضمن عمليات معرفية أكثر تعقيدًا فى حالة وجود بدائل كثيرة ضمن مجموعة الاختيار، ولكنها تنتج فى الوقت نفسه مدخرات معرفية عن طريق تقييد عدد الخواص الموضوعة فى الاعتبار إلى عدد قليل نسبيًا. ويتم تجنب الصراع عن طريق تناول الخواص بواقع خاصية واحدة فى كل مرة، وإلغاء البدائل غير المفضلة بالنسبة للخاصية محل الاعتبار، وفى هذه الحالة فإن أى عدم تناسب بين الخواص لا يمثل مشكلة. ومرة أخرى لا يوجد ما يضمن التوصل إلى القرار "الأفضل"، حيث إنه يمكن لبديل أن يفضَّل بديلاً آخر بالنسبة للمحك الأكثر أهمية حين يكون أعلى منه بالنسبة لجميع المحكات الأخرى. ومع ذلك، ففى الممارسة حين تكون تفضيلات صانع القرار مهيكلة بطريقة متعارف عليها (كأن يكون لدى الناخب مواقف ليبرالية، أو محافظة، متسقة بخصوص مجموعة من القضايا السياسية) وتكون البدائل بالمثل مهيكلة بطريقة نمطية (المرشحون الديمقراطيون يتخذون فى الغالب مواقف ليبرالية، والجمهوريون يتخذون مواقف محافظة)، فإن قاعدة الموجزات الكشفية المعجمية عادة ما ستختار البديل "الصحيح". (للاطلاع على مثال لحالة لا ينطبق عليها ذلك، انظر: Lau & Redlawsk. 2001a.).

---

(٦٩) أحيانًا ما تجمع موجزة الكشف المعجمية مع المفهوم السيكولوجى "الفروق الملحوظة" والتى تقر بأن القدرات البشرية الإدراكية لا يمكن أن تميز بين مستويات كثيرة متميزة على أساس معظم أبعاد الحكم. ومن ثم فإن البدائل تختار وقتها إذا كانت "أكبر" من مجرد الفروق الملحوظة وأفضل من البدائل الأخرى. وهذا ما يسفر عن المزيد من "الروابط" عند تطبيق الموجزات الكشفية المعجمية، والتى يمكن أن تقود إلى تجاوزات فى التفضيلات مثل أن يكون الاختيار (أ) مفضلاً عن الاختيار (ب)، و(ب) مفضلاً عن الاختيار (ج) ولكن (ح) مفضل عن الاختيار (أ) (انظر: Payne et al., 1993). وتفترض استراتيجية تكرار الموجزات الكشفية للملامح الجيدة والسيئة وكذلك الموجزات الكشفية المعجمية أن صانعى القرار ينظرون فقط فى فروق ملحوظة واحدة بالنسبة لجميع خواص الحكم، وأن قيمتين اثنتين فقط- جيد أو سيء، مشبع أو غير مشبع- هما المحتملتان. (المؤلف)

الموجزات الكشفية القائمة علـــى الاســـتبعاد ***elimination-by-aspects heuristic***، وهى تجميع لاستراتيجيات *الموجزات الكشفية المؤديـــة للغـــرض والمعجمية*، وهى عامة أبسط من كليهما (Tversky, 1972). فكما يفترض فى حال الموجزات الكشفية المعجمية يقوم صانعو القرار بترتيب خواص الحكم فى ضوء الأهمية، وينظرون فى الخاصية الأكثر أهمية أولاً. وكما يفتـــرض فى حال الموجزات الكشفية *المؤدية للغرض* يكون لديهم ما يـــشبه مـــستوى الطموح لكل خاصية، ويتم إلغاء البدائل التى تلبـــى أو تتجـــاوز، مـــستوى الطموح، ويستمر الإجراء مع خواص إضافية للحكم بترتيب تنازلى للأهمية حتى يظل هناك بديل واحد. ومثل *الموجزات الكـــشفية المؤديـــة للغـــرض والمعجمية* نجد الموجزات الكشفية القائمة على الاســـتبعاد تتجنـــب حـــدوث الصراعات بإلغاء البدائل.

وتعد التوصيفات السابقة لاستراتيجيات القرار المختلفة أقرب بطبيعـــة الحال للحسابات المثالية، ومن ثم فسوف يكون من النادر أن نجدها فى الواقع بهذه الصورة النقية(٧٠). وقد يتساءل المرء وقتئذ: كيف لـــك أن تخبرنـــا أى الاستراتيجيات يستخدمها صانع القرار؟ ومن النتائج البحثية المهمة جدًا لكثير من البحوث الخاصة بالنظرية السلوكية فى القـــرار، أن النمـــاذج المختلفـــة للحصول على المعلومات تعكس بوضوح استراتيجيات اختيار متميزة. حيث تعد ملاحظة كيف يحصل الناس على المعلومات واحدة من مفاتيح الفهم لأى

---

(٧٠) حاول كل من "تابر" و"ستينبيرجن" Taber and Steenbergen (1995) قولبة العديد من اســـتراتيجيات القرار النقية بواسطة إجراء أطلقا عليه تعقب العملية الحاسبية بغرض التنبؤ بالخيارات التى يقوم بهـــا الأشخاص فى دراسة انتخابات تمثيلية. لم يتم تجميع بيانات عـــن تعقـــب العمليـــة، ولكـــن "تـــابر" و"ستينبيرجن" عرفا المعتقدات السياسية للمفحوصين وأى من المرشحين المفترضين يفضلون. حيـــث سأل الباحثان: "لو استخدم المفحوصون هذه الاستراتيجية، أى اختيار قاموا به؟" ولسوء الحـــظ فـــإن جميع هذه القواعد التى وضعها "تابر" و"ستينبيرجن" كحل الاعتبار أبلت بـــلاءً حـــسنًا فـــى التنبـــؤ بخيارات الناخبين الفعلية، وهو ما يجعل من الصعب استخدام هذه الطريقة لتحديد أى الاســـتراتيجيات كانت الأكثر احتمالاً للتوظيف. (المؤلف)

قرار، وهو ما يلقى بدوره الضوء على قواعد القرار أو مــوجزات الكــشف التى يتبعها الناس فى القيام باختياراتهم.

معايير البحث عن المعلومات

توفر لوحات المعلومات قدرًا كبيرًا من المعلومـــات المفــصلة حــول عملية صنع القرار، وبخاصة فى البحث عن المعلومـــات. فـــإذا تخيلنـــا أن صانعى القرار آلات حاسبة لا محدودة تبحث عن جميـــع المعلومـــات ذات الصلة وتعالجها، فإن ترتيب توالى الحصول على تلك المعلومـــات ســـيكون غير ذى موضوع. أما إذا كان متخذو القرار ذوى قدرة بشرية محدودة فـــى هذا المجال وأن عليهم فى أغلب الأحوال اتخاذ قراراتهم قبل الحصول على جميع المعلومات الممكنة، حينئذ يكون طلب تحــصيل المعلومـــات مهمًـــا. وبتوضيح أكثر، فإن قدر المعلومات المتحصل عليه يؤثر على الاختيار. كما أن المعلومات الأقل وضوحًا بطريقة أو بأخرى، وحتى الـــتحكم فـــى قـــدر المعلومات، وكيفية ورودها إلى صانع القرار قد يؤثر أيضا فـــى الاختيـــار. وكما لخصنا فى الجدول ٢-٣، فإن كل استراتيجية من استراتيجيات القـــرار التى ناقشناها فيما سبق تحدد عمقًا وترتيبًا معيّنين للبحث عن المعلومات. ذلك أنه إذا كان فى مقدورنا تطوير إجراءات قياسية للبحث عن المعلومات، فـــإن هذه الإجراءات يمكن استخدامها للاستدلال علـــى الاســـتراتيجية المناســـب توظيفها من بين استراتيجيات القرار.

ولننظر أولاً فى عمق البحث عن المعلومات؛ فمن الناحيـــة المنطقيـــة ينبغى الحصول على جميع المعلومات ذات الصلة بكل بديل وذلك نادرًا مـــا يحدث، ولكن مع لوحات المعلومات يصبح من السهل حساب نـــسبة جميـــع البدائل المأخوذة فى الاعتبار، وجميع الخواص محـــل الاهتمـــام، وجميـــع المعلومات الممكنة حول كل بديل منظور، إلى غير ذلك مما يتعلق بجميـــع

المعايير المقبولة لعمق البحث عن المعلومات. علمًا بأن جميع استراتيجيات القرار التعويضية التى تناولناها تفترض أن جميع المعلومات ذات الصلة حول كل بديل سوف توضع فى الحسبان، ومن ثم سيكون البحث عميقًا نسبيًّا. هذا فى حين أن كل استراتيجية من استراتيجيات القرار غير التعويضية تتيح كثيرًا من البحث الأقل عمقا، بالرغم من أن مجموعة الاختيار ومستويات الطموح يمكن أن تبدو كما لو أن جميع المعلومات قد تم وضعها فى الاعتبار قبل التوصل إلى بديل مُرْض، أو إلغاء جميع البدائل فيما عدا بديلاً واحدًا فقط.

ويجب أن نضع فى الاعتبار ترتيب أو تسلسل اكتساب المعلومات التى تم تجميعها. فبغض النظر عن حجمها، فإن تسلسل البحث يمكن أن يكون مرتبا نسبيا، أو عشوائيًا بدرجة كبيرة. وفى حالة لوحات المعلومات يمكن دراسة الأمر بشكل منظم اعتمادا على آلية "تحليل التحول transition analysis" (Jacoby, Chestnut, Weigl, & Fischer, 1976).

وهناك نمطان للبحث المرتب، هما:

أولاً) بحث يقوم على البديل *alternative-based* (بشكل أكثر تحديا فإنه يقوم على العلاقات المتبادلة بين البدائل وكذلك بين الخواص) ويسمى أحيانًا "بحث كلى" holistic، حيث ينظر صانعو القرار فى البدائل المختلفة واحدًا تلو الآخر. وباتباع الناخب لهذه الاستراتيجية فى البحث، فإنه يصبح على علم بكافة مواقف أحد المرشحين، وخبراته السياسية، وقيمه الشخصية، وبأى شيء يعتبره مهمًّا، قبل محاولة الإلمام بالمعلومات نفسها حول مرشح ثانٍ، وهكذا دواليك، حتى يتم له استكشاف جميع المرشحين المتنافسين. علمًا بأن جميع استراتيجيات القرار التى ذكرناها سابقًا تضطلع بالبحث نفسه القائم على البديل.

ثانيًا) البحث *القائم على الخاصية* *attribute-based* (ما بين الخواص، ما بين البدائل) أحيانًا يسمى "بحث الأبعاد"، حيث يختار صانع القرار خاصية مـــا للنظر فى القيم الخاصة بكل مرشح من المرشحين، وبالمقارنة بينها فيما يتعلق بالقضية المطروحة، وقبل الانتقال إلى خاصية أخرى ومقارنة جميع البـــدائل المتنافسة. وتستخدم جميع استراتيجيات القرار هذا البحث القائم على الخاصية.

ثم يأتى البحث العشوائي/الاعتباطى ليمثل كل ما عدا ذلك- التحولات ما بين الخواص، وما بين البدائل.(٧١)

جدول ٢-٣

خواص استراتيجيات القرار المختلفة

قاعدة القرار	النمط	عمق البحث	تباين البحث	تسلسل البحث	الجهد المعرفي
قاعدة الإضافة الموزونة أو قاعدة المنفعة المتوقعة	تعويضية	عميقة جدًا	متساوية	قائمة على البديل	مرتفعة جدًا
موجزات الأوزان المتساوية	تعويضية	عميقة	متساوية	قائمة على البديل	مرتفعة نوعًا ما
تكرار الموجزات الخاصة بالملامح الجيدة والسيئة	تعويضية	عميقة	متساوية	قائمة على البديل	مرتفعة جدًا
قاعدة الإضافة الموزونة	تعويضية	عميقة جدًا	متساوية	قائمة على الخاصية	مرتفعة نوعًا ما
موجزات أغلبية الأبعاد التوكيدية	تعويضية	عميقة	متساوية	قائمة على الخاصية	مرتفعة نوعًا ما

(٧١) نوع آخر ممكن من التحول: ما بين الخواص، وما بين البدائل، أى إعادة الوصول إلى نفس البند مـــن المعلومات. فوقتما يحدث هذا النمط من التحول يمكن عادة أن يعتبر خطأ عشوائيًا. (المؤلف)

الموجزات الكشفية المؤدية للغرض	غير تعويضية	من ضحلة إلى عميقة	غير متساوية عمومًا	قائمة على البديل	منخفضة نوعًا ما
الموجزات الكشفية المعجمية	غير تعويضية	ضحلة عمومًا	غير متساوية عمومًا	قائمة على الخاصية	منخفضة نوعًا ما
الموجزات الكشفية القائمة على الاستبعاد	غير تعويضية	ضحلة عمومًا	غير متساوية عمومًا	قائمة على الخاصية	منخفضة

إن معظم البحوث التى تتم مع لوحات القرار تهتم بالتوزيع النسبى للبحث القائم على البديل وعلى الخاصية، مع كون الأخير عادة ما يعتبر الأسهل من الناحية المعرفية (Russo & Dosher, 1983; Rahn, 1993). وينجم عن هذا التركيز قدر من الغموض على الركيزة الأساسية المتمثلة فى أن أيًا من أنماط البحث المرتبة يجب أن يكون أكثر بساطة معرفيًّا من البحث الاعتباطى. وعندما يكون الحصول على المعلومات تحت التحكم الكامل لصانع القرار، مثلما هو الحال مع لوحات القرار، فإن الأغلبية العظمى لجميع التحولات تكون مرتبة، كما حددناها سابقًا (Jacoby, Jaccard, Kuss. Troutman, & Mazursky , 1987; Pay & Braunstein, 1978)، وهو ما يعكس الهدف اللازم لدى صانع القرار والمتمثل فى تقليل الجهد المعرفى إلى أقل مستوى. ويمكن للمعلومات المرتبة أن تعالَج وتخزَّن بصورة أكثر كفاءة، وينبغى أن تكون معينًا كبيرًا من معينات صنع القرار. وعندما لا يكون التحصل على المعلومات واقعًا تحت السيطرة الكاملة، فإن التسلسل الذى ترِد فيه المعلومات يصبح متوافرًا. كما أن بنية المعلومات فى البيئة، وقدرة صانع القرار على إعادة بناء ذلك التسلسل جزئيًّا على الأقل بطريقة متماسكة يمكن أن يكون له تأثيرات مهمة على صنع القرار، وإن اقتضى الأمر إحداث تغيير فى تفضيلات البدائل (Tversky & Sattath. 1979).

واستراتيجيات القرار المختلفة إنما تقدم بيانات محددة ليس فيما يتعلق بعمق وترتيب بحث المعلومات فحسب، بل فى تباين بحث المعلومات عبر البدائل. فجميع الاستراتيجيات التعويضية تفترض ضرورة وضع نفس المعلومات فى الاعتبار حول كل بديل، بينما الاستراتيجيات غير التعويضية الثلاث تتيح جميعها بحثًا متساويًا عبر البدائل. فـ *التباين* ما بين المواضيع فى قدر المعلومات المأخوذة فى الاعتبار حول كل بديل يمثل طريقة أخرى للتمييز بين استراتيجيات الاختيار، حيث تتيح الاستراتيجيات التعويضية تباينًا متساويًا، بينما الاستراتيجيات غير التعويضية تتيح بحثًا غير متساوٍ. وتعتبر قياسات التباين مفيدة على نحو خاص فى التمييز بين استراتيجيات القرار عندما تفرض مقيدات المهمة- مثل الوقت- استحالة وضع جميع المعلومات فى الاعتبار.

البدائل المقارنة هى تلك البدائل التى تكون نفس معلومات الخاصية معروفة عنها، كما هو الحال دائمًا مع لوحة المعلومات المعيارية، وعلى الجانب الآخر، فإن *البدائل غير المقارنة* هى تلك التى تعتبر أن بعض الخواص- على الأقل- فريدة بالنسبة لكل بديل (Johnson, 1984, 1986). ويمكن للبدائل أن تكون غير قابلة للمقارنة *بطبيعتها كما فى نموذج* الأسلحة مقابل الزبدة[٧٢]، أو أن تستحيل مقارنتها بالفعل نظرا لأن المعلومات حول بعض البدائل قد لا تكون معروفة لدى صانع القرار. ومن الناحية العقلانية،

---

(٧٢) شاع استخدام نموذج السلاح فى مقابل الزبد فى مجال الاقتصاديات الكبرى حين يتعلق الأمر بمفاضلة الدولة بين إعطاء الأولوية فى إنفاق الدخل القومى لشراء الأسلحة أو الاستثمار فى إنتاج البضائع، وثمة استخدامات شهيرة لذلك التعبير جرت على ألسنة قادة ألمانيا النازية حين ردد جوبلز وزير الدعاية النازى فى واحدة من خطبه عام ١٩٣٦ "إننا نستطيع الحياة بدون زبد ولكن الحياة تستحيل بدون أسلحة" كذلك فقد ردد جورنج نفس المعنى معلنا "الأسلحة تمنحنا القوة ولكن الزبد لا يمنحنا سوى السمنة والترهل". والمقصود بالإشارة إلى التعبير فى هذا السياق أن مفردات أنواع الأسلحة لا يمكن مقارنتها بمفردات أنواع الأطعمة (المراجع)

فإن المعلومات المتوفرة حول بعض البدائل وليس جميعها ينبغى أن تسقط من الحسبان عند القيام باختيار ما- ولكنى أشك فى حدوث ذلك. وفى المقابل، نجد الناس يستخدمون ما لديهم من معلومات ويقومون وقتما استطاعوا بالقيام باستدلالات مبنية على تصنيف معلوماتهم إلى فئات، وخاصة فيما يتعلق بالمعلومات الناقصة. وغالبا ما يؤدى عدم اكتمال المعلومات فى النهاية إلى أن أى قرار يتم التوصل إليه يمكن أن يتضمن بدائل غير مقارنة.

محددات استراتيجيات الاختيار - تقرير كيفية اتخاذ القرار

بعدما استعرضنا عددًا من استراتيجيات القرار، والوسائل المختلفة لتحديد متى تكون استراتيجية معينة محل استخدام، من الجدير بنا أن نسأل الآن عما إذا كانت هذه الاستراتيجيات متاحة ومستخدمة من قبل الجميع أم لا، أو فى المقابل: إذا كان أناس مختلفون يميلون إلى التخصص فى استخدام واحدة أو غيرها من هذه الاستراتيجيات، وتوظيفها مع أنماط عديدة من القرارات. ويمكن طرح السؤال بطريقة مختلفة، فنقول: هل هناك من الناس من يميلون إلى إن يكونوا جد عقلانيين ومنهجيين فى صنع القرار، بينما يميل البعض إلى استخدام استراتيجيات أكثر اعتمادًا على الحدس والموجزات الكشفية؟ والإجابة العامة على هذا السؤال هى أنه لا يوجد دليل قاطع على وجود فروق فردية فى استخدام هذه الاستراتيجيات المختلفة، بل إن معظم الناس تقريبًا لديهم تنوع واسع من استراتيجيات القرار المختلفة التى يمكنهم استخدامها وتوظيفها بالفعل فى صنع القرار، كما يبدو أن اختيار استراتيجية القرار يعتمد بدرجة كبيرة على طبيعة مهمة القرار (Payne, Bettman, & Johnson, 1993). ومن هنا فإن البحث فى نظرية القرار السلوكية كان أكثر تركيزًا على العوامل الخاصة بالوضع او السياق الذى يجعل توظيف

استراتيجية أو أخرى قيد الاستخدام بدلاً من البحث عن الفروق الفردية فـــى صنع القرار.[٧٣]

وسوف نلقى الضوء على عدد من هذه العوامل التى تتضمّن تركيب أو حجم مهمة القرار، إذ عادة ما يتحدد تعقيد المهمة فى ضوء عدد البدائل محل الاعتبار، وعدد الخواص المختلفة التى تتنوع عبرها تلك البدائل، مع محصلة نهائية مفادها أنه كلما اعتمد الناس بصورة أكبر على تبسيط موجزات الكشف للقرار كلما عقد ذلك من المهمة. وهذا ما يصدق على كل من التباين فى عدد البدائل (Biggs. Bedard, Gaber. & Linsmeier, 1985; Billings & Marcus. 1993; Klayman. 1985; Lau & Redlawsk. 2001b: Olshavsky. 1979; Payne) وعـــدد الخواص محل الاعتبار (Jacoby, Speller. & Kohn. 1974: Keller & Staelin. 1984; Malhotra, 1982)؛ بالرغم من التأثيرات الأكثر اتساقًا للأولى. وعمومًا، فالحاصل أن صانعى القرار يعتمدون أكثر على استراتيجيات القـــرار غيـــر التعويضية عندما يكون هناك أكثر من بديلين، ولكنهم يستخدمون مزيدًا مـــن استراتيجيات القرار التعويضية إذا لم يكن هناك سوى بديلين فقط (Einhorn. 1970; Tversky, 1972).

وهناك عوامل إضافية يمكن أن تزيد من صعوبة الاختيار التى تواجه صناع القرار، ومنها البقاء على حجم المهمة ثابتًا، كما أن من أمثلة العوامل التى يمكن أن تميّز كثيرًا من القرارات السياسية عامل ضغط الوقـــت الـــذى يمكن أن يحول هدف صانع القرار من الدقة إلى الكفاءة. فصانع القرار الذى يواجَه بضغط الوقت قد يعمل بوتيرة أسرع فى معالجة البيانات مما يدفعه إلى تقليل القدر الإجمالى من المعلومات التى يضعها فى الاعتبار، مركزا بـــذلك

---

(٧٣) الاستثناء الوحيد فى هذه الحالة هو الخبرة والتى أصبحت بؤرة رئيسية للاهتمام فى المجـــال؛ انظـــر على سبيل المثـــال: Chase & Simon. 1973: Fiske, Kinder, & Larter. 1983: Fiske. Lau. & Smith. 1990; Lau & Erber. 1985; Reder & Anderson. 1980. (المؤلف)

على العوامل الأكثر أهمية؛ أو أن يتحول من الاستراتيجيات التعويضية إلى الاستراتيجيات غير التعويضية (Ben Zur & Breznityz, 1981; Holsti, 1989; Holsti & George, 1975; Payne, Bettman, & Johnson 1988). وثمة عامل آخر يؤثر فى درجة تعقيد المهمة هو تشابه البدائل بين بعضها البعض، فعندما لا تكون البدائل شديدة التشابه، يصبح من السهل نسبيًا التمييز بينها، واختيار الأفضل. ومع ذلك فإن استراتيجية الاختيار غير التعويضية قد تؤدي- وعلى نحو جيد- إلى اختيار مختلف عما تقود إليه استراتيجية تعويضية. فعندما تكون البدائل مشابهة لبعضها البعض نسبيًا، يصبح إيجاد البديل الأفضل أكثر صعوبة (Lau & Redlawsk, 2001). وينبغى المضى لمزيد من البحث المتعمق سعيا لاكتشاف الفروق (Bockenholt, Albert, Aschenbrenner, & Schmalhofer, 1991)، وقد يميل صانعو القرار فى هذه الحالة لتوظيف استراتيجية قرار تعويضية (Biggs et al., 1985)، ومن ناحية أخرى، فإنه لا يهم كثيرًا فى العادة إذا انتقى المرء البديل الثانى أو الثالث الأفضل إذا كانوا جميعًا متشابهين.

وغنى عن البيان أنه كلما كان القرار أكثر أهمية بالنسبة لصانع القرار كلما كان لديه دافعية أكثر إلى التزام الدقة حتى لو ازداد المجهود المبذول للتوصل للقرار (Payne et al., 1993) كما يزداد التعمق فى البحث عن المعلومات، ويكون استخدام استراتيجيات القرار التعويضية أكثر احتمالاً (Lindberg, Garling, & Montgomery. 1989). ويفترض هذا الاستنباط أن البحث الأعمق عن المعلومات يؤدى إلى قرارات أفضل، وهو استنباط يقوم على أنه يمكن بذلك بلوغ درجة عالية من العقلانية وتوافر قدرات خارقة لا محدودة مؤكدة؛ ولكن ذلك لا يستمر طويلا بالنسبة للعديد من معالجى المعلومات. والحقيقة أن "جيجينزر" و"جولدشتاين" Gigerenzer & Goldstein (1999; Czerlinski, Gogernzer, and Goldstein, 1999) قد عرضا عددًا من

الحالات التى لم تسفر فيها المعلومات المتعمقة سوى عن أحكام متواضعة المستوى.

كما أن التباينات فى كيفية عرض المعلومات أو توفيرها قد بدا تأثيرها واضحا على صنع القرار، ويوفر خليط البدائل- الخواص للوحة المعلومات المعيارية عالمًا مثاليًا، حيث جميع المعلومات منظمة ومتوافرة بسهولة لدى صانعى القرار. ولكن المعلومات حول القرارات الحقيقية نادرًا ما تصبح متوافرة بتلك الطريقة المرتبة والقابلة للسيطرة. والواضح، أنه إذا كانت المعلومات حول البديل معروضة بتسلسل، فإن صانع القرار يصبح لديه اختيار محدود إلى الانخراط فى استراتيجيات قرار قائمة على البديل، بينما العروض المتزامنة للمعلومات ولعدة بدائل تجعل البحث القائم على الخواص أمرًا ممكنًا (Tversky, 1969). ويمكن أيضًا للتباينات الأكثر دقة فى عرض المعلومات أن تجعل المعالجة القائمة على البديل أو الخاصية أكثر احتمالاً (انظر مثلاً: Herstein, 1981)، بل وتحدد من البداية ما إذا كان يمكن الانتفاع بمعلومات معينة أم لا (Russo, 1977). وأثناء حملة الانتخاب، فإن متابعة الحملة الانتخابية أو المؤتمر الحزبى أو الخطاب لمرشح معين يوفر العديد من المعلومات القائمة على مفهوم البديل؛ فى حين أن متابعة المحاورات السياسية توفر -من ناحية أخرى- قدرًا كبيرًا من المعلومات القائمة على مفهوم الخاصية (Rahn, Aldrich, & Borgida, 1994). *واكتمال* عرض المعلومات، أى مدى توافر المعلومات نفسها حول كل بديل، يحدد ما إذا كانت الاستدلالات حول البيانات الناقصة ضرورية أم لا (Ford & Smith, 1987) ولكنها أيضًا قد تؤثر فيما إذا كانت المعلومات "خارج الصندوق"[٧٤]

(٧٤) يستخدم تعبير "خارج الصندوق" للإشارة إلى الأفكار غير التقليدية أو غير النمطية وهو ما يمكن رصده من خلال المحاورات أو المواجهات السياسية المباشرة التى تجرى بين المرشحين بأكثر مما يبدو فى الخطب والبرامج والحملات الانتخابية المنظمة (المراجع)

موضوعة فى الاعتبار أصلاً عند صنع القــرار أم لا (Fischhoff, Slovic, & Lichtenstein, 1978).

وأخيرًا، فإن هناك قدرًا كبيرًا من البحث فى نظرية القرار الـسلوكية حول تأثيرات *نمط الاستجابة*، أى هل من المطلوب المفاضــلة بــين بــدائل مختلفة أو ترتيبها، أو تقييمها؟ وقد اجتذب هذا الموضوع قدرا كبيــرا مــن الأبحاث؛ لأن أنماط الاستجابة المختلفة يمكن أن تؤدى إلى عكــس ترتيــب التفضيلات، وهو ما ينتهك واحدًا من الافتراضات الأساسية للاختيار العقلانى الخاصة *بعدم التباين فى الإجراءات* procedure invariance– أى أن الطــرق المتعادلة استراتيجيًا فى استخلاص تفضيل ما ينبغى أن تكشف عــن نفــس التفضيل (Tversky, Sattath, & Slovic, 1988). وللتفسيرات السائدة الخاصــة بعكس ترتيب التفضيلات علاقة بمعالجة الاختلافات المرتبطة بمختلف أنماط الاستجابة. كما أن الحاجة إلى تقييم البدائل تقود إلى بحث قائم على البــديل ومزيد من التفكير الكمى، بينما الاختيار ما بين البدائل يقود إلى بحث قــائم على الخاصية ومزيــد مــن التفكيــر الكيفــى (Fischer & Hawkins, 1993; Lichtenstein & Slovic, 1971; Tversky, 1969; Tversky et al., 1988).

وقد أصبح هذا البحث الآن سببًا آخر للتمييز بين اتخاذ القرار والحُكْم، ولكنه تم تجاهله بدرجة كبيرة فى العلوم السياسية. فهل يمكن للعمليات التــى يكوّن المواطنون بواسطتها تقييماتهم لقادتهم عن طريق الحكم علــى جــودة العمل الذى يقوم به الرئيس على سبيل المثال، أن تكون مختلفة اختلافًا أساسيًا عن كيفية اختيارهم بين المرشحين فى الانتخابات؟ الحقيقة أن جميع نمــاذج العلوم السياسية فيما يتعلق بقرار التصويت تتضمن تقييما كُلّيــا للمرشــحين و/أو تقييمات عناصر الأداء المهمة، ومثل تلك الأحكام قــد تكــون متعلقــة

بدرجةٍ ما بكيفية اتخاذ معظم الناس القرار بالتصويت[٧٥]. وسوف أختتم هذا الفصل بتحويل الانتباه بوضوح إلى أكثر القرارات أساسيةً والذى يقوم باتخاذه المواطنون فى دولة ديمقراطية على مستوى العادة، وهو "اختيار التصويت".

دراسة قرار التصويت

عندما حاول علماء السياسية فهم قرارات التصويت الفردية، التفتوا فى الغالب وبصورة عامة إلى مسح العينة كمنهجية للاختيار (انظر، على سبيل المثال: Campbell. Converse. Miller. & Stokers. 1960; Fiorina. 1981; Keeley & Mirer. 1974; Lazarsfeld. Berelson. & Gaudet. 1948; Markus & Converse. 1979; Miller & Shanks. 1998; Mie. Verba. & Petrocik. 1976). فالمسوح تقوم بعمل ممتاز من حيث تسجيل نتيجة القرار (مثل: هل ستصوت فى الانتخابات القادمة؟ مَنْ مِن المرشحين ستؤيد؟)، ولكنها تعد فى الوقت نفسه وسيلة فقيرة لدراسة *كيفية* التوصل إلى القرار. فبالنسبة لمعظم المستجيبين، تسأل المسوح عن الآراء أو القرارات التى تم التوصل إليها فى وقت ما فى الماضى، وبالتالى فإن المعلومات المقدَّمة مبنية على ذاكرة المستجيبين، فضلاً عن أن الأسباب التى يقدمها الناس للمسوح التى تسأل عن أسباب احتمال تصويتهم لصالح أو ضد مرشح أو آخر، قد اتضح أنها تبريرات لقرار قد تم اتخاذه بالفعل، وليست تمثيلاً حقيقيًا للمعلومات التى دخلت فى هذا القرار

---

(٧٥) معظم نماذج العلوم السياسية التى تحاول التنبؤ بنتيجة الانتخابات الرئاسية قد توصلت إلى فوز آل جور بحوالى ٥٥ % من أصوات الناخبين فى عام ٢٠٠٠- أكثر بحوالى ٥% مما حصل عليه فعليًا (انظر على سبيل المثال: Holbrook, 1996; Lewis-Beck & Rice. 1992: Rosenstone, 1983). وكل هذه النماذج تتضمن تقييم لأداء عمل الإدارة تلازم كمؤشر حيوى. ويتضح أن الناخبين كانوا يقررون ما بين بوش وجور على أساس مختلف للإلقاء بهذه النماذج عرض البحر. (المؤلف)

(Lau, 1982; Rahn, Krosnick, & Breuning, 1994).- ويوحى أحد نماذج الانطباع الشعبية عن المرشح بأن الناس يحتفظون بـ "أرشيف جارٍ مباشر on-line running tally" أو تقييم مختصر للمرشحين المألوفين فى أذهانهم، يقومون بتحديثه أينما وُضعت معلومة قيد الاعتبار، بينما ينسون التفاصيل الخاصة بالمعلومة الجديدة (Lodge, McGraw, & Stroh, 1989; Lodge, Steenbergen, Groh, 1995). والحقيقة أن الناس موصومون بسوء السمعة نتيجة فقرهم فى تقديم أسباب اتخاذ قراراتهم، حتى أولئك الناخبين فى الماضى القريب (Nisbett & Wilson, 1977). ومن ثم فإن الذاكرة عادة ما توفر اقتفاءً فقيرًا لكيفية التوصل إلى القرار.

إن عيوب مسح العينة بالنسبة لدراسة كيفية اتخاذ القرارات، إنما تشير إلى أن الباحثين يجب عليهم تبنّى وجهة أخرى، وهنا تعد منهجيات تتبع العملية التى وصفناها سابقًا نقطة بداية واضحة. ويوجد بالفعل بعض الباحثين الذين قدموا دليلاً على قرار التصويت من خبرات قامت على لوحات المعلومات (Herstein, 1981; Huang, 2000; Riggle & Johnson, 1996). وهناك لوحات معلومات معيارية توفر- وبطرق عديدة- نموذجًا مشابهًا ضعيفًا للحملة السياسية. فمع لوحة القرار يمكن أن يصل صانع القرار إلى أية معلومات وقتما شاء، بينما يكون للحملات صفة ديناميّة؛ فتلك المعلومات المتوافرة اليوم بسهولة حول الحملات قد يكون من الصعب العثور عليها غدًا، بل إنها فى الغالب ما تختفى فى اليوم التالى. وجميع المعلومات تكون سهلة المنال على لوحة المعلومات المعيارية بالدرجة نفسها، بينما فى الحملة السياسية توجد أنواع معينة من المعلومات يسهل التوصل إليها (مثل شعارات التشجيع والمسابقات) بينما يكون التوصل إلى أنواع أخرى من المعلومات (مثل، المواقف المفصلة من قضية ما) أكثر صعوبة. ويجب على صانعى القرار أن يبذلوا جهدهم لكى يحيطوا علما بكل ما هو متاح حول البدائل فى

لوحة المعلومات المعيارية، وإن كان الكثير من المعلومات (مثل الإعلانات السياسية) أثناء الحملات السياسية تأتى إلينا بدون أى جهد فعَّال من جانب صانع القرار للإلمام بها. والأهم من ذلك، أن صنع القرار اعتمادا على لوحة معلومات يكون شديد "القابلية للإدارة" وشديد القابلية للتحكم، وبالغ السهولة؛ بينما أثناء الحملات السياسية رفيعة المستوى (مثل الانتخابات الرئاسية وتنافسات كثيرة على مستوى الدولة)، نجد أن الناخبين مثقلون بمعلومات تفوق كثيرا قدرتهم على المعالجة. وتمثل لوحة المعلومات الثابتة/الاستاتيكية "عالمًا مثاليًا" لصنع القرار يمكن مقابلته بالتصويت فى حملة سياسية فعليّة.

وثمة نقاش إبستمولوجى حول دراسة أية ظاهرة بطريقة مثالية مبسطة (Henshel, 1980)، وقضية المفاضلة بين الصدق الداخلى والخارجى معروفة جيدًا بالنسبة لأية منهجية (Campbell & Stanley, 1963). وقد اشتركت مع "ديفيد ريدلوسك" Redlawsk فى البحث عن أرضية مشتركة لدراسة قرار التصويت، فى محاولة اختراع تكنيك بحثى يتوافر له الصدق ويكون أقرب لما يجرى الواقع الخاص بالحملات السياسية الحديثة، ويوفر فى الوقت نفسه ضبطًا تجريبيًا ودليلاً مفصلاً على البحث عن المعلومات المتوافرة كذلك الذى توفره لوحة المعلومات التقليدية (,Lau. 1995; Lau & Redlawsk. 1992 1997, 2001a. 2001b; Redlawsk. 2001). ولإنجاز هذه الأهداف صممنا معًا منهجية ديناميّة لتعقب العملية، تحتفظ بمعظم الملامح الأساسية للوحة المعلومات التقليدية فى الوقت الذى توفر فيه نموذجًا أقرب شبها بالحملة السياسية الفعليّة. وتتضمن هذه المنهجية الجديدة صناديق للمعلومات وشاشة كمبيوتر تعرض المعلومات كشريط نازل بدلاً من البقاء فى موقع ثابت. وإذا كانت لوحة المعلومات المعيارية مصطنعة بسبب ثباتها ومن ثم فهى شديدة القابلية للإدارة، فإن إجراءنا هذا يغمر المفحوصين/ الأشخاص (الناخبين) بالمعلومات. وإذا كانت لوحة المعلومات المعيارية غير واقعية بتوفيرها جميع

المعلومات أينما ووقتما يريد الشخص، فنحن نقلد التدفق المستمر للمعلومات أثناء حملة بواسطة تنزيل الشريط، حيث إن المعلومات المتوافرة اليوم- كما قلنا- قد يكون من الصعب إيجادها غدًا. وإذا كانت لوحة المعلومات المعيارية مصطنعة لأن جميع الأنماط المختلفة من المعلومات متوافرة بنفس الدرجة، فإن إجراءنا يقلد وبطريقة واقعية تلك السهولة أو الصعوبة النسبية فى إيجاد الأنماط المختلفة من المعلومات أثناء الحملة. وإذا كانت لوحة المعلومات المعيارية لا تتيح سوى المعلومات التى فى متناول صاحب القرار، فإننا نمد الناخبين "مجانًا" بقدر كبير من المعلومات ذات الصلة فى ضوء إعلانات الحملة التى تتولاها من وقت لآخر شاشة الكمبيوتر، بدون أى جهد من جانب الناخب للإلمام بتلك المعلومة. ويهدف برنامجنا إلى اكتشاف أى من النتائج المختلفة لتراث نظرية القرار السلوكية ينطبق على التصويت أثناء حملات سياسية. وهناك كتاب حديث يوفر مراجعة شاملة لهذا البحث (قيد الإعداد وقت كتابة الفصل، Lau & Redlawsk).

وإذا نحينا المنهجية جانبًا، فإن الانتخابات قد تعرضت إلى الدراسة من قبل المؤرخين، والصحفيين، وعلماء السياسية، وجميعهم معنيون بشكل رئيسى بأى من المرشحين أو أى من الأحزاب قد فاز بأغلبية الأصوات، وهذا تركيز مفهوم وملائم تمامًا. وهناك الآن طريقة أخرى للنظر فى قرار التصويت متناسقة مع منظور النظرية السلوكية فى القرار: هل قام الناخب بالاختيار "الصحيح"؟ أى: هل اختار الناخب المرشح الذى كان بمعنى معيارى ومن منظور الناخب نفسه يمثل المرشح الأفضل؟ وهذه مبدئيًا بؤرة بحثى المشترك مع "ردلوسك" Redlawsk (1997. 2001a)، وآمل أن يصبح هذا السؤال محط اهتمام لدى كثير من علماء النفس السياسى.

وليس لدى المساحة هنا لأخوض فى تفاصيل كثيرة تتعلق بمناقشة الطريقة التى يقرر بها الناخب التصويت، ولكننى سأحاول فقط أن أرسم

الملامح الأهم. وأريد أن أصف وبإيجاز سبعة موجزات كشفية أو هاديات معرفية أعتقد أن الناس سوف ينتفعون بها فى صنع قرارات التصويت. هذه الموجزات الكشفية توفر فعاليّة معرفية عظيمة، فى حين يظل من المحتمل أنها تثمر قرارات تتسم بدقة معقولة معظم الوقت. وأقول "من المحتمل" لأنه لا يوجد فى الحقيقة سوى قليل من البحث الامبريقى الذى يتناول كيف ينحو الناس حول اتخاذ قرار التصويت، ومدى احتمالية اختيارهم المرشح الذى يعد الأفضل بالنسبة لهم. فاستخدام هذه الهاديات المعرفية السبع من الأفضل أن تعتبر فروضًا قابلة للاختبار وليست بيانات عن الحقيقة.

تحويل الأثر Affect referral (Wright, 1975): إذا كانت ثمة انتخابات تتضمن عدة مرشحين مألوفين لديك، صوّت للمرشح الأعلى تقييمًا. هذه الموجزة الكشفية يمكن أن تستخدم فقط فى حالة المرشحين الموجودين لانتخابات متعددة، ويمكن استخدامها فى حملة انتخابية عامة إذا كان الناخبون قد كوّنوا بالفعل انطباعات حول المرشحين من انتخابات أوليّة.

التزكيات Endorsements: اتبع توصيّات المعارف المقربين، والنخب السياسية محل الثقة (Carmines & Kuklinski, 1990; Mondak, 1993; Sinderman, Brody, & Tetlock, 1991)، أو المجموعات ذات النشاط الاجتماعى (Brady & Sinderman, 1985; Lau & Redlawsk, 2001a; Sinderman et al., 1991) مع من يتعرف عليهم الشخص. بمعنى آخر، دع شخصًا ما غيرك يقوم بالعمل الشاق فى تحديد كيفية التصويت.

الأُلفة Familiarity (Gigerenzer & Goldstein 1999): إذا كنت قد سمعت عن مرشح دون غيره، وكان تقييمك له أو لها محايدًا أو أفضل حالاً، صوت للمرشح المعروف لديك أو للذى لديك ألفة به بالفعل. وهذه الموجزة الكشفية متغايرة عن الموجزة الكشفية الخاصة بالتوافر والتى ترجع إلى كل من "تفريسكى" و"كانمان" Tversky and Kahneman (1973)، وقد تكون التفسير الأهم لتأثيرات المسئولية الفعالة التى تميّز معظم الانتخابات التشريعية.

العادة Habit: صوّت على الطريقة التى صوّت بها فى المرة الـــسابقة. ليكون لك "قرار قائم على موقف" (مثل أن تصوت دائمًا للجمهوريين) واثبت عليه (Quadrel, 1990).

طبق *المنظومات الحزبية والإيديولوجية partisan ideological schemata* (Conover & Feldman, 1986, 1989; Hamil, Lodge, & Blake, 1985; Lau & Redlawsk, 2001a; Lodge & Hamil, 1986; Rahn, 1993; Sinderman, Hagen, Tetlock, & Brady, 1986): عندما تكون على غير ألفة نسبيًّا بالمرشحين فـــى انتخابات ما، عليك أن تصنفهم وفقًا للمنظومات السياسية العريضة المتوافرة. افترض معلومات مفصّلة على أساس تصنيفى (افتراضية) وطبّق التأثير القائم على التصنيف (Fiske & Pavelchak, 1986). فالتصويت للحزب التـــابع لـــه المرء قد يكون السبب الأهم لاختيار التصويت (فى الانتخابـــات الحزبيـــة، بالنسبة للأغلبية العظمى من الناس ذوى الميول الحزبية)، خاصة إذا كنـــت مُضَمِّنًا فى هذا الصدد الأثر المباشر للانتماء الحزبى على العرض والتقيـــيم الانتقائى.

وبالمثل، طبق *التنميطات الشخصية personal stereotypes* فيما يتعلـــق بالنوع الاجتماعي/الجندر، والعرق، والسن، والمظهر، وما إلى غيـــر ذلـــك لتبرز انطباعك عن المرشحين (Fiske & Taylor, 1991; Miller, Wattenberg, & Malanchuk, 1986; Riggle, Ottai, Wyer, Kuklinski, & Schwartz, 1992; Rosendberg, Kahn, & Tran, 1991). فالاستدلالات القائمة على النمطية- و/أو المنظومة تعد تطبيقات لموجزات الكشف الخاصة بالتمثيل representativeness التى ترجع إلى كل من "كانمان" و"تفريسكى" Kahneman and Tversky (1972).

المقـــدرة viability (Aldrich, 1980; Bartels, 1988; Lau & Redlawsk, 2001a): ضع فى اعتبارك فقط المرشحين الذين لديهم فرصة جيدة للفوز؟

بالرغم من أن معظم المواطنين فى معظم المجتمعات الديمقراطية يشعرون أنه من المهم بدرجة كافية أن يشاركوا فى السياسة عبر ذهابهم إلى صناديق الاقتراع على الأقل فى بعض الأحيان، فإنه مازال من الواضح أن قرار التصويت لا يشكل حدثًا جللاً أو جديًا لدى معظم الناس، مثل شراء منزل أو سيارة، أو اتخاذ قرار حول الكلية التى تريد أو يريد الالتحاق بها، أو ممن ستتزوج، وأين تعمل، إلى غير ذلك. ومن ثم يجب أن نفترض أن الهدف من الفعالية لا الدقة سيسيطر على استراتيجيات القرار لدى معظم الناخبين. ومن هنا، فإن بعض استراتيجيات القرار غير التعويضية هى التى ستكون بالتأكيد محل التطبيق. وهذا الميل ينبغى أن يكون قويًا على نحو خاص فى انتخابات متعددة المرشحين (أى أكثر من مرشحيّن). والاستراتيجية التعويضية المبسطة تعد أكثر ملاءمة فى الانتخابات التى تتضمن مرشحيّن. وبالطبع فإن الاستراتيجيات المركبة تكون ممكنة جدًا- مثل، البدء بإحدى الموجزات الكشفية غير التعويضية مثل المقدرة، ثم التحول إلى استراتيجية تعويضية مبسطة مثل موجزات الأوزان المتكافئة أو تكرار الموجزات الخاصة بالملامح الجيدة والسيئة. جدول ٢-٤ يلخص هذا الاستدلال.

ينبغى أيضًا أن نضع فى الاعتبار كيف تبنى بيئة المعلومات السياسية بصورة طبيعية هيكل المعلومات. ولست على علمٍ بأية بيانات حول هذه النقطة، ولكنى سأؤكد على نحو مؤقت أن الكتلة الأكبر من المعلومات السياسية فيما يتعلق بالانتخابات آخذة فى التوافر بصيغة متمركزة حول المرشح، وهو ما يتطلب فى أغلب الأمور بحثًا يقوم على البديل. ويمكن للمواطنين أن يختاروا وبفاعلية معالجة المزيد أو الأقل من المعلومات المتمركزة حول المرشح، بيد أن المعلومات القائمة على الخاصية- مثل المعلومات البيانية فى الصحف التى تقارن مواقف المرشحين بصدد قضايا

منتقاة- يكون التوصل إليها أصعب كثيرًا (Lodge, Steenbergen, & Brau, 1995; Rahn, Aldrich, & Borgida, 1994). وهذه منطقة مهمة لأبحاث المستقبل.

خاتمة

لقد بدأ هذا الفصل بالنظر فى منظور الاختيار العقلانى الكلاسيكى بصدد صنع القرار، وأشار إلى أن المقاربة الأكثر سلوكية فى توجهها والتى تقوم على النظر إلى البشر كمعالجين للمعلومات ذوى قدرات محدودة كانت المقاربة الأكثر فائدة ودقة. وقد حاولتُ صياغة وجهة نظرى حول تراث النظرية السلوكية فى القرار بطريقة أوضحت بها القضايا التى ينبغى أن تكون قيد الاستخدام لدى علماء النفس السياسى. ويمكن للقارئ غير المتخصص التركيز على الوصف فى تراث النظرية السلوكية فى القرار حيث تتيح له الملخصات أن يرى الأشجار أكثر من رؤيته للغابة (انظر على سبيل المثال: Abelson & Levi. 1985; Dawes. 1998; Einhorn & Hogarth. 1981; Hastie, 2001; Mellers, Schwartz. & Cooke, 1998; Payne. Bettman. & Johnson. 1992; Pitz & Sachs. 1984; Slovic, Fischoff, &Lichtenstein. 1977). وقد حاولت أن أقدم خارطة للغابة بدلاً من الاقتصار على وصف كل شجرة لأن مثل ذلك التجزىء يخفى حقيقة أنه بالرغم من أن عملية صنع القرار أكثر تنوعًا من الإجراء الفردى المثالى الذى أوحت به مقاربة الاختيار العقلانى، فإنها تظل بعيدة عن العشوائية (Jacoby et al.. 1987). إن الانتظامات فى السلوك الإنسانى هى ما يجب على المتخصصين فى العلوم الاجتماعية دراسته، وهناك كثير من الأمور التى يمكن تناولها من هذا المنظور فى مجال صنع القرار.

جدول ٢-٤

إطار إجرائى عام لتحليل صنع القرار السياسى

تحديد المشكلة والبحث الأولى عن المعلومات	هل لدى طريقة معيارية أو بسيطة للقرار؟	إذا لم يكن هل يمكننى أن أبسّط من هذا القرار؟	هل الدقة مهمة بدرجة كافية إلى حد أننى يجب أن أعمل استراتيجية أكثر تعقيدًا؟
هل هذه المشكلة مألوفة أم جديدة؟	تحويل الأثر	تزكيات	استراتيجية تعويضية (موجزات الأوزان المتساوية، تكرار الموجزات الخاصة بالملامح الجيدة والسيئة، موجزات *أغلبية الأبعاد التوكيدية*) للتوصل إلى قرار نهائي.
	موجزة الكشف الخاصة بالألفة	تنميطات شخصية	
هل هى بسيطة أم معقدة نسبيًّا؟	العادة	منظومات سياسية	
إلى أى مدى من الأهمية تعد المشكلة من أجل اتخاذ قرار دقيق		المقدرة	
		استخدام استراتيجية قرار غير تعويضية (الموجزات الكشفية المؤدية للغرض، الموجزات الكشفية المعجمية، موجزات الاستبعاد) لإلغاء البدائل و/أو الخواص.	

ومن بين المواضيع التى لم نتعرض لها فى هذا الفصل مناقشة تـــأثير الانفعالات، أو الدافعية، على عملية صنع القرار. فقد كان اقتصر تركيزنـــا على ما كتب عن دور الاختيار العقلانى والنظرية السلوكية فى صنع القرار، وليس هناك -فى هذا المجال- سوى قدر ضئيل جدًا مـــن البحـــوث حـــول الانفعالات أو الدافعية، باستثناء ذلك القدر من الدافعيـــة المظللـــة للمـــصلحة الذاتية التى يفترض الاختيار العقلانى عامة أنها ترشد أو توجـــه الـــسلوك. ويبدو أن تلك الصورة سوف تتغير، ويمكن لنا أن نشير علـــى الأقـــل إلـــى مجالين فى العلوم السياسية تم تغير الأمر فيهما بالفعل: دراسة "الانحيـــازات الانفعالية" فى صنع القرار فى الـــسياسة الخارجيـــة (Janis & Mann, 1977; Jervis, 1976, 1985؛ انظر مرة أخرى: الفصل الثامن)؛ ودراسات "ماركوس" Marcus، و"ماكوين" MacKuen، و"نويمان" Neuman حول أثر الانفعالات على الـــسلوك الـــسياسى (Marcus, 1988; Marcus & MacKuen, 1993; Marcus, Neuman, & MacKuen, 2000). ولا أستطيع فى المساحة المتاحة معالجة هذا الموضوع على النحو الملائم، فضلا عن أن الانحيازات الانفعالية قد تمـــت مناقشتها بالفعل فى الفصل الثامن. وخلاصة حجـــة "مـــاركوس" Marcus أن النسق الانفعالى، وبخاصة القلق، يمكن أن يوفر الدافعية المتصاعدة لمعالجةٍ معلوماتيةٍ وصنعِ قرارٍ أكثر شمولية (عقلانية إجرائية). ومن هنا، فإنها تؤثر فى الإجابات على الأسئلة فى المرحلة الأولى من النموذج العام المقدم فـــى الجدول ٢-٤.

وسوف أختتم هذا الفصل بتناول إمكانية التوفيق بين مقاربات الاختيار العقلانى والنظرية السلوكية فى القرار. لعله من السهل نوعًا مـــا أن نـــدمج مفهوم العقلانية المحدودة مع منظور الاختيار العقلانى، حيث تـــم الإقـــرار باعتبار تكلفة المعلومات جزءا مكونا ومندمجا فى هذا المنظور (انظر هنـــا: Downs, 1957; Fiorina, 1981). والعقلانية المحدودة توفر فهمًا أكثر اكتمـــالاً، ليس فقط فى ضوء تكلفة تجميع المعلومات، بل أيضًا فـــى ضـــوء تكـــاليف

الانتفاع بها بمجرد تجميعها. ووفقا للرؤى الأكثر حداثة للاختيار العقلاني ينظر إلى صانعي القرار باعتبارهم "عقلانيون بالقصد" كونهم يقومون بأفضل ما لديهم في ظل وقائع وبحدود معرفية معترف بها. ويبدو أن كلاً من "جونز" Jones (1994)، ولوبيا وآخرين Lupia et al., (2000) قد تبنيّا هذا الموقف. وأعتقد أن هذا التوفيق يفتقد إلى الوسيلة (انظر أيضًا: Simon, 1985). فأحيانًا ما يكون الناس عقلانيين بالقصد أو بعزم النية على ذلك؛ ولكن الوضع الأغلب أنهم يتخذون قراراتهم تلقائيًا أو عفويًا دون اعتبار واع بكيف أو لماذا يختارون هكذا؟ وربما ينبغي أن تسقط رؤية صانعي القرار كـ "حاسبات آلية لا محدودة" ولو من الناحية المثالية، فهي قد تكون مضللة، عندما يختلط على الناس "ما كان يجب" مع "ما يكون" وما ينتج عن ذلك من وضع معايير مرتفعة تفتقد إلى الواقعية (Lau & Redlawsk. 1997). ولكن الاهتمامات المعيارية لمقاربة الاختيار العقلاني تعد ذات أهمية، وكذلك الإرشادات الخاصة بالعقلانية الإجرائية تعد معايير جديرة بالنسبة لاتخاذ قرارات جيدة. ومع ذلك فإنه بدلاً من السلوك العقلاني القصدي، قد أميز معظم عملية صنع القرار- وبالتأكيد معظم صنع القرارات السياسية- كـ *اتباع لقاعدة شبه تلقائية* *semiautomatic rule following*، مع أي قصد واعٍ يركز على تحديد أي الموجزات الكشفية ملائمة للتطبيق بدلاً من تعظيم القيمة.

وقد أردد صدى "كانمان" في محاجته، بأنه بدلاً من السؤال الخاص بما إذا كانت القرارات عقلانية أم لا، أو تنقيح تعريف "العقلانية" بحيث يمكن أن تشمل سلوك اختيار أكثر واقعية، فإن أفضل الأسئلة التي يمكن للبحث في مجال القرار أن يتناولها في المستقبل هي *تحت أية ظروف* يكون صانعو القرار عقلانيين على الأقل "بدرجة معقولة" في عملية صنع القرار[٧٦]؛ ومتى يكونون غير ذلك؟ وما الهاديات المعرفية أو الموجزات الكشفية التي

---

(٧٦) قدم "ماركوس" وآخرون Marcus et al., (2000) إجابة على هذا السؤال: إن الناس يكونون أكثر "عقلانية" عندما يكونون أكثر قلقًا. (المؤلف)

يوظفونها بدلاً من بحث المعلومات الشامل واستراتيجيات الاختيار الخاصة بتعظيم القيمة؟ وما النتائج التى تضمنها تلك الاستراتيجيات لجودة القرار المتخذة؟

إن الناس يمكنهم، وغالبًا ما يستطيعون متابعة منطقٍ للنتائج، وإن لم يكن بصورة كليّة تشمل كل شيء، فعلى الأقل على نحو معقول، وذلك بناءً على حدودهم المعرفية. كما يمكنهم- وغالبًا ما يستطيعون- اتخاذ كثير من القرارات على نحو تلقائى بمتابعة غير شعورية للقواعد المعروفة جيدًا لصنع القرارات. والسؤال الذى ينبغى أن يهتم به علماء النفس السياسى ليس هل الناس دائمًا ما يكونون عقلانيين على المستوى الإجرائى فيما يقومون به من عمليات لصنع القرار أم لا؟ بل هو: ماذا يفعلون عندما لا يكونون عقلانيين؟ وما أثر ذلك على جودة القرار الذى توصلوا إليه.

References

Abelson, R. P., & Levi, A. (1985). Decision making and decision theory. In G. Lindzey & E. Aronson (Eds.), *Handbook of social psychology* (3rd ed., vol.1, pp. 231–309). New York: Random House.

Abramson, P. R., Aldrich, J. H., Paolino, P., & Rohde, D. W. (1992). "Sophisticated" voting in the 1988 presidential primaries. *American Political Science Review, 86,* 55–69.

Alba, J. W., & Marmorstein, H. (1987). The effects of frequency knowledge on consumer decision making. *Journal of Consumer Research, 14,* 14–26.

Aldrich, J. H. (1980). *Before the convention: Strategies and choices in presidential nomination campaigns.* Chicago: University of Chicago Press.

Aldrich, J. H. (1993). Rational choice and turnout. *American Journal of Political Science, 37,* 246–276.

Allison, G. T. (1971). *Essence of decision: Explaining the Cuban missile crisis.* Boston: Little, Brown.

Allison, G. T., & Zelikow, P. D. (1999). *Essence of decision: Explaining the Cuban missile crisis* (2nd ed.). New York: Longman.

Anderson, J. R. (1983). *The architecture of cognition.* Cambridge, MA: Harvard University Press.

Aschenbrenner, K. M., Bockenholt, U., Albert, D., & Schmalhofer, F. (1986). The selection of dimensions when choosing between multiattribute alternatives. In R. W. Scholz (Ed.), *Current issues in West German decision research* (pp. 63–78). Frankfurt: Lang.

Bartels, L. M. (1988). *Presidential primaries and the dynamics of public choice.* Princeton: Princeton University Press.

Ben Zur, H., & Breznitz, S. J. (1981). The effects of time pressure on risky choice behavior. *Acta Psycologica, 47,* 89–104.

Biggs, S. F., Bedard, J. C., Gaber, B. G., & Linsmeier, T. J. (1985). The effects of task size and similarity on the decision behavior of bank loan officers. *Management Science, 31,* 970–987.

Billings, R. S., & Marcus, S. A. (1983). Measures of compensatory and noncompensatory models of decision behavior: Process tracing versus policy capturing. *Organizational Behavior and Human Performance, 31,* 331–352.

Bockenholt, U., Albert, D., Aschenbrenner, M., & Schmalhofer, F. (1991). The effects of attractiveness, dominance and attribute differences on information acquisition in multiattribute binary choice. *Organizational Behavior and Human Decision Processes, 49,* 258–281.

Brady, H. E., & Sniderman, P. M. (1985). Attitude attribution: A group basis for political reasoning. *American Political Science Review, 79,* 1061–1078.

Campbell, A., Converse, P. E., Miller, W. E., & Stokes, D. E. (1960). *The American voter.* Chicago: University of Chicago Press.

Campbell, D. T., & Stanley, J. C. (1963). *Experimental and quasi-experimental designs for research.* Chicago: Rand McNally.

Cantor, N., & Mischel, W. (1979). Prototypes in person perception. In L. Berkowitz (Ed.), *Advances in experimental social psychology* (vol. 12, pp. 3–25). New York: Academic Press.

Carmines, E. G., & Kuklinski, J. H. (1990). Incentives, opportunities, and the logic of public opinion in American political representation. In J. A. Ferejohn &

J. H. Kuklinski (Eds.), *Information and democratic processes* (pp. 240–268). Urbana: University of Illinois Press.

Carroll, J. S., & Johnson, E. J. (1990). *Decision research: A field guide*. Beverly Hills, CA: Sage.

Chase, W. G., & Simon, H. A. (1973). Perception in chess. *Cognitive Psychology, 4*, 55–81.

Conover, P. J., & Feldman, S. (1984). How people organize their political world: A schematic model. *American Journal of Political Science, 28*, 95–126.

Conover, P. J., & Feldman, S. (1986). The role of inference in the perception of political candidates. In R. R. Lau & D. O. Sears (Eds.), *Political cognition: The nineteenth annual Carnegie symposium on cognition* (pp. 127–158). Hillsdale, NJ: Erlbaum.

Conover, P. J., & Feldman, S. (1989). Candidate perception in an ambiguous world: Campaigns, cues, and inference processes. *American Journal of Political Science, 33*, 912–940.

Converse, P. E. (1975). Public opinion and voting behavior. In F. Greenstein & N. Polsby (Eds.), *Handbook of political science* (vol. 4, pp. 75–170). Reading, MA: Addison-Wesley.

Czerlinski, J., Gigerenzer, G., & Goldstein, D. G. (1999). How good are simple heuristics? In G. Gigerenzer, P. M. Todd, & the ABS Research (Eds.), *Simple heuristics that make us smart* (pp. 97–118). New York: Oxford University Press.

Dawes, R. M. (1979). The robust beauty of improper linear models in decision making. *American Psychologist, 34*, 571–582.

Dawes, R. M. (1988). *Rational choice in an uncertain world.* New York: Harcourt Brace Jovanovich.

Dawes, R. M. (1998). Behavioral decision making and judgment. In D. T. Gilbert, S. T. Fiske, & G. Lindzey (Eds.), *The handbook of social psychology* (4th ed., vol. 1. vol. pp. 497–548). Boston: McGraw-Hill.

Downs, A. (1957). *An economic theory of democracy*. New York: Harper and Row.

Druckman, J. N., & Lupia, A. (2000). Preference formation. *Annual Review of Political Science, 3*, 1–24.

Easton, D. (1953). *The political system: An inquiry into the state of political science.* New York: Knopf.

Einhorn, H. J. (1970). The use of nonlinear, noncompensatory models in decision making. *Psychological Bulletin, 73*, 211–230.

Einhorn, H. J., & Hogarth, R. M. (1975). Unit weighting schemes for decision making. *Organizational Behavior and Human Performance, 13*, 171–192.

Einhorn, H J., & Hogarth, R. M. (1981). Behavioral decision theory: Processes of judgment and choice. *Annual Review of Psychology, 32*, 53–88.

Ericsson, K. A., & Simon, H. A. (1984). *Protocol analysis: Verbal reports as data*. Cambridge, MA: MIT Press.

Fiorina, M. P. (1981). *Retrospective voting in American national elections*. New Haven: Yale University Press.

Fischer, G. W., & Hawkins, S. A. (1993). Strategy compatibility, scale compatibility, and the prominence effect. *Journal of Experimental Psychology: Human Perception and Performance, 19*, 580–597.

Fischoff, B., Slovic, P., & Lichtenstein, S. (1978). Fault trees: Sensitivity of estimated failure probabilities to problem representation. *Journal of Experimental Psychology: Human Perception and Performance, 4*, 330–344.

Fiske, S. T., Kinder, D. R., & Larter, W. M. (1983). The novice and the expert: Knowledge-based strategies in political cognition. *Journal of Experimental Social Psychology, 19,* 381–400.

Fiske, S. T., Lau, R. R., & Smith, R. A. (1990). On the variety and utility of political knowledge structures. *Social Cognition, 8,* 31–48.

Fiske, S. T., & Pavelchak, M. A. (1986). Category-based versus piecemeal-based affective responses: Developments in schema-triggered affect. In R. M. Sorrentino & E. T. Higgins (Eds.), *The handbook of motivation and cognition: Foundations of social behavior* (pp. 167–203). New York: Guilford.

Fiske, S. T., & Taylor, S. E. (1991). *Social cognition* (2nd ed.). New York: McGraw-Hill.

Ford, J. K., Schmitt, N., Schechtman, S. L., Hults, B. M., & Doherty, M. L. (1989). Process tracing methods: Contributions, problems, and neglected research questions. *Organizational Behavior and Human Decision Processes, 43,* 75–117.

Ford, J. K., & Smith, R. A. (1987). Inferential beliefs in consumer evaluations: An assessment of alternative processing strategies. *Journal of Consumer Research, 14,* 363–371.

Friedman, J. (Ed.). (1995). *The rational choice controversy.* New Haven: Yale University Press.

Gettys, C. F., Pliske, R. M., Manning, C., & Casey, J. T. (1987). An evaluation of human act generation performance. *Organizational Behavior and Human Decision Processes, 39,* 23–51.

Gigerenzer, G., & Goldstein, D. G. (1999). Betting on one good reason: The take the best heuristic. In G. Gigerenzer, P. M. Todd, & the ABS Research (Eds.), *Simple heuristics that make us smart* (pp. 75–95). New York: Oxford University Press.

Gigerenzer, G., & Todd, P. M. (1999). Fast and frugal heuristics: The adaptive toolbox. In G. Gigerenzer, P. M. Todd, & the ABS Research (Eds.), *Simple heuristics that make us smart* (pp. 3–34). New York: Oxford University Press.

Green, D. P., & Shapiro, I. (1994). *Pathologies of rational choice theory: A critique of applications in political science.* New Haven: Yale University Press.

Hamill, R., Lodge, M., & Blake, F. (1985). The breadth, depth, and utility of class, partisan, and ideological schemata. *American Journal of Political Science, 29,* 850–870.

Hastie, R. (1986). A primer of information-processing theory for the political scientist. In R. R. Lau & D. O. Sears (Eds.), *Political cognition: The nineteenth annual Carnegie Symposium on Cognition* (pp. 11–39). Hillsdale, NJ: Erlbaum.

Hastie, R. (2001). Problems for judgment and decision making. *Annual Review of Psychology, 52,* 653–683.

Henshel, R. L. (1980). The purposes of laboratory experimentation and the virtues of deliberate artificiality. *Journal of Experimental Social Psychology, 16,* 466–478.

Herstein, J. A. (1981). Keeping the voter's limits in mind: A cognitive process analysis of decision making in voting. *Journal of Personality and Social Psychology, 40,* 843–861.

Hogarth, R. M. (1975). Cognitive processes and the assessment of subjective probability distributions. *Journal of the American Statistical Association, 70,* 271–289.

Hogarth, R. M. (1987). *Judgment and choice* (2nd ed.). New York, NY: Wiley.

Holbrook, T. M. (1996). Reading the political tea leaves: A forecasting model of contemporary presidential elections. *American Politics Quarterly, 24,* 506–519.

Holsti, O. R. (1989). Crisis decision making. In P. E. Tetlock, National Research Council Committee on Contributions of Behavioral and Social Science to the Prevention of Nuclear War, and the Committee on International Conflict and Cooperation (Eds.), *Behavior, society, and nuclear war* (vol. 1, pp. 8–84). New York: Oxford University Press.

Holsti, O. R., & George, A. L. (1975). The effects of stress on the performance of foreign policy–makers. In C. P. Cotter (Ed.), *Political science annual* (pp. 255–319). Indianapolis: Bobbs-Merrill.

Huang, L-N. (2000). Examining candidate information search processes: The impact of processing goals and sophistication. *Journal of Communication, 50*, 93–114.

Jacoby, J., Chestnut, R. W., Weigl, K. C., & Fischer, W. (1976). Pre-purchasing information acquisition: Description of a process methodology, research paradigm, and pilot investigation. *Advances in Consumer Research, 5*, 546–554.

Jacoby, J., Jaccard, J., Kuss, A., Troutman, T., & Mazursky, D. (1987). New directions in behavioral process research: Implications for social psychology. *Journal of Experimental Social Psychology, 23*, 146–175.

Jacoby, J., Speller, D. E., & Kohn, C. A. (1974). Brand choice behavior as a function of information load. *Journal of Marketing Research, 11*, 63–69.

Janis, I. L., & Mann, L. (1977). *Decision making: A psychological analysis of conflict, choice, and commitment.* New York: Free Press.

Jervis, R. (1976). *Perception and misperception in international politics.* Princeton: Princeton University Press.

Jervis, R. (1985). Perceiving and coping with threat. In R. Jervis, R. N. Lebow, & J. G. Stein (Eds.), *Psychology and deterrence* (pp. 13–33). Baltimore: Johns Hopkins University Press.

Johnson, M D. (1984). Consumer choice strategies for comparing noncomparable alternatives. *Journal of Consumer Research, 11*, 741–753.

Johnson, M D. (1986). Modeling choice strategies for noncomparable alternatives. *Marketing Sciences, 5*, 37–54.

Jones, B. D. (1994). *Reconceiving decision-making in democratic politics: Attention, choice, and public policy.* Chicago: University of Chicago Press.

Jones, B. D. (1999). Bounded rationality. *Annual Review of Political Science, 2*, 297–321.

Kahneman, D. (1994). New challenges to the rationality assumption. *Journal of Institutional and Theoretical Economics, 150*, 18–36.

Kahneman, D., & Tversky, A. (1972). Subjective probability: A judgment of representativeness. *Cognitive Psychology, 3*, 430–454.

Kahneman, D., & Tversky, A. (1973). On the psychology of prediction. *Psychological Review, 80*, 237–251.

Kahneman, D., & Tversky, A. (1979). Prospect theory: An analysis of decision under risk. *Econometrica, 47*, 263–291.

Kahneman, D., & Tversky, A. (1982). The psychology of preferences. *Scientific American, 246*, 160–173.

Kahneman, D., & Tversky, A. (1984). Choices, values, and frames. *American Psychologist, 39*, 341–350.

Keller, K. L., & Staelin, R. (1987). Effects of quality and quantity of information on decision effectiveness. *Journal of Consumer Research, 14*, 200–213.

Keller, L. R., & Ho, J. L. (1988). Decision problem structuring: Generating options. *IEEE Transactions on System, Man, and Cybernetics, 18,* 715–728.

Kelley, S., Jr., & Mirer, T. W. (1974). The simple act of voting. *American Political Science Review, 68,* 572–591.

Klayman, J. (1985). Children's decision strategies and their adaptation to task characteristics. *Organizational Behavior and Human Decision Processes, 35,* 179–201.

Langley, P., Simon, H. A., Bradshaw, G. L., & Zytkow, J. M. (1987). *Scientific Discovery.* Cambridge, MA: MIT Press.

Lau, R. R. (1982). Negativity in political perception. *Political Behavior, 4,* 353–378.

Lau, R. R. (1995). Information search during an election campaign: Introducing a process tracing methodology to political science. In M. Lodge & K. McGraw (Eds.), *Political judgment: Structure and process* (pp. 179–205). Ann Arbor: University of Michigan Press.

Lau, R. R., & Erber, R. (1985). An information processing perspective on political sophistication. In S. Kraus & R. Perloff (Eds.), *Mass media and political thought* (pp. 17–39). Beverly Hills, CA: Sage.

Lau, R. R., & Redlawsk, D. P. (1992 August). How voters decide: A process tracing study of decision making during political campaigns. Paper presented at the eighty-eighth annual meeting of the American Political Science Association, Chicago.

Lau, R. R., & Redlawsk, D. P. (1997). Voting correctly. *American Political Science Review, 91,* 585–599.

Lau, R. R., & Redlawsk, D. P. (2001a). Advantages and disadvantages of cognitive heuristics in political decision making. *American Journal of Political Science, 45,* 951–971.

Lau, R. R., & Redlawsk, D. P. (2001b). An experimental study of information search, memory, and decision making during a political campaign. In J. H. Kuklinski (Ed.), *Citizens and politics: Perspectives from political psychology* (pp. 136–159). Cambridge: Cambridge University Press.

Lau, R. R., & Redlawsk, D. P. (in preparation). *How voters decide: Information processing during an election campaign.*

Lau, R. R., & Sears, D. O. (1986). Social cognition and political cognition. In R. R. Lau & D. O. Sears (Eds.), *Political cognition: The nineteenth annual Carnegie symposium on cognition* (pp. 347–366). Hillsdale, NJ: Erlbaum.

Lazarsfeld, P. F., Berelson, B. R., & Gaudet, H. (1944). *The people's choice.* New York: Columbia University Press.

Levy, J. (1997). Prospect theory, rational choice, and international relations. *International Studies Quarterly, 41,* 87–112.

Lewis-Beck, M. S., & Rice, T. W. (1992). *Forecasting elections.* Washington, DC: CQ Press.

Lichtenstein, S., & Slovic, P. (1971). Reversals of preference between bids and choices in gambling decisions. *Journal of Experimental Psychology, 89,* 46–55.

Lindberg, E., Garling, T., & Montgomery, H. (1989). Differential predictability of preferences and choices. *Journal of Behavioral Decision Making, 2,* 205–219.

Lodge, M., & Hamill, R. (1986). A partisan schema for political information processing. *American Political Science Review, 80,* 505–519.

Lodge, M., McGraw, K. M., & Stroh, P. (1989). An impression-driven model of candidate evaluation. *American Political Science Review, 83,* 399–420.

Lodge, M., Steenbergen, M. R., & Brau, S. (1995). The responsive voter: Campaign information and the dynamics of candidate evaluation. *American Political Science Review, 89,* 309–326.

Luce, R. D., & Raiffa, H. (1957). *Games and decisions: Introduction and critical survey.* New York: Wiley.

Lupia, A., McCubbins, M. D., & Popkin, S. L. (2000). Beyond rationality: Reason and the study of politics. In A. Lupia, M. D. McCubbins, & S. L. Popkin (Eds.), *Elements of reason: Cognition, choice, and the bounds of rationality* (pp. 1–20). New York: Cambridge University Press.

Malhotra, N. K. (1982). Information load and consumer decision making. *Journal of Consumer Research, 8,* 419–430.

March, J. G. (1978). Bounded rationality, ambiguity, and the engineering of choice. *Bell Journal of Economics, 9,* 578–608.

March, J. G. (1988). *Decisions and organizations.* Oxford: Blackwell.

March, J. G. (1994). *A primer on decision making.* New York: Free Press.

March, J. G., & Olson, J. P. (1989). *Rediscovering institutions: The organizational basis of politics.* New York: Free Press.

March, J. G., & Simon, H. A. (1958). *Organizations.* New York: Wiley.

Marcus, G. E. (1988). The structure of emotional response: 1984 presidential candidates. *American Political Science Review, 82,* 737–761.

Marcus, G. E., & MacKuen, M. B. (1993). Anxiety, enthusiasm, and the vote: The emotional underpinnings of learning and involvement during presidential campaigns. *American Political Science Review, 87,* 672–685.

Marcus, G. E., Neuman, W. R., & MacKuen, M. (2000). *Affective intelligence and political judgment.* Chicago: University of Chicago Press.

Markus, G. B., & Converse, P. E. (1979). A dynamic simultaneous equation model of electoral choice. *American Political Science Review, 73,* 1055–1070.

Meehl, P. E. (1977). The selfish voter and the thrown-away vote argument. *American Political Science Review, 71,* 11–30.

Mellers, B. A., Schwartz, A., & Cooke, A. D. J. (1998). Judgment and decision making. *Annual Review of Psychology, 49,* 447–477.

Miller, A. H., Wattenberg, M. P., & Malanchuk, O. (1986). Schematic assessments of presidential candidates. *American Political Science Review, 80,* 521–540.

Miller, G. A. (1956). The magical number seven, plus or minus two: Some limits on our capacity for processing information. *Psychological Review, 63,* 81–97.

Miller, W. E., & Shanks, J. M. (1996). *The new American voter.* Cambridge, MA: Harvard University Press.

Mondak, J. J. (1993). Public opinion and heuristic processing of source cues. *Political Behavior, 15,* 167–192.

Nie, N. H., Verba, S., & Petrocik, J. R. (1976). *The changing American voter.* Cambridge, MA: Harvard University Press.

Nisbett, R. E., & Wilson, T. D. (1977). Telling more than we can know: Verbal reports on mental processes. *Psychological Review, 84,* 231–259.

Olshavsky, R. W. (1979). Task complexity and contingent processing in decision making: A replication and extension. *Organization Behavior and Human Performance, 249,* 300–316.

Payne, J. W. (1976). Task complexity and contingent processing in decision making: An information search and protocol analysis. *Organizational Behavior and Human Performance, 16,* 366–387.

Payne, J. W., Bettman, J. R., & Johnson, E. J. (1988). Adaptive strategy selection in decision making. *Journal of Experimental Psychology: Learning, Memory, and Cognition, 14*, 534–552.

Payne, J. W., Bettman, J. R., & Johnson, E. J. (1992). Behavioral decision research: A constructive processing perspective. *Annual Review of Psychology, 43*, 87–131.

Payne, J. W., Bettman, J. R., & Johnson, E. J. (1993). *The adaptive decision maker.* New York: Cambridge University Press.

Payne, J. W., & Braunstein, M. L. (1978). Risky choice: An examination of information acquisition behavior. *Memory and Cognition, 6*, 554–561.

Pitz, G., & Sachs, N. (1984). Judgment and decision: Theory and application. *Annual Review of Psychology, 35*, 139–163.

Quadrel, M. J. (1990). *Elicitation and Evaluation of Adolescents' Risk Perceptions: Quantitative and Qualitative Dimensions.* Ph.D. Dissertation, Carnegie Mellon University.

Quadrel, M. J., Fishhoff, B., & Davis, W. (1993). Adolescent (in)vulnerability. *American Psychologist, 48*, 102–116.

Rahn, W. M. (1993). The role of partisan stereotypes in information processing about political candidates. *American Journal of Political Science, 37*, 472–496.

Rahn, W. M., Aldrich, J. H., & Borgida, E. (1994). Individual and contextual variations in political candidate appraisal. *American Political Science Review, 88*, 193–199.

Rahn, W. M., Krosnick, J. A., & Breuning, M. (1994). Rationalization and derivation processes in survey studies of political candidate evaluation. *American Journal of Political Science, 38*, 582–600.

Reder, L. M., & Anderson, J. R. (1980). A partial resolution of the paradox of interference: The role of integrating knowledge. *Cognitive Psychology, 12*, 447–472.

Redlawsk, D. P. (2001). You must remember this: A test of the on-line model of voting. *Journal of Politics, 63*, 29–58.

Raiffa, H. (1968). *Decision analysis: Introductory lectures on choices under uncertainty.* Reading, MA: Addison-Wesley.

Riggle, E. D., & Johnson, M. M. S. (1996). Age differences in political decision making: Strategies for evaluating political candidates. *Political Behavior, 18*, 99–118.

Riggle, E. D., Ottati, V., Wyer, R. S., Kuklinski, J., & Schwartz, N. (1992). Bases of political judgments: The role of stereotypic and nonstereotypic information. *Political Behavior, 14*, 67–87.

Riker, W. H., & Ordeshook, P. C. (1968). A theory of the calculus of voting. *American Political Science Review, 62*, 25–42.

Rosch, E. (1978). Principles of categorization. In E. Rosch & B. B. Lloyd (Eds.), *Cognition and categorization* (pp. 28–50). Hillsdale, NJ: Erlbaum.

Rosenberg, S. W., Kahn, S., & Tran, T. (1991). Creating a political image: Shaping appearance and manipulating the vote. *Political Behavior, 13*, 345–367.

Rosenstone, S. J. (1983). *Forecasting presidential elections.* New Haven: Yale University Press.

Rubenstein, A. H. (1998). *Modeling bounded rationality.* Cambridge, MA: MIT Press.

Russo, J. E. (1977). The value of unit price information. *Journal of Marketing Research, 14*, 193–201.

Russo, J. E., & Dosher, B. A. (1983). Strategies for multiattribute binary choice. *Journal of Experimental Psychology: Learning, Memory and Cognition, 17*, 676–696.

Savage, L. J. (1954). *The foundations of statistics.* New York: Wiley.

Shugan, S. M. (1980). The cost of thinking. *Journal of Consumer Research, 7,* 99–111.
Simon, H. A. (1947). *Administrative behavior.* New York: Macmillan.
Simon, H. A. (1957). *Models of man: Social and rational.* New York: Wiley.
Simon, H. A. (1979). Information processing models of cognition. *Annual Review of Psychology, 30,* 363–396.
Simon, H. A. (1985). Human nature in politics: The dialogue of psychology with political science. *American Political Science Review, 79,* 293–304.
Simon, H. A. (1995). Rationality in political behavior. *Political Psychology, 16,* 45–61.
Slovic, P., Fischoff, B., & Lichtenstein, S. (1977). Behavioral decision theory. *Annual Review of Psychology, 28,* 1–39.
Slovic, P., Fischhoff, B., & Lichtenstein, S. (1982). Response mode, framing, and information processing effects in risk assessment. In R. Hogarth (Ed.), *New directions for methodology of social and behavioral science: The framing of questions and the consistency of response* (pp. 21–36). San Francisco: Jossey-Bass.
Slovic, P., & Lichtenstein, S. (1971). Comparison of Bayesian and regression approaches to the study of information processing in judgment. *Organizational Behavior and Human Performance, 6,* 649–744.
Smith, E. R. (1998). Mental representation and memory. In D. T. Gilbert, S. T. Fiske, & G. Lindzey, (Eds.), *The handbook of social psychology* (4th ed., vol. 1, pp. 391–445). Boston: McGraw-Hill.
Sniderman, P. M., Brody, R. A., & Tetlock, P. E. (1991). *Reasoning and choice: Explorations in political psychology.* New York: Cambridge University Press.
Sniderman, P. M., Hagen, M. G., Tetlock, P. E., & Brady, H. E. (1986). Reasoning chains: Causal models of policy reasoning in mass publics. *British Journal of Political Science, 16,* 405–430.
Svenson, O. (1979). Process descriptions of decision making. *Organizational Behavior and Human Performance, 23,* 86–112.
Taber, C. S., & Steenbergen, M. R. (1995). Computational experiments in electoral behavior. In M. Lodge & K. M. McGraw (Eds.), *Political judgment: Structure and process* (pp. 141–178). Ann Arbor: University of Michigan Press.
Taylor, S. E. (1981). The interface of cognitive and social psychology. In J. Harvey (Ed.), *Cognition, social behavior, and the environment* (pp. 189–211). Hillsdale, NJ: Erlbaum.
Tversky, A. (1969). Intransitivity of preferences. *Psychological Review, 76,* 31–48.
Tversky, A. (1972). Elimination by aspects: A theory of choice. *Psychological Review, 79,* 281–299.
Tversky, A., & Kahneman, D. (1973). Availability: A heuristic for judging frequency and probability. *Cognitive Psychology, 5,* 207–232.
Tversky, A., & Kahneman, D. (1974). Judgment under uncertainty: Heuristics and biases. *Science, 185,* 1124–1131.
Tversky, A., & Kahneman, D. (1981). The framing of decisions and the psychology of choice. *Science, 211,* 453–463.
Tversky, A., & Kahneman, D. (1986). Rational choice and the framing of decisions. *Journal of Business, 59,* S251–S278.
Tversky, A., & Kahneman, D. (1992). Advances in prospect theory: Cumulative representation of uncertainty. *Journal of Risk and Uncertainty, 5,* 297–323.
Tversky, A., & Sattath, S. (1979). Preference trees. *Psychological Review, 86,* 542–573.
Tversky, A., Sattath, S., & Slovic, P. (1988). Contingent weighting in judgment and choice. *Psychological Review, 95,* 371–384.

Wright, P. (1975). Consumer choice strategies: Simplifying vs. optimizing. *Journal of Marketing Research, 12,* 60–67.

von Neuman, J., & Morgenstern, O. (1947). *Theory of games and economic behavior.* Princeton: Princeton University Press.

Vriend, N. J. (1996). Rational behavior and economic theory. *Journal of Economic Behavior & Organization, 29,* 263–285.

الفصل الثالث

الارتقاء السياسى من الطفولة إلى الرشد[٧٧]

ديفيد أو. سيرز وشيرى ليفى

إذا كانت دراسة التاريخ تدور بشكل محورى حول الزمن كمتغير مستقل، فإن دراسة الارتقاء من الطفولة إلى الرشد تدور فى الغالب حول تاريخ الحياة، أى دراسة الزمن عبر الحياة الإنسانية، أو كما يصوغها ألوين "التعامل الجاد مع الزمن" (Alwin, 1995). ويتناول هذا الفصل التوجهات السياسية وتطورها عبر تاريخ الحياة من الطفولة المبكرة وحتى الشيخوخة.

ترى لماذا نهتم بتواريخ الحياة ذات الطابع السياسى الاجتماعى؟ لعل مرجع هذا أن ذلك التوتر الدائم بين الاستمرارية والتغير يمارس تأثيره خلال حياة الفرد. ولعل ذلك يعد جزءا من تساؤل أشمل عن النظرية النفسية الخاصة بالتأثيرات الدائمة للخبرات المبكرة على سلوك الراشد. ويتعارض مثل هذا التوكيد التاريخى بشكل ملحوظ مع التأكيد اللا تاريخى لكل من نظريات الاختيار العقلانى المشتقة من علم الاقتصاد، أو حتى كثير من نظريات اتخاذ القرار النفسية، حيث يؤكد كلا النوعين من النظريات على الإعلاء من شأن المعلومات المتاحة فى مواقف اتخاذ القرار أثناء الرشد، حتى وإن كانا يشيران بجهد أقل – إلى احتمال تدخل توجهات وتفضيلات وقوى غير محسوبة فى عملية اتخاذ القرار لدى الراشد. وهناك دافع نظرى آخر وإن كان أكثر اتصالا بالسياسة؛ وهو أن فهم جذور تلك التوجهات،

---

(٧٧) قام بترجمة هذا الفصل محمد يحيى الرخاوى

سواء تعلقت بالسياسة بشكلٍ خاص (انظر الفصلين ١٣ و١٤) أو بالعلاقات بين الجماعات (انظر الفصلين ١٥ و١٦) ربما يساعدنا على فهم مسار الانتماء الحزبى أو التعصب أو القيم الأساسية على مدى الحياة. أما الدافع الثالث فهو دافع سياسى بشكل أكثر نقاءً، حيث يعود إلى الآمال المثالية لعلماء الاجتماع الليبراليين فى أن الشرور الاجتماعية والسياسية يمكن تفاديها من خلال خبرات تنشئة اجتماعية مبكرة أفضل. فقد اعتقد هؤلاء العلماء أنه إذا ما تم فى فترة مبكرة من العمر تعليم التسامح والمواطنة الجيدة، ربما أمكننا التغلب على مشكلات التعصب العرقى (انظر الفصل ١٥)، والتحيز (انظر الفصل ١٦) ومن ثم يمكن التقليل من اضطهاد الشعوب أو إبادتها أو حتى تجنب هذا الاضطهاد والقتل تمامًا (انظر الفصل ٢٠).

التفكير فى الزمن وتاريخ الحياة السياسية.

هناك ثلاث طرق للتفكير فى الزمن وتاريخ الحياة السياسية من وجهة نظر سيكولوجية. تهتم الطريقة الأولى بالتأثيرات الدائمة للخبرات المبكرة، حيث ترى النظريات المبكرة للتنشئة أن هذه التأثيرات تستمر بالفعل، وأيدها البحث فى جذور التعصب العرقى، والهوية القومية، والعدائية نحو الدول الأخرى لدى الطفل (Harding, Proshansky, Kutner, & Chein, 1969; Lambert & Klineberg, 1967)

ودراسة الوصمة الدائمة المصاحبة لهوية الأقلية بين الأطفال السود (Clark & Clark, 1939) وكذلك البحث عن جذور الانتماء الحزبى والإيديولوجية فى مرحلة الشباب (Hyman, 1959) أو التأييد الواسع للنظام السياسى الديموقراطى (Easton & Dennis 1969; Greenstein. 1965). ويقوم التسليم بوجود ذلك التأثير الدائم لمثل هذه الاتجاهات على أساس افتراضى بأكثر من اعتماده على الفحص المباشر، وربما يرجع ذلك إلى شيوع الاعتقاد

السائد المشتق من نظريات التعلم والنظريات التحليلية، بما معناه أن "شجر البلوط الكبير ينمو من بذور صغيرة جدًا". مع ذلك فسرعان ما ووجه هذا الافتراض بانتقادات حادةٍ (انظر مثلاً: Marsh, 1971 Searing, Schwartz, & Lind, 1973; Searing, Wright, & Rabinowitz 1976; Vaillnacourt, 1973) بالإضافة إلى أبحاث جديرة بالاهتمام (انظر مثلاً:- Jennings & Markus, 1984 وبالنسبة للمراجعات انظر D. sears, 1975, 1990).

وبالمقابل فإن ما تم التركيز عليه هو أن "الأزمنة" قد تتغير، وقد تبقى على حالها؛ ومع تغيرها وثباتها تتغير وتثبت توجهات الأفراد. فما يحدث فى تواريخ حياة الأفراد يُعد مرتبطًا بشكل لاينفصل بالبيئة الأوسع والتى تُعد نتاج "الأزمنة". فقد سجل الأطفال الأمريكان زيادات ملحوظة فى مستوى القلق أثناء النصف الثانى من القرن العشرين (Twenge, 2000) كما انخفضت المساندة لقانون جيم كرو[(٧٨)] Jim Crow العنصرى بشكل حاد أثناء هذه الفترة (Schuman, Steeh, Bobo, & Krysan, 1997). إن الأنظمة السياسية تتغير مع الوقت وتتغير معها الأنساق الحزبية أيضا (Converse, 1969) وقد حدث ذلك مثلا بشكل مثير فى الانهيار المفاجئ للاتحاد السوفيتى وكما حدث بشكل أقل وضوحًا فى إعادة ترتيب صفوف التحالف بين ولايات الجنوب الأبيض وولايات الجبل فى الولايات المتحدة منذ الستينيات (Carmines & Stimson, 1989; Marchant-Shapiro & Patterson, 1995).

---

(٧٨) ترجع التسمية إلى شخصية ابتدعها الكوميدى الأمريكى توماس دارتماوث Thomas Dartmouth (١٨٠٨-١٨٦٠) لعبد عجوز أسود أطلق عليه اسم "جيم كرو" فى برنامج غنائى راقص تضمن أغنية شاعت كثيرا آنذاك اسمها "اقفز يا جيم كرو"، وقد حظرت قوانين "جيم كرو" على الأمريكيين ذوى الأصول الأفريقية حق الحصول على العمل وكذلك الدخول إلى الأماكن العامة، مثل المطاعم والفنادق والمنشآت الأخرى. وقد عاش السود، خاصة فى جنوب الولايات المتحدة، فى خوف من أعمال العنف التى تحرض عليها دوافع عنصرية. وألغيت تلك القوانين رسميا عام ١٩٦٤ بقانون الحقوق المدنية الذى يحظر كافة أشكال التفرقة العنصرية فى الأماكن العامة. (المراجع)

وهناك منحى عام ثالث يبحث عن الخصائص المميزة لمراحل الحياة المختلفة. فربما يجد الصبية صعوبة فى ربط الأوجه المختلفة من الأحداث (Newcombe, Drumney Fox, Lie, & Ottinger-Alberts, 2000) حيث إن عيانية تفكيرهم ربما تؤخر فهمهم لمفاهيم تجريبية مثل الكونجرس أو المحكمة العليا (Hess & Torney, 1976)، وربما ينبع تفكيرهم الخاص بالخيارات الأخلاقية من مراحل تركيزهم على المتعة أو السلطة (Adelson, 1972; Tapp & Kohlberg, 1971) أما المراهقون فربما يكونون أكثر عرضة بشكل خاص لـ "العصف والمشقة" (Arnett, 1999)، ومستغرقين فى السلوك غير التقليدى (Watts, 1999) والعصيان السياسى (Feuer, 1969) وربما يكون صغار الراشدين مهتمين بشكل خاص بهويتهم الخاصة المستقلة (Erikson, 1968) والتحرر من المجتمع (Arnett, 2000; Carlsson & Karlsson, 1970) ومن ثم أكثر قابلية للتأثر. أما كبار السن فربما تفتر طاقتهم الجسدية والنفسية، بما يترتب على ذلك من أثر على اتساق وثبات اتجاهاتهم (Sears, 1981).

ولقد نشأ البحث المبكر فى تاريخ الحياة السياسى أيضًا من النظريات الكبرى للسلوك السياسى وإن كان بشكل ضمنى فقط أحيانًا (Merelman, 1986) فقد أثارت نظرية الأنظمة الاهتمام بكيف أصبح الناس منجذبين لنظامهم السياسى وكيف طوروا ثقتهم فى السلطة السياسية ولاسيما فى النظم الديمقراطية الناضجة (Easton & Dennis, 1969; Greenstein, 1963)

وقد أثارت النظريات الشمولية أو الماركسية الاهتمام بكيف تكوّن المدارس ووسائل الإعلام مواطنين ممتثلين، لاسيما فى الطبقات الدنيا والعاملة (Hochschild, 1981) أما نظريات التعددية الديمقراطية فتفترض أن النظم الديمقراطية الثابتة تتبنى على أساس ارتباط الجمهور أو انتمائه للأحزاب السياسية، والشعور بالواجب الوطنى، ومساندة "قواعد اللعبة" والتسامح السياسى (Campbell, Converse, Miller, & Stokes, 1960; Sullivan,

Pierceson, & Marcus, 1982) وتركز نظريات الصراع الاجتماعية على الطبقة والأشكال الأخرى من الوعى الجمعى (Miller, Gurin, Gurin, & Malanchuk, 1981)

لقد كانت مقالات مراجعة الأبحاث المنشورة فى كتيبات علـــم الـــنفس السياسى السابقة التى تحمل عنوان "التنشئة السياسية" تركز بشكل كبير على اكتساب الأطفال لتوجهات سياسية معينة (Merelman, 1986; Niemi, 1973) أما نحن فسيتسع مجال اهتمامنا ليشمل مدى الحياة كلهـــا، ومـــدى أوســـع مـــن التوجهات السياسية والاجتماعية. وسنبدأ بمناقشة اكتساب الميول الأساسية فى عمر ما قبل الرشد، مع اهتمام خاص بالارتقاء الأخلاقى والمعرفى، والهوية العرقية والعنصرية، والتحيزات العرقية والعنـــصرية، والانتمـــاء الحزبـــى الأساسى. ثم نستمر لنتابع مسار تلك الميول عبر مراحل النمو التالية، مـــع اهتمام خاص باستمرارها وكذلك قابليتها للتغير فى مرحلة الرشـــد المبكـــر. وفى النهاية نتناول تضمينات هذه الأفكار بالنسبة لمسألتى الأجيال الـــسياسية وحالة المهاجرين لدولة أخرى.

التعلم فى مرحلة ما قبل النضج

الارتقاء الأخلاقى والمعرفى

يبنى الأطفال مبادئهم الأخلاقية من خلال تفـــاعلاتهم مـــع الوالـــدين، والمدرسين، والإخوة، والأقران. وقد وضع الباحثون تصوراتهم عن الأخلاق فى ضوء العدالة ("عامل الآخرين بمثل ما تحب أن يعاملوك به) والحريـــة، والحقوق، والتبادلية (أحب لأخيك ما تحب لنفسك؛ انظـــر: (Gilligan, 1982; Kohlberg & Candee, 1984) وقد شاع لدى المتخصصين فـــى علـــم الـــنفس الارتقائى فى معظم البحوث الإمبيريقية على مدى الأربعة عقود الماضـــية، نموذجان لدراسة الحكم الأخلاقى واتخاذ القرار الأخلاقـــى. وقـــد انعكـــس

النموذج الأول من خلال النماذج الرائدة فى النمو الأخلاقى التى صاغ أولها بياجيه Piaget (1932/1965). ثم طورها علماء النفس الأمريكيــون وخاصــة كوبرج (Kohlberg, 1969, 1984; See also Damon, 1977; Selman, 1980) وقــد ميَّز منحى المرحلة فهم الأطفال للأخلاق بوصفه سلسلة من المراحل المتتالية فى مسار التفكير والسلوك الأخلاقيين. أما النموذج الثانى الذى يـشار إليــه بوصفه نموذج المجال المعرفى الاجتماعى فقد صاغه توريال فــى البدايــة (Turiel, 1983, 1998) وامتد به زملاؤه (للمراجعــة انظــر ;Smetana, 1995 Tisak, 1995 Turiel, Killen, & Helwing, 1987) ويعتبــر نمــوذج التفكيــر الأخلاقى كواحد من مجالات عديدة من المعرفة التى تبــزغ فــى الارتقــاء الاجتماعى المبكر. وسوف نناقش أولاً نموذج المرحلة، الذى وضع الأساس للمنحى الارتقائى – البنائى للتفكير الأخلاقى، ثم نتطرق إلى العمل الأكثــر معاصرة، الذى يستخدم نموذج المجال النوعى الخاص بالمعرفة الاجتماعية.

نظريات المراحل

افترض بياجيه (Piaget, 1932/1965) نموذجًا ثنائى المراحل للارتقــاء الأخلاقى يمر خلاله الطفل من التبعية، أو الاعتماد الكامــل علــى القواعــد الموضوعة من الخارج فى مرحلة الطفولة المبكرة، إلى مزيد من الاستقلال والمرونة فى توجهاتهم الأخلاقية فى مرحلة الطفولــة المتوســطة وامتــدادًا بنموذج بياجيه؛ عرض كــولبرج (Kohlberg, 1969, 1976) نمــوذج الــثلاث مراحل فى الارتقاء من الطفولة المبكرة إلى المتوسطة، فأضيف إلى النموذج ثلاث مراحل إضافية لتستوعب التفكير الأخلاقى فى المراهقة والرشد (انظر أيضا: Kohlberg, 1984) وكذلك انظر نموذج تاب وكولبرج للتعقل القــانونى (Tapp & Kohlberg's 1971 model of legal reasoning) وقد افترض كــولبرج، مثل بياجيه، أن الطفل فى مرحلة الطفولة المبكرة والمتوسطة يتحــرك مــن

التبعية إلى توجه أكثر مرونة، هذا مع كونه قد حدد قواعد أو أهـدافًا تحكـم هذه المرونة فى المبادئ الأخلاقية (تجنب العقاب، كسب الاستحسان). وأكدت المراحل التالية التى وضعها كولبرج على الانتقال من التركيز علـى فائـدة القوانين لإدارة شؤون المجتمع إلى إدراك أن المبـادئ الأخلاقيـة الكونيـة تتجاوز وربما تتعارض مع القوانين. وقد كانت منهجية كـولبرج لدراسـة التفكير الأخلاقى جديدة، حيث سأل الأطفال عن معضلات أخلاقيـة عيانيـة ودرامية وجذابة تثير قضايا أخلاقية تجريدية (مثل، هل للزوج سرقة الدواء الذى لا يستطيع دفع ثمنه لإنقاذ حياة زوجته؟). تبين الدراسـات أن بعـض الأطفال ينكصون فى ارتقائهم أو يقفزون فوق مرحلة مـن المراحـل (e. g. Kuhn, 1976; Kurtines & Grief, 1974) بينما يصل قليل من المـراهقين إلـى المرحلـة النهائيـة. (Colby & Kohlberg, 1984; Colby, Kohlberg, Gibbs, & Liberman, 1983) وقد انتقدت نظرية كولبرج لعدم قدرتها على تفسير العلاقة بين التفكير الافتراضى فى المآزق الأخلاقية والسلوك الأخلاقـى الـواقعى (Rest, 1983) وكونها متمركزة حول الذكور (Gilligan, 1977, 1982) وكونهـا مرتبطة بثقافات بعينها (Schweder, 1982).

وفى مقابل منحى كوهلبرج، الذى وسم كل أشكال التفكيـر الأخلاقـى بأنها قرارات تتعلق بقيمة الحياة الإنسانية، وضـع دامـون (Damon, 1975, 1977, 1980) نظرية عن العدالة الإيجابية، وأن الأطفال يميلون إلـى تقـسيم الموارد أو توزيع المكافآت بإنصاف، فقد وجد دامون (1983) فى دراساته فى الولايات المتحدة، وإسرائيل، وبورتريكو، وأوربا أن التفكير الإيجابى العادل لدى الأطفال، الذى يبينه اختيارهم للحصص، تقدم ونما عبر ستة مراحـل؛ حيث اعتمدت الاختيارات فى البداية على الأمانى والرغبات (العمر من ٤ – ٥)، ثم على المساواة وتبادل الأفعال (العمر من ٥ – ٩)، وفى النهاية علـى مطالب الأشخاص والمواقف (العمر من ٨ وأكبر). وأظهر البحث التالى أن

حتى الأطفال فى سن ٦ سنوات يمكنهم وضع العوامل الشخصية والموقفية فى الاعتبار عندما يكون سياق الحكم مألوفًا بالنسبة لهم (Thorkildsen, 1989). وقد أوضح دامون (Damon, 1977) فى نقده لكولبرج أن التفكير الافتراضى للأطفال مرتبط بسلوكهم فى المواقف الفعلية (مثل تقسيم المكافآت على أساس أدائهم فى نشاط ما).

وانطلاقًا أيضا من تركيز كولبرج على التفكير المتعلق بانتهاك القوانين، درس أدلسون وزملاؤه (Adelson, Green, & O'Neil, 1969; Adelson & O'Neil, 1966) أفكار الأطفال حول ارتقاء القواعد. واتساقًا مع نظريات المراحل الارتقائية – المعرفية، بيَّن أدلسون وزملاؤه أن الأطفال والمراهقين يتقدمون من فهمهم للمجتمع فى ضوء الأفراد والأحداث العيانية إلى فهم مبنى على المبادئ المجردة (Tapp & Levine, 1972). وقد درسوا التفكير فى القوانين فى المواقف التى تضمنت صراعات بين استقلال الفرد ونفع المجتمع. وقد بيَّن هذا البحث أن الأطفال، مع العمر، ينتقلون من التفكير فى القوانين بوصفها سيطرة اجتماعية (قرار زيادة العقاب بالنسبة للقانون الذى لا يثبت فعالية) إلى الوعى المتزايد بالمنافع الاجتماعية للقانون (اقتراح أنه إذا لم يكن القانون فعالا فينبغى تغييره)

النماذج المعاصرة للأخلاق

يختلف البحث المعاصر عن الاتجاهات المذكورة آنفًا من ناحيتين. أولاً؛ بين الباحثون الحاليون أنه حتى الأطفال الصغار جدًا يستطيعون إصدار أحكام أخلاقية عن الإنصاف (بخلاف نظريات بياجيه وكولبرج، التى وجدت أن الأطفال الصغار يتخذون قراراتهم فى ضوء السلطة أو تجنب العقاب)، وثانيًا؛ إن تفكير الأطفال يتنوع مع السياق، وهو ما يشار إليه بمنحى المجال النوعى. ففى نموذج المجال، يتميز التفكير الأخلاقى عن كل من التفكير

التقليدى الاجتماعى، والتفكير الشخصى؛ ولكنه ينسق معهما مع ذلك. (Nucci, 1981; Turiel, 1983; Turiel, Killen, & Helwig, 1987).

وبعكس تنظير بياجيه، وجد الباحثون أن الأطفال لا ينصاعون للسلطة فحسب؛ بل إن تفكيرهم يُعد مركبًا ونوعى السياق؛ فهم يدخلون فى حسابهم متغيرات مثل المكانة الاجتماعية، والخبرة والمعرفة كمتغيرات مهمة فى تحديد متى نطيع شخصًا ما (Laupa, 1991, Laupa, Turiel, & Cowan, 1995). كما أنه وبعكس تنظير كولبرج (Tapp & Kohlberg, 1971)، وجد الباحثون أن الأطفال الصغار يعتقدون أن خرق القانون أمر مقبول تحت ظروف معينة، على سبيل المثال، فقد عرض هيلويج وجازيوبيدزكا (Helwig & Jasiobedzka, 2001) على أطفال كنديين (فى العمر من ٦ – ١١) قوانين حقيقية ومزيفة، كان لبعضها فوائد اجتماعية (تحصينات إلزامية) إلا أنها قد تكون متعدية على الحقوق الشخصية، وكان بعضها الآخر ظالمًا ومتعديًا بشكل واضح على الحقوق الشخصية. وقد زود الأطفال بأمثلة على خرق القوانين وأسبابها (مثل فرض قيود دينية وعائلية على التعليم). وبدلاً من التزامهم الحرفى بالقوانين، أو حتى محض السماح باستثناءات فى المواقف القصوى (تهديد الحياة مثلاً)، فإن الأطفال أيضا يدركون أن الانتهاكات الصغيرة لحقوق الأفراد (مثل، إجبار الفرد على أن يظل واقفًا فى حافلة بسبب سنه) تبرر أحيانًا خرق القانون. وفى دراسة أخرى سأل هيلويج وبرنسيب (Helwig & Prencipe, 1999) أطفالاً كنديين من سن ٦ إلى ١١ عام أن يُقيمُوا مقاطع تتعلق بحرق الأعلام. وقد بدا أن الأطفال الأصغر سنا يركزون أكثر على الأهمية الوظيفية، كمقابل للأهمية الرمزية للعلم (مثل الاهتمام بتحديد موقع الدولة مقابل التعبير عن قيم مشتركة) وقد كانوا أقل حساسية أيضا للتغيرات فى السياق الاجتماعى الذى ربما يغير من معنى فعل الإشعال (إن الدولة صاحبة العلم المحترق تمارس ممارسات غير عادلة، مثلاً). ومع ذلك

كان صغار الأطفال حساسين لمقاصد من قام بالحرق وللعواقب الممكنة لهذه الأفعال ذلك أنهم رفضوا التعديات الخاصة والعرضية أكثر من رفضهم الحرق العلنى والرمزى.

يُعد نموذج المجال المعرفى – الاجتماعى لتوريال وزملائه نموذجًا ارتقائيًا مؤثرًا عن التفكير الأخلاقى (e. g. , Nucci & Lee, 1993; Smetana, 1995; Turiel, 1983, 1998; Turiel & Davidson, 1986; Turiel, Killen, & Helwig, 1987). ففى هذا النموذج يستطيع الأطفال فى السن من ٣ – ٤ أن يميزوا القواعد الأخلاقية والتقاليد الاجتماعية (Turiel, 1988). وفى الطفولة المتوسطة، يستطيع الأطفال إصدار أحكام صريحة عن أهمية الأنواع المختلفة من القواعد (Nucci & Killen, 1991). ويبين نموذج توريال وزملائه أن الأطفال يفهمون عالمهم فى إطار ثلاثة مجالات أو أنظمة نوعية: (١) التقاليد الاجتماعية (مثل التقاليد والأعراف والطقوس؛ أى بدائل السلوك غير القابلة للتعميم)؛ (٢) الأخلاق (كالحريات والحقوق والمساواة فى المعاملة؛ أى أفعال غير قابلة للتبديل وقابلة للتعميم) و(٣) العوامل النفسية (مثل الاستقلالية والأهداف الشخصية والامتيازات الخاصة؛ أى أفعال الاختيار الشخصى). ويأتى الدليل على التفكير فى هذه المجالات الثلاثة من دراسات فى ثقافات مختلفة (مثلاً:– البرازيل، وكندا، وألمانيا، والهند، وإسرائيل، واليابان، ونيجيريا وتركيا)، وبيئات متباينة (حضارية، وريفية)، ومستويات اقتصادية اجتماعية متباينة (مرتفع، ومنخفض، وانظر من أجل مراجعة حديثة Killen, McGlothlin, & Lee Kim. 2002).

وقد قام هؤلاء الباحثون، بمقابلات فردية، مشابهة لمقابلات بياجيه وكولبرج، لدراسة التفكير والحكم الأساسيين عند الأطفال، لكنهم حسنوها من خلال إضافة صيغ مغلقة النهاية ومقاطع أكثر وضوحًا (e. g. Helwig. 1998). وقد درسوا عددًا من القضايا المتعددة الجوانب والمثيرة للجدل (مثل

الإجهاض وزنا المحارم، والفن الإباحى، وتعاطى المخدرات؛ انظر. (Killen, Leviton, & Cahill, 199; Turiel, Hildebrandt, & Wainryb, 1985). وقد استخدمت حديثًا كيلين وزملاؤها (Killen et al. , 2002) نموذج المجال المعرفى الاجتماعى لدراسة تقييمات الأطفال للانضمام داخل الجماعة والاستبعاد منها فى سياق المواقف التى تتضمن إدخال القوالب النمطية والعدالة فى الاعتبار. ففى دراسة قيم كيلين وستانجور (Killen & Stangor, 2001) لقرارات الأطفال والمراهقين (العمر من ٧ – ١٣) الخاصة بموافقتهم أو رفضهم لاستبعاد أحد الأفراد من مجموعات للنشاط الحر التى تشكلت على أساس السلالة (مثال نادى الرياضيات "للبيض" أوفريق كرة السلة "الأسود")، وكذلك بالنسبة لمجموعات تشكلت على أساس النوع (مثال فريق الباليه للبنات، أو فريق البيسبول للأولاد)، وعندما كان السيناريو يقوم على استبعاد واضح (قرار ما إذا كان يمكن لطفل الانضمام للجماعة مثلا)، فإن الغالبية العظمى من المشتركين (من جميع الصفوف الدراسية) شعروا أن استبعاد الأساس السلالى يعد خطأ أخلاقيا. وحين قدمت للأطفال سيناريوهات أكثر تعقيدًا كأن يتقدم طفلان متساويان فى الكفاءة للانضمام لجماعة من السود لا يمكنها إلا قبول واحد فقط؛ فإن تلاميذ الصفين الرابع والسابع انتقوا الطفل الأبيض، مع تقديم أسباب تتعلق بالمعاملة المتساوية. وعندما اختلف الطفلان المتقدمان فى مستوى الكفاءة (مثال: كان الطفل الأسود لديه خبرة أكبر فى لعب كرة السلة من الطفل الأبيض)، مال الأطفال فى الصف السابع إلى اختيار الطفل ذى الكفاءة الأفضل (متفق مع نمط المجموعة)، مع تقديم مبررات تخص الأداء الوظيفى للجماعة، فى حين استمر الأطفال فى الصف الرابع فى اختيار الطفل الآخر. إن هناك حاجة لمزيد من البحث لفهم الاختيارات المتنوعة للأطفال، وكيف يقف الأداء الوظيفى للجماعة فى مقابل المزايا الفردية، والتبريرات التى تُطرح، وكيف يستجيب الأفراد المستبعدون بشكل تقليدى من الجماعات لمثل هذه المآزق (Killen et al. . 2002).

توجهات المستقبل

يحتاج العمل المستقبلى لبحث كيف يرتبط تفكير الأطفال بسلوكهم الفعلى. فمثلاً، يمكن إثراء التنظير المعاصر بمزيد من التركيز على السلوك الفعلى (للأطفال فى الملعب) وذلك بالإضافة إلى التركيز الحالى على التقارير التى تعتمد على استرجاع الخبرة أو عن المقاصد من وراء السلوك. كذلك ننتظر أن يضع الباحثون فى المجال المعرفى الاجتماعى ذلك الكم المتنامى من نتائج البحوث موضع التنفيذ من خلال تدخلات تسعى لتحسين العلاقات الاجتماعية والتسامح (Aboud & Levy, 2000; Helwig & Jasiobedzka, 2001).

ارتقاء الهوية العرقية والعنصرية

فى مجتمع متنوع، يُعد العرق والسلالة مكونين مهمين لهويات الأفراد ويؤثران بشكلٍ كبير على الفرص الاجتماعية والأكاديمية. ونعرض فى هذا الجزء لارتقاء التوحد أو الانتماء العنصرى والعرقى فى الجماعات المختلفة وكيف يرتبط هذا الانتماء بارتقاء اتجاهات الأطفال والمراهقين نحو أنفسهم وجماعتهم والجماعات الأخرى. وعلى الرغم من وجود فروق بين السلالة Race والعرق Ethnicity (e. g. . see Ocampo, Bernal, & Knight, 1993; Quintana, 1998) فإنه يبدو أن لهما تضمينات متشابهة؛ ومن ثم سنناقش نتاج البحوث فى الهويات العنصرية والعرقية معًا.

لقد برزت الهوية العنصرية / العرقية وما يترتب عليها للانتباه العام من خلال بحث كلارك وكلارك (Clark & Clark, 1939, 1940) الذين وجدا أن صغار السود فى الولايات المتحدة يفضلون الدمى البيضاء عن الدمى السوداء (يريدون اللعب معها ويميلون إليها)، مفترضين أن الانتماء إلى الجماعة

العرقية ذات المكانة المنخفضة يمكن أن يقلل من تقدير الفرد لذاته. والتفضيل لسلالة الأغلبية كان قد تكرر فى دراسات على سكان أمريكا الأصيلين (Annis & Corenblum, 1987) والبانتو فى جنوب أفريقيا (Gregor & McPherson, 1966). وقد بينت البحوث التالية أن تفضيل جماعة الأغلبية لايترجم بالضرورة إلى تقدير منخفض للذات (Cross, 1991; Spencer, 1984) وتفترض دراسة بوف (Beuf 1977) على أطفال سكان أمريكا الأصليين، على سبيل المثال، أن تفضيلات أطفال الأقلية لجماعة الأغلبية ربما ترتبط بالرغبة فى ثروة جماعة الأغلبية وسلطتها أكثر مما ترتبط بالشعور السلبى بالذات.

بحوث معاصرة

يبدو أن معارف الأطفال عن العرق تبدأ مع فهمهم لخصائص السلالة أو الخصائص الجسدية التى تميز الجماعات (Aboud, 1987) ويؤدى الوعى العنصرى بعد ذلك إلى الهوية العرقية (Rotheram & Pinney, 1987) كما يعتقد أن فهم الأطفال للعرق والسلالة يأتى أيضا من أسرهم (Knight, Bernal, Garza, Cota, & Ocampo, 1993)، ومن تلك النظريات البيولوجية الساذجة (e. g. Hersch feld, 1995)، وأيضا من الدلالة الضمنية اللغوية السلبية "للأسود" مقابل الدلالة الضمنية الإيجابية "للأبيض" (e. g. Williams & Morland, 1976) وحديثًا افترض كوينتانا (Quintana, 1994, 1998) نموذجًا من خمس مراحل لتطور العرقية ووجد مساندة لهذا النموذج من خلال دراسة أطفال الأمريكان من أصل مكسيكى والأمريكان من أصل أفريقى والبيض واللاتينيين والكويش واللاديين الجواتيماليين. وتجمع مراحل الطفولة المبكرة عند كوينتانا (المرحلة صفر والمرحلة واحد) نتائج الباحثين الآخرين وتكامل بينها، بما يوفر إطار عمل تنظيمى ممتاز من حيث الاختصار الموسع لنتائج المجال. وفى المستوى صفر "التكامل بين الفهم الوجدانى والفهم الإدراكى للعرقية"

(وهى المرحلة من ٣ إلى ٦)، حيث يعتمد وعى الأطفال عن السلالة على الخصائص البيولوجية القابلة للملاحظة، من ثم يتعلم الأطفال ويستخدمون مصطلحات وصفية وعنصرية فى الوقت نفسه (مثل أبيض، وأسود) قبل استخدامهم المصطلحات التى لها فقط معنى سلالى أو عرقى (مثل أمريكى – أفريقى، أو أمريكى – لاتينى، انظر (Alejandro-Wright, 1985; Quintana, 1994). وفى هذه المرحلة أيضا يميل تمييز الأطفال الوجدانى للسلالة نحو ثقافة التيار السائد (مثل الميل للأبيض). ربما لأن الفهم المبكر للسلالة يأتى من ثقافة التيار السائد، حيث يتم تمثيل أكبر وأكثر تكرارًا وإيجابية للأغلبية (e. g. Aboud, 1988). وفى المستوى الأول، "الفهم الحرفى Literal للعرق "وهى المرحلة من ٦ – ١٠)، يفهم الأطفال المزيد عن الأوجه الدقيقة للعرق (اللغة، والعادات، والأطعمة المفضلة: Alejandro-Wright, 1985; Bernal et al. 1990).

ولكى نفهم ارتقاء إدراك الأطفال لهويتهم من الطفولة المتوسطة إلى المراهقة، نعود إلى نموذجى المراحل الثلاثة الكلاسيكية لفينى (Phinney, 1989) وكروس (Cross, 1978) الخاصة بالهوية العرقية، اللذين يشبهان بعضهما ويشبهان أيضا مراحل كوينتانا اللاحقة، وهما مشتقان من الأبحاث التى جرت على نظرية هوية – الأنا (Erikson, 1968; Marcia, 1980). فى المرحلة الأولى "الهوية العرقية غير المفحوصة" (لفينى) أو مرحلة "قبل المواجهة" (كروس)، لا يفحص الأطفال هويتهم العرقية وقد وجد فينى (Phinney, 1989) أن حوالى نصف الآسيوأمريكيين، والسود، والأمريكيين من أصل لاتينى فى الصف العاشر كانوا فى المرحلة واحد. وربما كان لدى الأطفال الذين لم يختبروا هويتهم العرقية مشاعر سلبية نحو جماعتهم الخاصة (Cross, 1978; see Phinney, 1989). وفى المرحلة الثانية، "مرحلة البحث عن الهوية العرقية" (فينى) أو "المواجهة والانغمار" يبحث

الأشخاص اليافعون عن معلومات تخص جماعتهم (مثل قراءة كتب عن عرقهم، أو زيارة المتاحف العرقية)، وهذه المرحلة تعد نقطة تحول قريبة من "أزمة الهوية" (Erikson, 1968) ويبدأ تقصى الهوية النشط فى المدرسة العليا أو الكلية، بل وربما يبدأ من المدرسة الوسطى أو حتى فى سن أصغر، عندما يعبر الأطفال عن هويتهم بالانضمام إلى جماعات الأقران المؤسسة على العرق (Rotheram – Borus, 1993) وقد وجد فينى (1989) أن أكثر من ١: ٥ من الأسيوأمريكيين، والسود والأمريكيين من أصل لاتينى فى الصف العاشر كانوا فى المرحلة الثانية. وأثناء هذه المرحلة غالبًا ما يقع شبان الأقليات العرقية وشبان المهاجرين فى صراع مع المعايير المتناقضة لثقافات التيار السائد والتيار غير السائد، وكذلك مع تنميطات الجماعة العرقية السائدة (Berry, 1980; Phinney, 1990). وفي العمل الميدانى فى كاليفورنيا، وجد ماتيوت – بيانشى (Matute – Bianchi, 1986). أن الطلاب من أصل مكسيكى يبدون متوحدين أكثر مع أصلهم العرقى من الطلاب من أصل يابانى، ويفترض أن ذلك يحدث لأن الهوية الجمعية للجماعة تساعد على مواجهة التنميطات السلبية عن جماعتهم فى تلك البيئة. وعلى الرغم مما يبدو من التنميط الإيجابى للآسيوأمريكيين فى أمريكا "كأقلية نموذجية "إلا أن الأسيوأمريكيين أيضا يتوحدون مع جماعتهم العرقية للحماية من عنصرية التيار السائد لسلالة الأغلبية (Chan & Hune, 1995) فقد تؤدى الاصطدامات بين العرقية الأصلية للفرد والتيار السائد للثقافة، أحياناً إلى الانغماس فى التيار السائد للثقافة. فمثلاً، فى دراسة على فتيات كمبوديات مراهقات فى الولايات المتحدة وجد لى (Lee, 1999) أن بعضهن قد اعتنق التيار السائد للثقافة ليتجنبن تقييد جماعتهن الأصلية لأدوارهن كإناث.

وفى المرحلة الثالثة، "الهوية العرقية المتحققة (فينى) أو "الاستدماج" (كروس)، طور المراهقون مفاهيم إيجابية عن الذات كأعضاء فى جماعتهم.

وقد وجد فينى (Phinney, 1989)، أن حوالى ربع الأسيو أمريكيين، والسود والأمريكيين من أصل لاتينى فى الصف العاشر كانوا فى المرحلة الثالثة. فمع قبول فرد لهويته العرقية الخاصة، ربما يطور المراهقون قبولاً واحترامًا للجماعات الأخرى. ذلك أنه، على عكس وجهات النظر التقليدية تفترض الدراسات المعاصرة أن الاستقرار على هوية عرقية آمنة ربما يقوض التعصب (Aboud & Doyle, 1993; Gonzales & Cauce. 1995).

يُعد السياق الاجتماعى متغيرًا مهمًا فى اكتساب الأطفال لهوياتهم العرقية والعنصرية: "يشير التثقيف Enculturation إلى ما يقدمه الوالدان والأسر والأقران وبقية الجماعة العرقية من ثقافة لأطفالهم أثناء سنوات الطفولة" (Bernal & Knight. 1993, p. 3). وقد تم النظر للوالدين بوصفهما متغيرًا مهمًا، بدءًا من الدراسات الكلاسيكية التتبعية لكلارك وكلارك عن الدمى (Beuf. 1977; Spencer & Horowitz. 1973). وقد وجد بيف (1977)، مثلاً، أن الأطفال الأمريكيين الأصليين (الهنود الحمر) الذين كان آباؤهم أكثر نشاطًا فى الحقوق الثقافية والمدنية كانوا أميل لتفضيل الدمى الأمريكية الأصلية (الهندية) عن الدمى البيضاء. وكذلك يمكن للتغيرات الثقافية الاجتماعية الكبيرة عبر المجتمعات العرقية أن تغير من الهويات التى يشكلها المراهقون. فمثلاً، اجتمعت الجماعات الآسيوية المتباينة بنائيًا ولغويًا وثقافيًا (اليابانيون والصينيون، والفلبييون والكوريون والهنود الآسيويون) الذين يعيشون فى الولايات المتحدة فى الستينيات لتشكيل الهوية الآسيوأمريكية ولمواجهة التمييز بشكل جمعى (Chan & Hune, 1995; Espiritu. 1992) وربما يكون للسياق أهمية خاصة بالنسبة للشبان ذوى الانتماءات العنصرية المتعددة أو الثنائية، حيث يمكن أن تتباين هويتهم العرقية / العنصرية مع تغير البيئات التى يعيشون فيها.

يُعرّف التثاقف Acculturation بأنه تكيف أفراد الأقلية العرقية مع الثقافة السائدة وأفرادها" (Bernal & Knight, 1993, p. 3) أو يعرف بشكل أوسع على أنه "استيعاب مدى عريض من السلوكيات، والاتجاهات والقيم التـــى تتغيـــر بسبب الاتصال بين الثقافـــات (Phinney, Romero, Nava, & Huaing, 2001, p. 495). وتقودنا التعريفات إلى نموذجين من التثاقف – النموذج الخطى الـــذى يفترض أن الأفراد إما أن يتوحدوا مع ثقافتهم الأصلية أوثقافة التيار الـــسائد (e. g. (Berry, Trimble, & Olmedo, 1986; Berry, 1999; Phinney et al. , 2001), Rogler, Cortes. & Malgady, 1991)، والنموذج ثنائى الاتجاه، الذى يفترض أن الأفراد يمكنهم تكوين علاقات متمايزة مع ثقافاتهم الأصلية وثقافات التيار السائد بما يسمح بالتعددية الثقافيـــة (Taylor, Cassten, Flickinger, Roberts & Fulmore, 1994). والسؤال المفتاحى المتبقى هو كيف يقوم الأطفال بـــالتوفيق بين كل هذه السياقات التى ربما تحمل رسائل مختلطـــة؟ (للمناقـــشة انظـــر (Phelan. Davidson, & Yu, 1998).

نتائج التوحد بالجماعة

بينت البحوث المعاصرة أن انتماء الفرد الشديد وتمثله لعرقه يؤدى إلى كثير من النتائج الإيجابية، بما فيها ارتفاع تقدير الذات (Phinney & Chavira, 1992) وهوية الأنا (Markstrom & Hunter, 1999)، والاندماج فى المدرســة. (Taylor, Casten, Flickinger, Roberrs & Fulmore, 1994). فعلى سبيل المثال، فى دراسة على الأفارقة الأمريكان فى الـــصفين الثـــامن والتاســـع، وجـــد جونزاليس وكوس (Gonzales & Cauce, 1995) أن الفخر العرقى يرتبط بشكل إيجابى بثقة البنين والبنات فى إمكانياتهم على المواعدة، كما وارتبط إيجابيّـــا بمتوسط الدرجات الدراسية للبنين. ويـــرى كـــروس (Cross, 1995)، أثنـــاء مناقشته قضايا السود فى الولايات المتحدة، أن الهوية العرقية القوية تعمـــل

على تنقية رؤية الفرد الاجتماعية للعالم بما يجعلها أقل إهانة لإنسانيته. وذلك من خلال تقبل حقيقة أن العنصرية موجودة وأنها تؤثر فى جميع السود، وأن هذه النتائج السلبية تجئ بسبب النظام العنصرى وليس بسبب الذات، وأنه يمكن للمرء أن يستخدم استراتيجيات عديدة للتعامل مع هذه العنصرية (الانسحاب، أو التوكيد، أو التجنب، أو السلبية). ومن الوظائف الأخرى التى ربما تؤديها الهوية القوية أنها توفر هدفًا ومعنى وانتماء، مما يُعبر عنه أنها ربما تمدنا بالهدف، والمعنى، والانتماء، الذى غالبًا فى الاحتفالات الخاصة بإنجازات مجتمع السود (Cross, 1995).

ومع ذلك؛ فيمكن أن يكون للانتماء أو التمثل العرقى الشديد نتائج سلبية محتملة أيضا، كأن يؤدى إلى انفصال تام عن جماعة الأغلبية (كألا يتم إلا قليل من الاتصال بين الجماعات وأن يحدث صراع أنّى حدث اتصال)، وهو ما يغلب حدوثه فى مرحلة الانغماس، عندما يبحث المراهقون عن معلومات تخص جماعتهم (e. g. Phinney, 1990). وهذا السلوك، على الرغم من أنه سلوك يهدف لحماية الذات، فإنه يمكن أن يحد من الفرص والخبرات الاجتماعية والأكاديمية للأطفال. ومن أجل هذا، اهتم الباحثون بدراسة ما إذا كان الأداء المدرسى المتباين بين جماعات الأغلبية وجماعات الأقلية يمكن تفسيره جزئيًا بالتوحد العرقى للطالب. فمثلاً فى الولايات المتحدة حاول فوردهام وأجبو (Fordham & Ogbu, 1986; see Cross, 1995). اختبار إذا ما كان الفشل الدراسى فى الأقليات العنصرية يرجع إلى ارتقاء "هوية معارضة " (كرفض زى الجماعات السائدة أو أحاديثها أو اتجاهاتها). وفى دراسة للطلاب السود من عائلات منخفضة الدخل، وجد أنه فى المدارس المتوسطة والعليا يبحث الطلاب بشكل متزايد عن مغايرة "ما يمثل الأبيض"، بما فى ذلك الاجتهاد فى الدراسة. وفى المقابل، بيَّن سبنسر (Spencer, 2001) أن الشباب الأفريقى – الأمريكى لا يربط الإنجاز المتفوق بالضرورة بـ "السلوك كالبيض". وقد لاحظ سبنسر (2001) بناءً على بيانات من

الصفوف السادس والسابع والثامن لصغار أفارقة أمريكيين أن مرتفعي الإنجاز منهم لايكتفون بألا يتمثلوا أو ينتموا للقيم الممثلة للبيض، بل إنهم يرون أن المقارنة المتضمنة فى تعبير "السلوك كالبيض" لا علاقة لها بالسود، بل وربما ولا بالبيض أنفسهم، وبما يجعل التعبير يبدو بلا معنى (p. 29).

فلماذا ينفر بعض الصغار من الأقليات من الدراسات الأكاديمية، بينما يتابعها آخرون منهم بنشاط؟ يفترض شان وهيون (Chan & Hune, 1995) أن "الاستجابة للسلوك العنصرى بين الأطفال الآسيو أمريكيين وعائلاتهم، قد تتخذ صورة تركيز شديد على الإنجاز الدراسى على حساب صحتهم النفسية وشخصيتهم – وهى استجابة يمكن أن ينظر لها بوصفها تكيفية من منظور، ومعوقة من منظور آخر" (p. 226). بالإضافة إلى ذلك يمدنا البحث فى التوقعات بين – الشخصية (é. g. Mc Kown & Weinstein. 2002) وفى "التهديدات الخاصة بالتنميطات" بفهم أفضل عن لماذا قد يفشل صغار الأقلية، ذوو الأداء المرتفع فى المدرسة. فالتهديدات الخاصة بالنمط، مثلاً، هى تهديدات نفسية اجتماعية فى المواقف التى يكون نمط جماعة الفرد متضمناً فيها (مثل: التهديد بالضعف فى الرياضيات بالنسبة للفتيات). فقد استثار أمبادى وشيه وكيم، وبيتنسكى (Ambady, Shih, Kim, & Pittins ky, 2001) هوية بعض الأطفال الآسيوية أو هويتهم الخاصة بدورهم النوعى (ذكور/إناث) ثم طلبوا منهم إكمال جزء من اختبار رياضيات معيارى. وقد بينت النتائج، وبالمقارنة بمجموعة ضابطة، أنه قد تم تيسير أداء فتيات الروضة والمدرسة المتوسطة ممن كن فى موقف تنشيط الهوية الآسيوية فى حين أن موقف استثارة هوية النوع قد كف أداء الفتيات. وهكذا فإن الفتيات الآسيوأمريكيات غير المميزات فى مجال الرياضيات بسبب نمطهن الأنثوى يمكنهن الاقتراب من الهوية الآسيوية كعامل حماية للذات فى هذه المواقف. وتفترض هذه النتائج أن الأنماط الأكاديمية السلبية البارزة عن جماعة الفرد العرقية أو العنصرية تخفض من أدائه الأكاديمى.

توجهات مستقبلية:

لقد سيطرت نماذج المرحلة على دراسة ارتقاء الهوية العرقية والعنصرية. كما أوضحت البحوث التى تستخدم هذه النماذج كيف أن معظم الأطفال يفضلون الجماعة العنصرية السائدة، لكنهم يعملون فى آخر الأمر نحو مفهوم ذات إيجابى كأعضاء فى جماعتهم الخاصة. وعلى الرغم من أن هذا التيار من البحوث قد مال نحو التركيز على جماعات عرقية غير بيضاء، كضحايا للعنصرية المستمرة من قبل البيض، فإن بعض ملامح هذه النماذج (مثل انغماس ذات الفرد فى عرقه، وتنمية الاحترام للجماعات الأخرى) تنطبق على البيض وجماعات التيار السائد الأخرى. فعلى سبيل المثال، افترض هلمز (Helms. 1993) نموذجًا لمراحل ارتقاء هوية البيض، تتضمن مراحل نبذ العنصرية وتعلُّم أن يكون المرء أبيض بدون عنصرية (انظر أيضا: Rowe, Benne H, & Atkinson, 1994).

وقد ألقى منحى نموذج المرحلة الضوء على بعض النتائج التى تبدو متناقضة. فمثلاً بينت البحوث أن هوية عرقية قوية يمكن أن تؤدى إلى كل من التعصب والتسامح نحو من هم خارج الجماعة. وهذا التناقض البادى يمكن تفسيره من خلال المرحلة التى تتكون فيها هوية الأطفال (مثل الانغماس مقابل الاستدماج). وعلى الرغم من ذلك فإن النقص الحالى فى نماذج المرحلة هو عجزها عن التحديد الواضح للأعمار التى يكون عندها الأطفال والمراهقون فى مراحل مختلفة من عملية تحديد الهوية، وربما يتم تناول هذا فى البحوث المستقبلية عندما يوسع الباحثون دراساتهم إلى الجماعات العرقية والسلالية المختلفة ويدرسون هذه الجماعات فى سياقات مختلفة (Gonzales & Cause. 1995).

قضية ملحة أخرى بالنسبة للباحثين فى الهوية هى مساعدة التربويين على التعامل مع التنوع العرقى والسلالى لطلابهم. فممارسة "عمى الألوان" أى تجاهل الفروق السلالية والعرقية تهدف إلى تحقيق نتائج اجتماعية إيجابية ومعاملة عادلة ومتساوية (see Neville, Lilly, Duran. Lee, & Browne, 2000; Schofield, 1986). ومع ذلك فإن منحى عمى الألوان فى التعليم يظل مثار جدل؛ لأن السلالة والخصائص الأخرى تؤثر عمليًا على حياة الأطفال (e. g. , Jones, 1997; West, 1992) كما باءت بعض جهود استيعاب المهاجرين والجماعات العرقية داخل الثقافة السائدة بالفشل على المدى القصير، بما يؤدى إلى معدلات تسرب مرتفعة (e. g. , Garcia & Hurtado, 1995, Banks, 1995, p. 329, also see Hollins, 1999). ويقترح منحى مغاير هو منحى التعليم متعدد الثقافات بمعنى "إعادة بناء البيئة المدرسية وتحويلها إلى الحد التى تعكس فيه التنوع الثقافى والسلالى الموجود فى الولايات المتحدة وتساعد الأطفال من الجماعات المتنوعة على الحصول على مساواة تعليمية" (Banks, 1995, p. 329. alson see Hollins, 1999)، إلا أن البرامج متعددة الثقافات بدورها مثار جدل؛ لأنها غالبًا ما تتجاهل ثراء الظلال الراهنة والفروق الدقيقة للثقافة والعرق والقومية والسلالة (Lee, 1999) أو ربما تبالغ فى إدراك الفروق عبر الجماعات، وكلاهما قد ينتج تنميطًا دائمًا بين الأطفال (Bigler, 1999). ومع ذلك ربما تنتج المدارس والمجتمعات التى تعمل بشكل جمعى برامج تعليمية أكثر فعالية وتطورا (Banks. 1995; Phelan, Davidson, & Yu, 1998). ربما فى محاولة للجمع بين النقاط القوية المختلفة لبرامج عمى الألوان والبرامج متعددة الثقافات.

تطور التعصب العرقى والعنصرى

فى عالم متنوع سلاليًا وعرقيًا مع موارد اقتصادية واجتماعية محدودة، يبدو الصراع بين الجماعات حتميًا. وعلى الرغم من أن انخفاض بحوث

التعصب السلالى والعرقى على مدى العقود القليلة الماضية (e. g. , in the U. S. , see Dovidio & Gaertner, 2000). فإن التفاوت والصراعات بين الجماعات مستمر كما تعبر عنه عناوين الصحف عبر الكرة الأرضية. فى هذا القسم، نراجع النظريات التقليدية للتعصب السلالى والعرقى بين الأطفال، ثم نلقى الضوء على نظريات معاصرة مثل المنحى الارتقائى المعرفى والمنحى التطورى (also see Aboud, 1988; Brown, 1995). وأخيرًا؛ فعلى الرغم من أن التعصب فى بعض درجاته يُعد حتميًا بسبب الموارد المحدودة فى البيئة وداخل الشخص، فإن الباحثين قد قطعوا أشواطًا هائلة فى فهم كيفية خفض التعصب، وهو ما نشير إليه فى نهاية هذا القسم.

النظريات التقليدية للتعصب بين الأطفال

نبعت النظريات المبكرة لتفسير التعصب بين الأطفال من إطار عمل سيكودينامى (e. g. . Adorno, Frenkel-Brunswick, Levinson, & Sanford, 1950; Bettlelieim & Janowitz, 1950). فمثلاً افترض أدورنو وزملاؤه (Adorno et al. , 1950) أن أنماط استجابات الوالدين التهديدية والعقابية لسلوك أطفالهم "الخارج على المعايير" تنتج "أنا" غير ناضجة، تعتمد على استخدام آليات الدفاع (مثل إسقاط الغضب على من هم خارج الجماعة بدلاً من الوالدين) لتحقيق الاندفاعات العدوانية والجنسية غير المتحكم فيها لـ "الهو"[٧٩] الخاص بالأطفال، بما يؤدى إلى "شخصية تسلطية" وقد انتقد هذا البحث على أساس خلفيات تنظيرية ومفهومية ومنهجية، ففى عام ١٩٨٠ بينت النسخة الأحدث

(٧٩) "الهو" ID أحد المصطلحات الأساسية فى نظرية التحليل النفسى الفرويدية ويقصد به قوى الرغبات والغرائز اللاشعورية التى تضغط طلبا للإشباع العاجل، فى مقابل "الأنا الأعلى" SUPER EGO الذى يقوم على مستوى لا شعورى أيضا بدور الضمير الكابح لرغبات الهو، ويعتبر "الأنا" EGO بمثابة الجانب الشعورى من الشخصية الذى يقوم بالموازنة بين ضغوط الهو من ناحية وكوابح الأنا الأعلى من ناحية أخرى، فضلا عن متطلبات العالم الواقعى (المراجع)

من هذا البحث أن التسلطية ترتبط بالتعصب تجاه مدى متنوع من الجماعات، على الأقل لدى عينات من طلاب الجامعة (see Altemeyer, 1998).

وقد افترض منحى التعلم الاجتماعى التقليدى فى مقاربته للتعصب (يشار إليه أيضا باسم نظرية الانعكاس الاجتماعى:Allport, 1954) أن الأطفال يصبحون متعصبين بالتدريج مع العمر كمحاولة لتقليد والديهم ولإرضائهما. ولكن لم تظهر الدراسات حول العلاقة بين اتجاهات الأطفال والاتجاهات الأخرى فى بيئتهم، مع ذلك، نتائج متسقة. فمثلاً وجد كارلسون ويوفينى (Carlson & Iovini, 1985) علاقة دالة بين الاتجاهات العنصرية للآباء البيض وأبنائهم المراهقين، ولكن ليس بين الاتجاهات العنصرية للآباء السود وأبنائهم. فى حين وجد برانش ونيوكمب (Branch & Newcombe, 1986) أنه مع تقدم الأطفال السود فى السن؛ فإن اتجاهاتهم نحو البيض والسود تصبح أكثر تشابهًا باتجاهات آبائهم. وقد وجد أبود ودويل (Aboud & Doyle, 1996b) أن اتجاهات أطفال الصف الثالث العنصرية لم تكن مرتبطة بشكل قوى باتجاهات أمهاتهم. وقد تناولت دراسات أخرى ما إذا كانت اتجاهات الأطفال العنصرية مرتبطة باتجاهات أقرانهم فوجد باتشن (Patchen, 1983) أن كلاً من اتجاهات السود والبيض فى الصف الثامن وسلوكياتهم لم ترتبط بشكل دال باتجاهات أقرانهم. وبالمثل وجد أبود ودويل (1996b) أن جماعة متعددة السلالة الصفين الثالث والرابع قد أدرك أطفالها أقرانهم على أن لهم اتجاهات تشبه اتجاهاتهم الخاصة، فى حين أن أقرانهم لم يسجلوا بالفعل اتجاهات مشابهة (see also Aboud & Doyle, 1996a). ربما تفترض هذه النتائج أن الأطفال لا يناقشون غالبًا اتجاهاتهم العنصرية كثيرًا مع آبائهم أو أقرانهم. كما أن الآباء (لاسيما الأعضاء فى جماعات سلالة الأغلبية) ربما لا يناقشون أيضا التعصب كثيرًا مع أطفالهم (Knight et al. , 1993; Kofkin, Katz, & Downey, 1995). على الرغم من أنه حينما يناقش الراشدون والأقران

التعصب وبحيث يتناولون أبنيتهم المعرفية الموجهة، فـإن التعـصب يقـل (Aboud & Doyle, 1996a). فمثلاً وجد عبود ودويـل (1996a) أن الأطفـال البيض فى الصفين الثالث والرابع الأقل تعصبًا، عندما ناقـشوا اتجاهـاتهم العنصرية مع أقرانهم الأعلى تعصبًا، كانوا قادرين علـى خفـض تعـصب أقرانهم من خلال الإشارة إلى مواقف تتشابه فيها السلالات (كيف أن أبنـاء كل الجماعات يمكن أن يكونوا وضيعين أحيانًا) وكذلك من خلال الإشارة إلى تباينات السمة الواحدة فى السلالة نفسها (كيف ان البيض يظهـرون سـمات إيجابية وسلبية).

نظريات معاصرة

لا تتأثر اتجاهات الأطفال نحو الجماعات العرقية والعنـصرية فقـط ببيئتهم الاجتماعية، بل تتأثر أيضا بمهاراتهم المعرفية الاجتماعيـة. فطبقًـا لمنحى الارتقاء المعرفى كما بمفصله عبود (Aboud, 1988) وكـاتز (Katz, 1976) وانظر أيـضا (Piaget & Weil, 1951) فتعـصب الأطفـال العرقـى/ العنصرى يقل جزئيًا من الطفولة المبكرة إلى المتوسطة بـسبب اكتـسابهم مهارات معرفيـة (e. g. , Bigler & Liben, 1993; Doyle, Beauder, & Aboud, 1988; Katz & Katz & Zalk, 1978). كما أنه فى مرحلة مـا قبـل المدرسـة والروضة، يظهر أطفال جماعة الأغلبية تعصبًا، وتتضمن الأمثلـة كنـديين إنجليز يحكمون على كنديين فرنـسيين (Doyle et al. , 1988)، وأسـتراليين أوروبيين يحكمون على أسـتراليين أصـليين (Black-Gutman & Hickson, 1996)، ويهودًا إسرائيليين يحكمون على العرب (للمراجعة انظر: Bar-Tal, 1996) ويعزو أطفال الأغلبية عادة كثيرًا من الصفات الإيجابية وقلـيلاً مـن الصفات السلبية لجماعتهم الخاصة بالمقارنة بالجماعـات الأخـرى، لكـنهم يظهرون انخفاضا فى التعصب فى سن حوالى ٧ سنوات (Doyle & Aboud,

(1995; Doyle et al. , 1988; Powlishta, Serbin, Doyle, & White, 1994). كما أظهر أطفال الأقلية (كالأمريكين الأصليين أو الهنود (Beuf, 1977)، أو الأمريكان الأفارقة (Spencer, 1982) تحيزًا ضد جماعتهم العنصرية فى مرحلة ما قبل المدرسة، ولكن بعد سن السابعة، مال هؤلاء الأطفال إلى اتجاهات أكثر إيجابية نحو جماعتهم الخاصة (Aboud, 1988).

يبدو أن هذا الانخفاض المرتبط بالعمر فى التعصب يعكس تأثير مهارات معرفية محددة مثل تصنيف الآخرين على أساس أبعاد متعددة (e. g. , Bigler & Liben, 1992, 1993; Katz, Sohn, & Zlk, 1975). وتبنى منظورات مختلفة (e. g. , Black-Gutman & Hickson, 1996; Doyle & Aboud, 1995). وإدراك التشابهات بين الجماعات المختلفة (e. g. , Black-Gutman & Hickson, 1996; Doyle & Aboud, 1995; Doyle et al. , 1988; Powlishta et al. , 1994) وإدراك الفروق داخل نفس الجماعة (e. g. , Black-Gutman & Hickson, 1996; Doyle & Aboud, 1995; Katz et al. 1975). على سبيل المثال وجد دويل وأبود (Doyle & Aboud, 1995) أن الأطفال الكنديين البيض فى العمر من ٦ – ٩ سنوات قد طوروا اتجاهات أكثر إيجابية نحو السود واتجاهات أكثر سلبية نحو البيض، على الرغم من أن عدد الصفات السلبية للسود والإيجابية للبيض لم يتغير فى نظرهم، ومن ثم استطاع الأطفال تصور كلا الجماعتين على أبعاد متعددة متداخلة. وثمة قصور معرفى آخر يستحق الملاحظة هو انتباههم القاصر للمعلومات المتناقضة الخاصة بنمط ما (e. g. Bigler, 1999). وقد بين بيجلر وليبن (Bigler & Liben. 1995) أنه حين كان يقرأ قصصا للأطفال البيض؛ فقد تذكروا المعلومات النمطية المتسقة أكثر من المعلومات النمطية غير المتسقة عن السود (see also Martin & Halverson. 1981). ومع ذلك فإن الأطفال الماهرين فى تقسيم الأفراد على أبعاد متعددة، لديهم ذاكرة أفضل للقصص المناقضة للتنميط.

تؤدى هذه المهارات المعرفية المكتسبة عبر العمر إلى فروق بين المراهقين فيما بعد، وتؤثر فى مستويات التعصب (المراجعة، انظر Levy, 1999). فمثلاً، عديد من التكوينات المتأثرة بالفروق الفردية (كالحاجة إلى المعرفة، العزو المعقد) يشبه من الناحية المفهومية قدرات تصنيف الآخرين على أبعاد متعددة والتوفيق بين المنظورات المختلفة، التى يكتسبها معظم الأطفال فى سن تسع أو عشر سنوات (e. g. Bigler & Liben, 1993; Doyle & Aboud, 1995). وبالتالى، ربما يتمايز الأفراد، مع العمر، على المهارات المعرفية المتعلقة بالتعصب.

على الرغم من أن المناحى التطورية قد حظيت بقليل من الاهتمام حتى الآن، فإنها ربما ستحظى بمزيد من المعالجة فى التنظير الارتقائى للتعصب (Fishbein, 1996; Hirschfeld, 2001;، وانظر أيضا الفصل الخامس) يفترض فيشبين (1996) أن العمليات التطورية التى تؤدى إلى التعصب قد بدأت فى رحلات قبائل الصيد ثم استدمجت فى الأنظمة الجينية التخليقية المتتالية للإنسان. وتهتم العمليات التطورية المفترضة هذه باللياقة الشاملة للجماعة، مما يدفع الأطفال للتعامل مع الأقارب، وغيرهم من أصحاب السلطة، ممن يشجعون الأطفال على القبول الأعمى فى الغالب لما يسمعونه عن أعضاء الجماعة الخارجية من رموز السلطة فى جماعتهم، وبالعدائية القبلية، التى تشجع حماية الموارد المحدودة. واتساقًا مع النظريات الارتقائية المعرفية يفترض فيشبين أن التوحد مع الجماعة غالبًا ما يكون منذرًا بالتعصب.

يقترب منظور تطورى آخر من البحث الارتقائى المعرفى لكفاءات الأطفال فى علم الفيزياء والرياضيات، وعلم البيولوجيا الشعبى[٨٠] (e. g. Hauser & Carey, 1998) حيث يفترض هيرشفيلد (Hirschfeld, 1995, 2001) أن

---

(٨٠) يقصد بمصطلح علم البيولوجيا الشعبى FOLK BIOLOGY التصور الشعبى لتصنيف كائنات البيئة المحيطة من بشر ونباتات وحيوانات (المراجع)

تفكير الأطفال حول المجموعات الاجتماعية الإنسانية مشتق من بناء المعرفة الذى يشبه النظرية والذى يتحكم فيه جهاز اكتساب منظم داخليًا. وتساعد هذه الكفاءة النظرية الطفلية، أو *علم الاجتماع الساذج للأطفال على اتخاذهم القرارات بشأن* أى الجماعات التى ينتمون إليها تأخذ وزنًا أكثر من غيرها؛ مما يساعد الأطفال على تقليل المطالب المعرفية للوزن المتساوى لكل المعلومات الاجتماعية الموجودة فى بيئاتهم.

لقد تعرضت المناحى التطورية بشكل عام للانتقاد لافتراضها أن التعصب يُعد طبيعيًا، وبالتالى يجب أن نتغاضى عنه. ومع ذلك تتفق توجهات التفسير التطورى مع المناحى المعرفية فى افتراض أن التقسيم إلى فئات أمر حتمى، على الأقل فى بعض الأعمار، وأيضا مع التفسيرات الثقافية الاجتماعية التى تفترض أن التعصب يأتى نتيجة القوى الاجتماعية والموارد المحدودة. ولا يمكن أن تنفصل المناحى التطورية عن هذه المناحى الأخرى. فمثلاً فكرة أن الأطفال والراشدين يرون السلالة كفئة متعالقة مع التنظيم الهرمى لعالمهم؛ ربما تكون دليلاً على النموذج الداخلى، أو فى المقابل، دليلاً على أن الأطفال تعلموا الفئة المناسبة من بيئتهم. من الأفضل إذن التفكير فى المناحى التطورية باعتبارها تلقى الضوء على الأسباب البعيدة الممكنة للتعصب، بينما تركز المناحى الأخرى (المعرفية والتعلم الاجتماعى) على الأسباب الأكثر قربًا أو مباشرة للتعصب.

جهود خفض التعصب

مع مزيد من الفهم للتعصب بين الأطفال، يتزايد الجدال بين الباحثين الأساسيين والباحثين التطبيقيين حول التعصب (Aboud & Levy, 1999). فبرامج التعلم التعاونى أصبحت من أساليب التدخل الشائعة والناجحة فى المدارس (Johnson & Johnson, 2000; Slavin & Cooper, 1999). كما أصبحت

برامج التعدد الثقافى أيضا شائعة جدًا فى المدارس، إلا أن فعاليتها مازالت محل تساؤل، كما أوضحنا فى القسم السابق حول الهوية العرقية والعنصرية (انظر أيضاBigler, 1999). كذلك طور الباحثون برامج تدخل ناجحة لحل الصراعات العرقية فى المدارس (Johnson & Johnson, 2000; also see Coleman & Deutsch, 1995; Deutsch; 1993). وهناك وعود تقدمها استراتيجيات التدخل الحديثة فى المدارس، مثل إعادة التدريب المعرفى الاجتماعى (e. g. , Aboud & Fenwick, 1999; for a review see Aboud & Levy, 2000). وبرامج التعليم ثنائى اللغة (e. g. , Genesee & Gandura, 1999). كما أن تدخلات وسائل الإعلام مثل البرامج التليفزيونية *(مثل شارع السمسم Sesame Street)* قد روجعت من أجل تخفيض فعال للتعصب بين المشاهدين (Graves, 1999) ولأن التعصب متعدد الأوجه، فإننا بحاجة إلى استراتيجيات تدخل متنوعة لمعالجة كل مكون من مكوناته.

توجهات مستقبلية.

على مدى العقود القليلة الماضية؛ أظهر المتخصصون فى الارتقاء المعرفى أن القدرات المعرفية المرتبطة بالعمر تجعل الصغار أميل لإدراك المعلومات التصنيفية (التى تزيد التعصب) وأقل إدراكًا للمعلومات التفردية (التى تخفض التعصب). ومع ذلك فإن باحثين من مناحى نظرية أخرى ثابروا على توضيح أن مستويات التعصب لدى الأطفال تعكس أيضا عوامل انفعالية واجتماعية. لذلك فإن البحوث المعاصرة تتحرك نحو منحى تكاملى يجمع عناصر نظريات الارتقاء المعرفى ونظريات التعلم الاجتماعى (e. g. Aboud & Amato, 2001) وهذه التوجهات الجديدة يمكن رصدها فى بحوث عن المناقشات الثنائية، وعن التدريب التوكيدى على منع أو مواجهة التنمر العنصرى (Aboud & Fenwick, 1999) والاستبعاد من النوادى الاجتماعية

على أساس العضوية فى جماعة عنصرية (Killen et al. , 2002). وفى إجرائهم لهذه الدراسات، سوف يستفيد الباحثون من نظريات ومناهج علم النفس الاجتماعى التجريبى (e. g. Levy, 1999). فى مجال الفروق الفردية المتعلقة بالتعصب لدى الأطفال (Cameron, Alvarez, Ruble, & Fuligni, 2001; Levy & Dweck, 1999) وكذلك فى مجال المتغيرات التى تؤدى إلى التنميط فى الرشد (see Oskamp, 2000) وسوف يقترب المتخصصون فى علم النفس الارتقائى من بحوث علم النفس الاجتماعى فى مجال الأشكال الصريحة والمستترة للتعصب لدى طلاب الجامعة (see Dovidio & Gaertner, 1986). وهناك بالفعل بعض الأدلة على وجود التعصب المستتر بين الأطفال (Verna, 1982) وعلى تعبير الأطفال الأضعف عن التعصب فى المواقف الواضحة، مقارنة بالمواقف الغامضة حيث يصعب إرجاع استجاباتهم فيها للتعصب (Lawrence, 1991; Sagar & Schofield, 1980) فإذا كان التعصب المستتر مقياسًا لقوة الارتباطات الداخلية بين ما يُعزى من صفات للجماعة المقصودة وأفراد هذه الجماعة؛ فإنه من الممكن أن يطور الأطفال – مع السن مستويات عالية من التعصب المستتر، بسبب تزايد تكرار خبراتهم مع الجماعات.

الانتماء الحزبى

تركز الأبحاث الارتقائية المذكورة آنفا على اتجاهات الأطفال وصغار المراهقين عن الجماعات الاجتماعية، الذى يمكن أن يمثل الأساس للوعى السياسى والفعل السياسى فى الرشد. نعود الآن إلى الاتجاهات السياسية الظاهرة أو الصريحة، فنتناول أولاً اكتسابها من قبل الأفراد فيما قبل الرشد ثم تاريخ حياتهم التالية. لقد كانت الحالة النموذجية لارتقاء الاتجاهات السياسية بين الأفراد قبل سن الرشد هى حالة الانتماء الحزبى الأمريكية. يرجع ذلك فى جزء كبير منه إلى أنه قد ظهر أن الانتماء الحزبى فى أمريكا

هو أقوى التنبؤات وأكثرها اتساقًا مع تفضيلات التصويت بالنسبة للأمريكيين، ويبدو أن الأمر ظل كذلك لمدة تزيد على قرن من الزمان (.e. g Campbell et al. , 1960; Miller & Shanks, 1996).

يتضمن القول المأثور القديم إن "الإنسان يولد داخل حزبه السياسى مثلما يولد داخل عضويته المستقبلية المحتملة فى الكنيسة التى ينتمى لها والداه" (Hyman, 1959. p. 74). وقد تطورت نظرية أكثر تعقيدًا فى كتاب *الناخب الأمريكى The American Voter (Campbell et al. , 1960)* تُعد ربما الأكثر انتشارا وتأثيرًا فى مجال دراسة السلوك السياسى، وهى تعتمد على سلسلتين بسيطتين من التساؤلات تُسأل لكل مستجيب فى المسح: "بشكل عام، هل تفكر فى نفسك عادةً كجمهورى أم ديمقراطى أم مستقل، أم ماذا؟" ثم يسأل الذين أجابوا بأى من الإجابتين الأوليين عن: "هل تعتبر نفسك قويًا (x) أم أنك غير قوى جدًا (x)؟" أما هؤلاء الذين أعطوا الإجابة الثالثة فقد سئلوا، "هل تعتقد أنك أقرب للحزب الجمهورى أم الحزب الديمقراطي؟" وقد صُنف من أجاب منهم "بأنه أقرب إلى الحزب الجمهورى مستقلاً يميل إلى الجمهوريين" والتصنيف الموازى الناتج هو "مستقل يميل للديمقراطيين" وهؤلاء الذين لم يختاروا أيا من الإجابتين يُنظر إليهم على أنهم "مستقلون تمامًا". ويتولد عن هذا مقياس مكون من سبع نقاط بسيطة متتالية، يبدأ من جمهورى قوى إلى مستقل تمامًا إلى ديمقراطى قوى.

وصفت هذه النظرية توجه الانتماء الحزبى كميل اتجاهى يُكتسب بشكل نموذجى فى سنى ما قبل الرشد، غالبًا من الأسرة، حيث عادة ما يُكتسب بدون إيديولوجيا تفصيلية مصاحبة عن المميزات النسبية لكلا الحزبين، كما أن هذا الميل يظل ثابتًا بشكل كبير مدى الحياة، كذلك فإنه يمثل أقوى العوامل فى تقييم المرشحين واختيارات التصويت فى الانتخابات بل وفى كثير من ترتيب الأولويات كذلك. وقد كان يُعتقد أن قوة الانتماء الحزبى

تزداد على طول مسار الحياة مع ما يتراكم لدى الفرد من تجارب مع النظام الانتخابى الحزبى (Converse, 1969, 1976). وقد تم فهم الانتماء الحزبى فى ضوء نظرية الجماعة المرجعية، ولو أنه توجد جهود أكثر حداثة لفهمه فى ضوء نظرية الهوية الاجتماعية (Green, 1999; Miller & Shanks, 1996, p. 127)، و(انظر الفصل١٥) وليس من الواضح إن كانت مثل إعادة الصياغة هذه قد أدت إلى تنبؤات أو نتائج إمبيريقية تختلف كثيرًا.

وُضعت ملاحظة أن *التوارث العائلى* كان عاملا جوهريًا بالنسبة لارتقاء الانتماء الحزبى، موضع اختبار دقيق من قبل جيننجز ونييمى (Jennings & Niemi, 1974, 1981). فى دراستيهما الكلاسيكية "دراسة التنشئة فى ميتشجان " (The Michigan Socialization study) فقد قاما بمقابلات مع عينة من طلاب السنوات الأخيرة فى المدرسة العليا وآبائهم وأمهاتهم عام ١٩٦٥، ومع نفس العينتين عام ١٩٧٣, ١٩٨٢، وثم أجريت مقابلات مع مجموعة تلاميذ موازية بالإضافة إلى أطفال الطلاب السابقين عام ١٩٩٧ (Jennings, Stoker, Bowers, 1999) قد وجدوا توارثا أبويًا جوهريًا، لكنه غير تام تمامًا، للتوحد الحزبى من الآباء إلى الأطفال المراهقين، وتوارثا أقل للاتجاهات السياسية الأخرى. وانخفض التشابه بالنسبة للولاء للحزب، بين الأبوين والطفل أثناء الطفولة المبكرة للأبناء (مع أنه لم يستمر كذلك فيما بعد)، ذلك أن قضايا وتفضيلات الأبناء الخاصة لعبت دورًا فى انتماءاتهم الحزبية (Beck & Jennings, 1991; Niemi & Jennings, 1991).

تتباين الأسر بشكل واضح فى القدرة على نقل الولاء الحزبى للأبناء. ويبدو أن التباينات فى العلاقة بين الطفل والوالدين ليست محورية فى نجاح عملية النقل، فعلى سبيل المثال لم تمثل السياسة وسيلة أساسية للتعبير عن عصيان الوالدين (Jennings & Niemi, 1974; Niemi, 1974) حتى بين المعارضين من الطلاب (D. Sears, 1975, p. p. 126-127) مع ذلك فإن معظم

الآباء المهتمين بالسياسة وأولئك الأكثر استقرارًا فى اتجاهاتهم كـــانوا أكثــر نجاحًا، وبشكل متسق، فى تنشئة أبنائهم، حتى مع تقدم سن الأبناء وصـــولاً لمرحلة منتـــصف العمـــر (Beck & Jennings, 1991; Jennings, et al. , 1999) ويبدو أن السبب الرئيسى هو أن مثل هؤلاء الآباء، يكونون أكثر نجاحًا فـــى توصيل مواقفهم السياسية بدقة إلى أطفالهم (Tedin, 1974, 1980) وفى الواقع فإن الابن عادة ما يضخم المستوى الحقيقى للتشابه السياسى بينـــه ووالديـــه (Westholm, 1999). وتُعد الدقة فى إدراك موقف الوالدين مفيدة أيـــضا فـــى تفسير الفروق فى نقل الاتجاهات فى مختلف مجالات الاتجاهات: حيث تنقل اتجاهات الوالدين فى بعض المجالات (مثل انتخابات تناقش بحـــدة) بـــشكل أوضح من انتقالها فى مجالات أخرى (مثل الكفاءة السياسية)، وكما أشـــرنا مبكرًا فإن اتجاهات الأطفال الصغار العرقية / العنـــصرية لا تتـــشابه مـــع اتجاهات آبائهم، والظاهر أن ذلك يرجع لأن الآباء (على الأقل الآبـــاء مـــن سلالة الغالبية) غالبًا ما لا يناقشون هذه الاتجاهات مع أطفالهم. وهناك دليل أيضا على أن الأبناء أحيانا ما يؤثرون على الاتجاهات الوالدية، لاسيما فـــى المجالات التى يطرح فيها الأبناء اتجاهات أكثر "حداثة " من أسرهم (, .e. g Glass, Bengtson, & Dunham, 1986) وبشكل عام، فإن للمعلومات الـــسياسية الوالدية تأثيرًا عظيمًا على تدفق المعلومات السياسية إلى الأبنـــاء (,Jennings 1996).

لقد افتُرِضَت محورية النقل الأسرى أصلاً فى مرحلة كانـــت الأســـر الكاملة، المكونة من والدين اثنين، أكثر شيوعًا مما عليه الأمـــر الآن، مـــع المعدلات الأعلى من الطلاق، والأمهات اللائى لم يتزوجن أبدًا، وهكذا. ومع ذلك؛ فإن امتداد دراسة ميتشجان على أطفال الطلاب الأوائل تبين بشكل مقنع تمامًا أن النقل من الوالدين للأبناء فى هذه العائلات يظهر بشكل كبير نفـــس النمط الذى ظهر فى العائلات الأصلية (Jennings et al. , 1999). وفى الواقـــع

كان النقل أعلى مما كان فى الدراسة الأولى فى بعض المجالات كما فى الإيديولوجية والاتجاهات العنصرية، ومع ذلك فالعائلات غير المستقرة تأخذ دورها أيضا، فيقرر طلاب الجامعة اتفاقًا سياسيًا أقل ونقلاً عائليًا أضعف بينهم وبين والديهم المطلقين (Hardy, Carrier, & Endersby, 2000).

تنطوى النظرية الأصلية على أن الانتماء كان يتم نقله بطريقة تدريجية كجزء من الحياة اليومية، ولكن إذا كان مفتاح التنشئة السياسية الناجحة هو التواصل الواضح للاتجاهات الو الدية المستقرة؛ فإن *الأحداث السياسية الحية* تصبح عندئذ محفزات مهمة لأنها تستثير تدفق المعلومات كما أنها تتيح مناسبات لمثل هذا التواصل. كما تصبح الانتخابات الرئاسية واحدة من مثل هذه المناسبات المنتظمة. واتساقًا مع فرض المحفز، وجد سيرز وفالنتين (Sears & Valentino, 1997) أن قوة الاتجاهات الحزبية للمراهقين قد تزايدت جوهريًا من قبل بدء مثل هذه الحملة وحتى نهايتها، إلى أن وصلت تقريبًا لمستويات الانتماء الحزبى لوالديهم. ولم تحدث مثل هذه الزيادة فى الولاء الحزبى للراشدين، الذى كان قد بدأ بالفعل عند مستويات مرتفعة، ولا فى الاتجاهات نحو الموضوعات الأكثر هامشية بالنسبة للحملة الرئاسية، ولا أثناء العام التالى للحملة الذى يخف فيه تدفق المعلومات. واتساقًا مع فكرة المحفز أيضا، كان الاندفاع نحو الولاء الحزبى أعلى بين المراهقين الأكثر انغماسًا فى التواصلات السياسية (Valentino & Sears, 1998).

مثال آخر على حدث سياسى حى ومهم فى التنشئة الاجتماعية / السياسية كان عن الجدل الذى دام سنة حول علاقة الرئيس بيل كلينتون بالمتدربة مونيكا ليفنسكى، حيث سجل الآباء أن أطفالهم المراهقين قد وجدوا الفضيحة جذابة للاهتمام، حيث حفزت نقاشات متزايدة عن السياسات فى عائلتهم، وأعطت للآباء والأمهات فرصة للتعبير لأطفالهم عن وجهات نظرهم الخاصة عن كلينتون وعن الجنس وعن الأخلاق والقيم بشكل عام

(Pew Research Center, 1998) فلقد شعر الجمهوريون خاصة بالنجاح في توصيل وجهة نظرهم الخاصة لأبنائهم، وعلى الرغم من أن حوالى نصف الآباء قد سجلوا كونهم "منزعجين جدًا" من الادعاءات؛ فقد وصفت استجابة الأطفال السائدة بكونهم "مهتمين " بما سيحدث للرئيس، وأنهم لم يكونوا منزعجين للغاية من الفضيحة ككل. وبشكل عام شعر الوالدان أن كل ذلك يساعد على إثارة اهتمام أطفالهم بالسياسة أكثر مما "يضر".

تُعد وسائل الإعلام الجماهيرية بالطبع ذات أهمية فى إتاحة الاتصال بين الأطفال وعالم السياسة. وفى الواقع، يستثار اهتمام طويل المدى بالسياسة إذا دخل الصغار إلى عمر الوعى السياسى أثناء مراحل النشاط المرتفع فى الساحة السياسية (Danowski & Ruchinskas, 1983). وعادة ما يتم اتصال الأطفال الأول بالسياسة من خلال التلفزيون، على الرغم من أنه يبدو أن درجة معرفتهم السياسية تتأثر بمشاهدتهم المكثفة لبرامج التسلية. ويبدو أن السياسة تُشرح لهم بشكل أفضل من خلال تعرضهم لوسائل الإعلام المطبوعة (انظر المراجعة فى: Chaffee & Yang, 1990).

تاريخ حياة الراشد

أمدتنا النظرية الأصلية للانتماء الحزبى، مع تركيزها على التعلم المبكر والمثابرة اللاحقة، بمنظومة واضحة ومؤثرة تمامًا؛ فهل تُعد نموذجًا مفيدًا للتفكير حول تواريخ الحياة السياسية بشكل عام؟ لتناول هذا السؤال، فإننا نعود إلى الطرق الثلاث للتفكير فى الزمن، والتى أشرنا إليها فى البداية؛ فهناك أربعة نماذج شائعة ومتمايزة لدورة الحياة السياسية وسيتم مناقشتها على التوالى. يعكس اثنان من هذه النماذج التأثيرات المستمرة للخبرة المبكرة: (١) نموذج *المثابرة* وفيه تظل بقايا التعلم منذ الصغر خلال الحياة، بل ربما تقوى مع الوقت أيضا و(٢) وهو تنويع على الأول، وهو نموذج

لسنوات الانطباع؛ تكون الاتجاهات فيه حساسة بشكل خاص للتأثر في المراهقة المتأخرة وبداية الرشد لكنها تميل لأن تستمر فيما بعد. ويتعارض هذان النموذجان بالطبع مع أى نموذج يرى – بشكل عام – أن الراشدين يستجيبون أكثر ما يستجيبون لمجريات أمور وأحداث "أزمانهم" (٣) نموذج *الانفتاح مدى الحياة* الذى يظل فيه الأفراد منفتحين على التأثير مدى الحياة، وهناك نموذج رابع متعامد بعض الشيء على الثلاثة الأول، حيث يلتقط فكرة مراحل الحياة السياسية المتمايزة: (٤) نموذج *دورة الحياة*، وفيه ينجذب الأفراد لاتجاهات معينة فى مراحل محددة من مسار حياتهم كالأفكار التحررية فى شبابهم والأفكار المحافظة فى الشيخوخة. (Alwin, 1994; Jennings & Niemi, 1981; D. Sears, 1975)

المثابرة مدى الحياة

يُعد فرض المثابرة مهمًا سواء من وجهة نظر نفسية أم سياسية. فهناك تساؤل سيكولوجى عن مسار الاتجاهات الاجتماعية والسياسية المهمة خلال دورة الحياة؛ فهل هناك بشكل عام "فترة حرجة" فى حياة الفرد لاكتساب الاتجاهات السياسية؟ وما مستوى مطاوعة هذه الاتجاهات عبر المراحل العمرية (انظر Alwin 1993; Alwin, Cohen, & Newcomb, 1991; D. Sears, 1975, 1983, 1990) من منظور سياسى، وإذا كانت الاتجاهات الأهم ثابتة بشكل جوهرى بعد السن المبكرة؛ فإن التغيرات السياسية ستحدث أساسًا من خلال استبدال الجماعة السياسية الأقدم بجماعة أحدث تتبنى اتجاهات طازجة، وليس من خلال تغيير الراشدين الناضجين لوجهات نظرهم وتبنيهم أخرى مغايرة (Alwin, 1993). لذلك فإن المثابرة المنتشرة ستعنى أن التغير السياسى يعتمد أساسًا على استبدال أفراد الجماعة السياسية. فالنظام الذى يكون فيه الموالون سياسيًا ثابتين جوهريًا خلال سنى الرشد سيؤدى إلى ممارسة

سياسية مختلفة تماماً عن النظام الذى يتجدد فيه تشكيل الموالين تبعًـا لكـل ظرف أو مناسبة سياسية.

دراسات طولية

الطريقة الأكثر مباشرة لتقييم المثابرة، مع أنها الأكثر تكلفةً وصـعوبة فى تنفيذها جيدًا، هى قياس اتجاه معين، عند مجموعة معينة مـن الأفـراد، على نقاط متعددة من الزمن. ويميل علماء النفس لتسمية مثل هذه الدراسات بـ "الدراسات الطولية" (e. g. , R. Sears, 1975; 1984) فى حين يطلق عليهـا علماء السياسة وعلماء الاجتماع اسم الدراسات التتبعيـة (e. g. , Converse & Markus. 1979) وقد أجريت أكثر البحـوث شـمولا بدراسـة اثنتـين مـن الانتخابات الوطنية التى تجرى كل ٤ سنوات، وهى دراسات جدولية تمـت فى عامى ١٩٥٠و ١٩٧٠. وقد كان الانتماء الحزبى فى الواقع ثابتًا تمامًـا تقريبًا، مع بعض التصحيح لعدم ثبات القيـاس (Converse & Markus, 1979) كما برزت نفس النتائج فى دراسات أخرى فى الولايات المتحـدة (Green & Palmquist, 1994; Green & Schickler, 1993; Jennings & Stoker. 1999). وفى كندا وبريطانيا وألمانيا (Schickler & Green, 1997).

وهناك دراستان تناولتا سكانًا أكثر تميزًا حيث برهنتا على الثبات عبر فترات زمنية أطول فى مرحلة الرشد. فقد درس نيوكمب (Newcomb, 1943) مجموعة من النساء فى كلية بيننجتون Bennington College أثناء الثلاثينيات، وقد انحدرن بشكل عام من أسر غنية، ومحافظة سياسيًا، لكن الكثيرات منهن تحولن إلى توجه ليبرالى أثناء وجودهن فى هذه الكلية التقدمية سياسيًا، وقـد بينت الدراسات التتبعية مستوى مرتفعًا جدًا من الثبات طويـل المـدى فـى ولائهن الحزبى بدءًا من التخرج من الكلية وعبر سنى الرشد: "الاتجاهـات، بمجرد تشكلها... تبقى ثابتة بشكل لا يُصدق... فمعامل الثبات الخاص بمتغير

الاتجاه الكامن على مدى خمسين عامًا تقريبًا من الحياة يتراوح بين٠,٧ إلى ٠,٨" (Alwin, 1993, p. 68; also see Alwin et al. , 1991). وقد شملت دراسة ترمان Terman طويلة المدى للأطفال الموهوبين عينة أكبر وأكثر تجانسًا، منتقاة من أطفال مرتفعي الذكاء فى مدارس كاليفورنيا الابتدائية العامة بعد الحرب العالمية الأولى وقد كانت انتماءاتهم الحزبية ثابتة تماما من سن ٣٠ سنة تقريبًا وحتى ٦٧ سنة، بمعامل ثبات ٠,٦٥ بعد تصحيح خطأ القياس (Sears & Funk, 1999).

التباينات عبر موضوعات الاتجاه

لقد أصبح التوحد الحزبى فى الدراسات الطولية، إذن، حالة نموذجية للمثابرة الاتجاهية؛ فماذا عن الاتجاهات الأخرى؟ تشير الحكمة الشائعة إلى أن الاتجاهات السياسية العنصرية تُعد من أكثر اتجاهات البيض السياسية ثباتًا على الرغم من أنها أقل ثباتًا من الانتماء الحزبى (Converse, 1964 Converse & markus, 1979, Jennings & Stoker, 1999; Kinder & Sanders, 1996; Sears, 1983). وقد وجد كذلك أن الإيديولوجية السياسية الأساسية ثابتة إلى حد كبير (Alwin et al. , 1991; Jennings & Stoker, 1999; Sears, 1983; Sears & Funk, 1999). فمثلاً، تحول ١٣% فقط من "تحرريين" إلى "محافظين" أو العكس صحيح، على مدى ٣٧ عامًا فى حياة الأطفال الموهوبين فى دراسة ترمان (Sears & Funk, 1999). وقد وجد أن الاتجاهات الأخلاقية، مثل الاتجاه نحو الإجهاض والماريجوانا كانت مرتفعة الثبات فى بعض هذه الدراسات أيضا. من ناحية أخرى، فإن الاتجاهات فى عديد من المجالات التى تخضع لجدل عنيف فى أوساط النخب السياسية تبدو أقل ثباتًا عبر الوقت بشكل عام (Converse, 1964; Converse & Markus, 1979; Jennings et al. , 1999; Sears, 1983)

ترى لماذا تستقر بعض الاتجاهات لفترة طويلة جدًا، بينما تبدو اتجاهات أخرى أقل ثباتًا؟ لنبدأ بافتراض أن الثبات الملاحظ للاتجاهات يعكس فقط نتيجة خارجية لسلسلة من النزاعات الداخلية بين ميول الفرد والضغوط الخارجية نحو التغيير، وكلاهما يمكن أن يخضع للتغير. كما أن المحك المعتاد للثبات، أى الارتباط المرتفع بين القياس القبلى والبعدى، يمكن أن يكون مضللاً بعض الشيء إذا تغيرت التكرارات الهامشية. إن القول بأن الانتماء الحزبى يعد مرتفع الثبات، يعتمد على التوصل إلى معاملات ثبات مرتفعة، فى فترة تكون فيها الانقسامات الحزبية مستقرة (Converse, 1976). ومع ذلك، فإن بعض الاتجاهات العنصرية الأقدم ستبدو ثابتة بشكل مضلل إذا استخدمنا المحك نفسه. ففى تلك الفترة من التغير الاجتماعى الهائل أصبح الشعب ككل أكثر تحررًا، ومن المفترض أن كثيرًا من الأفراد تحولوا إلى اليسار، لكنهم ظلوا مع ذلك فى ترتيبهم القديم (Firebaugh & Davis, 1988; Schuman et al. , 1997). هكذاو وبدلاً من نموذج واحد عن دورة الحياة السياسية ليناسب الجميع؛ فإن من المرجح أن تتباين مسارات كل من الفرد والجماعة، فى الإجمال، عبر مختلف موضوعات الاتجاهات.

فكيف نستطيع تفسير مثل هذه التباينات؟ ثمة نظرية تنظر إلى نوعين من العوامل؛ عوامل التعلم، مثل حجم الاتصالات الأحادية الاتجاه فى بيئة الفرد الصغيرة، أو الفرصة المتاحة للممارسة العملية للاتجاه فى محادثة أو سلوك، وتنظر كذلك إلى العوامل المعرفية مثل ثبات معنى موضوع الاتجاه، وعلاقة الاتجاه بغيره من الاتجاهات والقيم، بوصفها عوامل عامة ترفع من ثبات الاتجاه (Sears, 1983). وتعد الانتماءات الحزبية للأمريكيين واتجاهاتهم العنصرية حالات ذات مستويات مرتفعة نسبيًا من تدفق المعلومات؛ وبالتالى يفترض أن تشكل موضوعات للمحادثة وفرصًا لممارسة السلوك. لكن هناك الكثير من المسائل السياسية التى يندر أن تأتى لمجال الانتباه العام أصلاً،

وهى من ثم لا تحظى إلا بالقليل من العوامل المساهمة فى مثابرة الاتجاهات بشأنها. ويتضمن ذلك بشكل اعتبارى مستويات منخفضة من كل هذه العوامل التى تسهم فى المثابرة.

تبعًا لهذه النظرية، يتوقع أيضا أن تكون المثابرة فى الاتجاهات نحو الموضوعات التى تبرز فى المراحل المبكرة من الحياة أعلى منها بالنسبة للموضوعات التى لاتبرز إلا متأخرًا، حتى وإن كان ذلك فى المجال العام نفسه. فهجرة الراشدين ما بين الشمال الأكثر تسامحًا عنصريًا – نسبيًا –، والجنوب الأكثر محافظة – نسبيًا – قد أثرت انتقائيًا على اتجاهات البيض العنصرية (Glaser & Gilens, 1997). فقد سيطرت مسألة منطقة النشأة الأولى، شمالاً أو جنوبًا كتغير حاكم لاتجاهات البيض الراشدين نحو موضوعات كالزواج بين الأفراد المتباينين عنصريًا، وهى موضوعات كانت أبرز ما كانت فى مرحلة الحقوق المدنية فى الخمسينيات والستينيات، عندما كان هؤلاء صغارًا نسبيًا. أما منطقة الإقامة والعيش فى مرحلة الرشد، فقد كان تأثيرها أقوى على أمور برزت أثناء رشدهم، كنقل التلاميذ بالحافلات من أجل التكامل فى المدرسة، أو كالمساعدات الخاصة للأقليات.

أشار أتشين (Achen, 1975) إلى احتمال آخر وهو أن بعض التغير أو التحول الملحوظ فى الاتجاهات ربما يكون ببساطة بسبب خطأ القياس. ومع أنه لم يحدد بدقة مصدر الخطأ، إلا أنه يوحى ضمنًا أن هذا الخطأ نتج بشكل محدد عن البنود الغامضة المستعملة فى المسح. فكما لاحظ كونفرز وماركوس (Converse & Markus, 1979) أنه ليس من الواضح لماذا يكتب نفس السؤال بشكل جيد جدًا فى مجالات وبشكل سيء للغاية فى مجالات أخرى، أو لماذا تظهر النخب السياسية أو المواطنون الأكثر تعليمًا استقرارًا على نفس البنود المعيوبة أكثر مما يفعل الجمهور العام. وتبعًا لمنطق أتشين Achen، وباستخدام نماذج المعادلة البنائية لتصحيح خطأ القياس، قدر كل من

الوين وكروسنيك (Alwin & Krosnick, 1991) أن أغلب الاتجاهات المقيسة فى دراسات الأربع سنوات المذكورة آنفًا كانت تقريبًا ثابتة تمامًا، مما يبدو احتمالاً بعيد التصديق، وقد سلما بأن نماذجهم تقدم تصورات يتعذر الدفاع عنها.

ويعرض زالر وفيلدمان (Zaller & Feldman, 1992)، تفسيرًا آخر "للخطأ فى القياس": هو أن الشخص ربما يعطى إجابات متناقضة لنفس التساؤل فى مقابلتين بسبب "التناقص الوجدانى". يمكن أن تأتى للذهن اعتبارات مختلفة فى كل مرة، بما يؤدى إلى استجابات غير ثابتة بشكل عام لأنها مبنية على مجموعة من "الاعتبارات" المختلفة فى أوقات مختلفة. ومع ذلك فهذا لا يساعد على تفسير الفروق فى الثبات عبر موضوعات مختلفة للاتجاهات. فالإجهاض على سبيل المثال يُعد قضية يمكن أن تخلق كمًا كبيرًا من التناقض الوجدانى (Alvarez & Brehm, 1995) إلا أن الاتجاهات نحوها كانت من أكثر الاتجاهات ثباتًا عبر الوقت، من بين كل القضايا السياسية المعاصرة (Converse & Markus, 1979).

التقييمات الأخرى للمثابرة

إحدى مشكلات الدراسات الطولية أنها تميل إلى أن تكون محدودة بفترة تاريخية واحدة بجماعة واحدة غالبًا. وهو مما يحد من قدرتها على تمييز المستويات المختلفة من الثبات عبر مسار الحياة، عن بعض الظروف التاريخية المحددة. ثمة أداة أخرى لتقييم المثابرة، أداة ليست محدودة بفترة تاريخية أو بجماعة محددة، وهى تحليل الجماعة. ويتطلب ذلك سلسلة من المسوح العرضية، تجرى فى أوقات مختلفة على عينات مختلفة ولكن باستخدام نفس المقاييس. فإذا كانت كل جماعة ميلاد، ككل، لا تستمر على نفس توزيعات الرأى وهى تتقدم فى السن؛ فإنه لايرجح أن نجد مستويات

مرتفعة من المثابرة الاتجاهية على مستوى الفرد. ومن ناحيةٍ أخرى فإن تحليل المجموعة يقدم برهانًا أقل مباشرةً مما تقدمه الدراساتُ الطولية عن الثبات على المستوى الفردي.

علاوة على ذلك، فإن هذه العمومية عبر المجموعات والفترات تخلق مشاكلها الخاصة. فأى ارتباطات بين العمر والاتجاهات السياسية ربما تعكس ثلاثة تأثيرات متداخلة: تأثير المجموعة (جماعة الميلاد)، ودورة الحياة (السن عند القياس) والفترة (سنة القياس)، ولتقييم هذه التأثيرات الثلاثة، يستطيع الباحثون استخلاص نوعين فقط من المعلومات من أى مسح – وهما سن المجيب وسنة المسح. وترتبط السن وجماعة الميلاد تمامًا فى أى مسح. كما ترتبط السن واللحظة الزمنية تمامًا عبر سلسلة من المسوح، لذلك فإن تفسير التباين بأى واحد من هذه التأثيرات ليس إلا أمرًا توسطيًا على وجه التحديد إلا إذا توفرت "معلومات إضافية من مصادر أخرى لاستبعاد أحد هذه المصادر الممكنة للتباين (Mason, Mason. Winsborough, & Poole, 1973) فمثلاً، فى مرحلة "حالة الثبات"، التى مرّ بها النظام الحزبى الأمريكى من ١٩٥٢ إلى ١٩٦٤، لم يتغير التوزيع الكلى للانتماء الحزبى بما يسمح بأن نعتبر أن تأثيرات الفترة تساوى صفرًا (assel, 1999; Converse, 1976).

وكان من التطبيقات المفيدة لأسلوب تحليل الجماعة شرح أسباب الزيادة الكبيرة الحادثة فى دعم مبادئ المساواة العنصرية بين الأمريكيين البيض وذلك منذ الحرب العالمية الثانية (انظر Schuman et al. , 1977). إن أحد التفسيرات المحتملة غير مقبول منطقيًا من البداية، أن يكون التقدم فى العمر نفسه هو ما نشط التغير نحو الليبرالية بينما تغيرت كل مجموعة مع تقدم أفرادها فى العمر، ففى أية نقطة زمنية معينة كان العمر مرتبطًا سلبيًا مع المحافظة. وهذا يترك احتمالين آخرين: أن اتجاهات الأفراد كانت مثابرة

بشدة، لذلك استبدلت الجماعات المتعصبة تدريجيًا بجماعات أصغر أكثر تسامحًا (تأثير المجموعة): أو أنه قد حدثت تغيرات في اتجاهات فردية ليبرالية منتشرة (تأثير الفترة). ويبدو أن استبدال المجموعة كان هو التأثير السائد حيث استبدلت بالجماعات الأكبر، والأكثر تعصبًا جماعات أصغر، وأقل تعصبًا. لكن تأثير الفترة قد حدث أيضا، حيث أظهرت كل الجماعات، عبر الوقت اتجاهات تحررية خطية مشابهة (Danigelis & Cutler, 1991; Firebaugh & Davis, 1988) وقد بدأت هذه الاتجاهات التحررية داخل المجموعات تتباطأ فى الثمانينيات من عام ١٩٨٠، لاسيما في القضايا العنصرية الأحدث (Steeh & Schuman, 1991; Wilson, 1996) ولنتائج مشابهة تتناول مدى أوسع من الاتجاهات انظر (Davis, 1992).

يُعد المنحى الثالث للمثابرة أوفر حظًا، وهو يستخدم التجارب الطبيعية التى تختبر المقاومة للتغيير فى الاتجاهات التى من المفترض أنها أُكتسبت مبكرًا. فالتغييرات فى الموقع الاجتماعى التى تضع الفرد فى بيئة اتجاهية مُغايرة يتوقع أن تؤثر فى اتجاهاته. فمثلاً وجد ميللر وسيرز (Miller & Sears, 1986) أن مستويات التسامح العنصرى لدى الراشدين ترتبط بقوة بمستوى التسامح العنصرى فى بيئاتهم الاتجاهية فى الطفولة المبكرة أكثر مما ترتبط ببئيات رشدهم الناضج (also see Glaser & Gilens, 1997) فالهجرة ما بين مقاطعات الكونجرس المُسيطر عليها من قبل الأحزاب المقابلة قد أثرت على التصويت والانتماء الحزبى لأولئك الذين هاجروا مبكرًا (Brown, 1988). كما أنه من المتوقع أيضا أن تؤدى بعض الخبرات الشخصية في الرشد إلى تغيير. وأحد التوقعات الشائعة هو أن ظهور الاهتمامات الاقتصادية فى الرشد سوف تؤثر على اتجاهات الأفراد السياسية. ومع ذلك فلم تجد البحوث المتعمقة أدلة كافية لإثبات تأثيرات اهتمامات الراشدين

الذاتية كما لو كانت الاتجاهات السياسية الاجتماعية المكتسبة مبكرًا قد قاومت مثل هذه التأثيرات المتأخرة فى الرشد (Sears & Funk, 1991). (٨١)

سنوات الانطباعية

يختلف فرض "السنوات الانطباعية" عن فرض المثابرة، حيث يفترض أن اتجاهات المراهقين وصغار السن تكون أضعف وأكثر عرضة للتغيير من الاتجاهات فى الأعمار المتأخرة (Sears. 1975) وتقف ثلاثة افتراضات سيكولوجية على الأقل خلف هذا الفرض. الأول هو فكرة الأولية: يخبر الصغار الحياة السياسية "كمواجهة طازجة"، بتعبير مانهيم (Mannheim, 1952) نادرًا ما تتكرر فيما بعد. ثانيًا، إن الاتجاهات التى تخضع لتدفق قوى من المعلومات وتُمارس بشكل منتظم تميل إلى أن تصبح أقوى مع العمر (Converse, 1969. 1976) ويُعد التحزب مثلاً جيدًا، مادامت الحملات الانتخابية تتكرر كثيرًا ومعها فعل التصويت. ثالثًا، ربما يكون الصغار أكثر انفتاحًا على التأثر لأنهم يصبحون أكثر وعيًا بالعالم السياسى والاجتماعى المحيط بهم بالضبط فى تلك المرحلة التى يبحثون فيها عن الإحساس بالذات والهوية (Erikson, 1968) تتفق هذه المناظير الثلاثة على أن الفترة حتى نهاية العشرين، تقريبًا هى الأعصى على التوقع.

اتجاهات أقوى مع التقدم فى العمر

أحد تضمينات هذا الاتفاق هو أن صغار الراشدين ستكون لديهم، ببساطة، اتجاهات أضعف، حيث سيكون من الصعب عليهم القول بأنهم

---

(٨١) استخدام منحى مبكر آخر هو الحكم الفردى الاسترجاعى لتقييم المثابرة: فهل تذكروا أى تغيير فى انتمائهم الحزبى (Campbell et al. 1960)؟ مثل وقد ظهر مؤخرًا أن الأحكام ليست ثابتة، حيث عادة ما يكون هناك مبالغة فى تقدير الثبات (Niemi. Katz. & Neurman. 1980). (المؤلف)

متحزبون "أقوياء". وفى الواقع فإن تحليل الجماعة فى الولايات المتحدة يظهر أن الجماعة تعبر عن توحدات حزبية أقوى مع التقدم فى العمر، على الأقل خلال المرحلة التى وصفها كونفرز بـ "عصر الحالة الثابتة" للتقسيمات الحزبية المستقرة، والسابقة على السبعينيات (Converse, 1976) (وانظر أيضا Alwin, 1992, 1993, Claggett, 1981) كما أن مثل هذه التأثيرات الخاصة بالتقدم فى العمر حدثت فى المملكة المتحدة أيضا (Casse;. 1999). تضمين ثان هو أن مثل هذه الاتجاهات يجب أن تصبح أكثر ثباتًا مع العمر، حيث إن البيانات المأخوذة من دراستين من الدراسات التتبعية على مدى أربع سنوات تبين أن كل الجماعات الأكبر سنًا فى كل دراسة كان لديهم انتماء حزبى أثبت جدًا من المجموعات الأصغر سنًا (Alwin et al. , Sears, 1983) وقد أظهرت المجموعة الأصغر سنًا فى الدراسة الأولى أيضا تزايدًا كبيرًا فى الثبات فى الدراسة الثانية، عندما كانت هذه المجموعة فى سن ١٦ سنة، مما يظهر أن الثبات الأعلى هو من آثار التقدم فى العمر أكثر من كونه راجعا لتأثير الفترة (Almin, 1993). وقد بيَّنت دراسة تنشئة ميتشجان التى أشرنا إليها آنفًا أن الطلاب فى صفوف التخرج فى المدرسة العليا أظهروا مستويات أقل جوهريًا من ثبات الاتجاه بالمقارنة بأهليهم. ومع ذلك فبعد أن وصل الطلاب للثلاثينيات، أصبحت اتجاهاتهم ثابتة مثل اتجاهات آبائهم، وفى الواقع لم تكن هناك زيادة كبيرة فى ثبات الاتجاهات مهما تقدموا فى العمر بعد ذلك (Jennings & Stoker, 1999; also see Beck & Jennings, 1991; Jennings & Markus. 1984)

تضمين ثالث هو أن مثل هذه الاتجاهات تصبح أكثر مقاومة للتأثير تبعًا للتقدم فى العمر. فقد حلل فيزر وكروسنيك (Visser & Krosnick, 1998) ثلاثة مسوح وقد وجدا مقاومة متزايدة للتأثير بعد مرحلة الرشد المبكر. وقد قاست دراسة أخرى تغير الاتجاه، فى مختلف مراحل العمر، الناتج عن

التغييرات فى البيئة الاجتماعية للفرد كما يدل عليها موقفه الديموجرافى (Miller & Sears, 1986) وقد بدا أن التغييرات فى البيئة فى السن الأصغر تؤثر فى مستويات التسامح الاجتماعى أكثر بكثير من التغييرات الحادثة فى سنى الرشد. يقدم كل ذلك، إذن، أنواعًا من الدلائل على فترة "انطباعية" فى دورة الحياة.

فإذا كانت الاتجاهات التى ستُمارس ستصبح أقوى مع العمر، فإننا يمكن توقع ألا تظهر فى الشيخوخة إلا أقل التغيرات فى الاتجاهات. والمدهش بما فيه الكفاية، أن هناك بعض الدلائل على أن العلاقة بين السن وثبات الاتجاه تتبع نمطًا منحنيًا بشدة، حتى ليصل إلى شكل حرف U مقلوبًا. فقد وجدت دراسة مبكرة (Sears, 1981) أن التعصب العنصرى بين البيض فى دراسة الأعوام ١٩٧٢ – ١٩٧٦ كان أقل ثباتًا عبر الوقت بالنسبة للأصغر سنًا (تحت ٣٠) والأكبر سنًا (فوق ٦٠). فضلاً عن أنها كانت فترة تحرير للاتجاهات العنصرية فكانت الجماعة الأكبر سنًا هى أيضا الأكثر تغيرًا نحو الاتجاه المتحرر. وتأكدت هذه النتائج مع ضبط متغير مستوى التعلم، كما أنه لا يمكن تفسيرها ببساطة لمجرد الانخفاض الكبير فى ثبات القياس فى السن المتأخرة. والنتيجة الأساسية تم دعمها فى دراسة ثبات الانتماء الحزبى التى استخدمت كلاً دراستى الأربع سنوات، مع إضافة التصحيحات الخاصة بعدم ثبات القياس (Alwin 1993; Alwin et al. . 1991; also see Visser & Krosnick, 1998). والسبب فى أن الاتجاهات تصبح أقل ثباتًا فى السن الكبيرة ليس واضحًا، مع أن عديدًا من الطرق التى يندمج بها الأفراد اجتماعيًا فى المجتمع غالبًا ما تتغير بعد سن التقاعد؛ مما يظهر فى مجالات العمل والإقامة والأسرة والشبكات الاجتماعية الأخرى. ربما يقلل ذلك من ثبات اتجاهات كبار السن السياسية.

الأجيال السياسية

يركز فرض السنوات الانطباعية على قابلية اتجاهات الأفراد للتأثر فى مرحلة المراهقة المتأخرة والرشد المبكر. ولكن إذا كانت "الأزمنة " تمارس ضغوطًا قوية للتغيير؛ فإنها ستؤثر على عدد كبير من الأشخاص فى تلك المرحلة بشكل عام، بما ينتج تأثيرات جيلية. بشكل أكثر تفصيلاً، افترض كارل مانهيم (Mannheim, 1928/1952) أن "الوحدات الجيلية" أو تكتلات الجماعات الشابة، وليس كل جماعات المجتمع ربما تتشارك فى خبرات قوية تجعلهم مميزين فى الحياة. على كل حال، يتطلب إنتاج التأثيرات الجيلية أن يكون لدى الأفراد انفتاح نفسى معين عند هذه المرحلة السنية، وأن تكون لديهم خبرات سياسية نشطة فى هذه المرحلة التاريخية.

لقد خضع عدد من الأجيال السياسية إلى دراسات امبيريقية مكثفة بشكل خاص. تضمنت واحدة من تلك الدراسات نساءً ممن تربين سياسيًا قبل عام ١٩٢٠ عندما أصبحن مؤهلات لأول مرة للتصويت فى الانتخابات القومية. لم تبدأ النساء بالتحول نحو التصويت إلا تدريجيًا، كانت هناك هوة تتعلق بالنوع فى البداية، خاصة بين أولئك اللاتى تربين فى فترة سابقة، تحديدًا، تلك الجماعة التى ولدت قبل عام ١٩٠٦. لم تكن هناك مثل هذه الصورة التى تتعلق بالنوع بين أولئك اللاتى تربين بعد الحصول على حق الاقتراع، أى أولئك اللاتى ولدن بعد عام ١٩٢٥. وحيث يستبدل الزمن نساء ما بعد الاقتراع بجماعات ما قبل الاقتراع، تدريجيًا، فقد ضاقت الهوة بين الجنسين تدريجيًا أيضا، وبنهاية ١٩٨٠ اختفت هذه الهوة (Firebaugh & Chen. 1995). حالة أخرى كانت "جيل العقد الجديد"[٨٢] فى الولايات المتحدة،

(٨٢) أطلق الرئيس الأمريكى فرانكلين روزفلت تعبير العقد الجديد New Deal على برامج التخطيط الاقتصادى المركزى الذى استمر منذ ١٩٣٣ حتى ١٩٣٨ (المراجع)

وهم مجموعة المصوتين الجدد صغار السن الذين دخلوا للانتخاب لأول مرة فى الثلاثينيات، وظلوا ديمقراطيين أساسًا حتى عام ١٩٥٠، سواء فى السلوك الانتخابى أو الانتماء الحزبى، أكثر من المجموعة السابقة عليهم حين كـــانوا فى نفس سنهم (Campbell et al. , 1960; also see Centers, 1950; Elder. 1974; Butler & Stokes, 1969, for parallel effect in Great. Britain). وقد ظلت هـــذه المجموعات على معرفة بالعقد الجديد أكثر من الأمريكان الأصغر سنًا، حتى سنوات متأخرة (Jennings, 1996).

كان المحتجون الصغار فى الولايات المتحدة وأوروبا فى الـــستينيات وحدة جيلية واعية بذاتها. وتشير أكثر الدلائل إلـــى أن تميزهـــا اليـــسارى الليبرالى ظل مستمرًا حتى فيما بعد، لاسيما بين أولئك الذين نشطوا وشاركوا فى الاحتجاج. فمثلاً، الطلاب فى دراسة تنشئة ميتشجان الذين كانوا ثوريين نشطاء عندئذ استمروا فى كونهم أكثر تحررًا من أولئك الـــذين كـــانوا مـــن خريجى الجامعات لكن لم يكونوا ثوريين فى أى من الموجات الثلاث اللاحقة للدراسة (Jennings, 1987, 2000, also see Fendrich & Lovoy. 1988; McAdam, 1989; Marwell, Aiken, & Demerath, 1987; Whalen & Facks, 1984). وإنـــه لمدعاة للانتباه أن أبناءهم أيضا كانوا أكثر ليبرالية وبوضوح من أبناء غيـــر المحتجين (Jennings. 2002) بل إن "الملاحظين المشاركين" – أولئك الـــذين كانوا متابعين للحركات لكنهم لم يكونوا نشيطين فيهـــا – أظهـــروا تـــأثرات سياسية استمرت لسنوات فيما بعد (Stewart, Settles, & Winter, 1998).

وتُعد جماعة الصغار التالية مباشرةً حالة أخرى جديرة بالانتباه. كـــان هناك عدد من الموضوعات التى قسمت الحزبين الكبيرين داخليًا فى أواســـط الستينيات وحتى باكورة السبعينيات، مثل الحقوق المدنية، والأزمة المتعلقـــة بحرب فيتنام وفضيحة ووترجيت. ويبدو أن هذه الانقسامات الداخلية داخـــل الحزبين قد خفضت كثيرًا قوة الانتماء الحزبى بين جيل الشباب المقدم علـــى

ممارسة التصويت. إلا أنه بعد ذلك عاد الالتزام الحزبى بين جماعات الشباب القادمة إلى مستوى مرتفع، وهم الآن أشبه بمن وصلوا لسن التصويت قبل تلك المرحلة (Miller & Shanks, 1996).

ولكن من نواحى أخرى يستمر الشبان المعاصرون فى إظهار مستويات أقل من المعتاد فى كل من المشاركة السياسية، والمعلومات السياسية، وفى قراءة الجرائد، وفى الاهتمام السياسى والإضراب عن التصويت. ويرجع جزء من ذلك إلى تأثير دورة الحياة، فالصغار على مر التاريخ لديهم اهتمام سياسى أقل من الراشدين. ولكن جزءًا آخر يرجع إلى تأثير الجيل، وهو أمر مدهش، إذ إن التعليم يرفع من مستوى المشاركة السياسية، وقد تلقت الأجيال الجديدة من التعليم ما يفوق من سبقوها بكثير (e. g. , Astin, Parrott, Korn, & Sax 1997; Delli Carpini, 2000; Putnam, 2000: Smith, 1999). وقد افترض بوتنام (Putnam, 2000) أن كل هذا يعكس انخفاضًا حادًا فى "رأس المال الاجتماعى"[٨٣] لدى الأجيال الحديثة، متوازيًا مع انحدار واسع فى الأنشطة الاجتماعية والعضوية المؤسسية الطوعية. وقد أدرج ظهور التلفزيون كعامل مدمر لمثل هذه النشاطات المجتمعية، مع أن البرهنة على طبيعة دوره لا بد وأن تكون غير مباشرة. ويقاوم هذا الانخفاض فى مشاركة الأجيال الجهود الحثيثة لتفسيره، على الرغم من كونه أكثر ما تعرض للتحليل المكثف (e. g. , Highton & Wolfinger, 2001; Miller & Shanks, 1996).

---

(٨٣) يقصد بتعبير رأس المال الاجتماعى Social Capital مجموعة القيم والأخلاق الاجتماعية التى تسهل عمليات التفاعل الاقتصادى والسياسى والتى تشكل البنية الأساسية للعلاقات الاقتصادية والسياسية، وتتجسد تلك القيم والأخلاق فى هياكل وبنى اجتماعية تدعم أعضاءها وتدعم مصالحهم وتعضد تماسكهم (المراجع)

وفى النهاية، فإن هناك إمكانية لمسار بحثى غنـــى حـــول التـــأثيرات المستمرة للـــصدمات الاجتماعيـــة أو الـــسياسية. فقـــد افتـــرض لـــوفنبرج (Loewenberg, 1971) على سبيل المثال، أن التدعيم القـــوى الفـــائق للعـــادة للحكومة النازية بين الألمان الذين ولدوا بين عامى ١٩٠٠ إلى ١٩١٥ يمكن أن يعود إلى عديد من الصدمات التى تعرضوا لها فى باكورة حياتهم، بمـــا فيها سوء التغذية والمجاعة والمرض، وإهمال الأطفال، واختفاء جيل الآباء، والتضخم المالى الكبير. كما أن التعرض المباشر للعنف السياسى فى إسرائيل وشمال أفريقيا قد أظهر زيادة فى الاستهداف للمرض النفسى (Slone, Adiri, & Arian, 1998; Slone, Kaminer, & Durrheim, 2000) وحتى التعرض للعنف عن بعد، مثل اغتيال قائد شعبى، يمكن أن يكون له تأثيرات عميقـــة علـــى المدى القريب (Raviv, Sadeh, Raviv, Silberstein, & Diver, 2000; Wolfenstein & Kliman, 1965). وربما يكون له تأثيرات سياسية بعيدة المدى أيضا (Sears, 2002).

تنعكس مجموعة أخرى من التأثيرات الجيلية فى *الـــذاكرة الجمعيـــة*، والتى تُعرف على أنها " ذكريات ماضٍ مشترك، عاشها واحتفظ بها أعضاء جماعة، كبيرة أو صغيرة" لاسيما "الذكريات المشتركة على مستوى الأحداث المجتمعيـــة" (Schuman & Scott, 1989, pp. 361-362; also see Halbwachs, 1950/1980) سيتضمن فرض الـــسنوات الانطباعيـــة أن الأفـــراد يجـــب أن يستدعوا بصفة خاصة الأحداث والتغيرات المهمة إذا حدثت فـــى مـــراهقتهم ورشدهم المبكر. وإحدى الطرق لقياس الـــذكريات الجمعيـــة هـــى ســـؤال المبحوثين أن يذكروا "التغييرات القومية أو العالمية" التى كانت "مهمة بشكل خاص" خلال السنوات الخمسين الماضـــية (Schuman & Scott, 1989). أمـــا الذين اختاروا الحرب العالمية الثانية كحدث مهم بشكل خاص فكانوا أولئـــك الذين كانوا فى سن العشرين، فى المتوسط، فى عام ١٩٤٣. والمجموعة التى

اختارت حرب فيتنام كان سن أفرادها فى المتوسـط عـشرين عامًـا سـنة ١٩٦٨. والذين عزوا أهمية كبيرة لاغتيال الرئيس جون كينيدى كـان بـين أولئك الذين كانت طفولتهم ومراهقتهم فى سنة ١٩٦٣. وعندما سئل بعـض الأفراد فى عام ١٩٩٠ عما إذا كان أفضل تشبيه لأزمة حرب الخلـيج هـو "هتلر" رمز الديكتاتور الشره أم "فيتنام" رمز مستنقع الحرب الثالثـة، أشـار أولئك الذين كانوا فوق الأربعين بقوة إلى هتلر، بينما انقسم الأفراد مـا دون سن الأربعين حول التشبيهين الآخرين (Schuman & Rieger, 1992). وحتـى الأسئلة حول معلومات بسيطة، مثل إلى أى حـزب كـان ينتمـى الـرئيس روزفلت، يمكن أن تظهر فروقًا جيلية واضحة (Jennings, 1996).

قدم روبرت جيرفيز (Jervis, 1976) تطبيقًا مهمًا لهـذه الفكـرة عـن الذاكرة الجمعية، وهو تطبيق يتعلق بـــ السؤال عن كيف يـتعلم صـانعو القرارات السياسية الخارجية من التاريخ. فالقادة السياسيون الذين كانت لهـم خبرات أولى درامية ومهمة فى الـسياسية عنـدما كـانوا فـى "الـسنوات الانطباعية" ربما يستعملون مثل هذه الخبرات فى قضايا يجب أن يتعـاملوا معها بوصفهم راشدين ناضجين. على سبيل المثال، هـارى ترومـان فـى مواجهة غزو كوريا الشمالية لكوريا الجنوبية عام ١٩٥٠، وليندون جونسون، فى مواجهة حرب فيتنام، فقد استدعى كلاهما الحرب العالمية الثانيـة التـى علمتهما خطر عدم مواجهة المعتدين فى مرحلة مبكرة. كما أن كولن بـاول وقادة عسكريين آخرين الذين كانوا ضباطًا صغارًا فى الجيش فى الستينيات، طبقوا مؤخرًا درس فيتنام، على حرب الخليج، وغيرها: لا تذهب إلى الحرب بنصف قلب؛ إما أن تذهب بقوة ساحقة، أو فلتبق بعيدًا عنها. وخطورة هـذه "الدروس" المكتسبة مبكرًا، كما فى أية تأثيرات جيلية دائمة، هى أنهـا قـد تقادمت بالطبع، فمع الوقت يصبح الشخص الصغير راشدًا، أو كما يُعبر عنه فى القول الشائع عن الجيش إنه دائمًا "يحارب آخر حروبه".

انفتاح مدى الحياة

إن تطبيق المناحى الارتقائية فى علم النفس السياسى قد خضع لدورات صعود وهبوط فى شعبيته. فمن جيل مضى شعر جرينشتين (Greenstein, 1970, p. 969) أن "التنشئة السياسية هى دعامة النمو"، ورأى د. بفيد سيرز (Sears, 1975, p. 94) "أن نتائج البحوث قد زادت بمعدل هندسى. وقد تشكل بناء على هذا تصوران كثيرًا ما يُعامَلان بحماس شديد: أولهما عن "مبدأ الأولية"، أى أن للميول المكتسبة مبكرًا قدرة كبيرة على البقاء، والثانى "مبدأ البنائية"، وهو أن لهذه الميول أهمية خاصة فى الرشد، لأن ماتم تعلمه مبكرًا هو الأكثر أهمية (e. g. , Searing et al. , 1973, 1976). ومن ثم نادى بعض الباحثين ذوى التوجه الارتقائى بإعادة التعرف أكثر على مزيد من الانفتاح نحو التغيرعبر مسار الحياة، فعلى سبيل المثال "يُعد التغير أثناء الرشد طبيعيًا. ينبغى فهم مسار الحياة ككل أكثر تماسكًا واتساقًا" (Sapiro, 1994, p. 204)، وأن "التعلم والارتقاء لا يكتملان بالرشد: بل هما بالأحرى... [يشكلان] عملية تمتد مدى الحياة" (Sigel, 1989, p. viii) كما أولت التوجهات الخارجية الأكبر فى العلوم السياسية اهتمامًا أعظم إلى الانفتاح فى الرشد، مع نمو تأثير النظريات الاقتصادية التى تؤكد على الاختيارات العقلانية التى يصنعها الراشدون.

توثيق التغير بين الراشدين الناضجين

غالبًا ما تمدنا التحديات التى يواجهها منظور المثابرة بأدلة قيمة. وأحيانًا ما يزداد الحماس لهذه الأدلة عن الحد؛ لذلك فإن بعض العلامات التحذيرية ربما تكون مطلوبة. ويفترض أحد التوجهات البحثية المؤثرة أن المشاركة الحزبية للراشدين حساسة فى الواقع "للأزمنة"، كما هو الحال فيما

يخص الظروف الاقتصادية والحكم على أداء المسؤولين (Fiorina, 1981)، أو تصورات المرشحين، أو القضايا أو الأحداث (Allsop & Weisberg, 1988; Markus, 1983; Niemi & Jennings, 1991) ففى دراسة أجريت لهذا الغرض أظهرت أن تقييمات المرشحين تؤثر على الانتماء الحزبى لدى الراشدين، أكثر مما يحدث العكس (Rapoport, 1997) مع أن العينة قد اشتملت فقط على أفراد صغار السن مؤهلين حديثًا للتصويت، وليس على راشدين. وتتسق هذه النتائج مع فرض السنوات الانطباعية أكثر مما تتسق مع فرض الانفتاح.

وقد جمعت سيجل (Sigel, 1989) سلسلة من الدراسات المتعلقة بفحص التأثيرات السياسية للانقطاعات أثناء سنىّ الرشد، كدخول سوق العمل، أوالخدمة فى الجيش، أوالهجرة إلى بلد جديد، أو المشاركة فى حركة اجتماعية، أو دخول الجامعة، أوالزواج أو الإنجاب. وكما تلاحظ سيجل فإن كلاً من هذه الحالات يضم ثلاثة عناصر يمكن أن تؤثر على الاتجاهات السياسية: هى تبلور الهوية المتفردة للفرد، وافتراض أدوار جديدة، والتعايش مع المطالب الجديدة وغير المتوقعة للرشد. ومع ذلك فإن معظم هذه الأحداث الانقطاعية تحدث أيضا غالبًا فى المراهقة المتأخرة وبداية الرشد، بما يوحى مرة أخرى أن هذه النتائج تناسب فرض السنوات الانطباعية أكثر من فرض الانفتاح. وحتى الخبرة الشخصية الأكثر قوة للخدمة فى الجيش فى فيتنام، فقد وجد من خلال دراسة تنشئة ميتشجان أن تأثيراتها كانت "متواضعة" على الاتجاهات السياسية. (Jennings & Markus, 1977)

عندما يواجه الراشدون الناضجون أحداثًا انقطاعية كبيرة فى بيئاتهم الاتجاهية، فإنهم أحيانًا ما يغيرون اتجاهاتهم، كما أشير مبكرًا. ولكن عددًا قليلاً نسبيًا من الأفراد يتعرضون لمثل هذه الأحداث الانقطاعية بعد مرحلة الرشد المبكر (Miller & Sears, 1986) على سبيل المثال، تبلغ نسبة هجرة الراشدين الشبان من منطقة يسيطر عليها أحد الحزبين إلى منطقة يسيطر

عليها الحزب الآخر المعارض حوالى ثلاث مرات احتمال هجـرة الأكبـر منهم، كما أن لا تأثير أكبر كثيرًا بالنسبة للشبان (Brown, 1988) وقد أثـرت الهجرة بين الشمال والجنوب على الاتجاهات العنصرية للبيض الراشدين، إلا أن حوالى ١٠% منهم فقط هاجروا (Glaser & Gilens, 1997). كما أن البيئات الصغيرة التى تتبعها الشبكات الاجتماعية القريبة للأفراد تميل لتكون داعمـة سياسيًا، وفى الواقع فإن الاختلافات فيها تكـاد لاتُـدرك (Huckfeldt, Beck, Dalton & Levine, 1995) لهذا فليس من الشائع ملاحظة التغييرات التى تنـتج عن التغير فى البيئة، وربما يكون السبب اجتماعيًا ونفـسيًا: فالاسـتمرارية البيئية هى السائدة، وعندما يحدث انقطاع ربما تحدث تغييرات، إلا أن كليهما يشيع فى "السنوات الانطباعية".

السياق السياسى كوسيط

يُعد السياق السياسى مهمًا أيضا فى تشكيل الوضع الذى تنتهى إليه هذه العمليات الفردية. وتوضح هذه النقطة قضيتين شهيرتين ويشترك فيها كل من الإنتماء الحزبى، الذى هو مستقر عادة، والاتجاهات العنصرية؛ فاسـتقطاب النخب الحزبية فى القضايا العنصرية أدى إلى نقلة جوهرية لبيض الجنـوب نحو الحزب الجمهورى فى الثمانينيـات (Hiller & Shanks, 1996) فـرفض النخبة العريضة للمجتمع بأكمله لنظام العزل الجنوبى أدى إلى الانتقال بعيدًا عن عنصرية جيم كرو Jim Crow بعد حقبة الحقوق المدنيـة (Firebaugh & Davis, 1988).

يجب أن تعتمد تقوية الانتماء الحزبى مع التقدم فى العمر جزئيًا علـى ثبات نظام الحزب نفسه. ففى الولايات المتحدة، نتج عن النزاعـات داخـل الحزبين فى فترة السبعينيات خفوت الانتماء الحزبى لأغلب الجماعات مـع تقدم هذه الأخيرة فى العمر، على عكس مسارها المعتاد. وبعد أن اسـتقرت

الأوضاع الحزبية وزاد الاستقطاب بين الحزبين بعد هذه المرحلة؛ فقد استعاد الالتزام الحزبى مساره المعتاد فى التنامى مع التقدم فى العمر (Miller & Shanks, 1996). وبشكل عام وجد كونفرز (Converse, 1969) أن السن يرتبط بقوة بالانتماءات الحزبية فى الأنظمة الديمقراطية الناضجة فى الولايات المتحدة والمملكة المتحدة، ولكنه أقل من ذلك فى الأنظمة الديمقراطية المرتبكة فى ألمانيا وإيطاليا، وفى النظام الانتخابى غير الناضج فى المكسيك.

كما وجد أنه يمكن التنبؤ بقوة الانتماء الحزبى فى هذه البلاد الخمس من خلال نموذج يتضمن الخبرة الحزبية الشخصية (سنوات إمكان التصويت وسنوات التصويت)، والخبرة الحزبية الموروثة (التواصل بشأن المشاركة الحزبية مع الآباء)، وتأثير نسيانى عندما تعوّق الأنظمة الديمقراطية، وتأثير التنشئة المنعكس من تأخير إعطاء المرأة حق التصويت. حتى روسيا عقب انهيار الاتحاد السوفيتى، تقدم دليلاً على أن المشاركة الحزبية الوليدة تظل ثابتة عبر الانتخابات، مع ما يتضمنه ذلك من معانٍ متعلقة ومع المعنى المتضمن فى الانقسامات فى الاتجاهات (Brader & Tucker, 2001: Miller & Klobucar, 2000) إلا أن البحوث الأخيرة ترجح أن نموذج المثابرة يعمل جيدًا، أو على الأقل أفضل، بالنسبة للأحزاب الكبيرة و/ أو القديمة، بما يتسق مع فكرة أن الأفراد يحتاجون إلى موضوعات ثابتة ومرئية للاتجاه حتى يكتسبوا اتجاهات قوية نحوها (converse & Pierce, 1992).

تأثيرات دورة الحياة

هذه التساؤلات حول استمرارية التعلم المبكر، كمقابل للانفتاح المستمر على الخبرة الجديدة، لا تلغى بأى حال إمكانية إسهام منحى الارتقاء مدى الحياة فى علم النفس السياسى. فكما لاحظنا مبكرًا فى ارتباطات الاتجاهات بالعمر يمكن أن تعكس منطقيًا تأثيرات دورة الحياة أو تأثيرات الجيل، فكما

فى القول الفرنسى المأثور "من لا يكون ثوريًا فى العشرين ليس لـــه قلـــب، ومن يكون ثوريًا فى الأربعين فليس له عقل" وكلاهما يمكـــن تمييـــزه فـــى تحليلات الجماعات، فهى تبين أن الأفراد لا يـــصبحون بالـــضرورة أكثـــر محافظة مع التقدم فى العمر، ففى الخمسينيات، ارتبط العمر بشكل إيجابى مع الاتجاه نحو الحزب الجمهورى، حين أتى كبار السن من جماعات مـــا قبـــل العقد الجديد، وهى فترة سيطر فيها الحزب الجمهـــورى (Crittenden, 1962). وفى فترة لاحقة، عندما كان الأكبر سنًا من "جيل العقد الجديد" قـــد توجهـــوا نحو الديمقراطيين، وهذا يعكس تأثيرات جيلية أكثر منها تـــأثيرات مرحلـــة الحياة (e. g., Abramson, 1985; Alwin. 1992, Glenn, 1974).

كان العمر أيضا مرتبطًا بشكل إيجابى بدعم عنصرية جيم كـــرو Jim Crow بين البيض بعد الحرب العالمية الثانية (e. g., Kluegei, 1990; Schuman et al.. 1997) فى حين أنه، كما لاحظنا مبكرًا بينت تحليلات الجماعة بالفعـــل تناقض دعم عنصرية جيم كرو داخل مجموعات البيض الأمريكان مع تقدمهم فى العمر أثناء هذه الفترة، مما يعكس تأثير الفترة أكثر من تـــأثير مرحلـــة الحيـــاة (Danigelis & Cutler. 1991; Firebaugh & Davis, 1988; Sears, 1981). وكلا المثالين يقدمان دليلاً ضد تعميم تأثير العمر على درجة المحافظة. وفى الواقع، فإن تأثيرات مرحلة الحياة على الاتجاهات قد لاقت صعوبة خاصـــة فى إثباتها (Alwin, 1993, 1994).

هناك تمييز مهم آخر بين التفسيرات النفسية والاجتماعيـــة لتـــأثيرات دورة الحياة وهناك مثال سلوكى جيد يتعلق بانخفاض المشاركة فى التصويت لدى الشباب. فبعض ذلك يرجع للفـــروق الجيليـــة (Putman, 2000). إلا أن الفروق الفردية فى المشاركة فى التصويت تستمر طويلاً. لذلك فإن مرحلـــة الحياة تعد متضمنة أيضا. والتفسير النفسى هو أن المشاركة المتـــسقة فـــى التصويت، مثل المشاركة الحزبية القوية، يرتقى من خلال الخبرة مع النظام

السياسى. والتفسير الاجتماعى الشائع هو أن الشباب بحكم تشتتهم بعيدًا عن الواجبات المدنية، نتيجة لضغوط الانتقالات المختلفة من أدوار الصغار إلى أدوار الراشدين، مثل ترك المدرسة، وترك المنزل، ودخول العمل، والزواج، وامتلاك منزل، والانتقال الجغرافى. إذا كان الأمر كذلك، فإن الاشتراك فى التصويت قد يتزايد مع التقدم فى العمر فقط لأن الشبان يتطورون ويخلفون هذه العقبات وراءهم ويدخلون فى نطاق الالتزامات المدنية. وفى مقارنة بين هاتين الوجهتين من النظر، وجد هايتون وولفنجر (Highton & wolfinger, 2001) أن الانتقال بنجاح إلى مثل هذه الأدوار للراشدين كان له تأثيرات مختلطة تمامًا على المشاركة فى التصويت فى حين أن التقدم فى العمر قد زاد منها وحده: فإن إتمام المهام الستة الخاصة بالراشدين قد زاد من التصويت بـ ٦% فقط، وهو كسر صغير من الفرق البالغ ٣٧% بين الصغار وأولئك الذين تجاوزوا سن الستين. هكذا يفضل المؤلفان التفسيرات النفسية "التعلم وحده" ربما يكون مسئولاً عن ذلك (p. 208).

حالة المهاجرين:

كما هو بالنسبة لكثير من المجالات فى علم النفس السياسى، فإن الدليل المتاح عن الارتقاء فى مرحلة الطفولة والرشد يتوقف بشدة على الخبرة السياسية الأمريكية، إنها حالة فردية فقط، مع نظام سياسى مستقر بشكل عام، حتى بالمقارنة بالديمقراطيات المتقدمة أيضا مثل فرنسا، وألمانيا، والاتحاد السوفيتى السابق، أو جنوب أفريقيا. ويعرضنا فحص الأفراد فى سياق سياسى ثابت فقط لخطر المبالغة فى تقدير الاستمرار الطبيعى فى تاريخ حياة الأفراد. إلا أننا يمكننا دراسة المهاجرين، الذين انتقلوا من نظام سياسى لآخر كواحد من الاختبارات المتاحة.

ارتقاء الهوية العرقية والقومية لدى الراشد

يتضمن فرض المثابرة أن التوحد مع جماعة ذات جنسية أصلية سيكون ثابتًا على مدى حياة المهاجرين، وسينقل إلى أطفالهم، مولدًا وعيًا جماعيًا عرقيًا قويًا بالأمور السياسية (Uhlaner, Cain, & Kiewiet, 1981; Wolfinger, 1965)، ومن ناحيةٍ أخرى ربما يتبع المهاجرون المعاصرون مسار المهاجرين الأوربيين من قرن مضى (alba, 1990) حيث تستبدل بالهوية القومية الأصلية ("المكسيكية" مثلاً) ببطء عبر الأجيال، هوية عرقية أمريكية ("اللاتينية" مثلاً)، والتى بالتالى، مع التزاوج الداخلى، والتكامل السكنى والوظيفى، والحراك المتصاعد، ربما يستبدل بها فى النهاية التوحد مع القومية الجديدة (أى "الأمريكية")، وتتسق هذه العملية أكثر مع فرض السنوات الانطباعية. وهناك إمكانية أخرى للتفسير تتسق مع وجهة نظر "الانفتاح"، وهى أن هذه العملية ككل ربما تحدث داخل جيلٍ واحد. وهناك بديل آخر يمزج بين النظرتين، حيث ربما يكون هناك "تمثل منفصل" يتبع فيه بعض الجماعات المهاجرة مسار الحراك المتصاعد والتمثل بينما تظل جماعات أخرى فقيرة مع مستوى متدن من التعليم مرفوضين من خلال التمييز ورافضين للقيم الأمريكية الأساسية، بل يطورون هوية عرقية قوية بوصفهم جماعة قومية مغتربة تعيش على أرض أمريكية (Falcon, de la Garza, Garcia, & Garcia, 1992; Portes & Rumbaut, 2001).

تفحص دراستان حديثتان هذه البدائل. تضمنت المسوح الخاصة باللاتينيين الراشدين فى لوس انجلوس السؤال التالى: "ماذا تعتبر نفسك بشكل أساسى: أمريكى فقط، أم أمريكى و(العرق) "كليهما"، أم (العرق) فقط"؟ ويبدو أنهم يمرون بثلاث مراحل منفصلة (Citrin & Sears, 2003, Ch. 3). فقد مال المهاجرون غير المواطنين إلى تحديد أنفسهم كعرقيين بشكل أساسى وشعروا

بإحساس قوى بالهوية العرقية، أما المهاجرون فقد اختاروا "كليهمـــا"، وقـــد شعروا أيضا بإحساس قوى بالهوية العرقية. بينمـــا لـــم يفكـــر اللاتينيـــون المولودون فى أمريكا (غير المهاجرين) فى أنفسهم إطلاقًا كعـــرقين بـــشكل أساسى، وكان إحساسهم بالعرقية أضعف وكان لديهم إحساس أقوى بـــالفخر بأمريكا. وقد ظهرت فروق متشابهة جدًا بين المهاجرين وغير المهاجرين فى دراسة كبيرة على طلاب الجامعة الآسيويين واللاتينيين فى كاليفورنيا.

الانتماء الحزبى:

يمدنا المهاجرون أيضا باختبار لحدود النظريـــة الأصـــلية للانتمـــاء الحزبى. حيث لا يبدو أنهم قد تعرضوا كثيرًا لتأثير انتماءات الوالـــدين لأن آباءهم غير الناخبين غالبًا لم تكن لهم تفضيلات حزبية. إلا أن المهـــاجرين، الذين يصلون محملين باتجاهات وقيم ثقافاتهم الأصلية يتمثلون معايير الثقافة السائدة بالتدريج. فينتمى – نسبيًا – المهاجرون اللاتينيون الأفقر، وبالتدريج، لتوجه الحزب الديمقراطى، تمامًا كما فعل أولئك القادمون من أوروبـــا قبـــل ذلك بقرن من الزمان: أكثر اللاتين ميلاً للحزب ومن غير الواضح إن كـــان هذا التغيير بين الأجيال، كما يقول فرض المثابرة، أو داخل الأجيـــال، كمـــا يقول فرض الانفتاح مدى الحياة. إلا أن بعض الجمهوريين اللاتينيين، وهـــم هؤلاء الأقل دخلاً والأقل اندراجًا فى المؤســـسات النقابيـــة، كـــانوا ســـابقًا ديمقـــراطيين (Cain et al., 1991). (Cain et al., 1991; de la Garza, DeSipio, Garcia, Garcia, & Falcon, 1992; DeSipio & de la Garza, 1992) كمـــا أن المهاجرين الحاليين، مثلهم مثل الموجات السابقة من المهاجرين الأوروبيين، يصبحون أكثر ميلاً للحزب الجمهورى كلما أصـــبحوا أكثـــر ثـــراء إلا أن المهاجرين ربما يأتون معهم أيضا ببعض الولاءات والخصومات القديمة من

بلدانهم الأصلية. فمثلاً قاد الجمهوريون فى عصر ريجان، الأشد خصومة للشيوعية، أغلبية اللاجئين من الشيوعية من كوبا، وفيتنام – كوريا، وتايوان، ولاسيما بين أولئك الذين فروا من سلطة شيوعية كبيرة. بينما قاد الديمقراطيون أغلبية كبيرة من أولئك المهاجرين من المكسيك أو بورتوريكو، الذين مالوا للهجرة من أجل دوافع اقتصادية (Cain et al., 1991; DeSipio & de la Garza, 1992). وهناك أيضا دليل على أن الانغماس فى أنظمة سياسية سابقة يسرع من اندماج المهاجرين سياسيًا. فقد وجد بلاك (Black, 1987; Black, Niemi, & Powell, 1987) أن الاشتراك والانتماء الحزبى فى النظام السياسى الكندى كان أعلى بين المهاجرين الذين كانوا أكثر اهتمامًا بالسياسة وناشطين سياسيًا فى بلادهم الأصلية.

يوفر المهاجرون أيضا حالة مهمة لاختبار الفرض القائل إن المشاركة الحزبية تقوى مع الخبرة السياسية التى تدل عليها السن فى العادة. فالمهاجرون يجيئون فى أعمار مختلفة، لذلك لا يحمل العمر شكلاً واحدًا للعلاقة بكم الخبرة السياسية التى حصل عليها كل منهم مع النظام السياسى الجديد للوطن الذى استقبلهم. بل إن قوة انتمائهم الحزبى يجب أن تكون دالة للوقت الذى قضوه منذ الهجرة وبالفعل، ترجح إمكانية تطوير انتماء حزبى والتعرف على النفس كمتحزب قوى، كلما زادت الفترة التى يقضيها المهاجرون فى الولايات المتحدة، وكلما زاد عدد الأجيال السابقة المقيمة فيها (Cain et al., 1991; Wong, 2000) فلا تهم السن كثيرًا. ليس الوقت المنقضى فى الأمة الجديدة وحده المتغير المهم، بالطبع. فالمواطنون الذين حصلوا على الجنسية أكثر قابلية لتشكيل تفضيلات حزبية، فتفسر المواطنة بعض تأثيرات الوقت. كما لو أن "عداد" الوقت لا يعمل حتى تتم المواطنة، اتساقا مع الدور المفترض للممارسة فى تنمية التفضيل الحزبى.

الختام:

فى رأينا، أن البحوث المستمرة حول المشكلات التى نشأت أصلاً فى المجال قد لاقت مستويات مدهشة من التدعيم لافتراضاتها الأولية. أصبحت أهمية دراسة الاكتساب المبكر للاتجاهات الأخلاقية والعنصرية والعرفية واكتساب الهوية، والمشاركة الحزبية تبدو الآن بديهية. حتى المؤيدين لوجهة النظر التى تدعو للمراجعة يفترضون أن النتائج بشكل عام "تشير إلى كثير من الاستمرار لأنماط الاستجابة السياسية خلال مسار حياة الفرد" على الرغم من المهام الجديدة والأدوار التى يواجهها الأفراد مؤخرًا، تمامًا مثل "التغيير الجوهرى فى الاتجاهات والسلوكيات السياسية الاجتماعية" استجابة للأحداث المواكبة (Sigel, 1989, p. 458) "ويوحى ثقل هذه الدراسات بأننا لا يجب أن نتوقع، اعتياديًا، دليلاً قاطعًا على التغير أثناء مرحلة الرشد" (Sapiro, 1994, p. 204) وهذه البحوث الحديثة توثق بشكل جيد الظروف التى يحدث التغيير لدى الراشد فى ظلها غالبًا. إلا أنه من وجهة نظرنا فقد حدث نوع من المبالغة فى مراجعة وتصحيح الادعاءات المبكرة للمثابرة الواسعة المتعلقة بالاتجاهات السياسية، كما ابتعد محور الجدال، أكثر من اللازم، عن التعرف على المثابرة الجوهرية التى تكشف عنها بعض الميول أو التحيزات.

النقطة الثانية التى نقدمها هى أنه فى السنوات الحديثة بزغت بؤر اهتمام جديدة – مثل أهمية تمييز المجال الأخلاقى عن المجالات الأخرى للتفكير (مثل الاجتماعى – الاصطلاحى)، وأهمية العوامل المعرفية (بالإضافة إلى العوامل الاجتماعية)، فى الاتجاهات العرقية والعنصرية، وزيادة الأهمية السياسية للهوية القومية والعرقية، والأهمية المستمرة لمعاداة الجماعات الخارجية، وزيادة الاهتمام بالتعليم المدنى – الذى يتطلب تحليلات ارتقائية، وإن لم يستبعد المناحى البديلة. وتشير بؤر الاهتمام هذه إلى عوامل

وسيطة ومفتاحية وعوامل معدّلة للثبات والتغير عبر مسار الحياة، بالإضافة إلى ذلك، لم تكن المثابرة طويلة المدى أبدًا مسألة نفسية داخلية وحسب، بـل أيضا وسطًا اجتماعيًا وسياسيًا داعمًا.

إننا نختتم بأفكار حول حدين من حدود الأدبيات التى ناقشناها. أولهمـا هو أن هذه الأدبيات قد أنجزت داخل شمال أمريكا ولا شك أن ذلك يعكـس أين تم البناء الأساسى لمثل هذه البحوث بالإضـافة إلـى حـدود معرفتنـا الخاصة. وهو يحددنا بشكل خاص فيما يتعلق بتقييم تأثير السياقات السياسية المتغيرة على الفرد. فمثلاً نحن لم نقدم تقديرًا دقيقًا للمدى الذى حدثت خلاله تجارب كبيرة فى قولبة مجتمعات الصين الماوية، أو الاتحاد الـسوفيتى، أو ألمانيا النازية أو إيران الإسلامية. ثانيًا، لقد راجعنا جزءًا كبيرًا من البحوث حول كيف أثرت الأحداث السياسية بشكل محدد على الارتقاء الـسياسى. إلا أننا نفترض أن هذه ليست إلا مجموعة صغيرة من الطرق التى يتفاعل بهـا الأفراد مع الأحداث فى العالم الأوسع. وبشكل عام، لم ينتبه علماء النفس بما يكفى لمثل هذه التفاعلات ومع ذلك (انظر Stewart & Healy, 1989).

وفى النهاية، لاحظنا فى البداية أن كثيرًا من البحوث فى هذا الفـصل كانت مدفوعة، على الأقل جزئيًا، من خلال علماء اجتماع ليبراليين بحثًا عن حلول إصلاحية للمشكلات الاجتماعية. لهذا يجب أن نكون حذرين فيما يتعلق بالتضمينات المعيارية التى ذكرتها البحوث هنا. ففى المسائل التى تناولناهـا فى هذا الفصل، لا توجد نتيجة واحدة نموذجية يتفق عليها الجميـع جيـدًا. فطبيعة الجوانب السياسية – أو فى الواقع، سبب وجودها ومبـرره – هـى الخلافات عبر الاهتمامات والتفضيلات المتنافسة وليس التصديق على ما هو متفق عليه من النتائج السياسية. حتى التمركز العرقى والتحيز؛ فكثيـرًا مـا ينظر إليهما من يتبنوهما بوصفهما مبررين، وبقدر ما يتلقونـه مـن إدانـة المعارضين، يتلقون مساندة من المؤيدين، كـذلك فالقوالـب النمطيـة لهـا

استخدامات مفيدة كأدوات تبسيط وتنظيم، وذلك بقدر ما تضر ضحاياها وتحد من المهارات الاجتماعية والدوائر التى يحتك بها متبنوها. كذلك فإن فوائد استيعاب وانفصال الجماعات المتنافسة يمكن أن يكون محل جدال مشروع. وكما ذُكر غالبًا فى الشهور التالية للهجمات الإرهابية على مركز التجارة العالمى فإن من هو "إرهابى" لشخص ما، هو "مقاتل من أجل الحرية" بالنسبة لشخص آخر. فإذا كان علم النفس السياسى يستطيع أن يعلمنا شيئًا، فهو أننا يجب أن نكافح جميعًا وباستمرار لكبح ميلنا الطبيعى لتمجيد المألوف، فأولئك الذين هم مثلنا يحتاجون فى الغالب إلى تبنى منظور الآخرين بشكل تعاطفى. وربما ينغمس علماء الاجتماع فى الكفاح بمزيد من المصطلحات العقلية أكثر من الشخص العادى، لكنه يبقى كفاحًا.

ملاحظة:

نود التعبير عن امتناننا للتعليقات المفيدة لكل [Tom Bradbury, Martin Gilens, Donald Green, M. Kent Jennings, Melanie Killen, Clark McKown, Rodolfo Mendoza – Denton, Virginia Sapiro, Howard Schuman, and Nicholas Valentineo]

political psychology can teach us anything, it is that we must all constantly struggle to balance the natural tendency to glorify the familiar and those most like us with the need to sympathetically take the perspective of others. Social scientists may engage that struggle in more intellectual terms than the ordinary person, but a struggle it remains.

Notes

We wish to express our thanks for helpful comments to Tom Bradbury, Martin Gilens, Donald Green, M. Kent Jennings, Melanie Killen, Clark McKown, Rodolfo Mendoza-Denton, Virginia Sapiro, Howard Schuman, and Nicholas Valentino.

1. One other early approach used the individual's retrospective judgment to assess persistence: Did they recall ever changing their party identification (Campbell et al., 1960)? Such judgments were later shown to be rather unreliable, usually overestimating stability (Niemi, Katz, & Newman, 1980).

References

Aboud, F. E. (1987). The development of ethnic self-identification and attitudes. In J. S. Phinney & M. J. Rotherham (Eds.), *Children's ethnic socialization* (pp. 32–55). Newbury Park, CA: Sage.

Aboud, F. E. (1988). *Children and prejudice.* New York: Blackwell.

Aboud, F. E., & Amato, M. (2001). Developmental and socialization influences on intergroup bias. In R. Brown & S. Gaertner (Vol. eds.), *Blackwell handbook in social psychology: Vol. 4. Intergroup processes* (pp. 65–85). Oxford: Blackwell.

Aboud, F. E., & Doyle, A. B (1993). The early development of ethnic identity and attitudes. In M. E. Bernal & G. P. Knight (Eds.), *Ethnic identity: Formation and transmission among Hispanics and other minorities* (pp. 47–59). Albany: SUNY Press.

Aboud, F. E., & Doyle, A. B. (1996b). Parental and peer influences on children's racial attitudes. *International Journal of Intercultural Relations, 20,* 371–383.

Aboud, F. E., & Doyle, A. B. (1996a). Does talk of race foster prejudice or tolerance in children? *Canadian Journal of Behavioral Science, 28,* 161–170.

Aboud, F. E., & Fenwick, V. (1999). Evaluating school-based interventions to reduce prejudice in preadolescents. *Journal of Social Issues, 55,* 767–785.

Aboud, F. E., & Levy, S. R. (1999). Are we ready to translate research into programs? *Journal of Social Issues, 55,* 621–626.

Aboud, F. E., & Levy, S. R. (2000). Interventions to reduce prejudice and discrimination in children and adolescents. In S. Oskamp (Ed.), *Reducing prejudice and discrimination* (pp. 269–293). Mahwah, NJ: Erlbaum.

Abramson, P. R. (1983). *Political attitudes in America.* San Francisco: Freeman.

Achen, C. H. (1975). Mass political attitudes and the survey response. *American Political Science Review, 69,* 1218–1231.

Adelson, J. (1972). The political imagination of the young adolescent. In J. Kagan &

R. Coles (Eds.), *Twelve to sixteen: Early adolescence* (pp. 106–143). New York: Norton.

Adelson, J., Green, B., & O'Neil, R. P. (1969). Growth of the idea of law in adolescence. *Developmental Psychology, 1*, 327–332.

Adelson, J., & O'Neil, R. P. (1966). Growth of political ideas in adolescence: The sense of community. *Journal of Personality and Social Psychology, 4*, 295–306.

Adorno, T. W., Frenkel-Brunswick, E., Levinson, D. J., & Sanford, R. N. (1950). *The authoritarian personality*. New York: Harper.

Alba, R. D. (1990). *Ethnic identity: The transformation of white America*. New Haven: Yale University Press.

Alejandro-Wright, M. N. (1985). The child's conception of racial classification: A socio-cognitive model. In M. B. Spencer, G. K. Brookins, & W. R. Allen (Eds.), *Beginnings: Social and affective development of Black children* (pp. 185–200). Hillsdale, NJ: Erlbaum.

Allport, G. W. (1954). *The nature of prejudice*. Reading, MA: Addison-Wesley.

Allsop, D., & Weisberg, H. F. (1988). Measuring change in party identification in an election campaign. *American Journal of Political Science, 32*, 996–1017.

Altemeyer, B. (1998). The other "authoritarian personality." *Advances in Experimental Social Psychology, 30*, 47–92.

Alvarez, R. M., & Brehm, J. (1995). American ambivalence towards abortion policy: Development of a heteroskedastic probit model of competing values. *American Journal of Political Science, 39*, 1055–1082.

Alwin, D. F. (1992). Aging, cohorts, and social change: An examination of the generational replacement model of social change. In H. A. Becker (Ed.), *Dynamics of cohort and generations research* (pp. 93–95). Amsterdam: Thesis.

Alwin, D. F. (1993). Socio-political attitude development in adulthood: The role of generational and life-cycle factors. In Dagmar Krebs & Peter Schmidt (Eds.), *New directions in attitude measurement* (pp. 61–93). Berlin: de Gruyter.

Alwin, D. F. (1994). Aging, personality, and social change: The stability of individual differences over the adult life span. In D. Featherman, R. Lerner, & M. Perlmutter (Eds.), *Life-span development and behavior* (pp. 135–185). Mahwah, NJ: Erlbaum.

Alwin, D. F. (1995). Taking time seriously: Studying social change, social structure, and human lives. In Phyllis Moen, Glen H. Elder, Jr., & Kurt Luscher (Eds.), *Examining lives in context: Perspectives on the ecology of human development* (pp. 211–262). Washington, DC: American Psychological Association.

Alwin, D. F., Cohen, R. L., & Newcomb, T. M. (1991). *Aging, personality and social change: Attitude persistence and change over the life-span*. Madison: University of Wisconsin Press.

Alwin, D. F., & Krosnick, J. A. (1991). Aging, cohorts, and the stability of socio-political orientations over the life span. *American Journal of Sociology, 97*, 169–195.

Ambady, N., Shih, M., Kim, A., & Pittinsky, T. (2001). Stereotype susceptibility in children: Effects of identity activation on quantitative performance. *Psychological Science, 12*, 385–390.

Annis, R. C., & Corenblum, B. (1987). Effect of test language and experimenter race on Canadian Indian children's racial and self-identity. *Journal of Social Psychology, 126*, 761–773.

Arnett, J. J. (1999). Adolescent storm and stress, reconsidered. *American Psychologist, 54,* 317–326.

Arnett, J. J. (2000). Emerging adulthood: A theory of development from the late teens through the twenties. *American Psychologist, 55,* 469–480.

Astin, A. W., Parrott, S. A., Korn, W. S., & Sax, L. J. (1997). *The American freshman: Thirty year trends, 1966–1996.* Los Angeles: Higher Education Research Institute, Graduate School of Education and Information Studies, University of California, Los Angeles.

Banks, J. A. (1995). Multicultural education and the modification of students' racial attitudes. In W. D. Hawley & A. W. Jackson (Eds.), *Toward a common destiny* (pp. 315–339). San Francisco: Jossey-Bass.

Bar-Tal, D. (1996). Development of social categories and stereotypes in early childhood: The case of "the Arab" concept formation, stereotype and attitudes by Jewish children in Israel. *International Journal of Intercultural Relations, 20,* 341–370.

Beck, P. A., & Jennings, M. K. (1991). Family traditions, political periods, and the development of partisan orientations. *Journal of Politics, 53,* 742–763.

Bernal, M. E., & Knight, G. P. (1993). Introduction. In M. E. Bernal & G. P. Knight (Eds.), *Ethnic identity: Formation and transmission among Hispanics and other minorities* (pp. 1–7). Albany: SUNY Press.

Bernal, M. E., Knight, G. P., Garza, C. A., Ocampo, K. A., & Cota, M. K. (1990). The development of ethnic identity in Mexican-American children. *Hispanic Journal of Behavioral Sciences, 12,* 3–24.

Berry, J., Trimble, J., & Olmedo, E. (1986). Assessment of acculturation. In W. Lonner & J. Berry (Eds.), *Field methods in cross-cultural research* (pp. 292–324). Newbury Park, CA: Sage.

Berry, J. W. (1980). Social and cultural change. In H. C. Triandis & R. Brislin (Eds.), *Handbook of cross-cultural psychology* (Vol. 5, pp. 211–279). Boston: Allyn and Bacon.

Berry, J. W. (1999). Intercultural relations in plural societies. *Canadian Psychology, 40,* 12–21.

Bettelheim, B., & Janowitz, M. (1950). *Dynamics of prejudice.* New York: Harper.

Beuf, A. H. (1977). *Red children in white America.* Philadelphia: University of Pennsylvania Press.

Bigler, R. S. (1999). The use of multicultural curricula and materials to counter racism in children. *Journal of Social Issues, 55,* 687–705.

Bigler, R. S., & Liben, L. S. (1992). Cognitive mechanisms in children's gender stereotyping: Theoretical and educational implications of a cognitive-based intervention. *Child Development, 63,* 1351–1363.

Bigler, R. S., & Liben, L. S. (1993). A cognitive-developmental approach to racial stereotyping and reconstructive memory in Euro-American children. *Child Development, 64,* 1507–1518.

Black, J. H. (1987). The practice of politics in two settings: Political transferability among recent immigrants to Canada. *Canadian Journal of Political Science, 20,* 731–753.

Black, J. H., Niemi, R. G., & Powell, G. B., Jr. (1987). Age, resistance, and political learning in a new environment: The case of Canadian immigrants. *Comparative Politics,* 73–84.

Black-Gutman, D., & Hickson, F. (1996). The relationship between racial attitudes and social-cognitive development in children: An Australian study. *Developmental Psychology, 32,* 448–456.

Brader, T., & Tucker, J. A. (2001). The emergence of mass partisanship in Russia, 1993–1996. *American Journal of Political Science, 45,* 69–83.

Branch, C. W., & Newcombe, N. (1986). Racial attitude development among Black children as a function of parental attitudes: A longitudinal and cross-sectional study. *Child Development, 57,* 712–721.

Brown, R. (1995). *Prejudice: Its social psychology.* Malden, MA: Blackwell

Brown, T. A. (1988). *Migration and politics: The impact of population mobility on American voting behavior.* Chapel Hill: University of North Carolina Press.

Butler, D., & Stokes, D. (1969). *Political change in Britain.* New York: St. Martin's Press.

Cain, B. E., Kiewiet, D. R., & Uhlaner, C. J. (1991). The acquisition of partisanship by Latinos and Asian Americans. *American Journal of Political Science, 35,* 390–422.

Cameron, J. A., Alvarez, J. M., Ruble, D. N., & Fuligni, A. J. (2001). Children's lay theories about ingroups and outgroups: Reconceptualizing research on prejudice. *Personality and Social Psychology Review, 5,* 118–128.

Campbell, A., Converse, P. E., Miller, W. E., & Stokes, D. E. (1960). *The American voter.* New York: Wiley.

Carlson, J. M., & Iovini, J. (1985). The transmission of racial attitudes from fathers to sons: A study of blacks and whites. *Adolescence, 20,* 233–237.

Carlsson, G., & Karlsson, K. (1970). Age, cohorts, and the generation of generations. *American Sociological Review, 35,* 710–718.

Carmines, E. G., & Stimson, James A. (1989). *Issue evolution: Race and the transformation of American politics.* Princeton: Princeton University Press.

Cassel, C. A. (1999). Testing the Converse party support model in Britain. *Comparative Political Studies, 32,* 626–644.

Centers, R. (1950). Children of the New Deal: Social stratification and adolescent attitudes. *International Journal of Opinion and Attitude Research, 4,* 315–335.

Chaffee, S. H., & Yang, S-M. (1990). Communication and political socialization. In O. Ichilov (Ed.), *Political Socialization, Citizenship Education, and Democracy* (pp. 137–157). New York: Teachers College Press.

Chan, K. S., & Hune, S. (1995). Racialization and panethnicity: From Asians in American to Asian Americans. In W. D. Hawley & A. W. Jackson (Eds.), *Toward a common destiny* (pp. 205–233). San Francisco: Jossey-Bass.

Citrin, J., & Sears, D. O. (2003). The politics of multiculturalism and the crisis of American identity. Unpublished manuscript.

Claggett, W. (1981). Partisan acquisition versus partisan intensity: Life-cycle, generation and period effects, 1952–1976. *American Journal of Political Science, 25,* 193–214.

Clark, K., & Clark, M. (1939)). The development of consciousness of self and the emergence of racial identification of Negro school children. *Journal of Social Psychology, 10,* 591–599.

Clark, K., & Clark, M. (1940). Skin color as a factor in racial identification and preference in Negro children. *Journal of Negro Education, 19,* 341–358.

Colby, A., & Kohlberg, L. (1984). Invariant sequence and internal consistency in

moral judgment stages. In W. M. Kurtines & J. L. Gewirtz (Eds.), *Morality, moral behavior, and oral development*. New York: Wiley.

Colby, A., Kohlberg, L., Gibbs, J., & Lieberman, M. (1983). A longitudinal study of moral development. *Monographs of the Society for Research in Child Development, 48* (1–2, Serial No. 200).

Coleman, P. T., & Deutsch, M. (1995). The mediation of interethnic conflict in schools. In W. D. Hawley & A. W. Jackson (Eds.), *Toward a common destiny* (pp. 371–396). San Francisco: Jossey-Bass.

Converse, P. E. (1964). The nature of belief systems in mass publics. In David E. Apter (Ed.), *Ideology and discontent* (pp. 206–261). New York: Free Press of Glencoe.

Converse, P. E. (1969). Of time and partisan stability. *Comparative Political Studies, 2*, 139–171.

Converse, P. E. (1976). *The dynamics of party support: Cohort-analyzing party identification*. Beverly Hills, CA: Sage.

Converse, P. E., & Markus, G. B. (1979). Plus ça change . . . : The new CPS election study panel. *American Political Science Review, 73*, 32–49.

Converse, P. E., & Pierce, R. (1992). Partisanship and the party system. *Political Behavior, 14*, 239–259.

Cook, T. E. (1985). The bear market in political socialization and the costs of misunderstood psychological theories. *American Political Science Review, 79*, 1079–1093.

Crittenden, J. (1962). Aging and party affiliation. *Public Opinion Quarterly, 26*, 648–657.

Cross, W. E., Jr. (1978). The Thomas Cross models of psychological nigrescence: A literature review. *Journal of Black Psychology, 4*, 13–31.

Cross, W. E., Jr. (1991). *Shades of black: Diversity is African-American identity*. Philadelphia: Temple University Press.

Cross, W. E., Jr. (1995). Oppositional identity and African-American youth: Issues and prospects. In W. D. Hawley & A. W. Jackson (Eds.), *Toward a common destiny* (pp. 185–204). San Francisco: Jossey-Bass.

Damon, W. (1975). Early conceptions of positive justice as related to the development of logical operations. *Child Development, 46*, 301–312.

Damon, W. (1977). *The social world of the child*. San Francisco: Jossey-Bass.

Damon, W. (1980). Patterns of change in children's social reasoning: A two-year longitudinal study. *Child Development, 51*, 1010–1017.

Damon, W. (1983). *Social and personality development: Infancy through adolescence*. New York: Norton.

Danigelis, N. L., & Cutler, S. J. (1991). An inter-cohort comparison of changes in racial attitudes. *Research on Aging, 13*, 383–404.

Danowski, J. A., & Ruchinskas, J. E. (1983). Period, cohort, and aging effects: A study of television exposure in presidential election campaigns, 1952–1980. *Communication Research, 10*, 77–96.

Davis, J. A. (1992). Changeable weather in a cooling climate atop the liberal plateau: Conversion and replacement in forty-two general social survey items, 1972–1989. *Public Opinion Quarterly, 56*, 261–306.

de la Garza, R. O., DeSipio, L., Garcia, F. C., Garcia, J. & Falcon, A. (1992). *Latino voices: Mexican, Puerto Rican, & Cuban perspectives on American politics*. Boulder, CO: Westview Press.

Delli Carpini, M. X. (2000). Gen.com: Youth, civic engagement, and the new information environment. *Political Communication, 17,* 341–349.

DeSipio, L., & de la Garza, R. O. (1992, September). Will Latino numbers equal political clout? Core voters, swing voters, and the potential vote. Paper presented at the annual meeting of the American Political Science Association, Chicago.

Deutsch, M. (1993). Educating for a peaceful world. *American Psychologist, 48,* 1–8.

Dovidio, J. F., & Gaertner, S. L. (1986). *Prejudice, discrimination, and racism.* San Diego, CA: Academic Press.

Dovidio, J. F., & Gaertner, S. L. (2000). Aversive racism and selection decisions: 1989 and 1999. *Psychological Science, 11,* 315–319.

Doyle, A. B, & Aboud, F. E. (1995). A longitudinal study of white children's racial prejudice as a social-cognitive development. *Merrill-Palmer Quarterly, 41,* 209–228.

Doyle, A. B., Beaudet, J., & Aboud, F. E. (1988). Developmental patterns in the flexibility of children's ethnic attitudes. *Journal of Cross-Cultural Psychology, 19,* 3–18.

Easton, D., & Dennis, J. (1969). *Children in the political system: Origins of political legitimacy.* New York: McGraw-Hill.

Elder, G. H., Jr. (1974). *Children of the great depression.* Chicago: University of Chicago Press.

Erikson, E. H. (1968). *Identity, youth, and crisis.* New York: Norton.

Espiritu, Y. L. (1992). *Asian American panethnicity: Bridging institutions and identities.* Philadelphia: Temple University Press.

Falcon, A., de la Garza, R. O., Garcia, F. C., & Garcia, J. A. (1992, September). Ethnicity and American political values: A comparison of Puerto Ricans and Anglos. Paper presented at the annual meeting of the American Political Science Association, Chicago.

Fendrich, James M., & Lovoy, Kenneth L. (1988). Back to the future: Adult political behavior of former student activists. *American Sociological Review, 53,* 780–784.

Feuer, L. S. (1969). *The conflict of generations: The character and significance of student movements.* New York: Basic Books.

Fiorina, M. P. (1981). *Retrospective voting in American national elections.* New Haven: Yale University Press.

Firebaugh, G., & Chen, K. (1995). Vote turnout of nineteenth amendment women: The enduring effect of disenfranchisement. *American Journal of Sociology, 100,* 972–996.

Firebaugh, G., & Davis, K. E. (1988). Trends in antiblack prejudice, 1972–1984: Region and cohort effects. *American Journal of Sociology, 94,* 251–272.

Fishbein, H. D. (1996). *Peer prejudice and discrimination: Evolutionary, cultural, and developmental dynamics.* Boulder, CO: Westview Press.

Fordham, S., & Ogbu, J. U. (1986). Black students' school success: Coping with the "burden of 'acting white.' " *Urban Review, 18,* 176–206.

Garcia, E. E., & Hurtado, A. (1995). Becoming American: A review of current research on the development of racial and ethnic identity in children. In W. D. Hawley & A. W. Jackson (Eds.), *Toward a common destiny* (pp. 163–184). San Francisco: Jossey-Bass.

Genesee, F., & Gandara, P. (1999). Bilingual education programs: A cross-national perspective. *Journal of Social Issues, 55,* 627–643.

Genesee, F., Tucker, G. R., & Lambert, W. E. (1978). The development of ethnic identity and ethnic role-taking skills in children from different school settings. *International Journal of Psychology, 13,* 39–57.

Gilligan, C. (1977). In a different voice: Women's conceptions of the self and morality. *Harvard Educational Review, 47,* 481–517.

Gilligan, C. (1982). *In a different voice: Psychological theory and women's development.* Cambridge, MA: Harvard University Press.

Glaser, J. M., & Gilens, M. (1997). Interregional migration and political resocialization: A study of racial attitudes under pressure. *Public Opinion Quarterly, 61,* 72–86.

Glass, J., Bengtson, V. L., & Dunham, C. C. (1986). Attitude similarity in three-generation families: Socialization, status inheritance, or reciprocal influence? *American Sociological Review, 51,* 685–698.

Glenn, N. D. (1974). Aging and conservatism. *Annals of the American Academy of Political and Social Science, 33,* 176–186.

Gonzales, N. A., & Cauce, A. M. (1995). Ethnic identity and multicultural competence: Dilemmas and challenges for minority youth. In W. D. Hawley & A. W. Jackson (Eds.), *Toward a common destiny* (pp. 131–162). San Francisco: Jossey-Bass.

Graves, S. B. (1999). Television and prejudice reduction: When does television as a vicarious experience make a difference? *Journal of Social Issues, 55,* 707–728.

Green, D. P., & Palmquist, B. (1994). How stable is party identification? *Political Behavior, 16,* 437–466.

Green, D. P., & Schickler, E. (1993). A multiple method approach to the measurement of party identification. *Public Opinion Quarterly, 57,* 503–535.

Greene, S. (1999). Understanding party identification: A social identity approach. *Political Psychology, 20,* 393–403.

Greenstein, F. I. (1965). *Children and politics.* New Haven: Yale University Press.

Greenstein, F. I. (1970). A note on the ambiguity of "political socialization": Definitions, criticisms, and strategies of inquiry. *Journal of Politics, 32,* 969–978.

Gregor, J. A., & McPherson, D. A (1966). Racial preference and ego identity among White and Bantu children in the Republic of South Africa. *Genetic Psychology Monographs, 73,* 218–253.

Halbwachs, M. (1950/1980). *The collective memory.* New York: Harper.

Harding, J., Proshansky, H., Kutner, B., & Chein, I. (1969). Prejudice and ethnic relations. In G. Lindzey & E. Aronson (Eds.), *The handbook of social psychology* (Vol. 5, pp. 1–76). Reading, MA: Addison-Wesley.

Hardy, R. J., Carrier, J. J, & Endersby, J. W. (2000, August–September). Family stability and the transmission of partisanship and ideology in one- and two-parent families. Prepared for the annual meeting of the American Political Science Association, Washington, DC.

Hauser, M., & Carey, S. (1998). Building a cognitive creature from a set of primitives: Evolutionary and developmental insights. In D. Cummins Dellarosa & C. Allen (Eds.), *The evolution of mind* (pp. 51–106). New York: Oxford University Press.

Helms, J. E. (Ed.). (1993). *Black and White racial identity: Theory, research and practice.* New York: Greenwood.

Helwig, C. C. (1998). Children's conceptions of fair government and freedom of speech. *Child Development, 69,* 518–531.

Helwig, C. C., & Jasiobedzka, U. (2001). The relation between law and morality: Children's reasoning about socially beneficial and unjust laws. *Child Development, 72,* 1382–1393.

Helwig, C. C., & Prencipe, A. (1999). Children's judgments of flags and flag-burning. *Child Development, 70,* 132–143.

Hess, R. D., & Torney, J. V. (1967). *The development of political attitudes in children.* Chicago: Aldine.

Highton, B., & Wolfinger, R. E. (2001). The first seven years of the political life cycle. *American Journal of Political Science, 45,* 202–209.

Hirschfeld, L. A. (1995). Do children have a theory of race? *Cognition, 54,* 209–252.

Hirschfeld, L. A. (2001). On a folk theory of society: Children, evolution, and mental representations of social groups. *Personality and Social Psychology Review, 5,* 107–117.

Hochschild, J. L. (1981). *What's fair? American beliefs about distributive justice.* Cambridge, MA: Harvard University Press.

Hollins, E. R. (1999). Relating ethnic and racial identity development to teaching. In R. H. Sheets & E. R. Hollins (Eds.), *Racial and ethnic identity in school practices: Aspects of human development* (pp. 183–194). Mahwah, NJ: Erlbaum.

Hraba, J., & Grant, G. (1970). Black is beautiful: A reexamination of racial preference and identification. *Journal of Personality and Social Psychology, 16,* 398–402.

Huckfeldt, R., Beck, P. A., Dalton, R. J., & Levine, J. (1995). Political environments, cohesive social groups, and the communication of public opinion. *American Journal of Political Science, 39,* 1025–1054.

Hyman, H. H. (1959). *Political socialization.* Glencoe, IL: Free Press.

Jennings, M. K. (1987). Residues of a movement: The aging of the American protest generation. *American Political Science Review, 81,* 367–382.

Jennings, M. K. (1996). Political knowledge over time and across generations. *Public Opinion Quarterly, 60,* 228–252.

Jennings, M. K. (2002). The dynamics of student protest behavior: An intra-and intergenerational analysis. *Political Psychology, 23,* 303–324.

Jennings, M. K., & Markus, G. B. (1977). The effect of military service on political attitudes: A panel study. *American Political Science Review, 71,* 131–147.

Jennings, M. K., & Markus, G. B. (1984). Partisan orientations over the long haul: Results from the three-wave political socialization panel study. *American Political Science Review, 78,* 1000–1018.

Jennings, M. K., & Niemi, R. G. (1974). *The political character of adolescence.* Princeton: Princeton University Press.

Jennings, M. K., & Niemi, R. G. (1981). *Generations and politics.* Princeton: Princeton University Press.

Jennings, M. K., & Stoker, L. (1999, April). The persistence of the past: The class of 1965 turns fifty. Prepared for presentation at the Midwest Political Science Association Convention, Chicago.

Jennings, M. K., Stoker, L., & Bowers, J. (1999, September). Politics across generations: Family transmission reexamined. Prepared for presentation at the American Political Science Association convention, Atlanta, GA.

Jervis, R. (1976). *Perception and misperception in international politics.* Princeton: Princeton University Press.

Johnson, D. W., & Johnson, R. T. (2000). The three Cs of reducing prejudice and

discrimination. In S. Oskamp (Ed.), *Reducing prejudice and discrimination* (pp. 239–268). Mahwah, NJ: Erlbaum.

Jones, J. M. (1997). *Prejudice and racism*. New York: McGraw-Hill.

Katz, P. A. (1976). The acquisition of racial attitudes. In P. A. Katz (Ed.), *Towards the elimination of racism* (pp. 3–20). New York: Pergamon.

Katz, P. A., Sohn, M., & Zalk, S. R. (1975). Perceptual concomitant of racial attitudes in urban grade-school children. *Developmental Psychology, 11*, 135–144.

Katz, P. A. & Zalk, S. R. (1978). Modification of children's racial attitudes. *Developmental Psychology, 14*, 447–461.

Killen, M., Leviton, M., & Cahill, J. (1991). Adolescent reasoning about drug use. *Journal of Adolescent Research, 6*, 336–356.

Killen, K., McGlothlin, H., & Lee-Kim, J. (2002). Between individuals and culture: Individuals' evaluations of exclusion from social groups. In H. Keller, Y. Poortinga, & A. Schoelmerich (Eds.), *Between biology and culture: Perspectives on the Ontogenetic Development*. (pp. 159–90). Cambridge: Cambridge University Press.

Killen, M., & Stangor, C. (2001). Children's social reasoning about inclusion and exclusion in gender and race peer group contexts. *Child Development, 72*, 174–186.

Kinder, D. R., & Sanders, L. M. (1996). *Divided by color: Racial politics and democratic ideals*. Chicago: University of Chicago Press.

Kluegel, J. R. (1990). Trends in whites' explanations of the black-white gap in socioeconomic status, 1977–1989. *American Sociological Review, 55*, 512–525.

Knight, G. P., Bernal, M. E., Garza, C. A., Cota, M. K., & Ocampo, K. A. (1993). Family socialization and Mexican American identity and behavior. In M. E. Bernal and G. P. Knight (Eds.), *Ethnic identity: Formation and transmission among Hispanics and other minorities*. Albany: SUNY Press.

Kofkin, J. A., Katz, P. A., & Downey, E. P. (1995, April). *Family discourse about race and the development of children's racial attitudes*. Paper presented at meeting of the Society for Research in Child Development, Indianapolis.

Kohlberg, L. (1969). Stage and sequence: The cognitive-developmental approach to socialization. In D. A. Goslin (Ed.), *Handbook of socialization theory and research* (pp. 347–480). Chicago: Rand-McNally.

Kohlberg, L. (1976). Moral stages and moralization: The cognitive-developmental approach to socialization. In D. A. Goslin (Ed.), *Handbook of socialization theory and research*. Chicago: Rand-McNally.

Kohlberg, L. (1984). *Essays on moral development: Vol 2. The psychology of moral development*. San Francisco: Harper & Row.

Kohlberg, L., & Candee, D. (1984). The relationship of moral judgment to moral action. In W. M. Kurtines & J. L. Gewirtz (Eds.), *Morality, moral behavior, and moral development*. (pp. 52–73). New York: Wiley.

Kuhn, D. (1976). Short-term longitudinal evidence for the sequentiality of Kohlberg's early stages of oral development. *Developmental Psychology, 12*, 162–166.

Kurtines, W. M., & Grief, E. B. (1974). The development of moral thought: Review and evaluation of Kohlberg's approach. *Psychological Bulletin, 81*, 453–470.

Lambert, W. E., & Klineberg, O. (1967). *Children's views of foreign peoples*. New York: Appleton-Century-Crofts.

Laupa, M. (1991). Children's reasoning about three authority attributes: Adult status, knowledge, and social position. *Developmental Psychology, 27*, 321–329.

Laupa, M., Turiel, E., & Cowan, P. A. (1995). Obedience to authority in children and adults. In M. Killen, & D. Hart (Eds.), *Morality in everyday life: Developmental perspectives*. (pp. 131–165). Cambridge studies in social and emotional development. New York: Cambridge University Press.

Lawrence, V. W. (1991). Effect of socially ambiguous information on white and black children's behavioral and trait perceptions. *Merrill-Palmer Quarterly, 37*, 619–630.

Lee, S. J. (1999). Are you Chinese or what? Ethnic identity among Asian Americans. In R. H. Sheets & E. R. Hollins (Eds.), *Racial and ethnic identity in school practices: Aspects of human development* (pp. 107–121). Mahwah, NJ: Erlbaum.

Levy, S. R. (1999). Reducing prejudice: Lessons from social-cognitive factors underlying perceiver differences in prejudice. *Journal of Social Issues, 55*, 745–766.

Levy, S. R., & Dweck, C. S. (1999). The impact of children's static vs. dynamic conceptions of people on stereotype formation. *Child Development, 70*, 1163–1180.

Loewenberg, P. (1971). The psychohistorical origins of the Nazi youth cohort. *American Historical Review, 76*, 1457–1502.

Mannheim, K. (1928/1952). The problem of generations. In P. Kecskemeti (Ed.), *Essays on the sociology of knowledge*. London: Routledge and Kegan Paul.

Marchant-Shapiro, T., & Patterson, K. D. (1995). Partisan change in the mountain west. *Political Behavior, 17*, 359–378.

Marcia, J. (1980). Identity in adolescence. In J. Adelson (Ed.), *Handbook of adolescent psychology* (pp. 159–187). New York: Wiley.

Markstrom, C. A., & Hunter, C. L. (1999). The roles of ethnic and ideological identity in predicting fidelity in African American and European American adolescents. *Child Study Journal, 29*, 23–38l.

Markus, G. B. (1983). Dynamic modeling of cohort change: The case of political partisanship. *American Journal of Political Science, 27*, 717–739.

Marsh, D. (1971). Political socialization: The implicit assumptions questioned. *British Journal of Political Science, 1*, 453–465.

Martin, C. L., & Halverson, C. F. (1981). A schematic processing model of sex-typing and stereotyping in children. *Child Development, 52*, 1119–1134.

Marwell, G., Aiken, M. T., & Demerath, N. J., III. (1987). The persistence of political attitudes among 1960s civil rights activists. *Public Opinion Quarterly, 51*, 359–375.

Mason, K. O., Mason, W. M., Winsborough, H. H., & Poole, W. K. (1973). Some methodological issues in cohort analysis of archival data. *American Sociological Review, 38*, 242–258.

Matute-Bianchi, M. (1986). Ethnic identities and patterns of school success and failure among Mexican-descent and Japanese-American students in a California high school: an ethnographic analysis. *American Journal of Education, 95*, 233–255.

McAdam, D. (1989). The biographical consequences of activism. *American Sociological Review, 54*, 744–760.

McKown, C. & Weinstein, R. S. (2002). Modeling the role of child ethnicity and gender in children's differential response to teacher expectations. *Journal of Applied Social Psychology, 32*, 159–184.

Merelman, R. M. (1986). Revitalizing political socialization. In M. G. Hermann (Ed.), *Political Psychology* (pp. 279–319). San Francisco: Jossey-Bass.

Miller, A. H., Gurin, P., Gurin, G., & Malanchuk, O. (1981). Group consciousness and political participation. *American Journal of Political Science, 25,* 494–511.

Miller, A. H., & Klobucar, T. F. (2000). The development of party identification in post-Soviet societies. *American Journal of Political Science, 44,* 667–685.

Miller, S., & Sears, D. O. (1986). Stability and change in social tolerance: A test of the persistence hypothesis. *American Journal of Political Science, 30,* 214–236.

Miller, W. E., & Shanks, J. M. (1996). *The new American voter.* Cambridge, MA: Harvard University Press.

Neville, H. A., Lilly, R. L., Duran, G., Lee, R. M., & Browne, L. (2000). Construction and initial validation of the Color-Blind Racial Attitudes Scale (CoBRAS). *Journal of Counseling Psychology, 47,* 59–70.

Newcombe, N. S., Drummey, A. B., Fox, N. A., Lie, E., & Ottinger-Alberts, W. (2000). Remembering early childhood: How much, how, and why (or why not). *Current Directions in Psychological Science, 9,* 55–58.

Newcomb, T. M. (1943). *Personality and social change.* New York: Dryden Press.

Niemi, R. G. (1973). Political socialization. In J. N. Knutson (Ed.), *Handbook of political psychology* (pp. 117–138) San Francisco: Jossey-Bass.

Niemi, R. G. (1974). *How family members perceive each other.* New Haven: Yale University Press.

Niemi, R. G., & Hepburn, M. A. (1995). The rebirth of political socialization. *Perspectives on Political Science, 24,* 7–16.

Niemi, R. G., & Jennings, M. K. (1991). Issues and inheritance in the formation of party identification. *American Journal of Political Science, 35,* 970–988.

Niemi, R. G., Katz, R. S., & Newman, D. (1980). Reconstructing past partisanship: The failure of the party identification recall questions. *American Journal of Political Science, 24,* 633–651.

Nucci, L. P. (1981). Conceptions of personal issues: A domain distinct from moral and societal concepts. *Child Development, 52,* 114–121.

Nucci, L., & Killen, M. (1991). Social interactions in the preschool and the development of moral and social concepts. In B. Scales & M. Almy (Eds.), *Play and the social context of development in early care and education. Early childhood education series* (pp. 219–233). New York: Teachers College Press.

Nucci, L. P., & Lee, J. Y. (1993). Morality and autonomy. In G. G. Noam & T. E. Wren (Eds.), *The moral* self (pp. 123–148). Cambridge, MA: MIT Press.

Ocampo, K. A., Bernal, M. E., & Knight, G. P. (1993). Gender, race, and ethnicity: The sequencing of social constancies. In M. E. Bernal and G. P. Knight (Eds.), *Ethnic identity: Formation and transmission among Hispanics and other minorities* (pp. 47–59). Albany: SUNY Press.

Oskamp, S. (2000). *Reducing prejudice and discrimination.* Mahwah, NJ: Erlbaum.

Patchen, M. (1983). Students' own racial attitudes and those of peers of both races, as related to interracial behavior. *Sociology and Social Research, 68,* 59–77.

Pew Research Center for the People and the Press. (1998). Teens losing respect for politicians: White House scandal has families talking. Author.

Phelan, P., Davidson, A., & Yu, H. C. (1998). *Adolescents' worlds: Negotiating family, peers, and school.* New York: Teachers College Press.

Phinney, J. (1989). Stages of ethnic identity development in minority group adolescents. *Journal of Early Adolescence, 9,* 34–49.

Phinney, J. S. (1990). Ethnic identity in adolescents and adults: Review of research. *Psychological Bulletin, 108,* 499–514.

Phinney, J. S., & Chavira, V. (1992). Parental ethnic socialization and adolescent coping with problems related to ethnicity. *Journal of Research in Adolescence, 5,* 31–53.

Phinney, J. S., Romero, I., Nava, M., & Huang, D. (2001). The role of language, parents, and peers in ethnic identity among adolescents in immigrant families. *Journal of Youth and Adolescence, 30,* 135–153.

Piaget, J. (1932/1965). *The moral judgment of the child.* New York: Free Press.

Piaget, J. & Weil, A. M. (1951). The development in children of the idea of the homeland and of relations to other countries. *International Social Science Journal, 3,* 561–578.

Portes, A., & Rumbaut, R. G. (2001). *Legacies: The story of the immigrant second generation.* Berkeley: University of California Press.

Powlishta, K. K., Serbin, L. A., Doyle, A., & White, D. (1994). Gender, ethnic, and body type biases: The generality of prejudice in childhood. *Developmental Psychology, 30,* 526–536.

Putnam, R. D. (2000). *Bowling alone: The collapse and revival of American community.* New York: Simon and Schuster.

Quintana, S. M. (1994). A model of ethnic perspective-taking ability applied to Mexican-American children and youth. *International Journal of Intercultural Relations, 18,* 419–448.

Quintana, S. M. (1998). Children's developmental understanding of ethnicity and race. *Applied and Preventive Psychology, 7,* 27–45.

Rapoport, R. B. (1997). Partisanship change in a candidate-centered era. *The Journal of Politics, 59,* 185–199.

Raviv, A., Sadeh, A., Raviv, A., Silberstein, O., & Diver, O. (2000). Young Israelis' reactions to national trauma: The Rabin assassination and terror attacks. *Political Psychology, 21,* 299–322.

Rest, J. R. (1983). Morality. In P. H. Mussen (Ed.), *Handbook of child psychology. Vol. 3. Cognitive development.* New York: Wiley.

Richardson, T. Q., & Silvestri, T. J. (1999). White identity formation: A developmental process. In R. H. Sheets & E. R. Hollins (Eds.), *Racial and ethnic identity in school practices: Aspects of human development* (pp. 183–194). Mahwah, NJ: Erlbaum.

Rogler, L. H., Cortes, D. E., & Malgady, R. G. (1991). Acculturation and mental health status among Hispanics: Convergence and new direction research. *American Psychologist, 46,* 585–597.

Rotheram, M. J., & Phinney, J. S. (1987). Ethnic behavior patterns as an aspect of identity. In J. Phinney & M. J. Rotheram (Eds.), *Children's ethnic socialization: Pluralism and development* (pp. 201–217). Newbury Park, CA: Sage.

Rotheram-Borus, M. J. (1993). Biculturalism among adolescents. In M. E. Bernal & G. P. Knight (Eds.), *Ethnic identity: Formation and transmission among Hispanics and other minorities* (pp. 81–102). Albany: SUNY Press.

Rowe, W., Bennett, S. K., & Atkinson, D. R. (1994). White racial identity models: A critique and alternative proposal. *Counseling Psychologist, 22,* 129–146.

Sagar, H. A., & Schofield, J. W. (1980). Racial and behavioral cues in Black and White children's perceptions of ambiguously aggressive acts. *Journal of Personality and Social Psychology, 39,* 590–598.

Sapiro, V. (1994). Political socialization during adulthood: Clarifying the political time of our lives. *Research in Micropolitics, 4,* 197–223.

Schickler, E., & Green, D. P. (1997). The stability of party identification in western democracies: Results from eight panel surveys. *Comparative Political Studies, 30,* 450–483.

Schofield, J. W. (1986). Causes and consequences of the colorblind perspective. In J. F. Dovidio & S. L. Gaertner (Eds.), *Prejudice, discrimination, and racism* (pp. 231–253). Orlando, FL: Academic Press.

Schuman, H., & Rieger, C. (1992). Historical analogies, generational effects, and attitudes toward war. *American Sociological Review, 57,* 315–326.

Schuman, H., & Scott, J. (1989). Generations and collective memories. *American Sociological Review, 54,* 359–381.

Schuman, H., Steeh, C., Bobo, L., & Krysan, M. (1997). *Racial attitudes in America: Trends and interpretations* (Rev. ed.). Cambridge, MA: Harvard University Press.

Schweder, R. A. (1982). Liberalism as destiny. *Contemporary Psychology, 27,* 421–424.

Searing, D. D., Schwartz, J. J., & Lind, A. E. (1973). The structuring principle: Political socialization and belief systems. *American Political Science Review, 67,* 415–432.

Searing, D. D., Wright, G., & Rabinowitz, G. (1976). The primacy principle: Attitude change and political socialization. *British Journal of Political Science, 6,* 83–113.

Sears, D. O. (1975). Political socialization. In F. I. Greenstein, & N. W. Polsby (Eds.), *Handbook of political science* (Vol. 2, pp. 93–153). Reading, MA: Addison-Wesley.

Sears, D. O. (1981). Life stage effects upon attitude change, especially among the elderly. In S. B. Kiesler, J. N. Morgan, & V. K. Oppenheimer (Eds.), *Aging: Social change* (pp. 183–204). New York: Academic Press.

Sears, D. O. (1983). The persistence of early political predispositions: The roles of attitude object and life stage. In L. Wheeler & P. Shaver (Eds.), *Review of personality and social psychology* (Vol. 4, pp. 79–116). Beverly Hills, CA: Sage.

Sears, D. O. (1990). Whither political socialization research? The question of persistence. In O. Ichilov (Ed.), *Political socialization, citizenship, education, and democracy* (pp. 69–97). New York: Teachers College Press.

Sears, D. O. (2002). Long-term psychological consequences of political events. In K. R. Monroe (Ed.), *Political psychology* (pp. 249–269). Mahwah, NJ: Erlbaum.

Sears, D. O., & Funk, C. L. (1991). The role of self-interest in social and political attitudes. In M. Zanna (Ed.), *Advances in experimental social psychology* (Vol. 24, pp. 1–91). Orlando, FL: Academic Press.

Sears, D. O., & Funk, C. L. (1999). Evidence of the long-term persistence of adults' political predispositions. *Journal of Politics, 61,* 1–28.

Sears, D. O., & Henry, P. J. (2001, July). The origins of symbolic racism: The "blend" of antiblack affect and individualism is more than the sum of its parts. Paper prepared for presentation at the annual meeting of the International Society for Political Psychology, Seattle.

Sears, D. O., & Valentino, N. A. (1997). Politics matters: Political events as catalysts for preadult socialization. *American Political Science Review, 91,* 45–65.

Sears, R. R. (1975). *Your ancients revisited: A history of child development.* Chicago: University of Chicago Press.

Sears, R. R. (1984). The Terman gifted children study (TGC). In S. A. Mednick, M. Harway, & K. M. Finello (Eds.), *Handbook of longitudinal research: Vol. 1. Birth and childhood cohorts* (pp. 398–414). New York: Praeger.

Selman, R. (1980). *The growth of interpersonal understanding.* New York: Academic Press.

Sigel, R. S. (Ed.). (1989). *Political learning in adulthood.* Chicago: University of Chicago Press.

Slavin R. E., & Cooper, R. (1999). Improving intergroup relations: Lessons learned from cooperative learning programs. *Journal of Social Issues,* 55, 647–663.

Slone, M., Adiri, M., & Arian, A. (1998). Adverse political events and psychological adjustments: A cross-cultural study of Israeli and Palestinian children. *American Academy of Child and Adolescent Psychiatry, 3,* 1058–1069.

Slone, M., Kaminer, D., & Durrheim, K. (2000). The contribution of political life events to psychological distress among South African adolescents. *Political Psychology, 21,* 465–487.

Smetana, J. G. (1995). Morality in context: Abstractions, ambiguities, and applications. *Annals of Child Development, 10,* 83–130.

Smith, E. S. (1999). The effects of investments in the social capital of youth on political and civic behavior in young adulthood: A longitudinal analysis. *Political Psychology, 20,* 553–580.

Spencer, M. B. (1982). Preschool children's social cognition and cultural cognition: A cognitive developmental interpretation of race dissonance findings. *Journal of Psychology, 112,* 275–286.

Spencer, M. B (1984). Black children's race awareness, racial attitudes and self-concept: A reinterpretation. *Journal of Child Psychology and Psychiatry and Allied Disciplines, 25,* 433–441.

Spencer, M. B. (2001). Identity and school adjustment: Revisiting the "acting white" assumption. *Educational Psychologist, 36,* 21–30.

Spencer, M. B., & Horowitz, F. D. (1973). Effects of systematic social and token reinforcement on the modification of racial and color concept attitudes in black and white preschool children. *Developmental Psychology, 9,* 246–254.

Steeh, C., & Schuman, H. (1991). Changes in racial attitudes among young white adults, 1984–1990. *American Journal of Sociology, 96,* 340–367.

Steele, C. M., & Aronson, J. (1995). Stereotype threat and the intellectual test performance of African Americans. *Journal of Personality and Social Psychology, 69,* 797–811.

Stewart, A. J., & Healy, J. M. (1989). Linking individual development and social changes. *American Psychologist, 44,* 30–42.

Stewart, A. J., Settles, I. H., & Winter, N. J. G. (1998). Women and the social movements of the 1960s: Activists, engaged observers, and nonparticipants. *Political Psychology, 19,* 63–94.

Sullivan, J. L., Piereson, J., & Marcus, G. E. (1982). *Political tolerance and American democracy.* Chicago: University of Chicago Press.

Tapp, J. L., & Kohlberg, L. (1971). Developing senses of law and legal justice. *Journal of Social Issues, 27,* 65–92.

Tapp, J. L., & Levine, F. J (1972). Compliance from kindergarten to college: A speculative research note. *Journal of Youth and Adolescence, 1,* 233–249.

Taylor, R., Casten, R., Flickinger, S., Roberts, D., & Fulmore, C. (1994). Explaining the school performance of African-American adolescents. *Journal of Research in Adolescence, 4,* 21–44.

Tedin, K. L. (1974). The influence of parents on the political attitudes of adolescents. *American Political Science Review, 68,* 1579–1592.

Tedin, K. L. (1980). Assessing peer and parent influence on adolescent political attitudes. *American Journal of Political Science, 24,* 136–154.

Thorkildsen, T. A. (1989). Pluralism in children's moral reasoning about social justice. *Child Development, 60,* 965–972.

Tisak, M. S. (1995). Domains of social reasoning and beyond. *Annals of child development: A research annual, 11,* 95–130.

Turiel, E. (1983). *The development of social knowledge: Morality and convention.* Cambridge: Cambridge University Press.

Turiel, E. (1998). The development of morality. In W. Damon (Ed.), *Handbook of child psychology* (5th ed., vol. 3, pp. 863–932). New York: Wiley.

Turiel, E., & Davidson, P. (1986). Heterogeneity, inconsistency, and asynchrony in the development of cognitive structures. In I. Levin (Ed.), *Stage and structure: Reopening the debate.* Norwood, NJ: Ablex.

Turiel, E., Hildebrandt, C., & Wainryb, C. (1985). Judging social issues: Difficulties, inconsistencies, and consistencies. *Monographs of the Society for Research in Child Development, 56* (Serial No. 224).

Turiel, E., Killen, M., & Helwig, C. C. (1987). Morality: Its structure, functions, and vagaries. In J. Kagan & S. Lamb (Eds.), *The emergence of morality* (pp. 155–243). Chicago: Chicago University Press.

Twenge, J. M. (2000). The age of anxiety? Birth cohort change in anxiety and neuroticism, 1952–1993. *Journal of Personality and Social Psychology, 79,* 1007–1021.

Uhlaner, C. J., Cain, B. E., & Kiewiet, D. R. (1989). Political participation of ethnic minorities in the 1980s. *Political Behavior, 11,* 195–232.

Vaillancourt, P. M. (1973). Stability of children's survey responses. *Public Opinion Quarterly, 37,* 373–387.

Valentino, N. A., & Sears, D. O. (1998). Event-driven political communication and the preadult socialization of partisanship. *Political Behavior, 20,* 127–154.

Verna, G. B. (1982). A study of the nature of children's race preferences using a modified conflict paradigm. *Child Development, 53,* 437–445.

Visser, P. S., & Krosnick, J. A. (1998). Development of attitude strength over the life cycle: Surge and decline. *Journal of Personality and Social Psychology, 75,* 1389–1391.

Watts, M. W. (1999). Are there typical age curves in political behavior? The "age invariance" hypothesis and political socialization. *Political Psychology, 20,* 477–499.

West, C. (1992). *Race matters.* Boston: Beacon.

Westholm, A. (1999). The perceptual pathway: Tracing the mechanisms of political value transfer across generations. *Political Psychology, 20,* 525–551.

Whalen, J., & Flacks, R. (1984). Echoes of rebellion: The liberated generation grows up. *Journal of Political and Military Sociology, 12,* 61–78.

Williams, J. E., & Morland, J. K. (1976). *Race, color and the young child.* Chapel Hill: University of North Carolina Press.

Wilson, T. C. (1996). Cohort and prejudice: Whites' attitudes toward blacks, Hispanics, Jews, and Asians. *Public Opinion Quarterly, 60,* 253–274.

Wolfenstein, M., & Kliman, G. (Eds.) (1965). *Children and the death of a president.* Garden City, NY: Doubleday.

Wolfinger, R. E. (1965). The development and persistence of ethnic voting. *American Political Science Review, 59,* 896–908.

Wong, J. S. (2000). The effects of age and political exposure on the development of party identification among Asian American and Latino immigrants in the United States. *Political Behavior, 22*, 341–371.
Zaller, J., & Feldman, S. (1992). A simple theory of the survey response: Answering questions versus revealing preferences. *American Journal of Political Science, 36*, 579–616.

الفصل الرابع

الشخصية والسلوك السياسى[٨٤]

ديفيد ج وينتر

إحدى البديهيات المحورية فى علم النفس السياسى هى أن الأبنية والممارسات السياسية تتشكل وتتوجه من خلال شخصيات الأفراد وذلك عن طريق تكامل عمليات الإدراك، والذاكرة، والحكم، والسعى للهدف، والتعبير عن الانفعالات وتنظيمها، وهو التكامل الذى تشكله فرديتهم. فعلى مستوى النخبة تتأثر أساليب القادة واختياراتهم ونتائجها بشخصياتهم وعلى مستوى الجماهير تشكل شخصيات الأنصار مجالاتٍ (أو فرصًا) وأيضا حدودًا أو قيودًا لما يفعله القادة. لذلك سأناقش فى هذا الفصل دراسات كلٍ من النخبة والقاعدة.

بعد مناقشة مختصرة للحالات التى تتقاطع فيها الشخصية والسياسة، يقدم هذا الفصل تصورًا رباعيًا لعناصر الشخصية ثم يحدد بعض المناهج المهمة التى يطبقها المتخصصون فى علم النفس السياسى لدراسة شخصيات الأفراد والجماعات. وفى النهاية يراجع الفصل بعض النتائج المهمة التى تربط الشخصية بالمُخْرَجات السياسية.

---

(٨٤) قام بترجمة هذا الفصل محمد يحيى الرخاوى

مفهوم الشخصية فى السياسة

تمهيد: متى تؤثر الشخصية فى السياسة؟

يبدو من اليسير التفكير فى أمثلة توضح تأثير الشخصية على السياسة: فيُقال إن وودرو ويلسون قد خسر معاهدة السلام عام ١٩١٩ لأنه تفاوض بشكل غير ملائم وخلط البلاغة بالموضوع كما أنه رفض التسوية. وقد أشعل هتلر أوروبا بسياسته الخارجية التى بدا أن مصدرها اضطراب شخصى. كما أدى فقدان بيل كلينتون سيطرته على نفسه إلى تعريض إنجازاته الرئاسية للخطر. كما أن كراهية أسامة بن لادن المشتعلة التى انتقلت إلى ضمير محمد عطا المتزمت ومختطفى الطائرات الآخرين قد تسبب فى قتل الآلاف من الناس فى ١١ سبتمبر، عام ٢٠٠١، فى الولايات المتحدة الامريكية التى أعلنت الحرب على الإرهاب؛ تلك الحرب التى غيرت المجتمع الأمريكى من الداخل فضلاً عن العلاقات الدولية. فى كل من هذه الحالات، وغيرها، يشكل إقحام الميول والحاجات والمخاوف والوساوس الشخصية الكيفية التنفيذية – غير العقلانية و/أو المحطمة للذات و/أو العدوانية بعنف– لعديد من أفعالهم السياسية ذات المترتبات الهائلة. للبرهنة على أن "أهداف وإمكانات ونقاط ضعف الأفراد هى أمور حاسمة بالنسبة لنوايا الدولة وقدراتها واستراتيجياتها" يذكر بايمان وبولاك (Byman and Pollack 2001,p109) خمس حالات مهمة أثّرت فيها الخصائص الشخصية للقادة بوضوح على نتائج العلاقات الدولية. وقد أمدتنا دراسات كينيدى Kennedy (1982) لقيصر ألمانيا فلهلم الثانى ودراسات هامبى Hamby (1991) لهارى ترومان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بمزيد من النماذج التوضيحية ولقد وثق فريد لاندر وكوهين (Friedlander and Cohen, 1975) وجود "نمط الشخصية المقاتل", أى هؤلاء القادة الذين أظهروا سلوكًا عدوانيًا متسقًا ومؤثرًا مما جعلهم متجاوزين الحسابات والاعتبارات الاستراتيجية العقلانية.

مع ذلك يجب أن نكون حذرين من التبسيط الزائد وعزو النتائج السياسية لشخصيات القادة[٨٥]، حتى فى مثل هذه الحالات التى تفرض نفسها، مما قد يجعلنا نهمل دور القيود والفرص والظروف التى يؤدى فيها هؤلاء القادة أدوارهم. فالرغبة الأمريكية، مثلاً، "لعودة فرق الجيش للوطن" فى ١٩١٨، والامتناع عن تسليم السيادة القومية العليا إلى الهيئة العليا لعصبة الأمم جعل ضعف الرئيس ويلسون مسألة وضع سياسى بقدر ما هى مسألة شخصية. وأيا كان دور شياطين هتلر الشخصية فى انبعاث المحرقة[٨٦] فمن المهم تذكر أن صعوده للسلطة فى كل خطوة كان بمساعدة أشخاص وقوى مؤسسية أخرى (Kershaw, 1999)، كما أنه، فى جوانب عدة، لم تختلف سياسته الخارجية كثيرًا عن سياسة غيره من الدبلوماسيين الألمان المحترفين (Taylor, 1961, p. 97)، كما أن حالات الإبادة اعتمدت على عمل الآلاف من "الراغبين فى تنفيذ الإبادة" (Godhagen, 1996). بالمثل فإن نجاحات أسامة بن لادن الإرهابية لم تكن ممكنة بدون مساعدة ومساندة عدد كبير من الناس، بل ربما أيضا استعدادهم للموت. وينعكس هذا المنظور داخل علم النفس فى نقد علماء النفس الاجتماعيين (e.g.. Nisbett, 1980) وغيرهم كذلك (e.g., Michel, 1968; skinner, 1974) لمفاهيم الشخصية، حيث يؤكدون سلطة وتأثير الظروف على سلوك الأفراد.

---

(٨٥) ثمة عدد من الكتابات العربية تركز على ضرورة الحذر من الإغراق فى التفسيرات النفسية للظواهر الاجتماعية الاقتصادية التاريخية، انظر على سبيل المثال:

قدرى حفنى، "حول التفسير النفسى للتاريخ"، الفكر المعاصر، القاهرة، العدد ٦٠، فبراير ١٩٧٠، ٢٤-٣١،

قدرى حفنى، الإسرائيليون... من هم؟ دراسات نفسية، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٩٨٩

قدرى حفنى، لمحات من علم النفس: صورة الحاضر وجذور الماضى، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٠

قدرى حفنى، "شارون.. من هو؟.. وما ذا يريد؟"، وجهات نظر، السنة الرابعة، العدد الأربعون، مايو ٢٠٠٢ (المراجع)

(٨٦) المحرقة HOLOCOST تعبير يشير إلى الإبادة الجماعية العرقية التى قام بها النظام النازى الهتلرى وكان غالبية ضحاياها من اليهود (المراجع)

إننا نجد منظورات "شخصية" و"موقفية" متشابهة على المستوى الجمعى أو الجماهيرى، وبالتالى فإن تباين نجاحات قادة مؤسسات الاستعمار المدنية فى المستعمرات البريطانية القديمة، أو تباين مسارات النمو الاقتـصادى، أو أحداث الإرهاب، كل ذلك غالبًا ما يقال عنه إنه نتيجة لعوامل نفسية يتبـاين وصفها: فهناك العقليات (Geerty, 1973) والافتراضات الكامنـة (Jall, 1968) والثقافة (Nisbett & Cohen, 1995, Stille, 2001)، والشخصية القومية (Inkeles, 1997) ومتغيرات الشخـصية علـى المـستوى الجمعـى مثـل الدافعيـة (McClelland, 1961, 1975) والسمات (Barrett & Eysenk, 1984) والاتجاهـات والمعتقدات أو التأويلات الذاتية (Markus & Kitayma, 1991) ومع ذلك فإننـا نؤكد مرة أخرى هنا أن التركيز المقتصر على العوامل النفـسية يمكـن أن يؤدى إلى إهمال القيود والفرص الموقفية، وكذلك إلى لوم الـضحية، وإلـى التنميط الخالص أو التحريفى، والتعصب بالإضافة إلى أن أية محاولة لتقيـيم الخصائص النفسية للجماعات الكبيرة وخاصة أمما بكاملها ستصدم سـريعًا بصعوبات نظرية وامبيريقية عملية هائلة (انظر ;Inkeles & Levinson, 1969 Singer 1961)

من ثم فإن الأرضية العلمية لهذا الفصل محددة بحدين: الرؤية الساذجة للنتائج السياسية بوصفها محض انعكاس لشخصيات القادة، ويحدها من ناحية أخرى الرؤية التى تساويها فى التبسيط والتى ترى أن شخصيات الأفراد ليس لها أى تأثير على النتائج السياسية، أو كما قـال هنـرى كيـسنجر وزيـر الخارجية الأمريكية الأسبق فى لقائه مع الصحفيين " لقد كنت أميل كأسـتاذ إلى التفكير فى التاريخ على أنه يتحرك بقوى غير شخصية، لكنك عندما تراه فى الواقع، فإنك ترى الفرق الذى تحدثه الشخـصيات (Isaacson 1992 p.13, quoted by Byman & Pollack, 2001 p. 108) ولرسم مسار أو خريطـة بـين الطرفين يمكننا أن نعتمد على مناقشة جرينشتين (Greenstein 1969 / 1987, ch.

2): حيث يرى أن شخصيات الفاعلين السياسيين (القادة والجماعات) تكـون مهمة بصفة خاصة فى ظل أربعة شروط: عندما يشغل الفاعـل الـسياسى موقعًا استراتيجيًا، وحين يكون الموقف غامضًا أو غير مـستقر أو معقـدًا (بدون مقدمات أو توقعات واضحة أو متطلبات دور روتينية)؛ وعندما يكون الموقف محملاً بالدلالة الانفعالية والرمزية؛ وعندما يكـون مـن المطلـوب السلوك بطريقة إما تلقائية أو اجتهادية جدًا.

وفى مناقشة أكثر حداثة يشير بيمان وبولاك (Byman & Pollack, 2001) إلى أن شخصيات الأفراد تصبح أكثر أهمية بصفة خاصـة عنـدما تكـون السلطة مركزة، وحين تكون المؤسسات فى صراع أو أثناء فترات التغيرات الهائلة (p. 109) ومن المرجح أن نقابل هذه الحالات بصفة خاصة فى مواقف الأزمات (خاصة الأزمات السياسية الخارجية التى تتضمن أممًا "معاديـة")، وفى أثناء تشكيل حكومة جديدة، وكذلك عند التعامل مـع أحـداث محملـة انفعاليًا أو مع قضايا تهدد القيم التى نتمسك بها بعمق. من ثم فإن دراسـات الشخصية والسلوك السياسى تميل إلى تناول موضوعات مثل كيـف يـسلك القادة أثناء الأزمات المتصاعدة، وفى الحرب، وكيف يكوّن هـؤلاء القـاده الفريق الاستشارى الخاص بهم وكيف يتخذون القرارات، وكيف يتغير الرأى العام تحت ظروف التهديد.

بينما من اليسير التفكير فى الشخصية كمجموعة ثابتة من الخصائص المستقرة، إلا أن التصور الأكثر حداثة يرى الشخصية كتنظيم من القدرات أو الميول التى ربما تتدخل أو تُستحث أو تُستحضر للأمام اعتمادًا على كل من مطالب الموقف وعلى "الجهاز التنفيذى" الخاص بالفرد. ومن خـلال هـذه الرؤية فإن الشخصية تشبه الكمبيوتر الشخصى: فهناك خصائص ثابتة نسبيًا "المكونات الجامدة"، كما يوجد أيضا العديد من التطبيقات أو "برامج التشغيل" التى تُفتح وتُغلق من خلال "معالج البيانات". بعض هذه البرامج يعمـل فـى

"نافذة" وسط الشاشة، والآخر يكون مُتاحًا فى "نوافذ" أخـرى فـى الخلفيـة المباشرة، وقليل منها يعمل فى الغالب دون أن نلحظه فى الخلفيـة أو علـى الأرضية "الأعمق".

تؤثر عوامل الشخصية على استثارة وتقييم القادة لأهدافهم وتفضيلاتهم كما تؤثر على التناقضات والتآلفات بين الأهداف المختلفة، وتؤثر الشخصية أيضا على الكيفية التى يستجيب بها القادة (أو يقاومون) الهاديات والرمـوز والعلامات؛ كيف يفسرون "المثيرات" ويحولونها إلى "معلومة". وفى النهايـة فإن الشخصية تؤثرعلى مثابرة القادة ودرجة احتمالهم وإدارتهم لانفعـالاتهم وبالتالى فهى تُعد تفسيرًا إضافيًا أكثر منها بديلاً عن "التفـسيرات العقليـة". والحالات التى يرجح فيها تأثير الشخصية توجد فى الغالب فى مجال السياسة الخارجية، لذلك قدم أخصائيو علم النفس السياسى عبر السنوات عديدًا مـن الدراسات التى تربط التوجهات المتنوعة لشخصيات متخذى القـرار بنتـائج السياسة الخارجيـة (انظـر Winter, 1992a, 1992b, 2003 لمراجعـة هـذه الدراسات، وكتابين منشورين لفيلدمان وفـالنتى [Feldman & Valenty. 2001, Valenty & Feldman, 2002] وذلك من أجل الاطلاع على دراسات حديثة حول القادة السياسيين).

كيف نقيس الشخصية بدون لقاء مباشر؟

إن أية محاولة لدراسة الكيفية التى يؤثر بها القادة والجمـاهير علـى السلوك السياسى ونتائجه تصطدم سريعًا بمشكلة القيـاس. فقـادة الماضـى وجماهيره المهمين قد رحلوا، وكما قال جلاد (Glad, 1973) أخذوا خصائص شخصياتهم -عُقدة أوديب، والنزعة التسلطية، والدافعية للسلطة- معهم، أمـا بالنسبة للقادة المهمين الأحياء فتكمن الصعوبة فى الوصول لأمثالهم حتى أنه يكاد يستحيل مجرد تخيل تطبيق أية أدوات معيارية للشخصية -اختبارات أو

استبيانات أو مسوح أو حتى مقابلات- عليهم. إلا أنه يبدو أن التقييم المباشر عن طريق استبيان الشخصية ممكن على مستوى أعضاء الهيئة التشريعية للولاية فى الولايات المتحدة الأمريكية (انظر Altemeyer, 1996) وأعضاء البرلمان فى إيطاليا (Direnzo, 1964)، كما أن التقييم بدون لقاء لا يوفر إلا ما هو أكثر قليلاً من الكليشيهات غير المتمايزة وغير المفيدة. بالإضافة إلى أن تقييم الشخصية دون لقاء يثير مشكلات الموضوعية، فعلى سبيل المثال كاد الاستطلاع سئ السمعة لآراء الأطباء النفسيين المنشور من خلال مجلة *Fact* أثناء حملة الانتخابات الرئاسية فى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٦٤ انظر (Boroson, 1964, Ginzberg, 1964) كاد أن يشبه اغتيال الشخصية عن بعد. فقد أرسلت المجلة إلى أكثر من ١٢٠٠٠ اثنى عشر ألف طبيبًا نفسيًا أعضاء فى جمعية الطب النفسى الأمريكية تسألهم عما إذا كانوا يعتقدون أن بارى جولد ووتر[٨٧] Barry Goldwater يصلح "نفسيًا" لرئاسة الولايات المتحدة الأمريكية. وقد استجاب حوالى (٢٠%)، أجاب نصفهم بالسلب. وبينما لم يتعامل أحد من المستجيبين من قبل (أو ربما حتى لم يقابل جولد ووتر)، إلا أنهم لم يتخاذلوا فى تقديم تنويعة واسعة من التشخيصات الطب نفسية له.

على الرغم من إمكانية تطبيق اختبارات للشخصية على عينات عشوائية من الجماعات السياسية أو من الناس(Almond & Verba, 1989; Barrett & Eysenk, 1984; Glick et al., 2000; Holstede. 1980 , 2001 ; Veroff, Depner kulk, & Douvan, 1980) إلا أن هناك صعوبة وتكلفة تبلغ مستوى الاستحالة. فكيف نقيم شخصيات الأفراد، بطريقة موضوعية ونسقية، مع ذلك، بدون لقاء مباشر معهم؟

---

(٨٧) من أشهر شخصيات السياسيين المحافظين فى الولايات المتحدة. كان منافسا لليندون جونسون فى معركة الرئاسة الأمريكية عام ١٩٦٤ (المراجع)

لقد تجنب كتاب السيرة النفسية هذه المشكلة من خلال عمل استنتاجات وتشخيصات إكلينيكية على أساس تركيب الحقائق المعروفة من السيرة ومراجعتها بالحقائق الأخرى المتوفرة (انظر Elms, 1994; Runyan, 1982, 1988, 1997) ويمدنا جرينشتين (Greenstein, 1969/1987, ch 3) بتحليل مفيد للعملية: بعد أن يُعَيِّن كاتب السيرة النفسية ظاهراتية الفرد موضوع دراسته ويصفها (الأفعال – التى كثيرًا ما تكون مفاجئة وغير معتادة ولا يمكن شرحها من خلال متطلبات الدور أو الموقف) فإنه يصوغ النواحى الديناميـة (الآليات النفسية التى "تفسر" هذه الأفعال) وربما يستمر بعد ذلك فى اقتراح *أصول* هذه الآليات (المصادر الدينامية فى خبرات الشخص الطفولية). ويقدم كل من وينتر (Winter, 2003) وبيرنبوم ووينتر (Barenbaum & Winter, 2003) مناقشة مستفيضة لتاريخ ومناهج وقضايا السيكوبيوجرافى أى كتابة السيرة النفسية، كما يقدمان مراجع شاملة لأدبياته.

أحيانًا ما تكون الأحكام السيكوبيوجرافية أكثر تنظيمًا من خلال استخدام أبعاد محددة مثل القدرة التنظيمية، والأسلوب المعرفى الاستراتجيى والذكاء الوجدانى (Greenstein, 2000) والنشاط والوجدان السلبى/الإيجابى (Barber, 1992, see also Henderson, 2001)، وامتداد التغير المرغوب وسعة الأفق (Blonde, 1987, see also Fukoi, 2001) ومفاهيم الشخصية المعيارية مثل الانبساط والسيطرة (Etherege, 1973)، أو المجموعات الانتقائية من متغيرات ومفاهيم الشخصية (Shestopal , 2000)، وقد طور باحثون آخرون عددًا متنوعًا من المناهج من أجل قياس موضوعى ومنظم للشخصية عن بعد مثل إيملمان (Immelman, 1993) الذى طور بطارية مفصلة لتساؤلات وأحكام محددة اعتمادا على مفهوم ميلون "النماذج الأولية" للشخصية (Mellon, 1986) واستخدمه لعمل تقييمات لقادة الولايات المتحدة الأمريكية (Immelman, 1998, 1999). وبعض الباحثين يسألون خبراء معروفين أن يرتبوا عددا من الصفات

أو العبارات الوصفية عن قائد ما على أساس معرفة هؤلاء الخبراء أو بعد قراءتهم لتصوير موجز عنهم بعد حذف المعلومات التشخيصية (Historical Figures Assessment Collaborative, 1977; Simonton , 1988)، وأحياناً ما يطلبون من الخبراء أن يملأوا استبياناً مقنناً عن شخصية القائد أو " كما لو كانوا" هم القائد (Rubenzer, faschingbaur & ones. 2000)

ومع ذلك فإن القادة فى الماضى والحاضر "يتكلمون"، وهكذا فإن كلماتهم تمثل مصدرًا وفيرًا للدراسة والبحث. بالتالى فمن المحتمل أن يكون أكثر التكنيكات المستخدمة عن بعد هو تحليل مضمون النصوص المكتوبة أو المفرغة حرفيًا عن أحاديثهم المنطوقة (مثل، الخطب أو المقابلات) باستخدام السجلات أو الوثائق الثقافية (الاتصالات الحكومية، الخيال الشعبى، أو حتى كتب الأطفال المدرسية) بوصفها تعكس الخصائص النفسية أو الشخصية أو الجمعية للأفراد والجماهير (McClelland, 1961)[٨٨]. وعادة ما تُصمم مقاييس تحليل المحتوى بعناية، مع التدريب على أمثلة وإجراءات تدريبية أخرى للوصول بمحللى المضمون غير الخبراء إلى مستوى عالٍ من ثبات التحليل ونتائجه، أى مستوى عالٍ من الاتفاق بينهم (ينبغى أن تساوى نسبة الاتفاق أو تتخطى ارتباطًا قدره ٠,٨٥). وتوجد مناقشة مفصلة لقضايا ومناهج تحليل المضمون النفسى فى (Holsti, 1969)، و(Schafer. 2000)، و(Walker, 2000) و(Winter, 1992a, 1992b) و(Winter & Stewart, 1977)

---

(٨٨) بالطبع فإن أغلب السجلات والأحاديث التى تحمل اسم قائد سياسى كبير مكتوبة بالفعل بواسطة واحد أو أكثر من كاتبى الأحاديث speech writers. وحتى الاستجابات التلقائية spontaneous على أسئلة المؤتمرات الصحفية والتعليقات "غير الرسمية" ربما تكون محبوكة scripted بشكل كبير. ومن ثم ربما يتساءل الفرد ما إذا كان تحليل محتوى مثل هذه المواد يقدم تقديرات لشخصية القائد أو لشخصية كاتبى الحديث. يناقش سويد فيلد Suedfeld (1994) ووينتر Winterهذه القضية ويستنتجان أن "درجات scores " الشخصية التى تعتمد على تحليل المضمون (للأحاديث المهمة على الأقل) يمكن أن تؤخذ كمؤشر صادق للحالة النفسية والشخصية للقائد – وهذا ما يمكن للبحث أن يبرهن عليه من مثل هذه الدرجات بشكل عام (المؤلف)

فى النهاية فى حالة الجموع أو الأمم فقد قام بعض البـاحثين (Doty, Peterson & Winter, 1991; Hofstede, 1980, 2001; Sales, 1973) باسـتنتاجات حول مستويات متغيرات الشخصية (وبصفة خاصـة التغيـرات فـى هـذه المستويات عبر الوقت) على أساس المؤشرات الاجتماعية التى يُستعان بهـا لتعكس الخصائص السلوكية لهذه المتغيرات.

تصور رباعى للشخصية

افترض بعض المنظرين أن الشخصية تتكون فقط من سمات (Allport, 1961, Buss, 1989) أو دوافع (Murray , 1978)، إلا أن الأغلبية يعتبـرون أن الشخصية تتكون من عدة أنواع المتغيرات المتباينة جوهريًـا (McClelland, 1951; Winter, John, Stewart, Klohnen, & Duncan, 1998) وقـد قُـسمت – لأغراضنا هنا– الشخصية إلى أربعة عناصر أو طبقات من المتغيرات، كما هى موضحة فى جدول (٤–١) وهى: الـسمات، والـدوافع، والمعـارف، والسياق الاجتماعى (انظر أيضا McClelland 1951 ; Winter, 1996, Winter & Barenboum, 1999). بينما يستخدم بعض الكتاب كلمة "سمة" لتغطية عناصـر مختلفة – مثل الدافعية للسلطة أو التعقد المعرفى أو التسلطية– أرى أن الدقة العملية ستزداد من خلال استخدام كلمات مختلفـة للأشـياء التـى تختلـف جوهريًا.

العناصر الأربعة للشخصية يمكن وصفها من خلال بعدين: (١) ما إذا كانت علنية ويمكن ملاحظتها أم هى "داخلية" ومن ثم تحتاج للاستدلال عليها و(٢) ما إذا كانت مستقرة نسبيًا عبر المواقف فننظر إلى مـستوياتها التـى نعينها على أنها نمطية أم أنها تعتمد بشدة على المواقف والسياقات. (الفـرق نسبى: فالأرجح أن تتأثر كل أوجه الشخصية بالمواقف المختلفة بدرجـة أو أخرى). يضم جدول (٤–١) قائمة بكبار المنظرين فى الشخصية ومتغيرات الشخصية النموذجية المرتبطة بكل عنصر.

السمات هى العناصر الشائعة والتى يمكن ملاحظتها عن الشخصية، أى أوجه الاتساق فى الأسلوب والتى يلاحظها الآخرون بالفعل. وتظهر السمات بلغة "الانطباعات الأولى" التى نتكلم بها عنها، الصفات والأحوال التى نستخدمها فى كل لغة لوصف الأفراد الآخرين. ولهذا السبب، تُقيَّم السمات فى العادة من خلال تقديرات الملاحظين (تستخدم التقارير الذاتية بكثرة أيضا، لكنها عرضة لخطر الخلط بين ما يعتقده الأفراد عن أنفسهم وانطباعات الآخرين عنهم).

جدول ٤ – ١

عناصر الشخصية الأربعة

	استنتاجات Inferential	يمكن ملاحظته Observable
عبر موقفى Trans-situational	* المعارف cognitions * المتغيرات النموذجية Typical variables - المعتقدات Beliefs - القيم Values - مفهوم (مفاهيم) الذات – Self concepts	* المزاج temperament، السمات traits * المتغيرات النموذجية - الانبساط Extraversion - مستوى الطاقة Energy level - العصابية neuroticism
	كبار المنظرين - جوردن ألبورت Gorden Allport - جورج كيلى George Kelly - كارل روجرز Carl Rogers	كبار المنظرين - جوردن ألبورت Gorden Allport - هانز أيزنك Hans Eysenk - كارل يونج Carl Jung

متغيرات تعتمد على الموقف Situation-dependent	* المتغيرات النمونجية - الدوافع Motives - الأهداف goals - الميكانزمات التنظيمية Regulating mechanisms - ميكانزمات الدفاع Defense mechanisms	* السياق الاجتماعى - سياق صغير: Micro context - المواقف المباشرة Immediate situations * سياقات كبيرة: Macro context - النوع Gender - الطبقة الاجتماعية Social class - الثروة ومصادرها Wealth and resources - العرق Ethnicity - السلالة Race - الثقافة Culture - الجيل Generation - التاريخ History
	كبار المنظرين - سيجموند فرويد Sigmund Freud - ديفيد ماكليلاند David McClelland - إبراهام ماسلو Abraham Maslow - هنرى موراى Henry Murray	كبار المنظرين - إريك إريكسون Erik Eriksson - والتر ميشيل Walter Mischel - ب. ف. سكينر B. F. Skinner - ابيجال ستيوارت Abigail Stewart

فى المقابل، تنطوى *الدوافع* على التهيؤ والمتابعة، عبر زمن ممتد، لأهداف أو حالات مستهدفة مرغوبة. (ينطبق هذا على دوافع الإقدام، أما دوافع الإحجام فتنطوى على مراوغة حالات غير مرغوبة أو الهروب منها) الدوافع ميول أو رغبات كامنة: وعبر الزمن تُنَشَّط هذه الرغبات وتُشبع وتهدأ ثم تُنَشط مرة أخرى وهكذا. ويعتمد توقيت التعبير عن دافع ما والكيفية التى يتم بها هذا التعبير على الحوافز والفرص المدركة فى موقف معين، وعلى الزمن المنقضى منذ الإشباع الأخير، وعلى حضور دوافع نشطة أخرى ربما تندمج أو تتصارع مع الدافع الحالى. لذلك فإن الدوافع لا تتضمن دائمًا أنماطًا ثابتة من السلوك. بالإضافة إلى ذلك فإن دوافع الأفراد غالبًا ما لا تكون ظاهرة للآخرين (خاصة إذا لم تكن هناك ملاحظة ممتدة)، بل إنه أحيانًا لا تكون دوافع الأشخاص ظاهرة لهم أنفسهم.

تتضمن *المعارف* مدى متنوعًا من التمثيلات العقلية، والمخططات، والنماذج، والتصنيفات والمعتقدات، والقيم والاتجاهات، والتمثيلات العقلية للذات ولعديد من مكونات الهوية الاجتماعية الخاصة بها، مخططات لتمثيل الأفراد والجماعات والنظم الاجتماعية الأخرى، معتقدات حول مجال وطبيعة السياسة، وعلى مستوى أوسع هناك التصورات عن طبيعة العالم، والحقيقة، والجمال، والخير. وبالطبع تدرس المعتقدات والقيم من خلال المتخصصين فى علم النفس الاجتماعى وعلم الاجتماع، والباحثين فى سلوك الجماهير أيضا، لأنه على الرغم من أن المعتقدات تختلف عبر الأفراد بشكل ثابت (من ثم يمكن اعتبارها جزءًا من الشخصية)، فإنها تتقلب أيضا عبر الوقت كما يمكن أن تتأثر بحملات الدعاية و"الانتخابات".

يتضمن السياق الاجتماعى كلاً من الموقف المباشر وخصائص البناء الاجتماعى الأوسع مثل النوع، والطبقة الاجتماعية والسلالة والعرق والثقافة والتاريخ. وبينما تستدخل عديد من خصائص السياق الاجتماعى كتمثلات

عقلية، إلا أن السياق الاجتماعى ينطوى أيضا على واقع منفصل بمعنى وجود مستقل كقنوات وفرص ومعطيات وحدود وقيود للتعبير عن كل عناصر الشخصية. قد ينظر بعض القراء لمسألة تضمين السياقات الاجتماعية ضمن عناصر الشخصية باستغراب؛ نظرًا لأنها عادة ما تعد -فى البحوث المسحية- ضمن المتغيرات الديموجرافية، بينما يعدونها فى علم النفس الاجتماعى جزءًا من الموقف أو البيئة، فى مقابل الميول والاستعدادات داخل الشخص نفسه. وفى الواقع، هناك خلفيات للنظر للسياقات الاجتماعية عبر كل من المناظير الثلاثة: كعناصر للشخصية أو كخصائص ديموجرافية أو كمتغيرات مميزة للموقف. ذلك أنه فى الفترة من ١٩٣٠ إلى ١٩٦٠ ارتبطت دراسات الشخصية إلى حدٍ بعيد، بتحليل السياق الثقافى والمجتمعى، (انظر Klunckhohn, Murray and Schneider, 1953)، فكان يُنظر للشخصية على أنها جزء من المجتمع والثقافة. أما فى السنوات الحديثة فقد أعاد كثير من المتخصصين فى علم نفس الشخصية اكتشاف إيكولوجية الشخصية، بعبارة أخرى: تحليل السياقات الاجتماعية بوصفها وجهًا من أوجه الشخصية (انظر Moen, Elder, & Luscher, 1995, Winter, 8 Stewart, 1995) من هذا المنظور فإن السياقات الخارجية تشكلنا، لكن هذه السياقات (خاصة، النوع، والسلالة، والطبقة الاجتماعية، والجنسية، والتاريخ) تصبح بعد ذلك جزءا من شخصياتنا، بمعنى أننا نحملها داخلنا، كما كانت، عندما نختار ونفهم ونبادر ببناء سياقات جديدة فى الحاضر (انظر Buss, 1987). فى الواقع، فإن الشخصية – بعيدًا عن الموروث الجينى – يمكن رؤيتها كسلسلة من تراكم سياقات الماضى التى استدمجناها والمقاومة للتغيير (أو على الأقل فإن تغييرها أصعب من اكتسابها)، والتى تتفاعل مع الموقف *الحالى*.

السمات والسلوك السياسى

لأن الاتساق فى السلوك هو جوهر السمات (عبر المواقف والزمن)، فإن التحليل العاملى وباقى الإجراءات الباحثة عن تجمعات المتغيرات والتى تعتمد على الارتباطات هى التى تستخدم فى الغالب – مع مجموعة من "بنود" اختبار الشخصية، والجمل الوصفية، أو النعوت ببساطة- لتحديد السمات "الأساسية" أو الجوهرية. وفى السنوات الحديثة، نما اتفاق نسبى على وجود خمسة عوامل للسمات (يطلق عليها غالبًا العوامل الخمسة الكبرى)، ومع ذلك فهناك نقاش مهم واختلاف حول المحتوى والبناء الفعلى لكل عامل، بل إن هناك جدالاً حول قيمة المنحى التحليلى العاملى ككل (انظر Block, 1995). مازالت عوامل نظرية أيزنك الثلاث (Eysenk & Eysenk, 1985) شائعة فى بريطانيا العظمى والكومنولث، وهى العوامل التى تتضمن الانبساط والعصابية والذهانية[٨٩]. وبينما تنتشر العوامل الخمسة بقوة عبر اللغات الهندية- الأوروبية (McCrae & Costa, 1997)، إلا أن هناك بعض الفروق التى تنشأ فى الدراسات التى تعتمد على لغات مثل اللغة الصينية الشمالية (ماندارين Mandarin) خاصة عندما يعتمد الباحثون على استخدام الصفات المحلية دون ترجمة المصطلحات الواردة من السياق أو اللغات الأصلية للبحوث (انظر على سبيل المثال Cheung et al, 2001). ويقدم جدول [٤ – ٢]

---

(٨٩) اتفق عامل الانبساطية لأيزنك Eysenk مع العامل المشابه له المسمى العامل الأول factor 1 فى العوامل الخمسة الكبرى big five وربما مع العامل الثانى agreeableness 2 أيضا، بينما يتفق عامل العصابية neuroticism مع الاتزان الوجدانى المنخفض Low emotional stability (العامل الرابع)، كما يمكن تفسير عامل الذهانية psychoticism إلى حد ما بانخفاض عامل يقظة الضمير conscientiousness (العامل الثالث أو ربما يمكن تفسيره بانخفاض عامل openness)) (العامل الخامس؛ انظر John, 1990, Winter, 1996 ch. 12) (المؤلف)

أكثر الأسماء الشائعة لهذه العوامل الخمسة مع وصف مختصر للسلوكيات المتعلقة بالسياسة للأفراد الذين يسجلون درجات مرتفعة ودرجات منخفضة على كل عامل، فعلى الرغم من أن نموذج العوامل الخمسة لم يُستخدم إلا حديثًا فى التطبيقات السياسية (انظر Rubenzer et al; 2000، وسنناقشه بعد)، فإن المتخصصين فى علم النفس السياسى قد درسوا عددًا متنوعًا من سمات الفاعلين السياسيين.

دراسات القادة السياسيين .

فى دراسة لـ ٣٦ من رؤساء ووزراء الخارجية ومستشارى الرئاسة الذين حكموا فى الفترة ما بين ١٨٩٨ و١٩٦٨ فى الولايات المتحدة الأمريكية، ربط إثردج Etheredge (1987) بين الدرجات على اثنين من التوجهات المرتبطة للعامل رقم ١ (الانبساط والسيطرة)[٩٠] بالأداء والرؤى السياسية الخارجية. قاس إثردج فى البداية كلاً من انبساط وسيطرة القائد من خلال مجموعة من المقدرين (المساهمين فى تقدير الدرجات) يقرأون الملف المجمع من مقاطع مغماة المصدر من أعمال أكاديمية ومذكرات المطلعين على بواطن الأمور، وسير حياة، وسير ذاتية، ثم يقدرون السمة على مقياس من ١٠ نقاط.

---

(٩٠) على الرغم من أن نظريات السمات العاملية الخمس تعتبر عاملى " الانبساطية " و" السيطرة " جزئين من عامل واحد، فإن معامل ارتباط هذين العاملين لم يبلغ حد الدلالة (ر= ٠,١٤) فى بيانات ايثر ايدج Etheredge ومثل هذه النتيجة ليست شائعة فى دراسة السمات وربما تعكس اختزالاً غير دقيق irreducible looseness للعوامل السمات. (المؤلف)

جدول [٤ – ٢]

السلوكيات المتعلقة بالسياسة بالنسبة لعوامل السمات الخمس

Politically relevant behaviors for five trait factors.

اسم العامل، السمه ورقمه	درجات مرتفعة	درجات منخفضة
١– الانبساط، الاندفاع	قائد، مسيطر، مُبادئ	تابع مخلص
٢– الدفء، القبول	محبوب	منعزل، عدائى
٣– الضمير الحى	مسئول، منجز، يقوم بالعمل الشاق	غير مسئول، يتجاهل الخسائر، مضاد للمجتمع، ربما يكتشف طرقا مختصرة وجديدة
٤– الثبات الانفعالى (انخفاض العصابية)	ثابت، غير مرن	لايستطيع ان يتخذ القرار ،مكتئب،عصابى
٥– الإنفتاح على الخبرة	فضولى، يتعلم من الخبرة	متصلب، منغلق الفكر

ثم ركز إثردج بعد ذلك على اثنين من أهم أنواع الخلافات الثنائية بين النخبة عن السياسة الخارجية للولايات المتحدة أثناء فترة الدراسة: ما إذا كان من الواجب مواجهة التهديدات بالقوة، أم من الواجب على الولايات المتحدة أن تتبع سياسات "احتوائية" تجاه الاتحاد السوفيتى. وكما هو متوقع، فإن القادة الذين حصلوا على درجات مرتفعة فى الانبساطية كانوا أكثر ميلاً للدفاع عن سياسات الاحتواء (بمعنى تفضيل التفاوض) تجاه الاتحاد السوفيتى، بينما كان القادة الذين حصلوا على درجات أعلى فى السيطرة أميل للدفاع عن استخدام القوة فى الاستجابة للتهديد.

فى الخمس عشرة سنة الماضية، تمت ثلاث محاولات كبرى لقياس سمات قادة الولايات المتحدة بشكل موضوعى، استخلص سيمونتون (Simonton, 1986) أوصافًا شخصية من مصادر بيوجرافية (مع حذف المادة المحددة للأشخاص) ثم سأل طلابًا -استخدمهم كمقدرين- أن يقرأوا كل وصف ثم يضعوا للقائد المعنى درجة على كل نعت من النعوت فى قائمة مكونة من ١١٠ نعوت (The Adjective Check List, Simonton, 1986) أو سلاسل من الجمل (Simonton, 1988)، وفى كل مرة شابهت العوامل التى استخلصها وفسرها سيمونتون السمات العاملية الخمس الكبرى. وقد استخدم سيمونتون فى كلتا الدراستين التحليل العنقودى لجماعة القادة من خلال تشابه سماتهم. كما حدد أيضا خصائص خلفياتهم ونتائج رئاستهم المرتبطة بكل عامل. وقد ارتبطت -فى كلتا الدراستين- العوامل التى تشبه اثنتين من السمات الكبرى هما الانبساطية (الاندفاعية) وإمكانية الانفتاح بمجموعة من مقاييس الأداء الرئاسى.

وقد سأل روبينزر وزملاؤه (Rubenzer, 2000) ١١٥ "خبيرًا" ليضعوا تقريرًا للقادة الذين كانوا قد قضوا فترة طويلة من الوقت على اتصال شخصى بهم أو لهؤلاء الذين كانوا قد نشروا سيرًا ذاتية شاملة عنهم.، وقد استعمل مع الخبراء ثلاث أدوات مصممة خصيصًا لقياس العوامل الخمسة للسمات وهى: بطارية الشخصية NEO المراجعة (Costa & McCrae, 1992)، وعبارات من اختبار كاليفورنيا-Q الترتيبى (Block, 1961) ومائة مجموعة من النعوت الإنجليزية العادية (Goldberg, 1990) ومع ربط النتائج بتقديرات المؤرخين لعظمة كل رئيس، لم يجد روبنزر وزملاؤه إلا نتائج غير دالة، باستثناء ارتباط العظمة بعامل "الانفتاح" والذى اقترب من مستوى الدلالة [ر = ٠,٢٥ و٠,٣٢ عند مستوى معنوية أقل من ٠,٠٥ للأخير] ويتسق ذلك مع كثير من البحوث السابقة التى تحاول الربط بين السمات والقيادة الناجحة

(انظر مراجعة Hollander, 1985)، يبدو أن هناك تباينًا فى المواقف والمشكلات والفرص التى يواجهها القادة –سواء الرؤساء أو القادة العاديين– وذلك لدرجة أنه لا توجد مجموعة مفردة من سلوكياتهم العلنية المتسقة تمارس تأثيرها على أدائهم (انظر Renshon , 2001 خاصة، 246 – p.242).

صور السمات لدى القادة الأفراد

قدم روبينزر وزملاؤه (Rubenzer, 2000) أيضا معلومات حول قادة معينين من قادة الولايات المتحدة الأمريكية، فقد سجل جورج واشنطن، على سبيل المثال، درجات مرتفعة فى يقظة الضمير والاندفاعية ولكنه حصل على درجات منخفضة فى القبول، بينما كان إبراهام لينكولن مرتفعًا فى الانفتاح ومنخفضًا فى الثبات الانفعالى. على أساس هذه النتائج، ربما نصف واشنطن على أنه " يقظ الضمير، وقوى، ومنعزل". وفى المقابل يمكن أن نرى لينكولن كشخص منفتح على ما لم ينكشف بعد من خلال العالم والخبرة. ومع هذه الرؤية وهذا الوصف ربما نتساءل عن ما إذا كان استخدام إجراءات القياس المتقنة يخبرنا بالفعل أى شئ لا نعرفه عن أى من القائدين. بمعنى أن السمات، فى أى شكل قيست به، تُعد بالفعل أوصافًا مختصرة للسلوك الشائع المتسق لدى الشخص– ذلك السلوك الذى يُعد أيضا مصدرًا للأوصاف التى يقدمها المؤرخون وبالتالى للانطباعات الشائعة، من ثم فإن الاستشهاد "بالسمات" لتفسير سلوك جورج واشنطون وإبراهام لينكولن ربما يقوم ببساطة على المنهج المشترك نفسه. إن لم يكن برمته حشوًا مكررًا من قبيل تحصيل الحاصل.

السمات كما يدركها القادة

هل العوامل الخمسة للسمات والتى حددها التحليل العاملى لها أى تأثيرعلى الأبعاد الفعلية للسمات التى يستخدمها القادة لوصف غيرهم من

القادة؟ لقد درس سويد Swede وتيتلــوك Tetlock (1986) مــذكرات هنــرى كيسنجر مستشار الأمن القومى ووزير الخارجية الاسبق فى عهــد رئاســة نيكسون ومن بعده فورد. واستخلصا أوصاف كيسنجر لعديــد مــن القــادة الآخرين ثم استخدما إجراءات التجميع العنقودى لتحديــد الأبعــاد الــضمنية الكبرى التى يستخدمها كيسنجر فى إدراكه. وتبين النتائج المعروضــة فــى جدول [٤ – ٣] أن كيسنجر استخدم بالفعل خمس تجميعات أو عوامل ليصف القادة السياسيين ومع ذلك فإن تجميعاته تضمنت خليطًا من العوامل الخمــسة الكبرى ولم تكن تكرارًا خالصًا لها. واستخدم سويد وتيتلوك بعد ذلك تحليلهم البنائى ليظهرا كيف أن كيسنجر قد استخدم السمات الشخصية بشكل ضمنى ليصف القادة الأفراد، وللتمييز بين القادة المختلفين، وليضع القادة فى أنماط.

ومن الجدير بالملاحظة، كنوع من التحديد لنموذج العوامــل الخمــسة الكبرى، أنه عندما كان كيسنجر يصف القادة الذين يعرفهم جيدًا، كان يستخدم جملاً بارعة ومتمايزة تتجاوز العوامل الخمسة تمامًا. فقد وصف، مثلا شارل دى جول، الرئيس السابق لفرنسا، كأن "له الشموخ الطبيعى لقمة جبل الألب المغطاة بالثلج" كما وصف ليندون جونسون الرئيس السابق للولايات المتحدة "بالــنسر السجين" (Swede & Tetlock, 1986, p. 641)

جدول [٤ – ٣]

الأبعاد الضمنية لإدراك هنرى كيسنجر للشخصية

Henry Kissinger's implicit dimensions of person – perception

اسم المجموعة	الوصف	أمثلة	إمكانية "التحويل" إلى العوامل الخمس
١- المعاناة المهنية	غير آمن، وحيد، حازم، فخور بنفسه	أنديرا غاندى Indera Ghandhi كيسنجر نفسه Kissinger (himself)	III + IV –
٢- الوطنية الطموحة	وطنى متشكك طموح غير كريم	ريتشار نيكسون Richard Nixon نجوين فان ثيو Nguyen Van Thieu	I + II
٣- العظمة الثورية	عظيم، قاس، مؤكد لذاته، ثورى	ماو تسى ونج Mao Zedong أنور السادات	I +
٤- الدقة العقلية	فكه (هزلى) مطلع ماهر دقيق	لو د ك ثو Le Duc Tho ز وانلاى Zhou Enlai	V+
٥- الصداقة الواقعية	لطيف حاسم متناقض وجدانيا متكتم	نيلسون روكفلو Nelson Rockefeller جورج بومبيدو George Pompidou	II +

دراسات الجموع

بينما لم تجمع دراسة واحدة بيانات مسحية كافية عن السمات عبر الأمم المختلفة، إلا أن هناك دراستين جمعتا نتائج دراسات أخرى متباعدة تتناول سمات ومعايير جماعات البشر فى أمم متفردة. فقد جمع لين Lynn (1981) نتائج دراسات أجريت فى ٢٢ دولة، نشرت مابين ١٩٨٥ و١٩٨٠، واستخدمت مقاييس أيزنك Eysenck للانبساطية، والعصابية والذهانية. وقد رصد باريت وأيزنك(Barrett & Eysenck, 1984) نتائج دراسات أكثر تنظيمًا ودقة إلى حد ما للسمات الثلاث نفسها نشرت فى الفترة مابين ١٩٧٧ إلى ١٩٨٤وأجريت على أفراد من ٢٥ دولة. وقد ركز باريت وأيزنك بشكل أساسى على تفسير التشابه فى البناء العاملى فى العينات القومية المختلفة، لكن المتخصصين فى علم النفس السياسى تمكنوا من استخدام البيانات نفسها لفهم النشاط السياسى والتنبؤ به وبنتائجه فى هذه الدول، وربما نرى فى السنوات القليلة القادمة محاولات مشابهة تجرى على بيانات عبر أممية للسمات الخمس الكبرى.

استخدام المؤشرات الاجتماعية

لتجنب مشكلات وتكلفة اختبارات الشخصية فى المسوح عبر الأممية، استخدم بعض الباحثين المؤشرات الاجتماعية لقياس المتغيرات النفسية؛ فقام لين وهامبسون (Lynn & Hampson, 1975) بتقدير "درجات" قومية للانبساطية والعصابية لـ ١٨ من الدول الصناعية المتقدمة على أساس متغيرات مثل معدلات الطلاق والانتحار والجريمة لديهم ونسبة مستهلكى السجائر والكافيين ومعدلات هذا الاستهلاك. ونظرًا لأن العديد من مقاييس المؤشر الاجتماعى هذه تتأثر أيضا بمستوى الدخل القومى فإن هذه الطريقة ربما لا تصلح للتطبيق فى الدول الأكثر فقرًا.

الدوافع والسلوك السياسى

تتضمن الدوافع ميلاً للاقتراب من أهداف أو حالات نهائية مرغوبة أو تجنب حالات نهائية غير مرغوبة أو مخيفة. وعلى الرغم من أن عدد الأهداف الإنسانية المختلفة ربما يكون بلا حدود فإن عديدًا من الأخصائيين النفسيين قد اتبعوا موراى (Murray, 1938) فى تحديد ٢٠ فئة عريضة من الأهداف تغطى التوجهات والكفاحات الكبرى فى حياة الشعوب. وقد برهن وينتر (Winter, 1996, ch. 4.5) معتمدًا على كل من النظرية وعدد كبير من الدراسات على أن "كتالوج" الدوافع لموراى يمكن تقديمه بمصطلحات فراغية أو مكانية، حيث يمكن تنظيمه فى ثلاثة *أبعاد للسلوك المدفوع*: الإنجاز، والانتماء، والسلطة.

إن التتبع الذكى لهدف (أو تجنب هدف سلبى)، يعتمد على اختيار فعل أو طريق مناسب، من بين عديد من الطرق الممكنة للوصول إلى الحالة النهائية وذلك فى ضوء معرفة العوائق والفرص المتاحة فى موقف معين. بالإضافة إلى ذلك فإن الدوافع تنمو وتضمحل؛ فحتى الشخص الأكثر جوعا يتوقف فى النهاية عن الأكل. وبالتالى فإن الدوافع يتم التعبير عنها عادة من خلال تنوع فى الأفعال اعتمادًا على الموقف والوقت منذ تحقيق الهدف السابق، أكثر مما يتم التعبير عنها مع الالتزام بالاتساق فى السمات. فى النهاية فإن الدوافع تعمل على مستوى ضمنى أو حتى لاشعورى- جزئيًا بسبب عمل الدفاعات والجاذبية الاجتماعية، وجزئيًا لأن الناس ربما لايولون عناية لتحديد التوجهات طويلة الأمد لأفعالهم، فربما يكون من السهل بالنسبة لى الإجابة عن سؤال حول ما أريد أن أفعله اليوم، ولكنى ربما لا أكون واعيًا بالأهداف طويلة الأمد تجاه ما مضى من حياتى عبر السنوات العديدة الماضية.

لكل هذه الأسباب فإنه من الصعب قياس الدوافع بالاستبيانات أو حتى بتقديرات الملاحظين وكلاهما مفيد للغاية فى دراسة السمات (وللتأكيد فإنه توجد استبيانات ومقاييس تقدير تزعم قياس الدوافع، ولكن مثل هذه المقاييس لاترتبط بمقاييس تحليل المضمون التى نناقشها هنا)، وبالتالى فإن الاستبيانات والتقديريات، بغض النظر عما تدعى مسمياتها قياسه؛ تعكس سمات الأفراد أو معتقداتهم أو معارفهم عن دوافعهم. ومع ذلك فإن تحليل محتوى السلوك اللفظى يبرهن على كونه أسلوبًا فعالاً لقياس دوافع الإنجاز والانتماء والقوة سواء بالنسبة للأفراد الذين يحتك بهم الأخصائيون النفسيون مباشرة، أو باستخدام اختبار "إسقاطى" مثل اختبار تفهم الموضوعTAT)) أو بالنسبة للقادة السياسيين والرموز التاريخية والأشخاص الآخرين الذين تتم دراستهم عن بعد[٩١].

دراسات القادة السياسين

باستخدام تحليل المضمون للخطب والمقابلات والنصوص الأخرى، درس الباحثون دوافع الإنجاز والانتماء والقوة لرؤساء الولايات المتحدة (Winter, 1987) والمرشحين للرئاسة (Winter, 1976, 1988, 1995) وقضاة المحكمة العليا (Aliotta, 1998) وعديد من القادة السياسيين فى منطقة جنوب أفريقيا سنة ١٩٧٠ (Winter, 1980) والمرشحين فى انتخابات الرئاسة الروسية عام ١٩٩٦(Valenty & Shiraev, 2001) وقد ضمنت هيرمان مقاييس دافع الانتماء ودافع القوة فى دراساتها عن قادة العالم (Hermann 1987 b)

---

(٩١) للحصول على معلومات عن أنظمة تسجيل الدافع motive scoring systems هذه انظر سميث Smith 1992))،وكذلك عديد من أنظمة تحليل المحتوى الأخرى المفيدة فى بحوث علم النفس السياسى، وللحصول على تفاصيل القياس، الذى يتضمن مناقشة عن الثبات، وانظر وينتر winter (1998) بالنسبة لتطوير هذه الأنظمة، وانظر وينتر winter (1994) للحصول على نظام مفرد متكامل single integrated system. (المؤلف)

وأعضاء اللجنة التنفيذية للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى عـام ١٩٧٠ (Hermann, 1987a) وقادة الدول الأفريقية جنوب الصحراء (Herman, 1987a).

أثبت كثير من هذه الدراسات أن القادة الذين يحصلون على درجـات مرتفعة على الدافعية للقوة يميلون نحو الأفعال الجبرية القوية وكنتيجة ربمـا يراهم تابعوهم ذوى شخصية كاريزمية (House, Spangler, & Woycke 1991)، لكنهم يبدون عدوانيين ومحبين للحرب بالنسبة للخصوم الخارجيين (Winter, 1980, 1987, 1993) وفى المقابل فإن القادة المدفوعين بالانتماء يكونون أكثـر ميلاً للسلام ومتعاونين – وذلك ماداموا محوطين بمن يفكـرون مـثلهم ولا يـشعرون بالتهديـد. أمـا الدافعيـة للإنجـاز، والتـى تـرتبط بالنجـاح المغامر(McClelland, 1961)؛ فيبدو أنها لاتساهم فى النجـاح فـى الـسياسة خاصة إذا كانت أعلى من الدافعية للسلطة (انظر Winter, 2002) لأن الدافعية للإنجاز تؤدى إلى إحباطات تنتج عن اصطدامهم بكثير من خصائص الحياة السياسية.

صور الدوافع للقادة الأفراد

استخدم وينتر وكارلسون (Winter and Carlson, 1988) بروفيل الـدافع لرئيس الولايات المتحدة السابق ريتشارد نيكسون لحل عديد من التناقـضات الظاهرة فى تاريخه السياسى. كما ربط وينتر (Winter 1998) اتجاه الـدوافع لدى بيل كلينتون بالتحولات الدرامية فى أقداره السياسية من السنوات المبكرة لفترة رئاسته الأولى إلى اعادة انتخابه الكاسحة فـى ١٩٩٦. كمـا قـدمت هيرمان بروفيلات (لصفحات نفسية) لكل من رولانـد ريجـان (Hermann, 1983) والرئيس السورى السابق حافظ الأسد (Hermann, 1988).

دراسات الشعوب

فى دراسته الكلاسيكية *المجتمع الإنجازى The Achieving Society* قـــام ماكليلاند McClelland (1961) بقياس مستويات الدافع القومى من خلال تحليل مضمون قصص أطفال المدارس ووجد أن مستويات الدافعية للإنجـــاز قـــد تنبأت بالنمو الاقتصادى فى المرحلة اللاحقة، وباستخدام تحليـــل المـــضمون لأنواع عديدة من المنشورات الرائجة ربط ماكليلاند McClelland, 1975chs. 8-(9) الدافعية للسلطة والانتماء بالحرب والسلام، على التوالى، وذلـــك خـــلال مائتى عام من تاريخ الولايات المتحدة وامتد وينتـــر (Winter, 1993) بهـــذه النتائج إلى ثلاثمائة عام فى التاريخ البريطانى وكذلك إلى دراسة مقارنة بين نشوب الحرب العالمية الأولى وأزمة القذائف الكوبية عام ١٩٦٢.

اختبرت دراستان العلاقة بين دوافع القادة (مُقاسة من خـــلال تحليـــل محتوى خطاباتهم) ودوافع مجتمع هؤلاء القادة (مُقاسة مـــن خـــلال تحليـــل مضمون الأدبيات الرائجة) وقد وجد وينتر (Winter, 1987) أنه كلمـــا كـــان بروفيل دافع القائد أقرب لبروفيل دافع شعب الولايات المتحدة كانت هوامش انتصارات هذا القائد أعلى وهذا يدعم بالتالى نظريات القيـــادة التـــى تبـــرز وتؤكد التجانس النفسى بين القادة والأتباع. وفى دراســـة للتقلبـــات قـــصيرة المدى فى أحاديث المرشحين ونتائج استطلاعات الرأى أثناء حملة الانتخابات الرئاسية فى الولايات المتحدةعام ٢٠٠٠ وجد ايثنجتـــون (Ethington, 2000) علاقة مشابهة وقد درس شميت ووينتـــر (Schmitt & Winter, 1998) القـــادة والمجتمع فى الاتحاد السوفيتى مابين عامى ١٩٢٤، و١٩٨٦ ووجدا نوعًـــا مختلفًا من التجانس بين المجتمع والقادة: بروفيل الدافع الخـــاص بـــالمجتمع السوفيتى يصبح مشابهًا لبروفيل القائد فى السنوات التالية لصعود هذا القائد.

قام كل من فيروف Veroff، وديبنر Depner وكولكا Kulka ودوفان Douvan (1980) بقياس دوافع عينات ممثلة للمجتمع الأمريكي تم اختبارها مباشرةً من خلال مقابلات في عام ١٩٥٧ وعام ١٩٧٦ وقد ربطوا التغيرات الحادثة مع كل من الدور الجنسي والطبقة الاجتماعية والجماعات العمرية المختلفة بأحداث خاصة بتوجهات المجتمع الأمريكي في تلك الفترة؛ فعلى سبيل المثال ازدادت دافعية النساء الأمريكيات للإنجاز أثناء هذه الفترة، بينما ازدادت دافعية الرجال الأمريكيين للسلطة. ربما يمكننا من خلال هذين التوجهين إلقاء الضوء على مسار "السياسة والدور الجنسي في الولايات المتحدة أثناء الأربعين سنة الأخيرة من القرن العشرين.

المعارف والسلوك السياسي

تتضمن "المعرفة" كعنصر من عناصر الشخصية العديد من المعارف النوعية مثل المعتقدات والقيم من ناحية، والبناء المعرفي الخاص بترتيب هذه المعتقدات من ناحيةٍ أخرى. واحدةٌ من أكثر التوجهات المعرفية العامة استخداما هي *الشفرة الإجرائية* (*Gearge, 1969; Holsti, 1977; Walker, 1983, 1990*) وهي مجموعة المعتقدات الفلسفية حول طبيعة الحياة السياسية (الانسجام أو الصراع)، والقابلية للتنبؤ بالنتائج السياسية والتحكم فيها، والمعتقدات الخاصة بما هي أفضل الوسائل لتتبع الأهداف وحساب المخاطر. ولقد طور كل من والكر وشافير ويانج (Walker, Schafer and Young, 1998, 1999) مجموعة من المقاييس الكمية بمساعدة الكمبيوتر لمفهوم الشفرة الإجرائية، بمعنى كيف *يشخص* القادة العالم السياسي وكيف *يختارون ويبدلون* مسارات الفعل المختلفة، وقد طور الباحثون شفرات إجرائية لعدد متنوع من القادة السياسيين، مثل رئيس وزراء انجلترا توني بلير (Schafer & Walker, 2001) ورؤساء الولايات المتحدة الأمريكية وودرو ويلسون

(Walker. 1995)، وليندون جونسون (Walker & Schafer, 2000)، وجيمي كارتر (Walker et al., 1998) ووزير خارجية الولايات المتحدة هنرى كيسنجر (Walker, 1977) وقد ربط الباحثون تلك الشفرات الإجرائية بالسلوك السياسى (خاصة فى السياسة الخارجية) (انظر مراجعة لهذه الدراسات فى: (Walker, Schafer & Young, 1999).

وفى تحليلاتهم لقرارات معينة تتعلق بالسياسة الخارجية يستخدم الباحثون أحياناً المفهوم الأوسع وهو الخريطة المعرفية وقد وظف كلٌ من والكر وواطسون (Walker & Watson, 1992)، على سبيل المثال، عديدًا من المقاييس المعرفية المختلفة فى دراسة رئيس وزراء بريطانيا نيفل شامبرلين Neville Chamberlain فى أزمة ميونيخ عام ١٩٣٨ وأزمة بولندا عام ١٩٣٩)انظر أيضا Walker & Watson, 1994) حيث كانت الدرجات أكثر ارتفاعا على بعض (وليس كل) المقاييس بالنسبة للحل السلمى لأزمة ميونيخ، بينما أظهرت النتائج بشكل عام نمو " التفكير الجماعى" تحت ظروف الضغط.

البناء المعرفى والأسلوب المعرفى

يُعد التركيب المعرفى واحدًا من أكثر الخصائص البنائية أو الأسلوبية فى الشخصية تعرضًا للدراسة الموسعة. هل يعالج القادة المعلومة بطرق مبسطة، مركزين على وجهة وحيدة من النظر فقط أو اختيارات الأبيض والأسود؛ أم أنهم يتعرفون على وجهات النظر المختلفة وربما يدمجونها فى وجهة نظر مركبة أكثر اتساعا؟ يعكس مقياس *التركيب التكاملى* *integrative complexity* الذى طوره سويد فيلد وزملاؤه (Suedfeld, Tetlock & Streufert, 1992; see also Tetlock. 1993) هاتين العمليتين التمايز والتكامل. كما درس الباحثون التعقد التكاملى فى عدد من المجموعات المتباينة من القادة

السياسيين: رؤساء الولايات المتحدة الأمريكيـــة (Tetlock, 1981 b)، ونـــواب الكـــونجرس (Tetlock, 1981a, 1983) وقـــضاة المحكمـــة العليـــا (Tetlock, Bernzweig, & Gallant, 1985) وأعضاء مجلس العموم البريطـــانى (Tetlock, 1984) ورؤساء وزراء كندا (Suedfeld, Conway, & Eichhorn, 2001) والثوار الناجحين مقابل الثوار غير الناجحين (Suedfeld & Rank, 1976) والـــسياسيين السوفيت المحافظين والمجددين خـــلال عـــام ١٩٨٠ (Tetlock & Boettger, 1989) والنخبة المسئولة عن السياسة الخارجية السوفيتية والامريكيـــة فـــى الفترة من السبعينيات حتى الثمانينات المبكـــرة (Tetlock, 1985) وتتـــضمن قائمة الأفراد المتميزين الذين تم تقييم مستويات التعقد التكاملى لديهم رئـــيس الولايات المتحدة بيل كلينتون (Suedfeld, 1994) ورئيس الاتحـــاد الـــسوفيتى ميخائيل جورباتـــشوف (Wallace, Suedfeld & Thachuk, 1996 Tyler, 1996) ورئيس وزراء بريطانيا وينـــستون شرشـــل Winston Churchill (Tetlock & Tyler, 1996).

يشير تحليل المضمون الخطابى لجماعات المناهضة أو الدعوة إلى أن مستوى التعقد التكاملى ينخفض عند التعامل مع القضايا المحملة انفعاليًا مثل العبودية (Tetlock, armor & Peterson, 1994)، والإجهـــاض (Dillon, 1993). وربما صح هذا الانخفاض بشكل عام بالنسبة للجماعات "الإيديولوجية" مقابل الجماعات "النفعيـــة" (Suedfeld, Bluck, loewen, & Elkins, 1994)، فيـــنخفض التعقد التكاملى عند الجماعات المتطرفة عنه فى جماعات الوســـط، وذلـــك بلاشك لأن جماعات الوسط قد تتوافق مع عناصر من مواقف كلا الجماعتين الطرفيتين وبالتالى تخبر صراعًا شديدًا بين القيم المتنافسة. وفى السياسة قـــد لا تُعد المستويات العليا من التعقد المعرفى من الفضائل دائمًا: فيمكن القـــول إن هاملت شكسبير، على سبيل المثال، كان أكثر تعقيدًا مما كـــان مطلوبًـــا لصالحه هو شخصيًا.

واتساقًا مع هذه النتائج، يميل التعقد التكاملى أيضا إلى الارتفاع فى الصراعات التى تُحل بشكل سلمى مقارنة بالصراعات التى تُصعَّد لدرجة نشوب حرب (Guttieri, Wallace, & suedfeld, 1995; suedfeld & Tetlock, 1977; suedfeld, Tetlock & Ramires, 1977, suedfeld et al, 1993)

الأسلوب الشارح

طور بيترسون وسيليجمان وزملاؤهما (انظر Peterson. 1992) مقياسًا لتحليل المضمون يقيس ميل الأفراد إلى شرح الأحداث – خاصة الأحداث السيئة – بأسباب "تفاؤلية " (خارجية، مؤقتة، نوعية) مقابل أسباب "تشاؤمية" (داخلية، مستمرة، شاملة) وقد وجدا أن المتفائل يتنبأ بالنصر بالنسبة للمرشحين لرئاسة الولايات المتحدة (Zullow & Seligman) أما بالنسبة للقادة القوميين فقد ارتبط التفاؤل بتصعيد الأزمات والعدوانية (Satterfield & Seligman. 1994 Zullow, Oetting, Peterson & Seligman, 1988)، كما وجد زولو (Zullow, 1991) أن التغيرات فى مستوى التفاؤل فى كلمات الأغانى الشعبية الرائجة تتنبأ بتغيرات تالية موازية فى تفاؤل المستهلكين وبالتالى فى أداء الاقتصاد القومى.

المتغيرات المعرفية النوعية

تُعد التسلطية التى يمكن فهمها بوصفها مجموعة من المعتقدات أو نسقًا اعتقاديًا – عن السلطة والمبادئ الأخلاقية والنظام الاجتماعى – واحدة من أكثر متغيرات الشخصية التى خضعت للدراسة. وفى بحوث الجماعات تُقاس التسلطية فى العادة باستبيان التسلطية اليمينية لألتميير (Altemeyer, 1981, 1996) Right-wing authoritarianism (الذى يُعد تحسينًا وبديلاً أفضل من مقياس F الكلاسيكى الذى طوره أدرنو وآخرون Adorno et al., 1950)

أظهرت كثير من الدراسات أن التسلطية تــرتبط بالخــضوع "للــسلطات"، وبالتعصب ضد جماعات متنوعة تُدرك على أنها "مختلفــة"، وبالاســتعداد لقبول العنف دفاعًا عن المبادئ الأخلاقية التقليدية وعن الوضع الراهن (انظر Meloen, 1983, 1993 and winter, 1996. ch. 7 للاطلاع على مراجعات خاصة بالأوجه السياسية للأدبيات التسلطية)، وبالإضافة إلى ذلك فإنه عندما تُصاغ قضية بأساليب تُدمج الأبنية الرمزية للتسلطية فيها فإن درجات استبيان الـــ RAW أو مقياس F غالبًا ما ترتبط بمواقف هذه الأبنية (انظر علــى ســبيل المثــال Peterson, Doty, & winter 1993) وفـــي الــسنوات الأخيــرة طــوّر سيدانويس وزملاؤه (Sedanius & pratto, 1999) مفهومًا له علاقة بالتــسلطية هو مفهوم اتجاه السيطره الاجتماعية لقياس اعتقاد الأفراد فى شرعية القمــع والهرمية (الهيراركية) داخل الجماعة ويقدم الفصل السادس عــشر تفــصيلاً لكلا المقياسين.

على الرغم من عدم وجود مقياس مباشر لقياس التسلطية عن بعــد إلا أن المقاييس الثلاثة التى استخدمتها هيرمـــان (Hermann. 1999, 1987, 1980) فى دراساتها المتوسعة للقادة السياسيين – العرقية (التمركز حول العــرق)، والتعقد المعرفى المنخفض وانعدام الثقة – يمكن أن تستخدم كمقياس تقريبى للتسلطية. كما طورت هيرمان أيضا مضمونًا لمتغيرين معــرفيين آخــرين: التحكم الداخلى فى النتائج والثقة فى الذات.

المعارف المرتبطة بالذات

ربما تُعد مفاهيم الأفراد عن ذاتهم أكثر الأبنية المعرفية أهمية بالنسبة لهم، حيث إن تصوراتهم عن "من هم" وكذلك عن "ما هم" تؤثر فى الغالــب على كل وجه من أوجه قراراتهم وأفعالهم السياسية ووضع الأهداف، البحــث عن النصيحة والاستشارة واســتخدامها، والاســتجابة للمــردودات الــسلبية

والإيجابية. كما يستخدم علماء السياسة، لاسيما أولئك الذين يدرسون العلاقات الدولية، مصطلح الهوية للإشارة إلى مفهوم الذات. ولقد كان عـــالم الــنفس إيريك ايركسون هو أول من قدم هذا المصطلح (Erikson, 1963, 1980) بالفعل ليشير إلى العلاقة بين "كيف يرى الأفراد أنفسهم" و"كيف يبدون فى عيـــون الآخرين" (Erikson, 1963, p. 228)، إلا أنه تبعًا لتاجفل (Tajfel, 1981) يستخدم كثير من المتخصصين فى علم النفس الاجتماعى مصطلح "الهوية الاجتماعية" للإشارة إلى هذه الأوجه من مفهوم الذات المشتقة من عـــضوية الجماعـــة. والمفهوم المرتبط بمفهوم الذات هو "تقدير الذات" أو تقييم الأفراد لمفهـــومهم عن ذاتهم. كما ضمنت هيرمـــان (Hermann, 1987b. 1999) مقياسًـــا للثقـــة بالنفس، وهو مفهوم مرتبط عن قرب بمفهوم الذات، فـــى نظامهـــا لتقيـــيم شخصيات القادة السياسيين.

على الرغم من أن الأفراد لديهم مفاهيمهم الذاتية عن أنفـــسهم فـــإنهم يقدمون أنفسهم أيضا للعالم الخارجي. وقد طور شوتز (Schutz. 1993. 2001) مقياسًا لتحليل المضمون يقيس أساليب تعد بدائل متاحة لتقديم الذات (توكيدى، وعدوانى، ودفاعى(واستخدمها فى تحليل القـــادة الـــسياسيين الألمـــان عـــام ١٩٩٠.

يتضمن مفهوم الاضطراب النرجسى (والذى يرتبط به أيضا مفهـــوم "النرجسية المرضية") انظر (Post, 1991) المشتق من نظرية التحليل النفـــسى خاصة أعمال كوهوت (Kohut, 1985)، يتضمن جملة معارف معينـــة عـــن "الذات": العظمة (بالتناوب غالبًا مع الإذلال)، وشعور الفرد بكونه "مميـــزًا" وذا مؤهلات خاصة، واستغلال الآخرين، ونقص التعـــاطف، والميـــل إلـــى الغضب عند مواجهة الإحباط (طبقًا لكوهوت فإن الحكمة وحس الفكاهة هما المقابلان للنرجسية)، وتتعالق النرجسية بوضوح (post. 1993a. 1997) مع فهم عدد من القادة، مثل ماوتسى تونج (Sheng, 2001)، وصـــدام حـــسين (Post.

1991) – وربما بشكل خاص كلما تقدموا فى السن (Post, 1993b). فماو كان مثلا مخططًا ناجحًا فى السنوات المبكرة والمتوسطة من حياته. واستخدم شينج (Sheng, 2001) مفهوم النرجسية ليفسر التدهور فى فعالية ماو خلال أواسط الستينيات من حياته (خاصة بعد ١٩٥٦)، فخلال هذه السنوات، ازدادت أحاسيس العظمة لديه مما جعله يغالى فى تقدير الموارد ويتجاهل الصعوبات وكانت النتيجة سلسلة من الخطط العقيمة غير الواقعية مثل حركة التصنيع الخطيرة المتعلقة "بالقفزه العظيمة إلى الأمام" من عام ١٩٥٨ إلى ١٩٦٠ وأزمة مضايق تايوان عام ١٩٥٨. وبالتالى زادت الإخفاقات الحتمية من البارانويا والشعور بالعظمة لدى ماو كما ظهر فى الثورة الثقافية من عام ١٩٦٦ إلى ١٩٧٦.

يُعد مفهوم "الذات self" شديد الشيوع فى علم النفس علم النفس السياسى الغربى، وهو مشتق من التقاليد الفلسفية الغربية المرتبطة بالفردية ومتعلق بشدة بكثير من خصائص المجتمع الصناعى الغربى. وقد أشار ماركوس وكيتايما (Markus & Kitayma, 1991)، امتدادًا للعمل الرائد لهوفستد (Hofstede, 1980) الذى صاغ فيه من النسخة المبكرة لعمل هوفستد (1980) التمهيدى الذى صاغ من خلاله بعد الفردية – الجمعية كبعد كبير متعلق بالاختلاف الثقافى (انظر أيضا Triands, 1995) إلى أن كل الجماعات لا تفسر "الذات" بطريقة واحدة؛ ففى الغرب، بلاشك، يفسرون الذات كهويه فرديـة، منفصلة ومحددة تحقق إمكانيات الفرد وتجاهد من أجل الأهداف الشخصية، بينما يوجد فى عديد من الثقافات الأخرى تصور مغاير للذات – يؤكد على العلائقية، والتناغم، وشغل المكان المناسب، وأهداف الجماعة.

حتى بين القادة والشعوب الغربية "الفردية" ترتبط تصورات الذات – رغم ذلك – بالأبعاد المتباينة *للهوية الاجتماعية*: (see Brewer & Gardner. 1996): إن عضويتنا فى جماعتنا الثقافية، والاجتماعية، والمؤسسية تُعد مكونًا مهمًا فى كينونتنا (انظر أيضا الفصل الخامس عشر).

القيم values

كما أشار ستانلى فيلدمان فى الفصل الرابع عشر؛ فإن القيم والإيديولوجيا تُعدان إطارًا تنظيميًا لدراسة الاتجاهات والآراء، إلا إننى فى هذا الفصل انظر إلى القيم فى علاقتها بالدوافع أساسًا. فالقيم والدوافع كلاهما يشير إلى حالات نهائية مشتركة يشعر الناس بأنها تستأهل اتباعها وحمايتها، ومع ذلك تُعد القيم تصورات مفصلة بوعى عن الفضائل الأساسية، أما الدوافع فربما لاتكون فى الوعى؛ وقد لا تكون مقبولة أيضا على الرغم من أننا نستجيب لها أحيانًا. وعندما لاتتفق القيم والدوافع سيكون هناك "تسربات" (عندما تتحرك الداوفع بعيدًا عن القيم) وسيكون "هناك إخفاقات" (عندما لاتكون القيم مدعومة بالدوافع)، أو بألفاظ الاعتراف الانجيليكى العام فإننا نكون فى الحالة الأولى وكأننا "نفعل تلك الأشياء التى لم يكن يجب أن نفعلها" بينما نكون فى الحالة اللاحقة كما لو أننا "نترك" فعل تلك الأشياء التى يجب أن نفعلها"، ومع ذلك فالقيم الشعورية ليست قليلة الأهمية بالنسبة لكل من القادة والجماعات؛ فالقيم توفر "الأوتاد" المعرفية المحملة انفعاليا والتى تعلق عليها السياسات فى المجالات الحيوية مثل الاقتصاد، والتعددية، والحرب.

ابتداء من عام ١٩٩٠، بدأ علماء النفس وعلماء السياسة فى إجراء دراسات ضخمة وعلى جنسيات متعددة لدراسة عدد من المعارف التى يمكن أن تسمى مجمعة "القيم". فقد قام إنجلهارت (Inglehart 1997) على سبيل المثال، بعمل مسح على أفراد من ٤٣ دولة لرسم مسار الانتقال من القيم الحداثية أو "المادية" إلى القيم "بعد المادية" كما نظم شوارتز(Schwartz, 1994 see also Schwartz & Bardi 2001) بمساعدة عدد كبير من المساعدين، دراسة مستمرة للقيم فى ٦٣ دولة، باستخدام مسح مكون من ٥٦ بندًا، ويقرر شوارتز Schwartz وباردى Bardi (Schwartz & Bardi, 2001) أن ٤٥ قيمة

نوعية عبر الدول تنتظم فى عشرة "أنماط قيمية" عريضة: السلطة، والإنجاز، والمتعة، والاستثارة والتوجه الذاتى، والعالمية، والخيرية، والعرف، والامتثال. (وهناك غيرها كثير من القيم كالأمن واحترام الذات والصداقة والحياة الروحية والصحة، التى لاتتساوى فى المعنى عبر الشعوب والأمم) وقد ناقش شوارتز وباردى حالات سنغافورة والتى ارتفعت فيها قيم الأمن والمجاراة والعرف، والولايات المتحدة والتى ارتفعت فيها قيم الإنجاز والمتعة والقوة بشكل (pp. 284 – 287). هذا مثال واحد عن كيف أن مثل هذه البيانات الضخمة يمكن استخدامها لفهم بعض أوجه الشخصية لجماعات وأمم معينة. كما أنه مع نشر الإحصاءات الوصفية المقارنة لدول مختلفة فإنه سيكون بمقدور المتخصصين فى علم النفس السياسى عمل بروفيلات مقارنة ضمن فهمهم للخصائص الشخصية المتعلقة بالسياسة على مستوى الجماهير. فقيم الدولة كتمثلات واعية للمبادئ المرشدة (ما يُعتبر مرغوبًا اجتماعيًا "الواجب") يمكن أن يُقابل بالدوافع الضمنية (ما هو مرغوب بالفعل) المقيسة من خلال تحليل مضمون الوثائق الثقافية (انظر McClelland. 1961, 1975).

السياقات الاجتماعية والسلوك السياسى

كل الشخصيات – القادة، والتابعون، ورؤساء مجلس، وزراء دبلوماسيون، والمشرعون، والجماهير– توجد فى سياقات اجتماعية معينة، والسياق الأكثر بروزًا بالطبع هو سياق المواقف الاجتماعية المباشرة: الأحداث، أو "المثيرات "(التصريحات، أو العروض،أو التهديدات) التى يقدمها الفاعلون السياسيون والاجتماعيون المهمون الآخرون؛ إلى جانب المشكلات، والموارد، والنماذج التى يجب أن توضع فى الاعتبار عند صياغة الاستجابات لهذه الأحداث وغيرها، وهذه السياقات يمكن تسميتها بالسياقات الموقفية الصغيرة. بينما السياقات التى تتضمن مدى أعرض من التأثيرات

على شخصية الفرد: النوع، والمرحلة العمرية، والطبقة الاجتماعية، والعرق، والسلالة، والاقتصاد، والمؤسسات، والثقافة، والتاريخ، والجيل، يمكن تسميتها بالسياقات الكبيرة. وكما أشرت فى البداية فإن الأفراد "يحملون" سياقاتهم الاجتماعية الكبيرة معهم، لذلك يمكن إعتبارها عنصرًا من عناصر الشخصية.

تؤثر السياقات على الشخصية من خلال أربعة طرق رئيسية: أولاً، توفير القوى (أو "المثيرات") التى تتفاعل مع الاستعداد الجينى وتؤثر على مستويات كثير من متغيرات الشخصية. وكمثال، يقوم كل دين على عدد من البنى والممارسات المؤسسية والتعاليم الواضحة والمعتقدات المشتركة، لذلك يتوقع المرء أن الديانات المختلفة ربما تعزز المستويات المتوسطة المختلفة من خصائص الشخصية التى تتعلق بهذه الديانات، لقد كانت مستويات الدافعية للإنجاز أكثر ارتفاعًا لدى الرجال اليهود والكاثوليك منها لدى البروستانت فى الولايات المتحدة أواسط الخمسينيات (انظر Veroff. Feld. & Gurin, 1962). ثانيًا، تمدنا السياقات بشبكة من المعانى والأعراف والعلاقات التى تنصهر فيها الشخصية والسلوك وتبعا لها نحدد ما هو "سوى" وما هو مرضى. فمثلاً يميل كثير من الأمريكان إلى اعتبار الانبساطية صحية وتكيفًا جيدًا بينما يعتبر كثير من الصينيين الانطوائية سواءً ويعتبرون المستوى المرتفع من الانبساطية انحرافًا بسيطًا عن السواء ثالثًا، قد تنفرد بعض الثقافات بخصائص شخصية معينة، أو على الأقل قد تشيع فيها للدرجة التى يمكن أن تعد معها هذه الخصائص "نموذجية" بالنسبة لثقافة ما من أمثلة ذلك فى جنوب شرق آسيا، الأموك amok (حالة من الإثارة شديدة الهياج ومدمرة) و" الكورو Koro (اعتقاد الرجل أن قضيبه ينسحب إلى داخل بطنه). أو "الأماى amae" (الإحساس بالتبعية المرغوبة فى اليابان) (انظر Barry. Poortinga, Segall. & Dasen. 1992. pp. 89-93)؛ أخيرًا فإن السياقات الاجتماعية تُعد قناة للتعبير عن جميع خصائص الشخصية، فترتبط

الانبساطية، مثلاً، بتناول القهوة والتدخين، لكن المورمونى التقى ذا الشخصية الانبساطية لايحب أن يفعل ذلك لأن هذه الافعال محظورة من قبل ديانته.

كمثال أكثر شمولاً، انظر إلى متغيرات الشخصية كالدافعية للسلطة وأسلوب التأويل التفاؤلي والانبساطية ويقظة الضمير. إن كلاً منها معرّف بوضوح، وله صدق بناء جدير بالاعتبار، بمعنى أنه مرتبط بمجموعة مميزة وواضحة من السلوكيات التى يمكن ملاحظتها. ثم تخيل كيف أن كل واحد من هذه المتغيرات سيتم التعبير عنه بشكل مختلف فى صباح ٦ يونيو، عام ١٩٤٤ من خلال شخصين فى الموقفين التاليين:

(١) رجل أمريكى أبيض يبلغ من العمر عشرين عاما يقتحم " شاطئ أوتاه Utah Beach " أثناء غزو نورماندى فى فرنسا فى الحرب العالمية الثانية.

(٢) سيدة أمريكية من أصل يابانى فى منتصف العمر فى مخيم اعتقال أقامته الحكومة الأمريكية فى بداية الحرب فى صحراء أوتاه من أجل المدنيين والسكان من أصل يابانى. وحيث إننا ندرك، بالتأكيد التأثيرات العديدة للسياقات المتناقضة على التعبير عن متغيرات الشخصية الأربع هذه، فإننا ربما نستطيع أن نتعرف أيضا على كل من هذه المتغيرات فى كلا السياقين. والحقيقة التى نستطيع توضيحها هنا هى الحاجة إلى اعتبار السياقات الكبيرة عنصرًا مكملاً للشخصية.

الشخصية فى سياقات معينة

غالبًا ما يُعد تفسير سلوك الأفراد المتعلق بالسياسة وفى إطار سياقاته الاجتماعية من مهام علم النفس الاجتماعى (Nisbett, 1980)، أو علم الاجتماع السياسى (Faulks, 2000) أو الأنثربولوجيا السياسية (Lewellen , 1992) أكثر

منه من مهام علم النفس السياسى. وبالطبع تعد تأثيرات السياقات *السياسية* المختلفة على سلوك القائد فى دائرة اختصاص علم النفس السياسى نفسه. وكما أشرت فى بداية هذا الفصل، فإن هناك مؤشرات على أن علماء نفس الشخصية يدفعون إلى الاهتمام من جديد بتأثيرات السياق. وبالتالى يكون من المناسب أن نذكر باختصار بما تم داخل علم النفس السياسى، وأن نقوم بمسح لبعض المفاهيم الجوهرية، ومن ثم نقترح مجالات للبحث المستقبلى- لأن ذلك يتعلق بالفهم الكامل للشخصية والسلوك السياسى. وأنا فى هذا الفصل أذكر بعض هذه الاحتمالات فحسب، مشيرًا إلى بعض الدراسات المتعالقة. وبشكل عام، هناك القليل من الصعوبات فى تقييم السياقات الاجتماعية للأفراد لأن ما يمكن أن نعزو إليه سلوكهم، أدوارهم الجنسية، وثقافتهم، والخلفية التاريخية لثقافتهم وجيلهم هى مما يمكن معرفته أو تعلمه بسهولة: أما وقد عرفنا هذا؛ فإن التضمينات الخاصة بتكوين الشخصية والمتغيرات التى تعبر عنها، لاسيما فى السياقات السياسية، يمكن استنباطها من الأدبيات المختلفة التى تركز بشكل محدد على هذه السياقات.

تُناقش بالتفصيل فى الفصل السابع عشر تضمينات *النوع* بالنسبة لعلم النفس السياسى. كما يمكن العثور على مصادر إضافية للدراسة الحديثة عن النوع والمتعلقة بشكل محدد بتساؤلات علم النفس السياسى (Clinchy & Norem, 1995; Duerst-Lahti & Kelly, 1995; Vianello & Moore, 2000) وكذلك، وبشكل خاص، سلاسل التحليل المتعدد meta-aualysis التى تقوم بمراجعة الأبحاث عن الدور الجنسى والقيادة والتى قامت بها إيجلى وزملاؤها (aril & Eagly, 1999; Eagly, 1999; Eagly & Johnson, 1990; Eagly & Karau, 1991; Eagly, Karau, & Makhijani, 1995; Eagly, Makhijani, & Klonsky 1992).

إن أفعال واختيارات عديد من القادة من *لير شكسبير إلى* نيلسون مانديلا يمكن فهمها فى إطار *أعمارهم* أو *مرحلة دورة حياتهم*. (انظر الفصل الثالث أيضا). ويمدنا إطار عمل أريكسون (Erikson, 1963, 1997) مع مفاهيم "الهوية المرتبطة بالمرحلة" (Erikson, 1959 / 1980) والجيلية (Erikson, 1986 Erikson, & Kivnick) بإطار تنظيرى مفيد لفهم التضمينات النفسية السياسية المتعلقة بمراحل الحياة. وقد ناقش بوست (Post, 1980, 1993) الطرق التى يمكن لمرحلة الحياة بشكل عام، والتأثيرات الثقافية والعصبية على العمر خاصة، أن تؤثر من خلالها على القادة السياسيين.

بينما استنفذ التعاون بين علم النفس والأنثروبولوجيا فى باكورة القرن العشرين مساره حول عام ١٩٦٠، وهو التعاون الذى عرف باسم "الشخصية والثقافة" وذلك بسبب الصعوبات المنهجية والمفهومية (انظر Inkeles & Levinson, 1969, Singer 1961) فقد وضع هذا التعاون الأساس لمزيد من الدراسات التالية الأكثر شمولية وتعمقًا عن الفروق الثقافية والقومية والمصوغة فى مفاهيم متنوعة من قبيل "الشخصية القومية" و"الشخصية النموذجية" (Inkeles, 1997) أو "الثقافة السياسية (Pye, 1991, 1997) وقد برهن رنشون وديكيت (Renshen & Duckitt, 2000) حديثا على أن أحداث التسعينيات – على سبيل المثال، انهيار الشيوعية فى أوربا الغربية، وصعود السياسات العرقية (العنيفة غالبًا)، وعولمة الحياة الاقتصادية – أعادت الاهتمام العلمى بالأساسيات الثقافية للسياسات التحديثية والديمقراطية (انظر أيضا Renshon & Duckitt, 1997). ويمكن للدراسات التى تناولت السمات والدوافع والقيم على مستوى الجماهير والتى ذكرناها آنفًا أن تمدنا بأساليب لوصف الثقافة السياسية بمصطلحات إجرائية.

يُعد بحث هوفستد (Hofstede 1980, 2001) عن "أبعاد الثقافة" الذى اعتمد على بيانات أكثر من ٨٨ ألف موظف فى شركة متعددة الجنسيات

علامة تحول بالنسبة للدراسة العلمية المقارنة للسياقات الثقافية. ومن خلال جمعه لنتائج المسح وبيانات المؤشرات الاجتماعية وبحوث كثير من الباحثين الآخرين، حدد هوفستد أربعة أبعاد أساسية تختلف الثقافات أو الأمم تبعًا لها: الارتفاع مقابل الانخفاض فى المسافة الفاصلة بين الأفراد والسلطة والفردية مقابل الجماعية، وتحمل اللا تأكد، وارتفاع مقابل انخفاض التمييز بين الذكور والإناث (لقد سمى هوفستد فى الواقع هذا البعد الرابع "الذكورة" على الرغم من أن هذه التسمية تتضمن المتغيرات التى تحمل التمييز بين النساء والرجال – فى الأدوار الجنسية، والتنشئة الاجتماعية للدور الجنسى والوظائف وأهداف العمل والتعليم المرتفع المستوى بينما "الدور الجنسى" كما أستخدمه هنا، يبدو أكثر تفضيلا من حيث الدقة والإحكام) وقد أشار هوفستد (Hofstede. 1999) حديثا، إلى أن تأجيل الإشباع ربما يشكل بعدًا خامسًا خاصًا بالثقافة. وقد ألقى علماء النفس جل اهتمامهم بالبعد الثانى لهوفستد (الفردية – الجماعية) (Markus & kitayama. 1991; Triands. 1995) لكن الأبعاد الأخرى تتساوى فى الأهمية لفهم التباينات الثقافية والقومية فى الحياة السياسية وديناميات الشخصية والتعبير عنها.

بالطبع تتجاوز التباينات الثقافية المتعلقة بالتعبير عن الشخصية كل هذه الأبعاد الكلية، فالتصورات الخاصة بمثل هذه المصطلحات الأساسية فى علم النفس السياسى "كالسلطة" و"القوة" ربما تتباين بأشكال مبهمة أو واضحة عبر الأمم والثقافات. فيصف باى (Pye, 1985) التصور "الآسيوى" المميز عن السلطة بأنه مختلف تماما عما يمارسه الفاعلون السياسيون الغربيون: حيث تتضمن اتفاقًا أكثر مما تتضمن منافسة، والقائد معفى من المهام الروتينية المتعلقة باتخذا القرار، وأبنية السلطة مرتبطة مع بعضها بروابط الاحترام والأبوية والاعتمادية بين الراعى والرعية. ويتتبع إهانوس (Ihanus 2001) القادة الروس المعاصرين ومفاهيم السلطة التى تشكلت من خلال التناولات

التاريخية والثقافية مثل السلطة المطلقة للفرد (p.131) ونشوة الخضوع إلى القائد الكاريزمى (p.133) وانتقال القيادة من خلال الإطاحة بالقائد(p.134)

فى السنوات الأخيرة زاد اهتمام علماء النفس والاجتماع بمفهوم *الجيل* (أو ما تجمعت عليه وتميزت به عقول جيل معين) اعتمادا على دراسة Mannheim (1928 / 1952) الكلاسيكية (Kertzer, 1983, Schuman & Scott, 1989)، انظر الفصل الثالث أيضا وقد أرَّخ - للقارئ العام - شتراوس وهاو (Straus & Howe, 1991) لتاريخ الولايات المتحدة وذلك من المناظير المختلفة لـ ١٣ جيلاً. وقد كان ما اجتمع عليه وتميز به جيل X (الذين ولدوا ما بين عامى ١٩٦٥ و١٩٧٨) موضوعًا للتحليل المكثف فى وسائل الإعلام العامة. ومع ذلك قام أوتنر (Otner, 1998, 2003) بدراسة اثنوجرافية جادة لجيل X وآبائه الذين هم غالبًا من جيل الخمسينيات الصامت.

قام ستيوارت Stewart (انظر Stewart & Healy, 1989) بتفصيل مفهوم مانهيم داخل نموذج لفهم تأثيرات الأحداث التاريخية والتوجهات الاجتماعية بمعنى: (١) مدى انحراف الحدث أو التوجه عن الخلفية التاريخية المباشرة (٢) المرحلة العمرية للشخص فى الوقت الذى يخبر فيه الحدث أو التوجه؛ وبالتالى فإن أحداثًا مثل الحروب العالمية الأولى والثانية، أو حركة الحقوق المدنية كانت تأثيراتها مختلفة تمامًا بالنسبة للأفراد فى أعمار مختلفة.

نحو دراسة متعددة الأبعاد ومتكاملة للشخصية

الشخصيات مركبة وفى حين أن الباحثين فى الشخصية مازالوا يبحثون عن الطريقة البحثية والعمليات الإحصائية المثلى للتعامل مع مثل هذا التركيب، نستطيع عرض خط إرشادى عام: إذا كانت الشخصية تُفهم كتوليفة من العناصر المختلفة (والمستقلة)، بالتالى فإن التقييم الأكمل للشخصية الجماعية أو الفردية، وأكثر التنبؤات من الشخصية إلى السلوك السياسى دقة،

سوف يتم من خلال استخدام تجميعات من المتغيرات مع تفضيل المتغيرات المشتقة من عناصر مختلفة للشخصية.

وكمثال، طورت هيرمان (Hermann, 1987b, 1999) طريقة لبناء، بروفيلات شخصية متعددة الأبعاد ومتكاملة للقادة السياسيين من درجاتهم على عدد من المتغيرات الأساسية المختلفة المتعلقة بالدافعية والسمات والأساليب المعرفية كما هو معروض فى جدول [٤– ٤] وهذه التوجهات المحددة مركزة على اتجاهات السياسة الخارجية للقادة وسلوكهم، وربما تكون مفيدة أيضا فى تصنيف الأنماط السياسية بشكل عام[٩٢]. ومع تأكيدها على تجميعات وتفاعلات متغيرات الشخصية المتمايزة تقترح هيرمان أيضا سلاسل من العوامل الأخرى، تتضمن المتغيرات الموقفية التى تعدل أو "تصفى أو ترشح"، تأثيرات الشخصية على السلوك السياسى. فمثلاً:

جدول [٤ – ٤]

توجهات الشخصية ومتغيراتها الأساسية

Personality orientations and their component variables

التوجه Orientation	التعريف Definition	المتغيرات الأساسية Component variables
التوسعى Expansionist	الاهتمام بالسيطرة على مزيد من المناطق أو الموارد أو الأفراد	– الدافعية للسلطة – القومية nationalism – الاعتقاد فى القدرة على السيطرة على الأحداث. – الثقة بالنفس. – الارتياب distrust. – التوجة نحو المهمة task orientation.

(٩٢) أصبح علم المنهج لهرمان Hermann's methodology مُتاحًا من خلال أتوماتيكية العلم الاجتماعى social science automation من خلال موقعة على الانترنت http: socialscienceautemtion مع وصف تفصيلى فى http: // socialscienceautomation com/lta PDF (المؤلف)

الاستقلال النشط Active independent	الاهتمام بالمشاركة في المجتمع الدولي ولكن بطريقة الفرد الخاصة بدون الدخول في علاقة اعتمادية مع دولة أخرى.	- الدافعية للانتماء. Affiliation motivation - القومية. - الاعتقاد في القدرة على السيطرة على الأحداث. - التركيب المعرفي cognitive complexity. - الثقة بالنفس. - التوجه نحو المهمة.
التأثيري Influential	الاهتمام بترك تأثير على السلوك السياسي الخارجي للدول الأخرى، والاهتمام بلعب دور القيادة في النشاطات الإقليمية regional والدولية international.	- الدافعية للسلطة. - الاعتقاد في القدرة على السيطرة على الأحداث. - التركيب المعرفي. - التوجه بين الشخصي Interpersonal orientation
المعدل/ المكمل Mediator/ Integrator	يركز على تسوية الخلافات بين الدول الأخرى، مع حل المشكلات على الساحة الدولية.	- الدافعية للانتماء. - الاعتقاد في القدرة على السيطرة على الأحداث. - التركيب المعرفي. - التوجه نحو المهمة. - التوجه بين الشخصي.
الانتهازي (النفعي) Opportunist	يهتم بالحصول على فوائد الظروف الراهنة، والتعامل بفعالية مع المطالب والفرص	- التركيب المعرفي. - التوجه بين الشخصي

	فى اللحظة الراهنة، ويهتم بكونه نفعيًا (مناسب) in being expedient.	- الدافعية للانتماء. - القومية. - التركيب المعرفى. - الثقة بالنفس. - التوجه بين الشخصى.
الارتقائى Developmental	الانشغال بالتحسين المستمر لأمته مع أفضل مساعدة ممكنة من الدول الأخرى أو المنظمات الدولية international organizations	

مصدر معدل عن هيرمان Hermann (1987, pp. 170 – 1731)

يبدو أن الاهتمام القوى بالسياسة الخارجية يضخم تأثيرات شخصية القائد على أفعاله المتعلقة بالسياسة الخارجية، بينما يبدو أن عوامل الخلفية مثل التدريب أو الخبرة السابقة والحساسية للبيئة (التى ربما تعد من مظاهر الشخصية)، تخفض مثل هذه التأثيرات.

وقد تم استخدام نسق هيرمان فى عدد من الدراسات المقارنة: قادة العالم (Hermann, 1980a)، وأعضاء اللجنة التنفيذية فى الحزب الشيوعى السوفيتى أواسط السبعينيات (Hermann, 1980 b)، ورؤساء مجالس الوزراء البريطانيين والألمان (Kaarba. 2001. Kaarba & Hermann, 1998). وقد استخدم هذا النظام أيضا لتوليد بورتريهات شخصية للقادة الأفراد يمكن استخدامها لفهم أفعال أو أحداث تاريخية (على سبيل المثال رئيس الولايات المتحدة ليندون جونسون وحرب فيتنام؛ (انظر Preston & Hart, 1999) أو للتنبؤ بأفعال مستقبلية (على سبيل المثال، رئيس إيران محمد خاتمى؛ انظر Taysi & Preston, 2001).

وفى تقييم جمعى فريد طبق فيه كل من وينتر Winter، وهيرمان Hermann، وواينتروب Waintraub، ووالكر Walker (1991b) طريقته الخاصة

فى قياس الشخصية وذلك لعمل تقييمات مقارنة لرئيس الولايات المتحدة جورج إتش دبليو بوش والرئيس السوفيتى ميخائيل جورباتشوف، مع متابعة لاحقه لتنبؤات المقالة الأصلية (Winter, Hermann, Waintraub & Walker, 1991a).

مستقبل التقييم عن بعد

درس فى التواضع

مع النمو المطرد فى استخدام الأنظمة الرقمية فى تحليل المحتوى اللفظى، ربما نتوقع أن ترتقى فى المستقبل إجراءات التسجيل الكمبيوترى لمزيد من خصائص الشخصية على الرغم من أن الحساسية والتعقيد المتناهى للغة الإنسانية ترجح أن هذه التوقعات بعيدة وصعبة المنال جدًا، أكثر مما يتخيله المتفائلون. وفى الوقت نفسه، يجب علينا إدراك أنه حتى فى ظل أفضل المقاييس يجب أن تكون التنبؤات بسلوك القادة السياسين مقترنة بالعبارات المشروطة أو الشرطية" "إذا/ إذن" (Wright & Mischel, 1987, 1988) بعبارة أخرى فإن تأثيرات شخصيات القادة ستعتمد دائمًا على المواقف التى سيجدون فيها أنفسهم – ورسم الشخصية بذاتها لا يتنبأ أبدًا بهذه المواقف ذاتها.

فمثلاً، فى متابعتهم لتحليلهم المبكر لبوش وجورباتشوف انتهى وينتر Winter وزملاؤه (1991A) إلى أن تنبؤاتهم المبكرة يجب أن تكون "محددة بشروط" لتأخذ فى الاعتبار التغيرات فى الموقف، وبالتالى فقد وصفوا جورج إتش دبليو بوش كـ "صانع سلام، مهتم بالتنمية، ولا يسعى إلى غاياته السياسية من خلال العنف أو الحرب" (Winter et al. 1991b, p. 237) ومع ذلك هدد بوش فى خريف عام ١٩٩٠ باستخدام الحرب العسكرية ضد العراق، وفى يناير عام ١٩٩١ بدأ هذا الرئيس المدفوع بالانتماء - حربًا مدمرة أو

(وإن كانت برحمة الله قصيرة). وبالطبع كان الغزو العراقى للكويت فى أغسطس عام ١٩٩٠ السبب القريب للسياسة العدوانية لبوش، وذلك لم يكن بالتأكيد مُتنبأً به من خلال أية معلومة عن شخصية بوش ومع ذلك، فكثير من الخصائص المسلم بها لسياسة بوش وشنه للحرب يمكن استنتاجها من بورتريه الشخصية الذى رسمه وينتر Winter وزملاؤه (1991b): الاندفاعية، والغضب، وردود الأفعال الدفاعية تجاه التهديد المُدرك، وتحويل الآخرين غير المشابهين إلى شياطين، وبناء التحالف مع الآخرين المشابهين عن طريق التواصل الممتد

مثل هذه *التنبؤات المشروطة contingent أو الشرطية* تأخذ الشكل العام التالى: الشخص X (أو أفراد نمط الشخصية x، أو الأفراد المرتفعين على المتغير x)، تحت شروط معينة Y من المحتمل أن يقوم بفعل معين Z. وفى المقابل فإن "التنبؤ المطلق للشخصية" سوف يدعى أن الشخص X سيقوم بالفعل Z دون الرجوع لأية شروط أو سياق، أو فإن "التنبؤ الموقفى المطلق" سوف يدعى أنه فى ظل الشروط X سيقوم كل الأفراد بالفعل Z وقد أشار رايت Right وميشيل Mischel (1988 ، 1987) إلى أن أغلب متغيرات الشخصية هى فى الواقع عناقيد من الجمل الشرطية "إذا / إذن"، و"إذن" هذه هى تنبؤات بما سيفعله الشخص فى ظل (الشروط المناسبة" [٩٣](pp.1159, 1161)

---

(٩٣) بالفعل، يُعد نفس الشئ صحيحًا بالنسبة لأغلب البناءات العلمية، فكما يشير suggest رايت Wright وميشيل Mischel: الشئ " القابل للذوبان soluble " (أى "سمة trait " القابلية للذوبان solubility)لاتشير إلى تحرك المادة بشكل عام بل تصف أكثر وضع محدد لاتجاهات الفعل- الموقف حيث إنها، تذوب عندما تُغمر فى السائل (١٩٨٧, P. 1160) (المؤلف)

References

Adorno, T. W., Frenkel-Brunswik, E., Levinson, D. J., & Sanford, R. N. (1950). *The authoritarian personality*. New York: Harper.

Aliotta, J. M. (1988). Social backgrounds, social motives and participation on the U.S. Supreme Court. *Political Behavior, 10*, 267–284.

Allport, G. W. (1961). *Pattern and growth in personality*. New York: Holt, Rinehart, and Winston.

Almond, G. A., & Verba, S. (1989). *The civic culture: Political attitudes and democracy in five nations* (2nd ed.). Newbury Park, CA: Sage.

Altemeyer, B. (1981). *Right-wing authoritarianism*. Winnipeg: University of Manitoba Press.

Altemeyer, B. (1988). *Enemies of freedom: Understanding right-wing authoritarianism*. San Francisco: Jossey-Bass.

Altemeyer, B. (1996). *The authoritarian specter*. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Barber, J. D. (1992). *The presidential character: Predicting performance in the White House* (4th ed.). Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall.

Barenbaum, N. B., & Winter, D. G. (2003). Personality. In I. B. Weiner (Series Ed.) & D. K. Freedheim (Vol. Ed.), *Handbook of psychology: Vol. 1. History of psychology* (pp. 177–203). New York: Wiley.

Barrett, P., & Eysenck, H. J. (1984). The assessment of personality factors across 25 countries. *Personality and Individual Differences, 5*, 615–632.

Berry, J. W., Poortinga, Y. H., Segall, M. H., & Dasen, P. R. (1992). *Cross-cultural psychology: Research and applications*. New York: Cambridge University Press.

Block, J. (1961). *The Q-sort method in personality assessment and psychiatric research*. Springfield, IL: Charles C. Thomas.

Block, J. (1995). A contrarian view of the five-factor approach to personality description. *Psychological Bulletin, 117*, 187–215.

Blondel, J. (1987). *Political leadership: Towards a general analysis*. London: Sage.

Boroson, W. (1964). What psychiatrists say about Goldwater. *Fact, 1*(5), 24–64.

Brewer, M. B., & Gardner, W. (1996). Who is this "we"? Levels of collective identity and self representations. *Journal of Personality and Social Psychology, 71*, 83–93.

Buss, A. H. (1989). Personality as traits. *American Psychologist, 44*, 1378–1388.

Buss, D. M. (1987). Selection, evocation, and manipulation. *Journal of Personality and Social Psychology, 53*, 1214–1221.

Byman, D., & Pollack, K. (2001). Let us now praise great men: Bringing the statesman back in. *International Security, 25* (4), 107–146.

Carli, L. L., & Eagly, A. H. (1999). Gender effects on social influence and emergent leadership. In G. N. Powell (Ed.), *Handbook of gender and work* (pp. 203–222). Thousand Oaks, CA: Sage Publications, Inc.

Cheung, F. M., Leung, K., Zhang, J. X., Sun, H.-F., Gan, Y.-Q., Song, W.-Z., & Xie, D. (2001). Indigenous Chinese personality constructs: Is the five-factor model complete? *Journal of Cross-Cultural Psychology, 32*, 407–433.

Clinchy, B. McV., & Norem, J. K. (Eds.). (1995). *The gender and psychology reader*. New York: New York University Press.

Costa, P. M., & McCrae, R. (1992). *The Revised NEO Personality Inventory professional manual*. Odessa, FL: Psychological Assessment Resources.

Dillon, M. (1993). Argumentative complexity of abortion discourse. *Public Opinion Quarterly, 57,* 305–314.
DiRenzo, G. J. (1967). *Personality, power and politics.* Notre Dame, IN: University of Notre Dame Press.
Doty, R. M., Peterson, B. E., & Winter, D. G. (1991). Threat and authoritarianism in the United States, 1978–1987. *Journal of Personality and Social Psychology, 61,* 629–640.
Duerst-Lahti, G., & Kelly, R. M. (Eds.). (1995). *Gender power, leadership, and governance.* Ann Arbor: University of Michigan Press.
Eagly, A. H., & Johnson, B. T. (1990). Gender and leadership style: A meta-analysis. *Psychological Bulletin, 108,* 233–256.
Eagly, A. H., & Karau, S. J. (1991). Gender and the emergence of leaders: A meta-analysis. *Journal of Personality and Social Psychology, 60,* 685–710.
Eagly, A. H., Karau, S. J., & Makhijani, M. G. (1995). Gender and the effectiveness of leaders: A meta-analysis. *Psychological Bulletin, 117,* 125–145.
Eagly, A. H., Makhijani, M. G., & Klonsky, B. G. (1992). Gender and the evaluation of leaders: A meta-analysis. *Psychological Bulletin, 111,* 3–22.
Elms, A. C. (1994). *Uncovering lives: The uneasy alliance of biography and psychology.* New York: Oxford University Press.
Erikson, E. H. (1963). *Childhood and society* (Rev. ed.). New York: Norton.
Erikson, E. H. (1980). *Identity and the life cycle.* New York: Norton. (Original work published 1959)
Erikson, E. H. (1997). *The life cycle completed.* (Extended version, with new chapters on the ninth stage of development by Joan M. Erikson.) New York: Norton.
Erikson, E. H., Erikson, J. M., & Kivnick, H. Q. (1986). *Vital involvement in old age.* New York: Norton.
Etheredge, L. S. (1978). Personality effects on American foreign policy, 1898–1968: A test of interpersonal generalization theory. *American Political Science Review, 72,* 434–451.
Ethington, L. (2001). *Election 2000: A time-series analysis of motive profiles and other variables in the U.S. presidential campaign.* Unpublished honors thesis, University of Michigan, Ann Arbor.
Eysenck, H. J., & Eysenck, M. W. (1985). *Personality and individual differences: A natural science approach.* New York: Plenum.
Faulks, K. (2000). *Political sociology: A critical introduction.* New York: New York University Press.
Feldman, O., & Valenty, L. O. (Eds.). (2001). *Profiling political leaders: Cross-cultural studies of personality and behavior.* Westport, CT: Praeger.
Friedlander, S., & Cohen, R. (1975). The personality correlates of belligerence in international conflict. *Comparative Politics, 7,* 155–186.
Fukai, S. N. (2001). Building the war economy and rebuilding postwar Japan: A profile of pragmatic nationalist Nobusuke Kishi. In O. Feldman & L. O. Valenty (Eds.), *Profiling political leaders: Cross-cultural studies of personality and political behavior* (pp. 167–184). Westport, CT: Praeger.
Geertz, C. (1973). *The interpretation of cultures.* New York: Basic Books.
George, A. L. (1969). The "operational code:" A neglected approach to the study of political leaders and decision-making. *International Studies Quarterly, 13,* 190–222.

Ginzburg, R. (1964). Goldwater: The man and the menace. *Fact, 1*(5), 3–22.
Glad, B. (1973). Contributions of psychobiography. In J. N. Knutson (Ed.), *Handbook of political psychology* (pp. 296–321). San Francisco: Jossey-Bass.
Glick, P., Fiske, S., Mladinic, A., Saiz, J. L., Abrams, D., Masser, B., Adetoun, B., Osagie, J. E., Akande, A., Alao, A., Annetje, B., Willemsen, T. M., Chipeta, K., Dardenne, B., Dijksterhuis, A., Wigboldus, D., Eckes, T., Six-Materna, I., Exposito, F., Moya, M., Foddy, M., Kim, H.-J., Lameiras, M., Sotelo, M. J., Mucchi-Faina, A., Romani, M., Sakalli, N., Udegbe, B., Yamamoto, M., Ui, M., Ferreira, M. C., & Lopez, W. L. (2000). Beyond prejudice as simple antipathy: Hostile and benevolent sexism across cultures. *Journal of Personality and Social Psychology, 79*, 763–775.
Goldberg, L. R. (1990). An alternative "description of personality": The Big-Five factor structure. *Journal of Personality and Social Psychology, 59*, 1216–1229.
Goldhagen, D. J. (1996). *Hitler's willing executioners: Ordinary Germans and the Holocaust.* New York: Knopf.
Greenstein, F. I. (1987). *Personality and politics: Problems of evidence, inference, and conceptualization.* Princeton: Princeton University Press. (Original work published 1969)
Greenstein, F. I. (2000). *The presidential difference: Leadership style from FDR to Clinton.* New York: Free Press.
Guttieri, K., Wallace, M. D., & Suedfeld, P. (1995). The integrative complexity of American decision makers in the Cuban missile crisis. *Journal of Conflict Resolution, 39*, 595–621.
Hamby, A. L. (1991). An American democrat: A reevaluation of the personality of Harry S. Truman. *Political Science Quarterly, 106*, 33–55.
Henderson, J. (2001). Predicting the performance of leaders in parliamentary systems: New Zealand Prime Minister David Lange. In O. Feldman & L. O. Valenty (Eds.), *Profiling political leaders: Cross-cultural studies of personality and political behavior* (pp. 203–216). Westport, CT: Praeger.
Hermann, M. G. (1980a). Assessing the personalities of Soviet Politburo members. *Personality and Social Psychology Bulletin, 6*, 332-352.
Hermann, M. G. (1980b). Explaining foreign policy behavior using the personal characteristics of political leaders. *International Studies Quarterly, 24*, 7–46.
Hermann, M. G. (1983). Assessing personality at a distance: A profile of Ronald Reagan. *Mershon Center Quarterly Report, 7*(6), 1–8. Columbus: Mershon Center of the Ohio State University.
Hermann, M. G. (1987a). Assessing the foreign policy role orientations of sub-Saharan African leaders. In S. G. Walker (Ed.), *Role theory and foreign policy analysis* (pp. 161–198). Durham, NC: Duke University Press.
Hermann, M. G. (1987b). *Handbook for assessing personal characteristics and foreign policy orientations of political leaders.* Columbus: Ohio State University, Mershon Center.
Hermann, M. G. (1988). Syria's Hafez Al-Assad. In B. Kellerman & J. Z. Rubin (Eds.), *Leadership and negotiation in the Middle East* (pp. 70–95). New York: Praeger.
Hermann, M. G. (1999). *Assessing leadership style: A trait analysis.* Columbus, OH: Social Science Automation.
Historical Figures Assessment Collaborative. (1977). Assessing historical figures: The

use of observer-based personality descriptions. *Historical Methods Newsletter 10*(2), 66–76.

Hofstede, G. H. (1980). *Culture's consequences: International differences in work-related values*. Thousand Oaks, CA: Sage.

Hofstede, G. H. (1999, July). *Cultural paradoxes in international politics: Corruption, human rights, and imposed democracy*. Invited address at the annual meeting of the International Society of Political Psychology, Amsterdam.

Hofstede, G. H. (2001). *Culture's consequences: Comparing values, behaviors, institutions, and organizations across nations* (2nd ed.). Thousand Oaks, CA: Sage.

Hollander, E. P. (1985). Leadership and power. In G. Lindzey & E. Aronson (Eds.), *Handbook of social psychology, 3rd ed.* (Vol. 2, pp. 485–537). New York: Random House.

Holsti, O. (1969). *Content analysis for the social sciences and humanities*. Reading, MA: Addison-Wesley.

Holsti, O. (1977). *The "Operational Code" as an approach to the analysis of belief systems*. Final report to the National Science Foundation, Grant No. SOC 75-15368. Duke University.

House, R. J., Spangler, W. D., & Woycke, J. (1991). Personality and charisma in the U.S. presidency: A psychological theory of leader effectiveness. *Administrative Science Quarterly, 36*, 364–396.

Ihanus, J. (2001). Profiling Russian leaders from a psychohistorical and a psychobiographical perspective. In O. Feldman & L. O. Valenty (Eds.), *Profiling political leaders: Cross-cultural studies of personality and political behavior* (pp. 129–147). Westport, CT: Praeger.

Immelman, A. (1993). The assessment of political personality: A psychodiagnostically relevant conceptualization and methodology. *Political Psychology, 14*, 725–741.

Immelman, A. (1998). The political personalities of 1996 U.S. presidential candidates Bill Clinton and Bob Dole. *Leadership Quarterly, 9*, 335–366.

Immelman, A. (1999, July). *The Political Personality of Texas Governor George W. Bush*. Paper presented at the meeting of the International Society of Political Psychology, Amsterdam.

Inglehart, R. (1997). *Modernization and postmodernization: Cultural, economic, and political change in 43 societies*. Princeton: Princeton University Press.

Inkeles, A. (1997). *National character: A psycho-social perspective*. New Brunswick, NJ: Transaction.

Inkeles, A., & Levinson, D. J. (1969). National character. In G. Lindzey & E. Aronson (Eds.), *Handbook of social psychology* (rev. ed., vol. 4, pp. 418–506). Reading, MA: Addison-Wesley.

Isaacson, W. (1992). *Kissinger: A biography*. New York: Simon and Schuster.

John, O. P. (1990). The "Big Five" factor taxonomy: Dimensions of personality in the natural language and in questionnaires. In L. Pervin (Ed.), *Handbook of personality: Theory and research* (pp. 66–100). New York: Guilford.

Joll, J. (1968). *1914: The unspoken assumptions*. London: Weidenfeld and Nicolson.

Kaarbo, J. (2001). Linking leadership style to policy: How prime ministers influence the decision-making process. In O. Feldman & L. O. Valenty (Eds.), *Profiling political leaders: Cross-cultural studies of personality and political behavior* (pp. 81-96). Westport, CT: Praeger.

Kaarbo, J., & Hermann, M. G. (1998). Leadership styles of prime ministers: How individual differences affect the foreign policymaking process. *Leadership Quarterly, 9,* 243–263.

Kennedy, P. (1982). The Kaiser and German Weltpolitik: Reflexions on Wilhelm II's place in the making of German foreign policy. In J. C. G. Röhl & N. Sombart (Eds.), *Kaiser Wilhelm II: New interpretations* (pp. 143–168). New York: Cambridge University Press.

Kershaw, I. (1999). *Hitler, 1889–1936: Hubris.* New York: Norton.

Kertzer, D. I. (1983). Generation as a sociological problem. *Annual Review of Sociology, 9,* 125–149. Palo Alto, CA: Annual Reviews Press.

Kluckhohn, C. K. M., Murray, H. A., & Schneider, D. M. (1953). *Personality in nature, culture and society.* New York: Knopf.

Kohut, H. (1985). *Self psychology and the humanities.* New York: Norton.

Lewellen, T. C. (1992). *Political anthropology: An introduction.* Westport, CT: Bergin & Garvey.

Lynn, R. (1981). Cross-cultural differences in neuroticism, extraversion and psychoticism. In R. Lynn (Ed.), *Dimensions of personality: Essays in honour of H. J. Eysenck* (pp. 263–286). Oxford: Pergamon Press.

Lynn, R., & Hampson, S. L. (1975). National differences in extraversion and neuroticism. *British Journal of Social and Clinical Psychology, 14,* 223–240.

Mannheim, K. (1952). The problem of generations. In *Essays on the sociology of knowledge* (pp. 276–322). New York: Oxford University Press. (Original work published 1928)

Markus, H. R., & Kitayama, S. (1991). Culture and the self: Implications for cognition, emotion, and motivation. *Psychological Review, 98,* 224–253.

McClelland, D. C. (1951). *Personality.* New York: Sloane.

McClelland, D. C. (1961). *The achieving society.* Princeton, NJ: Van Nostrand.

McClelland, D. C. (1975). *Power: The inner experience.* New York: Irvington.

McCrae, R. R., &, Costa, P. T., Jr. (1997). Personality trait structure as a human universal. *American Psychologist, 52,* 509–516.

Meloen, J. (1983). *De autoritaire reaktie in tijden van welvaart en krisis* [The auithoritarian reaction in times of prosperity and crisis]. Unpublished doctoral dissertation, University of Amsterdam.

Meloen, J. (1993). The F scale as a predictor of fascism: An overview of forty years of authoritarianism research. In W. F. Stone, G. Lederer, & R. Christie (Eds.), *Strength and weakness: The authoritarian personality today* (pp. 47–69). New York: Springer-Verlag.

Millon, T. (1986). Personality prototypes and their diagnostic criteria. In T. Millon & G. L. Klerman (Eds.), *Contemporary directions in psychopathology: Toward the DSM-IV* (pp. 671–712). New York: Guilford.

Mischel, W. (1968). *Personality and assessment.* New York: Wiley.

Moen, P., Elder, & Lüscher, K. (Eds.). (1995). *Examining lives in context: Perspectives on the ecology of human development.* Washington, DC: American Psychological Association.

Murray, H. A. (1938). *Explorations in personality.* New York: Oxford University Press.

Nisbett. R. N. (1980). The trait construct in lay and professional psychology. In L. Festinger (Ed.), *Retrospections on social psychology* (pp. 109–130). New York: Oxford University Press.

Nisbett, R., & Cohen, D. (1995). *The culture of honor: The psychology of violence in the South.* Boulder, CO: Westview Press.

Ortner, S. B. (1998). Generation X: Anthropology in a media-saturated world. *Cultural Anthropology, 13,* 414–40.

Ortner, S. B. (2003). *New Jersey dreaming: Capital, culture, and the class of '58.* Durham, NC: Duke University Press.

Peterson, B. E., Doty, R. M., & Winter, D. G. (1993). Authoritarianism and attitudes toward social issues: AIDS, drug use, and the environment. *Personality and Social Psychology Bulletin, 19,* 174–184.

Peterson, C. (1992). Explanatory style. In C. P. Smith (Ed.), *Motivation and personality: Handbook of thematic content analysis* (pp. 376–382). New York: Cambridge University Press.

Post, J. M. (1980). The seasons of a leader's life: Influences of the life cycle on political behavior. *Political Psychology, 2*(3/4), 35–49.

Post, J. M. (1991). Saddam Hussein of Iraq: A political personality profile. *Political Psychology, 12,* 279–289.

Post, J. M. (1993a). Current concepts of the narcissistic personality: Implications for political psychology. *Political Psychology, 14,* 99–121.

Post, J. M. (1993b). Dreams of glory and the life cycle: Reflections on the life course of narcissistic leaders. In Braungart, R. G., & Braungart, M. M. (Eds.), *Life course and generational politics* (pp. 49–60). Lanham, MD: University Press of America.

Post, J. M. (1997). Narcissism and the quest for political power. In C. S. Ellman & J. Reppen (Eds.) *Omnipotent fantasies and the vulnerable self* (pp. 195–232). Northvale, NJ: Jason Aronson, Inc.

Preston, T., & t'Hart, P. (1999). Understanding and evaluating bureaucratic politics: The nexus between political leaders and advisory systems. *Political Psychology, 20,* 49–98.

Pye, L. W. (1985). *Asian power and politics: The cultural dimensions of authority.* Cambridge, MA: Harvard University Press.

Pye, L. W. (1991). Political culture revisited. *Political Psychology, 12,* 487–508.

Pye, L. W. (1997). Introduction: The elusive concept of culture and the vivid reality of personality. *Political Psychology, 18,* 241–254.

Renshon, S. A. (2001). The comparative psychoanalytic study of political leaders: John McCain and the limits of trait psychology. In O. Feldman & L. O. Valenty (Eds.), *Profiling political leaders: Cross-cultural studies of personality and political behavior* (pp. 233–253). Westport, CT: Praeger.

Renshon, S., & Duckitt, J. (Eds.). (1997). Cultural and cross-cultural dimensions of political psychology [special issue]. *Political Psychology, 18*(2).

Renshon, S. A., & Duckitt, J. (Eds.). (2000). *Political psychology: Cultural and cross-cultural foundations.* New York: New York University Press.

Rubenzer, S. J., Faschingbauer, T. R., & Ones, D. S. (2000). Assessing the U.S. presidents using the revised NEO Personality Inventory. *Assessment, 7,* 403–420.

Runyan, W. McK. (1982). *Life histories and psychobiography: Explorations in theory and method.* New York: Oxford University Press.

Runyan, W. McK. (1988). Progress in psychobiography. *Journal of Personality, 56,* 295–326.

Runyan, W. McK. (1997). Studying lives: Psychobiography and the conceptual structure of personality psychology. In R. Hogan, J. Johnson, & S. Briggs (Eds.),

Handbook of personality psychology (pp. 41–69). San Diego, CA: Academic Press.

Sales, S. M. (1973). Threat as a factor in authoritarianism: An analysis of archival data. *Journal of Personality and Social Psychology, 28*, 44–57.

Satterfield, J. M., & Seligman, M. E. P. (1994). Military aggression and risk predicted by explanatory style. *Psychological Science, 5*, 77–82.

Schafer, M. (2000). Issues in assessing psychological characteristics as a distance: An introduction to the symposium. *Political Psychology, 21*, 511–528

Schafer, M., & Walker, S. G. (2001). Political leadership and the democratic peace: The operational code of Prime Minister Tony Blair. In O. Feldman & L. O. Valenty (Eds.), *Profiling political leaders: Cross-cultural studies of personality and political behavior* (pp. 21–35). Westport, CT: Praeger.

Schmitt, D. P., & Winter, D. G. (1998). Measuring the motives of Soviet leadership and Soviet society: Congruence reflected or congruence created? *Leadership Quarterly, 9*, 181–194.

Schuman, H., & Scott, J. (1989). Generations and collective memories. *American Sociological Review, 54*, 359–381.

Schütz, A. (1993). Self-presentational tactics used in a German election campaign. *Political Psychology, 14*, 471–493.

Schütz, A. (2001). Self-presentation of political leaders in Germany: The case of Helmut Kohl. In O. Feldman & L. O. Valenty (Eds.), *Profiling political leaders: Cross-cultural studies of personality and political behavior* (pp. 217–232). Westport, CT: Praeger.

Schwartz, S. H. (1994). Are there universal aspects in the structure and contents of human values? *Journal of Social Issues, 50*(4), 19–45.

Schwartz, S. H., & Bardi, A. (2001). Value hierarchies across cultures: Taking a similarities perspective. *Journal of Cross-Cultural Psychology, 32*, 268–290.

Sheng, M. M. (2001). Mao Zedong's narcissistic personality disorder and China's road to disaster. In O. Feldman & L. O. Valenty (Eds.), *Profiling political leaders: Cross-cultural studies of personality and political behavior* (pp. 111–127). Westport, CT: Praeger.

Shestopal, E. B. (2000). *Psikhologicheskii profil' rossiiskoi politiki 1990-kh: Teoreticheskie i prikladnye problemy politicheskoi psikhologii* [Psychological profiles of Russian politics in the 1990s: Theoretical and applied problems in political psychology]. Moscow: ROSSPEN.

Sidanius, J., & Pratto, F. (1999). *Social dominance: An intergroup theory of social hierarchy and oppression.* New York: Cambridge University Press.

Simonton, D. (1986). Presidential personality: Biographical use of the Gough Adjective Check List. *Journal of Personality and Social Psychology, 51*, 149–160.

Simonton, D. (1988). Presidential style: Personality, biography, and performance. *Journal of Personality and Social Psychology, 55*, 928–936.

Singer, M. (1961). A survey of culture and personality theory and research. In B. Kaplan (Ed.), *Studying personality cross-culturally* (pp. 9–92). New York: Harper and Row.

Skinner, B. F. (1974). *About behaviorism.* New York: Knopf.

Smith, C. P. (Ed.). (1992). *Motivation and personality: Handbook of thematic content analysis.* New York: Cambridge University Press.

Stewart, A. J., & Healy, J. M., Jr. (1989). Linking individual development and social change. *American Psychologist, 44*, 30–42.

Stille, A. (2001, January 13). An old key to why countries get rich. *New York Times,* p. B11.
Strauss, W., & Howe, N. (1991). *Generations: The history of America's future 1584 to 2069.* New York: Morrow.
Suedfeld, P. (1994). President Clinton's policy dilemmas: A cognitive analysis. *Political Psychology, 15,* 337–349.
Suedfeld, P., Bluck, S., Loewen, L. J., & Elkins, D. J. (1994). Sociopolitical values and integrative complexity of members of student political groups. *Canadian Journal of Behavioural Science, 26,* 121–141.
Suedfeld, P., Conway, L. G., & Eichhorn, D. (2001). Studying Canadian leaders at a distance. In O. Feldman & L. O. Valenty (Eds.), *Profiling political leaders: Cross-cultural studies of personality and political behavior* (pp. 3–19). Westport, CT: Praeger.
Suedfeld, P., & Rank, A. D. (1976). Revolutionary leaders: Long-term success as a function of changes in conceptual complexity. *Journal of Personality and Social Psychology, 34,* 169–178.
Suedfeld, P., & Tetlock, P. (1977). Integrative complexity of communications in international crises. *Journal of Conflict Resolution, 21,* 169–184.
Suedfeld, P., Tetlock, P., & Ramirez, C. (1977). War, peace, and integrative complexity. *Journal of Conflict Resolution, 21,* 427–442.
Suedfeld, P., Tetlock, P. E., & Streufert, S. (1992). Conceptual/integrative complexity. In C. P. Smith (Ed.), *Motivation and personality: Handbook of thematic content analysis* (pp. 393–400). New York: Cambridge University Press.
Suedfeld, P., Wallace, M. D., & Thachuk, K. L. (1993). Changes in integrative complexity among Middle East leaders during the Persian Gulf crisis. *Journal of Social Issues, 49*(4),183–199.
Swede, S. W., & Tetlock, P. E. (1986). Henry Kissinger's implicit theory of personality: A quantitative case study. *Journal of Personality, 54,* 617–746.
Tajfel, H. (1981). *Human groups and social categories: Studies in social psychology.* New York: Cambridge University Press.
Taylor, A. J. P. (1961). *The origins of the second world war.* London: Hamish Hamilton.
Taysi, T., & Preston, T. (2001). The personality and leadership style of President Khatami: Implications for the future of Iranian political reform. In O. Feldman & L. O. Valenty (Eds.), *Profiling political leaders: Cross-cultural studies of personality and political behavior* (pp. 57–77). Westport, CT: Praeger.
Tetlock, P. E. (1981a). Personality and isolationism: Content analysis of senatorial speeches. *Journal of Personality and Social Psychology, 41,* 737–743.
Tetlock, P. E. (1981b). Pre- to post-election shifts in presidential rhetoric: Impression management or cognitive adjustment. *Journal of Personality and Social Psychology, 41,* 207–212.
Tetlock, P. E. (1983). Cognitive style and political ideology. *Journal of Personality and Social Psychology, 45,* 118–126.
Tetlock, P. E. (1984). Cognitive style and political belief systems in the British House of Commons. *Journal of Personality and Social Psychology, 46,* 365–375.
Tetlock, P. E. (1985). Integrative complexity of American and Soviet foreign policy rhetoric: A time-series analysis. *Journal of Personality and Social Psychology, 49,* 1565–1585.
Tetlock, P. E. (1993). Cognitive structural analysis of political rhetoric: Methodologi-

cal and theoretical issues. In S. Iyengar and W. J. McGuire (Eds.), *Explorations in political psychology* (pp. 380–405). Durham, NC: Duke University Press.

Tetlock, P. E., Armor, D., & Peterson, R. S. (1994). The slavery debate in antebellum America: Cognitive style, value conflict, and the limits of compromise. *Journal of Personality and Social Psychology, 66,* 115–126.

Tetlock, P. E., Bernzweig, J., & Gallant, J. L. (1985). Supreme Court decision making: Cognitive style as a predictor of ideological consistency of voting. *Journal of Personality and Social Psychology, 48,* 1227–1239.

Tetlock, P. E., & Boettger, R. (1989). Cognitive and rhetorical styles of traditionalist and reformist Soviet politicians: A content analysis study. *Political Psychology, 10,* 209–232.

Tetlock, P. E., & Tyler, A. (1996). Churchill's cognitive and rhetorical style: The debates over Nazi intentions and self-government for India. *Political Psychology, 17,* 149–170.

Triandis, H. C. (1995). *Individualism and collectivism.* Boulder, CO: Westview Press.

Valenty, L. O., & Feldman, O. (Eds.). (2002). *Political leadership for the new century: Personality and behavior among American leaders.* Westport, CT: Praeger.

Valenty, L. O., & Shiraev, E. (2001). The 1996 Russian presidential candidates: A content analysis of motivational configuration and conceptual/integrative complexity. In O. Feldman & L. O. Valenty (Eds.), *Profiling political leaders: Cross-cultural studies of personality and political behavior* (pp. 37–56). Westport, CT: Praeger.

Veroff, J., Depner, C., Kulka, R., & Douvan, E. (1980). Comparison of American motives: 1957 versus 1976. *Journal of Personality and Social Psychology, 39,* 1249–1262.

Veroff, J., Feld, S., & Gurin, G. (1962). Achievement motivation and religious background. *American Sociological Review, 27,* 205–217.

Vianello, M., & Moore, G. (Eds.). (2000). *Gendering elites: Economic and political leadership in 27 industrialised societies.* New York: St. Martin's Press, 2000.

Walker, S. G. (1977). The interface between beliefs and behavior: Henry Kissinger's operational code and the Vietnam War. *Journal of Conflict Resolution, 21,* 129–168.

Walker, S. G. (1983). The motivational foundations of political belief systems: A re-analysis of the operational code construct. *International Studies Quarterly, 27,* 179–201.

Walker, S. G. (1990). The evolution of operational code analysis. *Political Psychology, 11,* 403–418.

Walker, S. G. (1995). Psychodynamic processes and framing effects in foreign policy decision-making: Woodrow Wilson's operational code. *Political Psychology, 16,* 697–717.

Walker, S. G. (2000). Assessing psychological characteristics at a distance: Symposium lessons and future research directions. *Political Psychology, 21,* 597–602.

Walker, S. G., & Schafer, M. (2000). The political universe of Lyndon Johnson and his advisors: Diagnostic and strategic propensities in their operational codes. *Political Psychology, 21,* 529–543.

Walker, S. G., Schafer, M., & Young, M. D. (1998). Systematic procedures for operational code analysis: Measuring and modeling Jimmy Carter's operational code. *International Studies Quarterly, 42,* 175–190.

Walker, S. G., Schafer, M., & Young, M. D. (1999). Presidential operational codes

and the management of foreign policy conflicts in the post–Cold War world. *Journal of Conflict Resolution, 43,* 610–625.

Wallace, M. D., Suedfeld, P., & Thachuk, K. (1993). Political rhetoric of leaders under stress in the Gulf crisis. *Journal of Conflict Resolution, 37,* 94–107.

Wallace, M. D., Suedfeld, P., & Thachuk, K. A. (1996). Failed leader or successful peacemaker? Crisis, behavior, and the cognitive processes of Mikhail Sergeyevitch Gorbachev. *Political Psychology, 17,* 453–472

Walker, S. G., & Watson, G. L. (1992). The cognitive maps of British leaders, 1938–39: The case of Chamberlain-in-cabinet. In E. Singer & V. Hudson (Eds.), *Political psychology and foreign policy* (pp. 31–58). Boulder, CO: Westview Press.

Walker, S. G., & Watson, G. L. (1994). Integrative complexity and British decisions during the Munich and Poland crises. *Journal of Conflict Resolution, 38,* 3–23.

Winter, D. G. (1976, July). What makes the candidates run. *Psychology Today,* pp. 45–49, 92.

Winter, D. G. (1980). An exploratory study of the motives of southern African political leaders measured at a distance. *Political Psychology, 2*(2), 75–85.

Winter, D. G. (1987). Leader appeal, leader performance, and the motive profiles of leaders and followers: A study of American presidents and elections. *Journal of Personality and Social Psychology, 52,* 196–202.

Winter, D. G. (1988, July). What makes Jesse run? *Psychology Today,* pp. 20ff.

Winter, D. G. (1992a). Content analysis of archival data, personal documents, and everyday verbal productions. In C. P. Smith (Ed.), *Motivation and personality: Handbook of thematic content analysis* (pp. 110–125). New York: Cambridge University Press.

Winter, D. G. (1992b). Personality and foreign policy: Historical overview of research. In E. Singer & V. Harper (Eds.), *Political psychology and foreign policy* (pp. 79–101). Boulder, CO: Westview Press.

Winter, D. G. (1993). Power, affiliation and war: Three tests of a motivational model. *Journal of Personality and Social Psychology, 65,* 532–545.

Winter, D. G. (1994). *Manual for scoring motive imagery in running text* (Version 4.2). Ann Arbor: University of Michigan Department of Psychology.

Winter, D. G. (1995). Presidential psychology and governing styles: A comparative psychological analysis of the 1992 presidential candidates. In S. A. Renshon (Ed.), *The Clinton presidency: Campaigning, governing and the psychology of leadership* (pp. 113–134). Boulder, CO: Westview.

Winter, D. G. (1996). *Personality: Analysis and interpretation of lives.* New York: McGraw-Hill.

Winter, D. G. (1998a). A motivational analysis of the Clinton first term and the 1996 presidential campaign. *Leadership Quarterly, 9,* 253–262.

Winter, D. G. (1998b). "Toward a science of personality psychology": David McClelland's development of empirically derived TAT measures. *History of Psychology, 1,* 130–153.

Winter, D. G. (2002). Motivation and political leadership. In L. O. Valenty & O. Feldman (Eds.), *Political leadership for a new century: Personality and behavior among American leaders* (pp. 27–47). New York: Praeger.

Winter, D. G. (2003). Assessing leaders' personalities: A historical survey of academic research studies. In J. Post (Ed.), *The psychological assessment of political leaders* (pp. 11–38). Ann Arbor: University of Michigan Press.

Winter, D. G., & Barenbaum, N. B. (1999). History of modern personality theory and research. In L. Pervin and O. John (Eds.), *Handbook of personality theory and research* (rev. ed., pp. 3–27). New York: Guilford.

Winter, D. G., & Carlson, L. (1988). Using motive scores in the psychobiographical study of an individual: The case of Richard Nixon. *Journal of Personality, 56,* 75–103.

Winter, D. G., Hermann, M. G., Weintraub, W., & Walker, S. G. (1991a). The personalities of Bush and Gorbachev at a distance: Follow-up on predictions. *Political Psychology, 12,* 457–464.

Winter, D. G., Hermann, M. G., Weintraub, W., & Walker, S. G. (1991b). The personalities of Bush and Gorbachev at a distance: Procedures, portraits, and policy. *Political Psychology, 12,* 215–245.

Winter, D. G., John, O. P., Stewart, A. J., Klohnen, E., & Duncan, L. E. (1998). Traits and motives: Toward an integration of two traditions in personality research. *Psychological Review, 105,* 230–250.

Winter, D. G., & Stewart, A. J. (1977). Content analysis as a technique for assessing political leaders. In M. G. Hermann (Ed.), *A psychological examination of political leaders* (pp. 28–61). New York: Free Press.

Winter, D. G., & Stewart, A. J. (1995). Commentary: Tending the garden of personality. *Journal of Personality, 63,* 711–727.

Wright, J. C., & Mischel, W. (1987). A conditional approach to dispositional constructs: The local predictability of social behavior. *Journal of Personality and Social Psychology, 53,* 1159–1177.

Wright, J. C., & Mischel, W. (1988). Conditional hedges and the intuitive psychology of traits. *Journal of Personality and Social Psychology, 55,* 454–469.

Zullow, H. M. (1991). Pessimistic rumination in popular songs and newsmagazines predict economic recession via decreased consumer optimism and spending. *Journal of Economic Psychology, 12,* 501–526.

Zullow, H. M., Oettingen, G. Peterson, C., & Seligman, Martin E. (1988). Pessimistic explanatory style in the historical record: CAVing LBJ, presidential candidates, and East versus West Berlin. *American Psychologist, 43,* 673–682.

Zullow, Harold M., & Seligman, Martin E. (1990). Pessimistic rumination predicts defeat of presidential candidates, 1900 to 1984. *Psychological Inquiry, 1*(1), 52–61.

الفصل الخامس

مقاربات علم النفس السياسى التطورية.[٩٤]

جيم سيدانويس وروبرت كويزبان

من يرغب بالفعل فى التعامل مع الإنسان يجب أن يعرف على الأقل شيئا عن علم الحياة، هذا العلم الذى يتعامل مع تلك الأشياء الحية، التى تتنفس لاسيما علم التطور الذى يرتبط دومًا باسم العظيم دارون.

تيودور روزفلت (١٩١٠).

على الرغم من نصيحة روزفلت فإن الباحثين فى العلوم الاجتماعية قد نأوا بأنفسهم – تاريخيا – بعيدًا عن علم الحياة. إلا أن هذا يتغير الآن، وأصبحت الأفكار البيولوجية تستخدم بشكل منتج فى الإنثروبولوجيا (Brown,1991:Symons,1979) وعلم الاجتماع (Dietz. Burns. & Buttel,1990) وعلم النفس (Buss et al., 1998) وعلم الاقتصاد (Bowles & Gintis, 1998; Hoffman, McCabe, & Smith, 1998). ونحن نناقش هنا مسألة أن الأفكار المشتقة من علم الحياة التطورى يمكن بالمثل استخدامها لإلقاء الضوء على القضايا المتعلقة بعلم النفس السياسى، وأن فهم عملية التطور من خلال الانتخاب الطبيعى يعد جوهريًا بالنسبة لدراسة أحد منتجات عملية التطور: الجنس البشرى.

وسوف نسير فى هذا الفصل كما يلى: فى القسم الأول، نراجع المبادئ الأساسية للتطور من خلال الانتخاب الطبيعى ونناقش كيف تنطبق هذه

---

(٩٤) قام بترجمة هذا الفصل محمد يحيى الرخاوى

المبادئ على فهم علم نفس الإنسان. ونناقش فى القسم الثانى قليلاً من تطبيقات المناحى التطورية على قضايا مهمة فى علم النفس السياسى، ونوجه النظر بشكل خاص إلى التمركز حول العرق، والفروق الجنسية فى السلوك السياسى وانتشار التحيز والصراع داخل الجماعة، ولماذا يُوجه التمييز بشكل أكثر تطرفًا نحو الرجال أكثر من النساء فى الجماعات الهامشية. وفى خلال ذلك سيكون موقفنا أن النظرية فى العلوم الاجتماعية يجب أن تكون متسقة مع ما هو معروف فى العلوم البيولوجية ومتشكلة من خلاله بالطريقة التى تعكس التكامل النظرى متعدد المستويات فى العلوم الطبيعية (Barkow, Cosmides. & Tooby. 1992).

مازال يُنظر إلى المناحى البيولوجية لفهم السلوك الإنسانى بارتياب فى عديد من الدوائر. يرجع ذلك -جزئيا- إلى أن المحاولات المبكرة لتكامل المبادئ البيولوجية داخل العلوم الاجتماعية كانت ناقصة فى الغالب (انظر Kitcher, 1985)، كما أن هذه المحاولات كانت تُستخدم أحيانا كأداة سياسية لتبرير الأفكار غير المستساغة التى تقف خلف موضوعات مثل الداروينية الاجتماعية. أما السبب الثانى للارتياب فى هذه المحاولات فهو أن لدى أولئك الذين هم من خارج مجال علم النفس التطورى معتقدات خاطئة حول الافتراضات والالتزامات النظرية التى تشكل أساس علم النفس التطورى(تحت الطبع.Kurzban & Haselton). ولأننا لا نستطيع تغيير الماضى لحل المشكلة الأولى، فإن الهدف الإضافى الذى نسعى إليه هنا هو تخفيف آثار المشكلة الثانية، وسنؤكد بشكل خاص على أنه على عكس المعتقدات الخاطئة لبعض الناس، فإن *المنحى التطورى ليس إقرارًا لجانب " الطبيعة " فى جدل التنشئة / الطبيعة، بل* هو بالأحرى يرفض هذه الثنائية ويراها عليلة، وهو يستبدل بهذا المحور الجدالى رهانًا على طبيعة التكيفات المعرفية التى تميز العقل الإنسانى.

المبادئ الأساسية للتطور بالانتخاب الطبيعى

يتطلب فهم منحى علم النفس التطورى فهمًا أساسيًا للنظرية التطورية، وبشكل أكثر تحديدًا، نظريات تطور التعاون. ولأن كثيرًا من هذه الأفكار يُناقش بالتفصيل فى أماكن أخرى (Dawkins, 1976; Dugatkin, 1997; Sober & Wilson, 1998; Williams, 1966) فإننا نقدم هنا صورة مختصرة فقط.

نبدأ من البداية. فى زمن ما فى الماضى السحيق بزغ الناسخون الأوائل Replicators: كيانات صنعت من نفسها نسخًا. بعض هذه النسخ لم يكن مطابقًا تمامًا، وأصبحت الكيانات الجديدة، التى نسخت نفسها بشكل أسرع من غيرها، هائلة العدد. وعبر الوقت، اسْتُبْقِىَ الناسخون (الجينات فيما بعد) الذين أثمروا نتائج تناسلية مُحَسَّنة. وفيما عدا بعض الاستثناءات غير المهمة نسبيا؛ فإن الجينات التى فى الكائنات الحية الآن هى الجينات التى تم تمريرها بنجاح لأنها أنتجت خصائص معينة أدت إلى تكاثرها (Darwin, 1859).

وتؤثر الجينات على معدل تكرارها من خلال التأثير على النمط الظاهرى للكائن الحى: بنائه الفيزيقى وسلوكه. كما أن التغيرات فى الجينات، والتى تزيد من معدل تناسخها، وتتعدل من خلال تغيرات التصميم التى تحدثها فى الكائن الحى تمتد إلى جمهرة سلالة هذا الكائن. لهذا السبب أشار ريتشارد داوكينز (Richard Dawkins.1976) عالم الحياة الفصيح إلى الجينات كما لو كانت " أنانية ": الشئ الوحيد الذى تهتم به الجينات، أى الشئ الذى سيؤثر على استمراريتها من عدمها، هو معدل تناسخها بالمقارنة بمعدل تناسخ الجينات الأخرى.

بشكل أكثر تحديدًا فإن الجينات التى تسبب تغيرًا فى النمط الظـاهرى بطريقة يستطيع من خلالها الكائن الحى حل *مشكلة تكيفية* معينة، وهى مهمة تؤثر على معدل تكاثره، مثل إيجاد الطعام، جذب الجنس الآخر،.. وهكـذا، تلك الجينات تكون موضع انتخاب. باختصار *فإن الانتخاب الطبيعى يتم من خلال تراكم تدريجى لخصائص معينة تحسن من التوافق الوظيفى بين الكائن الحى والبيئة*. ولأنه لاتوجد قوة معروفة عدا الانتخاب الطبيعى يمكن للتنظيم الوظيفى المركب أن يبزغ من خلالها عن طريق الصدفة، فإن أية عناصـر وظيفية مركبة للأنماط الظاهرية الخاصة بالكائنات الحية يمكن عزوها لعملية الانتخاب الطبيعى (Williams,1966) وهذه الخصائص تسمى "تكيفات".

هناك جدل مهم حول المستوى الذى يعمل عنده الانتخاب، وهو جـدل متعالق مع قضايا مرتبطة بالبشر بوصفهم مخلوقات سياسية. فقد ادعى بعض علماء الحياة، النصف الأول من القرن العشرين، أن التطور يمكن أن يُشكل الكائنات بطريقة تجعل خصائصها موظفة لخدمة مصالح الجماعة المحلية، أو ربما النظام البيئى ككل، أكثر من خدمتها للفرد أو الجـين (;Emerson, 1960 Wynne-Edwards,1962) والصعوبة فى هذه النظرة هى أن الأفـراد الـذين تحدث لهم طفرات جينية يفيدون بها أنفسهم على حساب إنتاج الجماعة لمزيد من أعضاء الجماعة المتعاونين أو التعاونيين، وذلك فى النهاية يؤدى إلى أن تحل الأنماط الأنانية محـل الأنمـاط التعاونيـة (Williams,1966) ويتفـق المتخصصون فى علم الحياة التطورى الآن على أن تأثير تلك الجينات على تناسخها نفسها يُعد المحدد الحاسم لانتخابها.

الانتخاب الجنسى ونظرية الاستثمار الوالدى

ناقش داروين (Darwin, 1871) كيف أن عاملاً مهمًا محددًا لعدد الأبناء الذين يخلفهم فردٌ ما هو قدرته على كسب رفقاء. وقد فسرت هذه الفكرة لماذا

يتفرد نوع واحد بسمات معينة: فالمنافسة بين أفراد النوع الواحد على الرفقاء من النوع الآخر يمكن أن تدفع إلى التكيف فى نوع دون الآخر. وبالمثل، فإن تفضيل أحد النوعين لسمات معينة فى الآخر تجعله ينتخب السمات المقصودة ليكون جذابًا بأقصى درجة كرفيق. وقد أشار داروين، لأسباب واضحة، إلى هذه الإضافة لعملية الانتخاب الطبيعى بـــ "الانتخاب الجنسى".

تُعد هذه حالة محددة لقاعدة أوسع عمومية عن التكيفات فى الأجنـــاس المشتملة على نوعين (ذكر وأنثى). ففى كثير من المجالات تكون كثير مـــن المشكلات التى يواجهها أعضاء كلا النوعين متطابقة (مثل إيجـــاد الطعـــام) ويؤدى ذلك إلى انتخاب لنفس أساليب التكيف فى كلا الجنسين. بينمـــا، فـــى حالات اختلاف المشكلات التكيفية لكلا الجنسين، فإنه يتم انتخـــاب أســـاليب تكيف محددة بكل مشكلة تكيفية تتعلق بأحد الجنسين. فمثلاً فى الأجناس التى يستجيب فيها أحد الجنسين بشكل مختلف لمهمة ما، كالصيد مثلاً فإننا نتوقع أن أفراد هذا النوع سوف يكونون أفضل تكيفيًا بالنسبة لهذه المهمة.

لقد كانت نظرية الاستثمار الوالدى لتريفـــرز (Trivers, 1972) إضـــافة مهمة لنظرية الانتخاب الجنسى، حيث بدأ تريفرز مـــع فكـــرة أن الأجنـــاس تختلف فى حجم ما يستثمره الوالدان فى أبنائهم، منفقين من مواردهما لتغذية هؤلاء الأبناء وتنميتهم. بالإضافة إلى أن كثيرًا من هذه الأجنـــاس لاتـــوزع أعباء تنشئة الصغار بالتساوى بين الوالدين. وفى الأجناس التى ينفـــق أحـــد النوعين فيها على الأبناء أكثر من النوع الآخر، يصبح النوع الأكثر إنفاقـــا موردًا قيمًا بالنسبة للنوع الآخر، بمعنى أن يصبح الكائن الحـــى "س" قيمًـــا بالنسبة للكائن "ص" طالما أن الكائن "س" يبذل الوقت والطاقة التـــى تـــسبب نجاح أبناء الكائن "ص". وكلما كان عدم التساوى فى الإنفاق بين الجنـــسين كبيرًا اشتد التنافس من أجل التكاثر الجنسى بين أفراد النوع الأقل إنفاقًا على أفراد النوع المنفق. وعادة، فى الأنواع التى تتكاثر جنـــسيًا، ينفـــق الـــذكر

(يُعرّف على أساس أنه الجنس ذو الخلية الجرثومية الأصغر) وقتا وجهدًا أقل من الأنثى، ومع ذلك لايُعد ذلك صحيحًا بالنسبة لكل الأجناس.

إن ما يترتب على عدم تساوى النوعين فى إنفاق الموارد على الصغار هو أن أفراد النوع الذى ينفق أقل سيكونون أكثر تباينًا فى مستوى نجاحهم فى التكاثر. فإذا أنفق أحد النوعين أقل ما يمكن على الأبناء، يمكن لهذا الجنس، إذا كان قادرًا على كسب عدد كبير من الشركاء، إنجاب عدد كبير من الأبناء. وعلى العكس، بالنسبة للجنس الذى ينفق أكثر، ذلك لأن الموارد تكون محدودة دائمًا، فإن أعلى ناتج فى التكاثر سيكون مقيدًا ليس بسبب عدد الرفقاء فقط ولكن أيضا بسبب عوامل أخرى مثل اكتساب الموارد، وبالتالى فإن النوع الذى ينفق أقل يُتوقع أن يكتسب أساليب تكيف مخصصة لكسب عديد من الرفقاء، بينما يُتوقع من الجنس الذى ينفق أكثر أن يكتسب أساليب تكيفية مخصصة لتأمين الموارد.

وللفروق بين النوعين فى أساليب التكاثر عواقب سلوكية مهمة بالنسبة للفروق الجنسية (أو النوعية) فى البشر (Symons, 1979، انظر بعد). ومن الأفضل ملاحظة أنه بخلاف مسألة الدور الجنسى (انظر الفصل السابع عشر) يُعد النوع الجنسى بيولوجيًا متغيرًا متميزًا وواضحًا، فكثير من الأنواع لها زوجان، الذكر والأنثى وهذه الأزواج تتكاثر، وتنتج أزواجًا أخرى، بشكل ثابت من جيل إلى آخر. ويمكن لأساليب التكيف التى يتفرد بها كل نوع أن تنشأ عن هذا الثبات.

تطور الإيثار والتعاون

إن النظرة "الأنانية" للجين لايتبعها بالضرورة فكرة أن الإيثار والتعاون، وهما قضيتان محوريتان بالنسبة لعديد من التساؤلات فى علم النفس السياسى، لن يتسنى ملاحظتهما أبدا. فهناك عدد من الطرق، سواء

بالتخطيط أو بالصدفة، التى تستطيع الكائنات الحية من خلالها أن يفيد كل منها الآخر فمثلاً. ربما يطير الصقر ناحية جثة لسبب محدد هو أنه يبحث عن وجبة، ومع ذلك فإن حقيقة أن آكلات الجيف الأخرى يمكنها أن تتبع الصقر وتطعم نفسها لا يعنى أن الجينات التى أنتجت سلوكيات الصقر استمرت وثابرت فى الحياة *لأنها* تريد مساعدة الكائنات الحية الأخرى – فهذه المساعدة حدثت بشكل ثانوى فحسب. ومع ذلك فإن بعض خصائص الكائنات مقصودة بالفعل لإفادة الكائنات الحية الأخرى على حساب نفسها (يجب أن نفهم التكاليف والفوائد دائمًا بوصفهما خاضعين لإطار التكاثر الملائم). هناك ثلاثة نماذج لتفسير تطور سلوك الإيثار على مستوى تصميم الجينات: نظرية هاملتون (Hamilton. 1964) فى انتخاب المثيل، ونظرية تريفرز (Trivers; 1971) فى الإيثار المتبادل، ونظرية سوبر وويلسون (Sober and Wilson, 1998) فى الانتخاب متعدد المستويات.

انتخاب المثيل

أشار هاملتون (1964) إلى أن الجين يمكن أن يزداد فى العدد من خلال نسخ نفسه ومن خلال نَسْخ نُسَخٍ مطابقة له. كما لاحظ أنه يرجح أن نجد النسخ المطابقة للجين موجودة فى الكائنات الحية التى يرتبط بها سلاليًا. ولقد أوحت أفكار هاملتون أن حساب كفاءة الجين (بدلاً من كفاءة الفرد) وذلك من خلال إضافة إنتاج الأقارب إلى إنتاج الأفراد أنفسهم سيكون حسابًا أوقع؛ لذلك فإن هذه النظرية تُعرف أيضا بنظرية الكفاءة الشاملة. إن الاستبصار الجوهرى فى هذه النظرية هو أن الانتخاب يمكن أن يفضل الجينات التى أنتجت سلوكًا إيثاريا نحو جينات الأقارب.

توجد قيود مهمة فى إجراء هذه العملية، أكثرها تعالقًا معنا هى: (١) مستوى احتمالية أن تتواجد النسخة المطابقة للجين المقصود فى جينات

المستقبل المستفيد من الإيثار. (٢) حجم التكاليف المنفقة فى مقابل الفوائد المحصلة. افترض جيناً مرمزًا لنقل فوائد صغيرة جدًا إلى جين آخر على علاقة به من بعيد بتكلفة عالية على الذات؛ فإنه ستتم مقارنة هذا الجين بتصميمات بديلة أكثر تمييزًا فى ممارستها الإيثارية مفضلاً إياها (بمعنى: نقل فوائد جمة إلى جينات أخرى أكثر قربًا بتكلفة أقل على الذات) من ثم ستزول هذه النسخة من تركيبة الجينات المثابرة.

بشكل أكثر دقة، قام هاميلتون بصياغة قاعدة كمية لتقدير القيود على تطور إيثار المثيل، وذلك ما يعرف بقاعدة هاملتون: $C < rB$

فحيث أن C و B يمثلان حجم التكاليف المنفقة والفوائد المحصلة و r هى معامل القرابة السلالية، أو، احتمالية وجود نسخة مطابقة للجين الكائن موضوع الإيثار بحسب درجة قرابته. وبالتالى، كلما زادت مسافة القرابة فإن نسبة الفائدة إلى التكلفة يجب أن تزداد لكى يتم انتخاب الجين الإيثارى.

إنه من المهم أن نضع فى أذهاننا أنه ليس لهذا التحليل معنى إلا على مستوى الجين. فمن منظور الجين الواحد؛ ليس هناك أهمية لمسألة أى الجينات الأخرى ستبقى أيضا فى الكائن الهدف، أو كم عدد الجينات التى سيشاركها الكائن الهدف مع الكائن الذى يوجد به الجين الإيثارى. لذلك فإن " التشابه الجينى "، – من حيث نسبة الاشتراك فى "الجينوم" – لا يُعد مفهومًا مفيدًا فى فهم انتخاب المثيل (Tooby & Cosmides, 1989).

الإيثار المتبادل

تستخدم النظرية الثانية التى تفسر تطور التعاون، نظرية الإيثار المتبادل، معضلة السجين كنموذج (PD: prisoner's dilemma – Axelord & Hamilton, 1981). فى معضلة السجين ينخرط اثنان من الكائنات الحية فى

تفاعل بحيث يكون لدى كل منهما اختياران، أحدهما أن يكون متعاونًا، ويرمز له بالرموز (C) والآخر أن يكون غير متعاون، ويُرمز له بالرمز (D) فإذا تعاون الاثنان كان أفضل لكليهما من امتناعهما معًا عن التعاون. ومع ذلك فإن حساب الأرباح مصمم بحيث إنه، وبغض النظر عما يفعله الكائن الآخر؛ فإن كلا منهما سيكون بحال أفضل إذا قصَّر في التعاون. (انظر شكل ٥- ١)

	C	D
C	5,5	0.8
D	8.8	3.3

شكل [٥- ١] جدول الربحية بالنسبة لمعضلة السجين[٩٥]

وقد ناقش تريفرز (Trivers, 1971) كيف أن هذه البنية تسم عديدًا من التفاعلات الممكنة بين الكائنات الحية من نفس الفصل، وكيف أنها تُعد نموذجًا مفيدًا لفهم كيف يمكن للتعاون أن ينشأ. وبشكلٍ خاص بين تريفرز أنه إذا تفاعلت الكائنات بشكل متكرر، فإنه يمكن انتخاب الاستراتيجيات التعاونية بدلاً من ربط الكائنات وشرطها بحركة الشريك المسبقة. وبالتالى، إذا كان لدى كائن حى خطة مثل أنه سيتعاون إذا وفقط إذا كان شريكه قد تعاون فى الحركات السابقة، وإذا كانت فوائد التعاون كبيرة بما يكفى، فإن استراتيجية للتعاون المشروط يمكن أن تكون أفضل من استراتيجية للامتناع الدائم (انظر أيضا Axelrod & Hamilton,1981).

الانتخاب الطبيعى، بعكس الكائن الفردى، "يرى" نتائج الاستراتيجيات التى تتبناها التكوينات أو الأنماط الجينية المختلفة، ثم "يختار"الأفضل من بينها

(٩٥) فى هذا الجدول: لو تعاونا معًا كلانا، ربحت ٥,٥، لو تعاونت أنا وامتنع الآخر ربحت ٠,٨، بينما لو قصرت أنا والآخر معًا ربحت ٣,٣، ولو قصرت أنا وتعاون الآخر ربحت ٨,٠. [المترجم].

من حيث التناسخ واللياقة[٩٦]، وبذا فإن العملية التطورية عملية عقلانية حيث اتباعها قواعد الحسابات النظرية للعبة، مع إصرار الاستراتيجيات اعتبار الأساس هو عدد الأبناء التى تُخلفها. وفى المقابل، ليس بالضرورة أن تبدو الاستراتيجيات التى اختيرت عقلانية على الإطلاق (Cosmides & Tooby, 1994a; Kurzban, in press). ولكى يتم استمرار استراتيجيات بعينها يجب أن تكون ببساطة أفضل قاعدة قرارات ممكنة من بين الإمكانيات المتاحة. بينما عملية التطور هى عملية لوغارتمية؛ فإن أساليب التكيف ودوائر معالجة المعلومة المعرفية التى تبنيها هذه العملية هى بالضرورة تجريبية (بمعنى كونها خاضعة للمحاولة والخطأ)، فهى تتشكل من خلال أدائها فى الظروف البيئية للكائن الحى (Symons, 1992).

الانتخاب الجماعى متعدد المستويات

بدأت مؤخرًا عملية إنعاش نموذج الانتخاب الجماعى، وهو النموذج الذى كان قد ترك للنسيان، بل إنه بدأ يظهر قابلية للتطبيق (Hamilton, 1975; Price, 1972; Wilson, 1975; Sober & Wilson, 1998). والبرهان كالتالى، تصور "جماعة" من الأفراد الذين لكل منهم تأثير على لياقة الآخرين وافترض أن الجماعات تتكون من نمطين من الأفراد النمط "الإيثارى" و"النمط الأنانى". فى كل الجماعات يكون الإيثاريون فى أوضاع أقل (لكونهم إيثاريين)، ويخلفون سلالات أقل من الأنماط الأنانية. ومع ذلك، يكاد يكون محسومًا أن الجماعات التى بها مزيد من الأنماط الإيثارية تخلف من الأجيال – إجمالاً– أكثر من الجماعات التى بها عدد أقل من الأنماط الإيثارية. الآن، حتى لو كان الإيثاريون فى وضع أضعف داخل الجماعة، إلا أنه فى حالة ما

---

(٩٦) اللغة المقصودة هنا مجازية بالطبع وتُستخدم فقط لتوضيح الشرح. انظر داوكينز لمناقشة واضحة حول تقديم هذا النوع من اللغة بدقة (المؤلف)

إذا كانت الميزة "التكاثرية"، التى يتميز بها الأفراد فى الجماعات التى تحتوى نسبة كبيرة من الإيثاريين، ميزة مؤثرة بما يكفى؛ فإن تكرار الأنماط الإيثارية فى المجموع الكلى للأفراد عبر المجموعتين (الإيثاريين والأنانيين) يمكن أن يزيد من جيل إلى الذى يليه (انظر من أجل تفسير دقيق لهذه النتيجة التى لا تتفق مع الحدس Sober & Wilson. 1998, PP. 23-26). على نطاق الأعضاء ذوى النمط الإيثارى فى الجماعة، فإن زيادة التكاثر الناجح بالنسبة لأعضاء هذه الجماعة مقارنةً بميزة اللياقة التى تميز الأنماط الأنانية داخل الجماعات الفردية، يحدد ما إذا كان الجين ذو السمة الإيثارية سيزداد فى التكرار فى المجموع الكلى أم لا.

هذه النسخة من الانتخاب الجماعى والتى تسمى أيضا الانتخاب متعدد المستويات يجب ألا تُفهم كبديل لوجهة النظر الجينية للتطور من خلال الانتخاب الطبيعى، فهذه النماذج هى ببساطة طريقة أخرى "لمسك الدفاتر"، واقتفاء أثر نجاح الجينات من خلال النظر إلى معدلات تكاثرها داخل الجماعات وبينها (Reeve. 2000). فهى ليست مسألة كم درجة رُصدت لصالح كل طرف فى الدفاتر، ولكن العامل الأهم هو نسبة الجينات فى نمط واحد بالنسبة للجينات فى النمط البديل فى المجموع ككل فى الأجيال المتتالية. والتأثيرات التى يحدثها الجين فى معدل تكاثره تحدد ما إذا كان سينتشر فى المجموع أم لا. من ثم يظهر نموذج الانتخاب متعدد المستويات أن الاهتمام بتأثيرات الجينات على المستويات المختلفة من التحليل يمكن أن يحدد ذلك المستوى الذى ينشأ عنده التكيف.

علم النفس التطورى

بعد تحديد الخصائص الكبرى لنظرية التطور من خلال الانتخاب الطبيعى نناقش الآن كيف تشكل هذه الأفكار فهمنا لعلم النفس الإنسانى،

فالرؤية التطورية تساعد على صياغة فروض حول العقل بطرق عدة. أولاً: التركيز على مشكلات التكيف يرينا الطبيعة عند روابطها الفعلية مع حياتنا، من ثم فالرؤية التطورية تعرفنا بأنواع المهام التى ربما تكون عقولنا مصممة لأدائها. ثانيًا: تحدد الرؤية التطورية حدود الفروض المحتمل اختبارها: وحدها خصائص التصميم التى يمكن أن تكون ساهمت فى تأدية وظائف مرتبطة بأسلوب حياة أجدادنا الصيادين والحاصدين وهى ما يحتمل أن تتميز به عقولنا (انظر بعد). وبالمثل، فإن نماذج التعاون التى ناقشناها آنفًا تولد قيودًا نظرية على طبيعة علم النفس التعاونى – من ثم يجب علينا أن نكون متشككين فى نماذج علم النفس التى تبدو غير تطورية. وفى النهاية، فإن منظور علم النفس التطورى يوضح لنا أن الكائنات الحية تنطوى على عدد كبير من المكونات المتكاملة والمتخصصة وظيفيًا وهذه الرؤية تقودنا إلى مكون أساسى للمنحى التطورى وهو: تخصص المجال.

خصوصية المجال

تعتمد مشكلات التكيف التى تواجهها الكائنات الحية، مثل إيجاد الطعام، وتجنب الافتراس، وجذب الرفيق... وهلم جرا على أساليب حياتها، بالإضافة إلى ذلك فإن هذه التحديات لا يمكن حلها بنفس الأبنية أو بنفس الأساليب، وهذا يفسر لماذا تمتلك الكائنات الحية أجهزة جسمانية مختلفة، كل منها مُصمم من أجل وظيفة معينة. ويعكس تنوع أعضاء الجسد الإنسانى هذا المبدأ؛ فالرئات تستبدل الغازات، والقلوب تضخ الدم،... وهكذا.

المشكلات المرتبطة بمعالجة المعلومات، وهى وظيفة المخ، لا تختلف. فالمخ – أو الجهاز العصبى عامةً– مصمم لأخذ المعلومات من العالم، ومعالجتها، وتوليد السلوك التكيفى. ومع ذلك، ولأن المشكلات التكيفية المختلفة تتطلب أنواعًا مختلفة من أنظمة معالجة المعلومات؛ فإن المخ يتألف

من وحدات وظيفية متخصصة لحل هذه المشكلات. يتضح هذا فى سياق الدوائر العصبية المرتبطة بالإحساسات، مثل الرؤية، والسمع، كما أنه من المتوقع أن يصدق أيضا على دوائر مصممة لحل أنواع أخرى من المشكلات: التعرف على الوجوه، اختيار الطعام، العثور على شركاء، استمرار الصداقات،... وهلم جرا (Tooby & Cosmides, 1992)

تمثل هذه النتيجة أهم عنصر مفهومى فى منحى علم النفس التطورى، فمبدأ تخصص المجال يفترض أن نتوقع أن المخ يتألف من عدد هائل من الدوائر المتخصصة وظيفيًا المصممة من خلال الانتخاب الطبيعى لحل مشكلات التكيف التى واجهها أسلافنا. وهذه الرؤية تتعارض مع الرؤى الأخرى المنتشرة فى العلوم الاجتماعية التى تنظر إلى المخ بوصفه آلة تعلم عامة جدًا (انظر Tooby & Cosmides, 1992; Plotkin, 1997 من أجل مناقشة لهذا الموضوع).

التعلم والثقافة

العنصر الثانى المهم فى المنحى التطورى هو رفض التمييز بين التنشئة والطبيعة. فبالنسبة لأية سمة فى أى كائن هناك حقيقة أن التغيرات فى جيناته أو بيئته الارتقائية يمكن أن تغير السمة؛ فبنية النمط الظاهرى هى – بالضرورة الموروثة – نتيجة تفاعل. لذلك فالأمر، كما وضعه توبى وكوزميدز (Tooby & Cosmides, 1992) "*كل شئ من الأثر الأكثر رهافة لأداء ريتشارد ستراوس إلى سيمفونية بيتهوفن الخامسة إلى وجود أملاح الكالسيوم فى عظامه عند الميلاد، كل هذا محدد جينيًا وبيئيًا بشكل مشترك بالكامل وبالدرجة نفسها لكل من الإسهامين* (P.P. 83 - 84)

من هذا المنظور تكون المقابلة بين الادعاء أن السلوك المُعطـى هـو نتاج التفاعل بين البيئة والجينات والادعاء أن السلوك "ثقافى" أو "متعلم[٩٧] "مقابلة بلا معنى. فكل سلوك هو "ثقافى" و"بيولوجى" معًا، بمعنـى أن كـل سلوك له أسباب جينية وبيئية، والاقتصار على إحـدى الـصفتين لوصـف السلوك أمر ليس له معنى. الجوهرى هنا هو برامج النمو الإنسانى وآليـات اكتساب المعلومات التى تنشئها هذه البرامج: الأنساق المعرفية التى تـشكل معارفنا من خلال التفاعل مع البيئة. وتؤدى نتائج التكاثر التى تقدمها برامج النمو المختلفة عبر التطور إلى الاحتفاظ بالبرامج التى نظمت النمو بأساليب تكيفية، بما فيها التعلم بأشكاله المختلفة (Tooby & Cosmides, 1992)

إن برامج النمو المختلفة تستجيب للمظاهر البيئية المختلفـة. فمـثلاً، تعتمد اللغة التى يتعلمها الفرد بشدة على المدخلات السمعية التى يتلقاها أثناء طفولته. ومع ذلك، تؤدى بعض برامج النمو إلى نتائج متسقة عبر البيئـات المتنوعة المتعددة التى يعيش فيها البشر وينمون. ولذلك يُـشار إلـى هـذه السمات بسمات "النمو الثابت"، بمعنى أن له مظاهر جوهريـة ثابتـة عبـر البيئات والثقافات. (انظر Cosmides & Tooby, 1994b)، واللغة ذاتها تُعد سمة نمو ثابتة، فهى تحدث فى أى مكان وأى زمان ينمو فيه الطفل وسـط عـالم اجتماعى عادى، حتى لو كان تعلم لغة معينة يعتمد على البيئة اللغوية.

بعبارة أخرى، فإن المعتقـدات والـسمات والـسلوكيات والمنتجـات الصناعية الإنسانية هى ما أطلق عليها داوكينـز (Dawkins, 1982) "الـنمط الظاهرى الممتد" للكائن، وهو كل الأشياء فى العالم التى تُقدم كنتيجة للتفاعل

(٩٧) "الثقافة" و"التعلم" لا تعدان أيضا تفسيرات بديلة للمطالبة بأن السلوك المعطى، مثل التصويت، يحـدث بسبب الآلية النفسية المتضمنة ورفض مثل هذا المطلب يتطلب أيضا (١) بديلاً عن التطـور لتفـسير التعقد الوظيفى المنظم (لا يوجد عرض حالى له) أو (٢) الثنائية [مثل أن هذه الآليات غيـر مطلوبـة لتعميم السلوك]. وكل هذه الأحداث يجب أن يكون واحدًا من كثير من العوامل المسببة فـى الأنظمـة البيولوجية المنظمة وظيفيًا (المؤلف)

المستمر بين البيئة والجين. فالسدود التى يبنيها حيوان القندس هى نتيجة السلوك الذى تنتجه أمخاخ القندس، وهذه الأمخاخ بدورها بناها التفاعل بين البيئة وبرامج القندس الجينية. وليس هذا المسار السببى مختلفًا فى حالة تكوين عظام الجسم، أو السيمفونيات، أو المؤسسات السياسية.

هذا لا يعنى أننا نقول إن كل سمة أو سلوك هو مثال لتكيف ما: فقيادة السيارات، وحساب التفاضل والتكامل، وكتابة الروايات، أى منها لايمكن أن يكون سمة من سمات النمط الظاهرى التى أدت إلى انتخاب برامج الارتقاء التى جعلت هذه الأشياء ممكنة فى النهاية. إن النتائج الثانوية، والتأثيرات الجانبية لأساليب التكيف كثيرة، والمسألة ليست أن كل شئ يفعله البشر يُعد تكيفيًا، ولا أن كل خاصية من الخصائص الإنسانية تعد مثالاً للتكيف، لكن المسألة هى أن فحص أساليب التكيف التى يرجح أن يمارسها البشر، ووظائف الآليات المصممة بواسطة الانتخاب عبر التاريخ التطورى لجنسنا البشرى، هذا الفحص يمكنه أن يقود النظرية من خلال لفت الانتباه إلى الخصائص التطورية للبناء النفسى التى يرجح أن يمتلكها البشر.

العقول متكيفة على بيئات الأسلاف

من المتوقع أن تكون الدوائر العصبية المتخصصة التى يمتلكها البشر مصممة لحل المشكلات التكيفية التى واجهها أسلافنا جامعو الصيد (Tooby & Cosmides, 1990b). فالانتخاب الطبيعى عملية تدريجية، تتطلب عددًا كبيرًا من الأجيال من أجل تراكم التصميم المركب، بالإضافة إلى أن الانتخاب الطبيعى يمكن أن يتعامل فقط مع الخصائص الثابتة فى بيئة الكائنات الحية، بمعنى أنه لكى ينتج التطور سمة توجه السلوك التكيفى استجابةً لظروف بيئية معينة؛ فإن هذه الظروف يجب أن تحضر بوفرة كافية، عبر زمن ممتد بما يكفى لإحداث زيادة اضطرادية فى التعديلات التصميمية الأكثر تكيفًا.

لأن البرهان الأنثربولوجى يوحى بأن أسلافنا عاشوا على الصيد وجمع النباتات الطبيعية؛ فإن أساليب التكيف المعرفية للبشر مرجح أن تكون مصممة لحل المشكلات التكيفية المرتبطة بأسلوب الحياة هذا. وعلى العكس، لأن الزراعة وارتفاع كثافة السكان تُعد ظواهر حديثة (بمقياس التطور). فإننا لا نتوقع أساليب تكيف معرفية لدى البشر مصممة بشكل محدد لحل المشكلات المتفردة المرتبطة بهذه العناصر فى الحياة المعاصرة (Tooby & Cosmides, 1990b).

والمثال المختصر جدًا الذى سيوضح الفكرة العامة هو: لأن مصادر الطعام كانت أقل وفرة بكثير عبر الزمن التطورى مما هى عليه الآن؛ فإنه يبدو أن الانتخاب الطبيعي قد جهز ذائقة البشر بتفضيل عالٍ لطعم الدهن الحيوانى، ومن المحتمل أن يكون ذلك ممثلاً لخاصية مفيدة لأنها دفعت إلى استهلاك أنواع طعام غنية بالسعرات الحرارية. وفى الحياة المعاصرة، حيث الدهن الحيوانى متاح بكميات كبيرة، فإن هذه الشهوة للطعام أدت إلى عواقب غير صحية للكثيرين. وهكذا فإن العقول المجهزة بشهيات أجدادنا قد تؤدى إلى عواقب كارثية فى البيئات المعاصرة.

سيكولوجية عامة وأفراد متفردون

أحيانًا ما يُنظر إلى علم النفس التطورى على أنه يواجه صعوبة فى تفسير الفروق بين الأفراد. ربما يكون ذلك بسبب التفسيرات البيولوجية التى غالبًا ما تُفهم على أنها براهين على الحتمية الجينية (انظر بعد). ومع ذلك، فإن المنظور التطورى ليس حتميًا من هذا المنطلق.

بشكل عام جدًا، تأتى الفروق بين الأفراد من مصدرين: الفروق الجينية والفروق البيئية. والدرجة التى يمكن أن تُعزى بها الفروق بين الأفراد إلى الأسباب الجينية تُقاس من خلال إحصاء القابلية للوراثة وتشير القابلية للوراثة

إلى نسبة التباين فى السمة بسبب الفروق الجينية بين الأفراد. ولأن القابلية للوراثة مقياس للتباين؛ فإنه لا يمكن تطبيقها على فرد واحد، وكما ناقشنا مبكرًا، فإن سمات أى فرد تُعد كلها نتيجة للتفاعلات المركبة بين جينات هذا الفرد والبيئة التى ينمو فيها.

لأن البشر فصيل يتكاثر عن طريق ممارسة الجنس؛ فإنه تتم قسمة مجموعتين كاملتين وناجحتين من الجينات فى كل مرة يتكون فيها تكوين جينى مكتمل لفرد (جنين) جديد. والجينات بهئيتها الجديدة هذه يجب أن تعمل بتناغم على خلق العناصر النموذجية للنمط الظاهرى الإنسانى. وإذا لم تقم كل مجموعة من الجينات بترميز عناصر النمط الظاهرى المتطابقة وظيفيًا فإن إعادة الاندماج الجينية سوف تفشل فى إنتاج جينومات جديدة صالحة، لأن جمع أجزاء آليتين مركبتين ومختلفتين وظيفيًا لا يؤدى إلى نتيجة ناجحة وظيفيًا. وهذا يعنى أنه على مستوى أنماط ظاهرية وظيفية مركبة، مثل الأساليب المعرفية، يجب أن يكون الأفراد متطابقيين عمليًا.

لذلك فإن الفروق الجينية بين الأفراد على الأرجح لا ترمز إلى خصائص التصميم المركبة ولكن بدلاً من ذلك تميل إلى أن تكون مقيدة بالعناصر غير الوظيفية للتصميم الحيوى (Tooby & Cosmides, 1990a، وانظر أيضا: Miller, 2000). فسمات مثل لون الشعر، ولون العين، وغيرها، يمكن أن تكون لها قابلية عالية نسبيًا للوراثة – فالضغط من أجل التجانس الجينى لا يمارس قوة انتخابية فعالة فى السمات غير الوظيفية. وملاحظة وجود قابلية عالية للوراثة بالنسبة لسمة ما فى بيئة معينة لا يشير بالضرورة إلى صعوبة تغير السمة، فحدة الرؤية سمة قابلة للوراثة لكنها يمكن أن تتغير بسهولة بسبب التكنولوجيا البصرية، وبالمثل فإن القابلية للوراثة تعتمد بشدة على البيئة التى تقاس فيها الفروق.

وتوجد، بالطبع، فروق فردية غير قابلة للوراثة. مثال بسيط هو أن الأفراد الذين يعيشون فى بيئات خطيرة من الناحية الفيزيقية على الأرجح يكون لديهم مزيد من الجروح، والسحجات، وهلم جرا. وهناك مثال آخر أكثر أهمية، وهو بينما يولد كل طفل بنفس الميكانزم لاكتساب اللغة، إلا أن اللغة المحددة يكتسبها الطفل اعتمادًا على البيئة (Chomsky, 1981)، فالقابلية للوراثة هنا (فى الأساس) صفر – وكل الفروق بين الأفراد تكون بسبب الفروق البيئية التى تصوغ معايير مفتوحة (Pinker, 1994)

بشكل أكثر عمومية، فإن الفروق بين الأفراد غالبًا ما توجد لأن التطور ينتخب الآليات التى تدفع الكائنات الحية إلى النمو بشكل يتوقف على بيئاتهم. فالكائن المصمم بشكل جيد لا يتصرف بشكل متماثل عبر السياقات الموقفية المختلفة ولكنه يستجيب بشكل توافقى للظروف البيئية. والمثال الجسدى المعروف جيدًا هنا هو الآلية التى تكون الجُسآت[٩٨]، فالاحتكاك المستمر للجلد يؤدى إلى تحسن فى وسائل حماية هذه المناطق التى يحدث فيها الاحتكاك.

وهناك مثال مشابه فى المجال النفسى هو بحث جانجستاد وبوس (Gangestad & Buss. 1993) حول الفروق الثقافية فى سيكولوجية الرفقة. لأن الجاذبية الجسمية المُدركة تُعد علامة على مقاومة الفرد للعدوى الطفيلية، فقد برر جانجستاد وبوس أنه فى المناطق التى بها عدد كبير من الطفيليات، ربما تكوَّن حس تكيفى يجعل هناك انجذابًا خاصًا نحو الجاذبية الجسمية لأن ذلك سيرتبط بوجود الجينات التى تقاوم الكائن الممرض (الجرثوم). وقد حلل جانجستاد وبوس بيانات عبر ثقافيه كبيرة تضع برهانًا مدعمًا، يوحى بأن آليات اختيار الرفيق مصممة بحيث تتغير تبعًا لتغير بعض المؤشرات البيئية.

---

(٩٨) جسآت جمع جسأة: جزء من الجلد أو اللحاء متصلب أو غليظ (المترجم)

لذلك لا تعد الفروق الفردية والفروق عبر الثقافية مشكلة خاصة بالنسبة للمناحى التطورية، فبشكل عام جدًا، يركز عديد من المتخصصين فى علم النفس التطورى على هذه الفروق التى لها قابلية منخفضة للوراثة لأنهم مهتمون بالبناء النفسى الإنسانى العام، لذلك فإن السؤال المحورى هو عن طبيعة الآلية التى تستجيب لخصائص البيئة، فبعض الآليات، مثل اكتساب اللغة تكون حساسة لعناصر النمط الظاهرى الإنسانى المحلىّ (e.g., Boyd & Richerson, 1985; Boyer, 1994) بينما تكون آليات آخرى حساسة للعوامل البيئية الفيزيقية (Gangestad & Buss, 1993).

فى النهاية، فإن التغيرات لا تُعد مع الوقت إشكالية بالنسبة للرؤى التطورية؛ فالتغيرات فى اللغة، والفكر، وتصميم الأدوات وهلم جرا، تحدث لأسباب متنوعة وتتقيد بطبيعة الآليات المعرفية الداخلة في اكتساب ونقل المعلومة فى هذه المجالات. فالتغيرات العشوائية فى استخدام الكلمات، والأفكار الدينية الجديدة التى يقبلها البعض والاكتشافات التى تحسن وظائف المنتجات الصناعية، كل هذه يتم محاكاتها. أما الأنثروبولوجيون فيستمرون فى التقدم نحو فهم القواعد التى تحكم نقل الأفكار فى المجالات المختلفة (Boyd & Richerson, 1985; Boyer, 1994).

فوائد التكيفية

التكيفية، أو فكرة أن الكائنات الحية يصممها الانتخاب الطبيعى لحل المشكلات التكيفية التى تواجهها أثناء تاريخها التطورى، هى فكرة يتم تطبيقها بالنسبة لكل الأنواع التى يدرسها علماء البيولوجيا. فى الواقع، فإن أغلب علماء البيولوجيا لا يعتبرون تحليل أى الأنواع ممكنًا بدون الرجوع إلى النظرية التطورية، وذلك ببساطة لأن التاريخ الانتخابى لأى كائن حى هو ما شكل ونحت التصميم النمطى لفصيل هذا الكائن، هذا التصميم الذى يحتويه ويمثله هذا الكائن نفسه.

البشر بدورهم، بوصفهم كيانات بيولوجية، لا يختلفون. فكل خصائص التصميم الخاصة بهم، بما فيها الآليات المعرفية للتعلم والاستنتاج، والانفعال، والتخطيط، وغيرها تعد نتاجًا لعملية التطور عن طريق الانتخاب الطبيعي. وقد أصبحنا نعرف الكثير الآن عن الطريقة التي تعمل بها عملية الانتخاب الطبيعي وعن ماضي أسلاف البشر، بما يسمح للباحثين المطلعين بيولوجيًا بتطبيق هذه المعرفة لعمل تنبؤات جديدة ومفيدة حول مجالات متعددة من مجالات علم النفس الإنساني (انظر مراجعة لهذا في: Buss et al., 1988).

إن محاولة فهم البشر وتفاعلاتهم مع البشر الآخرين بدون الاستفادة من فكرة التكيفية تعد إعاقة لا مبرر لها. ففي العلوم الطبيعية يستمد البحث الكيميائي معلومات من علوم الفيزياء، وكما تكون الفروض العلمية مقيدة، بمبدأ التوافق مع المستويات التنظيرية الأقل أو الأكثر أساسية (Barkow, Cosmides, & Tooby, 1992). وعلى العلوم الاجتماعية بالمثل أن تتواصل مع ما هو معروف عن التطور البيولوجي. وفيما يلي نحاول إظهار بعض الطرق التي يمكن من خلالها أن نستثمر الرؤى التطورية بشكل مفيد في فهم الحياة الاجتماعية الإنسانية وكيف تم استخدامها في عمل تنبؤات جديدة وغير مألوفة يمكن اختبارها، ومن المهم في هذا السياق الانتباه إلى أن الفروض المشتقة من وجهة النظر التطورية حول علم النفس والسلوك الإنسانيين ليست أقل في قابليتها لاختبار صدقها وكذبها من الفروض المشتقة من أي منظور آخر (انظر لمناقشة في هذا الصدد Ketelaar & Ellis, 2000).

ملاحظة سياسية في علم النفس السياسي التطوري

مغالطة "الطبيعية" Naturalistic fallacy (المصطلح الذي وضعه مور Moore, 1903) هي التسليم بأن ما هو واقع بالفعل هو ما يجب أن يكون.

يميل المتخصصون فى علم النفس التطورى إلى الرجوع للخلف لرفض هذه المغالطة وتوضيح وإعلان رؤيتهم أن المجال المعيارى للسياسة يُعد بعيدًا عن المجال الوضعى للبحث العلمى (e.g., Thornhill & Palmer, 2000; PP. 5-6)، ومع ذلك، فإن الدعاوى التطورية غالبًا ما تُفهم سياسيًا.

أحد الأسباب المحتملة لذلك هو أن المناحى التطورية تُدرك على أنها حتمية ولذلك هناك نظرة تشاؤمية حول إمكانية التغيير من خلال السياسة. أولئك الذين جادلوا ضد الأنواع المختلفة من التدخلات فى التعليم أو العمل استشهدوا أحيانًا بمبرر "تطورى" - إذا كانت أقدار الناس مكتوبة على جيناتهم، سيكون الجدل بالتالى، أن المساعدة الحكومية ستُهدر فى محاولة وقف القوة العنيدة للوراثة الجينية. ومع ذلك، وكما ناقشنا مبكرًا، فإن السمة المميزة لوجهة النظر التطورية (الحديثة) هى المرونة التكيفية أكثر من الثبات- فليس ثمة وجه من أوجه النمط الظاهرى محصن ضد التأثير البيئى.

باختصار، لا تستلزم الرؤية التطورية رؤى معينة خاصة بجاذبية سياسات بعينها، ولاهى تتضمن أن أنواعًا خاصة من التغيرات السياسية تُعد مستحيلة، ومن هذا المنطلق لا يختلف علم النفس التطورى عن المناحى العلمية الأخرى.

تعالق التوجهات التطورية بعلم النفس السياسى

فى الجزء المتبقى من هذا الفصل سنحاول إظهار كيف أن المنظور التطورى يساعدنا على فهم الظاهرة السياسية الأساسية بعمق وروح لم تكن موجوده فى الماضى. ومن الأفضل البدء بالتساؤل الذى يبدو واضحًا أنه لم يُسأل إلا نادرًا: لماذا ظهرت السياسة لدى البشر أساسًا؟ يصبح هذا التساؤل أكثر إلحاحًا عندما يلفت النظر إلى أن السياسة لاتبدو سلوكًا مميزًا أو يمكن التعرف عليه فى أغلب الأجناس الأخرى، فالسياسة أساسية للعلاقات

الاجتماعية، لذا فهى مهمة بالنسبة للأجناس الاجتماعية. فأفراد إنسان الغاب أو الأورانجوتانز، وهى مخلوقات منعزلة بشكل كبير، لايظهرون إلا القليل من الحصافة السياسية. أما حياة النحل الاجتماعية، على الجانب الآخر، فهى معقدة جدًا لدرجة أنها تستثير عددًا من الاستعارات السياسية ("الملكات"، و"الشغالات";Dugatkin, 199).

من المرجح أن نجد أساليب تكيف تطورية خاصة بالمعرفة السياسية حيثما نجد مترتبات - خاصة بكفاءة التكيف - تنتج عن إمكانية المناورة السياسية. وأكثر تحديدًا، فإننا نود افتراض *أن أساليب التكيف بالنسبة لعلم النفس السياسى مشتقة من احتمال أن تكون هناك لياقة مكتسبة من خلال النشاط التعاونى المنظم بين أفراد الجنس الواحد.*

لماذا لا توجد سياسة لفيلة البحر؟

تعد فيلة البحر حيوانات متعددة الزوجات، ففى كل موسم تزاوج يتفوق أحد ذكور فيلة البحر على منافسيه ويتزاوج مع العدد الذى فاز به من الإناث. تخيل زوجًا من ذكور فيلة البحر وقد كسرا تقليد المواجهة واحدًا لواحد وتكاتفا فى مواجهة منافسيهما. فإذا فكرنا فى مثل هذا عبر الأجناس المختلفة؛ سنجد أن التحالفات التى تضم عددًا أكبر من الأعضاء تكاد تنتصر دائمًا (Harcourt, 1992)؛ لذا فمن المعقول توقع أن أى زوج، حتى الزوج الذى يتكون من فيلة بحر أصغر نسبيا، سوف يتفوق بسهولة على أى فرد متحد، وبالتالى يستطيع هذا الزوج المنتصر أن يقسم الإناث بين طرفيه.

ومع ذلك، فإننا لا نلاحظ هذا السلوك بين فيلة البحر. وهناك سببان محتملان لذلك (١) التنسيق فى المعركة مشكلة تحتاج لحسابات معقدة، و(٢) بمجرد أن ينتصر زوج الفيلة، لا يبقى للفيل الأكبر حجمًا مانع يمنعه من الانقلاب على حليفه السابق. هكذا فإن الطفرة الجينية التى تسببت فى

تحالف فيل بحر صغير مع واحد أكبر منه، ليحرم فى النهاية من التـزاوج، هذه طفرة لايمكن أن تنتشر. إن غياب القدرة على تقوية التعاقدات ربما تمنع تكوين التحالفات.هذه مجرد تأملات، أما السبب فى أن الفيلة لا تشكل تحالفات فمازال محل جدال، إذ لاتبدو المكاسب المحتملة من تشكيل الاتحادات، فـى حد ذاتها، كافية لتطوير أساليب تكيف تؤدى إلى إنشائها.

لماذا توجد سياسة لدى قردة الشيمبانزى؟

سرد فرانز دى وال (Frans de Waal, 1982) المكائد السياسية لثلاثة من الشيمبانزى الذكور، "يروين"، "ونيكى" "ولويت" الذين اشتركوا فى نوع مـن التحالف غير موجود عند فيلة البحر. ففى حديقة حيوان أرنهيم عـام ١٩٧٦ وحد لويت ونيكى قوتهما للتغلب على الذكر الذى كان مسيطرًا حتـى هـذه اللحظة: يروين. وهنا اتخذ لويت وضع السيطرة ومن هذا الوضع أنشأ لويت ما أسماه دى وال دون تردد: "سياسات"، بما فيها التدخل فى النزاعات التـى تحدث بين أعضاء الجماعة مقويًا بذلك نوعًا من السلام. ولكـن فيمـا بعـد أصبح لويت ضحية لتحالف تشكل بين يروين ونيكى، نتج عنه صعود نيكى للسلطة. وقد لوحظ أن القرود من النوع الـشيمبانزى التـى تـصطاد فـى جماعات، تكون لديها القدرة على التنسيق للتعاون، كما أنها تظل، على الأقل لفترة من الوقت، متحالفة بدون فشل.

وبالمثل أشار البحث الكلاسيكى الذى أجراه باكر (Packer, 1977) عـن قردة البابون أن الحيوانات التى كونت تحالفًا ثنائيًا مـن أجـل المواجهـات التنافسية لاقت نجاحًا فى مواجهة المنافسين الفرادى وأحيانا مايفـصل هـذا الاتحاد الأنثى المستعدة للتزاوج عن ذكرها. ويبدو أنه يتم تجـاوز مـشكلة الخيانة الزوجية بين هذه الحيوانات وباقى الرئيسيات غير الإنسانية من خلال نظام الإيثار المتبادل (انظر قبلاً) كما يبدو أن التحالف مع شريك اليوم ييسر

المساعدة من ذلك الشريك غـدًا (Bercovitch, 1988; packer, 1977)، وربمـا تساهم آليات انتخاب المثيل أيضا فى حل مشكلة الخيانة بين الكائنات الحيـة الأخرى التى تتعاون فى جماعات، مثل الأسود (Packer et al., 1991) – فـلا تمثل الخيانة إعاقة ما دام هناك تحالف للمصالح الجينية.

لماذا توجد سياسة لدى البشر؟

ماذا حدث فى التاريخ التطورى الإنسانى فأدى إلى الخصائص التـى تسم سيكولوجية الإنسان السياسية: داخل هرمية الجماعات وبينهـا، حيـث الخوف من الغرباء وسيكولوجية التحـالف وغيرهـا؟ يـشير هـاركورت (Harcourt, 1992) فى مناقشته حول تحالفات الرئيسيات غير الإنسانية، إلـى وجود عوامل بيئية مهيئة للتحالفات، هى الثبات فـى عـضوية الجماعـة، والتباين فى قدرات الأعضاء وتوافر المصادر الغنية القابلة للتقسيم والموزعة بإحكام (p.44)، كما يشير أيضا إلى وجود متطلبات ضرورية لإمكان معالجة المعلومات؛ فاختيار الشركاء والإدارة المناورة للتحالفات هى مساعٍ معقدة.

أما من حيث الشروط البيئية؛ فيبدو أن الروابط الإنسانية كانت ثابتـة على الأقل نسبيًا عبر تاريخنا التطورى، كما ساهمت فى صيد طرائد كبيـرة (Lee & Devore, 1968). إن النجاح فى اصطياد حيوانات كبيرة الحجم يعنـى توافر الآليات التى تسمح بالتعاون المعقد بين الأفراد، وبمـا يـسمح للبـشر بالتغلب على حواجز لا يمكن لفيلة البحر أن تتخطاها، كما أن هذه الآليـات تمدنا بالمصادر "الغنية، القابلة للتقسيم" والتى تجعل الربح من التجارة ممكنًا – فالصيادون الناجحون فى يوم معين لديهم فائض من اللحم، بينمـا يجـوع أولئك الذين لايملكون اللحم. فإذا كان من الممكن قلب هـذا الموقـف فـى المسقبل؛ فإن هناك إمكانية لتسهيل الاستهلاك وتجارة اللحم بالتزامات مقابلة.

وفى الواقع، فإن هناك دلائل على تمتع البشر بأساليب تكيف مصممة من أجل المبادلات الاجتماعية، بل وللكشف عن المنتهكين وعقابهم (Cosmides & Tooby, 1992)، وربما لم تتطور أساليب التكيف هذه خصيصًا من أجل السياسة، إلا أنه بمجرد نشوئها فقد أصبحت حاسمة لتطور التكيفات الخاصة بالسياسة تحديدًا بالإضافة إلى ذلك، فقد اتضح أن سيكولوجية العقاب، التى لم تفهم جيدًا بعد، مسألة مهمة فى نشوء التعاون الجماعى (Boyd & Richerson, 1992).

ربما يقودنا تناول هاتين القدرتين معًا، القدرة على التعاون والقدرة على عقاب المخادعين، إلى فهم إسهامهما فى تمهيد عمل أساليب التكيف المصممة لتشكيل التكتلات داخل الجماعات فعندما تتمكن التكتلات من الاستيلاء على الموارد؛ يصبح هؤلاء الأقدر على تكوينها والحفاظ عليها أقدر أيضا، وبشدة، على التكاثر. وفى الأجناس التى تتشكل داخلها تكتلات متعددة؛ لا يصبح من الصعب تخيل وجود آليات متزايدة الحصافة لرصد المستعدين للتحالف (Kurzban, Tooby & Cosmides, 2001) وكذلك للإدارة المناورة للأفراد الموجودين فى العالم الاجتماعى للمرء، (Byrne & Whiten, 1988).

كما هو الحال مع فيلة البحر، يُعرف البشر بتعدد الزوجات، إلى حد معين على الأقل (e.g. low, 1988) لهذا فمن الممكن أن تكون هناك مكاسب بقائية محتملة إذا استطاع ذكور إحدى الجماعات استغلال النساء المنجبات من جماعة أخرى. ويمكن أن تؤدى النشاطات التعاونية بالإضافة إلى آليات عقاب الخارجين على الجماعة إلى نشوء آليات تكيفية معرفية مصممة لاستغلال موارد الجماعات الأخرى، لاسيما الإناث المنجبات (Kurzban & Leary, 2001; Tooby & Cosmides, 1988).

فى النهاية، فإن وجود أساليب التكيف المصممة من أجل السلطة داخل الجماعات، وكذلك أساليب التكيف المصممة من أجل الصراع والاستغلال

بين الجماعات يثير دينامية مخادعة؛ ففي حين قد تتركز مصالح الفرد في استغلال أكبر عدد من الأعضاء الآخرين في جماعته وذلك باستيلائه على أكبر قدر من موارد الجماعة؛ فإن الجماعات المنقسمة على ذاتها والمحملة بالصراع تكون في وضع سئ للغاية بالنسبة للجماعات الأخرى، خاصة إذا كان الصراع بين الجماعات أمرًا شائعًا. إذن فهذه الدينامية تثير توترًا وتناقضًا بين النجاح داخل الجماعة والنجاح بين الجماعات، وهو توتر يوازي التوتر الذي وصفه سوبر وويلسون عن الانتخاب الجماعي متعدد المستويات والموصوف آنفًا.

ربما يساعد هذا التوتر على توضيح كيف تبدو سيكولوجية "القيادة" و"التبعية" كالرغبة في السلطة (انظر بعد) وتفضيل الناس للقادة الأقوياء، حتى إذا كان ذلك على حساب التضحية بالحقوق والحريات (Boehm, 1999; Fromm. 1941)، ففي عالم مشحون بالصراع بين الجماعات يحصل فيه المنتصرون على مكاسب بقائية كبيرة، قد يفضل الانتخاب آليات مصممة لدعم القائد الذي يزيد من فرص النصر حتى لو كانت مشاركة الفرد في المكاسب أقل من حصته النسبية في الجماعة. وإذا كانت الضغوط بين الجماعات قوية بما يكفي؛ فإنه لا يرجح انتخاب الأفراد الذين يثيرون التوتر داخل الجماعة بسبب سعيهم للسلطة. وبمجرد أن أصبحت الآليات المعرفية مناسبة للتحالفات من أجل العمل بفعالية فإن الانتخاب ربما يكون قد فضل الآليات التي تدفع الفرد للبحث عن الأوضاع الفرعية في التحالفات الموجودة أكثر من الأوضاع الفائقة في الجماعات الأضعف.

ربما يمكننا القول إن سيكولوجية السياسة البشرية هي حزمة أساليب التكيف المصممة من أجل البحث عن السلطة والتأثير داخل الجماعة بالإضافة إلى أساليب التكيف المصممة من أجل الصراع والاستغلال بين الجماعات. إن تعقيدات العلاقات السياسية البشرية تُعد نتيجة لهذه الدينامية.

نتناول هنا أربعة مجالات للسلوك السياسى من منظور تطورى: العرقية والصراع بين الجماعات، والفروق الجنسية والنظام الأبوى فى السلوك السياسى، والهرمية الاجتماعية فى الجماعة، وأخيرًا التفرقة بين النظام الأبوى والتمييز العرقى/ السلالى.

العرقية والصراع بين الجماعات:

العرقية، الاعتقاد بتفوق جماعة الفرد العرقية الخاصة، كانت معروفة كخاصية منتشرة فى المجتمع البشرى حتى قبل أن يصوغ سامنر Sumner المصطلح عام ١٩٠٦، ومنذ زمن سامنر أضافت البحوث التجريبية والاثنوجرافية المستمرة تأكيدًا على التفضيل الأساسى المطلق لـ "نحن" مقابل "هم" (e.g. Eibl- Eibesfeldt, 1979). وتظهر "تجارب الجماعات المصغرة" التى أجراها تاجفل وزملاؤه (Tajfel, 1978) السهولة التى ظهر بها الانحياز للجماعة الداخلية. ولا يقتصر الميل نحو الانحياز للجماعة الداخلية على الشيوع عبر ثقافات وأمم عديدة ومختلفة، بل لم توجد ثقافة واحدة فشلت هذه النتائج أن تتكرر فيها (للمراجعة انظر Mullen, Brown & Smith, 1992). وقد أمضى عديد من المنظرين الثلاثين سنة الأخيرة محاولين فهم هذه النتائج الأساسية، والتفسير السائد هو أن التحيز للجماعة الداخلية هو جهد يُبذل لرفع التميز الاجتماعى الإيجابى للفرد و/أو خفض اللاتأكد الشخصى (انظر هودى Huddy فى هذا المجلد، وانظر أيضا Grieve & Hogg, 1999; Turner, 1999).

ومع ذلك، فإن هذه التفسيرات المحورية لا تبدو واعدة من منظور وظيفى (انظر Leary & Downs, 1995)، ونحن نفترض أن فهمًا أثرى للعرقية يمكن الوصول إليه من خلال وضع أصولها (التطورية) الأبعد فى الاعتبار. فمن منظور النظرية التطورية فإن تفسير التعاون فى الجماعات يُعد مشكلة محيرة. والصعوبة هى فى تفسير كيف أن الجين الذى يسلك إيثاريًا نحو عدد

من أعضاء جماعته الآخرين يمكنه أن ينافس بل يتفوق على جين آخر أنانى يقبل فوائد الإيثار الذى يمارسه الأول دون أن يكلف نفسه عناء إفادة الآخرين. لقد تم حل هذه المشكلة بالنسبة للأزواج من خلال نظرية الإيثار المتبادل ونظرية انتخاب المثيل اللتين ناقشناهما فيما قبل.

وقد حُلت المشكلة فى الحشرات الاجتماعية لأن مستعمراتها تتكون من أفراد تربطهم قرابة وثيقة، بينما فى الجماعات البشرية، والتى يكون فيها متوسط درجة القرابة بين الأفراد ضئيلاً جدًا (انظر بعد)، لايمكن تفسير تعاون الجماعة بهذه الطريقة، ومع ذلك فإن مستوى تعاون الجماعة لدى البشر يظل موضوع الجدال الرئيسى.

إن المحاولات المبكرة لتطوير نظرية تطورية فى العرقية مستخدمةً نظرية انتخاب القريب لهاميلتون (Hamilton. 1964) عن اللياقة – البقائية – الشاملة، يتم تعميمها من التفاعلات الثنائية إلى التفاعلات على مستوى الجماعة. وقد بدأت هذه النماذج مع فكرة أن التطور الإنسانى حدث فى سياق جماعات صغيرة من أفراد مرتبطة جينيًا (مثل الإخوة، والأعمام......إلخ). ففى مثل هذه الجماعات من المفترض أن متوسط الارتباط بين الأفراد داخل الجماعات أعلى من متوسط ارتباط الأفراد بين الجماعات، وبالتالى فقد كان يُنظر إلى العرقيه كشكل من أشكال امتداد انتخاب المثيل ومحاباة القريب (انظر Jones, 2000; Vanden Berghe. 1981).

ومع ذلك، فإن هذا النموذج يمكن انتقاده على عدة أسس: أولاً، تتطلب هذه الدعاوى بناءات نوعية جدًا من السكان لكى تنطبق عليها. فعلى سبيل المثال، إذا كانت معدلات المواعدة داخل الجماعة منخفضة فى حين كانت معدلات الهجرة بين الجماعات كبيرة بشكل كافى؛ فإن قوى انتخاب القريب تكون غير كافية لانتخاب السلوك الإيثارى على مستوى الجماعة (Boyd & Richerson. 1985)، وقد سجل جونز (Jones, 200) متوسط معامل الارتباط

داخل الجماعات لعدد من المجتمعات القبلية المعاصرة فوجد أنه يقع في المدى من ٠,٠٥ إلى ٠,١. ويشير جونز أنه لكي يعمل انتخاب القريب ويرجح الإيثار في ظل هذه المستويات، فإن هذا المدى سيتطلب فوائد "حاسمة" تمنح لأعضاء الجماعة على مدى عشرات الآلاف من السنوات.

هناك مشكلة إضافية هي أن عمليات انتخاب القريب سوف تكون في أقوى حالاتها في سياق الأقارب الأقرب للفرد، والذى يعنى بالضرورة العدد الأصغر من الأفراد الآخرين. لذلك فإن مشكلة الحصول على تعاون باقٍ ومستقر في شبكة أقارب كبيرة هي أنه يرجح أن تقلل القوى الأقوى نسبيًا لجماعات الأقارب الأصغر من استقرار المستوى الأعلى من التنظيم. والمشكلة المرتبطة بهذا هي أنه بسبب طبيعة الوراثة، فإن قوى انتخاب القريب تتضاءل بشكل دال مع اتساع المسافة بين العلاقات. فمثلاً، معامل العلاقة بالنسبة لأولاد العمومة أو الخؤولة الأوائل هو ٠,١٢٥، بما يعنى أن انتخاب القريب سوف يعمل فقط عندما تكون الفوائد الممنوحة أعلى ثمانية مرات من التكاليف بالنسبة للفرد الإيثارى (انظر قاعدة هاملتون، قبلاً).

هناك بديل لفكرة انتخاب القريب حيث إمكانية تفسير التعاون الإنسانى في الجماعات من خلال عملية انتخاب الجماعة الثقافية (Boyd & Richerson, 1985). افترض أن جماعات مختلفة قد تبنت معايير اجتماعية متباينة لضبط سلوكها وهذه المعايير تُتبع من كل فرد في كل جماعة. سيكون لبعض الجماعات، بالصدفة، معايير مفيدة للجماعة ككل وسيكون لجماعات أخرى معايير أخرى تعتبرها الجماعة ضارة. ومع مرور الوقت، سوف تنتشر معايير الجماعات التي تكون فيها المعايير مفيدة للجماعة ككل؛ نظرًا لأنه من المعروف أن نجاح الجماعات ذات المعايير التعاونية أعلى نسبيًا من غيرها. ويمكن فهم هذا البناء بوصفه عملية انتخاب ثقافى فضلت فيها الجماعات المتعاونة في تفاعلاتها الداخلية، والمتنافسة في تفاعلاتها مع الجماعات الأخرى.

إلا أن هذا البرهان يهاجم بقوة تلك الجماعات التى تتكون من أفراد يتشاركون نفس القيم والمعايير. فكما يحدث مع النسخة الجينية، تتطلب نماذج انتخاب الجماعة الثقافية أن يتمايز الأفراد المتعاونون فى تجمعات تتشكل من أفراد متعاونين آخرين. هكذا، وبقدر ما تؤدى الهجرة (للمعايير بدلاً من الجينات) بين الجماعات أو أية عملية أخرى إلى خلط الأفراد الأنانيين مع الأفراد المتعاونين؛ فإن عملية انتخاب الجماعة تقمع. وبالعكس، بقدر ما تكون الجماعات المتجانسة فى هذه المعايير، يتم تيسير عملية انتخاب الجماعة الثقافية.

افترض بويد وريتشارسون (Boyd & Richerson, 1985) أن الخاصية المميزة للبشر هى أنهم يميلون إلى تبنى الأفكار والممارسات الشائعة داخل جماعتهم وهذا الميل للمجاراة والامتثال، حسب اعتقاد بويد وريتشارسون، هو تكيف مصمم لاكتساب الأفكار أو المعلومات التى يجدها الآخرون فى الجماعة جيدة. وقد امتد جيل وايت (Gil-White, 2001) حديثًا بهذه الفكرة حيث افترض أن الميل للمجاراة والامتثال فى سياق تفاعلات الأفراد أتت به حقيقة أن تنظيم أفعال الفرد فى اتجاه الحصول على نتائج مفيدة تبادليًا يعد أيسر عندما يتشارك الأفراد المتفاعلون نفس المعايير. ففى البيئة الثقافية المعاصرة، على سبيل المثال، من الأفضل أن يتوقف الفرد عند الضوء الأحمر ويتحرك عند الأخضر. ويمكن أن يكون للانحراف عن الأعراف المحلية تأثيرات مدمرة خطيرة. إن المجاراة والامتثال ييسران انتخاب الجماعة الثقافية من خلال جعل الجماعات متجانسة فى احترامها للمعايير، مع تفادى ما تضعه الهجرة من عوائق أمام انتخاب الجماعة.

إن مميزات مشاركة المعايير واكتساب الممارسات الثقافية لأولئك المحيطين بك ربما يفسر أيضا لماذا يستخدم الناس فى كل مكان علامات هوية الجماعة أو محددات الجماعة، و"الشارات" الثقافية كالأعراف

الاجتماعية، والتقاليد، والأضحيات، وأشكال الملبس، وحلاقة الشعر، واللغة، واللهجـــة (انظـــر Alexander, 1979; Dawkins, 1976; Eibl-Eibesfeldt, 1998; Reynolds, Falger, & Vine, 1987; Symons, 1979; van den Berghe, 1978; 1981). وقد أشار بويد وريتشارسون (Boyd & Richerson, 1987)،على سبيل المثال، إلى أن الوسم العرقى ربما بزغ ليسمح للأفراد أن يحددوا بدقة مـــن الذين يمكننا محاكاتهم من بين كل الأفراد الآخرين.

وأيًا كان سبب هذه الممارسة، فإن الوسم الثقافى ربما يمـــدنا بتفـــسير آخر للتعاون الإنسانى واسع المدى، فقد افترض البعض أن أساليب التكيـــف، المصممة أصلاً لمنح الفوائد على أساس القرابة الجينية تتم مزاملتها لتـــشمل أيضا الأفراد الذين يتشاركون فى شارات الثقافة هذه. إن الإيثار، والمحاباة، والتعاون الممنوحة أصلاً للأقارب القريبين، امتدت لأعضاء جماعات "القرابة التخيلية" وقد أشار ويسنر (Wiessner, 1998) إلى أن "تطور القرابة المعرفـــة اجتماعيًا كان تكيفًا حاسمًا للنوع البشرى. فقد سمح ببناء شبكة علاقات أمان اجتماعى واسعة لتقليل المخاطرة من خـــلال الـــسماح بالوصـــول للمـــوارد الطبيعية والبشرية التى تقع خارج الجماعة. إن الخسائر التى تسببها التقلبات فى الموارد الطبيعية، أو العجز عن إيجـــاد الرفقـــاء، أو الـــصراع، وهلـــم جرا،يمكن فى هذه الحالة استيعابها من خلال هذا التجمع الـــسكانى الأكبـــر" (p.134) هكذا، وبسبب القدرة الإنسانية على الترميز والتجريد، فإن مـــا بـــدأ كشكل من أشكال العرقية والتعاون داخل الجماعة المعتمدين علـــى درجـــة القرابة الجينية (انتخاب القريب) تحول إلى إمكانية أن تعاون الجماعة الداخلية وتمركزها العرقى يقومان على مستوى أوسع كثيرًا ويشمل عددًا يكاد يكون نهائيًا من المعرفين اجتماعيًا كأقارب.

إن قوة العلاقة بين التمركز حول العرق والقرابة المبنيـــة اجتماعيًـــا تظهر بوضوح فى حقيقة أن الاحتكام السياسى للهويـــة العرقيـــة والوطنيـــة

والخوف من الغرباء غالبًا ما تُصاغ جيدًا بإستخدام المصطلحات المتعلقة بالأسرة والقرابة (مثل الوطن الأم، وطن الآباء والأجداد، إخوة السلاح) وكذلك من خلال التوسل "بأساطير الدم" والسلالة المشتركة (مثل "الآباء المؤسسون" (انظر مثلاً Johnson, 1986; Ratwik, & Sawyer, 1987; Patterson, 1983). ومع ذلك، ليس واضحًا بعد بالضبط كيف أن مثل هذا النظام يمكن أن يقاوم التغيير الذى رفض نقل الفوائد للقريب الزائف؛ فمثل هذه الطفرة كانت ستبدو كمزية انتخابية بالمقارنة بالجينات التى سببت نقل الفوائد عالية التكلفة لغير القريب.

على الرغم من مرونة الخصائص التى تعرف الجماعة، والحدود بين داخل الجماعات وخارجها عبر السياقات الاجتماعية والسياسية المختلفة، فإنه يبدو أن بعض أنماط الحدود بين داخل الجماعة وخارجها تتكرر فيشير البحث المعاصر فى علم النفس الارتقائى والأنثروبولوجيا المعرفية إلى أن البشر يمتلكون آليات متخصصة مصممة لتصنيف العالم الاجتماعى إلى أنواع من الجماعات الإنسانية (Gil – White, 2001). ويبدو أن هذه الأنظمة حساسة للهاديات البصرية (Hirschfield, 1996) كما أنها تتبع تلك الهاديات التى ترتبط بأبنية متحالفة. وربما تفسر هذه الحساسية للمعلومات البصرية – جزئيًا – لماذا تُعد "السلالة" واحدة من الحدود المثابرة للجماعات. ومع ذلك يبدو أن الهاديات المتعلقة بالسلالة لاتختلف عن باقى العلامات البصرية. واتساقًا مع تصور مبكر لـ "السلالة" بوصفها تجمعًا اعتباطيًا (انظر Pratto. 1999; Sidanius, 1993) فقد قدم كل من كرزبان، وتوبى ووكوزميدز (Kurzban, Tooby & Cosmides, 2001) حديثًا دعمًا لوجهة نظر بديلة عن كون التقسيم بناءً على السلالة عملية آلية؛ فالتصنيف ربما يكون بناء يمكن استئصاله، يستمر فقط مادام محفوظًا بشكل نشط من خلال كونه مرتبطًا بالأنظمة الموازية الخاصة بالتحالف الاجتماعى.

باختصار، بينما يقودنا المنظور التطورى إلى تصور أن العرقية Ethnocenterism تعد الحالة الأصلية للشعوب البشرية. إلا أنه من الواضح أيضا أن الشكل الدقيق، لشدة واتساع هذه الاستجابة العرقية يعتمد على مجموعة من العوامل السياقية والموقفية. وبالتالى، وفى حال تساوى الشروط الأخرى، فإن العرقية ترتبط بعوامل مثل اللاتأكد الاقتصادى، وندرة الموارد، وكثافة السكان، والميول والحساسيات النفسية العدوانية للنخب السياسية، وطبيعة الإيديولوجيات السياسية.

هناك درسان أوليان يمكننا تعلمهما من المنحى التطورى فى العرقية. الأول هو أن أية مناقشة للتعاون فى الجماعات يجب أن تبدأ بالافتراضات الثابتة بيولوجيًا حول ما يمكن، مبدئيًا، تضمينه، كما أن نماذج تطور التعاون يجب أن تعرض دائمًا ما يحمى الأساليب الأقل تعاونًا من غزو تجمعات الأفراد المتعاونين. ثانيًا، تربط الرؤية التطورية بين مسألتى التعاون والتنافس. كما أن نماذج تطور التعاون على مستوى الجماعة هى أيضا نماذج للتنافس بين الجماعات (بشكل ضمنى دائمًا وكثيرًا ما تكون كذلك بشكل صريح أيضا) وبلغه تطورية فإن عالم اللياقة البقائية الجينية مجموعه يساوى صفرًا. فلا يوجد فائزون جينيًا بدون خاسرين جينيًا.

النظام الأبوى (البطرياركى) والفروق الجنسية فى السلوك السياسى

نحن نفترض هنا أن القيود الإنجابية الفارقة، والفرص التى يواجهها كل من الذكور والإناث أدت إلى تطور فروق دقيقة فى التكيفات ولهذه الفروق تضمينات عميقة بالنسبة للسلوك السياسى والبناء الاجتماعى. إن ما يؤدى بنا إلى هذه التوقعات يتولد من تضمينات نظرية الانتخاب الجنسى لداروين ونظرية الاستثمار الوالدى لتريفرز (Trivers, 1972) التى ناقشناها مبكرًا، فقد افترض تريفرز أنه فى الكائنات التى تتكاثر جنسيًا، يكون الجهد

الإنجابى عبارة عن خليط ما بين نشاطين أساسين: (١) جهد المواعدة – الوقت والجهد المخصصين لإيجاد الرفقاء الجذابين و(٢) الجهد الوالدى – الوقت والجهد المخصصين للعناية بالصغار وأى فرق جنسى فى التباين المحتمل فى معدل الإنجاب بين الجنسين يمكن أن يسبب فرقًا بينهما فى الجهد الذى تخصصه استراتيجية كل منهما التكاثرية. ولأنه لاتوجد علاقة بين عدد الرفقاء المتاحين لإناث البشر ونجاحهن الإنجابى فسوف يزدن من لياقتهن البقائية من خلال تكريس جهد أكبر نسبيا للنشاطات الوالدية، أى أكثر من الجهد الذى يكرسنه لنشاطات المواعدة. وعلى العكس. لأن ذكور البشر قادرون احتماليًا على إنجاب عدد كبير من الأبناء، فإن لياقتهم البقائية سوف تزيد من خلال تكريس جهد أكبر نسبيا للمواعدة، أكثر مما يخصصون للنشاطات الوالدية (انظر Clutton – Brock, 1991) وبالتالى، وعبر الزمن التطورى، ستنشأ علاقة إيجابية قوية بين عدد الرفيقات المتاحات جنسيًا للذكور ونجاح هؤلاء الذكور الإنجابى.

هذه القيود الإنجابية الفارقة التى تواجه الجنسين لها عواقب مهمة. فمن المتوقع، على سبيل المثال، أن تكون الإناث انتقائيات جدًا فى اختيارهن للرفقاء. وتنجذب إناث الرئيسيات الاجتماعية (مثل البابونز والشيمبانزى، والبشر)، وكذلك إناث أنواع عديدة أخرى، للذكور ذوى الصحة الجيدة والنشاط، وذوى المكانة الاجتماعية العالية والسيطرة على الموارد الاقتصادية القيمة والاستعداد لتوزيع هذه الموارد عليها وعلى أبنائها. وبشكلٍ عام، فإن الذكور سيكونون أقل انتقائية فى اختيارهم للرفيق، مستثمرين فرص المواعدة أيا كانت بتقديم أنفسهم، لأن الاتصالات الجنسية الإضافية مع رفاق منخفضى الجودة يمكن أن تكون مفيدة للذكور، بينما تمثل تكلفة بالنسبة للإناث.

وبسببِ المستويات المرتفعة جوهريًا لتكلفة الاستثمار فى الأبناء؛ فإن إناث البشر تُعد موردًا محدودًا (ومن ثم قيمًا)، مما يؤدى إلى مستويات أعلى

من المنافسة بين الذكور. ويعبر ذلك عن نفسه ليس فقط فى المنافسة المباشرة للوصول الجنسى للإناث ولكن أيضا فى المنافسة بين الذكور على المكانة الاجتماعية، والسلطة والموارد الاقتصادية (انظر بعد) وبالنسبة للذكور، فإن الموارد التى غالبًا ما أدت إلى مستويات عالية من النجاح الإنجابى، تتمثل فى الفرص المتاحة للذكور فى الاتصال الجنسى مع رفيقات متعددات ذوات خصوبة عالية. فمثلاً، الحكام الذكور الأقوياء للامبراطوريات العظمى الأولى فى العالم (مثل الأزتك، والإنكا وامبراطوريات الصين). كانت لديهم فرص مقتصرة عليهم للاتصال بحريمهم مما قد يتضمن عشرة آلاف زوجة (انظر مثلاً، Betzig, 1993) وعلى العكس، بينما يحتاج الإناث أيضا إلى موارد من أجل تنشئة أطفال أصحاء، وسوف ينخرطن فى منافسة للحصول على هذه الموارد، فلن يكون من المفيد لهن جمع موارد هائلة؛ لأنهن لن يكن قادرات على تحويل هذه الموارد إلى نجاح إنجابى، وفى الواقع، لن تكون المنفعة *الإنجابية الهامشية للموارد الإضافية أقل للإناث منها للذكور فحسب ولكن* أيضا سوف يخفض السعى المكثف نحو زيادة موارد الإناث من مستوى نجاحهن التكاثرى (انظر Hawkes, O'Connell, & Rogers, 1997; Packer, Gilbert, Pusey, & O'Brien, 1995).

إن ضغوط الانتخاب المختلفة التى يتعرض لها كل من الذكور والاناث عبر الزمن التطورى ربما تنتج آليات معرفية ذات خصائص تصميم مختلفة، والتفضيلات فى المواعدة هى أحد المجالات التى تكون فيها هذه الفروق واضحة؛ فالرجال والنساء يقيمون السمات الأهم فى رفقائهم على المدى الطويل بأشكال مختلفة. وهذا يؤدى إلى فروق ضمنية مباشرة فيما يخص السلوك السياسى لكل منهما تمامًا. وإذا كان صحيحًا أن عوائد السيطرة على الآخرين ومصادرهم على اللياقة النهائية للذكور أكبر منها عند الاناث؛ فإنه من المنطقى توقع أن الانتخاب سيؤدى إلى ميول أعلى لاكتساب السلطة السياسية وممارستها والسيطرة فى الذكور أكثر منها فى الإناث.

تتسق أدلة امبيريقية عديدة مع هذه التوقعات. فالنظام الأبـوى علـى سبيل المثال، أو الممارسة الذكورية الغالبة للسلطة العسكرية والسياسية، يبدو ظاهرة إنسانية عالميـة (e.g., Goldberg, 1994; Harris, 1993; Rosaldo, 1974; Sanday,1974). فسبعون فى المئة تقريبًا من المجتمعات الإنسانية لديها قـادة سياسيون ذكور فقط، كما أنه فى بقية المجتمعات، كلما كانت المكانة السياسية قوية كلما كان احتمال شغل الذكور لها أكبـر (White, 1978, 1979). وعلـى الرغم من أن هناك عددًا من المجتمعات الخؤولية (المجتمعات التـى يكـون فيها الانتقال السلفى عن طريق خط الأنثى) والمجتمعات التى كان فيها الحاكم الفرد أنثى (مثل الملكة اليزابيث فى انجلترا) فإنه لاتوجد مجتمعات معروفـة فى التاريخ الإنسانى امتلكت فيها النساء كمية من السلطة الـسياسية للنخبـة أكبر من الرجل[٩٩] وفى حين أن من الواضح أن درجة البطرياركية تظهـر تباينًا دالاً عبر الثقافات والسياقات الاجتماعية والفترات الزمنية المختلفة، فإن النظام الأبوى نفسه يبدو ملمحًا ثابتًا. بالاضافة إلى ذلك فإن النظام الأبـوى ليس خاصية مميزة للمجتمعات الإنسانية وحسب، ولكـن، مـع قليـل مـن الاستثناءات نجد أنه خاصية مميزة لمعظم الأنواع الأخـرى مـن الثـدييات الاجتماعية[١٠٠].

توجد أيضا فروق بين الذكر والأنثـى فـى الاتجاهـات الاجتماعيـة السياسية المتعلقة بالسلطة فبينما يشترك الرجال والنساء وتتداخل توزيعـاتهم على الاتجاهات الاجتماعية السياسية الشائعة (كما فـى جـل الخـصائص الأخرى مثل حجم الجسم والقوة)، فإن متوسط الفروق بين الجنسين يظهـر

---

(٩٩) التحليل الاثنوجرافى الحذر لجولدبرج والذى أزال الزيف عن الاستثناءات المثارة فـى هـذه القاعـدة (مثل الأوروكواز) والهوبى، والجيفارو (المؤلف)

(١٠٠) لوصف النظام الأبوى بين الأنواع الأخرى، الرئيسيات غير الإنسانية، انظـر de Waal 1993 and Eibl- Eiberfeldt 1989، من بين قليل من الإستثناءات عن قاعدة النظام الأبوى من الرئيسيات قرود البابونز، والريصز ماكويز وموريكوى (انظر Castillo, 1997). (المؤلف)

ميلاً متسقًا لدى الرجال لأن يكونوا عسكريين، ومتمركزين حول العرق، وأكثر خوفًا من الأجانب، وضد المساواة، وعقابيين، وميالين إيجابيًا إلى الاستغلال النهاب للجماعات الخارجية أكثر من المرأة. (e.g., Ekehammar, 1985; Ekehammar, & Sidanius, 1982; Furnham, 1985; Marjoribanks, 1981; Sapiro & Mahajan,1986; Sidanius & Ekehammar, 1980, 1983; Smith, 1984; see also Everitt, 1998; Montoya, 1996)

وعلى ضوء الطبيعة الدقيقة لهذه الفروق بين الجنسين فى الاتجاهات المتعالقة مع السياسة؛ فقد وصف بعض المنظرين الاتجاهات الاجتماعية السياسية للرجال بكونها "داعمة للهرمية" أو للبناء الهرمى، وتلك الخاصة بالنساء بكونها "مضعفة للهرمية" (انظر: Pratto, 1999; Sidanius & Pratto, 1999; Eisler & Loye, 1983)[١٠١] وبينما هناك أسباب قوية لتوقع فروق مستقرة بين الذكر والأنثى بالنسبة لهذا المتصل، فإن هذه الفروق لا تعبر عن نفسها بالضرورة كفروق فى الحزبية أو التفضيلات الحزبية السياسية. فلا يجب توقع أن تعبر الفروق بين الرجل والمرأة فى التوجه الاجتماعى السياسى الأساسى عن نفسها كفروق فى التفضيلات الحزبية إلا بقدر ما تتخذ الأحزاب السياسية مواقف مميزة ومرئية وثابتة على طول هذا المتصل "دعم الهرمية" مقابل "إضعاف الهرمية".

لذلك، وعلى ضوء افتراضاتنا التطورية التى ناقشناها مبكرًا، يوجد سبب للاعتقاد أنه، مع تساوى الظروف، فإن للرجال عمومًا استعدادًا أكبر لمنافسة "الآخر" واستخلاص الموارد منه، ووضعه فى مرتبة أدنى. كما أن الرغبة فى ترسيخ أنظمة الاستغلال الاجتماعى الاقتصادى والحفاظ عليها والسيطرة على الجماعات الأخرى قد تم الالتفات إليها حديثًا من خلال توجه

---

(١٠١) يعنى منظرو السيطرة الاجتماعية بمصطلح "الزيادة الهرمية" الرغبة المؤسسة على أساس جنسى موضع نظام هرمى لعلاقات السلطة بين الجماعات المسيطرة والمهمشة. (المؤلف)

السيطرة الاجتماعية (SDO; Pratto, Sidanius, Stallworth, & Malle, 1994; Sidanius & Pratto, 1999; see also Altemeyer, 1998; Jackson & Esses, 2000; Whitley,1999). ويتميز توجه السيطرة الاجتماعية مفهوميًا وامبيريقيًا عن تركيبات مثل السيطرة الفردية والعنصرية، والتسلطية، والاتجاهات السياسية المحافظة ومع ذلك يظهر هذا التوجه علاقات قوية وثابتة مع عدد من الاتجاهات والسلوكيات المتعالقة سياسيًا مثل التحيز العرقى المعمم، وكل من النزعات الجنسية، والعسكرية، والأبوية، والقومية، والاتجاهات السياسية المحافظة وايديولوجيات التشريع السياسى (مثل المعتقدات عن العالم المنصف)، واتجاهات سياسات الحرية الاجتماعية والعنصرية واتجاهات التهجير مع العدالة الجنائية وسلوك المشاركة الحزبية والتصويت الانتخابى[١٠٢].

وبالتالى فإن النظرية التطورية ستقودنا إلى توقع أن تكون متوسطات مستويات توجه السيطرة الاجتماعية أعلى بشكل دال لدى الذكور منها لدى الإناث. وفى الواقع فإن هذه الحالة هى من أكثر النتائج الموثقة جيدًا داخل أدبيات السيطرة الاجتماعية، وقد تم رصدها عبر مدى عريض من الثقافات والمواقف والاجتماعية (see especially Sidanius & Pratto, 1999; see also Heaven & Bucci, 200; Pratto, Stallworth, & Sidanius, 1997; Sidanius, Cling. & Pratto, 1991; Sidanius, Levin, Liu. & Pratto, 2000; Sidanius, Pratto, & Bobo, 1994; Sidanius, Pratto. & Brief, 1995).

---

(102) See. E. g. Altemeyer. 1998; Bates & Heaven, 2001. Danso & Esses, 2001: Heaven. 1999; Heaven & Bucci, 2001: Heaven Greene, Stones. & Caputi. 2000: Jackson & Esses, 2000; Jost & Thompson 2000: Martinez Paterna. Rosa. & Angosto. 2000: Nelson & Milburn. 1999: Roccato Gattino & Patris. 2000: Pratto et al., 1994: Schwartzwald & Tur-kaspa. 1997: Sidanius & Pratto, 1999; Strunk & Chang. 1999: Walter Thorpe. & Kingery. 200i: Whitley,& Aesgisdottir. 2000 (المؤلف)

يشير هذا الفرق بين الجنسين فى توجه السيطرة الاجتماعية إلى واحد من الأسباب الأساسية للهوة بين الجنسين الملحوظة باتساع فى الاتجاهات السياسية الاجتماعية[١٠٣]، وهو سبب مرتبط بالفروق بين الرجل والمرأة فى الرغبة فى ممارسة السيطرة على الآخرين. ولاختبار هذه الفكرة، اختبر سيدانوس وبراتو (Sidanius & Pratto, 1999) العلاقة بين النوع الجنسى ومدى عريض من الاتجاهات السياسية (مثل التمييز العنصرى) والتفضيلات السياسية (مثل دعم الفقراء) وقد استعان الباحثان بعينات مستقلة عبر ثلاث دول مختلفة هى إسرائيل والسويد والولايات المتحدة الأمريكية، واتساقاً مع التوقعات فقد وجد أن توجه السيطرة الاجتماعية قد عدل من العلاقة بين النوع الجنسى وتلك الاتجاهات لدى ٩٨ فى المئة من الحالات، كما أنه مسؤول عن أكثر من خمسين فى المائة من التباين المشترك بين الجنسين من ناحية والاتجاهات والتفضيلات السياسية من ناحية أخرى.

بزوغ الهرمية المرتكزة على الجماعة

لنتذكر كيف أن الذكور يستطيعون تحسين نجاحهم التكاثرى من خلال اكتساب رفيقات إضافيات بينما لاتستطيع الإناث ذلك. واحد من الوسائل الأولية التى يستطيع الذكور من خلالها اكتساب إناث مرغوبات هى تحصيل السلطة، والمكانة والسيطرة، تلك الأهداف التى تسبب تنافسًا بين الذكور. وكجزء من هذا السعى يشكل ذكور البشر تحالفات تسعى لمصادرة بعض ما لدى الآخرين (مثل العصابات، والأحزاب المعارضة والجيوش) منخرطين فى صراع بين الجماعات، ومحاولين استخلاص الموارد الاجتماعية، والاقتصادية والجنسية من جماعات الذكور الأخرى (Tooby & Cosmides,

(103) See, e.g., Norrander, 1997, 1999; Studlar McAllister, & Hayes, 1998: Trevor, 1999: Wirls 1986(المؤلف)

1988). واتساقًا مع ملاحظة المستويات المرتفعة من النزعات العسكرية بين الذكور التى ناقشناها مبكرًا؟ فقد افترض توبى وكوزميدز (1988) أن الفوائد التكاثرية المتمايزة بالنسبة لكل من الذكور والإناث، تلك الفوائد الناتجة عن الصراعات الجمعية أدت إلى تكيفات معرفية نوعية للذكور فى إتجاه "سيكولوجية التحالف"، وهى تكيفات مصممة جزئيًا لدفع السلوك التنافسى داخل الجماعة (انظر أيضا Kurzban & Leary, 2001).

يتسق هذا الاستنتاج مع ملاحظة أن الحرب كانت وستظل نشاطًا ذكوريًا أساسيًا. فمثلاً ظهر فى الدراسة الاثنوجرافية لموردوك ووايت (Murdock & White, 1969) لـ ٢٢٤ مجتمعًا من المجتمعات الإنسانية المعروفة حول العالم أن شن الحرب كان نشاطًا ذكوريًا بشكل حصرى. وبينما من المؤكد اشتراك النساء فى الصراعات كما أنه من المعروف عنهن دفاعهن عن أنفسهن، وأوطانهن وأطفالهن، إلا أنه ليس هناك حدث واحد فى التاريخ الإنسانى نظمت فيه النساء أو كونت جيوشًا لأغراض الإغارة أو النهب فيما بين الجماعات (e.g., Keegan, 1993; Rodseth, Wrangham, Harrigen, & Smuts. 1991) واتساقًا مع منظورنا التطورى فإن تشكيل تحالفات الذكور بهدف الإغارة ومصادرة الموارد ليس مقصورًا فقط على البشر ولكن يبدو أنه يحدث أيضا فى أكثر من حالة بين الثدييات الاجتماعية مثل البابونز والشيمبانزى والدلافين (انظر: low, 2000).

ولأن الذكور لديهم ميل أعلى للكفاح من أجل السلطة السياسية، والمكانة، وتراكم الموارد الاجتماعية، وتكوين التحالفات ضد الجماعات الأخرى؛ فإن علينا أن نتوقع بطرياركية وصراعات بين الجماعات منشؤها الذكور، ليس هذا وحسب، ولكن أن نجد أيضا، فى الأنساق الاجتماعية الكبرى، هيئات مبنية بشكل هرمى للعلاقات بين جماعات أوتحالفات الذكور. فتحالفات الذكور الأكثر كفاءة وقوة سياسيًا والتى تملك قدرات تنظيمية و/أو

عسكرية تكون قادرة على استخلاص الموارد الاقتصادية والاجتماعية من تحالفات الذكور الأقل قوة. وبسبب المرونة الإنسانية الكبيرة فى بناء وتعريف هذه الترابطات التحالفية داخل الجماعة وخارجها، أو المرونة فى رسم حدود التحالفات فإن هذه الجماعات الاجتماعية المبنية بشكل هرمى تظهر نفسها فى عدد كبير من الطرق المتنوعة، تتضمن صياغة مفاهيم عن التجمعات الممكنة المختلفة فى مصطلحات: الطوائف الاجتماعية والعشائر والأنساب والقوميات والقبائل والجماعات العرقية والمناطق والطبقات الاجتماعية. وبسبب هذه المطاطية التعريفية فإن منظرى السيطرة الاجتماعية يشيرون إلى مثل هذه الجماعات بوصفها *تجمعات تعسفية* كما يشيرون إلى الترتيب الهرمى لها فى نسق اجتماعى معين بوصفه *هرمية تعسفية* وبالتالى، كما يشير كل من شاجنون (Chagnon, 1979) وبيتزج (Betzig, 1993)، فإن النتيجة النهائية لهذه الاستراتيجية التكاثرية الذكورية المتوجهة نحو المصادرة والسلطة هى التحكم الذكورى (البطرياركى) فى النساء، وكذلك تطور واستمرار غياب المساواة الاقتصادية بين التجمعات الاعتباطية بوجه عام.

التفرقة بين الأبوية (البطرياركية) والهرمية التعسفية

مال عدد من مفكرى النسوية وعديد من علماء الاجتماع إلى افتراض أن الأبوية/ التميز الجنسى من ناحية والتمييز العنصرى من ناحية أخرى يكادان يتكافئان وظيفيًا (e.g., Fernandez. Castro, & Torrejon, 2001, Marti. Bobier & Baron, 200) حيث يُنظر إلى كل منها كشكل من أشكال التعصب ضد جماعات أخرى موصومة، وبالتالى فإن كلاً منهما يفترض أن يكون موضوعًا للمبادئ والقيود النفسية نفسها[١٠٤]. وعلى العكس يرى سيدانوس وبراتو (Sidanius & Pratto, 1999) أنه بينما تشترك كل من الأبوية والهرمية

---

(١٠٤) بالنسبة لمنحى الفروق الفردية والمركبة لطبيعة التعصب، انظر الفصل السادس عشر. (المؤلف)

التعسفية فى بعض نفس الجذور السببية (مثل النزوع الذكورى النسبى للسلطة الاجتماعية) وأيضا بينما يميل كلاً الشكلين من الهرمية الاجتماعية إلى الارتباط عبر المجتمعات، إلا أن أحدهما يختلف عن الآخر كيفيًا. ومن بين الفروق العديدة التى يمكن وضعها بينهما (انظر Sidanius & Vegienas, 2002) هناك ثلاثة فروق حاسمة الأهمية هنا.

أولاً، على النقيض من "السلالات"؛ فإن أفراد كلا النوعين/ الجنسين (الذكور والإناث) يرغبان أحدهما فى الآخر. إن لكل من الجنسين سندًا فى الوجود المستمر للآخر. وهذه ليست الحال بالنسبة إلى جماعات مثل الأمريكان السود والأمريكان البيض. وبكل تأكيد فإن لأعضاء كل فئة جنسية سيكولوجية تطورية مصممة للانجذاب لأعضاء الجنس الآخر فى كثير من أنواع التفاعلات الاجتماعية. لا يمكن قول الشئ نفسه بالنسبة للفئات السلالية أوالعرقية أو الدينية. وبينما لا يمكن بالطبع إنكار حالات عنف الرجل ضد المرأة فإن الإبادة الجنسية ستؤدى إلى تدمير المورد النادر المرغوب للرجال.

ثانيًا، هناك ميل للنظر إلى التفرقة الجنسية والنزعة الذكورية البطرياركية أساسًا كمشروعات كارهة للنساء جلبها الرجال الكارهون والمحتقرون للمرأة (e.g., Dworkin. 1974; Mies. Bennholdt – Thomsen. & von Werlhof. 19878)[١٠٥]، وفى المقابل فإن المنظور التطورى يقترح أن الأبوية يجب أن تُرى مبدئيًا كمشروع سيطرة أكثر منه مشروع عدوان (يعرف العدوان على أنه الرغبة فى الإيذاء).

ولأن الذكور كانوا معتمدين تمامًا على الإناث للنجاح التكاثرى، فقد كان عليهم أن يجنحوا نحو تقييد الحضور الجنسى للمرأة والسيطرة عليه

---

(١٠٥) انظر جيليك وفيسك (٢٠٠١) الاستثناء الحديث لهذا الميل (المؤلف)

وعلى الموارد التى تعتمد عليها الإناث. وهو ما يتضمن – من بين ما يتضمن – أن الطبيعة الجوهرية للبطرياركية هى كونها *أبوية* أكثر منها كارهة[١٠٦] وبالتالى، فبدلاً من أن تكون النساء جماعة يتنافس معها الذكور الموارد التكاثرية الثمينة؛ فإن الإناث هن تاريخيًا المورد الإنجابى الثمين الذى يتنافس عليه الرجال. وفى حين أنه من المؤكد أن الإناث يتنافسن على الرفقاء المرغوبين؛ فإنهن لن يتنافسن عادة على الرفقة الجنسية لعدد من الذكور فى آن واحد، كما أن هذه المنافسة لا تصل إلى العنف أو الحرب المنظمين.

ثالثًا، وبحكم التعريف، فى حين أن النظام الأبوى يعد ظاهرة تميز بين الجنسين، وموضوعًا لكل القيود الموصوفة أنفًا، ولأن أغلب التجمعات التعسفية هى جماعات مبنية بشكل أبوى (مثل القبائل، والأمم، والسلالات)؛ فإن المواجهات بين هذه التجمعات تعد أيضا ظاهرة مواجهة بين الذكور والذكور أساسًا. كما أن هذه التجمعات ليست مبنية على النظام الأبوى فحسب؛ بل غالبًا ما يتم استيعابها نفسيًا فى مفاهيم ومصطلحات ذكورية. فعلى سبيل المثال وجد إيجلى وكيت (Eagly & Kite, 1987) أن القوالب النمطية للجماعات القومية كانت مرتبطة بقوة بالقوالب النمطية للرجال أكثر من ارتباطها بالقوالب النمطية للنساء وبالمثل فقد وجد زارات وسميث (Zarate & Smith, 1990) أن الرجال يُدركون فى إطار سلالاتهم أكثر وأسرع من النساء.

افتراض هدف الذكور الثانوى

تقودنا هذه الفروق بين البطرياركية والهرمية التعسفية إلى استنتاجات مفارقة للحدس بالنظر إلى مسألة التمييز بين الجماعات. ولأن النظام الأبوى

---

(١٠٦) انظر جاكمان (Jackman, 1994) لتفسير امبيريقى لهذا الفرق. (المؤلف)

يعد مشروعًا لسيطرة أحد الجنسين على الآخر فى حين أن المواجهات بين المجموعات التعسفية هى فى الأساس تنافسًا بين أعضاء النوع الجنسى نفسه؛ فإنه يرجح للتمييز العدوانى للمجموعات المتعسفة أن يوجه نحو من هم خارج المجموعة من الذكور لا الإناث. لذا، فبينما ستكون الإناث (بغض النظر عن عضويتهن فى أية جماعة تعسفية) موضوعات لسيطرة النظام الأبوى، نتوقع أن يمثل الذكور أهدافًا أولية لتمييز الهرمية التعسفية العدوانى. بالإضافة إلى ذلك فإن منفذى هذا التمييز النشط ضد الخارجيين من الذكور سيكونون من ذكور الجماعة لا من إناثها.

وقد أشار منظرو السيطرة الاجتماعية لهذا باسم *فرض الهدف الذكر الخاضع*. وقد تجمعت حديثًا بيانات كثيرة من البرهان التجريبى عبر مدى واسع من المجالات تتسق مع هذه الاستنتاجات (انظر Sidanius & Pratto, 1999. Sidanius & Veniegas, 2000 انظر أيضا Davis, Cheng & Strobe, 1996)، لا يظهر البرهان التجريبى أن الذكور خارج الجماعة يمثلون أهدافًا أرجح من الإناث للتمييز الذى تمارسه الهرمية التعسفية (e.g. Eckel & Wilson, 2002, Fershtman & energy 2001, Sidanius & Pratto, 1999) ولكن يتوفر أيضا برهان يشير إلى ترجيح قيام الذكور بارتكاب هذا التمييز دون الإناث (انظر Fershtman & Gneezy, 2001, Sidanius, 2001).

خلاصات

لقد خُصص هذا الفصل لمناقشة كيف يمكن للمنظور التطورى أن يخبرنا عن السلوك السياسى الإنسانى ويعمق فهمنا له، وقد حاولنا فى أثناء ذلك تقديم ثلاثة محاور كبيرة. أولاً، قدمنا المبادئ الأساسية للتفكير التطورى الحديث وحاولنا أن نصحح الطرق التى أسئ بها تفسيره وفهمه. ومن بين أكثر أمثلة سوء الفهم المتجذرة بعمق فكرة أن التفكير التطورى يُعد

بالضرورة ممارسة للحتمية الجينية. وبينما كانت بعض مناحي القرن العشرين التطورية المتعلقة بالسلوك الإنساني بالفعل متأثرة بعمق برؤية تبسيطية ومفرطة في الحتمية (e.g. Galton, 1892, Kidd, 1898, Spencer. 1862)؛ فإن علم النفس التطوري المعاصر يؤكد على عمق وتركيب التفاعل بين الآليات المعرفية التطورية والسياقات البيئية، رافضًا تمييز "الطبيعة مقابل التنشئة" بوصفه أساسًا واهيًا.

ثانيًا، افترضنا أن بعض تطبيقات النظرية التطورية الأكثر وضوحًا لفهم السلوك السياسي يمكن أن تكون موجودة في مجالات التمركز العرقي والصراع بين الجماعات، وعلم النفس السياسي المتعلق بالنوع الجنسي، والمتانة العنيدة لكل من هرمية البطرياركية وهرمية التجمعات التعسفية الاجتماعية الخاصة بالنظام الأبوي والهيئة التحكمية. لذلك، وعلى سبيل المثال، بينما يوجد ميل واضح للنظر إلى كل من التمييز الجنسي والتمييز العنصري كظاهرتين نفسيتين اجتماعيتين متشابهتين جدًا، إن لم تكونا متطابقتين، فإن المنحى التطوري يسمح لنا بفهم كيف ولماذا يجب أن يختلف هذان الشكلان من أشكال التعصب الاجتماعي كل منهم عن الآخر؟. وفي حين أن مجالات التمركز العرقي، وصراع الجماعة، وعلم نفس السياسة المتعلق بالنوع الجنسي، والهرمية الاجتماعية هي أكثر المجالات وضوحًا بحيث يمكننا أن نطبق المنحى التطوري بشكل مثمر على السلوك السياسي، فإنها بالتأكيد ليست المجالات الوحيدة الممكنة، ونحن نتطلع لمزيد من التطبيقات لهذه الأفكار في المستقبل.

ثالثًا وأخيرًا، علينا تأكيد أن الرؤية التطورية ليست بديلاً عن المناحي النفسية، أو الاجتماعية، أو التاريخية ولا هي تنكر وجود التعلم أو التنشئة الاجتماعية. بالأحرى يفترض المنظور التطوري أن على آليات التعلم المقدمة أن تتسق مع ما هو معروف عن الانتخاب الطبيعي والمعرفة

الطبيعية فالمعلومات "الثقافية"، بمعنى المعلومات التى تتوافر لعقول بشرية تعيش فى مكان وزمان معينين، هى معلومات يتم اكتسابها من خلال أنساق التعلم التطورية (see, e. g. Bayer, 1994, Bayed and Richerson, 1985). باختصار بدلاً من النظر إلى التنشئة الاجتماعية والتفسيرات التطورية كشروح مطلقة تتبادل العداء وتتنافس؛ نقترح ضرورة تكامل وجهتى التفسير داخل منظومة متسقة ومنسجمه داخليًا. وبالتالى يمكننا النظر إلى عمليات التنشئة الاجتماعية على أنها لم تدخل بعد فى أصول الفعل الإنسانى. ونحن نفترض أن معظم تقدمنا المتواصل فى فهم السلوك السياسى الإنسانى سوف يكون ميسرًا بشكل كبير من خلال تعظيم التكامل الرأسى عبر العلوم الاجتماعية، بما فيها تقدير الخصائص التطورية للعقل الإنسانى. إننا لن نكون قادرين على مواجهة تحديات وجودنا المستمر (مثل الحرب)، أو مواجهة تحديات القيم الديمقراطية (مثل التمييز العنصرى، والتمييز الجنسى) حتى نحقق فهمًا أفضل للسلوك المعقد متعدد المستويات الذى تتجلى فيه الأليات النفسية التى يندرج تحتها السلوك السياسى الإنسانى المتشكل من خلال العمليات التطورية.

ملاحظة:

إننا نشكر شانا ليفين، وهيلارى هالى، وفرانسيسكو جيل وايت، وبريان لور لتعليقاتهم المفيده بشدة فى مسودات هذا الفصل.

Notes

We thank Shana Levin, Hillary Haley, Francisco Gil-White, and Brian Lowery for their extremely helpful comments on preliminary drafts of this chapter.

1. The intentional language here is of course metaphorical, used only for clarity of exposition. See Dawkins (1976) for a lucid discussion of paying out this kind of language rigorously.

2. "Culture" and "learning" are also not *alternative* explanations for claims that a given behavior, such as voting, is caused by the operation of an evolved psychological mechanism. To object to such a claim requires either (1) an alternative to evolution as an explanation for organized functional complexity (of which none are currently on offer), or (2) dualism (i.e., that mechanisms are not required for generating behavior). Of course, all events are multiply caused. The claim here is a weak one: that evolution must be one of the many causal agents in functionally organized biological systems.

3. Goldberg's (1994, pp. 231–247) careful ethnographic analysis has debunked the alleged exceptions to this rule (e.g., the Iroquois, the Hopi, the Jivaro).

4. For a description of patriarchy among other, nonhuman primate species, see de Waal (1993) and Eibl-Eibesfeldt (1989). Among the few exceptions to patriarchic rule among primates are bonobos, rhesus macaques, and muriqui monkeys (see Castillo, 1997).

5. By the term "hierarchy-enhancing," social dominance theorists mean the generalized desire to established a hierarchical system of power relations between dominant and subordinate groups.

6. See e.g., Altemeyer, 1998; Bates & Heaven, 2001; Danso & Esses, 2001; Heaven, 1999; Heaven & Bucci, 2001: Heaven Greene, Stones, & Caputi, 2000; Jackson & Esses, 2000; Jost & Thompson, 2000; Martinez Paterna, Rosa, & Angosto, 2000; Nelson & Milburn, 1999; Roccato Gattino, & Patris, 2000; Pratto et al., 1994; Schwarzwald & Tur-Kaspa, 1997; Sidanius & Pratto, 1999; Strunk & Chang, 1999; Walter Thorpe, & Kingery, 2001; Whitley, 1999; Whitley & Aesgisdottir, 2000.

7. See, e.g., Norrander, 1997, 1999; Studlar, McAllister, & Hayes, 1998; Trevor, 1999; Wirls, 1986.

8. For a synthetic and individual difference approach to the nature of prejudice, see chapter 16.

9. For a recent exception to this tendency, see Glick and Fiske (2001).

10. See Jackman (1994) for an empirical demonstration of this distinction.

References

Alexander, R. D. (1979). *Darwinism and human affairs.* Seattle: University of Washington Press.

Altemeyer, B. (1998). The "other authoritarian personality." In M. P. Zanna (Ed.), *Advances in experimental social psychology* (Vol. 30, pp. 46–92). San Diego: Academic Press.

Axelrod, R., & Hamilton, W. D. (1981). The evolution of cooperation. *Science, 211,* 1390–1396.

Barkow, J., Cosmides, L. & Tooby, J. (Eds.). (1992). *The adapted mind.* New York: Oxford University Press.

Bates, Cathy, & Heaven, Patrick C. L. (2001). Attitudes to women in society: The

role of social dominance orientation and social values. *Journal of Community and Applied Social Psychology, 11,* 43–49.

Bercovitch, F. B. (1988). Coalitions, cooperation and reproductive tactics among adult male baboons. *Animal Behaviour, 36,* 1198–1209.

Betzig, L. (1986). *Despotism and differential reproduction: A Darwinian view of history.* New York: de Gruyter.

Betzig, L. (1993). Sex, succession, and stratification in the first six civilizations: How powerful men reproduced, passed power on to their sons, and used power to defend their wealth, women and children. In L. Ellis (Ed.), *Social stratification and socioeconomic inequality: A comparative biosocial analysis* (pp. 37–74). New York: Praeger.

Boehm, C. (1999). *Hierarchy in the forest: The evolution of egalitarian behavior.* Cambridge, MA: Harvard University Press.

Bowles, S., & Gintis, H. (1998). Is equality passé? Homo reciprocans and the future of egalitarian politics. *Boston Review, 23,* 4–35.

Bowles, S., & Gintis, H. (1998). The moral economy of community: Structured populations and the evolution of prosocial norms. *Evolution and Human Behavior 19,* 3–25.

Boyd, R., & Richerson, P. J. (1985). *Culture and the evolutionary process.* Chicago: University of Chicago Press.

Boyd, R., & Richerson, P. J. (1987). Evolution of ethnic markers. *Cultural Anthropology 2,* 65–79.

Boyd, R., & Richerson, P. J. (1992). Punishment allows the evolution of cooperation (or anything else) in sizable groups. *Ethology and Sociobiology, 13,* 171–195.

Boyer, P. (1994). Cognitive constraints on cultural representations: Natural ontologies and religious ideas. In L. Hirschfeld & S. Gelman (Eds.), *Mapping the mind: Domain specificity in culture and cognition* (pp. 391–411). New York: Cambridge University Press.

Brown, D. E. (1991). Human universals. New York: McGraw-Hill.

Buss, D. M. (1989). Sex differences in human mate preferences: Evolutionary hypotheses tested in thirty-seven cultures. *Behavioral and Brain Sciences, 12,* 1–49.

Buss, D. M, Haselton, M. G., Shackelford, T. K., Bleske, A. L., Wakefield, J. C. (1998). Adaptations, exaptations, and spandrels. *American Psychologist, 53,* pp. 533–548.

Byrne, R. W., & Whiten, A., (Eds). (1988). *Machiavellian intelligence: Social expertise and the evolution of intellect in monkeys, apes, and humans.* Oxford: Clarendon Press.

Castillo, R. (1997). *Culture and mental illness.* New York: Brooks-Cole.

Chagnon, N. A. (1979). Is reproductive success equal in egalitarian societies? In N. Chagnon & W. Irons (Eds.), *Evolutionary biology and human social behavior: An anthropological perspective* (pp. 374–402). North Scituate, MA: Duxbury.

Chomsky, N. (1981). Principles and parameters in syntactic theory. In N. Hornstein & D. Lightfoot (Eds.), *Explanation in linguistics: The logical problem of language acquisition* (pp. 32–75). London: Longman.

Clutton-Brock, T. H. (1991). *The evolution of parental care.* Princeton: Princeton University Press.

Cosmides, L., & Tooby, J. (1992). Cognitive adaptations for social exchange. In J. Barkow, L. Cosmides, & J. Tooby (Eds.), *The adapted mind* (pp. 163–228). New York: Oxford University Press.

Cosmides, L., & Tooby, J. (1994a). Better than rational: Evolutionary psychology and the invisible hand. *American Economic Review, 84*, 327–332.
Cosmides, L., & Tooby, J. (1994b). Origins of domain specificity: The evolution of functional organization. In L. A. Hirschfeld & S. A. Gelman (Eds.), *Mapping the mind: Domain specificity in cognition and culture* (pp. 85–116). New York: Cambridge University Press.
Cosmides, L., Tooby, J., & Barkow, J. H. (1992). Introduction: Evolutionary psychology and conceptual integration. In J. H. Barkow, L. Cosmides, & J. Tooby (Eds.), *The adapted mind* (pp. 3–15). New York: Oxford University Press.
Danso, H. A., & Esses, V. M. (2001). Black experimenters and the intellectual test performance of White participants: The tables are turned. *Journal of Experimental Social Psychology, 37*, 158–165.
Darwin, C. (1859). *On the origin of species by means of natural selection*. London: Murray.
Darwin, C. (1871). *The descent of man and selection in relation to sex*. London: Murray.
Davis, L. E., Cheng, L. C., & Strube, M. J. (1996). Differential effects of racial composition on male and female groups: Implications for group work practice. *Social Work Research, 20*, 157–166.
Dawkins, R. (1976). *The selfish gene*. New York: Oxford University Press.
Dawkins, R. (1982). *The extended phenotype: The long reach of the gene*. New York: Oxford University Press.
de Waal, F. (1988). *Chimpanzee politics: Power and sex among apes*. Baltimore: Johns Hopkins University Press.
de Waal, F. B. M. (1993). Sex differences in chimpanzee (and human) behavior: A matter of social values? In M. Hechter, L. Nadel, & R. E. Michod (Eds.), *The origin of values* (pp. 285–303). New York: de Gruyter.
Dietz, T., Burns, T. T., & Buttel, F. H. (1990). Evolutionary thinking in sociology: An examination of current thinking. *Sociological Forum, 5*, 155–171.
Dugatkin, L. (1997). *Cooperation among animals: An evolutionary perspective*. New York: Oxford University Press.
Dugatkin, L. (1999). *Cheating monkeys and citizen bees: The nature of cooperation in animals and humans*. New York: Free Press.
Dworkin, A. (1974). *Woman hating*. New York: Dutton.
Eagly, A. H., & Kite, M. (1987). Are stereotypes of nationalities applied to both women and men? *Journal of Personality and Social Psychology, 53*, 451–462.
Eckel, C., & Wilson, R. (2002, January). Is Trust a risky decision? Paper presented at the annual meeting of the American Economic Association/Allied Social Science Associations, Atlanta, Georgia.
Eibl-Eibesfeldt, I. (1979). *The biology of war, men, animals and aggression*. London: Thames and Hudson.
Eibl-Eibesfeldt, I. (1989). *Human ethology*. New York: de Gruyter.
Eibl-Eibesfeldt, I. (1998). *Ethnic conflict and indoctrination: Altruism ands identity in evolutionary perspective*. New York: Berghahn Books.
Eisler, R. & Loye, D. (1983). The "failure" of liberalism: A reassessment of ideology from a new feminine-masculine perspective. *Political Psychology, 4*, 469–475.
Ekehammar, B. (1985). Sex differences in socio-political attitudes revisited. *Educational Studies, 11*, 3–9.
Ekehammar, B., & Sidanius, J. (1982). Sex differences in socio-political ideology:

A replication and extension. *British Journal of Social Psychology, 21*, 249–257.

Emerson, A. E. (1960). The evolution of adaptation in population systems. In S.Tax (Ed.), *Evolution after Darwin* (pp. 307–348). Chicago: University of Chicago Press.

Everitt, J. (1998). The gender gap in Canada: Now you see it, now you don't. *Canadian Review of Sociology and Anthropology, 35*, 191–219.

Fernandez, M. L., Castro, Y., & Torrejon, M. J. S. (2001). Sexism and racism in a Spanish sample of secondary school students. *Social Indicators Research, 54*, 309–328.

Fersthtman, C., & Gneezy, U. (2001, February). Discrimination in a segmented society: An experimental approach. *Quarterly Journal of Economics*, 351–372.

Fromm, E. (1941). *Escape from freedom*. New York: Holt.

Furnham, A. (1985). Adolescents' sociopolitical attitudes: A study of sex and national differences. *Political Psychology, 6*, 621–636.

Galton, F. (1892). Hereditary genius: an inquiry into its laws and consequences. 2nd edition. New York: Macmillian.

Gangestad, S. W., & Buss, D. M. (1993). Pathogen prevalence and human mate preferences. *Ethology and Sociobiology, 14*, 89–96

Geary, D. C. (1999). *Male, female: The evolution of human sex differences*. Washington, DC: American Psychological Association.

Gil-White, F. J. (2001). Are ethnic groups biological "species" to the human brain?: Essentialism in our cognition of some social categories. *Current Anthropology 42*, 515–554.

Gil-White, F. J. (in press). Sorting is not categorization: A critique of the claim that Brazilians have fuzzy racial categories. *Cognition and Culture*.

Glick, P., & Fiske, S. T. (2001). Ambivalent sexism. In Zanna, Mark P. (Ed). (2001). Advances in experimental social psychology, Vol. 33 (pp. 115–188). San Diego, CA: Academic Press.

Goldberg, S. (1994). *Why men rule: A theory of male dominance*. Chicago: Open Court.

Grieve, P. G., & Hogg, M. A. (1999). Subjective uncertainty and intergroup discrimination in the minimal group situation. *Personality and Social Psychology, 25*, 926–940.

Hamilton, W. D. (1964). The genetical evolution of social behavior. *Journal of Theoretical Biology, 7*, 1–52.

Hamilton, W. D. (1975). Innate social aptitudes of man: An approach from evolutionary genetics. In R. Fox (Ed.), *Biosocial anthropology* (pp. 133–155). New York: Wiley.

Harcourt, A. H. (1992). Coalitions and alliances: Are primates more complex than non-primates. In A. H. Harcourt & F. B. B. de Waal (Eds)., *Coalitions and alliances in humans and other animals* (pp. 445–471). Oxford: Oxford University Press.

Harris, M. (1993). The evolution of gender hierarchies: A trial formulation. In D. Miller (Ed.), *Sex and gender hierarchies* (pp. 57–79. Cambridge: Cambridge University Press.

Haselton, M. G., & Buss, D. M. (2000). Error management theory: A new perspective on biases in cross-sex mind reading. *Journal of Personality & Social Psychology, 78*, 81–91.

Hawkes, K., O'Connell, J. F., & Rogers, L. (1997). The behavioral ecology of modern hunter-gathers, and human evolution. *Trends in Ecology and Evolution, 12*, 29–31.

Heaven, P. C. L. (1999). Attitudes toward women's rights: Relationships with social dominance orientation and political group identities. *Sex Roles, 41*, 605–614.

Heaven, P. C. L., & Bucci, S. (2001). Right-wing authoritarianism, social dominance orientation and personality: An analysis using the IPIP measure. *European Journal of Personality, 15*, 49–56.

Heaven, P. C. L., Greene, R. L., Stones, C. R., & Caputi, P. (2000). Levels of social dominance orientation in three societies. *Journal of Social Psychology, 140*, 530–532.

Hirschfeld, L. (1996). *Race in the making: Cognition, culture, and the child's construction of human kinds.* Cambridge, MA: MIT Press.

Hoffman, E., McCabe, K., & Smith, V. (1998). Behavioral foundations of reciprocity: Experimental economics and evolutionary psychology. *Economic Inquiry, 36*, 335–352.

Jackman, M. R. (1994). *The velvet glove: Paternalism and conflict in gender, class, and race relations.* Los Angeles: University of California Press.

Jackson, L. M., & Esses, V. M. (2000). Effects of perceived economic competition on people's willingness to help empower immigrants. *Group Processes and Intergroup Relations, 3*, 419–435.

Johnson, G. R. (1986). Kin selection, socialization, and patriotism: An integrating theory. *Politics and Life Sciences, 4*, 127–154.

Johnson, G. R., Ratwik, S. H., & Sawyer, T. J. (1987). The evocative significance of kin terms in patriotic speech. In V., Reynolds, V., Falger, & I. Vine (Eds.), *The sociobiology of ethnocentrism: Evolutionary dimensions of xenophobia, discrimination, racism and nationalism* (pp. 157–174). Beckenham, Kent, England: Croom Helm.

Jones, D. 2000 Group Nepotism and Human Kinship. *Current Anthropology 41*: 779–809.

Jost, J. T., & Thompson, E. P. (2000). Group-based dominance and opposition to equality as independent predictors of self-esteem, ethnocentrism, and social policy attitudes among African Americans and European Americans. *Journal of Experimental Social Psychology, 36*, 209–232.

Keegan, J. (1993). *A history of warfare.* New York: Alfred A. Knopf.

Ketelaar, T., & Ellis, B. J. (2000). Are evolutionary explanations unfalsifiable? Evolutionary psychology and the Lakatosian philosophy of science. *Psychological Inquiry, 11*, 1–21.

Kidd, B. (1898). *The control of the tropics.* New York: Macmillan.

Kitcher, P. (1985). *Vaulting ambition: Sociology and the quest for human nature.* Cambridge, MA: MIT Press.

Kurzban, R. (in press). *Biological foundations of reciprocity.* E. Ostrom & J. Walker (Eds.), *Trust reciprocity, and gains from association: Interdisciplinary lessons from experimental research* (pp. 105–127). New York: Sage.

Kurzban, R., & Haselton, M. G. (in press). Making hay out of straw: Real and imagined controversies in evolutionary psychology. In J. H. Barkow (Ed.), *Missing the revolution: Darwinism for social scientists.* New York: Oxford University Press.

Kurzban, R., & Leary, M. R. (2001). Evolutionary origins of stigmatization: The functions of social exclusion. *Psychological Bulletin, 127*, 187–208.

Kurzban, R., Tooby, J., & Cosmides, L. (2001). Can race be erased? Coalitional computation and social categorization. *Proceedings of the National Academy of Sciences, 98,* 15387–15392.

Leary, M. R., & Downs, D. L. (1995). Interpersonal functions of the self-esteem motive: The self-esteem system as a sociometer. In M. Kernis (Ed.), *Efficacy, agency, and self-esteem* (pp. 123–144). New York: Plenum.

Lee, R., & DeVore, I. (Eds.). (1968). *Man the hunter.* Chicago: Aldine.

Low, B. S. (1988). Pathogen stress and polygyny in humans. In L. Betzig, M. Borgerhoff Mulder, & P. Turke (Eds.), *Human reproductive behavior: A Darwinian perspective* (pp. 115–127). Cambridge: Cambridge University Press.

Low, B. S. (2000). *Why sex matters: A Darwinian look at human behavior.* Princeton: Princeton University Press.

Marjoribanks, K. (1981). Sex-related differences in socio-political attitudes: A replication. *Educational Studies, 7,* 1–6.

Marti, M. W., Bobier, D. M., & Baron, R. S. (2001). Right before our eyes: The failure to recognize non-prototypical forms of prejudice. *Group Processes and Intergroup Relations, 3,* 403–418.

Martinez, C., Paterna, C., Rosa, A. I., & Angosto, J. (2000). The principle of social hierarchy as explanation: From prejudice and rejection to positive action. *Psicologia Politica, 21,* 55–71.

Mies, M., Bennholdt-Thomsen, V. & von Werlhof, C. (1988). *Women: The last colony.* London: Zed Books.

Miller, G. F. (2000). Mental traits as fitness indicators: Expanding evolutionary psychology's adaptationism. In D. LeCroy & P. Moller (Eds.), *Evolutionary perspectives on human reproductive behavior, Annals of the New York Academy of Sciences* (Vol. 907, pp. 62–74). New York: New York Academy of Sciences.

Montoya, L. J. (1996). Latino gender differences in public opinion: Results from the Latino National Political Survey. *Hispanic Journal of Behavioral Sciences, 18,* 255–276

Moore, G. E. (1903). *Principia ethica.* Cambridge: Cambridge University Press.

Mullen, B., Brown, R., & Smith, C. (1992). Ingroup bias as a function of salience, relevance, and status: An integration. *European Journal of Social Psychology, 22,* 103–122.

Murdock, G. P., & White, D. R. (1969). Standard cross-cultural sample. *Ethnology, 8,* 329–369.

Nelson, L., & Milburn, T. W. (1999). Relationships between problem-solving competencies and militaristic attitudes: Implications for peace education. *Peace and Conflict: Journal of Peace Psychology, 5,* 149–168.

Norrander, B. (1997). The independence gap and the gender gap. *Public Opinion Quarterly, 61,* 464–476

Norrander, B. (1999). The evolution of the gender gap. *Public Opinion Quarterly, 63,* 566–576.

Packer, C. (1977). Reciprocal altruism in Papio anubis. *Nature, 265,* 441–443.

Packer, C., Collins, D. A., Sindimwe, A., & Goodall, J. (1995). Reproductive constraints on aggressive competition in female baboons. *Nature, 373,* 60–63.

Packer, C., Gilbert, D. A., Pusey, A. E., & O'Brien, S. J. (1991). A molecular genetic analysis of kinship and cooperation in African lions. *Nature, 351,* 562–565.

Patterson, D. (1983). The nature, causes and implications of ethnic identification. In C. Fired (ed.), *Minorities: Community and identity.* Berlin: Springer.

Pinker, S. 1994. *The language instinct.* New York: Morrow.

Plotkin, H. (1997). *Evolution in mind: An introduction to evolutionary psychology.* Cambridge, MA: Harvard University Press.

Pratto, F. (1996). Sexual politics: The gender gap in the bedroom, the cupboard, and the cabinet. In D. M. Buss & N. M. Malamuth (Eds), *Sex, power, conflict: Evolutionary and feminist perspectives* (pp. 179–230). New York: Oxford University Press.

Pratto, F. (1999). The puzzle of continuing group inequality: Piecing together psychological, social and cultural forces in social dominance theory. In M. P. Zanna (Ed.), *Advances in experimental social psychology* (Vol. 31, pp. 191–263). New York: Academic Press.

Pratto, F., Sidanius, J., Stallworth, L. M., & Malle, B. F. (1994). Social dominance orientation: A personality variable predicting social and political attitudes. *Journal of Personality and Social Psychology, 67,* 741–763.

Pratto, F., Stallworth, L. M., & Sidanius, J. (1997). The gender gap: Differences in political attitudes and social dominance orientation. *British Journal of Social Psychology, 36,* 49–68.

Price, G. R. (1972). Extension of covariance selection mathematics. *Annals of Human Genetics, 35,* 485–490.

Reeve, H. K. (2000). [Review of the book *Unto Others: The Evolution and Psychology of Unselfish Behavior*]. *Evolution and Human Behavior, 21,* 65–72.

Reynolds, V., Falger, V., & Vine, I. (1987). *The sociobiology of ethnocentrism: Evolutionary dimensions of xenophobia, discrimination, racism and nationalism.* Beckenham, Kent, England: Croom Helm.

Richerson, P. J., & Boyd, R. (1998). The Evolution of human ultra-sociality. In I. Eibl-Eibisfeldt & F. Salter (Eds.), *Ideology, Warfare, and Indoctrinability* (pp. 71–95). Berghan Books.

Roccato, M., Gattino, S., & Patris, E. (2000). Personality, values, and political orientation. *Psicologia Politica, 21,* 73–97.

Rodseth, L., Wrangham, R. W., Harrigen, A. M., & Smuts, B. B. (1991). The human community as a primate society. *Current Anthropology, 32,* 221–254.

Rogers, L. (1997). The behavioral ecology of modern hunter-gathers, and human evolution. *Trends in Ecology and Evolution, 12,* 29–31.

Rosaldo, M. Z. (1974). Woman, culture, and society: A theoretical overview. In M. Z. Rosaldo & L. Lamphere (Eds.), *Women, culture and society* (pp. 17–42). Stanford, CA: Stanford University Press.

Sanday, P. R. (1974). Female status in the public domain. In M. Z. Rosaldo & L. Lamphere (Eds.), *Women, culture and society* (pp. 189–206). Stanford, CA: Stanford University Press.

Sapiro, V., & Mahajan, H. (1986). Gender differences in policy preferences: A summary of trends from the 1960s to the 1980s. *Public Opinion Quarterly, 50,* 42–61.

Schwarzwald, J., & Tur-Kaspa, M. (1997). Perceived threat and social dominance as determinants of prejudice toward Russian and Ethiopian immigrants in Israel. *Megamot, 38,* 504–527.

Sidanius, J. (2001, May). The interactive interface between gender and ethnic discrimination: A social dominance and evolutionary perspective. Invited address to the Western Psychological Association, Maui, Hawaii.

Sidanius, J. (1993). The psychology of group conflict and the dynamics of oppression:

A social dominance perspective (pp. 183–219). In S. Iyengar & W. McGuire (Eds.), *Explorations in political psychology*. Durham, NC: Duke University Press.

Sidanius, J., Cling, B. J., & Pratto, F. (1991). Ranking and linking as a function of sex and gender role attitudes. *Journal of Social Issues, 47*, 131–149.

Sidanius, J., & Ekehammar, B. (1980). Sex-related differences in socio-political ideology. *Scandinavian Journal of Psychology, 21*, 17–26.

Sidanius, J., & Ekehammar, B. (1983). Sex, political party preference and higher-order dimensions of socio-political ideology. *Journal of Psychology, 115*, 233–239.

Sidanius, J., Levin, S., Liu, J. H., & Pratto, F. (2000). Social dominance orientation and the political psychology of gender: An extension and cross-cultural replication. *European Journal of Social Psychology, 30*, 41–67.

Sidanius, J., & Pratto, F. (1999). *Social dominance: An intergroup theory of social hierarchy and oppression*. New York: Cambridge University Press.

Sidanius, J., Pratto, F., & Bobo, L. (1994). Social dominance orientation and the political psychology of gender: A case of invariance? *Journal of Personality and Social Psychology, 67*, 998–1011.

Sidanius, J., Pratto, F., & Brief, D. (1995). Group dominance and the political psychology of gender: A cross-cultural comparison. *Political Psychology, 16*, 381–396.

Sidanius, J., & Veniegas, R. C. (2000). Gender and Race Discrimination: The Interactive Nature of Disadvantage. In S. Oskamp (Ed.), *Reducing prejudice and discrimination: The Claremont Symposium on Applied Social Psychology* (pp. 47–69). Mahwah, NJ: Erlbaum.

Smith, T. W. (1984). Gender and attitudes toward violence. *Public Opinion Quarterly, 48*, 384–396.

Sober, E., & Wilson, D. S. (1998) *Unto others: The evolution and psychology of unselfish behavior.* Cambridge MA: Harvard University Press.

Spencer, H. (1862). *First principles*. London: Williams and Norgate.

Springer, K., & Keil, F. (1989). On the development of biologically specific beliefs: The case of inheritance. *Child Development, 60*, 637–648.

Studlar, D. T., McAllister, I., & Hayes, B. C. (1998). Explaining the gender gap in voting: A cross-national analysis. *Social Science Quarterly, 79*, 779–798.

Sumner, W. G. (1906). *Folkways: A study of the sociological importance of usages, manners, customs, mores and morals.* Boston: Ginn.

Symons, D. (1979). *The evolution of human sexuality.* New York: Oxford University Press.

Symons, D. (1992). On the use and misuse of Darwinism in the study of human behavior. In J. Barkow, L. Cosmides, & J. Tooby (Eds.), *The adapted mind* (137–159). New York: Oxford University Press.

Tajfel, H. (1978). *Differentiation between social groups* (pp. 61–76). London: Academic Press.

Thornhill, R., & Palmer, C. T. (2000). *A natural history of rape: Biological bases of sexual coercion.* Cambridge, MA: MIT Press.

Tooby, J., & Cosmides, L. (1988). *The evolution of war and its cognitive foundations.* Institute for Evolutionary Studies Technical Report 88–1. Palo Alto, CA.

Tooby, J. & Cosmides, L. (1989). Kin selection, genic selection, and information-dependent strategies. *Behavioral and Brain Sciences, 12*, 542–544.

Tooby, J. & Cosmides, L. (1990a). On the universality of human nature and the

uniqueness of the individual: The role of genetics and adaptation. *Journal of Personality, 48*, 17–67.

Tooby, J., & Cosmides, L. (1990b). The past explains the present: Emotional adaptations and the structure of ancestral environments. *Ethology and Sociobiology, 11*, 375–424.

Tooby, J., & Cosmides, L. (1992). The psychological foundations of culture. In J. H. Barkow, L. Cosmides, & J. Tooby (Eds.). *The adapted mind: Evolutionary psychology and the generation of culture* (pp. 19–136). New York: Oxford University Press

Tooby, J., & Cosmides, L. (1996). Friendship and the banker's paradox: Other pathways to the evolution of adaptations for altruism. *Proceedings of the British Academy, 88*, 119–143.

Trevor, M. C. (1999). Political socialization, party identification, and the gender gap. *Public Opinion Quarterly, 63*, 62–89.

Trivers, R. L. (1971). The evolution of reciprocal altruism. *Quarterly Review of Biology, 46*, 35–57.

Trivers, R. L. (1972). Parental investment and sexual selection. In B. Campbell (Ed.), *Sexual selection and the descent of man, 1871–1971*. Chicago: Aldine.

Turner, J. C. (1999). Some current issues in research on social identity and self-categorization theories. In N. Ellemers, R. Spears, & B. Doosje (Eds.), *Social identity* (pp. 6–34). Oxford: Blackwell.

van den Berghe, P. L. (1978). Race and ethnicity: A sociobiological perspective. *Ethnic and Racial Studies, 1*, 401–411.

van den Berghe, P. L. (1981). *The ethnic phenomenon*. New York: Elsevier.

de Waal, F. B. M. (1982). *Chimpanzee politics: Power and sex among apes*. London: Jonathan Cape.

Walter, M. I., Thorpe, G. L., & Kingery, L. R. (2001). The Common Beliefs Survey-III, the Situational Self-Statement, and Affective State Inventory and their relationship to authoritarianism and social dominance orientation. *Journal of Rational-Emotive and Cognitive Behavior Therapy, 19*, 105–118.

Whitley, B. E., Jr. (1999). Right-wing authoritarianism, social dominance orientation, and prejudice. *Journal of Personality and Social Psychology, 77*, 126–134.

Whitley, B. E., Jr., & Aegisdottir, S. (2000). The gender belief system, authoritarianism, social dominance orientation, and heterosexuals' attitudes toward lesbians and gay men. *Sex Roles, 42*, 947–967.

Whyte, M. K. (1978). Cross-cultural codes dealing with the relative status of women. *Ethnology, 17*, 211–237.

Whyte, M. K. (1979). *The status of women in pre-industrial society*. Princeton: Princeton University Press.

Wiessner, P. (1998). Indoctrinability and the evolution of socially defined kinship. In I. Eibl-Eibesfeldt, (Ed.), *Ethnic conflict and indoctrination: Altruism ands identity in evolutionary perspective* (pp. 133–150). New York: Berghahn Books.

Williams, G. C. (1966). *Adaptation and natural selection*. Princeton: Princeton University Press.

Wilson, D. S. (1975). A theory of group selection. *Proceedings of the National Academy of Sciences, 72*, 143–146.

Wilson, D. S., & Sober, E. (1994). Reintroducing group selection to the human behavioral sciences. *Behavioral and Brain Sciences, 17*, 585–654.

Wilson, E. O. (1975). *Sociobiology: The new synthesis.* Cambridge, MA: Belknap.
Wirls, D. (1986). Reinterpreting the gender gap. *Public Opinion Quarterly, 50,* 316–330.
Wynne-Edwards, V. C. (1962). *Animal dispersion in relation to social behavior.* Edinburgh: Oliver and Boyd.
Zarate, M. A., & Smith, E. R. (1990). Person categorization and stereotyping. *Social Cognition, 8,* 161–185.

الفصل السادس

علم نفس الانفعال والسياسة(١٠٧)

جورج ف ماركوس George F. Marcus

ظل فهم الانفعال لفترة طويلة جدًا من الوقت محورًا أساسيا للمحاولة المستمرة لفهم الطبيعة الإنسانية. وكان هذا الفهم محوريًا أيضا فى الجدال الخاص بالحكم السياسى الأنسب الذى من الممكن أن تؤيده الطبيعة الإنسانية. وقد افترض البعض أن الاهتمام بالتأثير الضار للانفعال كان هو الباعث على نشأة الفلسفة فى اليونان القديمة (Nussbaum, 1994). وتشترك الأغلبية مع فلاسفة اليونان فى افتراض أن الانفعالات تعد مشكلة، بل هى *المشكلة* التى تحد من قدرتنا على إقرار نظام حكم شامل وعادل. تأمل العبارة الآتية من الدراسة الثانية لجون لوك John Locke (1993): "إن حرية الإنسان واختياره لأفعاله بناءً على إرادته الخاصة إنما هى مؤسسة فى امتلاكه للعقل، ذلك القادر على إرشاده للقانون الذى يتحكم من خلاله فى نفسه ويجعله يدرك إلى أى مدى هو متورط فى حرية إرادته الخاصة" (p. 45). تمثل هذه الرؤية التقليد المسيطر: العقلانية هى الملكة العقلية التى تجعلنا أحرارًا وتعطينا القدرة على ترسيخ الأنظمة السياسية الديمقراطية والعادلة. تأتى مع هذا الادعاء وجهة النظر المصاحبة التى ترى أن الانفعالات، بوصفها قوة متسلطة ومبهمة، غالبًا ما تتدخل وتقوض قدرتنا على التعقل. فكأن التقليد المشار إليه يتضمن أنه إذا لم يتمكن العقل من الاستقلال؛ فإننا يجب أن نهجر

---

(١٠٧) قام بترجمة هذا الفصل د. محمد يحيى الرخاوى

ليس فقط تلك المثالية النبيلة، ولكن أيضا البرامج السياسية للديمقراطية والعدل التى تستند على أساس العقل[١٠٨].

لكن ربما توجد احتمالات أخرى، فربما لا تكون الانفعالات كما تصورناها طويلاً، غامضة ومدمرة[١٠٩] وربما تقدم إعادة فحص الانفعال مهربًا من المعضلة الآتية: إذا كان البشر مخلوقات انفعالية، فإنهم لن يكونوا مخلوقات عقلانية فى نفس الوقت - مما يجلعنا بالتالى أقل توقعًا لتحقيق حكم ديمقراطى وعادل. لقد جعلنا الحكم الشمولى المتأسس على النبل السائد للعقل بعيدًا عن متناول البشر. وربما يكون التساؤل عما إذا كان الانفعال مساعدًا أو عائقًا فى سبيل تحقيق نظم حكم ديمقراطية وعادلة من المسائل المطروحة على علم النفس السياسى الحديث.

لدىَّ ثلاثة أهداف من تقديم هذا الفصل الأول، هو إلقاء الضوء على الافتراضات المعيارية التى شكلت دراسة الانفعالات والسياسة. ثانيًا، مراجعة كيف تحاول المناحى المسيطرة فى علم النفس السياسى التعامل مع الدراسة العلمية للانفعالات والسياسة مع اهتمام خاص بمواضع القوة والضعف فيها. كما أتعرض لأدبيات علم الأعصاب بوصفها من أفضل الأدبيات العلمية التى يمكن أن تقدم لنا استبصارات حول كيفية تأثير الانفعالات فى السياسة. وفى النهاية، فإن المضى قدمًا يتطلب حل نزاع مستمر حول بنية الانفعال؛ ومن ثم فإننى أقدم بعض الاقتراحات التى ربما تساهم فى مسار البحث الضرورى لحل هذا النزاع. ومن الجدير بالملاحظة أنه تغيب عن هذه القائمة مناقشة شاملة لأدبيات البحوث المتعالقة، ولقد نشرت مؤخرًا مثل هذه المراجعة

---

(١٠٨) إنه من الصعب الجدل حول الافتراض أن فى السياسات الديمقراطية واختيار القادة يجب أن تكون مسألة تفكير حر أكثر منها ولاءً شديدًا fervent loyalty أو اعتقادًا يقينيًا dogmatic believe. (المؤلف)

(١٠٩) إننى أقدم احتمالاً واحدًا (Marcus, 2002). (المؤلف)

(Marcus, 2000). كما تتوفر بالفعل مراجعات حديثة أخرى حول الانفعال فى أدبيات علـــم الـــنفس. (Bradley, 2000, Cacioppo & Gardner 1999, Zajonc, 1998). ويتوفر أيضا تأريخ ممتاز لعلاج الانفعالات فى علم النفس، بدءًا من وليم جيمس William James (Cornelius, 1996). إن أكثر ما نحتاج إليه فـــى هذه المرحلة هو الوضوح التنظيرى لتوجيـــه المـــسار المـــستقبلى لدراســـة الانفعالات والتفكير وأدوارهما المختلفة فى السياسة.

أساسيات فى موضع التساؤل

ربما يكون الافتراض الأقدم بالنسبة إلى علم نفس الانفعال هو استقلال كل من الانفعال والعقل عن بعضهما. نحن على ألفة مع المجازات الـــشائعة لوصف هذه الصيغة؛ فمن بين المجـــازات الأكثـــر اســـتخدامًا أن الانفعـــال والمعرفة يقعان فى مواقع منفصلة؛ فالعواطف تنبع من "القلب" والتفكير ينبع من "العقل". والانفعال نوع من القوة بينما الفكر نوع آخر، بالإضافة إلى أنه ربما يكون من الشائع رؤية الفكر على أنه موجـــود داخـــل وعـــاء حـــاوى (ال"عقل") بينما يوجد الانفعال "خارجه" لكنه يحاول اقتحامه عنوة. كما ســـاد -منذ إبيقراط- الاعتقاد أن الانفعالات "عميقة" و"خفية"[١١٠]. مرة أخرى فإن الانفعال يوجد خارج العقل، مركز الفكر، وهو مدفون "تحته" بعمـــق، وهـــذا التصور المألوف نجده أيضا فى تصورات علم النفس الحالية، حيث "المعرفة" ظاهرة تتموضع فى القشرة - الحديثة نسبيًا - للمخ، بينما يتموضع "الوجدان" بعمق داخل المناطق "الأقدم" من المخ (MacLean, 1990)[١١١].

---

(١١٠) اكتشاف "اللاشعور unconscious" يسبق فرويد بـــألفى عـــام علـــى الأقـــل (Nussbaum,1994). (المؤلف)

(١١١) إنه من المألوف بالطبع افتراض أن العقل يعد ملكة أحدث وكذلك " أعلى " بينما تعد العاطفة القـــوة الأقدم و" الأدنى". (المؤلف)

تنعكس هذه الرؤية فى افتـراض أن الانفعـالات تـقوض القـدرة على التعقل، وهى رؤية مشتركة مع أفلاطون، خاصة فى تشبيـه الكهـف (Plato, 1974) حيث يصور البشر داخل تجاويف الأرض عميقًا، واقعين فـى شراك رغباتهم، مانعين أنفسهم باختيارهم من الحركة للخـارج نحـو نـور العقل. وتتمثل هذه الرؤية اليوم بشكل جيد فى علم النفس السياسى المعاصر فى البرنـامج البحثى لديفيد سـيرز David Sears (Sears, 1993, 2000, Sears, Hensler & Speer, 1979, Sears, Lau, Tyler & Allen, 1980). وكما فى كهـف بلاتو Plato، فإن الانفعالات من وجهة نظر السياسة الرمزية تـربط النـاس برغباتهم القديمة وتعميهم عن أن يدخلوا فى تقييم دقيق وعقلانى لظـروفهم، وكما سأبين، فإنها ليست المساحة الوحيدة التى تتلاقى فيها بـرامج البحـث المعاصرة فى الانفعال مع التصورات القديمة.

إن الصفات التى تنسب لكل من العقل والانفعال لهى مؤسسة من قديم، وقبل أن أنتقل إلى هذه الصفات المألوفة؛ ألاحظ أن المتـضمنات المعياريـة الضرورية هى على نفس المستوى من الألفة، والسبب الذى يجعلنـا نحـن والقدماء نولى كل هذا الاهتمام للانفعالات هو الاعتقاد أن لديها القدرة علـى تقويض سيادة العقل. كما أنه كان يُنظر إلى الانفعال ومازال ينظر إليه كقوة تقتحم القدرة المستقلة للعقل أو بالأحرى تشلها عن التخطيط والعمل بـشكل صريح وعادل وحكيم. ومن ثم يستمر النظر إلى الانفعال كقوة مؤذية يجـب التحكم فيها إن لم يكن استئصالها.لم تعمل هذه التصورات خـلال العـصر اليونانى القديم فحسب (مع الاختلافات التى سنناقشها فيما بعد) ولكنها مازالت مؤثرة فى علم النفس الحديث أيضا. وبالتالى، كما أشارت مارتـا نوسـباوم Martha Nussbaum (1994) كانت أهمية العواطف أنها لعبت مثل هذا الـدور المؤذى فى "تقويض" العقل.

وقد كان الانفعال يدرك على أنه منفصل عن العقل وقوى، ليس فقط بسبب الدفع إلى تشويه عمل العقل ولكن أيضا لأنه قادر على دفع السلوك بعيدًا عن العقل أيضا. من ثم فإن الادعاء الافتراضى هو أننا نسلك بناء على الانفعال "الأعمى" بصورة مفرطة، وبالتالى نكون غير قادرين على الرؤية من خلال الانفعال؛ لأن العقل وحده هو الذى يستطيع إدراك العالم كما هو وتوجيه سلوكنا بطريقة عقلانية. والافتراض الضمنى هو أن العقل الواعى وحده هو الذى يمدنا بصورة صادقة عن العالم من خلال الحواس،ولا تعرض هذه الصورة إلا فى الوعى الشعورى. ويمكن للعقل أن يكون مستقلاً إذا وفقط إذا كانت قدرته تتطلب فقط العقل ولا شىء غيره من أجل تحققه. وإذا كان هذا الافتراض دقيقًا فسيتبع ذلك أن الانفعال سيكون على علاقة سلبية على الأرجح وعلاقة محايدة على أفضل تقدير مع العقل. ويظل هذا الافتراض الحيوى اليوم فعالاً فى كثير من الأدبيات التقليدية المتعلقة باتخاذ القرار (Irving L. Janis & Mann, 1977) وكذلك فى الفلسفة السياسية (Steinberger, 1993) ويؤدى هذا بالطبع إلى اهتمام كبير حول كيف تستدمج الإنفعالات وتؤثر فى صنع القرار Abele & Petzold, 1994, Baron, 1994, Bodenhousen, Sheppard, & Kramer, 1994, Forgas, 1994, 1995, Isen, 1993, Johnson & Tversky, 1983, Lowenstein, Weber, Hsee, & Welch, 2001, Mayer, Gaschke, Braverman, & Evans, 1992, Ottati, 1988, Ottati & Isbell, 1996, Ottati & Wyer, 1993, Petty, Gleicher & Baker, 1991, Schwartz & Bless, 1991, Schwartz & Clore, 1983, 1996

وتشير كثير من الأبحاث المتعلقة بهذا الموضوع إلى أن الأفراد يمكنهم إما أن يعتمدوا على التجريب العشوائى، وهنا يمكن أن تعد حالات الشعور التى تتملكهم مثالاً، أو يمكنهم الانخراط فى مداولات صريحة(١١٢).

(١١٢) أرجىء المناقشة الكاملة الخاصة بهذا العمل إلى القسم الأخير، نظرًا لأنه يشتمل على خلط نظرى يتطلب مناقشة أطول مما يتحملها السياق الحالى. (المؤلف)

ولا يختلف التفكير فى العصر الحديث كثيرًا عما كان فى العصور القديمة؛ فالمشاعر والأفكار بدائل غالبًا ما تعد متعارضة فى عمليات اتخاذ القرار.

إننا نستطيع تنظيم فهمنا للاحتمالات الناتجة من خلال وضع هذه الاحتمالات فى تصنيف بسيط اعتمادا على هذين التساؤلين: أولاً، هل يمكن حماية العقل من تأثير الانفعال؟ وثانيًا، هل يجب أن يحكم العقل وحده أم فقط من خلال ارتباطه بالانفعال؟

المنظور المعيارى الأول والأكثر تشددًا هو الذى عرضه أفلاطون وطورته المدرسة الرواقية الفلسفية، حيث الانفعال شديد الإيذاء للعقلانية ووضوح الرؤية والحكم، وقد تبع ذلك أن الناس يجب أن يتعلموا الاعتماد على العقل فحسب وأن يستبعدوا الانفعال من أى جزء فى حياتهم، وقد استنتج أفلاطون أن النظام ضرورى لتحقيق هذا التجنب الأساسى، وأن هذا سيكون مقبولاً فقط للملوك-الفلاسفة المدربين بصفة خاصة، فهؤلاء فقط القادرون على الحكم بحكمة وعدل.

لقد طور أبيقراط والمدرسة الرواقية ودرسا نظامًا كان تطبيقًا علاجيًا للفلسفة من الممكن تعميمه. وبالتالى فإن هذه الرؤية الشائعة للانفعال ليست بالضرورة أرستقراطية فى علاقتها بالسياسة. ولكن افتراض أن المشاعر يجب أن تكون بعيدة عن الحكم السياسى كشرط أولى للحكم السياسى العادل هو الافتراض الذى ظل مستمرًا عبر ديكارت Descartes وكانط Kant[١١٣]. وكما لاحظنا آنفًا، فإن دراسات صنع القرار قد احتفظت بهذا الافتراض كما كان مطبقًا فى إطار العقلانية، بمعنى أنه يوفر وسائل فعالة وحذرة للوصل بين الوسائل والغايات (Janis, 1982, Janis & Mann, 1977). ولكن المشكلات

---

(١١٣) ربما يظن المرء أنه من غير المناسب إضافة راولز (1971) Rawls هنا، ولكن كما لاحظ أوكن (1989) Okin فإن راولز يتطلب مدنيين بجانب الإذعان للتجاهل لإحضار الإحسان معهم لنقل استنتاجاتهم إلى فعل. (المؤلف)

بدأت فى الظهور؛ فالأعمال المؤثرة لـدانييل كوهينمـان Daniel Kohneman وريتشارد نيسبت Richard Nisbett وكثيرين غيرهما، بينت كيف يبتعد البشر جوهريًا عن الأساس العقلانى للأحكام، مما كان له عواقب خطيرة وبعيـدة الأثر حيث تم تأكيد الافتراضات القديمة عن محدوديـة الطبيعـة الإنـسانية (Kohneman, Slovic & Tversky 1982; Nisbett & Ross, 1982). فالبشر عادةً لا يدققون فى وزن الأدلة حق وزنها بعدالة ودقة، ولا يهتمون بكـل وجهـات النظر، ولا يقيمون النتائج محل الاهتمام تقييمًا مدققًا. وهذا الاسـتنتاج لـه تضمينات مشكلة؛ فحيث يسود الاعتقاد بأن العقل وحده يـستطيع أن يـضع الحكم العام الصادق فى المسائل السياسية؛ فإن البرهنة على أن النـاس لـن تتعقل أو لن تستطيع التعقل سيكون لـه عواقـب جـسيمة بالنـسبة لهـذا التصور الشائع (Kornhauser, 1959, Sartori, 1987).

الصياغة الثانية ليست أقل جسامة فى موقفها المعيارى من الانفعـال، فالقول بأن الانفعال لا يمكن فصله عن السلوك النفسى الإنسانى يعنى أنه لا بد من ترسيخ شكل من التوافق للسيطرة على تأثير الانفعال وتحجيمه. وربما تكون أحسن التفسيرات سمعة، والمعروفة على نطاق واسع من حيث كيـف ولماذا يمكن وينبغى إنجاز هذا؟ هى التفسيرات التـى عرضـتها الملفـات الفيدرالية *Federalist Papers* (Madison, Hamilton & Jay, 1961). ففى حين أن تأثير الانفعال يعد خطيرًا ومدمرًا بشكل واسع وضخم، إلا أن دستورًا حكيمًا يمكنه أن يلطف من معظم التأثيرات الحادة للانفعال، ويتيح استخدامًا ايجابيًا لطاقته الدافعة من خلال المؤسسات المهذِّبة والصاقلة للقرارات بما يؤدى إلى خير عادل وعام (Marcus, 2002, Scandland, 1959, White, 1987). وبالتالى، تبعًا لهذه الصياغة، لا توجد حاجة لإلغاء الانفعال، بل ولا يمكن إلغاؤه، ومع ذلك يمكن للعقل أن يظل سائدًا ومسيطرًا.

تشير الصياغة الحديثة والأكثر تأثيرًا لهذه الرؤية والتى عرضها فرويد Freud (1961, 1962) تقول إن الحضارة لا يمكن أن تطمح إلى استبدال العقل بالعواطف. ومع ذلك فإنه فى نظر فرويد، وعلى الأقل بالنسبة للأفراد المنشئين اجتماعيًا بشكل مناسب، يمكن أن يكون العقل مسيطرًا تنفيذيًا عامًا، وإن لم يكن بشكل حصرى. وبالتالى يمكن أن يحدث التوافق، فالانفعالات تقودنا إلى الفعل بينما يظل العقل على حالته سيدًا مسيطرًا. لا تختفى الانفعالات، وليس هذا فحسب لأن ذلك مستحيل بالنسبة للطبيعة البشرية. إن نظامًا حكيمًا يمكنه أن يستخدم الانفعال فى توليد الفعل وحفزه، وفى نفس الوقت يمكنه التخفيف من التأثيرات المدمرة للانفعال من خلال حجبه عن القرارات المدنية. فالحضارة هى -بدقة- ذلك الإنجاز الذى يتحقق عندما يجد البشر الوسائل المؤسسية لاستبعاد الانفعالات وسلطتها. إن هذا كذلك حتى ولو كان أكبر الانفعالات نجاعة، وهو الخوف من الموت يُستخدم لتحقيق هذه النهاية، كما هو القول الشهير لهوبز (Hobbes, 1968). فبالنسبة لهوبز، فإن الخوف يجعلنا نبحث عن السيطرة، ونقبلها، كى تؤمن لنا السلام العام والطاعة المتبادلة، من خلال اتفاقات تتم بحرية، وما ينتج عنها من التزامات وواجبات.

تقبل الصياغة الثالثة أيضا التمييز الأساسى بين العقل والانفعال ولكنها تدرك العلاقة بينهما بوصفهما متناغمين ومنتجين فى الغالب الأعم، بدلاً من أن يكونا متضادين ومدمرين. المعتقدات الخاطئة فقط تثير على الأرجح عواطف إشكالية. أما المعتقدات الدقيقة والمصيبة فيمكن تقويتها بعواطف مناسبة بها، بما يؤدى إلى اتحاد منتج بين الفكر والشعور. لذلك يجب أن يوجه الاهتمام نحو تجنب العواقب المدمرة للانفعال: علينا أن نتبنى موقفًا نقديًا لاستحقاقات معتقداتنا. بالإضافة إلى هذا فإننا إذا راعينا مضاهاة معتقداتنا الصادقة بانفعالات مناسبة؛ فإنه سيتم دعم كلا الانفعال والعقل فى

هذه الصفقة. يرتبط هذا المنظور بشكل عام بأرسطو Aristotle، وله صيغته المعاصرة لدى فلاسفة السياسة، الذين رأوا، كما رأى أرسطو، تكاملاً بنائيًا بين الانفعال كقوة دافعة والعقل كأداة غنية معرفيًا في كل من التقييم والتواصل. وفى هذه الرؤية، توفر الانفعالات مجموعة موحدة من الملكات الضرورية للفعل الفردى والجمعى (Aristotle, 1954; Bickford, 2000; Koziak, 2000; Leighton, 1996; Nussbaum, 1996; Rorty, 1996; Stiker, 1996)، فتكامل الاعتقاد، والسياق، والشعور يخلق القدرة اللازمة للفعل والاستجابة المناسبة بالنسبة للخبرة المتغايرة للحياة المدنية (Ben-Ze'ev, 2000, Nussbaum, 2001).

وصلت الصياغة الرابعة إلى شكلها الأمثل في حركة التنوير الاسكتلندية (Hume, 1975, 1984; Smith, 1959, 1986)، فبخلاف حركات التنوير الفرنسية والإنجليزية، رأى معظم رموز التنوير الاسكتلنديون أن العقل لا يمكن أن يكون منفصلاً عن جذوره الانفعالية. والوضع المميز للعقل كحَكَمٍ مسيطر ينقلب رأسًا على عقب ويصبح الذهن عندهم ملكةً يستدعيها الانفعال الذى يأخذ الآن دور القائد. وبدلاً من قبول سمو العقل وتفوقه الشائع، يعد الانفعال -عندهم- الأساس للفعل الإنسانى، ويأخذ العقل دورًا ثانويًا كشئ مفيد بالنسبة للحسابات الحساسة والمداولات العامة.

تشير هذه الصياغة إلى أن العقل يأخذ قوته وحيويته من اعتماده على الانفعال، وهى صياغة تم دعمها جيدًا من خلال الأعمال الحديثة فى الفلسفة وعلم الأعصاب. كما لاحظ الفيلسوف برنارد وليام Bernard Williams (1983) أن الواجب المطلق لكانط لم يكن له وسيلة دافعة لدفع الأفراد نحو تطبيق متضمناته، وهو استبصار تم تأكيده من خلال تجارب على كيفية استجابة الأفراد عندما لا يكون لديهم هاديات انفعالية (Bechara, Damasio, Tranel, & Damasio, 1997). كما أن العقل ينتج تحليلات، ولكن مع غياب الدافعية، لا يستطيع العقل نفسه أن يدفعنا نحو الفعل. وكلما اكتسبنا استبصارًا أكبر حول

كيف ينتظم المخ، سوف نتعلم أكثر عن كيفية أداء البشر بوصفهم مخلوقات اجتماعية وعاقلة (Damasio, 1994, Goleman, 1995). وحتى فى مهمة الحكم الأخلاقى تؤكد البحوث الحديثة فى علم الأعصاب الدور المحورى للانفعالات فى حل المعضلات الأخلاقية (Greene, Sommerville, Nystrom, Darley, Cohen, 2001)، وككل فإن هذه الأعمال وغيرها تختصر خريطة الاحتمالات. فالآن يمكننا استبعاد التركيبات المعيارية والامبيريقية التى تبحث عن حجب الانفعال عن الخبرة الإنسانية. فالبشر لا يستطيعون أداء وظائفهم بدون قدراتهم الانفعالية.

وقبل أن أتحول إلى مزيد من الاهتمام عن كيف تُعرض هذه الصياغات فى علم النفس السياسى المعاصر يجب أن أهتم بالقضية الأولى فى أى علم: الوضوح المفهومى. إن مما تتضمنه المناقشة السابقة أن تصنيفات الانفعال والعقل تُعد واضحةً ومتفقًا عليها، إلا أن الفحص الدقيق للانفعال يكشف عن أنه فئة تشمل العديد من الخصائص المتباية فى الأغلب (Rorty. 1985)، فهل الميول والحوافز أشكال من الانفعال؟ وهل الدوافع من أشكال الانفعال؟ وماذا عن المشاعر، والعواطف والأمزجة؟ هل تقع جميعها بالكامل داخل مجال الانفعال؟ إن حل هذه التساؤلات التعريفية والتصنيفية ربما يعد الحاجز الأكثر مباشرة المعوّق لتقدم الدراسة العلمية للانفعال. وسوف أخصص القسم الأساسى من هذا الفصل لوصف الحالة الراهنة المتعلقة بهذه المسائل وكذلك لاقتراح المناطق التى يعد البحث فيها مطلوبًا لتغطية الثغرات الحالية.

تعريف الانفعالات: لا تعد صعوبة التصنيف الواضح للانفعال مشكلة جديدة. فمثلاً فى القرن السابع عشر والثامن عشر أدت إعادة نظر عظمى إلى صياغات جديدة أنشأت فئات جديدة؛ فقد بزغت "الاهتمامات" و"الآراء" كفئات جديدة من الانفعال: نسخة من الانفعال تستخدم الحسابات، وهذه

الصياغة كانت مفيدة لتفسير أشكال النشاط الاقتصادى التى كانت تبزغ فى ذلك الوقت (Hirschman, 1977, Rorty, 1982, 1993, Rothschild, 2001). وهذه الإبداعات التصنيفية الجديدة -الاهتمامات والآراء- كانت مختلفة مبدئيًا عن الانفعال. وبمرور الوقت، أصبح ينظر إليها بشكل متزايد كفئات مستقلة من النشاط النفسي. أما الوضوح الأصلى للبناء النفسى المكون من فئتين مميزتين - العقل (التفكير أو التعرف) فى جانب، والشعور (الانفعالات والعاطفة)على الجانب الآخر - فقد تحول إلى ثلاثية بإضافة "الاهتمامات" و"الآراء" وهى فئة ليست مدمجة مع التفكير والانفعال، ولكنها بناءات مستقلة لها وضعها الخاص. وهذه البناءات ليست عقلانية بالكامل ولا انفعالية بالكامل، بل لها بعض الخصائص من كل منهما، وهى موضوعة لشرح الأفعال الإنسانية، السياسية والاقتصادية والحضرية (Burbe, 1973. Madison et al, 1961)(١١٤) فإذا كان من الشائع الآن التعامل مع الاهتمام كهوية منفصلة ومميزة عن الانفعال، فإن الانفعال يصبح، فى العصر الحديث، فئة أضيق، أكثر ارتباطًا بالعواطف وبالحماس- التنويعات الخطيرة للانفعال.

ولكن حتى مع هذا التعقيد، فإن مصطلحات "الانفعال emotion" "والعقل reason" ستظل مختلطة بشكل ردىء. وحتى فى علم النفس المعاصر، وعلى الرغم من محاولة تطبيق المصطلحات "العلمية" لاستبدالها بالمصطلح الدارج؛ فإن مصطلحات المعرفة "cognition" و"الوجدان affect" لم تُعرّف بشكل أكثر وضوحًا حتى فى الوثائق الرسمية أكثر من المصطلحات السابقة القديمة "العقل" و"الانفعال". وربما تكون القضية التصنيفية الأكثر خطورة هى التعامل مع الانفعال بوصفه منفصلاً عن العقل. فالتعامل مع الانفعال بوصفه ملكة

---

(١١٤) هذا المفهوم الثلاثى يعد سلفًا لمفهوم " الاتجاه" فى علم النفس. وتعرف الاتجاهات فى علم النفس بوصفها تشتمل على ثلاثة مكونات: المعرفة، وهى ما نعتقده حول الموضوع؛ والوجدان، وهو ما نشعر به تجاه الموضوع؛ والمكون السلوكى، وهو ما نفعله بشكل معتاد للحدث أو مع الحدث. (المؤلف)

متمايزة ينتج عنه افتراض عَرَضى مؤداه أن الانفعالية لها نتائج محـــددة أو نمطية كتلك التى سبقت الإشارة إليها فى المقام الأساس. فكلما كان الشخص أكثر انفعالاً كان عرضة لسيطرة الوســاوس، والــضلالات والديماجوجيــة (Hartfield, Cocioppo, Rapson, 1994)، وكلما زادت شدة الانفعال قلت سيطرة العقل. وهذا الاستنتاج ليس قاصرًا على بعــض الانفعــالات كالغــضب أو الهياج، ولكنه ينطبق أيضا على الانفعالات "الإيجابيــة" كالحــب.فمــشكلات الوسواس والضلال والهياج لا تكون أقل إشكالاً عنـــد معايــشة الانفعـــالات "الإيجابية". إن كلاً من الحب أو الرغبة يمكنهما أن يجعلا الفرد "يفقد عقلـــه" بشكل ليس أقل من الغضب أو الثورة.

إن الشىء المحورى فى التقليد الممتد المتعلق بالمقابلة بــين الانفعـــال والعقل هو الافتراض الذى لم يُختبر أبدًا وهو أن الانفعـــال حالـــة مفـــردة ومتجانسة. فإذا كان الانفعال ليس ظاهرة متماسكة، بل رتبـــة تتكـــون مـــن عناصر منفصلة؛ فإن ذلك سيتبعه بالطبع افتراض أن وحدته متصدعة بعمق (Ben–Ze'ev, 2000). وبالمثل، فإن الذهن الواعى يُنظر إليـــه كونـــه المقعـــد المستقل للعقل؛ وبالتالى ليس مفاجأةً أن يُرى الانفعال والعقل كعوامل مستقلة تتزع نحو السيطرة، كما أن إعطاء وضع أهم للعقل غالبًا ما يقـــود علمـــاء النفس السياسى إلى النظر إلى "الوجدان affect"، وهـــو المـــصطلح العلمـــى للانفعال، بوصفه ليس فقط غير ضرورى ولكنه أيضا مدمر لـــــ "المعرفـــة cognition"، وهى المصطلح العلمى للعقل. والمثال المبرز لهذه الرؤية فـــى علم النفس السياسى هو الذى وضعه جيم كوكلينسيكى وزملاؤه (Kuklinski, Riggle, Ottati, Schwarz & Wyer, 1991) حيث: "فى المجتمـــع الـــديمقراطى، تُفضل القرارات العقلية عن غيرها، فالفكر المتروى يؤدى إلى السبق، بينما تؤدى الانفعالات إلى التأخر؛ لذلك فإن التروى مفضل عن رد الفعل الحشوى "الغريزى" كأساس لاتخاذ القرار الديمقراطى" (p.1) هنا نلاحظ اكتمال عمـــل

الافتراض القائل باستقلالية العقل؛ فليس ممكنًا أن يكون هناك تعقُّل وتفكُّر بدون انفعال وحسب؛ بل إن من الضرورى أن يكون الانفعال مستبعدًا من الحكم.

إن النتائج التى ظهرت حديثًا والمشتقة من علم الأعصاب تتحدى كثيرًا مما اعتقدنا أننا نعرفه عن الانفعال والعقل. ولا يتحدى علم الأعصاب هذا الفهم التقليدى فحسب ولكنه أيضا يتحدى المناحى المستقرة فى علم النفس السياسى التى تهتم بالانفعال. فى القسم التالى سأعرض ما تتمسك به المناحى المستقرة بالنسبة للانفعال، وما يعدله البحث فى علم الأعصاب من هذه التصورات، وسوف أتحول الآن إلى أكبر المناحى التى تتناول الانفعال فى علم النفس السياسى، بادئًا أولاً بمنظور التحليل النفسى.

منظور التحليل النفسى فى الانفعال

فى حين يقدم فرويد فهمًا مجازيًا فنيًا غنيًا؛ فإن منحاه فى الصميم يعد نموذجًا هيدروليكيًا يشترك فى عديد من الخصائص مع نظرية جالين Galen عن الأمزجة، ولكن بدلاً من أربعة عوامل (واحد لكل من الأمزجة)، حيث يقود كل عامل كيفية مزاجية معينة، تصور فرويد نظامًا أبسط تعمل فيه قوتان ديناميتان فقط. فمن جهة هناك مبدأ اللذة والطاقة الليبيدية يكافحان من أجل الإشباع المباشر، وهى عملية يتضح من خلالها التصور الشهوانى للانفعال بكامله. ومن جهة ثانية هناك مبدأ الواقع وهو متمفصل فى العقل غير العاطفى الذى يحاول مقاومة الضغوط الخفية التى أنشأها بزوغ العواطف من "اللاوعى" مكمن الإيروس[١١٥] (الهو) والسيطرة عليها وإداراتها. وتعد الحرب بين الانفعال والعقل محورية بالنسبة للتصور الفرويدى، ومن هذا المنطلق فإن هذا التصور يتطابق بشكل كبير مع

(١١٥) الإيروس Eros هو إله الحب عند الإغريق (المترجم).

المدارس الهيلينية فى اليونان القديم وذلك فيما يتعلق بافتراضاتها الامبيريقية والمعيارية.

لن أناقش الخاصية الأساسية لتوجه التحليل النفسى بالنسبة للشخصية والمزاج، فهناك أدبيات معتبرة فى هذا المضمار تكفى للقول إنه يوجد اتفاق مهم مع المدارس الرواقية والشكية الفلسفية على أن العواطف غالبًا ما تتشكل مبكرًا فى الحياة، وتظل مدفونة على عمق سحيق، وإذا لم توضع جانبًا ومن خلال أفعال بطولية؛ فسيكون لها تأثيرات باقية طوال حياة الفرد (George & George, 1998,Post, 1993, Renshon, 1998, Rogow, 1963, Volkan & Itkowitz, 1984, Volkan, Itkowitz & Dod, 1997).

يتعلق الانفعال بالخصائص البارزة للخبرة (*الطاقة النفسية المركزة cathexis*)، وبمجرد تشكله؛ فإنه يسيطر على استجاباتنا، وتوجهاتنا، واستعداداتنا ومزاجنا وسلوكنا تجاه موضوعات الخبرة (الأشخاص، والأحداث والمناسبات) سواء كانت تلك الاستجابات مقبولة أم مرفوضة. بمجرد تشكل الرابطة الانفعالية فإنها تثبت هذه الموضوعات فى الذاكرة حيث تظل باقية إلى أن يكسرها جهد شاق ومتصل (*تفريغ الطاقة النفسية decathexis*). وتستطيع الأنا الواعية أن تتعمق فى اللاوعى من خلال جهدها المستقل لإعادة بناء هذه المنطقة العميقة. وهذا العمل الفذ غالبًا ما يدعمه الإرشاد العلاجي المدرب. هكذا فإذا كان الانفعال قوة فجة؛ فإنه يفهم بوصفه قوة موحدة توجد خارج مجال العقل والمتعقل، لكنها أيضا تقتحمه أنى أمكنها ذلك.

وبعيدًا عن هذا التصور العام، فإن التحليل النفسى ليس له نظرية محددة فى الانفعال، (Davies, 1980) وبعيدًا عن مناداته بأن الانفعال يعد القوة التى من خلالها يتغلب الهو id على الأنا ego (من ثم وجود" آليات الدفاع"، التى تعمل على المستويين الداخلى والخارجي: فهى تتدخل داخليًا فى هذه

الحرب الدائرة بين الكيانين المتضادين [الأنا والهو] حيث لكل مجاله المنفصل، وتعمل خارجيًا فى مواجهة الواقع، الذى يستطيع أن يحبط، أو يكافئ أيًا منهما)، وحين يؤخذ الانفعال كوحدة فى مقابلته للعقل، فإن *التعبير* عن الانفعال يأخذ خاصية متعددة الأوجه. إن كل عاطفة من العواطف - التى يراها فرويد كيانات منفصلة، تلك الانفعالات "الأساسية"، التى أصبحنا نتعامل معها الآن فى صيغة الجمع - كل منها يتم التعبير عنه بطرق مختلفة فى الظروف المختلفة. إن بناء العواطف يبدو منفصلاً - فكل انفعال "أساسى" ينتج افتراضيًا من نقطة تقاطع واحدة من كلا المبدأين مع المعتقدات الجوهرية. فعندما يشتغل مبدأ اللذة فى ظل تأمين متوفر للموضوعات المرغوبة؛ فإننا نستشعر اللذة. كذلك نشعر بالحزن إذا تعرض موضموع لذتنا للضياع، ونشعر بالغضب إذا ما استولى عليه شخص آخر، وبالإحباط عندما نفشل فى الحصول عليه، وهكذا. ومع ذلك لا يوجد اتفاق بين منظرى التحليل النفسى حول ما هى هذه الانفعالات "الأساسية" فكل منهم يسمى مجموعة من الانفعالات مختلفة فى العدد والمحتوى (Marcus, 1991) ولا يوجد تقرير بيولوجى ليمدنا بالأساس العصبى لهذه الانفعالات "الأساسية".

لقد صيغت نظريات انفصال بناء الانفعال من خلال اليونانيين ومن أهمهم أرسطو وجالين وآخرون فى المدارس الهيلينية الفلسفية (Nussbaum, 1994, Plutchik, 1980a) وفى نظريات انفصال الانفعال، يعد الاعتقاد منظمًا إلزاميًا يتم من خلاله تحديد انفعال سيظل مبهمًا وعامًا لو لم يفعل الاعتقاد فعله. عندما يحدث شئ سيئ فإنه يولد انفعالا "سلبيًا" أو "سيئًا"، أما مسألة تحديد هذا الانفعال السيء أو تسميته؛ فهى مسألة تعتمد على الاعتقاد المصاحب. إذا أدركت أننى السبب، فإن "اللوم" أو "الذنب" هو ما أشعر به (أو "الخزى" إذا تم الفعل على ملأ أو عرف بتوسع). وعلى جانب آخر إذا لم أكن السبب وأدركت أن الآخرين هم السبب فى خسارتى، فإن "الانزعاج" أو

"الاستياء"، أو"الغضب" أو "الهياج"ضن أنها مهمة أو بارزة فى تكوين الانفعال (وهذه هو المدخل المنهجى للتفكير فى دلالة العوامل الثقافية (Lutz, 1988)). ولكن تفسيرات التحليل النفسى ليست وحدها التى تقبل بعض التبـاين فـى الصيغ المنفصلة للانفعالات؛ فقد أقر المتخصصون فى علم النفس الاجتماعى بنظرية انفـصال الانفعـال (Frijda, kuipers, & Schure, 1989, kinder, 1994, Parkinson, 1997, Roseman, 1979, 1984, 1991, Roseman, Antonious, & Jose, 1996, smith, 1989).وبدلاً من مراجعة ذلك بأى تفصيل، سأهتم فـى القـسم التالى بالبديل البنائى الأساسى: نظريات الأبعاد فى الانفعال.

النظرات النفسية الاجتماعية للانفعال

قدمت فى مكـان آخـر تاريخـًا مفيـدًا لمعالجـة الانفـعـال فـى عـلـم النفـس الـسيـاسى (Marcus, 2000, Marcus, Neuman, & Mackum, 2000, App. A and b) كما أنه يتوفر أيضا تاريخ ممتاز للبحث فـى الانفعال فى علم النفس الأكاديمى (Cornelius, 1996)؛ لذا فإننى سأراجع هنـا بطريقة مختصرة ثلاثة مناح بنائية أوليـة للانفعـال: نظريـات الجاذبيـة valence[١١٦]، ونظريات الانفصال، والنظريات البُعدية (أو نظريات الأبعـاد) فى الانفعال[١١٧]. وتبدأ المشكلة، كما تفعل كل العلوم، مع الوصـف. فيعـد قاموس الانفعال غنيًا لإمدادنا بالفئات الاسمية المختلفة؛ فهناك مـن يقـدرها بأكثر من سبعمائة مصطلح مختلف (Storm & Storm, 1987)، ولكن هل كلها منفصلة أم يتساوى بعضها (أى يترادف)؟ وهل يؤدى هذا الغنى إلى وضوح

---

(١١٦) الجاذبية تعبير سوف نستخدمه لتسمية هذا التوجه النظرى، حيث يشير معناه النفسى إلى القدرة على التأثير من خلال أى من الجذب أو التنفير.(المترجم)

(١١٧) يظل الانفعال أيضا كيان غامض فى علم النفس الاجتماعى، ومع ذلك فإن الانفعال كظاهرة نفـسية يعد بوضوح خبرة ذاتية من الأفضل أن توصف أكثر من أن تفـسر فـى نظريـات علـم الـنفس الاجتماعى. (المؤلف)

وبلورة أم إلى تشويش بما هو ليس إلا فيضًا هائلاً من المصطلحات المترادفة؟

بالنسبة للشعراء، بدءًا من هوميروس، وبالنسبة للنحاتين، والرسامين والفنانين الآخرين فإن المهمة هى كيف يمثلون ويصوغون كلا من المتميز والعام هذا الشخص (خاص) غاضب (عام). لقد شغلت الكيفية التى يتم بها تصوير الانفعال وصياغته الفنانين والفلاسفة لزمنٍ طويل؟ فما القواعد العامة التى نطبقها فى هذا التصوير بحيث نستطيع التعرف على انفعال معين؟ وقد مثل الوجه موضوعًا متميزًا لهذا السؤال بوصفه اللوحة التى تعرض عليها انفعالات البشر وغيرهم من المخلوقات. وفى القرن السابع عشر أعد تشارلز لو برون Charles le Brun وهو أكاديمى فرنسى محاضرة عن الانفعالات الشائعة والمؤثرة وتمثيلاتها (Montagu, 1994) وقد اشتق تشارلز بحثه هذا من عمل ديكارت Descartes فى علم النفس الانفعالى (Descartes, 1989). وقد استمر فى هذا المشروع تشارلز داروين Charles Darwin (١٩٩٨)، ومؤخرًا بول إيكمان (Paul Ekman, 1982, 1984, 1992, Elman & Rosenberg, 1997) للكشف عن القواعد وعرض الخصائص التى تميز تعبيرًا انفعاليًا يرتسم على الوجه عن تعبير آخر.

ويبدو أن الجهد المبذول لإيجاد انفعالات "نقية" أو "أساسية" يشبه مهمة تمييز بناء الألوان. فخلط نسب مختلفة من الألوان الأساسية يمكن أن ينتج ملايين من الألوان المختلفة. وبالمثل فإن انفعالات مختلفة ربما تنشأ من مجموعة صغيرة من الانفعالات. وفى المقابل فقد تشير الأسماء المتباينة لعدد من الانفعالات إلى انفعالات متكافئة فى الواقع، أى إلى انفعالات تعكس خبرات متشابهة. فعندما يقول شخص ما إنه سعيد ويقول آخر إنه مبتهج فهل هما متفقان أم غير متفقين؟ هناك تباينات عديدة فى الخبرة الانفعالية، المئات منها تم تسميتها (Storm & Storm, 1987)، ولكن لدواعى الاقتصاد؛ فإننا نقاوم

اندفاعنا لإنتاج الآف من أسماء الانفعالات لتطبيقها على كل تباين وأى تباين يمكن ملاحظته وتمييزه.

مواجهين بمهمة تخفيض العديد من التباينات فى المشاعر إلى عدد أقل من الفئات؛ قدم المتخصصون فى علم النفس الاجتماعى ثلاثة حلول مختلفة. أكثر الاختصارات قدمتها نظريات "الجاذبية" فى الانفعال. فالحل هنا واضح: الانفعالات هى الوسائل التى من خلالها تحل المخلوقات الحية مشكلة "الإقدام" و"الإحجام" (Tooby & Cosmides, 1990a, 1990b). وقد أشارت الفحوص الأولية إلى أن البشر يطبقون بعدًا واحدًا ثنائى القطب لتقييم جاذبية كل الموضوعات فى مجالهم البصرى (Osgood, Suci, & Tannanbaum, 1957)، ومع ذلك، ففى حين أنه من المؤكد أننا جميعا يمكننا بالفعل الاستجابة الفورية إذا ما طلب منا تقسيم إدراكاتنا إلى مقابلات ثنائية، مثل جيد وسىء؛ إلا أن ذلك لا يعنى أن الخبرات الانفعالية يسيطر على بنائها المفترض – تمامًا وبكفاءة – مثل هذا الاختصار الحاد، حتى ولو كانت منهجية المقابلات الثنائية تُمارس بشكل واسع كما فى التمييزات الدلالية وقياسات المشاعر(١١٨).

أما نظريات الانفصال بين الانفعالات فإنها ترفض اختصار نظريات الجاذبية المتطرف لكل الخبرة الانفعالية إلى بعد الحب والكراهية المفرد؛ فنظريات الانفصال تعزو الانفعال إلى تطبيق تقييمات معرفية متعددة ومتزامنة. وتعد نظرية عالم النفس إيرا روزمان (1984) Ira Roseman ممثلة لهذا المنحى؛ فهو يفترض (Roseman, 1984) أن "*تفسيرنا للأحداث –وليس*

(١١٨) ليس من المفيد أن يتضمن علم المنهج القار فى الدلالى تناقض ثنائى، وهو منحى شائع بالنسبة للتقييم الانفعالى. وغالبًا ما يشاهد فى البحث المسحى، حيث تكون "قياسات الشعور feeling thermometers " كافية حتى لو كانت الوسائل الإشكالية problematic means تتعلق بتمييز ما يشعر به الأفراد اتجاه بعض المرشحين أو الجماعة أو السياسيات (انظر Marcus,1988: App). (المؤلف)

الأحداث ذاتها- هو ما يحدد أى الانفعالات سنشعر بها" (الخط المائل فى الأصل p. 14) وبذا يقدم لنا "نموذجًا بنائيًا" ينتج من تطبيق الاعتبارات بطريقة هرمية. وهو يبدأ بما إذا كانت الأحداث تُدرك كأحداث إيجابية أم سلبية ثم مزيد من التمييز بناءً على ما إذا كان هناك تقديم إثابة أو غياب عقاب بالنسبة للأحداث التى قيمت إيجابيًا، وما إذا كان هناك تعطيل إثابة أو تقديم عقاب بالنسبة لأحداث قيمت سلبيًا. يلى هذا تقدير ما إذا كانت المناسبات أو الظروف تستحق أو لا تستحق، وداخل ذلك تقدير ما إذا كانت مؤكدة أو غير مؤكدة. وفى النهاية يتضمن المخطط مسألة إذا ما كان موضوع التقييم هو الذات أم شخص ما آخر. وعدد الانفعالات المتمايزة الناتج إنما ينتج عن عدد الاعتبارات القابلة للتطبيق وعن الفئات الثانوية داخل كل اعتبار (وعادة ما يتشكل هذا فى صورة مقابلات ثنائية كالثواب */أو* العقاب). وتخفض النظريات المختلفة الممايزة بين الانفعالات المئات من الحالات الانفعالية المتمايزة، سواء تلك التى نلاحظها عند الآخرين أم تلك التى نشعر بها، إلى عدد قابل للإدارة من الانفعالات الأساسية: ٨ أو ١٠ أو ١٢ أو ١٦، وهناك جهد فكرى منشور هائل حول مثل هذه المناظير المعرفية للانفعال Ekman, 1992, Ellsworth, 1991, Forgas, 1995, Frijda et al, 1989, Mauro, Sato, & Tucker, 1992; Ortony, Clore, & Collins, 1989; Parkinson & Manstead, 1992; Smith, (Hymen, Lazarus, & Pope,1993) حيث توضح هذه الأعمال أن البشر يميزون انفعالاً عن آخر بمدى مناسبته للظروف التى يوجدون بها.

إن الافتراض المحورى فى نظريات الانفصال هو أن هذه الحالات الانفعالية تُعد منفصلة بحكم التعريف، ذلك أنها، حصرية تبادليًا [١١٩]. وربما تكون الدراسة الأكثر أهمية فى هذا الاتجاه فى علم النفس السياسى هى التى

(١١٩) أشعر بالغضب عندما أتأذى من خلال نفاق شخص آخر. ولكننى لن أشعر بالذنب إلا إذا شعرت أننى أخطأت بأن وضعت ثقتى بلا حذر فى صديق لا يستحقها.. (المؤلف)

أجراها روبرت أبلسون وزملاؤه (Ablson, Kinder, Peters, & Fiske, 1982) فقد كان أبلسون وزملاؤه مهتمين بالانفعالات التى خبرهـا المواطنـون عنـدما واجهوا المرشحين للمنصب الرئاسى أثناء الانتخابات[١٢٠]. حيث استخدموا – فى دراسة استطلاعية للانتخابات الأمريكية القومية عام ١٩٧٩– قائمة مـن ردود الفعل الانفعالية نحو مرشحى الرئاسة معتمدين على نظرية الانفصال، وهى قائمة مشتقة من روزمان Roseman، وقد سألوا عن الكيفية التـى درَّج بها الأفراد مرشحى الرئاسة على أساس المصطلحات الانفعالية المتمـايزة: الأمل، الفخر، التعاطف، الاشمئزاز، الغـضب، الخـوف، والــلا أريحيـة (Kinder, Ablson, & Fiske 1979).

يترتب على كل من التوجهين النظريين السابق عرضـهما: الجاذبيـة والانفصال نتائج متباينة جدًا. فسيرى منظور الجاذبية أن هذه المـصطلحات تعد كلها مُرتبة بالفعل على بعد واحد ثنائى القطـب، مـن الأكثـر سـلبية (الاشمئزاز على الأرجح) إلى الأكثر إيجابية (ربما الفخر)، بينما تأتى بقيـة المصطلحات مرتبة على نفس المتصل بين هذين الطـرفين. أمـا منظـور الانفصال بين الانفعالات فسيرى أن من المحتمل أن يستثير كل مرشح انفعالاً منفصلاً واحدًا فقط، ينتج فى الغالب من الاعتبارات المعرفية وثيقة الـصلة بالموضوع (وهو بالتالى ما سيجعلنا نجد ارتباطات منخفضة جدًا بين مختلف المصطلحات التى استخدمها المبحوثون لتقييم كل مرشح) فإذا كانت كل مـن هذه المصطلحات تنشأ من مجموعة مختلفة من الاعتبارات المعرفيـة، فـإن التوقع العام كان أن الأفراد الذين شعروا بالخوف عندما كانوا يفكرون فـى مرشح معين؛ لن يقرروا أنهم شعروا أيضا بأى مـن انفعـالات الأمـل، أو الفخر، أو التعاطف، أو الاشمئزاز، أو الارتباك أو.. (وهلم جرا).

---

(١٢٠) خط البحث مدروس بشكل أكثر امتدادًا من خلال روجر ماسترز Roger Masters ودانيس سوليفان Danis Sullivan.(Masters & Sullivan,1993; Masters ,1991; Masters, Frey &Bente,1991; Masters & Sullivan,1989; Masters & Way,1996; McHugo , Lanzetta , Sullivan, ;Masters, &Bnglis,1985; Sullivan &Masters,1988).. (المؤلف)

وكما هو معروف فإن التفسير النظرى لم يمدنا بوصف مقبول للنتائج الامبيريقية. فبدلاً من الاختيار من بين إحدى الحالين (إما منظور الحالات الحصرية تبادليًا أو البعد الواحد لنظرية الجاذبية)، فقد تطلبت النتائج بُعدين اثنين متعامدين، وهو يطرح علينا الاختيار البديل الثالث المتعلق بالنظريات البُعدية للانفعال. وللأسف، كما سوف أبين؛ فقد اختار أبلسون وزملاؤه أن يسميا البعدين باسمى: "الإيجابى" و"السلبى" مما ترتب عليه مترتبان غير مناسبين. ويمكننا هنا استباق مناقشة أكثر استفاضة ستأتى فيما بعد. فهناك مشكلتان بالنسبة لهذين الاسمين أو الصفتين: الأولى هى أن مصطلحى *إيجابى وسلبى* يتضمنان تقابلاً ثنائيًا (يمكن مقارنته بالتقابلات الدلالية الفارقة، مثل جيد وسيئ، قوى وضعيف،... إلخ)، هذا بينما أظهرت النتائج أن الأفراد غالبًا ما يخبرون، بشكل متزامن، كلا النوعين من ردود الفعل الانفعالية. فقد أثار المرشح الواحد -بالنسبة لمعظم الأفراد- كلا المشاعر الإيجابية والسلبية معًا. ثانيًا، يدعم مصطلحا *الإيجابى والسلبى* فكرة أن متصل الإقدام – الإحجام يؤدى دوره فى قلب هذه التقييمات الانفعالية، وهو ما يعد -مرة أخرى- متعارضاً مع البيانات من حيث تضمنه لتصور مفرد عن الانفعالات المتعددة.

لقد أصبح راسخًا الآن أنه عندما تستخدم مجموعة مختلفة من المنبهات – وجوه أو كلمات أو أشياء مثل تلك المستخدمة فى نسق الصور الوجدانية العالمية لبيتر لانج (Bradley, Greenwald, Bradley, & Lang, 1996; Lang, 1994; Lang, Greenwald, Bradley, & Hamm, 1993) – فإن الترتيب ثنائى الأبعاد يُعد ضروريًا بالنسبة للاستجابات الانفعالية المعيشة فعليًا. وذلك يعنى القول بأن الموضوعات لا تُحدث استجابة انفعالية واحدة منتظمة على بعد ثنائى القطبين، من السلبى (الكراهية، الإحجام) إلى الإيجابى (الحب، الإقدام) ولكنها (أى الموضوعات) تحدث أثرها على بعدين متزامنين من الانفعالات

(Almagor & Ben – Porath, 1989; Clark & Watson, 1988; Feldman, 1995; kern, 1989; Larsen & Diener, 1992; Mayer & Gaschke, 1988; McCrae & Costa, 1989; Meyer, & shack, 1989; Plutchike, 1980a, 1980b; Plutchike & kellerman, 1989; Remington, Fabrigrar, & Viser, 2000; Russell, 1980; 1983; Watson, 1988a; wanton & Clark, 1992; Watson, Clark, & Tellegen, 1984; Watson & Tellegen, 1985).[١٢١] إن لهذه النتائج -التى لا تعد المراجع المذكورة إلا مجرد أمثلة لها- مترتباتها بالنسبة لنظرية الجاذبية فى الانفعال (Zajonc, 1998) وكذلك بالنسبة للتفسير المنافس الخاص بنظرية الانفصال بين الانفعالات المذكور آنفاً. والأكثر أهمية أن هذه النتائج قد شحذت الاهتمام بالنظريات البُعدية للانفعال والتى تقول بأن مصطلحات الانفعال المعينة تُعد محددات تُعَيِّن موقع القيم على أبعاد التقييم المتعددة.

ونعرض فى الشكل [٦-١] لعينة ممثلة سُئل المبحوثون فيها كيف يشعرون بكل انفعال من عدد يبلغ ٤٨ انفعالاً خلال يوم كامل. فإذا كان نموذج الجاذبية صادقاً فإن الـ٤٨ كلمة التى ستستخدم لتسمية انفعالات مختلفة ستنتظم على خط واحد يبدأ من الأكثر إيجابية (مثل سعيد، ومبتهج، ومستثار.. الخ) إلى الأكثر سلبية (مثل حزين، وغير سعيد، وبائس... الخ) وإذا كان نموذج الانفصال هو الحل الأصدق؛ فإن المشاعر سوف تتجمع فى ٨ أو ١٠ أو ١٢ عنقودًا (يعتمد العدد على أية نظرية من نظريات الانفصال هى التى نستخدمها وعلى عدد المصطلحات المترادفة المضمنة فى الدراسة).

---

(١٢١) سأضع جانبًا مناقشة التناقض الحديث الذى أثارته مقالة (Green , Goldman , & Mastrs, 1993) التى بدت أنها تفترض أن بعدًا واحدًا فقط مطلوبًا بمجرد أن يتم قياس الخطأ. وقد أثار ذلك شجارًا فى المقالات المنشورة a spate of exchanges (Cacioppo, Gardener, & Bernson, 1999; Green & Salovey, 1999; Green, Salovey,&Truax,1999; Russell& Barrett,1999a,b; Russell& Carroll,1999; Tellegen, Watson, & Wiese, Vaidya,& Tellegen,1999) كل الأحزاب توافق الآن على أن كلا البعدين ضرورى وليس بعدًا واحدًا (Marcus, 2000). (المؤلف)

ومع ذلك، فلم يتم ترجيح أى من النتيجتين (Rusting & Larsen, 1995). وبدلاً من ذلك، وكما فى نتائج الدراسات المماثلة، سواء اهتمت بالتقارير الذاتية لحالات الشعور، أو بردود الفعل الانفعالية على السياسيين، أو على موضوعات متباينة؛ فإن الأمر يتطلب امتدادًا ثنائى البعد لتلخيص التباين، لأن الـ ٤٨ مصطلحًا لا هى اندرجت فى بعد واحد، ولا هى تجمعت فى مجموعات مترادفة. بدلاً من ذلك توزع الـ ٤٨ مصطلحًا على امتداد ثنائى البعد[١٢٢].

وحتى عند استخدام المزيد من المصطلحات الانفعالية وكذلك عندما تستخدم موضوعات أخرى لتوليد مردودات انفعالية، كما فى بحث بيتر لانج Peter Lang عن الصور (Cuthbert et al., 1996; Ito, Cacioppo, & Lang, 1998; Lang et al., 1993)؛ فإن الفضاء ثنائى الأبعاد يزداد كثافة وامتلاءً. وقد أدى ذلك بعلماء النفس إلى الظن بأن التباين من شعور لآخر قد يعكس أكثر شعور واحد يتم تقديره. فعلى الرغم من أن المشاعر كثيرة جدًا ومتنوعة؛ فإنها قد تكون تعبيرات عن نوع من التقييمات أو التقديرات التحليلية (Scherer, Schorr & Johnston, 2001) فالتقديرات التى يقدمها نظام واحد من المحتمل أن تنتج تباينات على طول محور واحد. وبما أن الفضاء ثنائى الأبعاد؛ فقد افترض علماء النفس أن هناك نظامين مختلفين للتقدير وأنهما نشيطان دائمًا. من ثم فإن التباينات العديدة والمتنوعة الناتجة فى المشاعر ربما تعكس نوعين فقط من التقييمات الجارية، تمامًا كما يحدث أن تنتج التباينات فى ثلاثة ألوان أساسية فقط هى الأحمر والأخضر والأزرق ملايين من تنويعات الألوان. ولكن ما التقديرات الأساسية الضمنية التى يمكن أن تولد هذا الفضاء ثنائى الأبعاد؟

---

(١٢٢) هناك بعد موسمى ثالث، الكراهية أفضل وصف له، يوجد بشكل موسمى. وللمناقشة الكاملة لهذا البعد انظر ماركوز، ٢٠٠٢، وماركوز وآخرين ٢٠٠٠ والمناقشة التالية.



Figure 6.1 Emotions experienced during a day. Adapted from Rusting & Larsen, 1995

شكل (٦-١) الانفعالات المعاشة أثناء اليوم مشتق من روستنج Rusting ولارسن Larsen ١٩٩٥

هذه "التجمعات القطبية المحيطية circumplex"، وهو الوصف الذى أطلقه البعض على فضاءات الانفعال هذه (Almagor & Ben – Porath, 1989; Larsen & Diener, 1992; Plutchike, 1980a; Remington et al., 2000 Russell, 1980; Russell, Lewicka & Nit, 1989; Wanton et al., 1984) تشير إلى أن عديدًا من المشاعر المتباينة تتوزع على فضاء كثيف ثنائى الأبعاد. وفى التوقيت نفسه تقريبًا نشر عالم النفس روبرت زاجونك Robert Zajonc سلسلة من المقالات التى افترضت أن الانفعالات يمكن أن تنشأ سابقة على الوعى الشعورى الظاهر ومستقلة عنه وبالتالى مستقلة عن التقدير المعرفى (Kunst – Wilson & Zajonc, 1980; Moreland & Zajonc, 1979, Zajonc, 1980, 1982). إن هذا يفترض أن هناك تقديرات قبل شعورية ولاشعورية مغايرة للملكة المعرفية تعمل عملها فى مسألة الانفعال(١٢٣). لو أن الاعتبارات المعرفية لا تسبق التعبير عن المشاعر بل بالأحرى تتبعه؛ فإن ذلك يعنى سقوطًا للفرض المركزى لنظريات التقييم المعرفى وكذلك لنظرية الانفصال. يفترض تفسير زاجونك أن التقييمات الانفعالية قبل الشعورية تنشأ قبل "الشعور" بها، بل وخارج نطاق هذا الشعور(١٢٤)؛ وعليه فإننا ربما نفهم غضبنا ونعرف مصدره، إلا أن هذا الفهم يأتى من انعكاس مشاعرنا على وعينا المعرفى؛ ومن ثم فهذا الأخير ليس الأساس لهذه المشاعر.

---

(١٢٣) الإدارة الجيدة للتفكير غير الدقيق sloppy thinking كانت على المسرح فى علم النفس. ومصطلح المعرفة الضمنية " implicit cognition " يُعد واحدًا من عدد من المصطلحات المتشابهة التى استخدمت للتغطية مثل المعالجة اللاشعورية للمعلومة nonconscious information processing. ولكن إذا كان مصطلح " المعرفة cognition " يستخدم بهذه الطريقة، كما لاحظت بشكل متكرر، كمرادف للتفكير (بأشكاله المختلفة). بالإضافة إلى أن مثل هذا الاستخدام يمط معنى " المعرفة cognition " ليشمل كل معالجة للمعلومات فى المخ، مما يجعل المصطلح شديد الاتساع بالنسبة لتطبيقاته إلى الحد الذى يجعله غير مجد. (المؤلف)

(١٢٤) لمدة قصيرة كانت هذه الرؤية مثيرة للخلاف وتتعرض للمقاومة (Lazarus, 1982.1984). (المؤلف)

وبالتالى فإن نظريات الانفصال والنظريات البُعدية لا تختلف فقط فى تصويرها لبناء الانفعال، ولكنها تختلف أيضا فى رؤيتها للعلاقة الزمنية بين الانفعال (الوجدان) والعقل (المعرفة). فترى نظريات الانفصال أن الانفعالات ثانوية بالنسبة للنشاط المعرفى ومُشتقة منه، أما الأخرى، والتى تستمد معلوماتها من البحث فى علم الأعصاب، فتفترض أن الانفعالات تنشأ سابقة على النشاط المعرفى ومستقلة عنه (Adolphs , Tranel, Damasio , & Damasio, 1995, Armony & LeDoux, 1997, Damasio, 1999, 1994, Davis, 1992, 1997, Gray, 1987a, 1987b, LeDoux, 1991, 1992, 1993a, 1993b, 1995, 1996, Rolls, 1999). لا تحتاج هاتان الرؤيتان أن تكونا متعارضتين تبادليًا. بعبارة أخرى، قد تنتج الأنساق الانفعالية حالات انفعالية، فإذا ما كانت هذه الحالات قوية بما يكفى ودامت لفترة كافية فإنها تصل إلى المستوى الشعورى، عندها يظهر التقدير الشعورى الذى يعطيها بدوره لافتات دلالية (أسماء) متمايزة وصريحة. وإنه لمما يثير الاهتمام -بالطبع- مسألة ما إذا كانت المعالجة المعرفية اللاحقة تحدث تغييرًا فى آثار الإدراك الانفعالى قبل الشعورى، إلا أن هناك فروقًا أخرى بين كل من منظور الانفصال والمنظور البُعدى للانفعال.

الفارق الأكثر أهمية هو أن منظور الانفصال يفترض أن الانفعال يستثار من خلال عملية واحدة فقط هى التقدير المعرفى للموقف. وعلى الجانب الآخر فإن المنظور البُعدى يفترض أن من الممكن أن يكون هناك مصادر متعددة لتجلّى الانفعال، ومن ثم فإن الأبعاد المتعددة مطلوبة لوصف الخبرة الانفعالية. ربما توجد أنساق لتوليد الانفعال، لكل منها خصائصه المختلفة وبالتالى نتائجه المختلفة. ومع بعدين على الأقل يظهر التحدى المواجه للافتراض القائل بأن للانفعال آثاره المتسقة والمتجانسة (حيث مقابلة الانفعال وتأثيراته بالعقل وتأثيراته)[١٢٥]. قد تولد التقديرات الانفعالية قبل الشعورية المشاعر التى، عندما تظهر بشكل واع، يتم تفصيلها وبلورتها بشكل إضافى من خلال التقدير المعرفى.

---

(١٢٥) على الرغم من إمكانية أن تكون الوجدانات المختلفة قابلة للمقارنة حتى ولو كانت مختلفة المصدر. (المؤلف)

لقد افتُرض طويلاً أن البشر لديهم كيفيتـــان مختلفتـــان للتعامـــل مـــع المعلومات: المشاعر التى بدت غالبًا عجائبية المصدر من ناحية، ومن ناحية أخرى هناك التمثيلات التى تبدو أكثر صدقًا للواقع والتى تظهر فى الـــوعى الشعورى. وتفترض كل من النظريات الثلاث فى الانفعال أن المشاعر ليست ملغزةً تمامًا، فكل منها يقدم تفسيرًا للتقييمات التحتية التى تولـــد الانفعـــالات وتجلياتها. إن الحضور المتزامن للمشاعر والأفكار يرجح احتمال أن البـــشر يمكنهم الاعتماد على أفكارهم و/أو مشاعرهم. ولقد داوم علماء النفس علـــى البحث والتساؤل حول هذا المسار الفكرى؛ فقد طور جيرالد كلـــور Gerald Clore وزمـــلاؤه (Clore, Schwartz & Conway, 1994, Schwartz, 1990)، افتراض أن الناس يستخدمون المشاعر بوصفها معلومات مفترضين أن هناك علاقة تَمَثُّل (مثل، أشعر بالسعادة، وهو ما يعنى أننى أحب هؤلاء الأشخاص الجدد الذين قابلتهم للتو) هذا على الرغم من أن آخـــرين وجـــدوا تـــأثيرات لتمثلات مقابلة (Ottati & Isabel, 1996). لقد أصبح البحث عـــن التـــأثيرات "الوجدانية والمعرفية" صناعة غنيـــة حقًـــا الآن. (Crites, Fabrigar & petty, 1994, Erdley & D'agostince, 1988, Fabrigar & petty, 1999, Greene, 1998, Ingram, 1989, kuklinski et all, 1991, Marcus, miller, Theiss, Morse, Flathman, & Healy, 1990, Miller & Tesser, 1986, Michel & Shoda. 1995, Ottati, 1988, Ottati, Riggle, wyer, Schwartz, & kuklinski, 1989. Ottati, Steenburgen & Riggle, 1992, Stangor, Sullivan & ford, 1991). كما أنه ربما يكون للمشاعر الناتجة عن التقديرات الانفعالية قبل الشعورية وقـــع متفـــرد، بعيد عن العمل مع المكونات المعرفية (Loewenstien et all, 2001)[١٢٦].

(١٢٦) أوضحت أنا وزملائى هذا المنحى ببعض النجاح مع تطبيقه على أحكام التسامح السياسى political tolerance judgments (Marcus . Sullivan, Theiss , Morse, Wood, 1995). (المؤلف)

تُرْجِعُنا فكرة أنه يمكن أن يكون للاستجابات الوجدانية أو المشاعر تأثيرات قوية بوصفها "موجهات" (عشوائية أو تجريبية) تستخدم بدلاً من التروى الجاد فى مناسبات اتخاذ القرار (Forgas, 1994, 1995) نقول ترجعنا إلى الافتراضات الأساسية للمدارس الهيلنية الفلسفية. يرى البعض أن استخدام مثل هذه الموجهات الوجدانية يُعد مقبولاً بمعنى كونه "معقولاً" كطريقة لاتخاذ القرارات، وإن لم يكن "عقلانيًا" (Baron, 1994). ولكن آخرين يرون أن الاعتماد على الموجهات، سواء كان فعالاً أم لا، ليس بديلاً مقبولاً للتمعن الفكرى الصريح (Arkes, 1993) مثل هذا المناقشات تنسخ الخلافات بين الرواقية، والتشككية، والمدارس الفلسفية الأخرى. وترى بعض التفسيرات النظرية المعاصرة مثل نموذج بيتى وكاشيوبو elaboration likelihood model (Petty & Cacioppo, 1986) أن الأفراد يمكنهم أيضا أن يكونوا متمعنين وعامدين أو فإنهم مستقبلون للموجهات الوجدانية ورسائل الإقناع بدون تفكير، وهو ما يعكس مرة أخرى جاذبية المقابلات الثنائية كما هو الحال فى المقابلة بين الانفعال والعقل (Chaiken & Tape, 1999) إننا عندما نقابل بين العقل والانفعال فإننا نتجاهل احتمالية أن يكون هناك أنساق متعددة للانفعال بما يفترض وضعًا أكثر تعقيدًا للعلاقات، حيث لأنظمة الانفعال المختلفة تأثيرات مختلفة ليس فقط على التعبير عن المشاعر ولكن أيضا على مختلف أوجه "المعرفة" والسلوك. يمدنا البحث الحديث فى علم الأعصاب بفهم تمهيدى ومرحلى لأنساق التقدير الانفعالى المتعددة.

منظور علم الأعصاب فى الانفعال

تُعد الكتابة فى الانفعال وعلم الأعصاب ضخمة ومتنامية (لمجموعة مفيدة من القراءات انظر: Adolphs, Damasio,Tranel,&Damasio,1996; Adolphs, Tranel,Damasio,1998; Adolphs, ,Tranel, Damasio& Damasio,1994; Adolphs et

al,1995; Bechara et al , 1995,1997; Borod,2000; Cacioppo, Bernston, Crites& Stephen,1996; Damasio1994,1999; Davidson,2000; Davidson, Jackson, Kalin , 2000; Davidson,1992,1997; Etcoff,1986; George et al., 1993; Gray, 1985a,197a,1987b,1990; Jeannerod, 1997; Lane, Nadel,&Ahern,2000; LeDoux , 1991,1996; LeDoux, Romanski,& Xagoraris,1989; Panksepp,1991; Tomarken , Davidson, Wheeler, & Doss,1992; Tranel, Damasio& Damasio,1995; Zuckerman,1991) وقبل أن أنتقل إلى أنساق الانفعال المتعددة المعروفة حاليًا، يجب أن أذكر أنه يوجد حاليًا اتفاق على بعض الخصائص المشتركة بين كل هذه الأنساق: أولاً، تصل أنظمة الانفعال إلى المسار الحسى قبل أن تستطيع الأنظمة المخية - التى تولد الدراية الواعية بالانفعال - أن تكمل عملها، بالإضافة إلى أن أنظمة الانفعال توفر إدراكات تستثير بدورها الأفعال الانفعالية، والمعرفية، والسلوكية (Libet, 1985, Libet, Gleason, Wright, & Pearl, 1983, Libet et all, 1991, Libet, Wright, Feinstein & pearl, 1979)[١٢٧] بالإضافة إلى ذلك، فإن أنظمة الإدراك هذه تنتبه للمسار الحسى بأكمله، بينما ينتبه الوعى لعينة صغيرة جدًا ومنتقاة فحسب (Zimmermann, 1989). إن إحدى وظائف أنظمة الانفعال قبل الشعورية هى المساهمة فى تركيز وتوجيه الانتباه الواعى.

يقدم علم الأعصاب استبصارًا آخر أكثر حسمًا داخل الأنظمة المتعددة للذاكرة (Mishkin & Appenzeller, 1987, Schacter, 1996, Squire, 1987) فلقد كان من المتفق عليه أن يُنظر للذاكرة فى السابق بوصفها وحدة، وفى فترة لاحقة أصبحت تقسم إلى "قصيرة المدى" و"طويلة المدى" (Forgas, Burnham & Trimboli , 1988, Lau & sears, 1986, Lodge, McCraw, Stroh, 1989) وربما كان النظامان الأكثر أهمية للذاكرة هما ما يسمى بالترابطى (أو أحيانًا

---

(١٢٧) مقدمة مفيدة مطروحة فى نورتراندرز Norretranders، 1998. (المؤلف)

الإجرائى) والآخر يسمى التقريرى (أو الدلالى). هذان النظامان يوضحان كم نحن فى حاجة إلى إعادة النظر والبحث فى محاولتنا استكشاف دور الانفعالات فى علم النفس السياسى. فليست الذاكرة الترابطية -والتى من المقبول عامة أن نحدد موقع نشاطها فى الجزء الأمامى من القشرة المخية- المجال الأساسى للتحيزات الانفعالية (مثل "تفضيلاتنا" و"مكارهنا") وحسب؛ ولكنها أيضا الموقع الذى تتمركز فيه أفعالنا المتعلمة. فالمهمة البسيطة، مثل الوصول إلى كوب من الماء ورفعه من على المنضدة للفم، هى فى الواقع مجموعة معقدة جدًا من المهارات المتكاملة والمكتسبة (حيث تتواصل مسارات حسية ومسارات حسية-جسمية مع الخبرة السابقة). فنحن نعتمد على تقديراتنا للشدة المطلوبة للإمساك بالكوب، وللجهد المطلوب لرفعه على تقديراتنا لمستوى امتلائه بالماء (بيانات حسية) وللمسافة بيننا وبينه، وما إذا كان مصنوعًا من الورق المقوى أو من البلاستيك أو من الزجاج. وربما تكون كل مناسبة نمارس فيها هذا الفعل مختلفة عن المناسبات السابقة (فربما كانت المنضدة أكثر انخفاضًا أو أكثر ارتفاعا، أكثر قربًا أو بعدًا، والكوب أقل امتلاءً أو أصغر أو أكثر تعرضًا للانزلاق.... الخ). والذاكرة الترابطية هى حيث يتم تخزين كل هذه التباينات، وكيف نحدث مثل هذه الأفعال المألوفة ونتعامل معها. وتلعب الانفعالات دورًا محوريًا فى أداءاتنا هذه، كما أنها تساهم فى حسم اختياراتنا من بين الأهداف المتزامنة (Gray & McNaughton, 2000).

أما الذاكرة الإجرائية فهى تتعامل مع استدعاء الحقائق مثل: ماذا تناولت على الإفطار؟، وما لون القميص الذى ارتديته أمس؟، وعيد مولدى، وهكذا. ويتدخل كل من الجسيم اللوزى، وقرن أمون، وهما منطقتان فى المنطقة الحلقية من المخ، فى أنظمة الذاكرة هذه[١٢٨]. وقد اقتصر

---

(١٢٨) العطب الثنائى Bilateral Damage فى الأميجدالا Amygdalla يحمى الاستجابة الانفعالية بالنسبة

المتخصصون فى علم النفس السياسى فى الغالب على الذاكرة الإجرائية، فى كثير مما نعرفه حتى الآن عن الأحكام السياسية، مثل قرار لمن سأصـــوت، بما يعكس التأثير القوى للذاكرة الترابطية؛ فمثلاً يؤثر كل من الفكر والانتماء الحزبى فى الحكم، بسبب المكون الفعـــال (Mackuen, Neuman, & Marcus, 2000, Marcus et al, 2000).

وقد أظهرت دراسات المرضى الذين عانوا من عطـــب فـــى جـــانبى الجسيم اللوزى عجزًا كاملاً فى قدرتهم على الاســـتجابة الانفعاليـــة للعـــالم الموجودين فيه. ومن اللافت ملاحظة أنه لم تنعدم القدرة على معايشة ردود الفعل الانفعالية قبل الشعورية فحسب؛ بـــل أيـــضا القـــدرة علـــى معايـــشة الانفعالات المتمايزة. ولكن ربما يكون الأكثر أهمية أن هؤلاء المرضى لـــم يكن لديهم عجز معرفى (Bechara et al, 1995, 1997). بعبارة أخـــرى فـــإن هؤلاء المرضى يستطيعون القيام بكل الأشياء التى يستطيع شخص ألمعـــى كامل العقل أن يقوم بها فيما عدا عجزهم الواضح عن معايشة الانفعال. وهم لا يستطيعون القيام بالسلوك السائغ من خلال تفكيرهم المواكب لهذا السلوك – حتى عندما يعرفون ما هو أفضل مسار ينبغى عليهم اخذه فعليًا. إنهم غير قادرين على المبادرة بالسلوك السائغ من خلال تحليلهم الخاص للموقف. ربما فى هذه الحالات يمكننا أن نقول إن الحلم القديم بمحو أثر الانفعال على العقل قد تحقق، ولكن نتائجه الكاملة مختلفة تمامًا عما كان يعتقـــد طـــويلاً. فمـــن الانفعال تأتى القدرة على القيام بالفعل، وهو الأمر الذى لا يستطيعه العقـــل وحده. وكل هذا يدفعنا للقول إن ما افترضه أرسطو كان أكثر صـــحة ممـــا افترضه منافسوه من الفلاسفة، فالانفعال والعقل ضـــروريان معًـــا وبـــشكل تعاونى لتحقيق كل ما ييسرانه كلاهما معًا.

للمنبهات الجديدة، بينما يكون العطب الثنائى فى الهيبوكامبس نفس الأثر، فى حين لا يحدث ذلك فى الـــذاكرة التقريريـــة declarative memory (Bechara et al. 1995; Scott et al. 1997; Santon, 2000; Zola-Morgan, Squire, Alvarey, Royo,&Clower,1991). (المؤلف)

ولكن ماذا نعرف عن الأنظمة أو الأنساق الانفعالية وكيفية عملها؟ لقد تم تعيين الأنساق الانفعالية من خلال البحث فى مسألة تحديد موقع المحاور أو الأبعاد المستخدمة فى إدراك الانفعال، مستخدمين بيانات من ردود فعل المبحوثين الانفعالية على المنبهات المختلفة، وهذه الدراسات، كما لاحظنا من قبل، تقرر أن بعدين على الأقل ضروريان للتمثيل المناسب للتباين الناتج. ومع أن هناك مجموعة لانهائية من الاحتمالات، فقد ظهرت فى علم النفس الاجتماعى نظريتان بُعْديتان متنافستان فى الانفعال(١٢٩). إحداهما وهى الأكثر ارتباطًا ببحث ديفيد واطسون وزملائه. (,Watson, 1988, Watson et al, 1984 Watson, Clark & Tellegen, 1998, Watson & Tellegen, 1985)، تصف البعدين كـ "إيجابى" و"سلبى"، وفى هذا التفسير فإن المحاور المرسومة فى الشكل [٦-١] ستكون موضوعة رأسيًا وأفقيًا، حيث يتحدد فى البعد الرأسى التباين من مكتئب إلى مبتهج وسعيد (بعد الوجدان الإيجابى). أما البعد الأفقى فيظهر التعبير عن التباين من هادئ إلى قلق والذى يسمى بشكل عام الوجدان السلبى، متبنيًا نفس الأسماء الإشكالية التى يستخدمها أبلسون Abelson وزملاؤه (1982). أما التفسير الآخر، الأكثر ارتباطًا بجيمس راسل (,Russell 1980, Russell, Lewicka, & Niit, 1989, Russell, Weiss, & Mendelsohn) فيفترض موضعًا مختلفًا للبعدين، مع التدوير ٤٥ درجة، بما ينتج محورين للانفعالات التى تتباين على كل منهما من المنخفض إلى المرتفع، وهما محور الجاذبية ومحور الاستثارة.

للأسف فإن المصطلحات الفنية المستخدمة فى هذين النموذجين البنائيين قد أحدثت ارتباكًا ملحوظًا فيما يُقصد بمصطلحات "انفعال إيجابى" و"انفعال سلبى" مما يمكننا توضيحه من خلال مثال. انظر للشكل [٦-٢] فهو

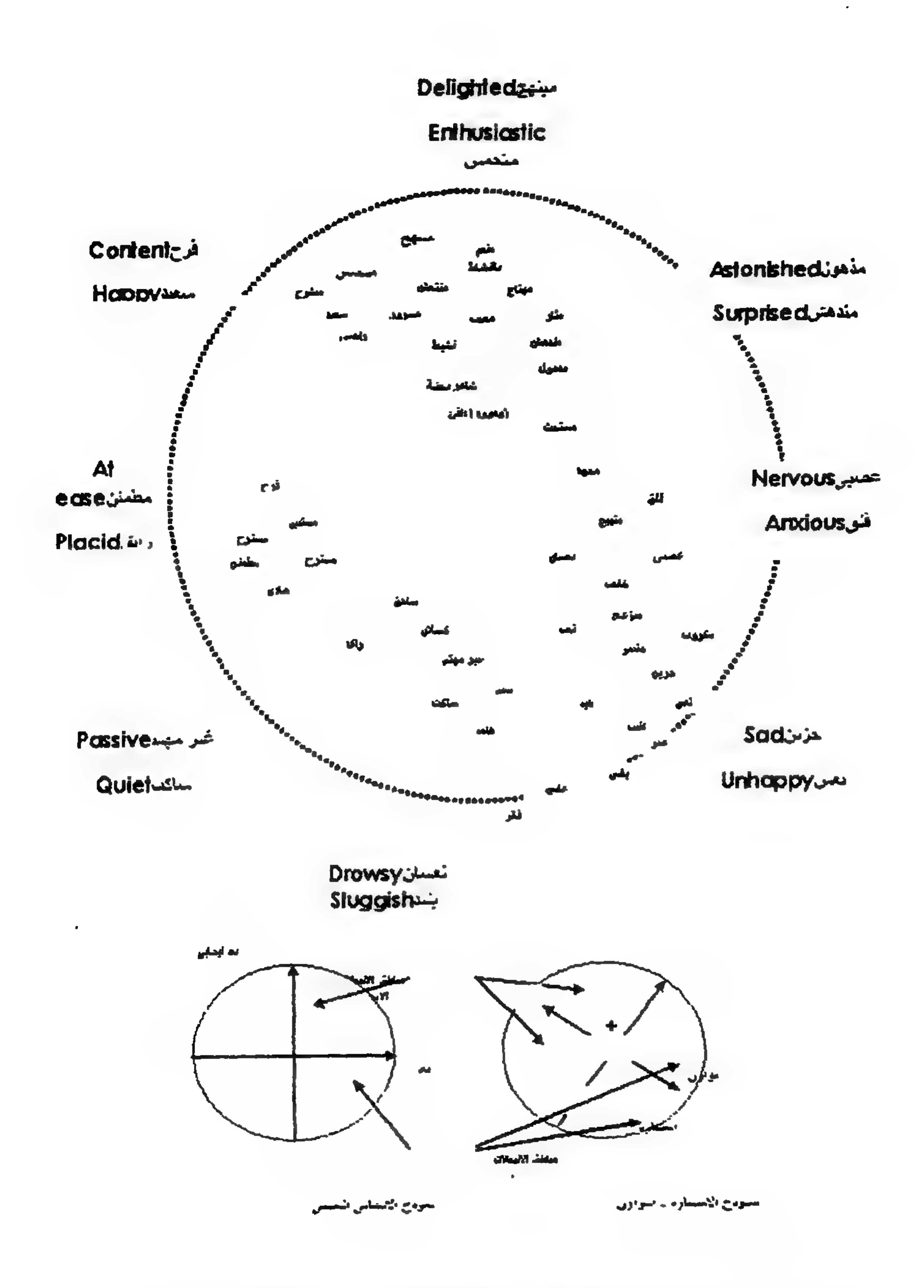
---

(١٢٩) لقد وضحت مناقشة مثل هذه التفسيرات النفسية الاجتماعية هنا بدلاً من القسم السابق لأن المناقشة فى الأدبيات النفسية الاجتماعية هناك مقتصرة بشكل كبير على التساؤل حول أى النماذج مناسب أكثر لبيانات الانفعال. (المؤلف)

يعرض البيانات من الشكل [٦-١] مركبة على تمثيل مثالى "للتجمعات القطبية المحيطية" للاستجابة الانفعالية. وتوجد فى الأسفل التمثلات التخطيطية للنموذجين البُعديين مع مواقع محاورهما. وكما يتضح؛ فإن نموذج الجاذبية يُعَيِّن منطقتين حيث تقع الانفعالات الإيجابية والسلبية، ولكن هاتين المنطقتين مختلفتان عن المناطق التى يسميها النموذج الآخر (السلبى- الإيجابى) بالصفات نفسها. وبالتالى، فالحزن، مثلاً، يُعد حالة شعورية "سلبية" تبعًا لنموذج التكافؤ ولكنه ليس كذلك تبعًا لنموذج الإيجابى - السلبى (فهو حالة شعورية تنشأ من غياب الشعور الإيجابى)، وفى المقابل يعد القلق الشعور السلبى المميز فى حالة النموذج الإيجابى - السلبى، ولكن هذه الحالة الشعورية تقع على مسافة من البعد الاستثارى لنموذج الجاذبية مساوية لمسافتها من المنطقة السلبية، تاركةً الوضع غامضًا. فإذا كان كلا النموذجين يستخدم نفس المصطلحات، إيجابى وسلبى، ولكنه يحدد حالات شعور مختلفة تمامًا، فإن خلطا دالا سوف يربكنا، إن لم ندقق بشدة أثناء قراءة تقارير الأبحاث عن تأثيرات حالات الشعور "الإيجابية" و"السلبية" على الحكم والسلوك[١٣٠]. فعديد من المقالات، على سبيل المثال، تقرر أن الانفعال "الإيجابى" يدفع الأفراد إلى الاعتماد على ما يعرفونه بالفعل، لكن هذه التقارير لم تنتج بالفعل من دراسة كل التباينات فى الانفعال الإيجابى ولكن فقط من انفعال "السعادة"(Bless et al, 1996, Bless & Fiedler, 1995. Schwarz & Bless, 1991) وبالمثل فإن دراسات الانفعال السلبى التى تصوغ دعاوى حاسمة حول ما يفعله "الوجدان السلبى" تتعارض كثيرًا مع حالات انفعالية سلبية مختلفة تمامًا عما تدرسه (سنتعرض للمزيد من ذلك قريبًا).

---

(١٣٠) فى دراسات المراجعة التى تصف تأثيرات الوجدان " الإيجابى" و/أو " السلبى" يفضل تجاهل هذه المصطلحات وتوجيه اهتمام خاص للمنبهات الفعلية المستخدمة فى الدراسة المقدمة.



شكل [٦ – ٢] النماذج البنائية المتنافسة للانفعال والواقعة حول الأقطاب **circumplex**

يركز معظم البحث المنشور فى بنية الاستجابات الانفعالية على اختزال البيانات بمعزل عن أية نظرية حقيقية مستقلة، حيث يسعى كل من النموذجين إلى تفسير تنوع الحالات الانفعالية مستبعدًا مصطلحات الانفعال المتعلقة بالنية (Barrett & Russell, 1998). ولكن هناك عدة مشكلات جادة واضحة فى هذه الدراسات.

فإذا لم يُدَوَّر كلا النموذجين بـ ٤٥ درجة الواحد بالنسبة للآخر، فإن الدلائل المتجمعة حتى الآن حول تأثيرات الانفعال "الإيجابى" و"السلبى" ربما تكون أكثر فائدة. إن الأبعاد التى يتعامد كل منها على الآخر (بزاوية ٩٠ درجة) تكون غير مرتبطة (لذلك فإن علاقتها المميزة بعوامل ثالثة تكون محسومة) أما الأبعاد الموضوعة التى تكون الزاوية بينها ٤٥ درجة (كما هو الحال بالنسبة للانفعالين "السلبيين" المقترحين والانفعالين "الإيجابيين" انظر الشكل [٦ – ٢]) فتعنى أن النتائج التى فحواها إظهار الحزن ربما تتناسب مع واحد من التفسيرات الثلاثة البديلة، كما يلى: أولاً، أن الحزن *أو أى انفعال سلبى آخر* له هذا التأثير (بمعنى أن كل الانفعالات السلبية لها التأثير نفسه على الحكم والسلوك الإنسانيين)، فنحن يمكننا استخدام أى انفعال "سلبى". ليس يهم أى الانفعالات سنختار فى البحث أو الدراسة، فأى منها – فى هذه الحالة– سيولد البيانات نفسها.

ثانيًا: إن العلاقة فعليًا تكون بسبب انفعال سلبى آخر، فلنقل القلق، وليس الحزن، ولكن لأن الأبعاد مرتبطة إيجابيًا فإن هذا التأثير يُعزى بشكل خاطىء إلى الحزن، فإذا تم توضيح ذلك فإنه ينبغى تضمين مقاييس منفصلة للاستجابتين السلبيتين، الحزن والقلق، مما يسمح لضوابط التباين المتعدد أن ترسخ تأثيراتها المميزة إن وجدت، ومن ثم تضبط إمكانها. لم يفعل ذلك إلا القليل من الدراسات، ولذلك فإن الاستنتاجات حول تأثيرات "السعادة" و"الحزن" (كما فى Bless & Fielder, 1995) لا تدعم استنتاجاتها الرئيسية.

ثالثًا: الحزن، ولكن الحزن فقط، له هذا الأثر. لم يحدث أن أجريت الأبحاث المطلوبة عن المدى الواسع لأثر الانفعالات "السلبية والإيجابية" بما يسمح بالتمييز بشكل فعال بين هذه البدائل الثلاثة[١٣١].

إن مقالة *أخرى* تقارن حلاً عامليًا *آخر* على سلسلة من البيانات *الأخرى لن* تحدد أى النماذج أكثر تفوقًا (ليس هذا من المدهش، بما أن المحاور العاملية التى تتناسب مع *أى* موضع اعتباطى ستتناسب أيضا مع هذا النوع من البيانات وهو ما ينطبق أيضا على أى موضع آخر للمحاور العاملية) ويبدو بالتالى أن هذه النماذج البنائية لا تُعد بالفعل تفسيرات للمدى الكامل من حالات الشعور التى يخبرها الأفراد. وهناك مسائل أخرى لا تشرحها مناظير الاستثارة – الجاذبية، ولا الانفعال الإيجابى – السلبى. فهذه البحوث البنائية تشترك فى مقدمة ضمنية أن الأبعاد تحدد كيفيات مستقلة للاستجابة الانفعالية (على الرغم من أنهم غير متفقين حول طبيعة هذه الخصائص الأولية). ومن ثم فإن كل نموذج يناسب حلولاً متعامدة تتطلب بشكل ضمنى أن يكون البعدان غير مترابطين. ولكن أبلسن Abelson وزملاءه (1982) قد وجدوا، كما وجد آخرون منذ ذلك الحين، أن العلاقة بين الأبعاد "الإيجابية" و"السلبية" دينامية، تتحرك من الأكثر تعامدًا إلى الأقل تعامدًا كلما أصبح المنبه أكثر ألفة بالنسبة للمبحوث، ولا يحاول أى من النماذج البنائية تصوير هذا النمط الدينامى. إن فرض هذه الحلول العاملية

---

(١٣١) ليس من الشائع فى مثل هذه الدراسات أن تتضمن مقاييس تقرير الذات الانفعالية مثل السعادة happiness والحزن sadness فقط، مع غياب مقاييس الانفعال الإيجابى والسلبى. فمثل هذه الدراسات لا يمكنها اختبار الاحتمالات الثلاثة المذكورة آنفًا. فقد صاغ رهن (Rahn 2001)، على سبيل المثال، تصور التكافؤ المفرد " للمزاج العام public mood " مفترضًا أن " الأمزجة الإيجابية positive moods " لها تأثير واحد و" السلبية " لها الآخر. مع أن هذا المقياس يعتمد على بنود التقرير الذاتى التى تتطلب بوضوح حلاً ثنائى البعد (Marcus, Neuman,& Mackuen,2000)، لذلك، فليس من الواضح ما إذا كانت تأثيرات المزاج السلبى العام ترجع إلى الحزن أم القلق أم الغضب، أم الثلاث، أم اثنين منهما. (المؤلف)

غير المرتبطة تحجب هذه الخاصية للاستجابة الانفعالية وتمنع مزيدًا من البحث حول متى ولماذا تنشأ مثل هذه النقلات الدينامية.

البحث فى البغض Accounting for aversion

إلا أن هناك قضية أخرى تتحدى افتراض أن هذه النماذج تمدنا بأوصاف شاملة لكل أشكال الاستجابة الانفعالية. فالنموذج البنائى لا يفسر انفعالات الكراهية (مثل الاشمئزاز، والازدراء، والكره، والغضب، وهلم جرا). وغالبًا ما تظهر دراسات ردود الفعل الانفعالية تجاه المرشحين أو القضايا أومثيرات سياسية أخرى أن الأفراد يخبرون هذا النوع الثالث من الانفعال (Conover & Feldman, 1986, Marcus et al, 2000, Mikula, Scherer, & Athenstaedt,1998) وقد أظهرت الدراسات أن هذه الأشكال من البغض (الازدراء، والاشمئزاز، والكره،... الخ) مختلفة تمامًا -من حيث تأثيرها على الأفراد- عن التأثيرات السلبية الأولية الأخرى للقلق والاكتئاب (Ax, 1953, Bodenhausen, Kramer & Siiser, 1994, Mackuen, Marcus, Neuman, keele, & wolak, 2001). وعندما يتم تضمين مصطلحات المزاج هذه، وحين توجد المثيرات البغيضة، فإن بعدًا ثالثًا للاستجابات الانفعالية يكون ضروريًا لتفسير التباين فى استجابات المبحوثين (Mackuen et al, 2001, Marcus et al, 2000). وقد قدّم واطسون Watson، وكلارك Clark (1992a) جهدًا واحدًا لتضمين هذه الانفعالات فى نموذج الإيجابى – السلبى بصورة تكاملية، بينما لم يقدم العلماء المدافعون عن نموذج الاستثارة-الجاذبية أية محاولات لعمل مثل هذا التكامل. فنموذج الاستثارة الجاذبية لا ينتبه بصفة خاصة للبعد الثالث من الاستجابة الانفعالية – البغض- والخاصية الدينامية للاستجابات الانفعالية. وبالنظر للدور القوى والمتكرر للغضب والكره وما شابه فى السياسة، فإنه يبدو من غير المحتمل أن يقدم أى من هذه النماذج وعودًا للإسهام فى علم النفس السياسى.

ما الحل إذن فى هذه المعضلة؟ فإذا كانت البيانات الملائمة لن تُعَـيِّن النموذج المتفوق، فربما يكون من الأفضل الالتفات إلى محكات أكثر تعالقًـا وتحديدًا. لا تتطلب نظرية الوجدان السياسى نموذجًا للقيـاس فحـسب، بـل تتطلب نظرية جوهرية، فالنظرية الجوهرية تولد تصورات وصياغات قابلة للاختبار حول كيف ينشأ الانفعال وعن عواقبه بالنسبة للحكم والسلوك. إن البحث -المطلوب- الذى يقرر أى نماذج القياس أكثر وعدًا، وعلى أسـاس محكات جوهرية، سيكون له فائدة إضافية لتقديم استبصارات واقعية وجديدة حول كيف يؤثر الانفعال فى السلوك السياسى؟.

لذلك ما النظريات الجوهرية التى تنتظرنـا وراء هـذين النمـوذجين البنائيين؟ إن نموذج الاستثارة-الجاذبية يعد عودة إلى الفكرة القديمـة التـى تقول إن الوظيفة الأولية للانفعال هى تعيين وتحديـد ظـروف الإقـدام - الإحجام بينما يقيس بعد "الاستثارة" قوة الاستجابة. أما لمـاذا يمكـن أيـضا تطبيق مثل هذا النسق على الانفعالات المعيشة عندما تكـون الـذات هـى موضوع التقييم (كما فى الشكل ٦ - ١)؟ فإن ذلك غير مشروح جيدًا. أمـا نموذج الإيجابى - السلبى فهو إشكالى، فكما أن مصطلح "سلبى" ينطبق على إحدى المناطق (عصبى، قلق،... الخ، القسم الأيمن فى الـشكل ٦ - ١) إلا أنه يمكن أن ينطبق أيضا بالنسبة للمنطقة السفلى فى الشكل (مصطلحات مثل *بليد، عكر، وعابس*)، التى تحدد مشاعر الاكتئاب والتى هى "حالة ذاتية تبدو سلبية بالنسبة للأغلبية"[١٣٢]. وبما أنه لا يوجد نموذج قيـاس يقـدم تنبـؤات مميزة بالنسبة للتأثيرات السلوكية والمعرفية، أو يقدم تنبؤات محددة بـالنظر إلى التعبير الانفعالى؛ فإننى أعود إلى نظرية تتميز بقياس صريح وعناصـر جوهرية: نظرية الذكاء الوجـدانى (Marcus et al. 2000)، فـبخلاف نمـاذج

---

(١٣٢) وكما لاحظت مبكرًا، فإن الظهور الموسمى لمشاعر الكراهية إلى حد تعكير المياه، يجعل مصطلح "سلبى" ينطبق على ثلاثة انفعالات مختلفة تمامًا (القلق،و الاكتئاب،و الكراهيـة). للمزيـد فـى هـذا الموضوع انظر ماركوز وآخرين، ٢٠٠٠ apps.A,B. (المؤلف)

القياس الأخرى، تبدأ هذه النظرية بالتفسير البيولوجى للانفعالات وقد تطورت النظرية من خلال برنامج بحثى بدأ بواسطة جيفــرى جــراى Jeffrey Gray بشكل واسع فى دراسات الحيوان (Corr, Pickering, & Gray, 1997, Corr et al, 1995, Gray, 1970, 1973, 1981, 19856, 1987a, 19876, 1990, Pickering & Gray, 1999, Wilson, Kumar, Gray, & Corr, 2000). وقد نقلها إلى علم النفس السياسى ماركوس Marcus وزمـــلاؤه (Marcus, 1988; Marcus & Mackuen, 1993; Marcus et al, 1995, 2000) وهى توضح الرؤية الأساسية لأرسطو من حيث إن الانفعال والعقل مرتبطان داخليًا بشكل تعاونى، وأنهما مفيدان تبادليًا بالنسبة لتحدى بلوغ الحياة الكاملة[١٣٣].

لا يتسع المجال للتعرض الكامل لبحث جراى (Carver & Sheier, 1990, Carver, Sutton, & Sheier, 2000). ويكفى القول إن هناك نظامًا واحــدًا مــن وظائف الانفعال -يسميه جراى نسق التنشيط السلوكى وقد أعدنا زملائى وأنا تسميته بنسق النزوع- يعمل على إدارة السلوكيات المتعلمـــة: مـــا أســـميناه العادات والميول بكل تنوعها (Marcus et al. 2000). فكثير من العادات تخلـــو من التفكير، ويتطلب تفعيلها موارد عقلية معتبرة ليست بالضرورة محل انتباه واعٍ[١٣٤]. لذلك فإن هذا النسق متضمن بعمق فى قوة التحيـــزات المكتســبة مسبقًا، والتى غالبًا ما تُعزَى إلى "الرموز" للسيطرة على الأحكام الـــسياسية (Marcus, 1988, Sears et al, 1979, 1980)، فهذا النسق يظهر الانفعالات التـــى تقع على المدى المتصل لـــ السعادة- الحزن وتلك التى تصور البغض (مثل الازدراء والمرارة والغضب والكره).

---

(١٣٣) رؤية افترضتها أيضا النظريات السياسية النسائية والأرسطية (Bickford, 1996, 2000; Rorty, 1985, 1996; Young,1990). (المؤلف)

(١٣٤) كثير من العادات تتضمن فكرا، كحين تستثار استجابات التفكير المبتذل والدوجماطيقية بشكل مألوف لإدارة مهام متكررة (مثلما ننخرط فى مزاح مألوف مع صديق حول أى الأحزاب الـــسياسية يحتـــل المرتبة الأولى فى الجريمة،أو الاقتصاد، أو القيادة). (المؤلف)

أما وظائف النسق الثانى، نسق الكف السلوكى لجراى (أعدنا تسميته بنسق المراقبة) يعمل على تنبيهنا للظروف غير العادية و/أو المهددة. وهذا النسق يولد الانفعالات التى تتنوع على طول المدى المتصل من قلق إلى هادئ. والنسق الأول كفء لتخزين السلوكيات الناجحة استراتيجيًا فى الذاكرة الترابطية، وذلك لإعادة استخدامها عندما تكون أهدافها المحددة واضحة. وتكمن أهمية هذه الوظيفة فى أن معظم السلوكيات المكتسبة لا يتم تفعيلها بكفاءة من خلال الاعتماد على الانتباه الواعى(١٣٥). إلا أن هذه الكفاءة تصبح فى خطر عندما تُبين فى بيئات ربما لا تتميز بنفس الخصائص التى خبرناها من قبل. فمهمة هذا النسق هى المسح السريع الفورى للبيئة الحالية، مقارنًا خصائصها بما هو متوقع فيها، وذلك عند إطلاق وتفعيل الخطط الجارية. وما دامت نتائج المقارنة محببة- أنا فى تجمع يستضيفه حزبى السياسى، وكل ما يحدث متطابق مع الخبرة السابقة، الاحاديث، والناس والبالونات الحمراء، والبيضاء، والزرقاء، والرايات- يبقى هذا النسق دون تدخل، فيما عدا توليد مشاعر الدعم الهادئ. ومع ذلك، إذا كانت نتائج المقارنة تشير إلى اختلاف غير مريح فى البيئة الحالية عن توقعاتنا -ربما يقدم المرشح الجديد فى حزبى حديثًا مروعًا، غير ملائم، وأخرق- فإنه بالإضافة إلى تدخل هذا النسق مع مشاعر القلق، فإنه يدفع الأفراد إلى زيادة الاهتمام باللحظة، ويكفهم عن الاعتماد على السلوك الجارى أو العادة، ويستثير حسابات واعية، بما فيها التعلم وليس الانتباه وحسب (Marcus & Mackuen, 1993)

يعتمد كل من نسق جراى، متوازيًا مع النسق الثالث، نسق الكر/الفر (Gray & McNaughton. 2000) على تقييمات متعددة ومواكبة للخطط الجارية،

---

(١٣٥) إذا كان لديك شك فى ذلك، يمكنك بالتالى عمل التجربة التالية. خذ شيئًا " تعرف " كيف تفعله، توقيعك، ضع قلمك فى يدك غير المسيطرة، وبدون أن تكون واحدًا من الأفراد البارعين بشكل استثنائى. فإنك لن تستطيع "إجبار" هذه اليد على تكرار هذه المهارة الدقيقة التى تؤديها بشكل عادى. (المؤلف)

عن طريق التيارات الجسية والحسية الجسدية التي تحدث قبل الوعى الشعورى تمامًا. إستراتيجًا؛ يُكرِّس واحد من التقييمات للإطلاق والتفعيل المعتاد للخطط من أجل الحصول على أهداف إثابة مألوفة وتجنب عقاب مألوف (من هنا كانت انفعالات السعادة فى الحالة الأولى والبغض فى الحالة اللاحقة). فعندما تفشل العادة نشعر بالإحباط والحزن. أما التقدير الآخر، فيكرس إستراتيجًا للتحديد السريع للتغيير الجديد غير المتوقع فى بيئتنا المألوفة أو التحديات غير المتوقعة لخططنا، ومن هنا تجىء انفعالات القلق(١٣٦).

إن واحدًا من التطبيقات الواضحة لهذه النظرية هو أننا نستجيب للمألوف بشكل مختلف تمامًا عن استجابتنا لغير المألوف بالإضافة إلى أن النظرية تقدم تفسيرًا جوهريًا لثلاثة وجدانات "سلبية" مختلفة: القلق والحزن والغضب. والقلق هو المُخرَج من نسق المراقبة، فهو يحدد الظهور غير المتوقع لأحداث غير مألوفة أو مهددة. وينشأ الحزن عندما يأتى الإنهاك والفشل مع تنفيذنا لعادات نتوقع معها الإثابة. بينما ينشأ الغضب عندما تعوق تهديدات مألوفة طريقنا. يقدم هذا تفسيرًا نظريًا للنمط الدينامى بين القلق والحماس الذى نجده فى الحملات السياسية (Abelson et al, 1982). فى المراحل المبكرة للحملات يستثير المرشحون عند الناخبين القلق والحماس كليهما، بينما فى المراحل المتأخرة فهم عادة لا يستثيرون إلا وحدة من الاستجابتين: إما القلق أو الحماس. يحدث هذا النمط لأن العديد من الأشياء يكون غير مألوف فى البداية، كما هو الحال مثلاً بالنسبة لمرشحى الرئاسة فى بداية الحملة. ولكن ظهورهم المتكرر يجعل المواطنين على ألفة بأولئك المرشحين الطموحين، ويحولهم إلى موضوعات مألوفة: للأمل بالنسبة لمؤيديهم، أو للخطر بالنسبة لمعارضيهم.

---

(١٣٦) أحيل القارئ المهتم إلى بحث جراى من أجل التفاصيل البيولوجية، انظر أيضا بحث لودوكس LeDoux ودايفس Davis وبانكسب Panksepp وداميو Damasio.

ينسجم هذا التفسير مع تفسير واطسون للخبرة الانفعالية الذى ناقشناه سابقًا. بعبارة أخرى فإن تفسيرَ جراى يرى أن البعد "الايجابى" من الوجدان هو انفعال متولد من خلال نسق الاستعداد والميول وأن البعد "السلبى" هو انفعال متولد من خلال النسق السلوكى أو المراقبة. وبالتالى يكون لدينا اندماج بين التفسيرات البيولوجية والتفسيرات النفسية مع وفرة من الفروض الجوهرية لنختبرها[١٣٧]. وعلى الجانب الآخر فإن تفسير الاستثارة - الجاذبية لا يتوافق مع تفسير بيولوجى يدعمه، كما أن ما يضيفه جوهريًا على توصيفات منظور الإقدام-الإحجام ضئيل للغاية.

إن الادعاء الأساسى لنظرية جراى عن أنساق الانفعال المتعددة هو أن أنظمة الانفعال المختلفة تعمل للمساعدة فى التعلم السلوكى وكذلك التحكم فى الانتباه. وهذه الأنظمة تجعل الانتباه متنقلاً من شىء لآخر بل وتدعم أيضا القدرة على تركيز الانتباه وتجاهل التشتيت. بالإضافة إلى أن هذه الأنظمة تكف أو تقوى الاعتماد على العادات (عادات الفعل، أو عادات الفكر) حسبما تتطلب الظروف. وهكذا فإن الانفعالات تزيد من الأساليب التى يمكن أن تُعامَل بها السياسة، أحيانًا بشكل سببى، وأحيانًا مع الجدية الشديدة فى الهدف، وأحيانًا بشكل فكرى وأحيانًا بشكل متعمد، وأحيانًا مرتبطة بوجود المخلصين، وأحيانًا بالانفتاح على الاحتمالات، وأحيانًا مركزة على الاهتمام بالذات، وأحيانًا وضع الالتزامات الضيقة جانبًا والإخلاص لحاجات الغرباء. وترفع الانفعالات المتولدة من خلال نسق الميل قدرتنا على الاعتماد على عاداتنا،

---

(١٣٧) يعد بحث جون كاشيوبو (Cacioppo. Gardner. Bernston.1997; Ito, Larsen . Smith.& Cacioppo) أيضا مهمًا هنا. فقد وجد أن استجابة كل نسق انفعال لها خصائص مميزة. فالتقدير " السلبى" له منحنى استجابة أعلى. فنحن مثلا نستجيب بشكل أكثر توترًا مع زيادة سوء التفاهم، بحيث يمكنك القول إن الناس ضد - المخاطرة Risk-avers، ومن ناحية أخرى، نستجيب للمنبهات المحايدة بشكل إيجابى. " معادل إيجابى positivity offset " فنحن مثلاً نكون محبين للاستطلاع (كلا الخاصيتين تعد تصورات عامة، حيث توجد فروق فردية مهمة عبر الأفراد). (المؤلف)

متجنبين إظهار الاهتمام بالمسارات المتبادلة للفعل. ولكن الانفعالات المتولدة من خلال نسق المراقبة تدفعنا إلى الاعتماد على العقل. وبالتالى فإن الانفعال يُعد متورطًا بشكل أساسى ليس فى العادات والتحيزات وباقى حالات الاعتماد على السلوك المكتسب فحسب ولكنها تدخل أيضا فى استثارة العقل والإظهار الكامل للنشاطات المعرفية (Marcus, 2005)[١٣٨]. ومن ثم تمدنا نظرية الذكاء الوجدانى بنموذج قياس لكل من الانفعالات السلبية الثلاث الاكتئاب، والقلق، والبغض[١٣٩]. وتمدنا أيضا بنظرية أساسية فى المصادر، وفى بيولوجية هذه الانفعالات وفى أثرها على الحكم والسلوك.

كيف تختلف نظرية الذكاء الوجدانى عن كلا النموذجين البنائيين، نموذج الإثارة- الجاذبية، ونموذج الإيجابي- السلبى؟ فى تصويرها للأبعاد الاستراتيجية للاستجابة الانفعالية؛ تنحاز نظرية الذكاء الوجدانى لرؤية نموذج الإيجابى-السلبى فى بناء الانفعال، ولكن مع تعديل مهم. فعندما تظهر المنبهات المألوفة والبارزة استراتيجيًا والمرتبطة بعقاب ما، فإن نظرية الذكاء الوجدانى تفترض أن البعد الانفعالى المميز للكراهية سيكون باديًا، كما تفترض أيضا أن بعد الكراهية سوف يعمل بشكل مشابه لعمل بعد الحماس فى مواجهة المنبهات الاستراتيجية المألوفة المرتبطة بالمكافأة، بعبارة أخرى هذا الوضع محكوم بنسق الاستعدادات والميول. الأكثر أهمية هو، ماذا يقدم كل نموذج فى مسار خلق استبصارات مهمة لعلم النفس السياسى؟

---

(١٣٨) من الجدير بالاهتمام أيضا إعادة النظر فى الافتراض التقليدى المتعلق بالنظر إلى المرأة كنوع انفعالى، تضمينًا لعدم ثباتهن فى الدور السياسى والقيادى. وهذا الافتراض يتم تحديه بل حتى قلبه، وربما سنشير مستقبلاً إلى أن المرأة أكثر، وليس أضعف، ملاءمةً لهذا الدور. (المؤلف)

(١٣٩) "الاكتئاب" مصطلح أفضل من مصطلح "الحزن" بالنسبة لهذا الوجدان، كما أن الحزن ربما ينشأ من مصادر داخلية أو خارجية أخرى بينما ينتج الإكتئاب من مصادر فسيولوجية ونفسية غير ملائمة لمقابلة الفعل الجارى underway أو المتوقع. (المؤلف)

من المهم أن نكرر أن بعد الجانبية الخاص برؤية الإقـدام- الإحجـام للانفعال يُعَيِّن انفعالات مختلفة عن تلك التى يُعَيِّنها كل من نموذج الإيجابى- السلبى أو نظرية الذكاء الوجدانى. فمنظور الجانبية يُعَيِّن انفعالات "إيجابية" و"سلبية" مختلفة عن تلك التـى يُعَيِّنهـا النموذجـان الآخـران باسـتخدام المصطلحات نفسها. فمثلاً، القلق لا يُحدد كانفعال حاسم فى رؤية الاستثارة- الجاذبية لبناء الانفعال. بل إن الحاسم فـى هـذا المنظـور هـو التفـضيل والاستثارة، كما يظهر فى الانفعالات البارزة للسعادة مقابل الحزن (جاذبية) والهدوء مقابل الاندهاش والتهيج (استثارة) مما يمكن رصده فى الشكل [٦ - ٢]. أما نظرية الذكاء الوجدانى على الجانـب الآخـر فإنهـا تفتـرض أن الانفعالات البارزة هى تباينات على طول المحاور الحماسية والقلقة (المسماة "إيجابية" و"سلبية" فى الشكل [٦- ٢]). ومن المهم أنه فى هـذه البحـوث تقاس الانفعالات الخاصة بكل نموذج عندما نختبر فروضها المقابلة، وبالتالى عندما نختبر الادعاء أن المنبهات السلبية تولد تدقيقًا أكبـر، فـإن نمـوذج الاستثارة الجاذبية سوف يختبر انفعالات "سـلبية "مختلفـة عمـا سـيختبره النموذجان الآخران، بالإضافة إلى أن نظرية الذكاء الوجدانى تضع الـبغض كانفعال دال، بينما يتجاهل النموذجان الآخران هذا الانفعال بشكل جوهرى. والأكثر أهمية أن كلا النموذجين ليس لديه ما يقوله فيما يتعلق بمتى ولمـاذا يكون الأفراد مدفوعين للتعلم؟، أو متى ولماذا من المحتمل أن يهجر الأفراد العادات من أجل خطط جديدة للفعل أو الاعتقاد؟ أو متى يكون من الأرجـح أن يتمسكوا بقوة باعتقاداتهم وأفعالهم الراسخة؟. إن التوصل إلى أية نظريـة أكثر إنتاجية يتطلب جهدًا بحثيًا يختبر الادعاءات المتنافسة لهذه التفـسيرات الثلاثة.

خلاصة

إن الحقيقة الأولية فى هذا الفصل هى لزوم وجود تغييرين كبيرين فى أسلوب البحث الجارى عن دور الانفعال فى الحكم والسلوك السياسى. أولاً، الوضوح المفهومى فى النماذج النظرية المتعددة يعد إلزاميًا؛ فبدون مثل هذا الوضوح لا يمكننا أن نعرف متى سيمكننا عقد المقارنة المناسبة بين الادعاءات المتنافسة. ثانيًا، إننا بحاجة لأن نجمع مجموعات كبيرة من البيانات عن الاستجابات الانفعالية تمكننا من التمييز بين العوامل المفترضة وبما يسمح باختبار النظريات المتنافسة اختبارًا حقيقيًا. فبهذه الطريقة وحدها يستطيع علم النفس السياسى أن يوضح الطرق التى يؤثر بها الانفعال على التعلم، والإقناع، والانتباه والفعل توضيحًا تامًا.

ومن المفيد أن نشير إلى أن مثل هذا البحث أو الأبحاث الأخرى المعتمدة على الفحص البيولوجى ستمكننا من إضافة برهان جديد للقضايا القديمة المتعلقة بقدرات كل من العقل والانفعال وما الأدوار التى يدعمها كل من الإمكانين، فرديًا وجمعيا. لقد قبل علم النفس السياسى كثيرًا وبشكل طائش التصور العتيق المتعلق بالقوتين المطلقتين المتقابلتين: العقل (المسماة حديثًا: "المعرفة") والانفعال (المسمى حديثًا: "الوجدان")، كما أنه قبل أيضا، فى الأساس، الخصائص المفترضة لكل ما كان متصورًا أولاً فى المدارس الهلينية فى الفلسفة وبالتالى فإن الإلزام المعيارى الخاص بتقوية العقل وبالضرورة إضعاف الانفعال أو السيطرة عليه قد تم تبنيه أيضا. وأعتقد أن الإسهام الأكبر لعلم الأعصاب فى دراسة الانفعال هو أنه يوفر مناظير جديدة تقدم طريقًا للخروج من المعضلة التى وضعها القدماء ولاقت قبولاً واسعًا منذ ذلك الحين: إن البشر انفعاليون، فقط لأن الانفعال مدمر جدًا للعقل وإن قدرتنا على تنظيم أنفسنا فرديًا وجمعيًا مشكوك فيها. وأنا آمل أن يثبت البحث

المستمر عكس ما تبيناه طويلاً: إن الانفعال يزيد من قدرة عقلنا بالإضافة إلى أن العقل يحتاج إلى الانفعال، ليس فقط لإنعاش قدراته ولكن أيضا لتفعيل استنتاجاته.

ملاحظة

لقد قدم يوجين بورجيدا Eugene Borgida وليونى هودى Leonie Huddy مقترحات مفيدة للغاية أثناء عمل المسودات المختلفة لهذا الفصل. وأريد أن أتوجه بالشكر أيضا فى درس علم النفس السياسى الخاص بى، إلى كل من إليزابس شيس Elizabeth Chase، وهيثر فوران Heather Foran، ونيك هيزا Nick Hiza، الذين قدموا اقتراحات ممتازة للتوضيح.

23. And, as I noted earlier, the occasional appearance of feelings of aversion further muddies the waters, making the term "negative" apply to three quite different emotional states (anxiety, depression, and aversion). For more on this see Marcus et al., 2000, apps. A, B.

24. A view also argued by feminist and Aristotelian political theorists (Bickford, 1996, 2000; Rorty, 1985, 1996; Young, 1990).

25. Many habits do have elements of thought, as when dogmatic and cliched responses are familiarly elicited to manage recurring tasks (e.g., when engaged in familiar banter with a friend over which political party has a better record on crime, the economy, or leadership).

26. If you doubt this then you can attempt the following experiment. Take something you "know" how to do, writing your signature. Put the pen or pencil in your nondominant hand, and unless you are one of the rare ambidextrous individuals, you will find that you cannot consciously "will" that hand to replicate the deft skill you normally display.

27. I refer the interested reader to the work of Gray for the biological details. See also the work of LeDoux, Davis, Panksepp, and Damasio.

28. The work of John Cacioppo (Cacioppo, Gardner, & Berntson, 1997; Ito, Larsen, Smith, & Cacioppo, 1998) is important here as well. He finds that the response of each emotion system has distinguishing characteristics. The "negative" appraisal has a steeper response curve, i.e., we respond more intensely with increasing mismatch, which is to say people are generally risk-averse. On the other hand, we respond to neutral stimuli positively, a "positivity offset", i.e., we are curious (both features are general depictions, there being important individual differences across subjects).

29. It is also worth reconsidering the traditional assignment of women as the more emotional gender, implying their unsuitability for politics and leadership role, now challenged and even reversed. We might well conclude that women are better, not ill, suited for these roles.

30. *Depression* is a better term for this affect than *sadness*, as sadness may arise from either internal or external sources while depression results from inadequate psychic and physical resources to meet the demands of the action that is underway or contemplated.

References

Abele, A., & Petzold, P. (1994). How does mood operate in an impression formation task? An information integration approach. *European Journal of Social Psychology, 24,* 173–187.

Abelson, R. P., Kinder, D. R., Peters, M. D., & Fiske, S. T. (1982). Affective and semantic components in political personal perception. *Journal of Personality and Social Psychology, 42,* 619–630.

Adolphs, R., Damasio, H., Tranel, D., & Damasio, A. R. (1996). Cortical systems for the recognition of emotion in facial expressions. *Journal of Neuroscience, 16,* 7678–7687.

Adolphs, R., Tranel, D., & Damasio, A. R. (1998). The human amygdala in social judgment. *Nature, 393,* 470–474.

Adolphs, R., Tranel, D., Damasio, H., & Damasio, A. (1994). Impaired recognition of emotion and facial expressions following bilateral damage to the human amygdala. *Nature, 372,* 669–672.

Adolphs, R., Tranel, D., Damasio, H., & Damasio, A. R. (1995). Fear and the human amygdala. *Journal of Neuroscience, 15,* 5879–5891.
Almagor, M., & Ben-Porath, Y. S. (1989). The two-factor model of self-reported mood: A cross-cultural replication. *Journal of Personality Assessment, 53,* 10–21.
Aristotle. (1954). *Rhetoric* (W. R. Roberts, Trans.). New York: Modern Library.
Arkes, H. (1993). Can emotion supply the place of reason? In G. E. Marcus & R. L. Hanson (Eds.), *Reconsidering the democratic public* (pp. 287–305). University Park: Pennsylvania State University Press.
Armony, J. L., & LeDoux, J. E. (1997). How the brain processes emotional information. *Annals of the New York Academy of Sciences, 821,* 259–270.
Ax, A. (1953). The physiological differentiation between fear and anger in humans. *Psychosomatic Medicine, 15,* 433–422.
Baron, J. (1994). *Thinking and deciding* (2nd ed.). New York: Cambridge University Press.
Barrett, L. F., & Russell, J. A. (1998). Independence and bipolarity in the structure of current affect. *Journal of Personality and Social Psychology, 74,* 967–984.
Bechara, A., Damasio, H., Tranel, D., & Damasio,
A. R. (1997). Deciding advantageously before knowing the advantageous strategy. *Science, 175,* 1293–1295.
Bechara, A., Tranel, D., Damasio, H., Adolphs, R., Rockland, C., & Damasio, A. R. (1995). Double dissociation of conditioning and declarative knowledge relative to the amygdala and hippocampus in humans. *Science, 269,* 1115–1118.
Ben-Ze'ev, Aaron. *The subtlety of emotions.* Cambridge, Mass.: MIT Press, 2000.
Bickford, S. (1996). *The dissonance of democracy: listening, conflict, and citizenship.* Ithaca, NY: Cornell University Press.
Bickford, S. (2000, April). *Cultivating citizens: Political perception and the practice of emotion talk.* Paper presented at the annual meeting of the Midwest Political Science Association, Chicago.
Bless, H., Clore, G. L., Schwarz, N., Golisano, V., Rabe, C., & Wölk, M. (1996). Mood and the use of scripts: Does happy mood really lead to mindlessness? *Journal of Personality and Social Psychology, 71,* 665–679.
Bless, H., & Fiedler, K. (1995). Affective states and the influence of activated general knowledge. *Personality and Social Psychology Bulletin, 21,* 766–778.
Bodenhausen, G. V., Kramer, G. P., & Süsser, K. (1994). Happiness and stereotypic thinking in social judgment. *Journal of Personality and Social Psychology, 66,* 621–632.
Bodenhausen, G. V., Sheppard, L. A., & Kramer, G. P. (1994). Negative affect and social judgment: The differential impact of anger and sadness. *European Journal of Social Psychology, 24,* 45–62.
Borod, J. C. (2000). *The neuropsychology of emotion.* New York: Oxford University Press.
Bradley, M. M. (2000). Motivation and emotion. In J. T. Cacioppo, L. G. Tassinary & G. G. Berntson (Eds.), *Handbook of psychophysiology* (pp. 602–642). New York: Cambridge University Press.
Bradley, M. M., Greenwald, M. K., Petry, M. C., & Lang, P. J. (1992). Remembering pictures: Pleasure and arousal in memory. *Journal of Experimental Psychology: Learning, Memory and Cognition, 18,* 379–390.
Breckler, S. J. (1984). Empirical validation of affect, behavior, and cognition as dis-

tinct components of attitude. *Journal of Personality and Social Psychology, 47,* 1191–1205.

Burke, E. (1973). *Reflections on the revolution in France.* Garden City, NY: Anchor Books.

Cacioppo, J. T., Berntson, G. G., & Crites, Stephen L. (1996). Social neuroscience: Principles of psychophysiological arousal and response. In T. E. Higgins & A. W. Kruglanski (Eds.), *Social psychology: Handbook of basic principles* (pp. 72–101). New York: Guilford Press.

Cacioppo, J. T., & Gardner, W. L. (1999). Emotion. *Annual Review of Psychology, 50,* 191–214.

Cacioppo, J. T., Gardner, W. L., & Berntson, G. G. (1997). Beyond bipolar conceptualizations and measures: The case of attitudes and evaluative space. *Personality and Social Psychology Review, 1,* 3–25.

Cacioppo, J. T., Gardner, W. L., & Berntson, G. G. (1999). The affect system has parallel and integrative processing components: Form follows function. *Journal of Personality and Social Psychology, 76,* 839–855.

Carver, C. S., & Scheier, M. F. (1990). Origins and functions of positive and negative affect: A control-process view. *Psychological Review, 97,* 19–35.

Carver, C. S., Sutton, S. K., & Scheier, M. F. (2000). Action, emotion, and personality: Emerging conceptual integration. *Personality and Social Psychology Bulletin, 26,* 741–751.

Chaiken, S., & Trope, Y. (Eds.). (1999). *Dual process models in social psychology.* New York: Guilford Press.

Clark, L. A., & Watson, D. (1988). Mood and the mundane: Relations between daily life events and self-reported mood. *Journal of Personality and Social Psychology, 52,* 296–308.

Clore, G. L., Schwarz, N., & Conway, M. (1994). Affective causes and consequences of social information processing. In R. S. Wyer, Jr. & T. K. Srull (Eds.), *Handbook of social cognition* (2nd ed., vol. 1, pp. 323–417). Hillsdale, NJ: Erlbaum.

Conover, P., & Feldman, S. (1986). Emotional reactions to the economy: I'm mad as Hell and I'm not going to take it any more. *American Journal of Political Science, 30,* 30–78.

Cornelius, R. R. (1996). *The science of emotion: Research and tradition in the psychology of emotions.* Upper Saddle River, NJ: Prentice-Hall.

Corr, P. J., Pickering, A. D., & Gray, J. A. (1997). Personality, punishment, and procedural learning: A test of J. A. Gray's anxiety theory. *Journal of Personality and Social Psychology, 73,* 337–344.

Corr, P. J., Wilson, G. D., Fotiadou, M., Kumari, V., Gray, N. S., Checkley, S., Gray, J. A. (1995). Personality and affective modulation of the startle reflex. *Personality and Individual Differences, 19,* 543–553.

Crites, S. L., Fabrigar, L. R., & Petty, R. E. (1994). Measuring the affective and cognitive properties of attitudes: Conceptual and methodological issues. *Personality and Social Psychology Bulletin, 20,* 619–634.

Cuthbert, B. N., Bradley, M. B., & Lang, P. J. (1996). Probing picture perception: Activation and emotion. *Psychophysiology, 33,* 103–111.

Damasio, A. (1994). *Descartes' error: Emotion, reason and the human brain.* New York: Putnam's.

Damasio, A. (1999). *The feeling of what happens: Body and emotion in the making of consciousness.* New York: Harcourt Brace.

Darwin, C. (1998). *The expression of the emotions in man and animals* (3rd ed.). New York: Oxford University Press.

Davidson, R. J. (2000). Affective style, psychopathology, and resilience, brain mechanisms and plasticity. *American Psychologist, 55,* 1196–1214.

Davidson, R. J., Jackson, D. C., & Kalin, N. H. (2000). Emotion, plasticity, context, and regulation: Perspectives from affective neuroscience. *Psychological Bulletin, 126,* 890–909.

Davies, A. F. (1980). *Skills, outlooks and passions: A psychoanalytic contribution to the study of politics.* Cambridge: Cambridge University Press.

Davis, M. (1992). The role of the amygdala in fear and anxiety. *Annual Review of Neuroscience, 15,* 353–375.

Davis, M. (1997). Neurobiology of fear and anxiety. *Annals of the New York Academy of Sciences, 821,* 221–235.

Descartes, R. (1989). *The passions of the soul* (S. H. Voss, Trans.). Indianapolis: Hackett.

Ekman, P. (Ed.). (1982). *Emotion in the human face* (2nd ed.). Cambridge: Cambridge University Press.

Ekman, P. (1984). Expression and the nature of emotion. In P. Ekman & K. Scherer (Eds.), *Approaches to emotion* (pp. 319–343). Hillsdale, NJ: Erlbaum.

Ekman, P. (1992). An argument for basic emotions. *Cognition and Emotion, 6,* 169–200.

Ekman, P., & Davidson, R. J. (Eds.). (1994). *The nature of emotion.* New York: Oxford University Press.

Ekman, P., & Friesen, W. V. (1982). Felt, false, and miserable smiles. *Journal of Personality and Social Psychology, 39,* 1124–1134.

Ekman, P., & Oster, H. (1979). Facial expression of emotion. *Annual Review of Psychology, 30,* 527–554.

Ekman, P., & Rosenberg, E. (Eds.). (1997). *What the face reveals: Basic and applied studies of spontaneous expression using the facial action coding systems (FACS).* New York: Oxford University Press.

Ellsworth, P. (1991). Some implications of cognitive appraisal theories of emotion. In K. T. Strongman (Ed.), *International Review on Studies of Emotion* (pp. 143–161). Cambridge: Cambridge University Press.

Erdley, C. A., & D'Agostino, P. R. (1988). Cognitive and affective components of automatic priming effects. *Journal of Personality and Social Psychology, 54,* 741–747.

Etcoff, N. L. (1986). The neuropsychology of emotional expression. In G. Goldstein & R. E. Tarter (Eds.), *Advances in clinical neuropsychology* (Vol. 3). New York: Plenum.

Fabrigar, L. R., & Petty, R. E. (1999). The role of affective and cognitive bases of attitudes in susceptibility to affectively and cognitively based persuasion. *Personality and Social Psychology Bulletin, 25,* 363–381.

Feldman, L. A. (1995). Valence focus and arousal focus: Individual differences in the structure of affective experience. *Journal of Personality and Social Psychology, 69,* 153–166.

Forgas, J. P. (1994). The role of emotion in social judgments. *European Journal of Social Psychology, 24,* 1–24.

Forgas, J. P. (1995). Mood and judgment: The affect infusion model (AIM). *Psychological Bulletin, 117,* 39–66.

Forgas, J. P., Burnham, D. K., & Trimboli, C. (1988). Mood, memory, and social judgments in children. *Journal of Personality and Social Psychology, 54,* 687–703.

Freud, S. (1961). *Civilization and its discontents* (J. Strachey, Trans.). New York: Norton.

Freud, S. (1962). *Totem and taboo: Some points of agreement between the mental lives of savages and neurotics.* New York: Norton.

Frijda, N. H., Kuipers, P., & Schure, E. T. (1989). Relations among emotion, appraisal, and emotional action readiness. *Journal of Personality and Social Psychology, 57,* 212–228.

George, A. L., & George, J. L. (1998). *Presidential personality and performance.* Boulder, CO: Westview.

George, M. S., Ketter, T. A., Gill, D. S., Haxby, J. V., Ungerleider, L. G., Herscovitch, P., Post, R. M. (1993). Brain regions involved in recognizing facial emotion or identity: An Oxygen-15 PET Study. *Journal of Neuropsychiatric Clinical Neuroscience, 5,* 384–394.

Goleman, D. (1995). *Emotional intelligence: Why it can matter more than IQ.* New York: Bantam Books.

Gray, J. A. (1970). The psychophysiological basis of introversion-extroversion. *Behaviour Research and Therapy, 8,* 249–266.

Gray, J. A. (1973). Causal theories of personality and how to test them. In J. R. Joyce (Ed.), *Multivariate analysis and psychological theory* (pp. 409–463). New York.: Academic Press.

Gray, J. A. (1981). The psychophysiology of anxiety. In R. Lynn (Ed.), *Dimensions of personality: Papers in honour of H. J. Eysenck* (pp. 233–252). New York: Pergamon Press.

Gray, J. A. (1985a). The neuropsychology of anxiety. In C. D. Spielberger (Ed.), *Stress and anxiety* (Vol. 10, pp. 201–227). Washington, DC: Hemisphere.

Gray, J. A. (1985b). A whole and its parts: Behaviour, the brain, cognition, and emotion. *Bulletin of the British Psychological Society, 38,* 99–112.

Gray, J. A. (1987a). The neuropsychology of emotion and personality. In S. M. Stahl, S. D. Iversen & E. C. Goodman (Eds.), *Cognitive neurochemistry* (pp. 171–190). Oxford: Oxford University Press.

Gray, J. A. (1987b). *The psychology of fear and stress* (2nd ed.). Cambridge: Cambridge University Press.

Gray, J. A. (1990). Brain systems that mediate both emotion and cognition. *Cognition and Emotion, 4,* 269–288.

Gray, J. A., & McNaughton, N. (2000). *The neuropsychology of anxiety: An enquiry into the functions of the septo-hippocampal system* (2nd ed.). New York: Oxford University Press.

Green, D. P., Goldman, S. L., & Salovey, P. (1993). Measurement error masks bipolarity in affect ratings. *Journal of Personality and Social Psychology, 64,* 1029–1041.

Green, D. P., & Salovey, P. (1999). In what sense are positive and negative affect independent? *Psychological Science, 10,* 304–306.

Green, D. P., Salovey, P., & Truax, K. M. (1999). Static, dynamic, and causative bipolarity of affect. *Journal of Personality and Social Psychology, 76,* 856–867.

Greene, J. D., Sommerville, R. B., Nystrom, L. E., Darley, J. M., & Cohen, J. D. (2001). An fMRI investigation of emotional engagement in moral judgment. *Science, 293*(5537), 2105–2108.

Greene, S. (1998, April). Affective and cognitive components of partisanship: A new approach. Paper presented to the annual meeting of the Midwest Political Science Association, Chicago.

Hatfield, E., Cacioppo, J. T., & Rapson, R. L. (1994). *Emotional contagion*. Cambridge: Cambridge University Press.

Hirschman, A. O. (1977). *The passions and the interests: Political arguments for capitalism before its triumph*. Princeton: Princeton University Press.

Hobbes, T. (1968). *Leviathan*. London: Penguin Books.

Hume, D. (1975). *Enquiries concerning human understanding and concerning the principles of morals* (3rd ed.). Oxford: Clarendon Press.

Hume, D. (1984). *A treatise of human nature*. London: Penguin Books.

Ingram, R. E. (1989). Affective confounds in social-cognitive research. *Journal of Personality and Social Psychology, 57*, 715–722.

Isen, A. M. (1993). Positive affect and decision making. In M. Lewis & J. E. Haviland (Eds.), *Handbook of emotions* (pp. 261–277). New York: Guilford Press.

Ito, T. A., Cacioppo, J. T., & Lang, P. J. (1998). Eliciting affect using the international affective picture system: Trajectories through evaluative space. *Personality and Social Psychology Bulletin, 24*, 855–879.

Ito, T. A., Larsen, J. T., Smith, N. K., & Cacioppo, J. T. (1998). Negative information weighs more heavily on the brain: The negativity bias in evaluative categorizations. *Journal of Personality and Social Psychology, 75*, 887–900.

Janis, I. L. (1982). *Groupthink* (2nd ed.). Boston: Houghton Mifflin.

Janis, I. L., & Mann, L. (1977). *Decision making*. New York: Free Press.

Jeannerod, M. (1997). *The cognitive neuroscience of action*. Cambridge, MA: Blackwell.

Johnson, E. J., & Tversky, A. (1983). Affect, generalization, and the perception of risk. *Journal of Personality and Social Psychology, 45*, 20–31.

Kahneman, D., Slovic, P., & Tversky, A. (1982). *Judgment under uncertainty: Heuristics and biases*. Cambridge: Cambridge University Press.

Kern, M. (1989). *30-second politics: Political advertising in the eighties*. New York: Westport.

Kinder, D. R. (1994). Reason and emotion in American political life. In R. Schank & E. Langer (Eds.), *Beliefs, reasoning, and decision-making: Psycho-logic in honor of Bob Abelson* (pp. 277–314). Hillsdale, NJ: Erlbaum.

Kinder, D. R., Abelson, R. P., & Fiske, S. T. (1979). *Developmental research on candidate instrumentation: Results and recommendations*. Technical Report submitted to the Board of Overseers, National Election Studies, Ann Arbor, MI.

Kornhauser, W. (1959). *The politics of mass society*. Glencoe, IL: Free Press.

Koziak, B. (2000). *Retrieving political emotion: Thumos, Aristotle, and gender*. University Park: Pennsylvania State University Press.

Kuklinski, J. H., Riggle, E., Ottati, V., Schwarz, N., & Wyer, R. S., Jr. (1991). The cognitive and affective bases of political tolerance judgments. *American Journal of Political Science, 35*, 1–27.

Kunst-Wilson, W. R., & Zajonc, R. B. (1980). Affect discrimination of stimuli cannot be recognized. *Science, 207*, 557–558.

Lane, R. D., Nadel, L., & Ahern, G. (2000). *Cognitive neuroscience of emotion*. New York: Oxford University Press.

Lang, A. (Ed.). (1994). *Measuring psychological responses to media*. Hillsdale, NJ: Lawrence Erlbaum.

Lang, P. J., Greenwald, M. K., Bradley, M. M., & Hamm, A. O. (1993). Looking at pictures: Affective, facial, visceral and behavioral reactions. *Psychophysiology, 30,* 261–273.

Larsen, R. J., & Diener, E. (1992). Promises and problems with the circumplex model of emotion. In M. S. Clark (Ed.), *Emotion* (pp. 25–59). Newbury Park, CA: Sage.

Lau, R. R., & Sears, D. O. (1986). An introduction to political cognition. In R. R. Lau & D. O. Sears (Eds.), *Political cognition* (pp. 3–8). Hillsdale, NJ: Erlbaum.

Lazarus, R. (1982). Thoughts on the relations of emotion and cognition. *American Psychologist, 37,* 1019–1024.

Lazarus, R. (1984). On the primacy of cognition. *American Psychologist, 39,* 124–129.

LeDoux, J. E. (1991). Emotion and the limbic system concept. *Concepts in Neuroscience, 2,* 169–199.

LeDoux, J. E. (1992). Brain mechanisms of emotion and emotional learning. *Current Opinion in Neurobiology, 2,* 191–198.

LeDoux, J. E. (1993b). Emotional networks in the brain. In M. Lewis & J. M. Haviland (Eds.), *Handbook of emotions* (pp. 109–118). New York: Guilford Press.

LeDoux, J. E. (1993a). Emotional memory systems in the brain. *Behavioural Brain Research, 58,* 68–79.

LeDoux, J. E. (1995). Emotion: Clues from the brain. *Annual Review of Psychology, 46,* 209–235.

LeDoux, J. E. (1996). *The emotional brain: The mysterious underpinnings of emotional life.* New York: Simon and Schuster.

LeDoux, J. E., Romanski, L., & Xagoraris, A. (1989). Indelibility of subcortical emotional memories. *Journal of Cognitive Neuroscience, 1,* 238–243.

Leighton, S. R. (1996). Aristotle and the emotions. In A. O. Rorty (Ed.), *Aristotle's Rhetoric* (pp. 206–237). Berkeley, CA: University of California Press.

Libet, B. (1985). Unconscious cerebral initiative and the role of conscious will in voluntary action. *Behavioral and Brain Sciences, 8,* 529–566.

Libet, B., Gleason, C. A., Wright, E. W., & Pearl, D. K. (1983). Time of conscious intention to act in relation to onset of cerebral activity (readiness-potential). *Brain, 106,* 623–642.

Libet, B., Pearl, D. K., Morledge, D., Gleason, C. A., Morledge, Y., & Barbaro, N. (1991). Control of the transition from sensory detection to sensory awareness in man by the duration of a thalamic stimulus. *Brain, 114,* 1731–1757.

Libet, B., Wright, J., Elwood W., Feinstein, B., & Pearl, D. K. (1979). Subjective referral of the timing for a conscious sensory experience. *Brain, 102,* 1597–1600.

Locke, J. (1993). *Two treatises of government.* London: Everyman.

Lodge, M. G., McGraw, K. M., & Stroh, P. (1989). An impression-driven model of candidate evaluation. *American Political Science Review, 83,* 399–420.

Loewenstein, G. F., Weber, E. U., Hsee, C. K., & Welch, N. (2001). Risk as feelings. *Psychological Bulletin, 127,* 267–286.

Lutz, C. (1988). *Unnatural emotions: Everyday sentiments on a Micronesian atoll and their challenge to Western theory.* Chicago: University of Chicago Press.

MacKuen, M., Marcus, G. E., Neuman, W. R., Keele, L., & Wolak, J. (2001, August). *Emotions, information, and political cooperation.* Paper presented to the annual meeting of the American Political Science Association, San Francisco.

MacKuen, M., Neuman, W. R., & Marcus, G. E. (2000, August). *Affective intelli-*

gence, voting, and matters of public policy. Paper presented to the annual meeting of the American Political Science Association, Washington, DC.
MacLean, P. D. (1990). *The Triune brain in evolution.* New York: Plenum Press.
Madison, J., Hamilton, A., & Jay, J. (1961). *The Federalist papers.* Cleveland: World.
Marcus, G. E. (1988). The structure of emotional response: 1984 Presidential candidates. *American Political Science Review, 82,* 735–761.
Marcus, G. E. (1991). Emotions and politics: Hot cognitions and the rediscovery of passion. *Social Science Information, 30,* 195–232.
Marcus, G. E. (2000). Emotions in politics. In N. W. Polsby (Ed.), *Annual Review in Political Science* (Vol. 3, pp. 221–250). Palo Alto, CA: Annual Reviews.
Marcus, G. E. (2002). *The sentimental citizen: Emotion in democratic politics.* University Park: Pennsylvania State University Press.
Marcus, G. E., & MacKuen, M. (1993). Anxiety, enthusiasm and the vote: The emotional underpinnings of learning and involvement during presidential campaigns. *American Political Science Review, 87,* 688–701.
Marcus, G. E., Neuman, W. R., & MacKuen, M. B. (2000). *Affective intelligence and political judgment.* Chicago: University of Chicago Press.
Marcus, G. E., & Rahn, W. (1990). Emotions and democratic politics. In S. Long (Ed.), *Research in micropolitics* (pp. 29–57). Greenwich, CT: JAI. Press.
Marcus, G. E., Sullivan, J. L., Theiss-Morse, E., Flathman, M., & Healy, S. (1990, April). *Political tolerance and threat: Affective and cognitive influences.* Paper presented to the Annual Meetings of the Midwest Political Science Association, Chicago.
Marcus, G. E., Sullivan, J. L., Theiss-Morse, E., & Wood, S. (1995). *With malice toward some: How people make civil liberties judgments.* New York: Cambridge University Press.
Marcus, G. E., Wood, S. L., & Theiss-Morse, E. (1998). Linking neuroscience to political intolerance and political judgment. *Politics and the Life Science, 17,* 165–178.
Masters, R. D. (1991). Individual and cultural differences in response to leaders' nonverbal displays. *Journal of Social Issues, 47,* 151–165.
Masters, R. D., Frey, S., & Bente, G. (1991). Dominance & attention: Images of leaders in German, French, and American TV news. *Polity, 23,* 373–394.
Masters, R. D., & Sullivan, D. G. (1989). Facial displays and political leadership in France. *Behavioral Processes, 19,* 1–30.
Masters, R. D., & Sullivan, D. (1993). Nonverbal behavior and leadership: Emotion and cognition in political attitudes. In S. Iyengar & W. McGuire (Eds.), *Explorations in political psychology.* Durham, NC: Duke University Press.
Masters, R. D., & Way, B. (1996). Experimental methods and attitudes toward leaders: Nonverbal displays, emotion, and cognition. In S. Peterson & A. Somit (Eds.), *Research in biopolitics* (Vol. 4, pp. 61–98). Greenwich, CT: JAI Press.
Mauro, R., Sato, K., & Tucker, J. (1992). The role of appraisal in human emotions: A cross-cultural study. *Journal of Personality and Social Psychology, 62,* 301–317.
Mayer, J. D., & Gaschke, Y. N. (1988). The experience and meta-experience of mood. *Journal of Personality and Social Psychology, 55,* 102–111.
Mayer, J. D., Gaschke, Y., Braverman, D., & Evans, T. (1992). Mood congruent judgment is a general effect. *Journal of Personality and Social Psychology, 63,* 119–132.

McCrae, R. R., & Costa, P. T., Jr. (1989). The structure of interpersonal traits: Wiggin's circumplex and the five-factor model. *Journal of Personality and Social Psychology, 56*, 586–595.
McHugo, G. J., Lanzetta, J. T., Sullivan, D. G., Masters, R. D., & Englis, B. (1985). Emotional reactions to expressive displays of a political leader. *Journal of Personality and Social Psychology, 49*, 1512–1529.
Meyer, G. J., & Shack, J. R. (1989). Structural convergence of mood and personality: Evidence for old and new directions. *Journal of Personality and Social Psychology, 57*, 691–706.
Mikula, G., Scherer, K. R., & Athenstaedt, U. (1998). The role of injustice in the elicitation of differential emotional reactions. *Personality and Social Psychology Bulletin, 24*, 769–783.
Millar, M. G., & Tesser, A. (1986). Effects of affective and cognitive focus on the attitude-behavior relation. *Journal of Personality and Social Psychology, 51*, 270–276.
Mischel, W., & Shoda, Y. (1995). A cognitive-affective system theory of personality: Reconceptualizing situations, dispositions, dynamics, and invariance in personality structure. *Psychological Review, 102*, 246–268.
Mishkin, M., & Appenzeller, T. (1987). The anatomy of memory. *Scientific American, 256*, 80–89.
Montagu, J. (1994). *The expression of the passions: The origin and influence of Charles Le Brun's conference Sur L'Expression Generale Et Particuliere*. New Haven: Yale University Press.
Moreland, R. L., & Zajonc, R. B. (1979). Exposure effects may not depend on stimulus recognition. *Journal of Personality and Social Psychology, 37*, 1085–1089.
Nisbett, R., & Ross, L. (1982). *Human inference: Strategies and shortcomings of social judgment*. Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall.
Nørretranders, T. (1998). *The user illusion* (J. Sydenham, Trans.). New York: Viking.
Nussbaum, M. C. (1994). *The therapy of desire: Theory and practice in Hellenistic ethics*. Princeton: Princeton University Press.
Nussbaum, M. C. (1996). Aristotle on emotions and rational persuasion. In A. O. Rorty (Ed.), *Aristotle's Rhetoric* (pp. 303–323). Berkeley: University of California Press.
Nussbaum, M. C. (2001). *Upheavals of thought: The intelligence of emotions*. Cambridge: Cambridge University Press.
Okin, S. (1989). Reason and feelings in thinking about justice. *Ethics, 99*, 229–249.
Ortony, A., Clore, G. L., & Collins, A. (1989). *The cognitive structure of emotions*. New York: Cambridge University Press.
Osgood, C. E., Suci, G. J., & Tannenbaum, P. H. (1957). *The measurement of meaning*. Urbana: University of Illinois Press.
Ottati, V. C. (1988, August). The cognitive and affective determinants of political judgments. Paper presented to the *American Political Science Association Annual Meeting*. Washington, DC.
Ottati, V. C., & Isbell, L. M. (1996). Effects of mood during exposure to target information on subsequently reported judgments: An on-line model of misattribution and correction. *Journal of Personality and Social Psychology, 71*, 39–53.
Ottati, V. C., Riggle, E. J., Wyer, R. S., Jr., Schwarz, N., & Kuklinski, J. (1989). Cognitive and affective bases of opinion survey responses. *Journal of Personality and Social Psychology, 57*, 404–415.

Ottati, V. C., Steenbergen, M. R., & Riggle, E. (1992). The cognitive and affective components of political attitudes: Measuring the determinants of candidate evaluations. *Political Behavior, 14*, 423–442.

Ottati, V. C., & Wyer, R. S., Jr. (1993). Affect and political judgment. In S. Iyengar & W. McGuire (Eds.), *Explorations in political judgment* (pp. 296–320). Durham, NC: Duke University Press.

Panksepp, J. (1991). Affective neuroscience: A conceptual framework for the neurobiological study of emotions. In K. T. Strongman (Ed.), *International review of studies on emotion* (Vol. 1, pp. 59–99). New York: Wiley.

Parkinson, B. (1997). Untangling the appraisal-emotion connection. *Personality and Social Psychology Review, 1*, 62–79.

Parkinson, B., & Manstead, A. S. R. (1992). Appraisal as a cause of emotion. In M. S. Clark (Ed.), *Emotion* (pp. 122–149). Newbury Park, CA: Sage.

Petty, R. E., & Cacioppo, J. T. (1986). *Communication and persuasion: Central and peripheral routes to attitude change*. New York: Springer-Verlag.

Petty, R. E., Gleicher, F., & Baker, S. M. (1991). Multiple roles for affect in persuasion. In J. P. Forgas (Ed.), *Emotion and social judgments* (pp. 181–199). Oxford: Pergamon Press.

Pickering, A. D., & Gray, J. A. (1999). The neuroscience of personality. In L. A. Pervin & O. P. John (Eds.), *Handbook of personality: Theory and research* (2nd ed., pp. 277–299). New York: Guilford Press.

Plato. (1974). *The republic* (D. Lee, Trans). (2nd ed.). New York: Penquin.

Plutchik, R. (1980a). *Emotion: A psychoevolutionary synthesis*. New York: Harper and Row.

Plutchik, R. (1980b). A general psychoevolutionary theory of emotion. In R. Plutchik & H. Kellerman (Eds.), *Emotion: Theory, research and experience: Theories of emotion* (Vol. 1, pp. 3–34). San Diego, CA: Academic Press.

Plutchik, R., & Kellerman, H. (Eds.). (1989). *Emotion theory, research, and experience: The measurement of emotions* (Vol. 4). San Diego, CA: Academic Press.

Post, J. M. (1993). Current concepts of the narcissistic personality: Implications for political psychology. *Political Psychology, 14*, 99–121.

Rahn, W. (2001). Affect as information: The role of public mood in political reasoning. In A. Lupia, M. McCubbins, & S. Popkin (Eds.), *Elements of reason: Cognition, choice, and the bounds of rationality* (pp. 130–150). New York: Cambridge University Press.

Rawls, J. (1971). *A theory of justice*. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Remington, N. A., Fabrigrar, L. R., & Visser, P. S. (2000). Reexamining the circumplex model of affect. *Journal of Social Psychology, 79*, 286–300.

Renshon, S. A. (1998). *The psychological assessment of presidential candidates*. New York: Routledge.

Rogow, A. A. (1963). *James Forrestal, a study of personality, politics, and policy*. New York: Macmillan.

Rolls, E. T. (1999). *The brain and emotion*. New York: Oxford University Press.

Rorty, A. O. (1982). From passions to emotions to sentiments. *Philosophy, 57*, 159–172.

Rorty, A. O. (1985). Varieties of rationality, varieties of emotion. *Social Science Information, 24*, 343–353.

Rorty, A. O. (1993). From passions to sentiments: The structure of Hume's "Treatise." *History of Philosophy Quarterly, 10*, 165–179.

Rorty, A. O. (Ed.). (1996). *Aristotle's Rhetoric.* Berkeley: University of California Press.

Roseman, I. J. (1979, August). *Cognitive aspects of emotion and emotional behavior.* Paper presented at the Eighty-seventh Annual Convention of the American Psychological Association, New York.

Roseman, I. J. (1984). Cognitive determinants of emotions: A structural theory. In P. Shaver (Ed.), *Review of personality and social psychology* (Vol. 5), pp. 11–36, Beverly Hills, CA: Sage.

Roseman, I. J. (1991). Appraisal determinants of discrete emotions. *Cognition and Emotion, 5,* 161–200.

Roseman, I. J., Antoniou, A. A., & Jose, P. E. (1996). Appraisal determinants of emotions: Constructing a more accurate and comprehensive theory. *Cognition and Emotion, 10,* 241–277.

Rothschild, E. (2001). *Economic sentiments: Adam Smith, Condorcet, and the Enlightenment.* Cambridge, MA: Harvard University Press.

Russell, J. A. (1980). A circumplex model of affect. *Journal of Personality and Social Psychology, 39,* 1161–1178.

Russell, J. A. (1983). Pancultural aspects of human conceptual organization of emotions. *Journal of Personality and Social Psychology, 45,* 1281–1288.

Russell, J. A., & Barrett, L. F. (1999). Core affect, prototypical emotional episodes, and other things called *emotion*: Dissecting the elephant. *Journal of Personality and Social Psychology, 76,* 805–819.

Russell, J. A., & Carroll, J. M. (1999a). On the bipolarity of positive and negative affect. *Psychological Bulletin, 125,* 3–30.

Russell, J. A., & Carroll, J. M. (1999b). The Phoenix of bipolarity: Reply to Watson and Tellegen (1999). *Psychological Bulletin, 125,* 611–617.

Russell, J. A., Lewicka, M., & Niit, T. (1989). A cross-cultural study of a circumplex model of affect. *Journal of Personality and Social Psychology, 57,* 848–856.

Russell, J. A., Weiss, A., & Mendelsohn, G. A. (1989). Affect grid: A single-item scale of pleasure and arousal. *Journal of Personality and Social Psychology, 57,* 493–502.

Rusting, C. L., & Larsen, R. L. (1995). Moods as sources of stimulation: Relationships between personality and desired mood states. *Personality and Individual Differences, 18,* 321–329.

Sartori, G. (1987). *The theory of democracy revisited.* Chatham, NJ: Chatham House.

Scanlan, J. P. (1959). The *Federalist* and human nature. *Review of Politics, 21,* 657–677.

Schacter, D. L. (1996). *Searching for memory.* New York: Basic Books.

Scherer, K. R., Schorr, A., & Johnstone, T. (2001). *Appraisal processes in emotion: Theory, methods, research.* New York: Oxford University Press.

Schwarz, N. (1990). Feelings as information: Informational and motivational functions of affective states. In R. Sorrentino & E. T. Higgins (Eds.), *Handbook of motivation and cognition: Foundations of social behavior* (Vol. 2, pp. 527–561). New York: Guilford.

Schwarz, N., & Bless, H. (1991). Happy and mindless, but sad and smart? The impact of affective states on analytic reasoning. In J. Forgas (Ed.), *Emotion and social judgments* (pp. 55–71). New York: Pergamon Press.

Schwarz, N., & Clore, G. L. (1983). Mood, misattribution, and judgments of well-being: Informative and directive functions of affective states. *Journal of Personality and Social Psychology, 45,* 513–523.

Schwarz, N., & Clore, G. L. (1996). Feelings and phenomenal experiences. In E. T. Higgins & A. W. Kruglanski (Eds.), *Social psychology: Handbook of basic principles* (pp. 433–464). New York: Guilford.

Scott, S. K., Young, A. W., Calder, A. J., Hellawell, D. J., Aggleton, J. P., & Johnson, M. (1997). Impaired auditory recognition of fear and anger following bilateral amygdala lesions. *Nature, 385*, 254–257.

Sears, D. O. (1993). Symbolic politics: A socio-psychological theory. In S. Iyengar & W. J. McGuire (Eds.), *Explorations in political psychology* (pp. 113–149). Durham, NC: Duke University Press.

Sears, D. O. (2000). The role of affect in symbolic politics. In J. Kuklinski (Ed.), *Citizens and politics: Perspective from political psychology*. New York: Cambridge University Press.

Sears, D. O., Hensler, C., & Speer, L. (1979). Whites' opposition to "busing": Self-interest or symbolic politics? *American Political Science Review, 73*, 369–385.

Sears, D. O., Lau, R. R., Tyler, T. R., & Allen, H. M., Jr. (1980). Self-interest vs. symbolic politics in policy attitudes and presidential voting. *American Political Science Review, 74*, 670–684.

Smith, A. (1959). *The theory of moral sentiments*. Indianapolis: Liberty Fund.

Smith, A. (1986). *The wealth of nations: Books 1–3*. New York: Viking.

Smith, C. A. (1989). Dimensions of appraisal and physiological response in emotion. *Journal of Personality and Social Psychology, 56*, 339–353.

Smith, C. A., Haynes, K. N., Lazarus, R. S., & Pope, L. K. (1993). In search of the "hot" cognitions: Attributions, appraisals, and their relation to emotion. *Journal of Personality and Social Psychology, 65*, 916–929.

Squire, L. R. (1987). *Memory and brain*. New York: Oxford University Press.

Stangor, C., Sullivan, L. A., & Ford, T. E. (1991). Affective and cognitive determinants of prejudice. *Social Cognition, 9*, 359–391.

Stanton, M. E. (2000). Multiple memory systems, development and conditioning. *Behavioral Brain Research, 110*, 25–37.

Steinberger, P. J. (1993). *The concept of political judgment*. Chicago: University of Chicago Press.

Stiker, G. (1996). Emotions in context: Aristotle's treatment of the passions in the *Rhetoric* and his moral psychology. In A. O. Rorty (Ed.), *Aristotle's Rhetoric* (pp. 286–302). Berkeley: University of California Press.

Storm, C., & Storm, T. (1987). A taxonomic study of the vocabulary of emotions. *Journal of Personality and Social Psychology, 53*, 805–816.

Sullivan, D., & Masters, R. (1988). Happy warriors: Leaders' facial displays, viewers emotions, and political support. *American Journal of Political Science, 32*, 345–368.

Tellegen, A., Watson, D., & Clark, L. A. (1999a). Further support for a hierarchical model of affect. *Psychological Science, 10*, 307–309.

Tellegen, A., Watson, D., & Clark, L. A. (1999b). On the dimensional and hierarchical structure of affect. *Psychological Science, 10*, 297–303.

Tomarken, A. J., Davidson, R. J., Wheeler, R. E., & Doss, R. C. (1992). Individual differences in anterior brain asymmetry and fundamental dimensions of emotion. *Journal of Personality and Social Psychology, 62*, 676–687.

Tooby, J., & Cosmides, L. (1990a). On the universality of human nature and the uniqueness of the individual: The role of genetics and adaptation. *Journal of Personality, 58*, 17–67.

Tooby, J., & Cosmides, L. (1990b). The past explains the present: Emotional adaptations and the structure of ancestral environments. *Ethology and Sociobiology, 11,* 375–424.

Tranel, D., Damasio, H., & Damasio, A. R. (1995). Double dissociation between overt and covert face recognition. *Journal of Cognitive Neuroscience, 7,* 425–432.

Volkan, V. D., & Itkowitz, N. (1984). *The immortal Ataturk: A psychobiography.* Chicago: University of Chicago Press.

Volkan, V. D., Itkowitz, N., & Dod, A. W. (1997). *Richard Nixon: A psychobiography.* New York: Cambridge University Press.

Watson, D. (1988a). Intraindividual and interindividual analyses of positive and negative affect: Their relation to health complaints, perceived stress, and daily activities. *Journal of Personality and Social Psychology, 54,* 1020–1030.

Watson, D. (1988b). The vicissitudes of mood measurement: Effects of varying descriptors, time frames, and response formats on measures of positive and negative affect. *Journal of Personality and Social Psychology, 55,* 128–141.

Watson, D., & Clark, L. A. (1992a). Affects separable and inseparable: On the hierarchical arrangement of the negative affects. *Journal of Personality and Social Psychology, 62,* 489–505.

Watson, D., & Clark, L. A. (1992b). On traits and temperament: General and specific factors of emotional experience and their relation to the five-factor model. *Journal of Personality, 60,* 441–476.

Watson, D., Clark, L. A., & Tellegen, A. (1984). Cross-cultural convergence in the structure of mood: A Japanese replication and a comparison with U. S. findings. *Journal of Personality and Social Psychology, 47,* 127–144.

Watson, D., Clark, L. A., & Tellegen, A. (1988). Development and validation of brief measures of positive and negative affect: The PANAS scales. *Journal of Personality and Social Psychology, 54,* 1063–1070.

Watson, D., & Tellegen, A. (1985). Toward a consensual structure of mood. *Psychological Bulletin, 98,* 219–235.

Watson, D., & Tellegen, A. (1999). Issues in the dimensional structure of affect—effects of descriptors, measurement error, and response formats: Comment on Russell and Carroll (1999). *Psychological Bulletin, 125,* 601–610.

Watson, D., Wiese, D., Vaidya, J., & Tellegen, A. (1999). The two general activation systems of affect: Structural findings, evolutionary considerations, and psychobiological evidence. *Journal of Personality and Social Psychology, 76,* 820–838.

White, M. (1987). *Philosophy, the Federalist, and the Constitution.* New York: Oxford University Press.

Williams, B. A. O. (1983). *Moral luck: Philosophical papers, 1973–1980.* Cambridge: Cambridge University Press.

Wilson, G. D., Kumari, V., Gray, J. A., & Corr, P. J. (2000). The role of neuroticism in startle reactions to fearful and disgusting stimuli. *Personality and Individual Differences, 29,* 1077–1082.

Young, I. M. (1990). *Justice and the politics of difference.* Princeton, NJ: Princeton University Press.

Zajonc, R. B. (1980). Feeling and thinking: Preferences need no inferences. *American Psychologist, 35,* 151–175.

Zajonc, R. B. (1982). On the primacy of affect. *American Psychologist, 39,* 117–123.

Zajonc, R. B. (1998). Emotions. In D. Gilbert, S. Fiske & G. Lindzey (Eds.), *Hand-*

book of social psychology (4th ed., Vol. 1, pp. 591–632). New York: McGraw Hill.

Zimmermann, M. (1989). The nervous system in the context of information theory. In R. F. Schmidt & G. Thews (Eds.), *Human physiology* (2nd ed., pp. 166–173). Berlin: Springler-Verlag.

Zola-Morgan, S. M., Squire, L. R., Alvarez-Royo, P., & Clower, R. P. (1991). Independent of memory functions and emotional behavior: Separate contributions of the hippocampal formation and the amygdala. *Hippocampus, 1*, 207–270.

Zuckerman, M. (1991). *Psychobiology of personality.* Cambridge: Cambridge University Press.

الفصل السابع

البلاغة السياسية[١٤٠]

ميشيل بيلليج

يشير مصطلح "البلاغة"[١٤١] إلى معنين، فهو يعنى الطرق التى يحاول من خلالها المتحدثون إقناع المتلقين، كما قد يعنى الدراسة الأكاديمية للإقناع من خلال البلاغة. ومن ثم، فـ"البلاغة السياسية" يمكن أن تشير إلى الخطبة التى يستخدمها السياسيون، أو إلى عملية دراسة هذه الخطبة. ليس هذا الازدواج فى المعنى جديدًا؛ فهو يعود للأزمنة المبكرة من التاريخ الطويل للبلاغة. ففى اليونان القديمة، درَّس الفلاسفة البلاغة كتدريب عملى، معتبرين أن دروسهم ستزود التلاميذ بمهارات الإقناع. وفى المقابل، تناول أرسطو (Aristotle, 1909) موضوع البلاغة بروح تحليلية، مدعيًا فى كتابه "الخطابة"[١٤٢] أن وظيفة البلاغة "لم تكن الإقناع، ولكن اكتشاف وسائل الإقناع المتاحة في كل قضية" (p.5) وقد وضع أرسطو أساسيات دراسة البلاغة التى كانت تُعد جزءًا حيويًا من التعليم الأوروبى منذ عهد الرومان وحتى القرن التاسع عشر، والتى أثَّرت بعمق فى العالم الإسلامى خلال العصور الوسطى (Vickers, 1988). كما ميَّز أرسطو بين ثلاثة أشكال للخطبة: الخطبة السياسية

---

(١٤٠) قام بترجمة هذا الفصل محمد يحيى الرخاوى

(١٤١) سنستخدم فى هذا الفصل مصطلح بلاغة لترجمة المصطلح الإنجليزى Rhetoric، ذلك أن مصطلح الخطابة الذى يستعمله المؤلف كثيرًا يتداخل مع مصطلح خطاب الذى نستخدمه لترجمة Discourse وخطابى الذى سنستعمله لترجمة Discursive. (المترجم)

(١٤٢) Rhetorica: وقد التزمنا هنا بالترجمة الشائعة لعنوان كتاب أرسطو الشهير. (المترجم)

أو المتمعنة؛ والخطبة الشرعية كما تُمارس في المحاكم، والخطبة الاستعراضية والتي تمتلئ بأحاديث التمجيد التي تُلقى في جنائز الرموز المعروفة. وتبعًا لأرسطو فإن هناك حاجة لأشكال مختلفة من أساليب الإقناع من أجل هذه الأنماط المختلفة من الخطب. وقد أكد أرسطو - بشكلٍ خاص - على ثلاثة عوامل تحتاج إليها الخطبة كي تحوز الاهتمام وهي: الإثوس *ethos*، والباثوس *pathos*، واللوجوس *logos*. والإثوس يحيل إلى نمط الشخصية التي يأمل المتحدث أن يقدمها؛ والباثوس يحيل إلى مزاج الحديث أو نبرته؛ أما اللوجوس فيعني البرهان الذي يدفع به المتحدث.

وقد توقف اعتبار البلاغة تخصصًا محوريًا في التعليم الغربي على مدار المائة والخمسين عامًا الماضية. فقد استوعبت مجالات ناشئة أغلب مادة تساؤلاته الأكاديمية كعلم اللغة، وعلم الاجتماع، وعلم النفس. وبدا لفترة كما لو أنه يمكن للبلاغة، بوصفها تخصصًا، أن تختفي بالكامل. ومع ذلك، فقد كانت هناك نهضة للبلاغة في أواسط القرن العشرين، لاسيما في كتابات كينيث بورك وتشارك بيرلمان (انظر Burke, 1969; Perelman & Olbrechts-Tyteca, 1971). وقريبًا أيضا استمرت هذه النهضة في عدد من الاتجاهات، مثل، حركة بلاغة التساؤل، علم نفس البلاغي/الخطابي Discursive/Rhetorical Psychology؛ كما استمرت التقاليد الأمريكية والأوروبية في دراسة البلاغة في النمو (انظر لبلاغة التساؤل: Nelson. Megill, & McCloskey, 1987; McCloskey, 1986; وبشكل أكثر عمومية انظر: Simons, 1989, 1990; Mailloux, 1996; Meyer, 1994; Myerson, 1994; Plett, 1995). وتاريخ البلاغة، لاسيما نهضتها الحديثة، نذكره لأن هذا الفصل لن يعالج البلاغة السياسية فحسب كموضوع تتم دراسته من خلال مجال علم النفس الاجتماعي، بل سيفترض أن الإقناع السياسي يستدعي منحى نفسيًا تمتد جذوره داخل دراسة البلاغة. ومن ثم سيناقش هذا الفصل المنحى

البلاغى فى علم النفس الذى تطور فى الخمسة عشرعامًا الماضية أو نحوها. وهذه الطريقة فى العمل السيكولوجى تتحدى المناحى التقليديـــة، إلا أن لهـــا مزاياها فى فهم طبيعة البلاغة السياسية، وهو ما سوف نسعى لإبرازه.

دراسات الإقناع فى جامعة ييل Yale

قطع علم النفس الاجتماعى التجريبى وعدًا بأن يقر التساؤلات العظمى لفن البلاغة التقليدى. على سبيل المثال يمكن توفير دلائل علمية لتحديد متى يكون الباثوس فعالاً أو لتقدير كم يكون إثوس المتحدث مهمًا. كان هذا التفكير يقف خلف دراسات المجددة الخاصة بتغيير الاتجاهات، والمعروفـــة باســـم دراسات ييل، والتى وصفها بروستر سميث كمنـــشـــأ للبـــــلاغة الجديـــدة (Smith, 1981, p. xii). ويدين هذا البحث بأصوله لسؤال عملـــى وسياســـى. فخلال الحرب العالمية الثانية قامت شعبة التعليم والمعلومات التابعة لـــوزارة الحربية فى الولايات المتحدة الأمريكية(١٤٣) بتكليف كارل هوفمـــان بـــإجراء دراسة عن فعالية الأفلام الدعائية. كانت وزارة الحربية ترغب فـــى إعـــداد أفلام دعائية لإقناع الجنود أن الحرب قد تستمر لفترة طويلة. إلا أنها كانـــت مترددة ما بين تقديم وجهة نظرها فقط فى الأفلام، أم أن عليها تقديم وجهـــة النظر المضادة ثم دحضها. وقد أنتج هوفلاند كلا النوعين من الأفلام واختبر اتجاهات مشاهديه قبل وبعد المشاهدة. وقد أشارت نتائجه إلـــى أن الرســـائل التى احتوت على الرأيين كانت أكثر فعالية مع المشاهدين الأعلى تعليمًا. ثم اختبر هو وفريق عمله بعد ذلك التأثيرات النسبية لكثيـــر مـــن المتغيـــرات البلاغية المرتبطة بالباثوس والإثوس، مختبرين على سبيل المثـــال رســـائل

---

(١٤٣) ظل اسم وزارة الحرب الأمريكية United States Department of War مستمرا مـــن ١٧٨٩ إلـــى ١٠ أغسطس ١٩٤٩ حين أصبحت جزءا من المؤســـسة العـــسكرية الوطنيـــة National Military Establishment فأصبح اسمها وزارة الدفاع Department of Defense. (المراجع)

الخوف ومصداقية المتكلم. وقد استمر برنامج البحث بعد الحرب فى جامعة ييل (Hovland, Janis, & Kelly, 1953; Hovland, Lumsdaine, & Sheffield, 1949; Hovland & Weiss, 1951). وفى الدراسات الأحدث لم يكن كثير من المنبهات سياسية، على الرغم من أن بعضها ظل متجذرًا فى قضايا البلاغة السياسية (Sherif & Hovland, 1961).

لقد هدف البرنامج البحثى لييل إلى اكتشاف القوانين العامة للإقناع. وما حدث هو أن البرنامج قدم كمًا هائلاً من النتائج غير المتكاملة (انظر على سبيل المثال: ملخصات نقدية لـ: Fisbein & Azjen, 1981; Jaspars, 1978). فالمشكلة أن كل قانون عام كان بحاجة إلى تكييف، حيث وجدت استثناءات لكل نتيجة (Bilhhig, 1987, pp. 69-72). فعلى سبيل المثال، أمل هوفلاند ووايس (Hovland & Weiss, 1951) أن يبينا أن المصداقية المرتفعة (أو "الإثوس الجيد") تزيد من الإقناع. بينما أظهرت نتائجهما أنه فى بعض الموضوعات مع مشاهدين معينين، يمكن أن يكون انخفاض المصداقية أكثر فعالية. كان جزء من المشكلة أن البحث لم يكن معتمدًا على نظرية نفسية فى التفكير يمكن استخدامها لفهم النتائج المتباينة. فقد كانت الاستراتيجية هى التعامل مع المتغيرات البلاغية كمتغيرات مستقلة واكتشاف تأثيرها على تغيير الاتجاه بوصفه المتغير التابع. هكذا لم تكن العمليات النفسية الوسيطة محل بحث. وبهذا الشكل مال بحث ييل إلى افتراض انفصال بين المتغيرات المستقلة أو البلاغية وسيكولوجية المتلقين.

ثمة خطان مهمان من اتجاهات البحوث التجريبية افترضا أنه يمكن النظر للعلاقة بين الرسالة السياسية والمتلقين بوصفها شكلاً من الحوار البلاغى الذى تحسمه طبيعة المحاجاة. وقد بدأت دراسات نظرية وليام ماكجوير (McGuire, 1964) "نظرية التحصين"، مثل دراسات ييل، من مسألة عملية. ففى دراسة ماكجوير كانت المشكلة عن إمكان عمل غسيل مخ للجنود

الأمريكيين الذين أسرتهم فرق الشيوعيين فى الشرق الأقصى. إذ كانت هناك إشاعات دائمة أن الأسرى يمكن أن يتحولوا إلى مساندة المعسكر الشيوعى باستخدام الدعاية المكثفة. وكان الجيش الأمريكى متحمسًا لتطوير أساليب نفسية لمواجهة تأثيرات مثل هذه الدعاية. وقد افترض ماكجوير أن أولئك الأكثر تعرضًا لخطر الدعاية السياسية هم أولئك الذين لم تتعرض معتقداتهم للتحدى أبدًا، تمامًا مثل أولئك الذين يعيشون فى بيئات "خالية من الجراثيم" الذين لا يكونون أبدًا أجسامًا مضادة للعدوى التى يمكن أن تصيبهم فى المستقبل. وافترضت تجارب ماكجوير أن المبحوثين سيكونون أكثر مقاومة لتحديات الدعاية إذا تعرضوا بشكل متنوع "لجرعات" صغيرة من الدعاية التى تحرضهم على إنشاء حجج مضادة أو البحث عن حجج مضادة. فالمسلحون بالحجج المضادة يكونون أكثر مناعة ومقاومة لإغراءات الدعاية. وفى الواقع، كان بحث ماكجوير يشير إلى أهمية فكرة اللوجوس أو البرهان البلاغى الأرسطية: فلم تكن المناظرة خاصية للرسالة فحسب، بل كانت خاصية للعمليات الفكرية لمستقبليها. وبالتالى فقد صور بحث ماكجوير العلاقة بين الرسالة والمستقبل بوصفها علاقة بلاغية عميقة تتأسس على الاصطدام بين البرهان والبرهان المضاد، أو باستخدام مصطلح البلاغة الكلاسيكية، اللوجوس ومضاد اللوجوس (Billig, 1987).

الخط البحثى الثانى الذى كان يحرك –ضمنيًا– دراسات ييل التقليدية نحو مزيد من علم النفس البلاغى كان نموذج ترجيح التفصيل Elaboration Likelihood لبيتى وكاسيوبو (على سبيل المثال: Petty & Cacioppo, 1981 1984). افترض هذا النموذج طريقين للإقناع – الطريق المحيطية والطريق المركزية: فى الأساس، يناظر الطريقان التمييز البلاغى الكلاسيكى بين الإقناع بالمحتوى والإقناع بالشكل. فقد افترض بيتى وكاسيوبو أنه حين يكون المستقبلون مهتمين بالموضوع سيتأثرون بقوة البرهان، أو ما يُعرف فى

البلاغة الكلاسيكية باللوجوس. وفى هذه الطريق الرئيسية يــرجح أن يعمــل المتلقون على براهين الرسالة، مطورين لبراهين مضادة إذا كانت الرســالة ضعيفة. وعندما يكون المستقبلون غير مهتمين بالموضوع فسيتأثرون، على الأرجح، "بالطريق المحيطية". وتبعًا لنموذج بيتى وكاسيوبو؛ فإن هذا النمط الأخير من التأثير ضحل وأقصر عمرًا. ويهتم الطريق المحيطــى بمــسائل تتعلق بكيفية التقديم، كدعم المشاهير أو استخدام الفكاهة. وتعكس مثل هــذه المتغيرات المفاهيم التقليدية للإثوس والباثوس، حيث ترتبط بنمط شخــصية المقدم أو شكل الرسالة أكثر من محتواها. وقد تم تطبيق النمــوذج أولاً فــى الإعلانات التجارية، إلا أنه يمكن تطبيقه أيضا فى الدعاية السايسية. فلا تُقدم الدعاية السياسية من خلال الوكالات التجارية نفسها فحسب، بل يتم توظيف أساليب مشابهة أيضا، بما فيها اســتخدام دعــم المــشاهير (Delvon, 1995; Scammell & Semetko, 1995)، وذلك على الرغم من أنه يمكن توجيه الكثير من الدعاية السياسية لسحب مصداقية المعارضين، وذلك كما بــين بــاردو (Pardo, 2001) فى تحليله للدعاية السياسية فى فنزويلا. واتفاقًا مــع نمــوذج التحصين لماكجوير؛ يفترض نموذج ترجيح التفصيل أن المــستقبلين، علــى الأقل عندما يكونون مهتمين بالموضوع، ســوف يــستجيبون للرســالة ذات البرهان. وعلاوة على ذلك؛ يفترض هذا النموذج أن تفكير المستجيبين سوف يرتقى من خلال المناقشة. ومرة أخرى يُفترض أن التفكير ربما يكون بلاغيًا أساسًا (Billig, 1987).

طبيعة الخطبة السياسية المعاصرة

لم يعد التمييز التقليدى بين شكل الرسالة ومحتواها مما يسهل الاحتفاظ به فى علم السياسة المعاصر، وهو ما يؤثر مباشرةً على إمكانيــة تطبيــق نموذج كاسيوبو وبيتى على الخطبة السياسية المعاصرة. وتفترض كــاتلين

جيمسون (Jamieson, 1988) أن وسائل الإعلام الإلكترونية قد غيرت طبيعة الخطبة السياسية. فالأسلوب القديم، حيث يحتاج الخطيب للحديث بصوت عالٍ وإيماءات واضحة إذ يتواصل معِ الجماهير، لم يعد مطلوبًا. فقد أصبحت المقابلة السياسية فى الواقع شكلاً تدور فيه محادثة بما فيها من تبادل أدوار الحديث (Bull et al., 1996)، هذا على الرغم من أن إخراج المقابلات على شاشات التلفاز فى نشرات الأخبار يمكنه أن يعرض إجابات السياسيين كما لو لم تكن إجابات على تساؤلات وجهت إليهم (Ekstrom, 2001). وكذلك فى السجالات البرلمانية، التى يمكن تنظيمها من خلال القواعد الرسمية وغير الرسمية للممارسة (Carbo, 1992; Shaw, 2000). علاوة على ذلك فقد حدث غموض فى الحدود الفاصلة بين صدر المواجهة مع الجمهور وكواليسها، أو بين الحياة العامة والخاصة (Meyrowitz, 1986). وفى مثل هذه الظروف، تبعًا لجاميسون، يتوقع أن يقدم الرموز السياسية ذواتهم الشخصية لجماهيرهم، على الرغم من وجود فروق ثقافية (Obeng, 1997). وقد أطلق كاستلز (Castells, 1999) على هذا التوجه "شخصنة السياسة".

وربما يرى بعض المحللين ذلك كابتذال للسياسة، حيث ينظر المشاهدون للرموز السياسية وكأنهم نجوم استعراضات؛ ويتأثرون بخصائصهم السطحية أكثر من براهينهم الفعلية (Postman, 1984). وتدعى هذه الانتقادات، فى الواقع، أن الجماهير فى عهد شخصنة السياسة يهتمون بالشكل أكثر من المحتوى واضعين قيمة أعلى لعوامل الإثوس السطحية من عوامل اللوجوس المحورية. ومع ذلك فهناك تفسير آخر محتمل وهو مما يثير شكوكًا فى إمكانية التطبيق المباشر لتمييز بيتى وكاسيوبو الأساسى لعالم السياسة المعاصر. فمما يطرح أن السياسة فى الديمقراطيات الغربية اليوم تتميز بغياب التقسيم الإيديولوجى الحاسم(على سبيل المثال: Giddens, 1998; Fukuyama, 1992; وانظر Weltman & Billig, 2001 لتحليل للطرق التى يمكن

أن تؤثر على خطــاب الــسياسيين الإنجليــز المحليــين). ولأن الفــروق الإيديولوجية بين الأحزاب السياسية قد أصبحت صغيرة فى الأغلــب، ولأن كثيرًا من الموضوعات أصبحت شديدة التعقيد؛ فإنه يمكن توقــع شخــصنة السياسة. فيبحث الناخبون عن القادة الذين يمكنهم الوثوق بهم، والذين يتسمون بخصائص شخصية تجعلهم يتفاعلون بكفاءة مع الأزمات غير المرئية التــى يمكنها أن تنشأ مستقبلاً. يحلل سمونز (Simons, 1996) مساجلات جور-بيرو فى الحملة الرئاسية الأمريكية عام ١٩٩٢، ويفترض أنه كان من الضرورى الحاسم أن يظهر المتحدث مدعومًا بالمبررات، ودارِيًا بالمعلومات فى مسألة مثل اتفاق التجارة الحرة فى شمال أمريكا، حيث يصعب أن يكون أحد مــن الجمهور قد قرأ المشروع المكون من ١٢٠٠٠ صفحة. فى هذه المناسبة بدت نتيجة المناظرة سيئة على بيرو بسبب نبرة صوته الحادة وتهجماته المتكررة على آل جور. وفى مثل ظروف هذه القــضايا الــسياسية المركبــة، ومــع مرشحين مراقبين عن قرب، لا يكون الإثوس مسألة سطحية، بل سيكون، فى الواقع، مسألة محورية بالنسبة للمشاهدين المنتبهين.

بالإضافة إلى ذلك، من المفترض أن الصورة المرئية "تُعــد الوحــدة الدلالية والتقنية لوسائل الإعلام الحديثة فى عمق الثقافة الــشعبية لمــا بعــد الحرب" (Evans & Hall, 1999, p.2). وكما يفترض جاميسون، فقــد أصــبح الناخبون ماهرين فى الحكم على الشخصية من اللقطات التلفزيونية القريبــة للسياسيين. ويشير ذلك إلى التنامى فى أهمية ما أطلق عليــه رولان بــارت (Barthes, 1977) "بلاغة الصورة" التى لا يتم تصورها من خــلال المنطــق اللفظى الواضح للخبطة التقليدية (انظر على سبيل المثــال تحليــل بــارت الكلاسيكى لصور المرشحين السياسية فى كتابــه الأســاطير *Mythologies*، وعمومًا انظر Beloff, 1986, وBurgin, 1976، لتحليلات للصورة الفوتوغرافية بما فيها الصورة السياسية). فإذا كانت الصور المرئية للسياسيين تحمل الكثير

من المعنى الدلالى، إن لم يكن أكثر من كلماتهم المنطوقة؛ فإن مصداقية السياسى، كما يعبر عنه حضوره، لن تعود مسألة سطحية تؤثر فقط على غير المهتمين بالسياسة، بل هى مسألة ينتبه لها الناخبون بشدة، ويعرف السياسيون أنهم ينتبهون لها. فإذا كان الأمر كذلك، فإن التمييز التقليدى بين الشكل والمحتوى، والذى يقع موقع القلب فى نموذج بيتى وكاسيوبو، قد لا يصور بكفاءة بلاغيات البلاغة السياسية المعاصرة ومضامينها السيكولوجية فى العصر الإلكترونى. والمسألة ليست أن بيتى وكاسيوبو قد مالا إلى إهمال البلاغة البصرية- بل الواقع أن النظريات السيكولوجية التى تركز صراحة على البلاغة تقصر نفسها على البلاغة اللفظية. إن المسألة هى أن تمييزهما بين الطرق المحورية والسطحية للإقناع لا يعمل بسهولة عند التعامل مع تعقد وتركيب البلاغة السياسية المرئية واللفظية المعاصرة.

المناحى الخطابية Discursive.

لم تكن البحوث النفسية الاجتماعية التى سارت على درب دراسات بيل مهتمة بشكل خاص بفحص تفاصيل البلاغة اللفظية، دع عنك البلاغة المرئية وبلاغياتها. وقد اهتمت مثل هذه البحوث أساسًا بتأثيرات أنماط معينة من الرسائل أكثر من فحص الخصائص البلاغية للرسائل ذاتها. ففى الدراسات البلاغية يجب أن يهتم المرء بمناهج المحادثة وتحليل الخطاب. وقد تم تطبيق لافت لتكنيكات تحليل المحادثة فى التواصل السياسى لحل لغز التصفيق. وقد لاحظ أتكنسون (Atkinson, 1984a, 1984b) وكذلك هيريتيج وجريتباخ (Heritage & Greatbach, 1986) أنه حين يوجه السياسيون كلامهم لجمهور مباشر، يبدو التصفيق متآزرًا تآزرًا فوريًا. ولكى يحدث ذلك، يجب أن يستخدم المتحدثون ما يطلق عليه أتكنسون (Atkinson, 1984a) "فخاخ- التصفيق". بشكل ما، يجب أن يوصل المتحدث للجماهير أنه قد وصل لنقطة

اكتمال يمكن توقع التصفيق عندها. وفى محاولة لفهم كيفية عمل فخاخ- التصفيق هذه بالضبط، حلل هيريتيج وجريتباخ (Heritage & Greatbach, 1986) أحاديث الساسة البريطانيين الموجهة لأعضاء أحزابهم فى المؤتمرات الحزبية السنوية. وكما افترض غيجيليون (Ghiglione, 1994) أن الأحاديث فى المؤتمرات الحزبية تنظم وكأنها طقوس ينبغى أن تمارس، مع الاهتمام بطريقة التلفظ أكثر من المحتوى، حيث يسعى المتحدثون لاستثارة علامات تصديق ظاهرة[١٤٤]. وقد أوضح هيريتيج وجريتباخ (Heritage & Greatbach, 1986) أن الصياغة البلاغية تعد جوهرية للحصول على تصفيق متآن. وقد حددا سبعة مفاتيح بلاغية تتضمن، التقابلات، وقوائم الأجزاء الثلاثة، وحلول الألغاز والمعضلات. ويستخدم المتحدثون المتمرسون هذه الأساليب فى التوقيتات المناسبة وبالتنغيمات المناسبة؛ فيستجيب الجمهور مباشرة بتصفيق فورى متآن. ونادرًا ما يحدث هذا التصفيق المتآنى أثناء خطبة لا تحتوى على مثل هذا التكوين البلاغى. وإذا ألقى مثل هذا التكوين البلاغى على المسامع بشكل سئ، أو ناقص؛ يأتى التصفيق أضعف وأقل تلقائية وفورية ودون تآن (انظر أيضا Bull & Noordhuizen, 2000).

لا يضع تحليل هيريتاج وجريتباخ افتراضات عن الحالات النفسية للمستقبلين ولا عن مقاصد الخطباء أو كتاب الخطب، وهو فى هذا يشبه دراسات السبب – النتيجة فى ييل، عدا أنه يتعامل مع أحداث طبيعية غير تجريبية ويحلل الخصائص البلاغية التفصيلية للخطب الفعلية. وبنفس

---

(١٤٤) يشير روبرت جيرفيز Robert Jervis (اتصال شخصى، ٢٠٠٢) إلى حادثة حدث فيها أن كان للتواصل عقب خطبة احتفالية أثر مباشر على الفعل السياسى. ففى سياق خطبة لمتحدث كان يقوم فيها بتسمية وودرو ويلسون Woodrow Wilson لإعادة انتخابه؛ استخدم المتحدث عبارة "لقد أبقانا بعيدًا عن الحرب"، عندها دخل نواب المجلس فى تصفيق مطوّل بشكل تلقائى، صارخين بالعبارة الأخيرة. وقد كانت النتيجة أن تبنى ويلسون ومؤيدوه هذه العبارة واحدة من الشعارات الأساسية لحملتهم. (المؤلف)

المنهجية، فإن التحليلات البلاغية التقنية للأحاديث السياسية، والتي تركز على الكشف عن استخدام الاستعارات والمجازات البلاغية، لا تهدف بدورها إلى الكشف عن سيكولوجية المتحدثين والمستمعين، على الرغم من أنهم، بالمثل، يضعون افتراضات نمطية عن استراتيجيات المتحدثين وعن تأثيرات الأنماط على المتلقين (على سبيل المثال: Condit, 1987; Condit & Lucaites, 1991; Smith & Windes, 2000; وانظر أيضا المقارنة بين خطب الاعتذار فى السياسة الأمريكية والإسرائيلية فى: Neuman, Libershohn, & Beckerman, 2001). ومما تجدر الإشارة إليه تلك التحليلات للخطاب التى كانت استخدمت تكنيكات أساليب التحليل النقدى للخطاب والتى تجمع النظريات اللغوية مع النظرية الاجتماعية النقدية (على سبيل المثال: Chouliaraki & Fairclough, 1999; Fairclough, 1992, 1995; Fowler, Hodge, Kress, & Trew, 1979; van Dijk, 1993b, 1998). وقد طور مثل هذا النوع من البحوث من بعض الاهتمامات التقليدية للبلاغيين بأنواع الكلام. على سبيل المثال ناقش فيركلوف (Fairclough, 1992) استخدام المجازات فى الخطاب السياسى، وقد لاحظ كيف "يُطَبِّع" مجاز "السياسة بوصفها حربًا" فى خطاب الانتخابات البريطانية العامة الطرق التى يفكر بها الأفراد حول السياسة بوصفها صراعًا. وقد فحص دى سيليا وريزيجل وووداك (De Cillia, Reisigl, & Wodak, 1999) أشكال الحديث فى الخطاب السياسى النمساوى، مشيرين إلى أن استخدام الكنايات (مثل "الأجنبى" أو "النمساوى") يمكن أن يذوب الفردية ويسمح بالتالى بتعميمات قومية. ومع ذلك فليس لكل المجازات فى الخطاب السياسى مثل هذه التأثيرات المحافظة. فقد فحص شيلتون وإليين (Chilton & Ilyin) أصول المجاز وشيوعه فى "أوربا بوصفها منزلاً مشتركًا"، مبينين كيف عمل هذا المجاز فى خطاب السياسيين الغربيين والروس؛ فأشارا إلى أنه يمكن للمجازات الجديدة "كسر الأطر المفهومية المتصلبة للنظام السياسى الموجود" (Chilton & Ilyin, 1993, p. 10).

المحاولة الأكثر عيانية للجمع بين علم النفس والبلاغة نجدها فى ارتقاء علم النفس الخطابى، الذى نما فى إطار علم النفس الاجتماعى البريطانى على مدى الخمسة عشر عامًا الماضية (لتقارير عامة عن علم النفس الخطابى انظر: Antaki, 1994; Billig, 1987, 1991; Edwards, 1997; Edwards & Potter, 1992; Harre & Gillet, 1994; Parker, 1991; Potter, 1996a,b; Potter & Wetherell, 1987). كثيرًا ما يستخدم المتخصصون فى علم النفس الخطابى مناهج مشتقة من تحليل المحادثات وتحليل الخطاب النقدى، وكذلك من نظرية البلاغة. وما يميز علم النفس الخطابى ليس منهجه بقدر ما هو الافتراضات الضمنية التى يحملها عن طبيعة العقل. وتبعًا للمتخصصين فى علم النفس الخطابى، فإن الكثير من الظواهر التى يعالجها علماء النفس بشكل تقليدى بوصفها عمليات عقلية داخلية تتشكل فى الواقع داخل الخطاب (انظر: Potter, 1996a,b; Shotter, 1993a, 1993b; Shotter & Billig, 1998 لمناقشات عن الأساس الفلسفى لهذا التصور)، وهو ما يتضمن نقلة نظرية ومنهجية فيما يخص بؤرة الاهتمام. فبدلاً من البحث فى العمليات النفسية الداخلية، أو فى الظواهر البارزة لمثل هذه العمليات، يتجه المتخصصون فى علم النفس الخطابى مباشرةً إلى فحص استخدام اللغة فى التفاعل الطبيعى. وفى عمل ذلك، يفترض هؤلاء المتخصصون أن علماء النفس الاجتماعيين، الذين تناولوا موضوعات كالاتجاهات أو العزو، كانوا ينظرون فى الواقع إلى ظواهر مؤسسة على اللغة، ولكنهم كانوا يفتقدون الأدوات النظرية والمنهجية لاختبار واقعى لكيفية عمل اللغة فى الممارسة، ولهذا السبب يفترض المتخصصون فى علم النفس الخطابى صعوبة تضمين نتائج دراسات العزو إلى المنظور الخطابى (Edwards & Potter, 1992, 1993). ويفترض علم النفس الخطابى أيضا إمكانية دراسة تفكير الأفراد مباشرةً من خلال فحص الطرق التى يتحدثون بها. فعلى مدار المناقشات يمكن أن يحدث التغيير والتغيير المضاد فى مسار الحديث بسرعة لدرجة تشكك فى افتراض أن الجمل

المنطوقة ليست إلا انعكاسًا للتفكير الداخلى أو غير الملحـــوظ (Billig, 1991, 1999; Edwards, 1997; Potter, 1996a). وبالتالى يمكن تحليل تفكيـــر الأفـــراد السياسى مباشرةً من خلال فحص الحديث السياسى، وملاحظـــة الوظـــائف الخطابية والبلاغية المحددة التى تتم من خلال مثل هذا الحديث.

ويترتب على ذلك نتيجة مهمة فيما يتعلـــق بدراســـة البلاغـــة؛ فمـــن المفترض أن يكون التفكير الإنسانى بلاغيًا فى ذاته، مـــع اعتبـــار التفكيـــر الداخلى شكلاً من التمعن أو إقناع الذات (Billig, 1987)، يمكن توضيح موقف علم النفس الخطابى فى علاقته بموضوع الاتجاهـــات، لاسـيما الاتجاهـــات السياسية. فقد اعتاد علماء علم النفس الاجتماعيون النظر للاتجاهات بوصفها بناءات داخلية تنظم استجابات الأفراد نحو منبهات معينـــة، أمـــا الموقـــف البلاغى فيرى الاتجاهات مواقف يتخذها الأشخاص فـــى المـــسائل العامـــة موضع الخلاف (Billig, 1987, 1991)، حيث يُعد اتجاه الفرد ورأيـــه موقفًـــا موجهًا نحو المواقف المضادة أو ضد اللوجوس، ذلك أن الاتجاهـــات هـــى مواقف يتخذها الأفراد فى المسائل المعروف أنه يغيب عنها الاتفاق. فعلـــى سبيل المثال، أن يكون اتجاه المرء مع عقوبة الإعدام يعنى اتخاذه موقفًا ضد إلغاء هذه العقوبة وضد أولئك الذين يطالبون بإلغائها. ويترتب على ذلك مـــا يؤثر على فهمنا لمعنى الاتجاهات. فمعنى قضايا الرأى لا يُشتق من وظيفتها السيكولوجية المفترضة بالنسبة للفرد بل يُشتق من استخداماتها داخل ســـياق الاختلاف. لذلك فلكى نفهم معنى الآراء نحتاج لفحص عمليات إبداء-الـــرأى واتخاذ-موقف داخل سياق الاختلاف والجدال. وبالتالى يوصى المتخصصون فى علم النفس الخطابى بدراسة كيفية إبداء الأفراد آراءهم فى الحديث.

ويوجه بوتر (Potter, 1996a) انتباهًا خاصًا لثلاثة عوامل لهـــا تـــأثير محدد على إعادة التفسير الخطابية لنظرية الاتجاه هى: (١) عنـــدما يـــتكلم الأفراد فهم يبنون تصورات عن العالـــم، و(٢) يؤدون أفعـــالاً بحـــديثهم؛

و(٣) يستخدمون البلاغة. وقد أوضح بوتر هذه الوجهة من النظر فى فحصه المدقق لفاصل سياسى قدم فيه وزير المالية البريطـانى اسـتقالته (انظـر: Edwards & Potter, 1992; Potter & Edwards, 1990). وقد أعطى وزير المالية، ورئيس الوزراء فى ذلك الوقت، والسياسيون المعارضون، كل أعطى رواية مختلفة عن الأحداث التى دفعت إلى الاستقالة. وهذه الروايات لايمكن فهمها بوصفها انعكاسًا "للاتجاهات الداخلية"، أو أوصافًا بسيطة للأحداث فى العالم. لقد كانت التقارير بلاغية بمعنى كونها موضوعة لتفسير، بل الأهم لتبريـر الذات ولإلحاق اللوم بالآخرين. وقد كان المتحدثون، وهم بصدد بناء رواياتهم الخاصة يشوهون بشكل ضمنى أو صريح روايات الآخرين. هكـذا يعتمـد معنى مثل هذه التفسيرات وهذه الاتهامات على سياق الخلاف الذى تُطرح فيه التفسيرات المتضادة. وبهذا المعنى، كان المتحدثون بلاغيين حيث يستخدمون التبرير والنقد، اللذين يعتبرهما البعض مفتاحين أساسيين للجـدل البلاغـى (Perelman & Olbrechts-Tyteca. 1971).

وقد بين بوتر وإدواردز (Potter & Edwards, 1990) كيف أن السياسيين الذين اشتركوا فى ملابسات حدث الاستقالة كان لديهم "مصالح أو رهانـات" فى تقاريرهم. ومع ذلك فإن فكرة المصلحة نفسها غالبًا مـا تتحـول إلـى موضوع خلافى فى الجدل السياسى؛ حيث يرغب السياسيون فـى تـصوير أنفسهم كما لو أنه ليس لديهم دافع خفى، ليوحوا بأن رواياتهم عن الأحـداث غير متحيزة. وفى المقابل، افترضوا أن المنافسين كانت لديهم "مصالح" فـى رواياتهم المضادة للأحداث وبالتالى يوحون أن رويات المنافسين هذه ليـست محل ثقة كتفسيرات غير متحيزة. ويشير بوتر وإدوارد (Potter & Edwards, 1990) إلى هذا التكتيك البلاغى بـــ "التحصن ضد المصلحة". ومن الطرق المستخدمة للتحصن ضد المصلحة أن يقوم المرء بذكر بعض المظاهر البادية الحيادية لدعم مصداقية موقفه. وقد حلل آبل (Abell, 2000) الطريقـة التـى

تحدث بها السياسيون البريطانيون داخل مجلس العموم خلال جدال حول تعامل الحكومة مع أمراض زراعية، وكيف استشهدوا بـ"علماء مستقلين" لدعم مطالبهم السياسية المحددة. كما لاحظ ديكرسون (Dickerson, 1997) فى تحليله لمقابلات سياسية بريطانية، كيف يحدث كثيرًا أن يستبعد السياسيون آراء منافسيهم، غالبًا لكونها مدفوعة بأغراض سياسية، ويطالبون بملاحظين "محايدين" لدعم موقفهم الخاص: "ليس أنا فقط من يقول ذلك" كانت غالبًا ما تستخدم كاستراتيجية بلاغية. ولا تقتصر الاستدعاءات البلاغية التى تهدف لدعم موقف المتحدث على المصادر المحايدة وحدها؛ حيث يفحص أنتاكى ولويدار (Antaki & Leudar, 2001) كيف يستشهد أعضاء مجلس العموم البريطانى بكلمات سابقة لمعارضيهم يستدعونها من سجلات المجلس كسند لمواقفهم البلاغية الخاصة.

يستخدم لوكوتور ورابلى وأوغوستينوس (Le-Couteur, Rapley & Augoustinos, 2001) أيضا فكرة "المصلحة" و"التحصن ضد المصلحة" فى تحليلهم للخلاف السياسى فى أستراليا حول حقوق السكان الأصليين فى الأرض. فهم يفترضون أن استخدام التقارير المكتوبة يُعد مفيدًا بشكل خاص عند مناقشة قضايا عنصرية حساسة؛ فهو يسمح للمتحدث بادعاء أن موقفه يعتمد على "حقائق" أكثر من اعتماده على "مصلحة" أو حتى تعصب (انظر أيضا van Dijk, 1993a، لتحليل خطاب السياسيين الأوربيين عن الهجرة). وبالطبع لا يضمن التحصن ضد المصلحة، مثله مثل أى تكتيك بلاغى، نجاحًا مقنعًا، حيث غالبًا ما يمكن عمل تحركات مضادة (Billig, 1987). ففى مثل هذه الحالات يمكن مهاجمة شخصية أو إثوس ما يسمى المصدر المستقل يمكن مهاجمته، كما يبيّن سيمونز (Simons, 2000) فى فحصه للحديث الاعتذارى لرئيس الولايات المتحدة بيل كلينتون عقب فضيحته الجنسية.

لا تختلف الطرق التى يقدم بها السياسيون التقارير عن أفعالهم جوهريًا عن الطرق التى يروى بها الأفراد العاديون رؤيتهم للأحداث. فعندما يعطى الأفراد آراءهم نادرًا ما يقتصرون على تقرير تفضيلاتهم، إلا إذا طلب منهم ذلك صراحةً، فالحديث الخاص بالاتجاهات ذو طبيعة مزدوجة؛ فالأفراد يقدمون وجهات نظرهم كآراء "ذاتية" خاصة بهم، وفى الوقت نفسه يقدمون تبريرات لمثل هذه الآراء، وتقدم هذه التبريرات كما لو كانت أكثر من مجرد تفضيلات ذاتية (Billig, 1991). بالإضافة إلى ذلك فإن مثل هذا النوع من الكلام يميل للمرونة كما يؤكد بوتر وويزريل (Potter & Wetherell, 1987)، فلا يضع الأفراد المواقف الاتجاهية التى يتخذونها بشكل متماثل فى كل مناسبة يُثار فيها الموضوع؛ بل هم يوجهون تعليقاتهم للسياق البلاغى الذى يتحدثون فيه، تماما مثلما فعل السياسيون الذين درسهم بوتر وإدواردز (Potter & Edwards, 1990). حتى أولئك الذين يُفترض أن لهم وجهات نظر سياسية قوية يظهرون مثل هذه المرونة (Billig, 1991). وفى دراسة وجهات النظر حول الملكية البريطانية حلل بيلليج (Billig, 1991, 1992) الطريقة التى تحدثت بها العائلات الانجليزية عن العائلة الملكية. فى إحدى العائلات، اتفق الجميع على أن للأب وجهات نظر ضد الملكية بقوة. لقد كان دائمًا ما يجادل بشدة مع زوجته وأطفاله حول الموضوع، وفى مناقشاته لم يكن يكرر دائمًا العبارات نفسها، بل يدير مناقشاته بمرونة ليواجه بها آراء الآخرين المعارضة. علاوة على أنه يتنقل بين استخدام البلاغة الجذرية (الراديكالية) والمحافظة إذ هو يستعرض أفكاره مقابل أفكار معارضيه، مقدمًا نفسه فى لحظة كثورى ضد الركود وفى لحظات أخرى كمدافع عن القيم البريطانية. وفى لحظة ما أثناء المناقشة، عندما اتهمه أعضاء الأسرة الآخرون بالشيوعية، أدخل نفسه بقوة فى تصريح متحمس عن وطنيته التقليدية. وفى ذلك لم يكن يفعل أى شىء خارج عن المألوف، حيث تعد قيم المساواة والقيم التقليدية كلتاهما قيمًا مشتركة فى الحس البريطانى المشترك المعاصر.

ويوضح المثال مسألة أوسع عن الطبيعة البلاغية لأنماط الاعتقاد المشتركة. فليست الإيديولوجية أو الحس العام توحيدية، بل هى إشكالية من حيث هى تحتوى قيمًا متناقضة (Billig et al., 1988). وبدون مثل هذه الموضوعات المتناقضة لم يكن من الممكن أن توجد بلاغة أو سجال. وهذا الرأى يمكن توضيحه فى العلاقة بالبلاغيين القدامى الذين نصحوا المتحدثين بتقديم دعاواهم باستخدام "المساحات المشتركة" أو القيم الأخلاقية التى يمكن أن يشترك معهم فيها الجمهور (Billig, 1987). ويُنصح ممثلو الادعاء فى المحاكم بتوظيف المساحات المشتركة "للعدالة"، بينما يُنصح المحامون بالرد بتوظيف معايير "الرحمة". ويُفترض هنا أن المحلفين سيضعون قيمة لكل من العدالة والرحمة. إن محض كون العدالة والرحمة كلتيهما قيمتين معتبرتين ينشئ السجال حول أحقية كل منهما بالتطبيق والمزية فى كل قضية ممكنة. يُحدد الخطاب السياسى نمطيًا باستخدامه المساحات المشتركة أو ما أطلق عليه ماكجى (Mcgee, 1980) "الإيديوجرافات Ideographs". ومثل هذه المساحات السياسية المشتركة تعبر بشكل متكرر عن قيم أيدولوجية أساسية، مثل "الحرية" أو "المسئولية". فتمامًا كما يتوقع من المحلفين أن يضعوا قيمة لكل من العدالة والرحمة، فإن الأنماط المشتركة من الخطاب الإيديولوجى تحتوى على المساحات المشتركة المتناقضة والتى يتم تقديرها معًا. وبهذا فإن هنالك إشكالات أيدولوجية متى ما تعامل المتحدثون والجمهور مع هذه الموضوعات المتناقضة (Billig et al., 1988).

وفى بحثه الرائد، بيَّن موراى إدلمان (Murray Edelman, 1977) الطبيعة المعقدة للغة السياسية الخاصة بالفقر. حيث يستخدم السياسيون بانتظام خطابَى اللوم والتعاطف كليهما، أو المعادل السياسى الحديث لهما "العدالة" و"الرحمة". وكما بيَّن إيدلمان يعبر السياسيون فى المعتاد عن تعاطفهم مع الفقير، وفى الوقت نفسه ينتقدون أولئك الذين يفشلون فى بذل الجهد لتحسين أنفسهم. وتبعًا

لإدلمان؛ فالنتيجة هى أن الفقر يعد مستهجنًا ومحتملاً فى الوقت نفسه. وربما نستطيع القول إن الخطاب السياسى الاصطلاحى يستعين بكل من المساحات المشتركة المحافظة والليبرالية؛ حيث تؤكد الأحزاب واحدة أو الأخرى من المساحات المشتركة دون إن تتخلى تمامًا عن الثانية. والطبيعة المتناقضة التى لاحظها إيدلمان (1977) حول لغة الفقر نجدها أيضا فى موضوعات أخرى. فمثلاً وجد أوغوستينوس وتوفين ورابلى (Augoustinos, Tuffin & Rapley, 1999) أن المتحدثين الأسترال البيض يتعاطفون مع صعوبات ومشاكل السكان الأصليين بينما ينتقدونهم فى نفس الوقت لتقصيرهم المفترض.

وفى الحديث عن قضايا ذات حساسية خاصة، غالبًا ما يتم التعبير عن الطبيعة المتأزمة للفكر بالأسلوب البلاغى الشائع لتقديم وجهات النظر مع إنكار الحيز "أنا لست عنصريًا، ولكن..." وهذا يُعد شائعًا فى الخطابات التى يلقيها السياسيون وأعضاء جماعات الأغلبية عندما تتم مناقشة تشريع تمييزى، كتنظيم الهجرة، فيتم الدفاع عنه كما يحدث انتقاد للمهاجرين (Billig, 1991; Bonilla-Silva & Forman, 2000; van Dijk, 1991, 1992; Wetherell & Potter, 1992). ولا تقتصر الحيلة البلاغية على مسائل السلالة. فعبارة "أنا لست مع التمييز بين الجنسين ولكن.." يمكن أن تُسمع أيضا كتعبير عن المعضلة الفكرية عندما يكون التمييز بين الجنسين مستهجنًا ويطلب الإبقاء عليه فى الوقت نفسه (Edley & Wetherell, 1999; Wetherell, Stiven & Potter, 1987; وانظر Condor, 2000 لإنكار المرء كونه "قوميًا" فيما بين متكلمى الإنجليزية). وفى نطقهم لمثل هذه الصياغات، يؤكد المتحدثون الإثوس الخاصّ بهم، ناكرين أنه يمكن النظر إليهم كمتعصبين، ومع ذلك فإن الإنكار الاستهلالى يُستدل منه على أن ما يتبع كلمة "لكن" يمكن أن يُفهم منه أن المتكلم يتحيز ضده؛ هكذا تسعى المقدمة لنزع سلاح النقد المضاد المتوقع،

مستخدمة استراتيجية أسماها البلاغيون التقليديون "الاستباق" (Billig, 1987). فى هذه الطريقة، يبدو المتحدث مستهجنًا للتعصب، فى حين أن وجهات نظره المنطوقة يمكن الحكم عليها تقليديًا بأنها متعصبة. وبهذا تحاول مثل هذه العبارات إنجاز عدة مهام بلاغية معًا: فهى تهدف إلى وصف أفعال الآخرين (فقراء، أقليات أو أيًا ما كانوا)؛ ولفعل ذلك كثيرًا ما تلجأ لخلخلة القوالب النمطية التى نتوقع أن تستهجنها، كما أنها تؤكد القيم الثقافية المضادة للتمييز، وهى تسعى لتحييد الانتقادات الممكنة، وتدافع عن إيثوس المتحدث. وبهذا المعنى، فإن مثل هذه العبارات، والخطاب السياسى عمومًا فى الواقع، تحوز تعقيدًا بلاغيًا لا يمكن اختزاله إلى وظيفة واحدة بسيطة.

الخطاب السياسى والتماهى البلاغى Rhetorical Identification

مال المتخصصون فى علم النفس الخطابى إلى إعادة صياغة المتغيرات التى عالجها علماء النفس بشكل تقليدى كعمليات داخلية بوصفها أفعالاً بلاغية خارجية. عندما يتم استخدام هذا المنحى على موضوعات سياسية، فإن هذا المنحى يزودنا بطريقة مفصلة لفحص الطبيعة البلاغية للحديث السياسى، وهو أيضا يبيِّن كيف يمكن إعادة صياغة النظرية النفسية الاجتماعية أثناء مثل هذا الفحص. ويمكن رؤية ذلك فى العلاقة بفكرة التماهى، التى يمكن معالجتها كعملية بلاغية أكثر من كونها حالة نفسية داخلية ينتج عنها إحساس بالهوية. ولمناقشة ذلك هنا، سيكون التركيز على الدراسات التى تحلل كلام السياسين أو أولئك الذين يوصفون غالبًا بأنهم "ممثلون للنخبة". ولا يقتصر المنحى الخطابى بأى حال على تحليل الخطاب الرسمى أو خطاب ممثلى النخبة؛ فمن الممكن تمامًا إجراء تحليل خطابى للتماهى فى كلام الأفراد العاديين. على سبيل المثال اختبر بيلليج (Billig, 1991) كيف يعبر الأفراد الإنجليز العاديون عن تماهيهم أو انتمائهم القومى

فى أحاديثهم عن العائلة الملكية البريطانية؛ كما فحص ويذيرل وبوتر (Wetherell & Potter, 1992) التماهى/الانتماء القومى فى نيوزيلاندا كما يعبر عنه فى الحديث عن الثقافة والأقليات والهجرة. وربما يكون من الإنصاف القول إنه حتى الآن لم يسع المحللون الخطابيون لربط دراسة النخبة بدراسات الجماهير لفحص آثار الرسائل بالطريقة التى تطورت بها دراسات ييل. ومع ذلك فإن المنحى الخطابى حذر فى مواجهة السعى لاستكشاف تأثيرات أحادية الجانب، حيث إن المتلقى المفترض يؤثر على الطرق التى يقدم بها المتكلمون من النخبة أنفسهم خطابيًا، وهو مما سنشير إليه.

وقد قدم كينيث بورك (Kenneth Burke, 1969)، فى كتابه بلاغة للدوافع *A Rhetoric of Motives* رؤية بلاغية للتماهى. فقد كتب فى مقدمة الكتاب إن التماهى مفهوم بلاغى مفتاحى يمكن استخدامه لتوضيح "كيف أنه كثيرًا ما يكون هناك دافع بلاغى حاضر حيث لم نعتد تعرفه، أو لا نتصور أن له مكانًا" (p. xiii) وتبعًا لبورك، يقع التماهى فى قلب الإقناع حيث "إنك تقنع إنسانا [هكذا كتب] فقط بقدر ما تستطيع أن تتكلم لغته حديثًا، جلسةً، نبرةً، نظامًا، صورةً، توجهًا، فكرةً، متماهيًا فى أساليبك مع أساليبه" (p. 55) هكذا فإن التماهى مشروع بلاغى- شئ ما على المتحدث إنجازه بلاغيًا. ويقتطف بورك المعيار الذى وضعه أرسطو فى الخطابة: "ليس من الصعب أن تُثْنِى على الأثينيين للأثينيين" (p. 55; Aritotle, 1909, p. 39). وعندما يثنى المتحدثون على ما هو عالى القيمة عند متلقيهم؛ فإنهم يوحون بالتشارك، كما لو أنهم ومتلقيهم يمتلكون ما يسميه بورك "جوهرًا مشتركًا Consubstantiality"، وهو ما يمكن الحصول عليه بسهولة من خلال الإشارة للمساحات المشتركة (Billig, 1987). ففى السياسات المعاصرة يوظف السياسيون كليشيهات عن الحرية والديمقراطية مطمئنين لمعرفتهم أن متلقيهم سيدعمون مثل هذه القيم. وكما أشار بورك، ربما يتمنى المتحدثون إقناع الجماهير

بوجهة نظرهم الخاصة بنقطة معينة، لكنهم لن يمكنهم ذلك إلا إذا سلموا "لهذا المتلقى بآرائه فى نواحى أخرى" (p. 56). ومن ثم، فعلى الخطباء السياسيين افتراض أن السياسة المعينة، التى يدافعون عنها، ستحسن الفضائل العامة التى يتشارك فيها الجميع. وبذلك، يتماهى السياسيون بلاغيًا مع الجمهور، كما أنهم يعززون الإيثوس الخاص بوصفهم متفقين فى قيمهم مع المتلقين.

حدد كينيث بورك نظريته عن التماهى البلاغى فى عبارات عامة، إلا أنها توضح الطريق نحو تحليل خطابى مفصل للأساليب التى يواجه بها المتحدثون جماهيرهم. وقد حلل رايتشر وهوبكنز (Reicher & Hopkins, 1996a) كيف صنف متحدث سياسى معين نفسه لكى يوحى بالتشارك مع الجمهور. وقد تناول المثال برلمانيًا بريطانيًا كان يتحدث مناهضًا للإجهاض لجمهور من الأطباء. وفى مسار حديث أشار إلى أن الأطباء فقدوا حريتهم فى الاختيار وأصبحوا مجبرين على إجراء عمليات الإجهاض. وفى ذلك، تبعًا لرايتشر وهوبكنز، كان المتحدث يحاول "تقديم نفسه كعضو داخل جماعة مشتركة مع المشتغلين بالمهن الطبية، ليُدخِلَهم جميعًا فى فئة مناهضى الإجهاض؛ وليقدم العلاقه بين الهوية الطبية والإجهاض بوصفها منطوية على تناقض" (p. 307).

هذا الحديث بالتحديد أُجرى فى موقف خطابى تقليدى: حيث كان المتحدث يواجه الجمهور الذى كان حاضرًا فيزيقيًّا. أما فى العصر الإلكترونى، فإن متلقين من أنواع عدة يستقبلون الخطاب عبر التلفزيون والمجلات المطبوعة. ويستطيع المتحدث السياسى الماهر مواجهة ما يطلق عليه مايرز (Myers, 1999) "المتلقى المركب". فكما يوضح مايرز من خلال حديث لوزير خارجية سابق، يستطيع المتحدث صياغة رسائل غير متوافقة، بشكل متأن، وفى عقله فئات مختلفة من الجمهور. وبالفعل، كان الحضور فى أحاديث المؤتمر الحزبى التى حللها هيريتيج وجريتباخ

(Heritage & Greatbach, 1986) حضورًا غير بسيط. وقد فحص هيريتيج وجريتباخ استجابات الجمهور الذى كان موجودًا فيزيقيًا فى القاعة والذين بدا أنهم المتلقون المستهدفون علنيًا بخطاب المتحدثين. ومع ذلك، كان الكثير من المتحدثين على وعى بأن نقاطًا كثيرة فى حديثهم ستُنتقل من خلال التلفزيون إلى جمهور أعرض. وبهذا الصدد؛ فإن انتزاع التصفيق كان جزءًا من الرسالة المطلوب نقلها للجمهور الأوسع؛ حيث يتمنى المتحدث نقل رسالة أن الحزب متحد فى فعل التصفيق لقواده. إن مشهد تماهى المتحدث مع الجمهور الموجود فيزيقيًا كان فى حد ذاته رسالة لجمهور آخر خارج القاعة.

فى تحليلهما للخبطة التى ألقاها السياسى المناهض للإجهاض؛ لم يتناول رايتشر وهوبكنز (Reicher & Hopkins, 1996a) بالتحديد الأسئلة النظرية التى وضعها كينيث بورك. فقد كان تركيزهما النظرى على علم النفس الاجتماعى، خاصة النظرية المؤثرة عن الهوية الاجتماعية Self-Identity Theory لتاجفل (Tajfel, 1981, 1984). ونظرية تصنيف الذات Self-Categorization Theory المتفرعة عنها (Turner, 1984; Turner, Hogg, Oakes, Reicher, & Wetherell, 1987، وانظر لمراجعة حديثة لكلتا النظريتين: Capozza & Brown, 2000; Ellemers, Spears, & Doosje, 1999; Robinson, 1996). تمدنا نظرية الهوية الاجتماعية بإطار عمل حصيف لفهم العلاقات بين الجماعات. وفى قلب هذه النظرية تقع سلسلة من الافتراضات حول التصنيف الاجتماعى، والهوية الاجتماعية والمقارنة الاجتماعية، حيث تقول النظرية إن الهوية الاجتماعية تعتمد على التصنيف الاجتماعى، وإن فعل تصنيف العالم الاجتماعى يتضمن افتراضات حول الأفراد الذين يعدون من داخل الجماعة وأولئك الذين يعدون من خارجها. وتضع النظرية عددًا من التنبؤات حول الطرق التى يقارن بها أفراد الجماعة أنفسهم بمن هم من خارجها، وماذا يحدث إذا أدت مثل هذه المقارنات إلى تقييمات غير مرضية

عن الهوية الاجتماعية لمن هو من داخل الجماعة. ولاتوجد مساحة هنا لإنصاف دقة نظرية الهوية الاجتماعية أو تسجيل أهميتها، خاصة فى تطور علم النفس الاجتماعى الأوروبى. أما نظرية تصنيف الذات فتشير إلى أهمية تصنيف الذات الذى يمدنا، طبقًا لترنر (Turner, 1999) بأساس لظواهر نفسية اجتماعية مثل هوية الجماعة، والتماهى، والتنميط وهكذا. وتؤكد النظرية أنه بمجرد أن يصنف الفاعل الاجتماعى نفسه منتميًا لجماعة اجتماعية معينة؛ فإنه يقبل المعايير والقيم والقوالب النمطية المرتبطة بالجماعة. ومن هذا المنطلق، تحاول النظرية بشكل طموح جعل تصنيف الذات المفهوم النفسى الاجتماعى المفتاحى لفهم العلاقات الاجتماعية (انظر Billig, 2002، لمناقشة نقدية للطريقة التى تنطلق بها نظرية تصنيف الذات من نظرية الهوية الاجتماعية، ولحدودها فى التعامل مع موضوع التعصب).

وقد رأى رايتشر وهوبكنز، فى تحليلهما لخطبة المتحدث المناهض للإجهاض (Reicher & Hopkins, 1996a)، أن المتغيرات المفتاح لنظريتى الهوية الاجتماعية وتصنيف الذات تُعد متغيرات خطابية وبلاغية؛ ففى إشارتهم للتصنيف الاجتماعى والمقارنة الاجتماعية، يتحدث منظرو نظرية الهوية الاجتماعية، فى الواقع، عن الأفعال التى يجب أن تتم بلاغيًا. وكما لاحظ إدواردز (Edwards, 1991) فإن التصنيفات تكون للاستخدام فى الحديث، واستخدامها يجب أن يُفهم فى ظل الصفقات أو العمل البلاغى الذى تنجزه. ومن ثم، فإن نظريات، مثل نظرية الهوية الاجتماعية، عندما تطبق فى السياسة، يجب أن تتضمن تحليلاً مفصلاً للأساليب التى يستخدم بها الفاعلون السياسيون الفئات فعليًا، إذ إن الهويات الاجتماعية تُبتدع خلال الحديث (Antaki, Condor, & Levine, 1996; Antaki & Widdicombe, 1998). إن الحديث مرن، والمتحدثون السياسيون سوف يعلنون غالبًا عن هوياتهم لإنجاز نتائج بلاغية محددة، ولهذا فهم يحاولون إبداع جوهر بلاغى مشترك مع

جماهيرهم. وهذا فى الواقع ما كان يفعله السياسى البريطانى المناهض للإجهاض عندما كان يبنى، بلاغيًا، هوية مشتركة مع الأطباء.

وقد بحث رايتشر وهوبكنز (Reicher & Hopkins, 1996b) استخدام تصنيفات داخل الجماعة وخارجها فى أحاديث رئيسة الوزراء المحافظة السابقة مارجريت تاتشر Margaret Thatcher، ونيل كينوك Neil Kinnock، قائد المعارضة العمالية، أثناء إضراب عمال التعدين فى بريطانيا عامى ١٩٨٤-٨٥ (من أجل تحليل بلاغى عام للتاتشرية، انظر Philips, 1996). لقد حاول كل من تاتشر وكينوك أن يجعل من الجماعة التى يتماهى معها أوسع ما يمكن، وبالتالى يصوران الجماعة الخارجية كما لو كانت "محدودة للغاية" (p. 369). فقد أشار قائد العمال، كينوك، إلى "تآكل معاييرنا الاقتصادية، معايير الحرية، والتراحم، والرعاية والفرص" (p. 364). بحديثه بهذه الطريقة؛ كان كينوك يستخدم استراتيجية المساحات المشتركة: فلم يكن أحد من الجمهور ليعلن نفسه مناهضًا "للتراحم" و"الرعاية" و"الحرية"، وبمماهاته لحزبه مع الجمهور ومع أولئك الذين يساندون تلك القيم، كان كينكوك يوحى أن الجماعة الخارجية، والتى كانت جماعة حكومة المحافظين، تمثل أقلية من الأشخاص عديمى الإحساس. وفى المقابل وصفت تاتشر عمال التعدين ومسانديهم "كسلب لكل ما هو بريطانى"، وبذلك كانت تماهى نفسها مع الأمة وأشارت ضمنًا إلى أن معارضيها أعداءٌ قوميون، أو خونة، وهم بالتالى جماعة أقلية صغيرة. وكما يؤكد ريتشر وهوبكنز (Reicher & Hopkins, 1996b)، فإن تصنيفات الذات التى وظفها المتحدثون لتصوير أنفسهم وأحزابهم لم تكن ثابتة بل بُنيت بشكل بلاغى واُستخدمت فى النزاع. ومن ثم، لا يمكن أن يكون تصنيف الذات، مسبقًا، متغيرًا نفسيًا اجتماعيًا سابقًا تنتج عنه الهوية والمكانة والاتجاه، ولكنه فعل بلاغى يدار بشكل مرن داخل السياقات البلاغية.

وفى السياق السياسى فإن إدارة المصالح مع الطريقة التى يخاطَب بها الجمهور يمكن أن تكون معقدة. فقد حلـل رابلـى (Rapley, 1998) الخطبـة الأولى لبولين هانسون عضوة البرلمان المستقلة فى البرلمان الأسترالى، وهى التى تم انتخابها على أساس موقفها المناهض للهجرة. لم تحاول هانسون أن تقوم بأى افتراض صريح لتشارك مع جمهورها المباشر، أى مع زملائها فى البرلمان. بل لقد صورت نفسها بالأساليب التـى تبعـدها عـن الأعـضاء الآخرين. إلا أنها أكدت الطبيعة المشتركة مع الجمهـور الأوسـع خـارج البرلمان، أولئك الأفراد الذين تعرف أنهم سيطلعون بشكل ما على تقارير عن حديثها. وبهذا الشكل فإن الخطاب كان يوجه بلاغيًا للجمهور المباشر بوصفه جماعة أقلية خارجة. ادعت هانسون الحديث "بوصفها أسترالية عادية فحسب" لا "كسياسية لامعة"، منشئة لنفسها بذلك هوية لنفسها هى جزء من الإيثـوس الخاص بها. وقد كانت هذه الهوية تُستخدم لدعم مصداقية ادعاءاتها السياسية ولتفنيد المواقف المضادة لخصومها. فقد أدعت، على سبيل المثال أن "رؤيتى للقضايا تعتمد على الحس العام، وخبرتى كوالدة لأربعة أطفال، وكأم وحيدة، وكأمرأة عاملة تدير مطعمًا شعبيًا للسمك والبطاطس" (مقتطف فى: Rapley, 1998, p. 331). وكما يلاحظ رابلى، أبعدت هانسون نفسها عـن الـسياسيين، الذين يعارضون بشكل كبير خطاباتها التى تناهض الهجرة مباشـرة. وفـى تقديم نفسها كأم وحيدة وامرأة عاملة، كانت هانسون تـوحى بتـشارك فـى الاهتمامات والمصالح مع "الأفراد العاديين"، أو "الأستراليين العاديين"، مقابل اهتمامات ومصالح الأقليات من السياسيين والمهاجرين. وبهذه الطريقة، تـم التعامل مع الموقف السياسى الحساس، وتم توجيه النقد من خلال الكيفية التى قُدمت بها الذات، واستيعاب أو فهم الجمهور المركب من مستمعين قـريبين وبعيدين.

وقد استخدم هذا النمط من التحليل للقول بأن نظريةً نفسيةً للتماهى، كنظرية تصنيف الذات ينبغى فهمها فى إطار الفعل البلاغى أكثر من فهمها فى إطار المعالجة المعرفية الداخلية. ففى السجالات السياسية؛ يمكن للفئات التى تُستخدم لوصف جماعة الشخص الخاصة، والأخرى التى تستخدم لوصف الجماعات السياسية المعارضة، يمكن لهذه الفئات نفسها أن تكون نفسها محل خلاف. وقد أوضح لويدار ونيكفابيل (Leudar & Nekvapil, 2000) ذلك فى تحليلهما المفصل للمناقشات فى الإعلام التشيكى التى جرت بين القادة التشيك الرومان[١٤٥]/الغجر والقادة التشيك غير الرومان/الغجر. فالمصطلحان التشيكيان اللذان يتساويان فى الإنجليزية وهما "الغجر" و"الرومان"، يحمل أولهما نغمة تهكمية حيث تصاحبه قوالب نمطية غير مستحبة. وقد أصر منتقدو الرومان على استخدام مصطلح "جبسى"، ذلك بينما ينكرون تعصباتهم. بينما اهتم قادة الرومان بشكل خاص بالإصرار على مصطلح "رومانى"، وعلى الربط بين هذه الفئة وكثير من النعوت الجديدة المستحبة. وفى هذا الصدد فقد سلك القادة الرومان بالطريقة التى تتفق مع تنبؤات نظرية الهوية الاجتماعية، والتى تفترض أن الجماعات ستحاول تغيير الفئات السلبية داخل الجماعة، وستفعل ذلك من خلال البحث عن أبعاد جديدة للمقارنة مع خارج الجماعة. هكذا؛ فبدلاً من أن يتمنوا أن تتم مقارنتهم بالتشيك غير الرومان فيما يخص معدلات الإجرام، قام الرومان بمقارنات تخص درجة الإبداعية. وما يبينه لويدار ونيكفابيل (Leudar & Nekvapil, 2000) هو أنه يلزم أن تتم مثل هذه الأفعال "خطابيًا". فإجراء المقارنات مع جماعة خارجية، ووضع أبعاد جديدة للمقارنة، وتصنيف الجماعة الداخلية، تُعد جميعها أفعالاً بلاغية يعتمد إنجازها على تفاصيل بلاغية رهيفة، يتم

---

(١٤٥) Romany، وهم الغجر (Gypsy)، ويبدو، كما سيتضح من السياق أن للغة التشيكية أيضا مصطلحين يشيران للفئة نفسها من البشر. (المترجم)

تفعيلها فى سياق المناقشة، ويتم توجيهها لمتلقين معينين. ومن هذا المنظور، فإن منحى نفسيًا مثل نظرية الهوية الاجتماعية يجب أن يرتكز على تحليلات خطابية مفصلة للأفعال البلاغية عند تطبيقه علـــى المتحـــدثين الـــسياسيين. ويمكن أن تمتد هذه النظره لتشمل الأفراد العاديين إذ يتحدثون فى المـــسائل السياسية ويؤكدون هوياتهم الخاصة من خلال مثل هذا الحديث. ويمكن القول إن للمنحى الخطابى الكثير ليقدمه لدراسة ما يُطلق عليه "سياسات الهويـــة"، حيث تبنى الهوية، بشكل عام، خطابيًا، إذ تُـــستخدم فئـــات الهويـــة وتُفنَّـــد اصطلاحيًا فى الخطاب السياسى.

بلاغة "النحن" و"الهُم"

تؤكد نظرية الهوية الاجتماعية أهمية التصنيف الاجتماعى فى خلـــق الهوية الاجتماعية. ففى سلسلة من التجارب المعملية، بيَّن تاجفل كيف كـــان فرض فئة اجتماعية عديمة المعنى كافيًا لخلق هوية اجتماعية ولو فـــى حـــد أدنى، وهو ما أدى إلى تفضيل المشاركين لجماعتهم الخاصة وتمييزها ضـــد أعضاء الجماعة الخارجية (Tajfel, Billig, Bundy, & Flament, 1971). وقـــد أُنشئت هذه التقسيمات داخل الجماعة فى المعمل بشكل بلاغى مـــن خـــلال كلمات المجربين، التى استقبلها واشتغل عليها المشاركون. وقد أكـــد تاجفـــل (1981) أن التصنيف الاجتماعى قسم العالم الاجتماعى: لم يكـــن ممكنًـــا أن تكون هناك جماعة داخلية بدون جماعة خارجية. ومن هذا المنطلق فإن هوية "النحن" للجماعة الداخلية تتضمن "هُم" المضادة التى لم تكن تنتمى للجماعـــة الداخلية. وقد أشار ساكس (Sacks, 1992) من وجهة تنظيرية مختلفة تمامًـــا، إلى شئ مشابه، وذلك بمفهومه عن "فئة العضوية". فـــإذا كـــان التـــصنيف الاجتماعى يعتمد على أفعال اللغة، يصبح من المهـــم أن نختبـــر اســـتخدام "النحن" و"الهُم" فى تفاصيل البلاغة السياسية. وسوف تتموضع عمليات تشكل

الولاء للجماعة الداخلية السياسية والقومية، وكذلك العمليات التى يطلق عليها ريجينز (Riggins, 1997) لغةَ "صناعة الآخر"، داخل مثل هذه البلاغة.

تظهر خطابات "النحن" و"الهُم" فى بعض السياقات بطريقة ناصعة نسبيًا. ويمكن حدوث ذلك فى حالة ما إذا انحاز المتواصل صراحة إلى أحد الجوانب فى سياق صراع بين الجماعات. سيقارن المتواصل جماعته، مفضلاً إياها، مع الجماعة الخارجية، هذا بينما هو يماهى ذاته وجمهوره المتخيل مع الجماعة الداخلية. ويوضح شولياراكى (Chouliaraki, 2000) كيف وضعت الطبقة الوسطى فى اليونان، لغويًا، عند التقرير فى قضية قبرص، "النحن" اليونانى غربيًا مدافعًا، بينما "الهُم" الأتراك يُصورون عدوانيين وأغرابًا. وقد فحص أوكتار (Oktar, 2001) خطاب "النحن" و"الهُم" فى الصحافة التركية فيما يخص الدين والعلمانية، حيث أكدت كل من الصحف الدينية والعلمانية إيجابية خصائص "النحن" وسلبية خصائص "الهم"، بينما أخفت الخصائص السلبية "لنا" والخصائص الإيجابية "لهم" (انظر أيضا Thetela, 2001، من أجل تحليل لغويات "النحن" و"الهُم"، وكذلك القوالب النمطية القومية والسياسية، فى تقارير الصحافة الخاصة بتدخل جنوب أفريقيا فى ليسوتو).

وقد لاحظ بعض اللغويين إمكان غموض الاستخدام السياسى للضمائر فى الخطاب السياسى (Seidel, 1975; Wilson, 1990). فضمير المتكلم فى الإنجليزية، كما هو الحال فى عديد من اللغات الأوروبية الأخرى غامض، حيث يمكن استخدام الـ "نحن" للتحديد وللشمول كليهما (Mühlhaüsler & Harré, 1990). فيمكن للسياسى أن يستخدم "نحن" لتشمل الجمهور الموجه إليه الحديث أو لتستبعده. وفى الخطاب الشمولى تستخدم "نحن" فى الغالب بشكل إقصائى. ويعلق إلاى (Ilie, 1998) فى تحليل بلاغى لخطاب حكومة شاوشيسكو فى رومانيا أن الاستخدام الإقصائى "لنحن" يمكن أن يكون مُغَرِّبًا.

فعلى سبيل المثال يمكن تفسير عبارة "نحن نبنى الاشتراكية والشيوعية مع الشعب ومن أجل الشعب" كما لو كانت "نحن" الحكومة تستبعد الـ "شعب" الذى هو مستقبل الرسالة (Ilie, 1998, p. 68; ولتحليلات أخرى حديثة للسانيات الخاصة بالخطاب الشمولى انظر: Galasinski & Jaworski, 1997; Xing Lu, 1999).

يحمل استخدام "النحن" فى الخطاب السياسى تناقضًا معتادًا، حيث يظل من غير الواضح ما تشير إليه هذه الـ"نحن". لقد نظر ويلسون (Wilson, 1990) وميتلاند وويلسون (Maitland & Wilson, 1987) لتناقض استخدامات ومعانى "النحن" فى أحاديث السياسيين، خصوصًا فى أحاديث مارجريت تاتشر عندما كانت رئيسة لوزراء المملكة المتحدة. فقد كان من الممكن أن تتنقل بين استخدامات متباينة للـ"نحن" أثناء الحديث الواحد نفسه، بل فى حدود جملة واحدة فى الواقع، ودون أن تحدث لبسًا. كانت هناك دائرة "نحن" آخذة فى الاتساع. فمثلاً، "نحن" قد تشير إلى "نحن الحزب المحافظ"، و"نحن، الحكومة"، و"نحن، المتحدث وجمهوره المباشر" ولكن أيضا "نحن، الأمة"، والأهم إطلاقًا "نحن، كل الأفراد الذين يفكرون بشكل سليم"، وهذه الـ "نحن" الأخيرة توحى بما أطلق عليه بيرلمان "الجمهور الشامل" (Perelman & Olbrechts-Tyteca, 1968 Perelman, 1979). وقد كانت فكرة الجمهور الشامل بين المحللين البلاغيين محل خلاف؛ ومع ذلك، فهى مما يمكن فهمه بوصفه خاصية جوهرية للسجال البلاغى. فالمتحدثون، سواء أكانوا سياسيين محترفين أم أفرادًا عاديين؛ لا يعرضون آراءهم كما لو كانت آراءً شخصيةً صرفًا، حيث إنهم عندما يقررون آراءهم فإنهم عادة ما يبررون موقفهم (Billig, 1991; Schiffrin, 1985)، فالمنطوقات التى تسير على وتيرة "أنا أعتقد أن س لأن ص" تنقل ازدواجيةً ما؛ فهى تتضمن أن الموقف شخصى، وفى الوقت نفسه تتضمن أن مبررات الموقف صادقةٌ إطلاقًا؛ ومن ثم فهى ليست ذاتية وحسب.

يمكننا أن نجد هذا الازدواج فى الأحاديث السياسية، خاصةً فى علاقته بغموض "النحن" على الرغم من أن المتحدث يحدث جمهورًا معينًا، فإن حدود "نحن، الجمهور" يمكن أن تترك مبهمة. وبتقديمه للأسباب والمبررات، ينقل المتحدث أن موقفه مبرر تبريرًا شاملاً للجميع، وبالتالى ضمنًا سيكون موقفه هذا جذابًا "لجميع المتلقين". هكذا يمكن أن يستخدم المتحدث "نحن" غير معرفة ببلاغة المساحات المشتركة، مؤكدًا، على سبيل المثال "نحن علينا أن نقف ضد أعداء الديمقراطية" فمثل هذه العبارة ستجمع بين "نحن" شاملة وأخرى محددة دون تعيين من تشير إليهم هذه الـ"نحن" تحديدًا. وهذا القصور فى التحديد، بعيدًا عن كونه مربكًا، له قوة بلاغية خاصة؛ فهو يفترض "هوية للهويات"، كما لو أن كل هؤلاء الذين يندرجون فى إطار الجمهور المحتمل يشكلون وحدة (Billig, 1995; Wilson, 1990): وبهذه الطريقة يمكن بلاغيًا تقليص جماعة المعارضين لنا، الخارجة عنا (Reicher & Hopkins, 1996b) فالجماعة الخارجية – الـ "هم" الضمنية التى تحيل إلى المعارضين "لنا" – يصورون بلاغيًا، لا كمعارضين لـ "نحن" فحسب بل كمعارضين للمبادئ العالمية التى ماهَيْنَا بها "نحن- أنفسنا" وجمهورنا أيضا. وكل ذلك يتم بلاغيًا بالاستخدام الروتينى الغامض لكلمات صغيرة مثل "نحن"، وبالاستخدام السهل المعتاد للكليشيهات السياسية.

ويلعب استخدام "نحن" دورًا بلاغيًا مهمًا فى الخطابات القومية؛ فالأمم ليست فئات موضوعية بل هى، كما يقول بنديكت أندرسون (Benedict Anderson, 1983)، "مجتمعات متخيلة". وتواريخ هذه الجماعات، وإحساسها بالجماعية، والمصير المشترك، كل هذا يتم بناؤه أو "تخيله". ومثل هذا البناء المتخيل "للنحن" يحدث -نموذجيًا- مع ارتقاء الحركات القومية أثناء صراع الاستقلال أو إنشاء دولة-الأمة (Hroch, 1985; Reicher & Hopkins, 2001). وقد بيَّن كاربو (Carbó) كيف استخدمت الضمائر، لاسيما

"نحن" و"هم"، لتكوين صورة للمجتمع القومى أو الجماعة الوطنية فى تـاريخ المكسيك (انظر أيـضا: de Cillia, Reisigl, & Wodak, 1999، لتقريـر عـن استخدام الضمائر فى خطابات الهوية القومية فى أستراليا). ويقـول بيلليـج (Billig, 1995) إن الباحثين فى القومية ركزوا عادة على القومية "الساخنة" فى إطار الحركات القومية الفعلية، التى بُنِيَت سياساتها حول الرغبة فى إنـشاء دول-أمم جديدة، أو على الأقل تغيير الحدود الوطنية القائمة، وفى ذلك تميل تلك السياسات إلى تجاهل القومية المستقرة "السهلة المعتـادة" أو الروتينيـة لدول-الأمم المستقرة (انظر أيضا Condor, 2000, 2001، من أجل مناقـشات حول خصوصية مسألة القومية فى علاقتها بنظرية الهوية الاجتماعية) ومـا إن تستقر دولة-الأمة، يتضح شكل أكثر روتينية أو اعتيادًا للقومية: فتعلَّـق الأعلام خارج المبانى العامة بدلاً من التلويح بها بوصفها رمـوزًا سياسـية واضحة. وفى الحديث السياسى، الذى سيُنقل يوميًا عبر وسـائل الإعـلام، سيتحدث السياسيون -روتينيًا- إلى جمهور قومى و"نحن" قومية. وكثيرًا ما يبدأ رؤساء الولايات المتحدة أحاديثهم التلفزيونية بعبـارات مثـل "إخـوانى الأمريكيين"؛ وبهذه الطريقة، يتم التوجه إلى الجمهـور الـوطنى المتخيـل. ويُمَجَّد الجمهور عندما يذكر المتحدث الحسنات المفترضة فـى الشخـصية الوطنية المتصورة (Billig, 1995، وانظر لتحليلات عـن الوطنيـة الـسهلة المعتادة فى السياسة التركية: Yumal & Özkirimli, 2000, Özkirimli, 2000).

وبشكل أكثر عمومية، غالبًا ما تُعد دولة-الأمة إطارًا مرجعيًا للخطاب السياسى، وتنقل هذا الإطار المرجعى كلماتٌ صغيرة ليست بـؤرة الانتبـاه البلاغى. وفى الواقع، فإن "نحن" لاتُعد ضرورية لاستثارة فكـرة المجتمـع المتخيل، فكثيرًا ما يفترض أن الأمة هى سياق الخطاب. يـسمع المتلقـون تعريفات مانعة بـ "ال" فى كلمات مثل الـقائد أو الـرئيس: فى مثـل هـذا تنقل الألف واللام الإطار الوطنى، على أساس أن أى قائد أو رئـيس دولـة

آخر لن يكون القائد أو الرئيس (Billig, 1995). وبالمثل، فى مثل هذا الخطاب، يفترض أن الاقتصاد هو اقتصاد أمة المتحدث والجمهور (Rae & Drury, 1993). بالإضافة إلى ذلك؛ فإن السياسيين، فى إنكارهم أن لهم مصلحة شخصية فى الموضوع، سيقولون بشكل روتينى إنهم يعملون من أجل البلد (Dickerson, 1998). وقد حلل آشار (Achard, 1993) العبارة الآتية فى صحيفة بريطانية: "أدى ضغط الحكومة على الكليات إلى زيادة درامية فى عدد الطلاب المقبولين". يشير آشار إلى أن إطار النص هو الأمة، دون أن يكون ذلك محددًا؛ وهو يعلق بأن "بريطانيا هى الكون بالنسبة للخطاب الجارى"، على الرغم من حقيقة أن "المصطلح "نحن" لا يُستخدم، ولا تُستهدف وجهة نظر خارجية بالنسبة لهذا الكون (p. 108، وانظر لتحليلات مطولة عن خطاب الوطنية فى خطابات سياسية متنوعة: Reicher & Hopkins, 2001). وبهذه الطريقة يتم تذكير مواطنى دول-الأمم المستقرة، روتينيًا وبسهولة واعتياد، بهويتهم القومية. علاوة على أن عالم دول-الأمم يبدو خلفيةً بلاغيةً لجزء كبير من الخطاب السياسى المعاصر. وبهذه الطريقة، "يُطَبِّع" مثل هذا الخطاب عالم دول-الأمم (Billig, 1995).

فى خطاب "النظام العالمى الجديد" لرؤساء الولايات المتحدة منذ سقوط الشيوعية يمكن التقاط توسعة إضافية للـ "نحن"؛ فـ "نحن" التى تشير إلى الدولة القومية فى الولايات المتحدة يمكنها الآن أيضا أن تدل، فى عبارات السياسة الخارجية، على "نحن" الخاصة بالنظام العالمى الجديد، والتى يشير ديردريان (Der Derian, 1993) إلى أنها تستخدم "لوصف نظام للأمن الجماعى تقوده الولايات المتحدة، وتدعمه الأمم المتحدة" (p. 117). ومن المفترض، فى خطاب النظام العالمى الجديد، أن تتساوى اهتمامات"نا" (القومية) مع اهتمامات النظام العالمى: واستبدال "نحن، العالم" بـ "نحن، الأمة" ينجز بشكل بلاغى هذا الإحساس بالهوية فيما سُمِّى "التركيب اللغوى للسيادة"

(Billig, 1995). علاوة على أن "نحن" التى تحيل للتحالف السياسى تدل أيضا من خلال استخدامها فى المناظرة على "نحن" العالمية؛ للإيحاء بأن التحالف المحدد يدافع عن الأخلاق العالمية. وقد كانت هذه الاختصارات البلاغية شائعة فى الأحاديث التى ألقاها جورج بوش الأب أثناء حرب الخليج، إلا أنها ربما توجد بشكل أكثر عمومية فى خطاب السياسة الخارجية للولايات المتحدة (Billig, 1995). ومرة أخرى، تنقل البلاغة خطابًا لجمهور سياسى غير محدد، وإلى الجمهور العالمى المتخيل أيضا.

الإسقاط واللغة

يمدنا الاستخدام الإقصائى للـ "نحن" فى الخطاب السياسى بأساس الخطاب عن الـ"هُم"، الذين من المفترض أن يختلفوا "عنا". فكما أكد تاجفل (Tajfel, 1981)؛ فإن محض فعل التصنيف الاجتماعى يتضمن أن هناك جماعتين: الداخلية والخارجية. ومن ثم تعتمد الهوية الاجتماعية على إحساس بالآخرية، تمامًا كما تعتمد على الإحساس بالتشارك. ويثير ذلك مسألة العوامل النفسية الديناميكية التى تم استكشافها فى إطار سيكولوجية التعصب (خاصة: Adorno, Frenkel-Brunswik, Levinson, & Sanford, 1951; Frosh, 1997, 2002; Kristeva, 1991Kovel, 1995). لا تعتمد صورة "الآخر" على الخصائص التى تمتلكها الجماعة الخارجية بالفعل، بل هى ربما تمثل آخر متخيلاً تتجسد فيه كثير من الخصائص التى تنكرها الجماعة الداخلية على نفسها. وطبقًا لنظرية التحليل النفسى؛ فإن مثل هذا الإنكار يمكن أن يكون وسيلة لكبت احتمال أو إمكان أن تتصف الذات بمثل هذه الخصائص غير المرغوبة. ومن هذا المنطلق يمكن أن يصبح الآخر مشروعًا للأمانى المُنْكَرَة، مما ينتج عنه أن تعكس قوة الشعور ضد الآخر مثل هذا الإنكار.

ويوجد بعد بلاغي قوي في مثل هذا الإسقاط، الذي يتأسس في الأحكام على الذات (أو الجماعة التي تنتمي إليها الذات) وعلى الآخر. وفي الواقع، فإن نمو علم النفس الصناعي واتساعه جاء تحديدًا لاستيعاب العوامل النفسية الدينامية (Billig, 1999, 2002;، وانظر أيضا: Parker, 1998). وطبقًا لهذا المنظور، ينظر للغة بوصفها معبرة وكابتة في الوقت نفسه، حيث يُفترض أن على المتحدثين أن يكتسبوا مهارات الكبت أثناء اكتسابهم للمهارات اللغوية. علاوة على ذلك، فإن مهارات الكبت تتأسس على المهارات البلاغية الخاصة بتغيير الموضوعات ولوم الآخرين (انظر: Billilg, 1999 لمزيد من التفاصيل). ويعني ذلك أنه لو كان المرء يتمنى فحص الإسقاط أو دفاعات الذات الأخرى في الخطاب السياسي؛ فإن عليه أن يرى الإسقاط خاصيةً بلاغيةً أكثر منه تجليًا خطابيًا للعمليات العقلية الأعمق والتي هي بالضرورة عمليات عقلية غير بلاغية.

وتلعب الإحالة للآخر دورًا مهمًا في الخطاب القومي المتعصب، والموجه للخارج، حيث إن "نحن" الجماعة المتخيلة بلاغيًا تشير ضمنًا لآخرين خارج الجماعة الداخلية. ففي الخط الأساسي للخطاب السياسي المناهض للهجرة في الولايات المتحدة وأوروبا، يحذر السياسيون من إنكار عنصريتهم الخاصة في حين أنهم، في الوقت نفسه، ينشطون صورًا معارضة "لنا" عن المهاجرين (انظر: van Dijk, 1991, 1992, 1993a، من أجل تحليلات لأساليب الإنكار والتهدئة التي يتسم بها هذا الخطاب). وفي مثل هذا الخطاب تُصاغ صورة عن الآخر بوصفه "غير سوي"، أو يُعامل ككيان مختلف بشكل إشكالي (Verkuyten, 2001). ولا تُعد الإنكارات نفسها مؤشرات ضرورية للإسقاط؛ فاحتمال الإسقاط يقوى عندما يكون هناك شك في أن الخصائص المنسوبة للآخر تعكس أماني غير معترف بها مرتبطة بالذات. وكما أشار أدورنو (Adorno, 1951) فقد كانت لمروجي الدعاية المضادة للسامية قوة لم

تكن هناك إمكانية لتفسيرها بعبارات عقلانية، حيث عكست صـور اليهـود نفسية المتعصبين أكثر مما عبرت عن الخصائص الفعليـة لليهـود. وهـذا الافتراض يكمـن وراء كتـاب الشخـصية الـسلطوية *The Authoritarian Personality* (Adorno et al., 1950). وكذلك وراء فحص إريك فروم المبكـر لحركات معاداة السامية (Fromm, 1942)، وأيضا وراء الفحص الكلاسـيكى لنورمان كون لأسطورة التآمر اليهودى العالمى فى الدعاية النازيـة (Cohn, 1967) كذلك ينطبق فى هذا النمط ذلك التعصب الحالى فى شرق أوروبا ضد الرومان (الغجر). فقد أصبح "الغجرى" الصورة المكروهة للقذارة وللتحـرر من قيـود الحيـاة المعاصـرة (Helleiner & Szuchewycz, 1997; Leudar & Nevkapil, 2000, وانظر مراجعة لتاريخ كراهيـة الغجـر: Mac Laughlin, 1999). وهكذا فإن قوة الكراهية فى بعض الحالات تجعل الفـرد يظـن أن النطق بمثل هذه القوالب النمطية قد أصبح وسيلة الكاره لإنكار جاذبية القذارة والحرية، ولكى يعيد تأكيده على التزامه بقيـود الحيـاة العـصرية كثيـرة المطالب. وبهذه الطريقة، فإن الآخر المكروه يمثل الخصائص التى يتمنـى الكارهون إنكار كونهم منجذبين لها.

وربما يمكن تفسير القضايا السيكودينامية الأخـرى داخـل خطابـات الكراهية السياسية. ففى النظرية الفرويدية، تُطلق النكات لتعبر عن الأمـانى التى لا يمكن التعبير عنها مباشرةً بسبب التابوهـات الاجتماعيـة (Freud, 1905/1991; Legman, 1969). ويمكن أن يُستخدم هذا الافتراض لتفسير النكات السياسية (Benton, 1988; Speier, 1998;، ولمراجعة عامة لدور الفكاهة فـى الحياة الاجتماعية انظـر: Billig, 2001a). فحيـث توجـد تابوهـات ضـد العنصرية، من الممكن أن تُطلق نكتة عنصرية كوسيلة لنطق أفكار عنصرية تحت غطاء عدم الجدية؛ وبالتالى تؤكد القوالب النمطية التى تنطوى عليهـا الفكاهة (Husband, 1988; de Sousa, 1987; وانظر Lockyer & Pickering, 2001

لمناقشة عن الطريقة البلاغية لصياغة الشكوى من الفكاهة الجارحة). وفـــى أوساط اليمين العنصرى المتطرف تمامًا، لا توجد مثل هذه التابوهات ضـــد التعبير عن الرؤى العنصرية، ولكن النكات العنصرية تستمر. وفى الأحزاب اليمينية المتطرفة، هناك غالبًا توتر بين السياسات الظــاهرة التـــى تحتـــرم الديمقراطية، وإيديولوجية داخلية لا يمكن التعبير عنها بشكل منفـــتح تمامًـــا (Blee, 2002; Billig, 1978). ويشير بيللنج (Billig, 2001b)، على أساس فحص فكاهة كيو كلوكس كلان (Ku Klux Klan)، حيث تهـــزأ النكتـــة مـــن قيـــود العقلانية وتعبر عن عنف مباشر، ينبغى أن ينكر فى مواقف أخرى. ومن هذا المنطلق تكشف النكتة العنصرية العنيفة عن المتع والخيالات المتعلقة بالعنف العنصرى، داخل سياسات الكراهية غير المبررة أو المعقولة، والتى غالبًا ما تدعى معقوليتها الخاصة فى السياقات العلنية.

وعلى مستوى أقل حدة؛ فإن أنماط المعتقدات التى توصف بأنها "أثـــر الشخص الغائب Third person effect " (نسبة إلى ضمير الغائب)، ربما تشير إلى آلية دفاعية مؤسسة خطابيًا، ومشتركة اجتماعيًا، وهى آلية للدفاع عـــن الأنا. والمقصود بـــ"أثر الغائب" الاعتقاد بأن الآخرين أكثر تـــأثرًا بالدعايـــة السياسية السلبية من تأثر الفرد نفسه. وفى المقابل لا يميـــل الأفـــراد إلـــى الاعتقاد بأن الآخرين أكثر تأثرًا بالرسائل الإيجابية الاجتماعية من تأثرهم هم أنفسهم. وقد وجد هذا التأثير بشكل واسع فى الجماهير المعاصرة، لاسيما فى علاقته بالدعاية السياسية (على سبيل المثال: Davison, 1983; Duck, Hogg, & Terry, 1995; Duck & Mullin, 1995; Hoorens & Ruiter, 1996). وتبـــين الدراسات الكيفية أيضا كيف يدعى الناس أن الأفراد الآخرين من الشعب هم من يسهل خداعهم سياسيًا (Dickerson, 2000,). وقد وجد بيلليج (Billig, 1991) موقفًا مماثلاً من المعتقدات فى الحديث عن العائلة الملكية البريطانية، حيـــث انتقد المتحدثون فى الغالب تقارير الصحف عن الفضائح الملكية وادعوا بأن

الصحف قد نشرت الأسرار الملكية فقط لأن الآخرين، وليس هم أنفسهم، كانوا مهتمين بمثل هذه التفاصيل بالإضافة إلى أنهم ادعوا أن الآخرين كانوا متأثرين بالصحف غير الدقيقة لكن هم أنفسهم قد تعلموا كيف "يقرأون ما بين السطور".

ويعد تأثير الغائب مثيرًا للاهتمام لعدد من الأسباب؛ فهو أولاً يبين أنه فى دراسة الاتصال الجماهيرى لا ينبغى الاكتفاء بدراسة تأثيرات النخبة على العامة وحسب؛ فلأفراد الجمهور المتلقى رؤاهم عن عملية التواصل نفسها وتأثيرها عليهم وعلى الآخرين، وتُعد هذه الرؤى نفسها جزءًا من عمليات التواصل مع الجماهير، ومن ثم فهى بحاجة لأن تُدرس بدورها. ثانيًا، يعطى البحث أمثلة لكيف يمكن أن ترتبط العوامل السيكودينامية بالعوامل البلاغية والفكرية. وإننا نفترض أن ظروف الحياة الاجتماعية المعاصرة يمكنها أن تخلف معضلات مهددة. والأفراد يعتمدون اليوم، بشكل أولى، على وسائل الإعلام من أجل الحصول على المعلومة السياسية، ذلك على الرغم من شيوع عدم الثقة فى وسائل الإعلام خاصة المطبوعة منها. فإذا وصلنا بغياب الثقة هذا إلى مداه، وحاولنا أن نستنتج نتائج منطقية ونفسية؛ فإننا نتوقع ألا يثق الأفراد فى معتقداتهم الخاصة: سينتج نقص جماعى فى ثقة المرء فى معتقداته الخاصة. ومع ذلك، فإن هناك إمكانية لاستجابة دفاعية اجتماعية مشتركة: يمكن ادعاء أن "الآخرين" يمكن خداعهم، أما أنا فقادر على تقييم المعلومات التى تطلقها وسائل الإعلام. وإذا كان الأمر كذلك؛ فإنه هناك – إذن– استجابات دفاعية تُبنى لدى الجماهير. ليس هذا وحسب، بل وهناك أيضا فصل للآخر عنى؛ حيث يعتمد الأثر على التمييز بين الذات التى تدرك المغزى، والآخرين الذين يتعرضون للخداع. بالتالى يتم الاشتراك فى نمط خطابى للتفسير، كرؤية إيديولوجية ذات ملامح سيكودينامية مدافعة عن الذات. هنا نجد، ضمنًا، أن "صناعة الآخر" ليست خاصية للتعصب المتطرف وحده؛ بل هى مكون للخط الرئيسى فى الاستجابات السياسية.

يفسر كل ذلك أهمية العوامل البلاغية فى الخطاب السياسى. كثيرًا ما ركز المحللون الخطابيون، تقليديًا، على خصائص للحديث كالمجازات، أو على الرمزية "الهائلة" للخطاب السياسى. ومع ذلك، فإن من الأمور القابلة للنقاش أن تلعب كلمات قليلة فى الخطاب السياسى -مثل "نحن" و"هم"- أدوارًا حاسمة ومركبة ومن السهل إغفالها. بالإضافة إلى ذلك؛ تُعد مثل هذه الكلمات الصغيرة حيوية للتأسيس البلاغى للعوامل النفسية والدينامية/النفسية كالتماهى والإسقاط. وتتطلب دراسة هذه الكلمات الصغيرة تحليلات خطابية مفصلة من النمط الذى يمارسه الآن المتخصصون فى علم النفس الخطابى. إن مشروع علماء النفس الخطابيين هو توضيح كيف أن العوامل الفكرية والبلاغية والنفسية مستوعبة ويعاد إنتاجها فى ثنايا الحديث السياسى.

mation of the media. If this is so, then not only are defensive reactions built into the conditions of mass publics today but also is the divisiveness of "othering", for the effect depends upon a distinction between the sense-making of the self and the gullibility of others. Consequently, a discursive pattern of interpretation is shared as an ideological view that has psychodynamic ego-defensive features. The implication is that "othering" is not merely a feature of extreme prejudice but it is a component of mainstream political reactions.

All this demonstrates the importance of rhetorical factors in political discourse. Traditionally rhetorical analysts have often concentrated on figures of speech such as metaphors or on the "big" symbolism of political discourse. However, it is arguable that the little words of political discourse—such as "we" and "they"—play crucial, complex, and easily overlooked roles. Moreover, such little words are vital for the rhetorical constitution of psychological and psychodynamic factors such as identification and projection. The study of the little words demands detailed discursive analyses of the type that discursive psychologists are now pursuing. The project for discursive psychologists is to show how ideological, rhetorical, and psychological factors are contained and reproduced within the details of political talk.

Note

1. Robert Jervis (personal communication, 2002) points to an episode when the communication following a party speech had a direct effect on political action. When a speaker nominating Woodrow Wilson for reelection in 1916 used the phrase "he kept us out of war," the convention delegates spontaneously broke into prolonged applause, shouting out the phrase later in the convention. The result was that Wilson and his supporters adopted the phrase as one of their main campaign slogans.

References

Abell, J. (2000). *Politics and the rhetoric of identities: A discursive analysis of the BSE debate.* Unpublished doctoral dissertation, University of Loughborough, Loughborough UK.

Achard, P. (1993). Discourse and social praxis in the construction of nation and state. *Discourse and Society, 4,* 75–98.

Adorno, T. W. (1951). Freudian theory and the pattern of fascist propaganda. In G. Roheim (Ed.), *Psychoanalysis and the social sciences* (pp. 118–137). New York: International Universities Press.

Adorno, T. W., Frenkel-Brunswik, E., Levinson, D. J. & Sanford, R. N. (1950). *The authoritarian personality.* New York: Harper and Row.

Anderson, B. (1983). *Imagined communities.* London: Verso.

Antaki, C. (1994). *Explaining and arguing.* London: Sage.

Antaki, C. Condor, S., & Levine, M. (1996). Social identities in talk: Speakers' own orientations. *British Journal of Social Psychology, 35,* 473–492.

Antaki, C., & Leudar, I. (2001). Recruiting the record: Using opponents' exact words in parliamentary argumentation. *Text, 21,* 467–488.

Antaki, C., & Widdicombe, S. (Eds.) (1998). *Identities in talk.* London: Sage.

Aristotle. (1909). *Rhetorica.* Cambridge: Cambridge University Press.

Atkinson, J. M. (1984a). *Our masters' voices.* London: Methuen.

Atkinson, J. M. (1984b). Public speaking and audience responses: Some techniques for inviting applause. In J. M. Atkinson & J. Heritage (Eds.), *Structures of social action* (pp. 370–409). Cambridge: Cambridge University Press.

Augoustinos, M., Tuffin, K., & Rapley, M. (1999). Genocide or a failure to gel? Racism, history and nationalism in Australian talk. *Discourse and Society, 10,* 351–378.

Barthes, R. (1972). *Mythologies.* London: Jonathan Cape.

Barthes, R. (1977). *Image-music-text.* London: Fontana.

Beloff, H. (1986). *Camera culture.* Oxford: Blackwell.

Benton, G. (1988). The origins of the political joke. In C. Powell & G. E. C.Paton (Eds.), *Humour in society* (pp. 33–55). Basingstoke, England: Macmillan.

Billig, M. (1978). *Fascists: A social psychological view of the National Front.* London: Academic Press.

Billig, M. (1987). *Arguing and thinking.* Cambridge: Cambridge University Press.

Billig, M. (1991). *Ideology and opinions.* London: Sage.

Billig, M. (1992). *Talking of the royal family.* London: Routledge.

Billig, M. (1995). *Banal nationalism.* London: Sage.

Billig, M. (1999). *Freudian repression.* Cambridge: Cambridge University Press.

Billig, M. (2001a). Humour and embarrassment: The limits of nice guy theories of social life. *Theory, Culture and Society, 18(5),* 23–43.

Billig, M. (2001b). Humour and hatred: The racist jokes of the Ku Klux Klan. *Discourse and Society, 12,* 267–289.

Billig, M. (2002). Henri Tajfel's "Cognitive aspects of prejudice" and the psychology of bigotry. *British Journal of Social Psychology, 41,* 171–188.

Billig, M., Condor, S., Edwards, D., Gane, M., Middleton, D., & Radley, A. R. (1988). *Ideological dilemmas: A social psychology of everyday thinking.* London: Sage.

Blee, K. M. (2002). *Inside organized racism: Women in the hate movement.* Berkeley: University of California Press.

Bonilla-Silva, E., & Forman, T. A. (2000). "I am not a racist but . . .": Mapping white college students' racial ideology in the USA. *Discourse and Society, 11,* 50–85.

Bull, P., Elliott, J., Palmer, D., & Walker, L. (1996). Why politicians are three-faced: The face model of political interviewees. *British Journal of Social Psychology, 35,* 267–284.

Bull, P., & Noordhuizen, M. (2000). The mistiming of applause in political speeches. *Journal of Language and Social Psychology, 19,* 275–294.

Burgin, V. (1976). *The camerawork essays.* London: Rivers Oram Press.

Burke, K. (1969) *A rhetoric of motives.* Berkeley: University of California Press.

Capozza, D., & Brown, R. (Eds.) (2000), *Social identity processes.* London: Sage.

Carbó, T. (1992). Towards an interpretation of interruptions in Mexican parliamentary discourse (1920–1960). *Discourse and Society, 3,* 25–45.

Carbó, T. (1997). Who are they? The rhetoric of instutional policies toward the indigenous populations of postrevolutionary Mexico. In S. H. Riggins (Ed.), *The language and politics of exclusion* (pp. 88–108). Thousand Oaks, CA: Sage.

Castells, M. (1999). An introduction to the media age. In H. Mackay & T. O'Sullivan (Eds.), *The media reader* (pp. 398–410). London: Sage.

Chilton, R., & Ilyin, M. (1993). Metaphor in political discourse. *Discourse and Society, 4*, 7–31.

Chouliaraki, L. (2000). Political discourse in the news: Democratizing responsibility or aestheticizing politics? *Discourse and Society, 11*, 293–314.

Chouliaraki, L., & Fairclough, N. (1999). *Discourse in late modernity.* Edinburgh: Edinburgh University Press.

Cohn, N. (1967). *Warrant for genocide.* London: Chatto Heinemann.

Condit, C. M. (1987). Crafting virtue: The rhetorical construction of public morality. *Quarterly Journal of Speech, 73*, 79–97.

Condit, C. M., & Lucaites, J. L. (1991). The rhetoric of equality and the expatriation of African-Americans. *Communication Studies, 42*, 1–21.

Condor, S. (2000). Pride and prejudice: Identity management in English people's talk about "this country." *Discourse and Society, 11*, 175–205.

Condor, S. (2001). Nations and nationalisms: Particular cases and impossible myths. *British Journal of Social Psychology, 40*, 177–181.

Davison, W. P. (1983). The 3rd person effect in communication. *Public Opinion Quarterly, 47*, 1–15.

De Cillia, R. Reisigl, M., & Wodak, R. (1999). The discursive construction of national identities. *Discourse and Society, 10*, 149–163.

de Sousa, R. (1987). When is it wrong to laugh? In J. Morreall (Ed.), *The philosophy of laughter and humor* (pp. 226–249). Albany: SUNY Press.

Der Derian, J. (1993). S/N: International theory, Balkanization and the new world order. In M. Ringrose & A. J. Lerner (Eds.), *Reimagining the nation* (pp. 98–124). Buckingham: Open University Press.

Devlin, L. P (1995). Political commercials in American presidential elections. In L. L Kaid & C. Holtz-Bacha (Eds.), *Political advertising in western democracies* (pp. 186–205). Thousand Oaks, CA: Sage.

Dickerson, P. (1997). "It's not just me who's saying this . . ." The deployment of cited others in televised political discourse. *British Journal of Social Psychology, 36*, 33–48.

Dickerson, P. (1998). "I did it for the nation": Repertoires of intent in televised political discourse. *British Journal of Social Psychology, 37*, 477–494.

Dickerson, P. (2000). "But I'm different to them": Constructing constrasts between self and others in talk-in-interaction. *British Journal of Social Psychology, 39*, 381–398.

Duck, J. M., Hogg, M. A., & Terry, D. J (1995). Me, us and them: Political identification and the third person effect in the 1993 Australian Federal Election. *European Journal of Social Psychology, 25*, 195–215.

Duck, J. M., & Mullin, B. A. (1995) The perceived impact of the mass media: Reconsidering the 3rd person effect. *European Journal of Social Psychology, 25*, 77–93.

Edelman, M. (1977). *Political language: Words that succeed and policies that fail.* New York: Academic Press.

Edley, N., & Wetherell, M. (1999). Imagined futures: Young men's talk about fatherhood and domestic life. *British Journal of Social Psychology, 38,* 181–195.

Edwards, D. (1991). Categories are for talking. *Theory and Psychology, 1,* 515–542.

Edwards, D. (1997). *Discourse and cognition.* London: Sage.

Edwards, D., & Potter, J. (1992). *Discursive psychology.* London: Sage.

Edwards, D., & Potter, J. (1993). Language and causation: A discursive action model of description and attribution. *Psychological Review, 100,* 23–41.

Ekström, M. (2001). Politicians interviewed on television news. *Discourse and Society, 12,* 563–584.

Ellemers, N. Spears, R., & Doosje, B. (Eds.), (1999). *Social identity: Context, commitment, content.* Oxford: Blackwell.

Evans, J., & Hall, S. (1999). What is visual culture? In J. Evans & S. Hall (Eds.), *Visual culture* (pp. 1–7). London: Sage.

Fairclough, N. (1992). *Discourse and social change.* Cambridge, UK: Polity.

Fairclough, N. (1995). *Critical discourse analysis.* London: Longman.

Fishbein, M., & Azjen, I. (1981). Acceptance, yielding and impact: Cognitive processes in persuasion. In R. E. Petty, T. M. Ostrom, & T. C. Brock (Eds.), *Cognitive responses in persuasion.* Hillsdale: Erlbaum.

Fowler, R., Hodge, B., Kress, G., & Trew, T. (1979). *Language and control.* London: Routledge.

Freud, S. (1905/1991). *Jokes and their relation to the unconscious.* Harmondsworth, England: Penguin.

Fromm, E. (1942) *Fear of freedom.* London: Routledge and Kegan Paul.

Frosh, S. (1997). *For and against psychoanalysis.* London: Routledge.

Frosh, S. (2002). Enjoyment, bigotry, discourse and cognition. *British Journal of Social Psychology, 41,* 189–193.

Fukuyama, F. (1992). *The end of history and the last man.* Harmondsworth, England: Penguin.

Galasinski, D., & Jaworski, A. (1997). The linguistic construction of reality in the "Black Book of Polish Censorship." *Discourse and Society, 8,* 341–357.

Ghiglione, R. (1994). Paroles de meetings. In A. Trognon & J. Larrue (Eds.), *Pragmatique du discours politique* (pp. 17–53). Paris: Armand Colin.

Giddens, A. (1998). *The third way: The renewal of social democracy.* Cambridge UK: Polity Press.

Harré, R., & Gillett, G. (1994). *The discursive mind.* London: Sage.

Helleiner, J., & Szuchewycz, B. (1997). Discourses of exclusion: The Irish press and travelling people. In S. H. Riggins (Ed.), *The language and politics of exclusion* (pp. 109–130). Thousand Oaks, CA: Sage.

Heritage, J., & Greatbach, D. (1986). Generating applause: A study of rhetoric and response at party political conferences. *American Journal of Sociology, 92,* 110–157.

Hoorens, V., & Ruiter, S. (1996). The optimal impact effect: Beyond the third person effect. *European Journal of Social Psychology, 26,* 599–610.

Hovland, C. I., Janis, I. L., & Kelley, H. H. (1953). *Communication and persuasion.* New Haven: Yale University Press.

Hovland, C. I., Lumsdaine, A. A., & Sheffield, F. D. (1949). *Experiments on mass communication.* Princeton: Princeton University Press.

Hovland, C. I., & Weiss, W. (1951). The influence of source credibility on communication effectiveness. *Public Opinion Quarterly, 15,* 635–650.

Hroch, M. (1985). *Social preconditions for national revival in Europe.* Cambridge: Cambridge University Press.

Husband, C. (1988). Racist humour and racist ideology in British television or I laughed till you cried. In C. Powell & G. E. C. Paton (Eds.), *Humour in society* (pp. 149–178). Basingstoke, England: Macmillan.

Ilie, C. (1998). The ideological remapping of semantic roles in totalitarian discourse, or how to paint white roses red. *Discourse and Society, 9,* 57–80.

Jamieson, K. H. (1988). *Eloquence in an electronic age.* New York: Oxford University Press.

Jaspars, J. M. F. (1978). Determinants of attitudes and attitude change. In H. Tajfel & C. Fraser (Eds.), *Introducing social psychology* (pp. 277–301). Harmondsworth, England: Penguin.

Kovel, J. (1995). On racism and psychoanalysis. In A. Elliott & S. Frosh (Eds.), *Psychoanalysis in contexts* (pp. 205–222). London: Routledge.

Kristeva, J. (1991). *Strangers to ourselves.* Hemel Hempstead, England: Harvester/Wheatsheaf.

Le Couteur, A., Rapley, M., & Augoustinos, M. (2001). "This very difficult debate about Wik": Stake, voice and the management of category membership in race politics. *British Journal of Social Psychology, 40,* 35–57.

Legman, G. (1969). *The rationale of the dirty joke.* London: Cape.

Leudar, I., & Nekvapil, J. (2000). Presentations of Romanies in Czech media: On category work in television debates. *Discourse and Society, 11,* 487–513.

Lockyer, S., & Pickering M. (2001). Dear shit-shovellers: Humour, censure and the discourse of complaint. *Discourse and Society, 12,* 633–651.

Mac Laughlin, J. (1999). European gypsies and the historical geography of loathing. *Review: Fernand Braudel Center, 22,* 31–59.

Mailloux, S. (Ed.) (1996). *Rhetoric, sophistry, pragmatism.* Cambridge: Cambridge University Press.

Maitland, K., & Wilson, J. (1987). Pronominal selection and ideological conflict. *Journal of Pragmatics, 11,* 495–512.

McCloskey, D. (1986). *The rhetoric of economics.* Brighton Sussex, England: Harvester Wheatsheaf.

McGee M. C. (1980). The "ideograph": A link between rhetoric and ideology. *Quarterly Journal of Speech, 66,* 1–16.

McGuire, W. J. (1964). Inducing resistance to persuasion: Some contemporary approaches. In L. Berkowitz (Ed.), *Advances in experimental social psychology* (Vol. 1, (pp. 191–229). New York: Academic Press.

Meyer, M. (1994). *Rhetoric, language and reason.* University Park: University of Pennsylvania.

Meyrowitz, J. (1986). *No sense of place.* Oxford: Oxford University Press.

Mühlhäusler, P., & Harré, R. (1990). *Pronouns and people.* Oxford: Blackwell.

Myers, F. (1999). Political argumentation and the composite audience: A case study. *Quarterly Journal of Speech, 85,* 55–71.

Myerson, G. (1994). *Rhetoric, reason and society.* London: Sage.

Nelson, J., Megill, A., & McCloskey, D. N. (Eds.) (1987). *The rhetoric of the human sciences.* Madison: University of Wisconsin Press.

Neuman, Y., Libershohn, Y., & Beckerman, Z. (2001). *Oh baby, it's hard for me to say I'm sorry: Public apologetic speech and cultural rhetorical resources.* Unpublished manuscript, University of Ben-Gurion, Beersheba, Israel.

Obeng, S. G. (1997). Language and politics: Indirectness in political discourse. *Discourse and Society, 8*, 49–83.
Oktar, L. (2001). The ideological organization of representational processes in the presentation of *us* and *them*. *Discourse and Society, 12*, 313–346.
Özkirimli, U. (2000). *Theories of nationalism*. London: Macmillan.
Pardo, M. L. (2001). Linguistic persuasion as an essential political factor in current democracies: Critical analysis of the globalization discourse in Argentina at the turn and at the end of the century. *Discourse and Society, 12*, 91–118.
Parker, I. (1991). *Discourse dynamics*. London: Routledge.
Parker, I. (1998). Discourse and psycho-analysis. *British Journal of Social Psychology, 36*, 479–495.
Perelman, C., & Olbrechts-Tyteca, L. (1971). *The new rhetoric*. Notre Dame, Indiana: University of Notre Dame Press.
Perelman, C. (1979). *The new rhetoric and the humanities*. Dordrecht: Reidel.
Petty, R. E., & Cacioppo, J. T. (1981). *Attitudes and persuasion*. Iowa City, IA: Brown.
Petty, R. E., & Cacioppo, J. T. (1984). The effects of involvement on responses to argument quantity and quality: Central and peripheral routes to persuasion. *Journal of Personality and Social Psychology, 46*, 69–81.
Phillips, L. (1996). Rhetoric and the spread of Thatcherism. *Discourse and Society, 7*, 209–241.
Plett, H. F. (ed.) (1995). *Die Aktualität der Rhetorik*. Munich: Wilhelm Fink.
Postman, N. (1984). *Amusing ourselves to death*. London: Methuen.
Potter, J. (1996a). Attitudes, social representations and discursive psychology. In M. Wetherell (Ed.), *Identities, groups and social issues* (pp. 119–174). London: Sage
Potter, J. (1996b). *Representing reality*. London: Sage.
Potter, J., & Edwards, D. (1990). Nigel Lawson's tent: Discourse analysis, attribution theory and the social psychology of fact. *European Journal of Social Psychology, 20*, 405–424.
Potter, J., & Wetherell, M. (1987). *Discourse and social psychology*. London: Sage.
Rae, J., & Drury, J. (1993). Reification and evidence in rhetoric on economic recession: Some methods used in the UK press, final quarter 1990. *Discourse and Society, 4*, 357–394.
Rapley, M. (1998). "Just an ordinary Australian": Self-categorization and the discursive construction of facticity in 'new racist' political rhetoric. *British Journal of Social Psychology, 37*, 325–344.
Reicher, S., & Hopkins, N. (1996a). Seeking influence through characterising self-categories: An analysis of anti-abortionist rhetoric. *British Journal of Social Psychology, 35*, 297–311.
Reicher, S., & Hopkins, N. (1996b). Self-category constructions in political rhetoric: An analysis of Thatcher's and Kinnock's speeches concerning the British Miners strike (1984–5). *European Journal of Social Psychology, 26*, 353–371.
Reicher, S., & Hopkins, N. (2001). *Self and nation*. London: Sage.
Riggins, S. T. (1997) The rhetoric of othering. In S. H. Riggins (Ed.), *The language and politics of exclusion* (pp. 1–30). Thousand Oaks, CA: Sage.
Robinson, W. P. (ed.) (1996). *Social groups and identities: Developing the legacy of Henri Tajfel*. London: Butterworth-Heinemann.
Sacks, H. (1992). *Lectures on conversation*. Oxford: Blackwell.

Scammell, M., & Semetko, H. A. (1995). Political advertising on television: The British experience. In L. L. Kaid & C. Holtz-Bacha (Eds.), *Political advertising in western democracies* (pp. 19–43). Thousand Oaks, CA: Sage.

Schiffrin, D. (1985). Everyday argument: The organization of diversity in talk. In T. A. van Dijk (Ed.), *Handbook of discourse analysis*. London: Academic Press.

Seidel, G. (1975). Ambiguity in political discourse. In M. Bloch (Ed.), *Political language and oratory in traditional society*. London: Academic Press.

Shaw, S. (2000). Language, gender and floor apportionment in political debates. *Discourse and Society, 11*, 401–418.

Sherif, M., & Hovland, C. I. (1961). *Social judgement*. New Haven: Yale University Press.

Shotter, J. (1993a). *Conversational realities*. London: Sage.

Shotter, J. (1993b). *Cultural politics of everyday life*. Buckingham, England: Open University Press.

Shotter, J., & Billig, M. (1998). A Bakhtinian psychology: From out of the heads of individuals into the dialogues between them. In M. Gardiner & M. M. Bell (Eds.), *Bakhtin and the human sciences* (pp. 13–29). London: Sage.

Simons, H. (Ed.). (1989). *Rhetoric in the human sciences*. London: Sage.

Simons, H. (Ed.). (1990). *The rhetorical turn*. Chicago: University of Chicago Press.

Simons, H. (1996). Judging a policy proposal by the company it keeps: The Gore-Perot NAFTA debate. *Quarterly Journal of Speech, 82*, 274–287.

Simons, H. (2000). A dilemma-centered analysis of Clinton's August 17th apologia: Implications for rhetorical theory and method. *Quarterly Journal of Speech, 86*, 438–453.

Smith, M. B. (1981). Foreword to R. E. Petty, T. M. Ostrom, & T. C. Brock (Eds.), *Cognitive responses in persuasion* (pp. xi–xii). Hillsdale: Erlbaum.

Smith, R. R., & Windes, R. R. (2000). *Progay/antigay: The rhetorical war over sexuality*. Thousand Oaks, CA: Sage.

Speier, H. (1998). Wit and politics: An essay on laughter and power. *American Journal of Sociology, 103*, 1352–1401.

Tajfel, H. (1981). *Human groups and social categories*. Cambridge: Cambridge University Press.

Tajfel, H. (1984). Intergroup relations, social myths and social justice in social psychology. In H. Tajfel (Ed.), *The social dimension* (pp. 695–715). Cambridge: Cambridge University Press.

Tajfel, H., Billig, M., Bundy, R. P., & Flament, C. (1971). Social categorization and intergroup behaviour. *European Journal of Social Psychology, 1*, 149–78.

Thetela, P. (2001). Critique discourses and ideology in newspaper reports: A discourse analysis of the South African press reports on the 1998 SADC's military intervention in Lesotho. *Discourse and Society, 12*, 347–370.

Turner, J. C. (1984). Social identification and psychological group formation. In H. Tajfel (Ed.), *The social dimension* (pp. 518–538). Cambridge: Cambridge University Press.

Turner, J. C. (1999). Some current issues in research on social identity and self-categorization theories. In N. Ellemers, R. Spears, & B. Doosje (Eds.), *Social identity: Context, commitment, content* (pp. 6–34). Oxford: Blackwell.

Turner, J. C., Hogg, M. A., Oakes, P. J., Reicher, S. D., & Wetherell, M. (1987). *Rediscovering the social group*. Oxford: Blackwell.

van Dijk, T. A. (1991). *Racism and the press.* London: Routledge.
van Dijk, T. A. (1992). Discourse and the denial of racism. *Discourse and Society, 3,* 87–118.
van Dijk, T. A. (1993a). *Elite discourse and racism.* London: Newbury Park, CA: Sage.
van Dijk, T. A. (1993b). Principles of critical discourse analysis. *Discourse and Society, 4,* 249–283.
van Dijk, T. A. (1998). *Ideology.* London: Sage.
Verkuyten, M. (2001). "Abnormalization" of ethnic minorities in conversation. *British Journal of Social Psychology, 40,* 257–278.
Vickers, B. (1988). *In defence of rhetoric.* Oxford: Clarendon Press.
Weltman, D., & Billig, M. (2001). The political psychology of contemporary anti-politics: A discursive approach to the end-of-ideology era. *Political Psychology, 22,* 367–382.
Wetherell, M., & Potter, J. (1992). *Mapping the language of racism.* London: Sage.
Wetherell, M., Stiven, H., & Potter, J.(1987). Unequal egalitarianism: A preliminary study of discourses concerning gender and employment opportunities. *British Journal of Social Psychology, 26,* 59–71.
Wilson, J. (1990). *Politically speaking.* Oxford: Blackwell.
Xing Lu, (1999). An ideological/cultural analysis of political slogans in Communist China. *Discourse and Society, 10,* 487–508.
Yumal, A., & Özkirimli, U. (2000). Reproducing the nation: "Banal nationalism" in the Turkish press. *Media, Culture and Society, 22,* 787–804.

العلاقات الدولية

الفصل الثامن

علم النفس السياسي والسياسة الخارجية(١٤٦)

جاك س. ليفى

قام الدارسون بتطوير عدد من الأطر البديلة لتنظيم تفسيرات سلوك السياسة الخارجية(١٤٧)، قد يكون أكثرها نفوذًا إطار مستويات التحليل الذى خرج من تمييز والتز Waltz (1959) بين ثلاث صور مختلفة من الحروب فى السياسة الدولية: الشخصية والدولة القومية والنظام. ويقسم بعض الدارسين المستوى القومى إلى مستويات مجتمعية وحكوميه منفصلة (Rosenau 1966)، بينما يقترح الآخرون مستوى المجموعة الصغيرة (Hart, 1990; Janis, 1982) وتضرب المتغيرات النفسية، وهى موضوع هذا المقال، بجذورها فى المستوى الفردى للتحليل ولكنها تتفاعل مع المتغيرات السببية على مستويات عديدة أخرى فى محاولة تفسير الأفعال والقرارات فى مجال السياسة الخارجية.

---

(١٤٦) قامت بترجمة هذا الفصل مشيرة الجزيري

(١٤٧) لقد ميز منظرو العلاقات الدولية تقليديًا بين أفعال الدولة وتفاعلاتها فى النظام العالمى. وعلى هذا الأساس، فإن دراسة السياسة الخارجية تتناول أفعال الدولة والتأثيرات الأساسية على هذه الأفعال، بينما تهتم العلاقات الدولية بالخصائص البنائية للنظام الدولى وأنماط التفاعلات بين الدول. وتركز المقاربتان الأساسيتان على متغيرات تابعة مختلفة أو وحدات تحليل مختلفة. ووفقًا لتمييز Waltz 1979))، تحاول تحليلات السياسة الخارجية أن تفسر السلوك على مستوى الوحدة، فيما تسعى السياسة الدولية إلى تفسير الأنماط على مستوى النظام System. (المؤلف)

كذلك تعتبر المتغيرات النفسية مفيدة فى تحليل السلوك على المستويات الأخرى للمتغير التابع أو "وحدات التحليل" الأخرى(١٤٨). فهى تعتبر مركزية بالنسبة لتفسير معتقدات وتفضيلات الأفراد وقراراتهم، كما أنها مهمة بالنسبة لصنع القرار فى المجموعات الصغيرة والمنظمات وأيضا فى الدول. وفى تشكيلها للسياسة الخارجية، تؤثر المتغيرات النفسية فى النتائج على المستوى الزوجىDyadic والانتظامى Systemic. كما أنها تؤثر فى الرأى العام، والقومية، وتكوين الهوية، والمتغيرات الأخرى الناشطة على المستوى المجتمعى.

وتنصب نقطة تركيزى الأولى فى هذا المقال على أثر العوامل النفسية على حكم الزعماء السياسيين واتخاذهم للقرارات. وتتم مناقشة أثر المتغيرات النفسية على تكوين الهوية والصراعات داخل المجموعة فى مواطن أخرى من هذا الكتاب، خاصة فى الفصول الخامس عشروالسادس عشر والتاسع عشر والعشرين.

أستهل هذا المقال ببعض القضايا المفاهيمية العامة التى تواجه تطبيق المتغيرات النفسية على السياسة الخارجية والعلاقات الدولية. وبعد إجراء مسح موجز عن التطور التاريخى لتطبيق علم النفس الاجتماعى، أقوم بفحص دور المتغيرات النفسية فى بعض النماذج الرائدة فى تحليل السياسة الخارجية خلال النصف قرن المنصرم. وأجادل بأن تأثير علم النفس كان محدودًا على النماذج الأولى لصنع القرار فى مجال العلاقات الدولية، وأن نقطة التحول فى التطورات المنظمة للنموذج الإدراكى لتحليل السياسة

(١٤٨) كونه بالامكان تطبيق إطار مستويات التحليل على المتغيرات المستقلة والتابعة (للأول كنظام لتصنيف المتغيرات السببية، وللثانى كوصف لوحدات التحليل المقرر تفسيرسلوكها – الفرد، المؤسسة، الزوجية dyad، الدولة، النظام) أدى إلى إيجاد بعض التخبط وليس واضحًا تمامًا كيف يستخدم الدارسون هذا المفهوم. (المؤلف)

الخارجية جاءت مع دراسة جارفيز Jervis (1976) الرائدة للإدراك وسوء الإدراك من مجال السياسة الدولية. ولتأكيد جارفيز على التحيزات الإدراكية التى تشوه الأحكام وعملية صنع القرار وما لذلك من دلالات مهمة بالنسبة لدراسة إدراك التهديد الذى أقوم بمناقشته ببعض التفصيل. كذلك أقوم بفحص مفهوم سوء الإدراك وأصف التحيزات النفسية الشائعة والمساعدات الإدراكية والعوامل العاطفية التى تسببها، ثم أحاول النظر فى أثر التأثيرات المؤطرة والنفورمن الخسارة على تقييم صانعى القرار للنتائج وخصائص المخاطرة. وأخلص فى النهاية إلى نقاش موجز لبعض المجالات الأخرى فى تحليلات السياسة الخارجية التى يمكن أن تستفاد من المزيد من الاهتمام بمجال علم النفس السياسى.

قضايا مفاهيمية مبدئية:

من المفيد أن نبدأ ببعض أوجه القصور العامة عن النفعِ التى يعود بها علم النفس السياسى على تحليل السياسة الخارجية. أولاً، لا تستطيع المتغيرات النفسية بمفردها التى تجد أصولها فى المستوى الفردى أن تستكمل التفسير المنطقى للسياسة الخارجية، وهى متغير تابع على مستوى الدولة. فلابد من إدماج المتغيرات النفسية فى نطاق نظرية أكثر اتساعًا للسياسة الخارجية تتضمن المتغيرات السببية على مستوى الدولة وتشرح أيضا كيف يتم تضمين التفضيلات والمعتقدات والأحكام الخاصة بالفاعلين الأساسيين فى قرار خاص بالسياسة الخارجية للدولة. وحقيقى أنه فى الدولة شديدة المركزية، قد تحدد تفضيلات صانع القرار المهيمن السياسة الخارجية للدولة، إلا أنه فى تلك الحالة تصبح الطبيعة المركزية للدولة نفسها جزءًا من هذا التفسير. ولا يمنع ذلك احتمال أن يكون للمتغيرات النفسية النفوذ الأقوى على السياسة الخارجية، بمعنى تفسير أغلب التباينات فى نتائج السياسة الخارجية،

ولكن الأمر يستدعى أن تعمل المتغيرات النفسية بالتضافر مع المتغيرات على مستوى تحليل الدولة.

وبالمثل، حيث إن الحرب والأشكال الأخرى من التفاعل الاستراتيجى هى نتاج مشترك بين أفعال دولتين أو أكثر على المستوى الزوجى أو الانتظامى، لا تستطيع التغيرات النفسية (أو المتغيرات المحلية أو على مستوى الحكومة) وحدها أن تقدم تفسيرًا منطقيًا كاملاً للحرب أو أية أنماط دولية أخرى. فمثل هذه التفسيرات تستدعى تضمين متغيرات سببية زوجية أو انتظامية وهى ما كان والتز Waltz يعنيه عندما صرح بأن نظرية السياسة الخارجية ليست نظرية للسياسة الدولية.

وفيما لا يمكن للمتغيرات النفسية أن تقدم وحدها تفسيرًا كافيًا لسلوك السياسية الخارجية للدولة، يطرح السؤال الخاص بما إذا كانت ضرورية لمثل هذا التفسيرمجموعة من القضايا المختلفة. ويرى البعض أنه حيث أن أفعال الدولة تستدعى قرارات من قبل الزعماء السياسيين، فلا بد من تضمين تفضيلات صانعى القرار وإدراكاتهم عن تفسيرات السياسية الخارجية.

فيرى سابين وبروك وسايندر Snyder وBruck وSapin (١٩٦٢) (وردت فى Jervis ١٩٧٦ ص١٣)، على سبيل المثال، أنه إذا رغب المرء فى تقصى الأسئلة الخاصة ب"لماذا" التى تقوم على أساسها الأحداث والأوضاع وأنماط التفاعل التى تستند إلى أفعال الدولة، يصبح تحليل صنع القرار ضروريًا. والمقولة الضمنية هى أن الأبنية الدولية والقوى المحلية تؤثر فى السياسات الخارجية بالقدر الذى يتم إدراكها وتفسيرها وتقييمها من قبل صناع السياسة الخارجية، وأنه على نظرية السياسة الخارجية أن تفسر كل حلقة من حلقات السلسلة المسببة لقرارات السياسة الخارجية والتفاعلات الدولية. والمشكلة الكامنة فى مثل هذه المقولة هى أنها اختزالية، إذ إن حلقات السلسلة لا تحمل كلها نفس الوزن السببى، كما أنه يفترض مقياسًا مستحيلاً إذ

إن العدد المحتمل الحلقات فى السلسلة السببية لا نهائى. فكما يقول جارفيس Jervis (1976): "يمكن دائمًا للمرء أن يطلب الحلقات بين الحلقات" (ص١٤).

وهدفنا كعلماء اجتماعيين ليس هو تفسير كافة الحلقات فحسب، بل تفسير التباينات فى النتائج وأن يتم ذلك باستخدام النظرية التى تتجرد من الوصف "التام" للواقع وتحدد المتغيرات والعلاقات المسببة الأساسية. ومن الوارد مبدئيًا أن تنجح الأبنية الدولية والمحلية فى تفسير كافة - أو تقريبًا كل - التباينات فى نتائج السياسة الخارجية. فمعظم الواقعيين الجدد، على سبيل المثال، يرون أن توزيعات القوة على مستوى النظام والمتغيرات المرتبطة بذلك، قادرة على تفسير التباينات ذات الصلة فى السياسة الخارجية والسياسة الدولية (Mearsheimer 2001)، بينما يرى والتز Waltz (1979) أن الأبنية الدولية تفسر فقط الأنماط الانتظامية للسياسات الخارجية المعينة للدولة [١٤٩]

وإذا كان حقيقيا أن الأبنية الانتظامية قد نجحت فى تفسير التباين فى سلوك السياسة الخارجية، يظل السؤال هو ما إذا كان التفسير التام لقرارات السياسة الخارجية لا يزال يستدعى تحديد الآليات المسببة المتداخلة، بما فى ذلك المعتقدات وإدراكات صانعى القرار. إن تحديد سلسلة سببية كاملة وتضمين مكان الأفراد بداخلها، ليس تمامًا كالقول بأن المغيرات على مستوى الأفراد لها أثر مسبب على النتائج. فإذا تشابه رد فعل أفراد مختلفين تجاه نفس الموقف، تكون المعتقدات والإدراكات الشخصية داخلية،أى يمكن تفسيرها من خلال الموقف وليس لها أثر مسبب مستقل.

وباستثناء الواقعيين الجدد، يرفض محللو السياسات هذا الادعاء البنائى ويرون بدلاً من ذلك، أن المتغيرات البنائية انتظامية لا تستطيع وحدها أن تقدم تفسيرًا مرضيًا عن سلوك السياسة الخارجية للدول. وفيما يتعلق

---

(149) (Waltz 1979) ليس دائما متسقًا فيما يتعلق بهذه المسألة. ويجد المرء أحيانا بعض التصريحات غير المبهمة عن سلوك السياسة الخارجية فى أعماله (Elman, 1996, pp. 16-11). (المؤلف)

بالمتغيرات النفسية التى تهمنا فى هذا السياق، يصبح الافتراض هو أن التباينات فى المعتقدات والعمليات النفسية والشخصيات الخاصة بصانعى القرار هى التى تفسر قدرًا كبيرًا من التباين فى سلوك السياسة الخارجية للدول فى النظام الدولى، وأن تلك المتغيرات ليست داخلية فيما يتعلق بالأبنية الشاملة أو المصالح المحلية. وتستند مساهمة المتغيرات النفسية لتحليل السياسة الخارجية إلى قدرتها على تفسير التباين المعنوى الإضافى فى النتائج وليس فقط فى قدرتها على تفسير "الحلقات بين الحلقات".

تطور دراسة علم النفس والسياسة الخارجية

تطورت دراسة السياسة الخارجية بشكل ملحوظ على مدى النصف قرن المنصرم. وقبل خمسينيات القرن الماضى، كان تحليل السياسة الخارجية وصفيًا، تفسيريًا وليس نظريًا ومدفوعًا بالسياسات. كما تضمن نموذجيًا، دراسات حالة واحدة محدودة بالزمان والمكان، لم تساهم كثيرًا فى تسهيل التعميمات النظرية التى قد تكون صالحة لأزمنة ومواقف أخرى. كذلك اتصف تحليل السياسة الخارجية بتوجهه إلى النتائج بدلاً من العمليات. فالدارسون كانوا أكثر اهتمامًا بوصف السياسات الخارجية للدول وتقديم تفسيرات عامة قائمة على أساس إدراكات متباينة عن أهداف واستراتيجيات السياسات لتعزيزها، بدلاً من النظر إلى داخل "الصندوق الأسود" لصنع القرار وتحليل العمليات التى يتم من خلالها صنع السياسات الخارجية.

وعلى الرغم من اهتمام دراسة السياسة الخارجية بعملية صنع السياسات الخارجية، لم يكن هناك نموذج أساسى منظم ومتطور لتحليل السياسات الخارجية قبل الستينات. وقام بعض الدارسين بتبنى – ضمنيًا – إطار عقلانى، احتفظت فيه الدول ببعض "المصالح القومية" التى حاول الزعماء السياسيون تعزيزها إلى أقصى درجة ممكنة من خلال موازنة

الفوائد والتكلفة بحرص. هذا الإطار الذى لم يتم تنظيمه بشكل تام حتى قـام أليسون Allison (1971) ببناء "نموذج الفاعل الرشيد"، لم يـسمح بـأى دور لشخصيات الزعماء السياسيين والدول العاطفية والمعالجة الخاطئة للمعلومات أو أية متغيرات نفسية أخرى(١٥٠). وافترض بعض الدارسين الآخرين ضمنيًا أن هناك ابتعادًا معنويًا عن العقلانية فى صياغة السياسة الخارجية، إلا أنهم بذلوا جهودًا محدودة للاستفادة من أدبيات علم النفس الاجتماعى لتقسيم تلـك الانحرافات إلى فئات أو تفسيرها.

ويرجع الاهتمام بالأبعاد النفسية للسياسة الخارجية والعلاقات الدوليـة إلى الثلاثينيات على الأقل. إلا أن أغلب تلك الأعمال كان قد أجراها علمـاء النفس المتخصصون فى الشخصيات أو علماء النفس الاجتماعى، بدلاً مـن علماء السياسة(١٥١). وانصب التركيز إثر تجارب الحرب العالمية الأولى ثـم الثانية على علم نفس الحروب ومنعها. وأدى الاهتمـام المتزايـد بدراسـة المواقف والاتجاهات (Thurstone and Chave 1929) إلى فحص المواقف تجاه الحروب والقومية والاعتداء (Droba 1931, Stagner 1942). وفى أعقاب تركيز Freud على الغرائز العدائية كمسبب أساسـى للحـروب(١٥٢) (Einstein and Freud 1932)، ظهر اهتمام عظيم بتطبيق وجهات النظر التحليلية النفسية على دراسة الحرب (Durbin and Bowlby 1939). كذلك تبنى البعض أطرًا عامـة للتعليم (May, 1943) كما كانت هناك دراسات أكثر تحديدًا عن مصادر التوتر والوسائل الممكنة للحد منها (Cantril, 1950, Klineberg, 1950).

---

(١٥٠) يعتبر "النموذج التحليلى" لـ Steinbrunner (1974) جهدًا آخر مفيدًا وإن كان أقل نفوذًا فيما يتعلـق بوضع نظام لنموذج عقلانى لاتخاذ القرار. (المؤلف)

(١٥١) أحد الاستثناءات المهمة هـى دراسـة Lasswell (1930) عـن الباثولوجيـا النفـسية والـسياسة Psychopathology and Politics (المؤلف)

(١٥٢) وبحلول منتصف الأربعينيات، رأى كثير من الدارسين، كرد فعل ضد فرويد، أنه لـيس فـى علـم النفس أو الأنثروبولوجيا إلا القليل من الأدلة التى تدعم مقولة أن الحـرب متأصـلة فـى الطبيعـة الإنسانية وبالتالى لا يمكن تفاديها (Allport, 1945). (المؤلف)

ولم يكن لتلك الأعمال آثار كبيرة على دراسة الحرب والسلام في العلوم السياسية(١٥٣)، ويكمن أحد الأسباب وراء ذلك في أن وجهات النظر الخاصة بالتحليل النفسي والتعلم الاجتماعي ركزت أكثر على السؤال الخاص بما الذي جعل الحرب حدثاً ممكناً، وما تفسير النزعة العامة تجاه الحرب، بدلاً من التركيز على السؤال العلمي الاجتماعي المتعلق بالسياسات والذي ينصب على الأوضاع أو العمليات التي من الأرجح أن تعلن الحرب في سياقها. والسبب الآخر وراء غياب تأثير الأدبيات النفسية الاجتماعية على الحرب والسلام هو أنها عامة تستنتج الفرضيات الخاصة بسلوك الأفراد وتطبيقها على المستوى الدولي بدون الاهتمام بالآليات المسببة المحددة المفضية إلى الحرب أو السياقات السياسية والدولية المميزة للإدراك والاختيارات القائمة بين الحرب والسلام. وكما استنتج كلمان Kelman (1965)، في عرضه المفيد لتطور المقاربات النفسية لدراسة العلاقات الدولية أن "أية محاولة لوضع مسببات الحرب وأوضاع السلام في إطار مفاهيمي يبدأ من علم نفس الأشخاص بدلاً من تحليل العلاقات بين الدول القومية، هي محاولة تثار حولها الأسئلة" (ص. ٥). وكما سوف أبين في الجزء التالي، لم تنجح دراسة علم النفس والسياسة الخارجية في تجاوز وجه القصور هذا بشكل تام.

لقد بدأ علماء النفس الاجتماعيون بحلول الخمسينيات والستينيات في إبداء المزيد من الاهتمام بدراسة المواقف والاتجاهات نحو الشئون الخارجية والمترابطات الديموجرافية والشخصية لاتجاهات السياسة الخارجية (Larson 1985)، وكانت تلك هي إحدى المجالات التي كان لعلم النفس الاجتماعي

---

(١٥٣) في دراسته الشاملة "دراسة الحرب" Study of war أعطى Quincy Wright (1942) اهتماماً أقل بكثير لنفسية الحرب مقارنة بالأبعاد العسكرية والتقنية والاقتصادية والسياسية. وأحد الاستثناءات المهمة هو نموذج Osgood (1962) المؤثر الخاص "بالتقليل المتدرج في التوترات الدولية" (Grit). (المؤلف)

بعض التأثير فيها على أدبيات العلوم السياسية فى مجال السياسة الخارجية، كما اتضح فى تضمين الموند Almond (1950) لبحوث علم النفس الاجتماعى عن المواقف والاتجاهات فى دراسته الكلاسيكية عن تغير "الحالات المزاجية" فى السياسة الخارجية الأمريكية. وقام الدارسون بتحليل علم النفس القومية والإيديولوجيات القومية بشكل عام، وأجروا دراسات مقطعية عن الصور والصور النمطية للبلدان الأخرى. (Campbell and Levine 1961) إلا أن معظم تلك الأعمال ركزت على المستوى الجماهيرى ووجهت اهتمامًا محدودًا لآليات ترجمة تغير الحالات المزاجية العامة إلى أفعال تتعلق بالسياسة الخارجية للدول[١٥٤].

كما كانت دراسة الشخصية إحدى المجالات الأخرى فى علم النفس التى تركت أثرًا واضحًا على تحليل السياسة الخارجية فى العلوم السياسية فى الخمسينيات والستينيات، وأحد الأمثلة هى أعمال علماء السياسة والمؤرخين عن سير الحياة النفسية أو التاريخ النفسى الذى استند بشكل كبير إلى نظرية التحليل النفسى وحاولت أن تفسر السلوك السياسى من خلال خبرات الطفولة الأولى أو أزمات النمو فى مرحلة التحول إلى النضج (Erikson, 1962, George and George 1956). كذلك أثرت وجهات النظر التحليلية النفسية على بعض تحليلات "المبادئ الإجرائية" لنظم المعتقدات السياسية (Leits, 1953)، وهو من الموضوعات التى سوف أطرحها فى وقت لاحق. وبينما استمر الدارسون فى التعبير عن الاهتمام بالنماذج الأكثر عمومية للشخصية والسياسة الخارجية Etheridge 1978, Hermann 1978, Winter 2002 بدأ الاهتمام بالشخصية، وخاصة مقارنات السيرة النفسية فى الوهن مع حلول السبعينيات

(١٥٤) لمزيد من العروض عن الدراسات النفسية الاجتماعية المتعلقة بالسياسة الخارجية والعلاقات الدولية، انظر (Klineberg (1950, 1965، Osgood (1962)، Kelman (1965) وDeRivera (1968). (المؤلف)

وتطور أطر نفسية بديلة، والتحول فى التوجه العام فى اتجاه النظريات الأكثر اقتصادًا القابلة للاختبار الإمبريقى(١٥٥).

كما شهدت فترة الستينيات أبحاثًا جديدة فى مجال علم النفس الاجتماعى عن إدراك واختيار الأفراد مع بعض التطبيقات على السياسة الخارجية على مستوى كل من النخبة والجماهير (DeRivera, 1968, White 1968)، إلا أن أغلب تلك الأعمال لم يكن لها إلا تأثير محدود على دراسات صنع القرار فى العلاقات الدولية. وقد أجريت تلك الأبحاث بشكل عام على أساس التجارب المعملية المصممة بهدف فحص استجابات الأفراد النموذجية للمشكلات البسيطة نسبيًا، وإعطاء اهتمام محدود للسؤال الخاص بها إذ أمكن تعميم النتائج التجريبية على السياقات الواقعية.

وتكمن إحدى المشكلات فى أن أنواع الأشخاص المنتقين للاضطلاع بأدوار الزعامة، تختلف عن طلاب الجامعات الذين يعدون بمثابة الأعضاء النموذجيين فى العديد من التجارب، ففى غياب ضوابط واضحة، هناك احتمال أن تكون هذه الاختلافات القائمة على أساس الانتقاء وليس المتغيرات المسببة المفترضة، هى المسؤولة عن تفسير الآثار المسببة التى تلاحظ فى المختبر. كما يختلف صنع السياسة الخارجية عن المختبر فيما يتعلق بالمخاطر، فالحجم الأكبر من المخاطر التى يواجهها الزعماء السياسيون، بالمقارنة بمن تجرى عليهم التجارب المعملية، تمنح الزعماء حوافز أكبر على بذل الطاقة العقلية لاتخاذ قرارات عقلانية والتعلم من أخطائهم، إلا أن تلك المخاطر من شأنها أن تخلق أيضا مستويات أعلى من التوتر الذى -إذا ما تجاوز نقطة معينة- أصبح الأداء دون المستوى المثالى (Holsti 1989).

---

(١٥٥) لنقاش عام عن المقاربة الذاتية النفسية psycho-biographical انظر Lowenberg (1969). وللنقد انظر Tetlock، Crosby، و1981 Crosby) ولمعالجة أكثر عمومية لأثر الشخصية على السياسة انظر Greenstein (1975). (المؤلف)

وأحد أوجه القصور الأخرى فيما يتعلق بقابلية التجارب النموذجية فى علم النفس الاجتماعى على التعميم فى مجال السياسة الخارجية، هو أن معظم تلك التجارب تتجاهل السياق السياسى أو الاستراتيجى للقرارات، وكذلك السياق المؤسسى الذى تتخذ فيه القرارات وقدرة الدوائر الانتخابية السياسية على محاسبة متخذى القرار (Tetlock 1992)، والسياق الدولى واختلاف المصالح بين الدول. وكثيرًا ما أدى إهمال السياق الاستراتيجى لقرارات السياسة الخارجية، مقرونًا باهتمام قوى من قبل السياسيين بخفض الصراع الدولى، إلى انحياز تجاه التأكيد على الأحكام والاختيارات الخاطئة للفاعلين والتقليل من أثر الخلاف الحقيقى على المصالح إلى الحد الأدنى (Jervis, 1976 ص 3-4).

وظهر أول تحليل منظم لاتخاذ القرار فى مجال السياسة الخارجية فى منتصف الخمسينيات مع بزوغ "مقاربة اتخاذ القرار" المرتبطة بريتشار سنايدر Richard Snyder وأقرانه (Snyder, Bruck and Sapin, 1954)[١٥٦]. فقد تنامى الاستياء، بحلول هذا الوقت، بسبب تركيز العديد من الدراسات القائمة فى مجال السياسة الخارجية على العقلانية والوحداوية والمناوءة للسياسة والاهتمام بالنتائج. لقد أقر Snyder وزملاؤه بأن الدول هى أطراف أساسية فاعلة فى السياسة الدولية ولكنهم دفعوا بأنه من أجل فهم سلوك الدول، من الضرورى التركيز على الأفراد الذين يتخذون القرارات الأساسية فى السياسة الخارجية وعلى العمليات الفكرية والسياسية المؤدية إلى تلك القرارات.

وركزت مقاربة اتخاذ القرار على النخب السياسية ومفهومهم عن المصالح القومية و"تعريفهم للموقف"، والسياقات السياسية الداخلية التى يعملون بها، ودور الأعلام والتواصل فى هذه العمليات. ولقد ساهم التوضيح اللاحق لمقاربة اتخاذ القرار فى إضافة المزيد من التوكيد على المساواة بين

---

(١٥٦) لعرض مفيد عن مقاربة صنع القرار، انظر Rosenau (1967). (المؤلف)

الفاعلين المختلفين والمصالح المتباينة داخل الحكومات، وانتهى بشكل عام إلى أن السياسة الخارجية يدفعها هدف الاتفاق بين صانعى القرار الرئيسيين و"جذب وسحب" المصالح الداخلية المتنافسة حسب جدارة السياسات (Huntington 1961; Neustadt, 1960; Schilling, Hammond and Snyder 1962)

وبينما سمح التركيز على تعريف الزعماء السياسيين للموقف وأهمية الإعلام والتواصل فى "الموجة الأولى" من مقاربة اتخاذ القرار (Art 1973) بدور كبير للعوامل النفسية، لم يكن هناك قدر كبير من التنظير الواضح عن أثر المتغيرات النفسية على عملية السياسة الخارجية. وأكد الدارسون على افتراضات الزعماء السياسيين عن العالم، ولكنهم تعاملوا مع تلك الافتراضات بشكل عام، على أنها خارجية، ولم يبذلوا جهدًا كبيرًا فى شرح وتفسير العمليات الاجتماعية والفكرية والنفسية المحددة التى ولدتها. ونتيجة لذلك، لم يتم تحقيق الإدماج المحتمل للعمليات النفسية فى تحاليل صنع القرار مبكرًا إلا بشكل جزئى.

ولقد كانت المساحة المتاحة للمتغيرات النفسية أقل فى "الموجة الثانية" من دراسات صنع القرار، وكانت تلك الموجة قد ظهرت مع الإيضاح الذى قدمه اليسون Allison(1971) بشأن العملية التنظيمية ونماذج سياسات الحكومات للسياسة الخارجية. ويتعلق نموذج العملية التنظيمية بالمنظمات المنفذة للأعمال الروتينية سابقة التخطيط أو إجراءات التشغيل المطبقة، ولا تسمح إلا بقدر بسيط للغاية من التباين فى السلوك المستند إلى اختلاف الأنظمة العقائدية لدى الأفراد، والانحياز فى معالجة المعلومات، والشخصيات أو أية مؤهلات أخرى على المستوى الشخصى[١٥٧]. وأما نموذج السياسات الحكومية، فيقوم على أساس تحقيق أقصى درجة من المصالح بمعرفة رؤساء

---

(١٥٧) نادرًا ما يقف نموذج العملية التنظيمية وحده وعادة ما تدمج ملامحه الأساسية فى نموذج ممتد للسياسات الحكومية أو البيروقراطية (Halperin, 1974). (المؤلف)

المنظمات البيروقراطية المختلفة. ويتم تحديد تفضيلات كل من الفاعلين البيروقراطيين الرياديين أساسًا بمعرفة الأدوار التنظيمية لهؤلاء الأشخاص، استنادًا إلى الحكمة القائلة بأن "المكان الذى تجلس فيه هو المكان الذى تقف فيه" وأن تلك التفضيلات يتم تجميعها من خلال عملية المساومة البيروقراطية.

ويمكن بالتأكيد بناء نموذج للسياسة البيروقراطية حيث تلعب نفسية الفرد أو المجموعة دورًا مركزيًا من خلال النظام العقائدى للزعماء السياسيين وتعريفات مصالحهم، وفهمهم لأدوارهم، أو المهارات أو أساليب المساومة حول الأمور الخاصة بالسياسات بين الفاعلين البيروقراطيين على اختلافهم. إلا أن عددًا قليلاً من النماذج البيروقراطية فى "الموجة الثانية" هو الذى فعل ذلك[١٥٨] فعلى الرغم من أن النموذج الأول الخاص بأليسون المسمى "نموذج الفاعل العقلانى" قد تسبب فى بعض البلبلة، إذ جعل البعض يستنتج أن نموذجيه الآخرين لم يكونا نموذجين عقلانيين، إلا أنه ليس هناك أى مجال للشك فى أن نموذج السياسات الحكومية الذى تبناه أليسون Allison والإيضاحات اللاحقة له، كانت نماذج عقلانية تصبو إلى تحقيق الحد الأقصى من المصالح .(Bendor and Hammond 1992) والفارق الوحيد هو أن النموذج الأول لأليسون هو نموذج أحادى عقلانى لصنع القرارات، بينما نموذج السياسات الحكومية هو نموذج عقلانى ولكنه غير أحادى[١٥٩].

---

(١٥٨) لمزيج من النموذج السياسى للسياسات البيروقراطية ونموذج اجتماعى نفسى لديناميات المجموعات الصغيرة انظر Hart (1990). (المؤلف)

(١٥٩) يثير النموذج الثانى مجموعة صعبة من الأسئلة فيما يتعلق بالتصنيف. فالتأكيد على اتباع قواعد الروتين بدلاً من تحقيق الحد الأقصى من المصالح على أساس حساب دقيق للتكلفة والفوائد، قد يختلف بين المنطق التبعى Consequentialist للنماذج العقلانية وقد يتناسب ويتفق فى بعض نواحيه مع النموذج البنائى Constructivist، خاصة منطق اتباع القاعدة القائمة على أساس الهوية الاجتماعية والمعايير الاجتماعية Goldgeier and Tetlock, 2001 (March and Olson, 1989 – P. 82-83). أما رد فعل أنصار الاختيار العقلانى، فهو أن تطوير تلك القواعد والروتين هو فى المقام الأولى رد فعل عقلانى لعدم اليقين والتعقيد الذى يواجه الفاعلين التنظيميين. (المؤلف)

لقد أفضى الاستياء العام من تجاهل المتغيرات النفسية فـي النمـاذج الأساسية الريادية لتحليل السياسة الخارجية إلى القيام بعدد مـن المـشاريع البحثية متوسطة المدى وأكثر تركيزا، لعـب فيها عـلم النفس الـسياسـي دورًا مركزيًا. وفى هذا الصدد يعتبـر التحليـل الـذى أجـراه هولـستتر Wohlstetter (1962) أحد أكثر الدراسات تأثيرًا- وهو المـستند إلـى إطـار واضح لمعالجة المعلومات - لفشل المخابرات الأمريكية في واقعـة بيـرل هاربور. ويرى هولستتر أن المشكلة لم تكمن فى ندرة المعلومات فحسب، بل فى الفشل فى التمييز بين الإشـارات والـضوضاء، وتقـسيم المعلومـات والاحتفاظ بها فى هيئات بيروقراطية مختلفة. وقد كان لتلك الدراسة أثر كبير على برامج الأبحاث التالية حول إدراك وسوء إدراك التهديد، وتـم تعزيـز قابلية نتائجها الرئيسية للتعميم على أنماط شبيهة فى تقارير أولية حول أسباب فشل المخابرات الأمريكية فى ١١سبتمبر ٢٠٠٢ أى بعد حادثة بيرل هاربور بستين عامًا.

وركز أحد خطوط التحقيق الأخرى الذى يجد أصوله فى تحليل ليـتس Leites (1951, 1953) للأيديولوجية البلشفية علـى "الـشفرة الإجرائيـة"(١٦٠) Operational Code للزعماء السياسيين. وقد أعيد صـياغة مفهـوم الـشفرة الإجرائية وتبسيطه على يد George (1969) الذى ألغى المكون التحليلى النفسى الذى كان بارزًا فى أعمال Leites (1953)، وركز بدلاً من ذلك، على الأبعاد الإدراكية لمفهوم الشفرة الإجرائية وحاول، بشكل عـام، أن يـصنع إطـارًا للتحليل فى سياق الثورة الإدراكية والتحليل الراهن للعلـوم الـسياسية(١٦١).

---

(١٦٠) المقصود بالشفرة الإجرائية فى هذا السياق دراسة مجمل الأبنية الذهنية التى تعبر عن نظرة القائـد للعالم، والتى يتخذ على أساسها قراراته وفقا لما يراه صحيحا وما يراه خاطئا، وهو بـذلك مفهـوم لصيق بالشخصية حيث يربط بين الدوافع والمعتقدات (المراجع)

(١٦١) حث George (1969, P. 145) المحللين على التركيز على المعتقدات التـى "يمكـن اسـتقراؤها أو افتراضها بمعرفة الباحث على أساس أنواع البيانات وفرص الملاحظة والوسائل المتوفرة عمومًا=

ودفع جورج George (1969) بأن معتقدات الفرد متداخلة ومنسقة ومنظمة تراتبيًا حول مجموعة صغيرة من "المعتقدات المسيطرة" Master beliefs، والمقاومة للتغيير. وأما مرتكزات نظم العقائد، فتشمل المعتقدات الفلسفية حول الطبيعة السياسية والصراع، والمعتقدات المساعدة الخاصة بفاعلية الاستراتيجيات البديلة لتعزيز مصالح الفرد. وتعد صور العدو مكونًا مهمًا فى نظم معتقدات المبادئ الإجرائية(١٦٢).

وتعتبر مراجعة George لتلك الصياغة أساس الدراسات عن الشفرة الإجرائية لعدد من الزعماء السياسيين, بمن فيهم جون فوستر دالاس (Holsti, 1970) وهنرى كيسنجر(Walker, 1977) كما قام آخرون بتطوير نماذج شخصية جديدة للشفرات الإجرائية (Holsti, 1977) بحيث أدمجوا المفهوم بالأدبيات الحديثة المتعلقة بالمخططات المعرفية George. Cognitive Schemas) (1979(١٦٣). وفى بعض الحالات، بدأوا فى إعادة دمج عناصر الشخصية ضمن الشفرات الإجرائية (Walker, 1995). إلا أن هناك مناظرات حول ما إذا كان التعقيد المتزايد للشفرات الإجرائية قد ساهم بشكل كبير فى تعزيز قدرته التفسيرية (Walker, 2003) ويظل تحليل الشفرات الإجرائية مقتصرًا على جماعة بحث محدودة نسبيًا فى هذا المجال.

= لعلماء السياسة. والجدير بالملاحظة أن بعض الأعمال الأولى لـ George كانت أكثر توجهًا نحو الدينامية النفسية (George 1956) وأن بعض الدارسين يؤكدون استعداد George لإدماج الصلات بين العناصر الإدراكية وعناصر الشخصية الخاصة بالشفرة الإجرائية (Walker 2002). (المؤلف)

(١٦٢) صور العدو هى أيضا مركزية فى الأدبيات خارج نطاق برنامج بحث القواعد الإجرائية (Boulding, 1959; Finlay, Holsti and Fagen, 1967; Holsti, 1967; White, 1968) بما فى ذلك التحليلات البنائية constructivist "للذات" و"الآخر". لمزيد من التفاصيل انظر ملخص تقييم البحث الذى تم عن الصور فى الفصل التاسع. (المؤلف)

(١٦٣) عن المخططات والنصوص انظر Fiske & Taylor (1991) وLau & Sears (1986). (المؤلف)

ومن الموضوعات الأخرى التى بدأت فى جـذب الاهتمـام المتزايـد بحلول منتصف الستينيات، بدون شك كرد فعل تجـاه الأزمـات الروسـية الأمريكية فى برلين وكوبا، كان اتخاذ القرار فى أوضاع الأزمات. واهـتم الباحثون بشكل خاص بأثر التوتر الذى تسببه الدرجة العالية من المخـاطر، وقصر وقت اتخاذ القرار، وعنصر المفاجأة المرتبط بالأزمات الدولية الحادة (Hermann, 1972; Holtsi, 1972; 1989; Holsti and George, 1975). ويعـد مشروع ستانفورد عن أزمة الصراع والتكامل الـدولى، المعـروف باسـم مشروع ١٩١٤، أحد برامج البحث المؤثرة عن أزمات صنع القـرار. وقـد اتسم المشروع بالابتكار فيما يتعلق بتطبيقه لنماذج الحافز/ الاسـتجابة فـى مجال السياسة الدولية، واستخدامه لتحليلات المحتوى للوثـائق الدبلوماسـية الرسمية لفحص إدراك صانعى القرار، والتباين بين هـذا الإدراك والواقـع (Holsti, 1972, North, 1967). وعرض دارسون آخـرون دراسـات حالـة تاريخية أكثر تفصيلاً لأزمات صنع القـرار (Brecher and Geist 1980, Stein and Tanter, 1980)

وفيما أشارت دراسات مشروع ١٩١٤ إلى أن الزعماء السياسيين قـد أساءوا إدراك قدرات ونوايا خصومهم وذلك بشكل منتظم، لـم تكـن تلـك الدراسات شافية فى تحديد الآليات المسببة التى أدت إلى مثل هذه الحـالات من سوء الإدراك، والأوضاع التى ترجح حدوثها، وأنواع الأفراد المـرجح تأثرهم، والأثر المسبب لسوء الإدراك على خيارات الـسياسات الخارجيـة والنتائج الدولية. لقد كانت تلك هى بعض المـساهمات العديـدة للدراسـات الكلاسيكية التى أجراها Jervis (1976) المعنونة "الإدراك وسوء الإدراك فى السياسة الدولية". وقد كانت تلك الدراسة ولا تزال، أكثر الدراسات تأثيرًا فى مجال دور سوء الإدراك فى السياسة الخارجية والسياسة الدولية، وهى تمثل بالفعل علامة فى طريق صياغة منظمة لمفهوم "النموذج المعرفى" فى تحليل السياسة الخارجية.

وقد قدم جارفيس Jervis (1976) تركيبة شـــاملة للنظريـــة والبرهـــان التجريبى المستمد من العديد من المقاربـــات الرياديـــة فـــى علـــم الـــنفس الاجتماعى، وعضده بطيف عريض من الأمثلة التاريخية كما أقر بطريقة ما، أن العديد من النتائج التى تنبأت بها النماذج النفسية يمكن تفسيرها باســـتخدام النماذج الانتظامية أو نماذج السياسة الداخلية. وقام جـــارفيس Jervis (1976) بتحديد تلك التفسيرات البديلة وناقش أنواع البراهين وتـــصميمات الأبحـــاث الملائمة للتمييز الامبريقى بين تلك التفسيرات المنافسة. لقد كان هذا الاهتمام بالتفسيرات البديلة والتهديد تجاه الاستنتاج الصحيح وتـــصميمات الأبحـــاث للتعامل مع تلك المشاكل الاستنتاجية إحدى المساهمات المنهجيـــة الأساســـية وخطوة رئيسية إلى الأمام فى اتجاه تطبيق النماذج النفـــسية علـــى ســـلوك السياسة الخارجية.

بالإضافة إلى توليد الاهتمام العام بدور علـــم الـــنفس فـــى الـــسياسة الخارجية والعلاقات الدولية، ساعدت دراســـة Jervis (1976) فـــى المبـــادرة بالعديد من برامج الأبحاث المحددة فى هذا المجال أو الإسراع فى تنفيـــذها. ومن أهم تلك الدراسات دراسة إدراك التهديد. فقد أدمجت الدراسات التى تم تطويرها عن إدراك التهديد (Jervis, 1985, Lebow, 1981; Stein, 1985, 1993)

أبحاثًا جديدة فى علم النفس الاجتماعى عن المـــساعدات والتحيـــزات المعرفية (Nisbett and Ross, 1980; Tversky and Kahneman, 1974)[١٦٤] بينمـــا زاد التأكيد فى الوقت نفسه على العوامل العاطفية التى كانت قد أهملت نتيجة الثورة المعرفية فى علم النفس الاجتماعى. وفى الجزء التالى، سوف أقـــوم باستعراض هذا البرنامج البحثى بقدر أكبر من التفصيل.

---

(١٦٤) انظر النقاش فى الفصل الثانى عن مساعدات القرار التى يستعين بها الأفراد فى اتخـــاذ القـــرارات الخاصة بالتصويت. (المؤلف)

علم النفس وإدراك التهديد:

يتخذ إدراك وسوء إدراك التهديد أشكالاً عديدة كما أن لهما مصادر متعددة على كافة المستويات السببية – عدم اليقين الانتظامي، الأبنية والعمليات التنظيمية، والثقافة والإيديولوجيا على المستويات التنظيمية والمجتمعية، وديناميات المجموعة الصغيرة والإدراك الشخصي والعاطفي. وأود هنا أن أركز بشكل مبدئي على المتغيرات النفسية على مستوى الفرد، إلا أنه من المفيد أولا، فحص بعض المشاكل التحليلية التي تزيد تعقيد تحليل سوء الإدراك في اتخاذ القرار في مجال السياسة الخارجية والتفاعل الاستراتيجي بين الدول.

المشاكل التحليلية في دراسة سوء الإدراك:

على الرغم من أن سوء الإدراك كثيرًا ما يرتبط بالنتائج السيئة، إلا أن ذلك أمر مضلل، فسوء الإدراك قد يساهم في تحقيق السلام أو الحرب، فالمبالغة في تقدير قدرات الخصم على سبيل المثال، قد يفضي بالدولة إلى الإحجام عن المبادرة بالحرب التي قد ترغب في إعلانها في ظروف أخرى. وعلى المدى الطويل، قد تدعو المبالغة في تقدير قدرات الخصم الدولة إلى الاستعداد العسكري مما قد يفجر سباق أسلحة ويؤدي إلى تصاعد الصراع، مما يزيد من احتمال نشوب الحرب. إن تعدد نتائج سوء الإدراك تجعل من الضروري تحديد أنواع مختلفة من سوء الإدراك والمسارات السببية المميزة التي تؤثر من خلالها على قرارات الحرب والسلام، وأوضاع وأصناف الدول والزعماء المرجح أن تختار تلك المسارات. وأكثر أنواع سوء الإدراك

أهمية هو سوء إدراك وتقدير قدرات ونوايا الخصوم والأطراف الثالثة (Levy, 1983).[١٦٥]

وإحدى أهم المشاكل المنهجية فى الأدبيات الامبريقية عن سوء الإدراك والصراع الدولى، هو أن المحللين كانوا ينظرون إلى الحروب وفشل المخابرات أو النتائج غير المرغوب فيها الأخرى ثم سعوا إلى تحديد سوء الإدراك وباثولوجيا اتخاذ القرار التى أفضت إلى تلك النتائج وأهملت النتائج غير المتعلقة بالحروب، إلا أنه من الوارد أن يكون سوء الإدراك أمرًا شائعًا وسيئًا فى النتائج غير المتعلقة بالحروب، وأن استبعاد مجموعة المقارنة تلك يجعل من الصعب إيضاح إذا كان سوء الإدراك له أثر سببى أو أن تأثيراته يهيمين عليها تأثيرات المتغيرات الأخرى. ويجب أن تشتمل دراسة سوء الإدراك حالات تتضمن نتائج إيجابية وأخرى "سلبية" (Jervis, 1988 صفحة ٦٨٠).

وإحدى المشكلات الأساسية الأخرى هى أن سوء الإدراك مفهوم زلق بشكل كبير بحيث يصعب تعريفه وتحديده وقياسه. وثمة مقارنتان عامتان لتعريف سوء الإدراك تتعامل معه الأولى كنتيجة والثانية كعملية (Jervis, 1976) وطبقًا للأولى، يعد سوء الإدراك بمثابة الفارق بين الإدراك والواقع، ووفقًا للثانى يرتبط سوء الإدراك بعملية صنع القرار التى تجنح عن النموذج العقلانى القياسى لمعالجة المعلومات.

---

(١٦٥) فيما يشير قدر كبير من الأبحاث عن سوء الإدراك إلى أن الزعماء السياسيين يتحيزون تجاه المبالغة فى تقدير التهديدات الخارجية، مما يؤدى إلى تصاعد العنف، يركز خط آخر من خطوط البحث على بخس تقدير التهديدات ومصادر فشل المخابرات
(Bar-Joseph and Kruglanski، تحت الطبع- ;Betts 1978: Handel 1977; Shlaim 1976; Wohlstetter 1962) (المؤلف)

وفى بعض الحالات، يتوفر لدينا القرائن التى يمكن الاعتماد عليها، لتحديد نوايا الفاعل وإدراك خصمه لتلك النوايا. وعلى هذا الأساس، يصبح لدينا المعلومات المطلوبة لإصدار حكم عن دقة الإدراك. إلا أن تلك المواقف تعد نادرة الحدوث لأنه من الصعوبة بمكان تحديد نوايا الفاعل (Jervis, 1976). فالمؤرخون، حتى مع الاستفادة من الفهم بأثر رجعى والمعلومات الأكثر استيفاء مقارنة بما كان متوافرًا لصناع القرار فى ذلك الوقت، كثيرًا ما لا ينجحون فى الاتفاق على نوايا الفاعل(١٦٦) فلدى صناع القرار حوافز دبلوماسية وبيروقراطية وسياسة محلية كافية لإساءة تمثيل إدركاتهم الحقيقية حتى يستطيعوا التأثير على إدراكات وسلوك الآخرين، ولابد فى تلك الحالة من الأخذ بعين الاعتبار حرصهم على صورتهم فى التاريخ وخيانة الذاكرة وتحيزات الفهم بأثر رجعى عند استخدام سيرتهم الذاتية فى المراحل التالية كدليل وبرهان. وقد يتم تشويه السجل الوثائقى نفسه لأسباب سياسية (Herwig 1987).

لقد ساهمت تلك المشاكل المنهجية (Holsti, 1976) فى دفع Jervis (1976) إلى تنحية مسألة دقة الإدراكات وركز، بدلاً من ذلك، على تباينات الإدراكات بين الفاعلين المختلفين من ذوى الخلفيات والأدوار والمصالح المتباينة. وكان الهدف هو استخدام التحليل المقارن كوسيلة ضغط للوصول إلى السبب والتعامل مع مشكلة التفسيرات البديلة بدون الاعتماد على مفهوم الدقة الإشكالى(١٦٧).

---

(١٦٦) أحد الأمثلة الجيدة هو أصول الحرب العالمية الأولى حيث أدى الإذن بنشر الوثائق الدبوماسية المتعلقة بالحرب إلى تغذية السجال الجارى بدلاً من تهدئته. (المؤلف)

(١٦٧) تؤكد نظريات الصراع الخاصة بالاختيار العقلانى على أهمية الإدراك ولكنها تتجاهل مسألة دقة هذه الإدراكات. وفيما تؤدى اختلافات الإدراك إلى نتائج عميقة (لا يمكن لفاعلين وحدويين يمتلكان معلومات تامة – عقلانيًا- أن يشنا الحرب، Fearon 1995) إلا أن السؤال الخاص بأية مجموعة من الإدراكات هى الأكثر دقة سؤال ليس له أهمية. (المؤلف)

كذلك، ثمة مشاكل تحليلية أخرى فيما يتعلق بمفهوم النوايا. فهذا المفهوم يدل على أن السلوك عمدى وأن الفاعل يخطط للتصرف بأساليب معينة وفقًا للظروف المختلفة فى المستقبل. إلا أن الأفراد ليسوا دائمًا على معرفة بتفضيلاتهم، فالتفضيلات قد لا تكون ثابتة على مدى الزمن كما أنها لا تخضع لتأثير الخيارات أو المعلومات التى لا صلة لها بالموضوع كما يشير إلى ذلك كاهنمان وتفرسكى Kahneman and Tversky (1979) فى تحليلهما لآثار التأطر. وتزداد تلك المشاكل تعقيدًا بالنسبة لهيئات صنع القرار الجماعى حيث تكون التفضيلات دورية وغير ثابتة وحيث يتم الوصول إلى القرارات عن طريق المساومة البيروقراطية وديناميات المجموعة الصغيرة والضغوط السياسية المحلية (Allison 1971, Janis, 1982) وكلاهما يصعب التنبؤ به.

وفى سياق عدم اليقين، نادرًا ما يتقدم الفاعلون العقلانيون بتنبؤاتهم عن قدرات ونوايا الخصوم أو الأطراف الثالثة، بل يتوقعون طيفًا من النتائج المحتملة ويلحقون بكل منها ترجيحات تقريبية وبذلك يصبح للفاعلين توزيعات ذاتية للاحتمالات بالنسبة للنتائج المحتملة. وفى بعض الأحيان تحدث نتائج كانت متدنية الترجيح، وعندما يتم ذلك، لا يجب علينا بالضرورة أن نستنتج أن الفاعل قد أساء إدراك الواقع لأنه اعتقد فى رجحان نتيجة أخرى.

والسؤال الأكثر مواءمة هو عما إذا كان التوزيع الذاتى لاحتمالات النتائج معقولاً فى المقام الأول. وكثيرًا ما نستطيع الإجابة على هذا السؤال حين يكون لدينا عددٌ أكبر من الملاحظات التى يمكن عقد مقارنة بينها، وحين يمكن المقارنة بين توزيع النتائج الواقعية مع التوزيع الذاتى للاحتمالات الخاصة بالفاعل(١٦٨).

---

(168) يمكننا أن نحكم على دقة التوقعات الجوية على سبيل المثال عن طريق ملاحظة تواتر سقوط المطر كوظيفة من الوظائف المتعددة للتوقعات الجوية، على احتمال سقوط المطر. فإذا نزل المطر ٧٠% من المرات التى تنبأت فيها الأرصاد الجوية بـ ٧٠% فرصة سقوط الأمطار (وتوقعات أخرى شبيهة)، يمكننا استخلاص أن تلك التنبوات دقيقة. (المؤلف)

غير أن العديد من القضايا الخاصة بسياسات الأمن تشمل عددًا صغيرًا نسبيًا من الحالات فى مجموعة معينة من الأحداث. و"يدور شريط التـــاريخ مرة واحدة فقط"، كما يقول (1998) Tetlock صفحة ٨٧٠، لذلك، فمن غيــر الممكن أن نعقد مقارنة بين دقة بعض التوزيعات المتوقعة للنتائج مع توزيع النتائج الفعلية. فإذا تعاملنا مع إدراكات قدرات ونوايا الخصوم على أســاس كونها أحكامًا ذاتية محتملة، وإذا كان لدينا عدد صغير من الملاحظات، فليس بالضرورة أن تنفى ملاحظة واحدة توقعات المرء ويــصبح مفهــوم ســوء الإدراك شديد الإشكالية[١٦٩].

مثل هذه المشاكل الــعسيرة تعيد عددًا كبيرًا من الدارسين إلى مفهــوم ســوء الإدراك الذى يسيطر عليه التــوجه نحــو العملية. وكــــما يقــول Jervis (1976): لا ينبغى علينا أن نسأل "هل كان هذا الإدراك صحيحًا"؟ بــل "ما إذا كان مستمدًا من المعلومات المتوفرة"؟ (ص ٧) وأما مقياس التقيــيم، فهو إلى أى حد تتفق عملية صنع القرار الواقعية مــع "النمــوذج العقلانـــى" لمعالجة المعلومات. وليس هناك مفهوم واحد مقبول للعقلانية بالطبع، كما أن محاولات تعريف المفهوم تصبح أكثر تعقيدًا بــسبب "الخــيط الرفيــع بــين العقلانية و"العقلانية ذات الحــدود".(Jones, 1999; March 1978; Simon, 1957) وبالسلوك الاستراتيجى الذى يمكن أن ينتج حوافز ضـــد الحــدس (Wagner, 1992)، إلا أن العديد من الباثولوجيا الخاصة بصنع القرار تنـــتج انحرافــات عظيمة عن التوقعات العقلانية، حتى لا تترك هناك أى شك فى انحرافها عن أكثر مفاهيم عملية اتخاذ القرار العقلانى.

---

(١٦٩) إن السؤال الخاص بعما إذا كان صانعو القرار السياسى يتعاملون بالفعل مع إدراكاتهم عن قــدرات الخصوم ونواياهم كشىء يمكن مقارنته بالتوزيع الذاتى للاحتمالات على النتائج المحتملة هو ســؤال بحثى مثير. وهناك من الدلائل ما يشير إلى أن الناس تبخس تقدير الطبيعة الاحتمالية لتقديراتهم عن قدرات أو نوايا الخصوم أو تنكرها تمامًا بسبب نزعة الثقة الزائدة بالنفس، والــسعى إلـــى تجنــب التنازلات القيمية والآليات النفسية الأخــرى (Kahneman, Slovic, and Tversky 1982; Nisbett and Ross, 1980). (المؤلف)

أخطاء وانحيازات شائعة:

المقدمة المنطقية لما يطلق عليه (1998) Tetlock "برنامج البحث المعرفى" فى سياسة العالم هى أن العالم معقد بشكل غير عادى، كما أنه غير متسق ومتغير، بينما الناس محدودون بقدرتهم على معالجة المعلومات وتحقيق مقاييس العقلانية المثلى بشكل تام فى محاولاتهم لتحقيق أقصى درجة من مصالحهم. ويتبنى الناس عددًا من الطرق القصيرة الإدراكية أو المساعدة التى تساهم فى إملاء درجة ما من البساطة والنظام على العالم الذى يتصف بالتعقيد وعدم اليقين حتى يصبح هذا العالم أكثر قدرة على أن نفهمه. قد تخدم تلك المساعدات الناس بشكل طيب فى طيف عريض من المواقف، إلا أنها أيضا مصدر لأخطاء وتحيزات جسيمة. ووفقًا لهذا النموذج "للاقتصاد المعرفى" قد يحاول البعض أن يتصرف بشكل عقلانى، إلا أنهم يفعلون ذلك فى حدود تمثيلاتهم العقلية المبسطة للواقع (Jervis. 1976; Nisbett and Ross 1980; Tverskyand Kahneman 1974) وأما التحيزات الناتجة، فهى "بدون دافع" لأنها نتيجة "لإدراكات باردة" ولا تؤثر فيها الاعتبارات العاطفية أو الخاصة بالدوافع.

وأما المجموعة الرئيسية الأخرى من التحيزات، فهى "التحيزات ذات الدافع" التى تركز على الحاجات النفسية للأفراد ومخاوفهم وشعورهم بالذنب ورغباتهم (Janis and Mann 1977)

والأرجح أن تعبر التحيزات ذات الدافع عن نفسها فى القرارات التى تنطوى على درجات عالية من المجازفة والأفعال الناتجة عنها التى قد تؤثر فى القيم المهمة أو المقارنة بين قيم مهمة. كما أن التوتر الناتج عن تهديد القيم الأساسية كثيرًا ما يدفع صانعى القرار إلى إنكار تلك التهديدات أو الحاجة إلى الموازنة بين تلك القيم (Holsti and George, 1975) وكثيرًا ما

تكون الأحكام المترتبة على ذلك ترشيدًا للمصالح السياسية أو الحاجات النفسية غير المعترف بها أو السياسات التى تخدم تلك المصالح والحاجات)صفحة ٢٥) -Jervis, 1985

وتولد الانحيازات المعرفية والأخطاء المدفوعة نفس باثولوجيا الحكم والقرار، وكثيرًا ما يعزز بعضها البعض. فكثيرًا ما يمكن تفسير نفس السلوك باستخدام التحيزات المدفوعة أو غير المدفوعة وكثيرًا ما يكون صعبًا التمييز بينهما امبريقيًا(١٧٠). وينبغى أن يتم إدماج مصادر التحيزات تلك داخل إطار تحليلى واحد، ولهذا السبب أقوم بترتيبها بشكل منفصل ومستقل فى الأجزاء التالية.

لقد منحت الأدبيات اهتمامًا كبيرًا خلال الربع قرن المنصرم من القرن الماضى للانحيازات الإدراكية، وأتبع أنا هذا التقليد هنا على الرغم من أنه مع حلول التسعينيات، كان الدراسون قد جددوا اهتمامهم بالانحيازات والعواطف المدفوعة. (Crawford, 2000; Hermann, 2002; Marcus 2000)

التحيزات المعرفية:

يعتبر أكثر نظم معتقدات الفرد أساسية هو أثرنظام المعتقدات المسبقة على ملاحظة وتفسير المعلومات. وبينما تساهم المعتقدات فى تبسيط الواقع وجعله أسهل فهمًا، فهى تخلق أيضا مجموعة من الميول المعرفية التى تشكل طريقة معالجة المعلومات الجديدة. والفرضية المركزية فى هذا الصدد هى أن الناس لديهم ميول قوية لرؤية ما يتوقعون رؤيته على أساس معتقداتهم المسبقة، وهم أكثر قبولاً – بشكل منتظم – للمعلومات المتسقة مع معتقداتهم المسبقة مقارنة بالمعلومات التى تتناقض وتلك المعتقدات."إن هذا الاهتمام

(١٧٠) لمزيد من المعلومات عن النموذج المتكامل "للتعقل المدفوع" الذى يشمل الإدراك والعاطفة affect، انظر (Redlawsk 2002). (المؤلف)

المنتقى" للمعلومات يساهم فى مثابرة المعتقدات (George, 1980)، كذلك هناك ميول مرتبطة بذلك فى اتجاه "الانغلاق المعرفى قبل الآوان"، فبدلاً من الانخراط فى بحث معقد عن المعلومات المرتبطة بالمشكلة التى يكون الناس بصددها، يتجه الأفراد إلى إنهاء عملية البحث عن المعلومات عندما يحصلون على قدر كاف من المعلومات، لدعم آرائهم القائمة وتعتبر معالجة المعلومات، بأكثر من طريقة، مدفوعة بالنظرية، أكثر من البيانات(١٧١) (Jervis, 1996).

ويثير هذا "الاهتمام الانتقائى" بالمعلومات ومثابرة المعتقدات الأسئلة حول النماذج العقلانية للتعلم ويقوم الأفراد، بصفة خاصة، بتحديث معتقداتهم بوتيرة أبطأ مما يتوقعه النموذج الرياضى العقلانى كما تظهر الأحكام المبدئية، لأنها بطيئة التغيير كركيزة مفاهيمية للمعتقدات. وبينما تتقارب المعتقدات بشكل سريع طبقًا للنموذج الرياضى كرد فعل للمعلومات الجديدة، بصرف النظر عن المعتقدات المسبقة المبدئية، هناك من البراهين ما يشير إلى أن عملية التكيف غير فعالة فى الواقع، وأن اختلاف نقاط البداية كثيرًا ما يؤدى إلى نتائج متباينة، وهو ما يعرف بمساعدة "الركيزة والتكيف" (Tversky and Kahneman, 1974) وسوف أعود إلى هذه النقطة فى وقت لاحق.

ولتلك الانحيازات دلالات مهمة بالنسبة للسياسة الخارجية والعلاقات الدولية. فإذا كنت تعتقد أن الخصم عدائى بشكل جوهرى ولكنه يتجاوب فى

---

(١٧١) فيما يفسر غالبية الدارسين التجليات المختلفة التى تدفعها النظريات كأشياء غير مدفوعة، من الممكن أيضا دمجها فى إطار للتحيزات المدفوعة. ففى سياق نظرية الإدراك المتنافر (Festinger 1957) على سبيل المثال، يدفع الشعور بعدم الراحة فى الاحتفاظ بنظام للمعتقدات يتألف من عناصر غير متناغمة يدفع الأفراد إلى التقليل من تلك التنافرات أو إلغائها أو منعها من الظهور. ويعتبر الاهتمام الانتقائى، ومثابرة الاعتقاد ومبدأ المقاومة الأقل كلها أمورًا مهمة فى هذا المقام (Janis & Mann, 1977) وأشكر David Sears لإثارة هذه المسألة. (المؤلف)

نفس الوقت مع التهديدات والفرص الخارجية، قد تدرك أن الأفعال العدائية التى يأتى بها خصمك هى انعكاس لعدائه الطبيعى، بينما أفعاله التوفيقية هى رد فعل لأفعالك الحازمة. إن هذا النموذج "المتأصل فى سوء ظنه" (Holsti, 1970) فيما يتعلق بالخصم يصعب على الفاعلين إبطاله من خلال الأدلة مما قد يؤدى إلى عدم اغتنام فرص حل الصراعات (Tetlock, 1998)[١٧٢].

وعلى العكس من ذلك، فالاعتقاد الخاطئ بأن نوايا الخصم حسنة قد يجعل صانعى القرار غير حساسين لإشارات التوعد بالهجوم العسكرى الوشيك. فأحد الأسباب الأساسية وراء فشل المخابرات الإسرائيلية فى عام ١٩٧٣، على سبيل المثال، كان الاعتقاد القوى لدى القادة الإسرائيليين أن مصر لن تدخل حربًا إلا إذا كانت قادرة على شن هجمات جوية فى عمق إسرائيل حتى تحيد القوات الجوية الإسرائيلية. وأصبح هذا الافتراض وغيره من الافتراضات معروفًا "بالتصور"، فالقادة الإسرائيليون لم يقدروا بشكل صحيح الدلائل الخاصة بالهجوم العربى الوشيك بسبب التزامهم المذهبى "بالتصور" (Shlaim, 1976 صفحة ٣٠٢-٣٠٣) (وبسبب ميلهم إلى عدم إعطاء أهمية للحجم الكبير وغير المسبوق لنشر القوات المصرية والسورية على خطوط الجبهة كمجرد دليل على التدريبات العسكرية المصرية والتحركات الدفاعية السورية (Stein, 1985)

وبينما هناك تحيز تجاه استمرار ومثابرة المعتقدات، فإن الأفراد يعدلون من معتقداتهم إذا كانت المعلومات المتضاربة قوية وبارزة بشكل كاف، وإذا وصلت جميعها فى نفس الوقت، وإذا كانت هناك مؤشرات للنتائج الناجحة التى تقدم خطًا أساسيًا موضوعيًا لتقييم دقة المعتقدات، وإذا كان صناع القرار يمارسون النقد الذاتى فى أسلوب تفكيرهم أو عندما يعملون فى وحدات "متعددة الدعوى" لصنع القرار(George, 1980: Jervis, 1974; Tetlock, 1998)

---

(١٧٢) انظر النقاش فى الفصل التاسع عن الصور النمطية عن العدو. (المؤلف)

وعندما يحدث التغيير فى المعتقدات، فعادة ما يتبع ذلك مبدأ الاتساق المعرفى الأقل مقاومة (Tetlock, 1998; McGuire, 1995). وحين يواجه الأفراد تناقضات متكررة بين نظام معتقداتهم والعالم الذى يرونه، فهم يبدأون أولاً فى تغيير معتقداتهم التكتيكية عن أفضل الوسائل لتحقيق غايات محددة، ثم يعدلون افتراضاتهم وتوجههم فقط بعد أن تفشل حلولهم التكتيكية، ويعيدون النظر فى أهدافهم أو غاياتهم الأساسية فقط بعد تكرار الفشل الاستراتيجى. أما التغيير فى المعتقدات الجوهرية، فكثيرًا ما يكون تحقيقه صعبًا نفسيًا، بحيث من الأرجح أن يقترن تحقيقه فقط مع تغيير جوهرى فى الأفراد أو النظام (Tetlock. 1991 صفحة ٢٧-٣١)

ويرتبط المصدر الآخر للتقدير الخاطئ للتهديد، بالخطأ الجوهرى فى إرجاع الأسباب أو العزو أى نزعة الأفراد لتفسير سلوك الآخرين غير المرغوب فيهم بإرجاعه إلى العوامل الداخلية المزاجية وليس إلى القيود البيئية الخارجية.(Nisbett and Ross, 1980) وكثيرًا ما يؤدى ذلك إلى المبالغة الجسيمة فى تقدير التهديد فى السياسة الدولية، إذ يغفل الفاعلون إلى أى مدى يمكن أن تكون السياسات الأمنية للخصم مدفوعة بالتهديدات الخارجية لمصالح ذلك الخصم، فينسبون تلك الأفعال خطأ إلى النوايا العدائية للخصم ونتيجة لذلك، يتجه الفاعلون إلى بخس تقدير أزمة الأمن فى السياسة الدولية- أى أن الأفعال التى تتخذ لتقرير أمن المرء كثيرًا ما تؤدى إلى التقليل من أمن الآخرين الذين يلجأون إلى الأفعال كرد فعل لتعزيز أمنهم الخاص ولذلك فإن كافة الدول تعانى من نقص الأمن.

وترتبط المبالغة فى إدراك ما يمثله الخصم من تهديد بازدياد ميول الفاعلين لتفسير السلوك الخاص بهم باللجوء إلى العوامل السياقية بدلاً من العوامل المزاجية (التناقضية بين الفاعل والملاحظ)، والمنطق هنا هو أننا إذا لجأنا إلى الإجراءات الأمنية لأنه ليس لدينا خيارات أخرى من الوارد أن

يرى الآخرون ذلك ويفهمون أننا لا نمثل أى تهديد لهم، وفى تلك الحالة يصبح شراءهم للأسلحة أو تعبئتهم للقوات سببه نواياهم العدائية التى تؤدى إلى تفاقم الصراع، وأحد النتائج الجوهرية للخطأ فى إرجاع الأسباب هى الاتجاه إلى إدراك أن نظام الخصم أكثر مركزية عن حقيقته وبخس تقدير أثر القيود السياسية الداخلية والبيروقراطية على الزعماء من الخصوم (Jervis, 1976) فالأفعال المزمع اتخاذها لتهدئة الدوائر الداخلية قد يساء تفسيرها كخطوات أولى من سياق سياسة عدائية متعمدة تؤدى إلى تفاقم الصراع[١٧٣].

وتغذى العديد من تلك العمليات غياب التعاطف وعدم القدرة على فهم رؤية الآخرين للعالم وتعريفاتهم لمصالحهم والتهديد لتلك المصالح والاستراتيجيات المحتملة لتحييد تلك التهديدات فعدم القدرة على التعاطف ورؤية العالم بعيون الخصوم تزداد تعقيدًا إذا كان للفاعلين توجهات ثقافية وإيديولوجية ودينية مختلفة. فالحرب الصينية الأمريكية فى كوريا عام ١٩٥٠ كان سببها جزئيًا فشل الولايات المتحدة فى فهم أثر تهديد النظام المدعوم من قبل الولايات المتحدة فى كوريا الشمالية على الصين. كذلك يمكن جزئيًا عزو فشل المخابرات الإسرائيلية فى عام ١٩٧٣ إلى فشلها فى تخيل أن مصر يمكن أن تتوقع مكاسب سياسية من حرب غير ناجحة (Jervis 1988; Stein, 1985) كذلك فشل القادة الإسرائيليون فى معرفة أن المصريين قد يكون لهم استراتيجية وسطية بين عدم فعل أى شئ، وشن حرب شاملة وأن الإدراك الاستراتيجى الإسرائيلى للشروط الضرورية للحرب كانت غير ملائمة لإجراء عسكرى مصرى أقل طموحًا يتضمن عبورًا محدودًا لقناة السويس.

والسبب الآخر وراء فشل قادة المخابرات الإسرائيلية فى عام ١٩٧٣ هو اعتقادهم أن الحرب يمكن بسهولة أن تنشأ من تفاقم الصراع الذى تدفعه المخاوف وسوء الإدراك (Stein 1985) وقد أثر فى ظهور هذا الرأى إعادة

---

(١٧٣) لتطبيق نظرية الصفة على دور السمعة فى السياسة الدولية انظر (Mercer 1996). (المؤلف)

تقييم الدروس المستفادة من حرب ١٩٦٧ والاعتقاد المتنامى أن الهجوم الإسرائيلى الوقائى الذى أطلق الحرب السابقة لم يكن ضروريًا للغاية، ففى عام ١٩٧٣ خاف الزعماء الإسرائيليون من أن الإجراءات التمهيدية لمواجهة الأنشطة العربية العسكرية قد تغذى الصراع وترفع من خطر الضربة الوقائية الأولى من قبل مصر ومن منع الدعم الدبلوماسى الأمريكى، وإعادة الإمداد العسكرى. ولقد دعت تلك الهواجس صناع القرار الإسرائيليين إلى تجنب الأفعال التى تنطوى على إثارة، والابتعاد عن الإجراءات التى تدعم الردع (Jervis 1985; Stein 1985)

إن الاعتماد على "دروس الماضى" وعلى التناظرات التاريخية المحددة للمساعدة فى تشكيل الأحكام على الأوضاع الراهنة لهو أمر شائع وقد جذب اهتمامًا كبيرًا فى الأدبيات (Jerviz, 1976; Khong, 1992; Levry, 1994; May, 1973; Vertzberger 1990). وكثيرًا ما يستخدم الفاعلون الذين يواجهون عالمًا معقدًا غير واضح والذين يفتقدون نظرية صالحة لفهم ذلك العالم – التفسير التمثيلى كطريق معرفى مختصر لتبسيط مثل هذا التعقيد. وكثيرًا ما يرتبط ذلك "بتوافر" المساعدات المعرفية حيث تقوم الأحكام على الاحتمالات فى سياقها من خلال الأحداث المعروفة والبارزة التى يسهل تذكرها (Tversky hj and Kahneman, 1974) وأما المشكلة فهى بالطبع أن تلك الأحداث لا تمثل عينة علمية تسمح بالخروج باستنتاجات وبالتالى، فإن الأحكام المستندة إلى التوافر كثيرًا ما تكون مضللة.

وفيما يتعلق بالتعلم من التاريخ، تضبح الأسئلة الأساسية هى: ما الدروس التى يتعلمها الناس وعمليات التعلم وأثر تلك الدروس على التفضيلات والقرارات التالية الخاصة بالسياسات. وهناك أعداد لا تحصى من التمثيلات التاريخية التى يمكن للأفراد التعلم منها، ولكن يسود الميل للتعلم من الأحداث التى تترك أثرًا كبيرًا، وتؤثر بشكل مباشرفى الشخص أو

مجتمعه، والتى تتسم بحداثة العهد والتى يتم ملاحظتها مباشرة وخلال الفترة التكوينية فى حياة الشخص (Jervis, 1976)[١٧٤] ويستنتج أكثـر المحللـين أن التعلم يتم تبسيطه بشكل مبالغ، ولا يتسم بالحساسية لسياق التناظر التـاريخى وأثر هذا السياق (مقارنة بالفرضية السببية الذى يتم تعلمها) علـى النتيجـة، وكيف يختلف هذا المفهوم عن الوضع الراهن. ويرى جيرفيس Jervis (1976) أن الناس تهتم أكثر "بماذا" حدث عن "لماذا" حدث، ومن ثم، فإن التعلم يصبح سطحيًا مبالغًا فى التعميم، ونتيجة لذلك، تطبق الدروس المستفادة على نطاق واسع من المواقف بدون بذل أى جهد متأن لتحديد عما إذا كانـت الحـالات متشابهة فيما يتعلق بالأبعاد الحيوية (ص ٢٢٨).

وبينما تتضمن الافتراضات عن التعلم تفسيرات قوية عـن معتقـدات وأحكام الزعماء السياسيين، لابد وأن يكون البحث الامبريقـى عـن الـتعلم حساسًا لاحتمال عكس أو تزييف أسـهم الـسببية ;Jervis, 1976; Levy, 1994 (Tetlock, 1998 ص ٨٧٩) وقد تؤدى التفضيلات الراهنة للسياسات إلـى أن يختار صناع القرار تلك التناظرات التى تدعم موقعهم إما بدون وعى بسبب عدم الاتساق الإدراكى، أو الانحيازات المدفوعة، وإما عن عمد للضغط فـى السجالات السياسية. أما البديل، فهو أن تشكل معتقدات الفرد فى نفس الوقت اختياره وتفسيره لتناظر تاريخى معين دون أن يترك ذلك أية صلة سببية بين التناظر والتفضيل. ويتزايد إدراك الباحثين لتلك التهديدات التى تحـول دون الاستنتاج الصحيح وحاولوا بناء تصميمات للأبحاث للتعامل مع تلك المشاكل الكامنة (Khong, 1992; Snyder, 19991).

---

(١٧٤) يقال أحيانًا إن الناس يتعلمون من فشلهم أكثر من نجاحهم (Stein 1994, P. 173) قد يكـون ذلـك حقيقى إلا أن هذا النمط قد يعكس التحيز فى اتجاه تأكيد الدروس التى تؤدى إلى تغيير فى السياسات وبالتالى يكون أكثر ملاحظة وبروزًا عن دروس النجاح التى تعزز من السياسات الراهنة. (المؤلف)

التحيزات المدفوعة Motivated Biases:

بينما تصدر التحيزات غير المدفوعة عن استخدام الطرق المختصرة المعرفية فى محاولة جعل العالم المعقد والغامض أسهل على الفهم، تشير التحيزات المدفوعة إلى الحاجات النفسية للأفراد للاحتفاظ بارتياحهم العاطفى وتجنب الخوف والخزى والذنب والتوتر. وفيما تولد الانحيازات غير المدفوعة الإدراكات القائمة على التوقعات، تنتج التحيزات المدفوعة إدراكات قائمة على الحاجات والرغبات والمصالح .(Janis and Mann; lebow, 1981)

وتعتبر التحيزات غير المدفوعة منتشرة بينما الأرجح أن تظهر التحيزات المدفوعة فى سياق القرارات المترابطة منطقيًا.وأحد الافتراضات الناتجة عن التحيزات المدفوعة هو "التفكير الرغبى"، ففى الوقت الذى تفترض فيه النماذج العقلانية لصنع القرار أن احتمالات ومنفعة نتيجة معينة هى مميزة تحليليًا، تتأثر الاحتمالات فى التفكير الرغبى بالقيم، إذ يعتقد أن النتائج المرغوب فيها أكثر احتمالاً أن تحدث بينما لا يرجح أن تحدث النتائج غير المرغوب فيها(١٧٥)، فإذا كان يعتقد أن نجاح استراتيجية ما ضروريًا لتحقيق الأهداف المثمنة، من الممكن أن يقود التفكير الرغبى إلى المبالغة فى احتمال نجاح تلك الاستراتيجية. فقد توصل سنايدر Snyder (1984) فى دراسته عن المواثيق العسكرية العدوانية فى الحرب العالمية الأولى إلى أن هناك نزعة لدى المنظمات العسكرية "أن ترى الأشياء الضرورية ممكنة" بالرغم من الظروف الموضوعية التى كان من الممكن أن تستثير المزيد من الحرص

---

(١٧٥) يتفاقم أثر التفكير الرغبى إذا كان صانعو القرار لديهم "وهم السلطة" (Langer 1975) ويبالغون فى درجة نفوذهم على مجرى الأحداث. ولقد استطلع متخصصو تصاعد وإدارة الأزمات المعتقدات والشعور الخاص ب "ضياع السلطة" وشخصيتها التى كثيرا ما تكون ذاتية التحقيق. (George 1991) صفحة ٥٤٥-٥٦٦ Lebow, 1987، الفصلان الثانى والثالث). (المؤلف)

عن جدوى وفعالية خطط الحرب العدوانية. كما أن الميل إلى المبالغة في احتمال نجاح السياسات الدبلوماسية أو العسكرية العدائية قد يكون أيضا نتيجة للمصالح الداخلية المدفوعة للزعماء السياسيين التى تولدها تلك المصالح.(Lebow, 1981) وتعزز تلك العمليات نزعة تجاه تفضيل استراتيجية معينة للتأثير على الأحكام الخاصة بنوايا الخصم وقدراته. فقد ارتفعت التقديرات البريطانية لقدرات ألمانيا فى الثلاثينات من القرن الماضى مع تبنى تشمبرلين لسياسات التهدئة، ولكن بمجرد أن رأت بريطانيا جدية التهديد وبدأت فى الاستعداد للحرب، أخذت تقديراتها عن القدرات الألمانية فى الانخفاض (Stein 1993 صفحة ٣٧٩). وفى تلك الحالة، استخدمت إدراكات التهديد كوسيلة لترشيد السياسات القائمة بدلاً من إفادة تلك السياسات وتشكيلها.

ولأن الفاعلين من ذوى المصالح المتباينة لهم تحيزات متباينة فيما يتعلق بالسياسات، يمكننا أحيانا اختبار وجود هذه التحيزات من خلال الدراسة المقارنة للفاعلين المختلفين فى أدائهم للأدوار المختلفة ذات التفضيلات السياسية المتباينة، وبالتالى التحيزات ذات الدوافع المختلفة. ويشار أحيانا إلى ذلك "بمعيار الطرف الثالث" (Lebow 1981) وكثيرًا ما يقال مثلاً إن سوء إدراك الألمان للنوايا البريطانية فى الحرب العالمية الأولى (Fisher 1988) جاء نتيجة للتحيزات الألمانية ذات الدوافع، أى أن آمال الزعماء الألمان فى ألا تتدخل بريطانيا، أدت إلى توقعهم أن بريطانيا لن تتدخل، إلا أن تفسير التحيز المدفوع لسوء إدراك الألمان أضعفه أن التحيزات ذات الدوافع على الجانب الآخر للزعماء الفرنسيين والروس لم تفضِ بهم إلى توقع التدخل البريطانى فكانوا، بدلاً من ذلك فى حيرة من أمرهم ويتساءلون عن رد الفعل البريطانى.

وقد يكون معيار الطرف الثالث مضللاً إذا استخدم الملاحظون معلومات مختلفة، إذ إن الاختلافات فى التقديرات قد تستند إلى عدم التناسق فى المعلومات وليس إلى التحيزات المدفوعة. ولهذا عواقب مهمة على تصميم البحث، ففيما يمكن أن يقوم الباحث فى المختبر بالتحكم فى المعلومات والأوضاع المختلفة التى قد تؤدى إلى تحيزات معينة، من الأصعب بكثير أن يتم ذلك فى الدراسات الإمبريقية لسلوك السياسة الخارجية، إذ يتطلب الأمر حساسية تجاه التفسيرات البديلة وتصميم بحث جيد البناء للتمييز الامبريقى بين تلك التفسيرات، وجمع مكثف للبيانات لإجراء البحث الإمبريقى.

وأحد الأمثلة الدالة على مثل هذا الجهد هو تحليل Kaufman (1994) عن التفسيرات البديلة الذى يتناول كيف يحدث الفاعلون السياسيون نظم معتقداتهم كرد فعل للمعلومات الجديدة[١٧٦] وأدمج Kaufman نماذج للتجنب الدفاعى ذى الدافع motivated defensive avoidance مستندًا إلى الالتزام النفسى وبروز المعلومات على أساس توافر المساعدة المعرفية، ودفاع نظام المعتقدات على أساس مقاومة المعتقدات الأساسية للتغيير. وقد قام Kaufman (1994) بتطبيق تلك النماذج على صنع القرار الألمانى فى سياق الأزمة المغربية فى عام ١٩٠٥، ١٩٠٦[١٧٧] فقام بضبط المصالح والمعلومات بحرص، واختبر تلك النماذج مقارنة بنموذج رياضى منافس للتحديث العقلانى، ولكنها كانت متسقة مع توقعات النماذج النفسية الثلاثة خاصة فرضية التجنب الدفاعى ذى الدوافع.

وتساهم المساعدات المعرفية والتحيزات فى تفسير كيف يحكم الزعماء السياسيون على نوايا خصومهم وقدراتهم النسبية مما يساعد فى

(١٧٦) لتصميم بحثى بديل لدراسة الإدراكات، انظر Hermann 1988 (المؤلف)

(١٧٧) أزمة دولية حول استقلال المغرب، نجمت عن المنافسة بين القوى العظمى آنذاك: ألمانيا من ناحية، وفرنسا مدعومة ببريطانيا من ناحية أخرى(المراجع)

تكوين ورسم الاحتمالات المتوقعة للنتائج المتعددة. وتساعد المتغيرات النفسية أيضا فى تفسير كيف يتجاوب الزعماء مع النتائج المحتملة عن طريق التأثير على القيم التى يوليها الأفراد بالنسبة للنتائج واستعدادهم للمخاطرة. والآن أركز الانتباه على الأعمال الحديثة عن النفور من الخسارة، والتأطير والنزوع نحو المخاطرة ودلالاتها على السياسة الخارجية.

النفور من الخسارة والتأطير والنزوع نحو المخاطرة

فيما تفترض نظرية المنفعة المتوقعة أن الأفراد يسعون إلى تحقيق الحد الأقصى من منفعتهم المتوقعة، هناك من الدلائل ما يشير إلى أن الناس تبتعد بشكل منتظم عن توقعات تلك النظرية الجوهرية الخاصة باتخاذ القرار العقلانى. ويتم إدماج الكثير من تلك الاستثناءات الخارجة عن القاعدة فى نظرية التوقع (Kahneman and Tversky 1979) وهى نظرية بديلة للاختيار فى ظروف تتسم بالمجازفة، بدأ الدارسون فى تطبيقها على السياسة الخارجية والعلاقات الدولية (Davis, 2000, Farnham, Jervis, 1992; Levy, 1997, 2000, McDermott, 1998; Stein and Pauly, 1992)

وتفترض نظرية التوقع أن الناس أكثر حساسية للتغيرات فى الأصول assets أكثر من حساسيتهم تجاه المستويات الخالصة لتلك الأصول، وذلك على عكس تعريف نظرية المنفعة المتوقعة للقيم التى تشير إلى الأصول الخالصة أو مستويات الثروة. و"يؤطر" الأفراد مشاكل الاختيار حول نقطة مرجعية (تبعية المرجع)، ويعطون وزناً أكبر للخسارة من هذه النقطة المرجعية أكثر من المكاسب النسبية (تجنب الخسارة). كما ينخرطون فى سلوك يتسم بتجنب المخاطرة فيما يتعلق بالمكاسب، والسلوك الذى يقبل المجازفة فيما يتعلق بالخسارة[١٧٨] فنفور الأفراد القوى من الخسارة خاصة

---

(178) انظر (O'Neil 2001) لنقد المفاهيم الشائعة عن النزوع تجاه المخاطرة فى العلاقات الدولية. (المؤلف)

الخسارة "الميتة" التى يتم إدراكها كخسارة أكيدة (بالمقارنة بالخسارة التى تدرك على أنها محتملة)، يستحثهم على قبول مخاطرات كبيرة على أمل تجنب الخسارة حتى بالرغم من أن النتيجة قد تكون خسارة أكبر. ومن الممكن أن تكون القيمة المتوقعة للرهان أقل بكثير من القيمة الأكيدة للخسارة. بالإضافة إلى ذلك، يولى الناس قيمة كبيرة لما يقع تحت يديهم، بالمقارنة مع الأشياء الأخرى الشبيهة التى لا يملكونها (تأثير المنحة)، وهو ما يجعل، بدوره، الخسارة الواقعية أكثر إيلامًا من المكاسب الضائعة (Kahneman and Tversky 1979).

ونتيجة للحساسية تجاه التغيرات فى الأصول، يصبح تحديد الناس للنقاط المرجعة الخاصة بهم وبالتالى تأطير مشكلة الاختيار، أمرًا خطيرًا لأن المكاسب والخسائر تقاس بمدى انحرافهما عن النقطة المرجعية. وقد يؤدى التغير فى النقطة المرجعية إلى التغير فى التفضيلات (عكس التفضيلات)، حتى وإن لم تتغير القيم والترجيحات المرتبطة بالنتائج المحتملة. فالأفراد الذين يواجهون اتخاذ القرارات الخاصة بالعلاج الطبى، على سبيل المثال، يتجاوبون بشكل مختلف مع فكرة ٩٠% من معدل البقاء على الحياة مقارنة ب ١٠% من معدل الوفاة على الرغم من أن الفكرتين متعادلتان.

وتركز معظم الأعمال التجريبية حول التأطير وكافة تطبيقاتها تقريبًا على العلاقات الدولية، على آثار التأطير على الاختيار بدلاً من مصادر التأطير، وتمنح اهتمامًا بسيطًا للسؤال الخاص بسبب اختيار الأفراد لنقطة مرجعية معينة بدلاً من أخرى. وبينما كثيرا ما يؤطر الناس مشاكل الاختيار حول الوضع القائم، أحيانًا ما يتأثرون بمستويات التوقعات، ومستويات التطلع والمقارنات الاجتماعية لاختيار نقطة مرجعية مختلفة. فهناك من الدلائل المهمة ما يشير إلى أن الناس، على سبيل المثال، "يعيدون تطبيع" نقاطهم المرجعية بعد تحقيق المكاسب بشكل أسرع من بعد تحقيق الخسارة. (Jervis, 1992; Kahenman, Knetsch, and Thaler, 1990, صفحة ١٣٤٢).

وتفضى تلك المبادئ الأساسية إلى عدد من الافتراضات المهمة عن السياسة الخارجية والعلاقات الدولية (Levy, 2000).

١) حينما تعرف الدول نقاط مرجعيتها حول الوضع القائم، يصبح هناك "تحيز للوضع القائم" ولهذا التحيز تأثير يميل إلى الاستقرار والثبات، وإذا قام الفاعلون بتأطير اختياراتهم حول نقطة مرجعية مفضلة عن الوضع القائم، يصبح هناك "تحيز للنقطة المرجعية" وهى الميل إلى الابتعاد عن الوضع القائم فى اتجاه النقطة المرجعية ولذلك تأثير يساعد على عدم الاستقرار.

٢) يتجه زعماء الدول إلى المجازفة للحفاظ على مواقعهم الدولية وسمعتهم والدعم السياسى المحلى ضد الخسارة المحتملة، أكثر من مجازفتهم لتعزيز مواقعهم.

٣) تعاقب الشعوب زعماءها بسبب الخسارة أكثر من معاقبتهم لهم بسبب فشلهم فى تحقيق مكاسب.

٤) بعد المعاناة من الخسارة، يتجه الزعماء السياسيون إلى عدم التكيف مع الوضع القائم، بل المخاطرة بشكل مبالغ فيه لاستعادة ما خسر. وبعد تحقيق المكاسب، يتجه الزعماء السياسيون إلى إعادة تطبيع نقاطهم المرجعية والمجازفة بشكل مبالغ فيه للدفاع عن الوضع القائم الجديد درءًا لتعاقب الخسارة. ونتيجة لذلك، ينخرط الطرفان فى سلوك يتسم بدرجة أكبر من المجازفة، أكثر مما تتنبأ به نظرية المنفعة المتوقعة.

٥) ولأن الناس يتصفون بالبطء فى تقبل الخسارة، فإن التكلفة كثيرًا ما تؤثر فى حسابات صانعى القرار وسلوك الدولة على عكس نظرية الاقتصاد الجزئى.

٦) إن ردع الخصم عن تحقيق المكاسب أسهل من ردعه عن استعادة ما خسر أو إجباره على قبول الخسارة.

٧) من الأسهل للدول أن تتعاون فى توزيع المكاسب عنها فى توزيع الخسارة. فالزعماء السياسيون يقبلون قدرًا أكبر من المجازفة ويساومون بشكل أقوى لخفض نصيبيهم من التكاليف إلى الحد الأدنى بدلاً من تحقيق الحد الأقصى من المكاسب.

وفيما يتفق الكثير من هذه الفرضيات مع الفهم الشائع للسياسة الدولية، فإنها تعكس تعميم النتائج القوية للسلوك الفردى فى مشاكل الاختيار البسيطة فى المختبر. فهناك حاجة إلى المزيد من البحث لتطبيق تلك الفرضيات على الهيئات الجماعية لاتخاذ القرار، وعلى التفاعل الاستيراتيجى بين الدول وبناء اختيارات إمبريقية مقنعة لتلك الفرضيات ضد التفسيرات المنافسة فى السياقات حيث يصبح ضبط المصادر الأخرى للميل تجاه المجازفة والاختيار صعبًا للغاية. وإحدى المهام الخطيرة هى بناء تصميمات أفضل للأبحاث لمعرفة كيف يحدد الفاعلون نقاطهم المرجعية. وبينما يصبح تتبع العملية من خلال دراسات الحالة مفيدًا لإتمام هذه المهمة (Davis, 2000, McDermott, 1998)، لابد أن نستكشف أيضا المنفعة المحتملة لمزيد من تحليل المضمون بشكل أكثر رسمية، أو المقاربات المنهجية الأخرى. والأهم من ذلك الحاجة إلى إعادة تحديد مفهوم توجه المخاطرة بالنسبة للمواقف التى تكون المتغيرات الأساسية فيها (السلطة، السمعة، الأمن، الهوية، على سبيل المثال) ليست سهلة القياس باستخدام مقياس مستوى الفواصل interval-level (O'Neil, 2001).

استنتاجات:

لقد شهد تحليل دور المتغيرات النفسية فى السياسة الخارجية والعلاقات الدولية تقدمًا عظيمًا على مدى النصف قرن المنصرم بكافة المقاييس. فمنذ

خمسين عامًا، كان البحث فى مجال علم نفس السياسة الخارجية والحرب يتم بمعرفة علماء النفس الذين لم يولوا اهتمامًا كبيرًا بالسياسية والاستراتيجية التى اتخذت فى سياقها قرارات السياسة الخارجية، أو إلى المشاكل المنهجية الخاصة بالتعميم من النتائج التجريبية فى المختبر إلى السياقات سيئة التعريف للسياسة الخارجية والعلاقات الدولية. وفيما سمحت أطر صنع القرار فى تحليل السياسة الخارجية بدور أكثر أهمية للمتغيرات النفسية، لم يستكشف الباحثون أصول تلك المتغيرات وأثرها بقدر أكبر من التفصيل.

إلا أننا قد شاهدنا منذ منتصف السبعينيات ظهور برنامج أكثر تأثيرًا للأبحاث المعرفية، بنى على التطورات الجديدة فى علم النفس الاجتماعى بما فى ذلك نظريات العزو attribution والمخططات schemas والمساعدات المعرفية heuristics والانحيازات، وبدأ البرنامج فى التركيز على المتغيرات الوجدانية الشعورية، بالإضافة إلى المتغيرات المعرفية بصدد استجابته لتجديد الاهتمام بأهمية العاطفة أولاً فى علم النفس الاجتماعى ثم فى العلوم السياسية. إلا أن الأدبيات التى تتناول الإدراك والعاطفة لا تزال مميزة بشكل أساسى. كما أن معارفنا عن التأثيرات المستقلة للانحيازات المدفوعة وغير المدفوعة أكثر من معارفنا عن كيف تتفاعل العوامل الإدراكية والعاطفية لتشكل الحكم والقرار. فنحن نعرف أن الأخطاء والانحيازات واسعة الانتشار، ولكننا لا نفهم الظروف المحددة المرجح أن تحدث فى سياقها.

وفيما اتخذ الدارسون بعض الخطوات لجعل تطبيقات علم النفس الاجتماعى على السياسة الخارجية أكثر حساسية للسياقات السياسية والاستراتيجية التى يتم فيها قرارات السياسة الخارجية، إلا أن التقدم كان أكبر فى بعض المجالات كالتعلم والردع على سبيل المثال، أكثر من غيرها (Hermann and Fischerkeller 1995)، ولا يزال الطريق طويلاً أمامنا، فبشكل عام لم يقم العلماء النفسيون الاجتماعيون بعد بإدماج ضوابط المتغيرات

السياسية الأساسية فى سياق أعمالهم التجريبية، كما أن نفرًا قليلاً من محللى السياسات الخارجية أبدى استعداده لاختبار فرضياتهم الأكثر إدماجًا من خلال التصميمات التجريبية[١٧٩] ولدينا الكثير من دراسات الحالة التاريخية عن إدراك التهديد التى تؤكد على السياق السياسى والاستراتيجى للأحكام والقرارات، إلا أن ضبط المتغيرات ذات الصلة واستبعاد التفسيرات البديلة لا يزال مهمة صعبة وكثيفة البيانات. لقد ساهم الاستخدام المتنامى لدراسات الحالة المقارنة بشكل مهم فى هذا الاتجاه، إلا أن الدراسات متعددة الوسائل من شأنها أن تزيد من درجة الثقة فى صحة الفرضيات.

ويقع أحد المجالات المهمة للبحث فى المستقبل عن إدراك التهديد عند نقطة تقاطع علم النفس السياسى مع نظرية المباراة. إن نقاش إدراك التهديد، مثله مثل كافة الدراسات المثيلة الأخرى تقريبًا فى الأدبيات، تتناول ناحية واحدة فقط من حيث تركيزه على كيفية إدراك الدولة لنوايا الخصم وقدراته أو كليهما، مع إهمال محاولات الخصم فى التأثير على إدراكه من قبل الأطراف الأخرى، عن طريق التطويع الاستراتيجى للصور التى يسقطها[١٨٠]. وهناك أدبيات وافرة عن "الإشارات" Signaling (Banks, 1991; Fearon, 1994) إلا أنها تكاد تكون عقلانية rationalist حصريًا، وتهمل الأدبيات التى تتناول علم نفس إدراك التهديد[١٨١]. ويعتبر ذلك أحد أوجه

---

(١٧٩) أحد الاستثناءات المثيرة هى دراسة ديناميات اختيار استراتيجية السياسة الخارجية التى تستخدم "متقفى العمليات" المستند إلى الكمبيوتر Mintz, Geva, Redd, and Games, 1997) ولدراسة ديناميات اتخاذ القرارات بمعرفة الناخبين، فى الحملات الانتخابية باستخدام منهجية شبيهة، انظر Lau & Redlawsk 1997. (المؤلف)

(١٨٠) تشمل الأدبيات عن فشل المخابرات بعض النقاش عن دور الخداع الاستراتيجى (Shlaim, 1976; Whaley 1962). (المؤلف)

(١٨١) أعطت دراسة Jervis (1970) عن كيف تسقط الدول صورًا، بعض الاهتمام للأبعاد الرمزية والنفسية للإشارات إلا أنها كانت عقلانية فى المقام الأول فى توجهها. فقد تنبأت، بمنطق مباراة الإشارات قبل تطوير الأدوات التحليلية لتحديد وحل هذه المباريات كما سبقت الأدبيات الناشئة عن المساعدات heuristics والتحيزات (Tversky and Kahneman, 1974) وعن علم نفس إدراك الخطر (Jervis, 1976). (المؤلف)

القصور الخطيرة، لأنه لا يعتبر أى من الطرفين كاملاً بدون الآخر (Jervis, 2000).

وتدمج "نماذج الإشارات" الخاصة بنظرية المباراة سلوك المرسل والمستقبل، إلا أنها تفترض أن الإشارات يتم إدراكها وتفسيرها كما اعتزمها المرسل.(١٨٢) وتشير الأدبيات النظرية والإمبريقية عن إدراك التهديد إلى أن نظام معتقدات الراسل المسبقة، وحاجاته العاطفية، ومصالحه السياسية وثقافته التنظيمية كثيرًا ما تفضى إلى تشويهات جسيمة فى أسلوب تفسير تلك الإشارات.(١٨٣) إن تطويع الصور يصبح أكثر فعالية إذا فهم المرسل نفسية إدراك التهديد وشكل إسقاطه للصور ليستغل ميول ونزعات المتلقى. وفى نفس الوقت، يصبح تقدير التهديد أكثر دقة إذا أدمج حوافز الخصم للتأثير على طريقة إدراك الآخرين له. وتعتبر النظرية المتكاملة للإشارات وإدراك التهديد التى تتضمن تطويع الصور ونفسية إدراك التهديد والتفاعل الاستراتيجى بينهما والتى يتم اختيارها بالنسبة للبراهين من خلال منهجيات متعددة – تعتبر مجالاً ذا إمكانيات كبيرة للبحث فى المستقبل.

ويمكن تعميم المنفعة المحتملة لدمج النظريات النفسية عن إدارك التهديد مع نماذج نظرية المباراة للإشارات. ومع زيادة التأكيد فى نظرية

---

(١٨٢) نماذج الإشارات هى مباريات تتبعية يصل بموجبها اللاعب "A" وهو غير واثق من نوع الخصم "ب" (حمامة أم صقر على سبيل المثال) إلى بعض الاستنتاجات عن "ب" بملاحظة سلوكه وتحديث الاحتمالات المسبقة عن نوع "ب". وفى الوقت نفسه، يفهم "ب" الموقف، ويتصرف بأسلوب معين ليؤثر فى إدراكات "أ" عن "ب". ويفهم كل طرف من الطرفين أن الآخر يتصرف بشكل استراتيجى للوصول بالمنفعة إلى الحد الأقصى. كما يفهم كل من الطرفين أن السلوك الوحيد المفيد هو السلوك المكلف للمرسل ("الإشارات المكلفة" مقارنة "بالحديث الرخيص") حتى أن هناك من السلوك ما يكون طرف فقط من الطرفين على استعداد أن يتبناه. لتطبيق مفيد من الناحية المفهومية عن نموذج مباراة الإشارات بالنسبة لحالة تاريخية مهمة، انظر تحليل Wagner 1989. عن أزمة الصواريخ الكوبية.

(١٨٣) انظر النقاش فى الفصل التاسع عن أوجه قصور النماذج العقلانية الخاصة بالاشارات والردع. (المؤلف)

المباراة التطبيقية على المعلومات والمعتقدات والتعلم (Fudenberg and Levine, 1998; Hirshleifer and Riley 1992) تتسع احتمالات استخدام المفاهيم النظرية والفرضيات لتفيد نفسية التفاعل الاستراتيجى، وربما أيضا لإدماج المتغيرات "النفسية" فى نماذج نظرية المباراة. وأحد الأمثلة المبتكرة هو تحليل نظرية المباراة الذى أجراه أونيل O'Neil (1999) عن الشرف والرموز والحرب.

وبالرغم من تركيزى على علم النفس السياسى لإدراك التهديد، هناك العديد من الأسئلة الأخرى عن السياسة الخارجية والعلاقات الدولية التى يمكن فهمها بشكل أفضل عن طريق إدماج علم النفس السياسى. انظر مثلاً إلى النظرية الليبرالية الدولية وخاصة المقولة الشائعة بأن الأفكار لها أثر مهم على النتائج. فكثير من الأشخاص الذين يحرصون على تأثيرات الأفكار لا يبدون أى اهتمام بمصادر تلك الأفكار ولا يبذلون أى جهد لاستكشاف دور التعليم أو المتغيرات النفسية بشكل أكثر عمومية (Goldstein and Keohane. 1993 صفحة (٧). ومن الصعوبة بمكان تقدير أثر الأفكار بدون فهم أصولها. فإذا تغيرت الأفكار كرد فعل لتغير الأبنية الدولية أو تغير المصالح البيروقراطية أو المحلية، فليس لتلك الأفكار أى أثر سببى مستقل على النتائج الخاصة بالسياسات. فالفرضيات الخاصة بالأثر السببى لتلك الأفكار قد تكون أكثر إقناعًا إذا ارتبطت نظريًا بنموذج عن أصل تلك الأفكار وكيف تتعرض للتغير وكيف يتم اختبارها امبريقيا بالنسبة للدلائل.

وقد يعود الاهتمام المتزايد بالأدبيات الخاصة بعلم النفس السياسى بالنفع على الأدبيات البنائية الاجتماعية عن السياسة الدولية (Wendt, 1999). فالتأكيد على البناء الاجتماعى للهوية والآراء عن العالم يتجه إلى منح الأولوية للمصادر الاجتماعية والثقافية لتكوين الهوية، وتقليل الاهتمام بالحاجات النفسية للأفراد التى ترضيها تلك الهويات والتى تشكل بصورة منتظمة البناء الاجتماعى للهويات (Kowert and Legro 1996). ويرى

(Goldgeier (1997 "إن الحاجات النفسية الاجتماعية تحد من بنـــاء الهويـــات بشكل لا يسهل الإحاطة به من خلال تحليل المتغيرات الثقافية والمؤســسية". ص ١٤٢. إن دمج المتغيرات النفسية وآثارها التفاعليــة فــى التفــسيرات الاجتماعية والثقافية من شأنه أن يخلق توازنًا بين الأبنية الاجتماعية والقــوة الشخصية فى البحث البنائى.

إن الأدبيات المتاحة عن النظرية التحويلية diversionary عن الحــرب (Levy, 1989) هى أحد المجالات الأخرى التى قد تعود بالنفع على علم النفس السياسى. وتستند النظرية التحويلية إلى فكرة أن الصراع مــع المجموعــة الخارجية يعزز من التماسك داخل المجموعة وأن التوقعات الخاصة بمثل هذه النتيجة كثيرًا ما تغرى الزعماء السياسيين على اتخــاذ مبــادرة الــصراع العسكرى مع الخصوم الخارجيين للاستفادة من أثر "التجمع الــداخلى حــول العلم". إلا أن الأدبيات المتعلقة بالنظرية التحويلية لا تشتمل على نظرية عن الخصم ولا تتطرق كثيرًا إلى وصف المجموعات الخارجيــة التــى تمثــل الأهداف المثلى أو التى من شأنها أن تولد الآثار الأقوى والأكثر اســتمرارًا للتجمع خلف الزعماء السياسيين. والأمر الأكثر جوهرية هــو أن النظريــة التحويلية لا تشتمل على نظرية عن تكوين مجموعات الهوية. وقد يبدو هــذا وجهًا متواضعًا من أوجه القصور بالنــسبة للتطبيقــات التقليديــة للنظريــة التحويلية على الدول التقليدية المحددة جيدًا، ولكنه أحد مواطن الضعف الجلية حين يتعلق الأمر بتطبيقات النظرية التحويلية علــى الــصراعات العرقيــة القومية ethno national الراهنة حيث تكون الهوية متغيرًا أساسيًا. وقد يستفاد كثيرًا من دراسات السلوك التحويلى إذا استعانت بنظريات تكــوين الهويــة ودور "الأخر" فى دراسات القومية العرقية والنظرية البنائيــة constructivist بشكل عام.

والمجال الآخر الذى يمكن أن يعزز من فهمنـــا للـــسياسة الخارجيـــة والعلاقات الدولية بمنح المزيد من الاهتمام لعلم النفس السياسى هـــو مجـــال السياسات الاقتصادية الخارجية والاقتصاد السياسى الـــدولى. فقـــد هيمنـــت المقاربات البنائية على هذا المجال، وهى المقاربات التـــى تغفـــل مـــصادر السلوك القائم على أساس الفرد وحتى على عمليـــة صـــنع القـــرار نفـــسه (Caporaso and Levine, 1992; Gilpin 2001) إلا أن هناك من الأسباب الوجيهة ما يدعو إلى الاعتقاد أن هناك تشابهًا ملحوظًا فى نظم معتقـــدات الزعمـــاء السياسيين والاقتصاديين، والدروس التى يستمدونها من التاريخ وأولويـــاتهم من بين القيم الاقتصادية المختلفة، وإدراكهم للتهديدات لتلك القيم، وأفقهم فيما يتعلق بالزمن والوقت، وأنواع التنازلات التى هم على استعداد أن يقـــدموها بين التكاليف والمزايا الحالية والمستقبلية، وبالتـــالى تفـــضيلاتهم الخاصـــة بالسياسات الاقتصادية. وقد يرى البعض أن النظريـــات البنائيـــة الخاصـــة بالسياسات الاقتصادية من شأنها أن تولد تنبؤات أقوى مقارنـــة بالنظريـــات البنائية الخاصة بسياسات الأمن، مما يترك دورًا محدودًا للمتغيرات النفسية، إلا أن ذلك يعد سؤالا امبريقيًا يحتاج إلى المزيد مـــن التحـــرى ولا ينبغـــى افتراضه بشكل مسبق.

ويترك ذلك جدول أعمال عريض للبحث فى المستقبل عن علم النفس السياسى للسياسة الخارجية. فعلينا أن نولى مزيدًا من الاهتمام لآثار التفاعل بين المتغيرات النفسية والأوضاع السياسية والاستراتيجية التى تترك أكبـــر الأثر على القرارات الخاصة بالسياسة الخارجية والتفاعلات الدولية. وعلـــى الرغم من أن بعض تطبيقات علم النفس الاجتماعى تحاول أن تعقد مقارنـــة بين النماذج النفسية المميزة تحليليًا للسياسة الخارجية والعلاقات الدولية مـــع النماذج الواقعية البديلة أو النماذج السياسية المحلية، إلا أنها فى الغالب ليست أفضل الوسائل للاتجاه قدمًا على المدى الطويل. فالنماذج النفسية وحدها غير

قادرة على توفير التفسيرات الكاملة للسياسة الخارجية لأنها تفشل فى تفسير كيف تشكل الأوضاع الدولية والمحلية التفضيلات والمعتقدات أو كيف تصنف عملية السياسات التفضيلات والمعتقدات الفردية بحيث تصبح مخرجات خاصة بسياسات الدولة. ويتوسط الإدراك والعاطفة بين الأبنية والعمليات الدولية والمحلية وقرارات السياسة الخارجية للزعماء السياسيين، وعلينا أن نسعى إلى تفسير طبيعة تلك الصلات المتبادلة من خلال دمج المتغيرات النفسية داخل نظريات أكثر شمولاً للسياسة الخارجية والتفاعل الاستراتيجى.

ملاحظة:

أعرب عن امتنانى لروبرت جيرفيس ودافيد سيرز لتعليقاتهما المفيدة على المسودة الأولى لهذا المقال.

References

Allison, G. T. (1971). *Essence of decision: Explaining the Cuban missile crisis.* Boston: Little, Brown.

Allport, G. W. (1945) Human nature and the peace. *Psychological Bulletin, 42,* 376–78.

Almond, G. A. (1950). *The American people and foreign policy.* New York: Harcourt Brace.

Art, R. J. (1973). Bureaucratic politics and American foreign policy: A critique. *Policy Sciences, 4,* 467–90.

Banks, J. S. (1991) *Signaling games in political science.* New York: Routledge.

Bar-Joseph, U. & Kruglanski, A. W. (forthcoming). Intelligence failure and the need for cognitive closure: On the psychology of the Yom Kippur surprise. *Political Psychology.*

Bendor, J. & Hammond, T. H. (1992). Rethinking Allison's models. *American Political Science Review 86,* 301–22.

Betts, R. K. (1978). Analysis, war and decision: Why intelligence failures are inevitable. *World Politics, 31,* 61–89.

Boulding, K. (1959). National images and international systems. *Journal of Conflict Resolution, 3,* 120–131.

Brecher, M. & Geist, B. (1980). *Decisions in crises: Israel, 1967 and 1973.* Berkeley: University of California Press.

Campbell, D. T., & LeVine, R. A. (1961). A proposal for cooperative cross-cultural research on ethnocentrism. *Journal of Conflict Resolution,* 5, 82–108.

Cantril, H. (1950). *Tensions that cause wars.* Urbana: University of Illinois Press.

Caporaso, J. A., & Levine, D. P. (1992). *Theories of political economy.* New York: Cambridge University Press.

Crawford, N. C. (2000). The passion of world politics: Propositions on emotion and emotional relationships. *International Security, 24,* 116–56.

Davis, J. W., Jr. (2000). *Threats and promises.* Baltimore: Johns Hopkins University Press.

DeRivera, J. H. (1968). *Psychological dimension of foreign policy.* Columbus, OH: Merrill.

Droba, D. D. (1931) Effect of various factors on militarism-pacifism. *Journal of Abnormal and Social Psychology, 26,* 141–53.

Durbin, E. F. M., & Bowlby, J. (1939) *Personal aggressiveness and war.* London: Kegan Paul.

Einstein, A., & Freud, S. (1932) *Why war?* Paris: International Institute of Intellectual Cooperation.

Elman, C. (1996). Why *not* neorealist theories of foreign policy? *Security Studies, 6,* 7–53.

Erikson, E. H. (1958). *Young man Luther: A study in psychoanalysis and history.* New York: Norton.

Etheridge, L. (1978). *A world of men: The private sources of American foreign policy.* Cambridge, MA: MIT Press.

Farnham, B. (1994). *Taking risks/avoiding losses.* Ann Arbor: University of Michigan Press.

Fearon, J. D. (1994). Signaling versus the balance of power and interests: An empiri-

cal test of a crisis bargaining model. *Journal of Conflict Resolution, 38*, 236–69.

Fearon, J. D. (1995). Rationalist explanations for war. *International Organization*. 49, 379–414.

Festinger, L. (1957). *A theory of cognitive dissonance*. Stanford, CA: Stanford University Press.

Finlay, D., Holsti, O. R., & Fagen, R. (1967). *Enemies in politics*. Chicago: Rand McNally.

Fischer, F. (1988). The miscalculation of English neutrality. In S. Wank, (Eds.), *The mirror of history* (pp. 364–393) Santa Barbara, CA: ABC-Clio.

Fiske, S. T., & Taylor, S. E. (1991). *Social cognition*. 2nd ed. New York: McGraw-Hill.

Fudenberg, D., & Levine, D. K. (1998). *The theory of learning in games*. Cambridge: MIT Press.

George, A. L. (1969). The "operational code": A neglected approach to the study of political leaders and decisionmaking. *International Studies Quarterly, 13*, 190–222.

George, A. L. (1979). The causal nexus between cognitive beliefs and decision-making behavior: The "operational code belief system." In L. S. Falkowski (Ed.), *Psychological models in international politics* (pp. 95–124). Boulder, CO: Westview.

George, A. L. (1980). *Presidential decisionmaking in foreign policy: The effective use of information and advice*. Boulder, CO: Westview.

George, A. L. (Ed.). (1991). *Avoiding inadvertent war: Problems of crisis management*. Boulder, CO: Westview.

George, A. L., & George, J. L. (1956). *Woodrow Wilson and Colonel House: A personality study*. New York: John Day.

Gilpin, R. (2001). *Global political economy*. Princeton: Princeton University Press.

Goldgeier, J. M. (1997). Psychology and security. *Security Studies*, 6, 137–66.

Goldgeier, J. M., & Tetlock, P. E. (2001). Psychology and international relations theory. *Annual Review of Political Science, 4*, 67–92.

Goldstein, J. & Keohane, R. O. (Eds.). (1993). *Ideas and foreign policy: Beliefs, institutions, and political change*. Ithaca, NY: Cornell University Press.

Greenstein, F. I. (1975). *Personality and politics*. New York: Norton.

Halperin, M. (1974). *Bureaucratic politics and foreign policy*. Washington, DC: Brookings.

Handel, M. I. (1977). The Yom Kippur War and the inevitability of surprise. *International Studies Quarterly, 21*, 461–502.

Hermann, C. F. (Ed.). (1972). *International crises: Insights from behavioral research*. New York: Free Press.

Hermann, M. G. (1978). Effects of personal characteristics of political leaders on foreign policy. In M. A. East, S. A. Salmore, & C. F. Hermann (Eds.), *Why nations act* (pp. 49–68). Beverly Hills, CA: Sage.

Hermann, M. G. (2002). Political psychology as a perspective on the study of politics. In K. R. Monroe (Ed.), *Political psychology* (pp. 43–63). Mahwah, NJ: Erlbaum.

Herrmann, R. K. (1988). The empirical challenge of the cognitive revolution: A strategy for drawing inferences about perceptions. *International Studies Quarterly, 32*, 175–203.

Herrmann, R. K., & Fischerkeller, M. (1995). Beyond the enemy image and spiral model: Cognitive-strategic research after the Cold War. *International Organization, 49,* 415–50.
Herwig, H. (1987). Clio deceived: Patriotic self-censorship in Germany after the Great War. *International Security, 12,* 5–44.
Hirshleifer, J., & Riley, J. G. (1992). *The analytics of uncertainty and information.* New York: Cambridge University Press.
Holsti, O. R. (1967). Cognitive dynamics and images of the enemy. *Journal of International Affairs, 21,* 16–29.
Holsti, O. R. (1970). The "operational code" approach to the study of political leaders: John Foster Dulles' philosophical and instrumental beliefs. *Canadian Journal of Political Science, 3,* 123–57.
Holsti, O. R. (1972). *Crisis, escalation, war.* Montreal: McGill-Queens University Press.
Holsti, O. R. (1976). Foreign policy formation viewed cognitively. In R. Axelrod (Ed.), *The structure of decision: The cognitive maps of political elites* (pp. 18–54). Princeton: Princeton University Press.
Holsti, O. R. (1977). *The "operational code" as an approach to the analysis of belief systems.* Final Report to the National Science Foundation, Grant No. SOC 75-15368. Duke University.
Holsti, O. R. (1989). Crisis decision making. In P. E. Tetlock, J. L. Husbands, R. Jervis, P. C. Stern, & C. Tilly (Eds.), *Behavior, society, and nuclear war* (Vol. 1, pp. 8–84). New York: Oxford University Press.
Holsti, O. R., & George, A. L. (1975). The effects of stress on the performance of foreign policy-makers. In C. P. Cotter (Ed.), *Political Science Annual* (pp. 255–319). Indianapolis: Bobbs-Merrill.
Huntington, S. P. (1961). *The common defense.* New York: Columbia University Press.
Janis, I. L. (1982). *Groupthink.* (2nd rev. ed.) Boston: Houghton Mifflin.
Janis, I. L., & Mann, L. (1977). *Decision making: A psychological analysis of conflict, choice, and commitment.* New York: Free Press.
Jervis, R. (1970). *The logic of images in international relations.* Princeton: Princeton University Press.
Jervis, R. (1976). *Perception and misperception in international politics.* Princeton: Princeton University Press.
Jervis, R. (1985). Perceiving and coping with threat. In R. Jervis, R. N. Lebow, & J. G. Stein, *Psychology and deterrence* (pp. 13–33). Baltimore: Johns Hopkins University Press.
Jervis, R. (1988). War and misperception. *Journal of Interdisciplinary History, 18,* 675–700.
Jervis, R. (1992). Political implications of loss aversion. *Political Psychology, 13,* 87–204.
Jervis, R. (2002). Signaling and perception: Drawing inferences and projecting images. In K. R. Monroe (Ed.), *Political psychology* (pp. 293–312). Mahwah, NJ: Erlbaum.
Jones, B. D. (1999). Bounded rationality. *Annual Review of Political Science, 2,* 297–321.
Kahneman, D., Knetsch, J. L., & Thaler, R. H. (1990). Experimental tests of the endowment effect and the Coase theorem. *Journal of Political Economy, 98,* 1325–48.

Kahneman, D., Slovic, P., & Tversky, A. (Eds.). (1982). *Judgment under uncertainty: Heuristics and biases.* Cambridge: Cambridge University Press.

Kahneman, D., & Tversky, A. (1979). Prospect theory: An analysis of decision under risk. *Econometrica, 47,* 263–91.

Kaufman, C. D. (1994). Out of the lab and into the archives: A method for testing psychological explanations of political decision making. *International Studies Quarterly, 38,* 557–86.

Kelman, H. C. (1965). Social-psychological approaches to the study of international relations: Definition of scope. In H. C. Kelman (Ed.), *International behavior: A social-psychological analysis* (pp. 3–39). New York: Holt, Rinehart and Winston.

Khong, Y. F. (1992). *Analogies at war.* Princeton: Princeton University Press.

Klineberg, O. (1950). *Tensions affecting international understanding.* New York: Social Science Research Council.

Klineberg, O. (1965). *The human dimension in international relations.* New York: Holt, Rinehart and Winston.

Kowert, P., & Legro, J. (1996). Norms, identity, and their limits: a theoretical reprise. In P. J. Katzenstein (Ed.), *The culture of national security: Norms and identity in world politics* (pp. 451–497). New York: Columbia University Press.

Langer, E. J. (1975). The illusion of control. *Journal of Personality and Social Psychology, 32,* 311–28.

Larson, D. W. (1985). *Origins of containment: A psychological explanation.* Princeton: Princeton University Press.

Lasswell, H. D. (1930). *Psychopathology and politics.* Chicago: University of Chicago Press.

Lau, R. R., & Redlawsk, D. P. (1997). Voting correctly. *American Political Science Review, 91,* 585–98.

Lau, R. R., & Sears, D. O. (Eds.). (1986). *Political cognition.* Hillsdale, NJ: Erlbaum.

Lebow, R. N. (1981). *Between peace and war.* Baltimore: Johns Hopkins University Press.

Lebow, R. N. (1987). *Nuclear crisis management.* Ithaca, NY: Cornell University Press.

Leites, N. (1951). *The operational code of the Politburo.* New York: McGraw-Hill.

Leites, N. (1953). *A study of Bolshevism.* New York: Free Press.

Levi, A. S., & Whyte, G. (1997). A cross-cultural exploration of the reference dependence of crucial group decisions under risk. *Journal of Conflict Resolution, 41,* 792–813.

LeVine, R. A., & Campbell, D. T. (1972). *Ethnocentrism: Theories of conflict, ethnic attitudes, and behavior.* New York: Wiley.

Levy, J. S. (1983). Misperception and the causes of war. *World Politics, 36,* 76–99.

Levy, J. S. (1989). The diversionary theory of war: A critique. In M. I. Midlarsky, (Ed.), *Handbook of war studies* (pp. 259–288). London: Unwin-Hyman.

Levy, J. S. (1994). Learning and foreign policy: Sweeping a conceptual minefield. *International Organization, 48,* 279–312.

Levy, J. S. (1997). Prospect theory, rational choice, and international relations. *International Studies Quarterly, 41,* 87–112.

Levy, J. S. (2000). Loss aversion, framing effects, and international conflict. In M. I. Midlarsky (Ed.), *Handbook of war studies* II (pp. 193–221). Ann Arbor: University of Michigan Press.

Lowenberg, P. (1969). *Decoding the past: The psychohistorical approach.* Berkeley: University of California Press.

March, J. G. (1978). Bounded rationality, ambiguity, and the engineering of choice. *Bell Journal of Economic Management Science, 9*, 587–608.

March, J. G. & Olson, J. P. (1989). *Rediscovering institutions: The organizational basis of politics*. New York: Free Press.

Marcus, G. E. (2000). Emotions in politics. *Annual Review of Political Science, 3*, 221–50.

May, E. R. (1973). *Lessons of the past*. London: Oxford University Press.

May, M. A. (1943). *A social psychology of war and peace*. New Haven: Yale University Press

McDermott, R. (1998). *Risk-taking in international politics: Prospect theory in American foreign policy*. Ann Arbor: University of Michigan Press.

McGuire, W. J. (1985). Attitudes and attitude change. In G. Lindzey & E. Aronson (Eds.), *The handbook of social psychology* (Vol. 2, pp. 233–346). New York: McGraw-Hill.

Mearsheimer, J. (2001). *The tragedy of great power politics*. New York: Norton.

Mercer, J. (1996). *Reputation and international politics*. Ithaca, NY: Cornell University Press.

Mintz, A., Geva, N., Redd, S. B., & Carnes, A. (1997). The effect of dynamic and static choice sets on political decision making: An analysis using the decision board platform. *American Political Science Review, 91*, 553–66.

Neustadt R. (1960). *Presidential power*. New York: Wiley.

Nisbett, R., & Ross, L. (1980). *Human inference: Strategies and shortcomings of social judgment*. Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall.

North, R., C. (1967). Perception and action in the 1914 crisis. *Journal of International Affairs, 21*, 103–22.

O'Neill, B. (1999). *Honor, symbols, and war*. Ann Arbor: University of Michigan Press.

O'Neill, B. (2001). Risk aversion in international relations theory. *International Studies Quarterly, 45*, 617–40.

Osgood, C. E. (1962). *Alternative to war or surrender*. Urbana: University of Illinois Press.

Redlawsk, D. P. (2002). Hot cognition or cool consideration: Testing the role of motivated reasoning in political decision making. *Journal of Politics, 64*, 1021–1044.

Rosenau, J. N. (1966). Pre-theories and theories of foreign policy. In R. B. Farrell (Ed.), *Approaches to comparative and international politics* (pp. 27–92). Evanston, IL: Northwestern University Press.

Rosenau, J. N. (1967). The premises and promises of decision-making analysis. In J. C. Charlesworth (Ed.), *Contemporary political analysis* (pp. 189–211). New York: Free Press.

Schilling, W., Hammond, P., & Snyder, G. (Eds.). (1962). *Strategy, politics and defense budgets*. New York: Columbia University Press.

Shlaim, A. (1976). Failures in national intelligence estimates: The case of the Yom Kippur War. *World Politics, 28*, 348–80.

Simon, H. A. (1957). *Models of man*. New York: Wiley.

Snyder, J. (1984). *The ideology of the offensive: Military decision-making and the disasters of 1914*. Ithaca, NY: Cornell University Press.

Snyder, J. (1991). *Myths of empire: Domestic politics and international ambition*. Ithaca, NY: Cornell University Press.

Snyder, R. C., Bruck, H. W., & Sapin, B. (Eds.). (1962). *Decision-making as an approach to the study of international politics.* New York: Free Press.

Stagner, R. (1942). Some factors related to attitude toward war, 1938. *Journal of Social Psychology, 16,* 131–42.

Stein, J. G. (1985). Calculation, miscalculation, and conventional deterrence, II: The view from Jerusalem. In R. Jervis, R. N. Lebow, & J. G. Stein (Eds.), *Psychology and deterrence* (pp. 60–88). Baltimore: Johns Hopkins University Press.

Stein, J. G. (1993). Building politics into psychology: The misperception of threat. In N. J. Kressel (Ed.), *Political psychology* (pp. 367–392). New York: Paragon.

Stein, J. G. (1994). Political learning by doing: Gorbachev as uncommitted thinker and motivated learner. *International Organization. 48,* 155–84.

Stein, J. G., & Pauly, L. (Eds.). (1992). *Choosing to cooperate: How states avoid loss.* Baltimore: Johns Hopkins University Press.

Stein, J. G., & Tanter, R. (1980). *Rational decision-making: Israel's security choices, 1967.* Columbus: Ohio State University Press.

Steinbrunner, J. D. (1974). *The cybernetic theory of decision.* Princeton: Princeton University Press.

Tetlock, P. E. (1991). Learning in U.S. and Soviet foreign policy. In G. W. Breslauer & P. E. Tetlock (Eds.), *Learning in U.S. and Soviet foreign policy* (pp. 20–61). Boulder: Westview.

Tetlock, P. E. (1992). The impact of accountability on judgment and choice: Toward a social contingency model. In M. P. Zanna (Ed.), *Advances in experimental social psychology* (Vol. 25, pp. 331–76). New York: Academic Press.

Tetlock, P. E. (1998). Social psychology and world politics. In D. Gilbert, S. Fiske, & G. Lindzey (Eds.), *Handbook of social psychology* (4th ed., pp. 868–912). New York. McGraw-Hill.

Tetlock, P. E., Crosby F., & Crosby, T. L. (1981). Political psychobiography. *Micropolitics, 1,* 191–213

't Hart, P. (1990). *Groupthink in government: A study of small groups and policy failure.* Amsterdam: Swets and Zeitlinger.

Thurstone, L. L., & Chave, E. J. (1929). *The measurement of attitude.* Chicago: University of Chicago Press.

Tversky, A., & Kahneman, D. (1974). Judgment under uncertainty: Heuristics and biases. *Science, 185,* 1124–31.

Vertzberger, Y. Y. I. (1990). *The world in their minds.* Stanford, CA: Stanford University Press.

Wagner, R. H. (1989). Uncertainty, rational learning, and bargaining in the Cuban missile crisis. In P. C. Ordeshook (Ed.), *Models of strategic choice in politics* (pp. 177–205). Ann Arbor: University of Michigan Press.

Wagner, R. H. (1992). Rationality and misperception in deterrence theory. *Journal of Theoretical Politics. 42,* 115–141.

Walker, S. G. (1977). The interface between beliefs and behavior: Henry Kissinger's operational code and the Vietnam War. *Journal of Conflict Resolution, 21,* 129–68.

Walker, S. G. (1995). Psychodynamic processes and framing effects in foreign policy decision-making: Woodrow Wilson's operational code. *Political Psychology, 16.* 697–717.

Walker, S. G. (2003). A cautionary tale: Operational code analysis as a scientific re-

search program. In C. Elman & M. F. Elman (Eds.), *Progress in international relations theory*. Cambridge, MA: MIT Press.
Waltz, K. N. (1959). *Man, the state, and war*. New York: Columbia University Press.
Waltz, K. N. (1979). *Theory of international politics*. Reading, MA: Addison-Wesley.
Wendt, A. E. (1999). *Social theory of international politics*. New York: Cambridge University Press.
Whaley, B. (1962). *Codeword Barbarossa*. Cambridge, MA: MIT Press.
White, R. (1968). *Nobody wanted war*. New York: Doubleday.
Winter, D. G. (2002). An intellectual agenda for political psychology. In K. R. Monroe (Ed.), *Political psychology* (pp. 385–398). Mahwah, NJ: Erlbaum.
Wohlstetter, R. (1962). *Pearl Harbor: Warning and decision*. Stanford, CA: Stanford University Press.
Wright, Q. (1942). *A study of war*. Chicago: University of Chicago Press.

الفصل التاسع

نظرية الصورة والتفاعل الاستراتيجي في العلاقات الدولية[١٨٤]

ريتشارد ك. هيرمان

وصف لـي ج. كرونبـاخ Lee J. Cronbach (١٩٦٧) علـم الـنفس الاجتماعى على أنه مقسم إلى حقلين معرفيين أحدهما يشرح سلوك الفاعـل من الخارج معتمدًا فى ذلك على فكرة البيئة (Skinner, 1960)، والآخر يشرح السلوك من الداخل معتمدًا على مفهوم الشخصية. وفـى نظريـة العلاقـات الخارجية ظهر تقسيم مماثل فى الخمسينيات. فقد سعت إحدى المدارس إلـى تفسير سلوك الدول من الخارج بالنظر فى المقام الأول إلى توزيع القوى فى النظام والقيود والحوافز الخارجية التى تمثلها لأية دولة معينة. كمـا سـعت مدرسة أخرى إلى شرح سلوك الدول بفحص الدوافع المختلفة والإدراكـات التى سادت فى كل دولة (Sprout & Sprout 1965). وقد وظفـت المدرسـتان الوسائل الأساسية للبحث الوظيفى الخاص بتعريف المفاهيم ووضع نمـاذج استنتاجية واتباع الاختبـارات الامبريقيـة. (Riker, 1962; Snyder, Bruck & Sapin 1962). وقد تمحور الاختلاف بينهما فيما يتعلق بافتراضـاتهما عـن طبيعة اتخاذ القرار.

هل يتجاوب الناس مع البيئة الخارجية كما لو كانوا يستخدمون الحـد الأقصى من المكافآت المتوفرة بشكل عقلانى بالأخذ فى الاعتبـار الوضـع

(١٨٤) قامت بترجمة هذا الفصل مشيرة الجزيرى

الموضوعى؟ كان هذا هو السؤال محل الجدل بين وجهتى النظر. فقد دفعت المدرسة الفكرية الأولى أنه من المعقول افتراض أن الفاعلين يدركون البيئة بالفعل بشكل صحيح، وأنهم يتخذون قرارات رشيدة. وافترض الدارسون التابعون لهذه المدرسة أن الفاعلين قد يرتكبون أخطاء ولكنهم يتعلمون من تلك الأخطاء ويتصرفون عبر الزمن كلاعبين راشدين يتجاوبون مع أبنية الحوافز الموضوعية. أما المدرسة الفكرية الأخرى، فتفترض أن الناس لا يتخذون قرارات ولا يتعلمون بشكل كفء وفعال كما يفترض النموذج العقلانى. وتشك هذه المدرسة فى أن البيئة الخارجية تظهر للفاعلين بنفس المظهر الذى تظهر به للملاحظين الدارسين (Brecher 19912, 1973; Rummel 1975). وعلى سبيل المثال، قد لا يتفق البعض بشأن درجة إخضاع القوى فى البيئة، ولا يتفقون فى أحكامهم العلمية على تلك الأمور، ولا سيما لو كانت الأحكام التى توظف الأحكام المؤخرة. وقد شعر الدارسون التابعون لهذه المدرسة أيضا أنهم قد ارتكبوا خطأ بافتراض أن الوصفات التى تساعد الناس على اتخاذ القرارات هى وصف جيد لكيفية اتخاذ القرارات بالفعل (Steinbruner, 1974). ودفعوا بالحاجة إلى إيلاء درجة أكبر من الاهتمام الامبريقى لجوهر معتقدات الناس وإجراءات اتخاذ القرار على حد سواء (Axelrod, 1976; Holsti, 1970; Simon 1985) وقد ركزت وجهة النظر تلك على أهمية القادة والفروق بينهم (Byman and Pollack 2001)

إن قرار شرح الفعل كناتج عن معتقدات الفاعل، بدلاً منه كنتيجة للبيئة الخارجية الموضوعية، له دلالات على البحث، إذ يشير إلى أن تحديد معتقدات الفاعل، بما فى ذلك معتقداته عن الفاعلين الآخرين والوضع البيئى وكيف تعمل العلاقات داخل النظام، يجب أن تكون هى جوهر التحرى الامبريقى (Herrmann 1988). وفى المعمل، يعنى ذلك تضمين ضمانات

تطويعية. وأما فى السياق الطبيعى للعلاقات الدولية، فتصبح المهمة أكثر تعقيدًا لأنها تعنى تحديد معتقدات الزعماء الذين لديهم من الأسباب ما يمنعهم من الإفصاح عنها، والذين لديهم أسباب عديدة لتطويع فهم الآخرين لما يعتقدون هم، والتحرك من المستوى الفردى للزعيم الذى قد يكون له معتقدات، إلى مستوى الفاعل الجماعى، ومنح الفاعل الجماعى صفات بشرية مجسمة. لقد كان فى إطار الجهد الخاص بمواجهة التحديات التى تثيرها وجهة النظر الظاهراتية (الفينومينولوجية) أن تم تنفيخ مفهوم الصورة والنظريات الخاصة بالصور.

يبدأ هذا الفصل بمناقشة عن مفهوم الصورة image. فيعرف المفهوم ويشرح كيف تم استخدامه فى دراسة معتقدات الفاعلين الجوهرية عن العالم، وخاصة عن الفاعلين الآخرين ممن يتفاعلون معهم. وتركز هذه المناقشة الأولية على البعد الجوهرى الذى استخدمه الدارسون فى تنظيم مفهومهم عن الصور والعمليات الإدراكية التى ترتبط بها. وينتقل الجزء الثانى من الفصل إلى النظريات المختلفة الخاصة بمصادر الصور والوظائف التى تحققها. ويتضمن ذلك نقاشاً عن العوامل التى تحفز الصور والعلاقة بين الصور والعواطف. وتتضمن أيضا استخدامات الصور النمطية فى سياق الجهود لاستنتاج الدوافع الكامنة وراءها. أما الجزء الثالث من الفصل، فيتحرى دلالات استخدام المقاربة القائمة على الصورة عند التنظير عن التفاعل بين الدول والأمم والمجموعات الأخرى. وتحظى الدلالات الخاصة بفهم عمليات الاتصالات والتفسير باهتمام خاص، كما تحظى دلالات نظرية الردع العقلانى بنفس درجة الاهتمام. وأما الجزء الأخير من الفصل، فيناقش دلالات المقاربة القائمة على أساس الصورة على نظريات التعلم وحل النزاع بيد أن الموضوع الأخير قد ترك فى أغلبه للفصل العاشر.

الصور كأبنية مفهومية:

مكونات الصورة:

إن وصف رأى فاعل ما عن العالم، أو إدراكه عن فاعل آخر، مهمة معقدة. فقد يكون لشخص ما معتقدات عديدة عن فاعل آخر بما في ذلك، ضمن إدراكات أخرى، الأشياء التى يثمنها الفاعل، والدور الذى يلعبه فى إقليم معين وكيف يعمل اقتصاده أو نظامه السياسى. كما قد تتضمن الصور أيضا معلومات عن الذات والآخر. ويكون هذا صحيحًا بشكل خاص عندما تشير المكونات الأساسية للصورة إلى صفات نسبية مثل تناغم الأهداف واتساقها أو قوتها النسبية. ففى دراسة عن التصريحات التى قام بها زعماء القمة فى ٧١ حكومة، حدد ك. ج. هولستى (1970) ١٧ مفهومًا للأدوار. وتضمن كل مفهوم حزمة من المعلومات عن الذات والآخرين وتوقعات السلوك. وأخيراً ركز البنائيون الدارسون للعلاقات الدولية على مفهوم هوية الفاعل، مذكرين بالمفهوم السابق عن الدور.

وكثيرًا ما يعتمد البنائيون المحدثون، مثل هولستى، على الوسائل الاستنتاجية لتحديد دور المفاهيم (الهويات)، التى قد تتوفر لدى الفاعلين أو يشتركون فيها. وفى أغلب الأمر، لم تحاول جهود البنائيين أن تطور تصنيفاً للأدوار (هويات)، كما فعل هولستى ولكن سعوا بدلاً من ذلك، إلى بناء الهويات كشىء مشترك – معنى يدور حوله الاتفاق الذاتى البينى بين الفاعلين. كما ناقش هولستى الجوانب المشتركة للأدوار واستطلع احتمال اقتسام مفاهيم الأدوار واحتمال ألا يتفق الفاعلون على دور فاعل معين. وفى نفس الوقت طور الآن بيج فيسك (١٩٩١) نظرية فى علم الاجتماع عن العلاقات الاجتماعية، تعتمد بشكل كبير على فكرة أن مفاهيم الأدوار غير المتناسقة تؤدى إلى توقعات سلوكية متناقضة وإلى الصراع.

إن الجهد الساعى إلى وصف مفاهيم وهويات الأدوار بالاستناد إلى عملية يعتقد أنها استنتاجية فى أغلب الأمر، قد تؤدى إلى تجسيد للفئات المفهومية التى يوظفها الباحث وإلى التملية الضمنية لآراء الباحث. وبالطبع تملى الاستراتيجيات الاستنتاجية أيضا فئات وأفكارًا ولكنها تفعل ذلك بأسلوب علنى وصريح. فقد سعى روبرت أكسلرود (١٩٧٦) إلى توظيف الحد الأدنى من الإطار الاستنتاجى المبنى حول فكرة أن المعتقدات المتعلقة بالسياسات يتألف أغلبها من ادعاءات سببية واستنتاجات. إلا أن هذه الخرائط الإدراكية التى رسمها اكسلرود وآخرون سرعان ما أصبحت شديدة التعقيد مثلها فى ذلك مثل مفاهيم الأدوار والهويات المبنية على أساس الخصوصية. ونظرًا لأنها قد استقرأت من خلال الحالات التى كانت قد سعت إلى شرحها فى الأساس، فقد عانت من احتمال التكرار والحشو كما لا يمكن نقلها إلى حالات أخرى أو تكرارها. وفى سعيه نحو الاقتصاد والقوة التفسيرية، قدم هولستى (١٩٧٠) تنبؤات نظرية أولية عن المصادر والأسباب الكامنة وراء مفاهيم الدور القومى. وقد حدد بعض العوامل مثل إدراكات التهديد والحاجات الاقتصادية والمبادئ الإيديولوجية والقدرات العليا. وذهب الدارسون الآخرون فى اتجاهات متوازية أخرى على الأقل بمعنى أنهم ركزوا على ما اعتقدوا أنه مجموعة أصغر من الإدراكات الأساسية التى حددت المعمار الكامن وراء العلاقات.

لقد قدم كينيث بولدنج (١٩٥٩) على سبيل المثال نظرية عن الصور القومية. وقد جادل بأن "الصور التى تعد مهمة فى النظم الدولية" هى "صور الأمة عن نفسها وعن الكتل الأخرى فى النظام التى تشكل بيئتها الدولية" (ص ص ١٢٠-١٢١). ووفقا لمفهوم بولدنج، فإن العداء أو الصداقة، والقوة أو الضعف التى يتم إدراكها لوحدة ما، هى الملامح المركزية لصورة الذات عن هذه الوحدة (ص ص ١٢٤-١٢٥). إن هذين البعدين المحوريين

للصورة الذاتية وصور الآخرين كـــان يعتقـــد أنهمـــا يـــشكلان القـــرارات الاستراتيجية وبذلك يقدمان تركيزا مقتصدًا لدراسة معتقدات الفاعل (بولـــدنج ١٩٥٦).

بالإضافة إلى هذين البعدين المعماريين، اللذين حددهما بولدنج، جادل عدد من الدارسين فى أعقاب ذلك، بأن صور ثقافة وحدة مـــا، علـــى أنهـــا مصقولة أو ديموقراطية أو متقدمة أو بدائية أو غير ديموقراطية ومتأخرة هى أيضا مكون إدراكى أساسى ومركزى لاتخاذ القرار فـــى مجـــال الـــسياسة الخارجية (M.Cottam, 1994; M. Cottam, 1997; Herrmann 1985).

وقد صرح جون أوين (١٩٩٧) أن إدراك نوايا دولة أخرى كعدائية أو صديقة، قد يستمد من الصور الـــسابقة عـــن ثقافـــة الدولـــة كليبراليـــة أو ديموقراطية أو غير ليبرالية وغير ديموقراطية.

وعرف كارك دويتش وريتشارد مريـــت (١٩٦٥) الـــصور "كأبنيـــة ممزوجة" تمثل تكامل الأبعاد المتعددة. وعرف ريتـــشارد كوتـــام (١٩٧٧) استنادا إلى أعمال سولومون آش (١٩٥٢) الصور كصور كليـــة أو أبنيـــة وصفية توظف لوصف المزيج المتكامل للأحكام عن وحدة ما، فيما يتعلـــق بالتهديد أو الفرصة التى تمثلها وسلطتها وثقافتها النسبية. كما جادل كوتـــام مثل ويليام سكوت من قبله (١٩٦٥) بأن الصور تتضمن مكونًا عاطفيًا يؤدى إلى نزعات سلوكية تجاه الفاعل المدرك.

إن الأبعاد التى يعتقد أنها مهمة فى نظريات الصور لا يـــتم انتقاؤهـــا اعتباطيا، فالقوة النسبية بطبيعة الحال، هى المفهوم التفسيرى المركزى فـــى الواقعية التقليدية (Morgenthau 1973). كما أن إدراك التهديد أيضا مهم فـــى الواقعية، وهو مفهوم تأسيسى فى الواقعية الجديدة (Waltz 1969). وكما يروى جاك ليفى،(الفصل الثامن)، كان التهديد المدرك محوريًا بالنـــسبة للمقـــابلات

النفسية للسياسة الخارجية. ولقد حظيت الفرصة المدركة بدرجة أقل من الاهتمام عن التهديد المدرك ولكنها محورية بالنسبة لأية نظرية فى دوافع السياسة الخارجية، التى تميز بين الفاعلين الاستبداديين أو فاعلى الوضع القائم أو الفاعلين العدائيين أو الدفاعيين. إن المكانة الثقافية محورية بالنسبة للمفاهيم الأنثرويولوجية والاجتماعية للعلاقات داخل المجموعات (Horowitz 1985).

وكبناء تحليلى، يصمم مفهوم الصورة لفهم العلاقات، أى أن كل بعد من الأبعاد يعرف بشكل نسبى، فإدراك الفاعل الآخر على أنه أقوى أو أضعف من الفاعل المدرك، يحدد رأى الشخص عن الآخر ورأيه عن الذات على حد سواء. وينطبق ذلك على المكانة الثقافية النسبية المدركة. إن تحديد التهديد والفرص يعرف فهم العلاقة المتداخلة بين أهداف الفاعل الذى يدرك وأهداف الفاعل الذى يتم إدراكه.

رسم هيرمان وزملاؤه (١٩٧٧ ص ٤٠٩ / ١٩٩٧) طيفًا من الصور المتكاملة الممزوجة ثلاثية الأبعاد التى قد تستخدم فى وصف معتقدات الفاعل عن العلاقات التى ينخرط فيها. وبالطبع فان تطوير البناء المفهومى هو خطوة ضرورية فى مهمة البحث، ولكنها لا تحل مشكلة تحديد الصور الخاصة بفاعل معين، فقد وجدت الدراسات الخاصة بمعتقدات الزعماء عددًا من الأنماط الامبريقية. على سبيل المثال، استنتج روبرت جيرفيس (ص ٣١٩-٣٢٩ / ١٩٧٦) أن الزعماء ينزعون إلى الاعتقاد بأن الفاعلين الآخرين لديهم أبنية لاتخاذ القرار شديدة المركزية وأنهم قادرون على تخطيط وتنفيذ عمليات موحدة. كما وجد أن الزعماء كثيرًا ما يفرطون فى تقدير أهميتهم كأهداف لفاعلين آخرين وكمسببين لسلوك الفاعلين الآخرين (جيرفيس ١٩٧٦، ص ٣٤٣ – ٣٤٩). وكان وايت (١٩٦٨) قد صرح من قبل (وايت ١٩٦٥) أن عدة صور نمطية جوهرية كانت شائعة للغاية فى العلاقات الدولية. ووصف ثلاثًا منها كالتالى: "صورة الخصم الشيطانى"،

"الصورة الذاتية القوية" و"الصورة الذاتية الأخلاقية". وقام فينلى وهو لستى وفاجن (١٩٦٧) بدراسة صورة العدو بالتفصيل. واقترح ريتشارد كوتام (١٩٧٧) نظرية عامة لصور ربطت بين المزيج المحتمل من الصور المتكاملة التحليلية التى تؤدى دور الأبنية التحليلية، والأنماط الجوهرية التى قام جيرفيس ووايت بوصفها.

صور النموذج الأمثل والصور النمطية:

دفع كوتام (١٩٧٧) بأن الأنماط الجوهرية الموجودة بالصور النمطية كانت مرتبطة بالمعتقدات الجوهرية النمطية عن الذات والآخر. وتوفر هذه الصور النمطية درجة من البساطة والترتيب تجعل العالم أسهل على الفهم وتمثل ما يصفه ليفى (الفصل الثامن) بالطرق المختصرة الإدراكية المشتركة. وتعتبر صورة العدو أفضل مثال معروف لهذا النمط. ان إدراك التهديد عندما يمزج بإدراك القدرات المشابهة نسبيًا والمكانة الثقافية كانت مرتبطة فى حالة النموذج الأمثل بالصورة النمطية الخاصة بالعدو الشيطانى. وقد اتصف هذا النموذج بالادعاء بأن العدو كانت له نوايا عدائية وشريرة وأنه مدفوع بقيادة مركزية ومتناغمة كليًا، قادرة على تنفيذ مؤامرات معقدة. علاوة على ذلك، وفقا للصورة النمطية، يعتقد أن العدو يتجاوب مع نفوذ المدرك ويتفاعل مع المدرك كهدف أساسى. ويفترض نموذجيًا، أن العدو يتحين الفرصة المقدمة له بسبب ضعف المدرك، وأنه يتراجع فى مواجهة قوة المدرك وتصميمه.

وعلى الرغم من أن صورة العدو قد حازت على اهتمام كبير، (هولستى ١٩٦٧ وسيلفرشتاين ١٩٨٩) فهى ليست الصورة الوحيدة المهمة فى الشئون العالمية. فهناك من الأبنية الممزوجة التى تصف العلاقات المدركة ما يرتبط أيضا بشكل مثالى – نموذجى مع الصور النمطية. فعلى

سبيل المثال، فإن الفرصة المدركة للاستغلال ممزوجة بإدراك أن وضع المدرك أفضل من حيث القدرة والثقافة، قد ارتبطت بالصور النمطية الخاصة بالمستعمرات والمتكلين (M.Cottam, 1994; R. Cottan 1977; Herrmann and Fisherkeller,. ووفقًا لهذه الصور النمطية، توصف المستعمرة بأنها ممزقة بين الزعماء التقدميين، المعتدلين والمسئولين وبين المحرضين من غير المسئولين. ويفترض أن السكان غير مسيسين وأنهم ليسوا على دراية بعد بالسياسة الجماهيرية، فما يعتقد أن الزعماء التقدميين لهم نوايا طيبة ولكنهم يفتقرون الكفاءة ويحتاجون إلى الوصاية والرقابة. وعلى الجانب الآخر للصوره الذاتية، فإن المدرك يساعد الزعامة المعتدلة المسئولة على إبعاد المحرضين وعلى مساعدة المجتمعات المحلية على التطور فى اتجاه إيجابى.

وتتصف إحدى العلاقات الأخرى التى تمت دراستها بإدراك فرصة استغلال فاعل آخر ممزوجة بإدراك التفوق من حيث القوة والثقافة المماثلة. وأما الصورة النمطية المرتبطة بهذه العلاقة المدركة، فهى الانحلال والانحطاط. (Herrmann 1985). وهى تتصف بصورة الآخر كطرف ضعيف العزيمة تسيطر عليه فى الوقت الراهن الرغبات المتعية. وأما المنحل فيتم تصوره على أنه ذو ماض مجيد ولكنه يعانى الآن من الانحلال والفساد. وأما الصورة الذاتية المرتبطة بذلك فهى أن المدرك يقدم الانضباط الأخلاقى ويساعد المنحل على الخروج من البالوعة والعودة إلى الوضع المتحضر. وحين يظهر إدراك الفرص المكاسب المتبادلة وليس الاستغلال، ويتم مزجها بإدراك القوة والثقافة المماثلة، تتشكل صورة نمطية متحدة بحيث تكون مختلفة عن صورة المنحل. وفى الصورة النمطية المتحدة ينظر إلى الحليف كطرف مستقيم أخلاقيًا، بالفعل تدفعه دوافع حميدة ومحبة الغير. وتنظر إلى حكومته كطرف يتمتع بالاحترام والشعبية العريضة وبزعماء موهوبين وأذكياء.

الصور النمطية كمخطط

تعمل الصور النمطية المرتبطة بكل مزيج من الصور المتكاملة المثلى نموذجيًا، كنماذج ذهنية أو مخططــات متكاملــة (Fiske and Taylor, 1991; Northway, 1940; Sherman, Judd and Park 1989) بمعنـــى أن هـــذه العناقيـــد النمطية من المعارف، تعرف القوالب التي- حين تثار- تقدم صورة للموقـــف تملأ الفراغات فى المعلومات وتسهل اتخاذ القرار (Abelson, Dasgupta, Park and Banaji; Campbell 1967).بمعنى آخر، إذا اعتقد شخص ما أنه فى طراز ما من العلاقات، فقد يعرف الذات والآخر بشكل نمطى تخطيطـــى، ويبنـــى صورة للذات والآخر تستند إلى المعلومات الخاصة بالفاعل محل الـــسؤال، بنفس القدر الذى تعتمد فيه على المعارف المسبقة عـــن الـــصورة النمطيـــة العامة. وحينما يتم تعلم المخطط بشكل جيد، فإذا توصل المدرك بجزء مـــن المعلومات عن فاعل آخر، وقام بتصنيف العلاقة، فمـــن الأرجـــح أن يمـــلأ الجزء الباقى من الصورة عن الفاعل الآخر، بملامح متسقة مـــع المخطـــط. وفى سياق هذه العملية، من الأرجح ألا يتمكن المدرك من تحديد أى الأجزاء المعلوماتية عن الفاعل تنبثق عن الدلائل الامبريقية وأى منها قد تم ملؤهـــا تخطيطيًا.

وقد تحرت عدة دراسات النوعية التخطيطية للصور النمطية الخاصـــة بالسياسة الخارجية. وأجرت مارثا كوتام (١٩٧٦ ص٦١ – ١٠٩) مسحًا عن صانعى القرار فى واشنطون لمعرفة كيف يصنفون البلدان. فوجـــدت أنهـــم يستخدمون فئات يلقبونها بالحلفاء والأعداء، والمعتمـــدين علـــى الأعـــداء، والمعتمدين على الولايات المتحدة ومن هم على الحياد. كما فحصت أيـــضا استخدام المهيمنين والدمية كفئات. وفى سلسلة من التجارب، فحص هيرمان، فوس وشولر وجيارونتشى (١٩٩٧) الصور النمطية عن العـــدو والحليـــف

والمنحل والمستعمرة، واصفين على سبيل المثال، دوافــع البلــد، وقــدراتها وعملية اتخاذ القرار بها. وبعد أن توصلوا إلى الجزء المعلوماتى، طلب من المشاركين تحديد الملامح الأخرى للدولة لمعرفة إذا كان بإمكانهم فعلاً ملء المعلومات المتعلقة بالمخطط. وقام المشاركون بذلك فيما يتعلــق بالــصور النمطية الخاصة بالعدو والحليف والمستعمرة. وأجــرى الكــساندر وبــرور وهيرمان (١٩٩٩) تجربة لاحقة وتوصلوا إلى نتائج شبيهة عــن الــصور النمطية والمتعلقة بالعدو والحليف والمتكل والهمجى.

والمخططات بالطبع تفعل ما هو أكثر من تنظــيم المعلومــات عــن الفاعلين الآخرين والذات فى شكل صورة متناغمة، كما أنها تؤثر فى ذاكرة المعلومات واستقبال المعلومات الجديدة وعمليــة الــتعلم (Alba and Hasher 1983). فبمجرد أن يقوم المدرك ببناء صورة عن علاقة بشكل نمطى، فمــن الأرجح أن يتذكر معلومات قديمة وأن يفسر معلومات جديدة بشكل متسق مع الصور النمطية. فمن المرجح إذن أن يتضمن التعلم زيادة الثقــة فــى آراء الشخص، والأقل ترجيحًا أن تنطوى على تغير فى جوهر هذا الرأى. ويصبح ذلك محتملاً فقط فى السياق الدولى من خلال الطبيعة المبهمة لأفعال عديــدة ومصادر معلومات وفتحات الهروب التحليلية التى تحمــى أكثــر الــصور النمطية شيوعًا من البراهين المثيرة للقلق.

وتتضمن الصور النمطية التى حظيت باهتمام لانتشارها فى الــسياسة الخارجية بعض الملامح التى تجعلها صعبة التنفيذ (Scott 1965). فالــصورة النمطية للعدو، على سبيل المثال، تتضمن عدة عوامل تحصنها ضد التفنيــد وتسمح لها بالظهور كنموذج لسوء الظن المتأصل (Holsti, 1979; Stuart and Starr 1982). وتصور الصورة النمطية الفاعل الآخر المدفوع بالشر والدوافع غير المحدودة، ولكنه متجاوب مع أفعال المدرك. ونتيجة لذلك، حين تــسلك الدولة المستهدفة مسلكًا عدائيًا، يؤكد ذلك الافتراض الأول، وحينما لا تفعــل

ذلك، ينسب التقيد نموذجيًا للفعل القوى العازم لبلد المدرك. وقد يصور العدو "كنمر من ورق" بمعنى أنه يسعى إلى فرص سهلة ولا يعترض عليها، ولكن حين تواجهه المقاومة العاتية، يتضح أنه أجوف. وفى المجال السياسى، كثيرًا ما يعزى هذا التجويف إلى الطبيعة غير المحبوبة للحكومة المنمطة وعدم قدرتها على تحفيز شعبها بأية وسيلة غير القسر. وعندما يصبح أمرًا مستحيلاً أن تبنى صورة لفعل قوى وحاسم من ناحية بلد المدرك بحيث ينسب إليها السلوك غير العدائى للطرف الأخر، يحمى الاعتقاد القائل بأن الفاعل الآخر متحد بصورة كبيرة وقادر على تنفيذ المؤامرة – يحمى الرأى الآخر. ويفسر المدرك التقيد غير العدائى الظاهر، كحيلة أو ربما حتى كمؤامرة مصممة لإيهام المدرك بأنه فى حالة ضعف وسريع التأثر.

إن الصورة النمطية عن العدو هى أفضل نماذج سوء البنية التى تمت دراستها. ولكنها ليست فريدة من ناحية أنها محصنة ضد التزييف. فالصورة النمطية لمستعمرة متكلة بها أيضا ملامح تحميها من التناقض الامبريقى (M. Cottamm 1994; R.Cottam, 1977; Herrmann et al 1977). فعلى سبيل المثال، يعد الاعتقاد بأن الزعماء بالدولة المستهدفة لا يتمتعون بالكفاءة وغير قادرين على إدارة المسائل المعقدة بدون وصاية أمرًا مركزيًا بالنسبة لهذه الصورة النمطية. كما أن من الأمور الأساسية لهذه الصورة النمطية الاعتقاد بأن المحرضين بالبلد لهم صلات سرية بالعملاء الأجانب الذين يقدمون لهم النصح. ونتيجة لذلك، فإذا تصرف الزعماء الأصليون بذكاء مفاجئ وبعد النظر، فقد يعزى ذلك للعملاء الأجانب ومؤامرات العدو.

والصورة النمطية الامبريالية التى كثيرا ما تتكون لدى زعماء المستعمرات السابقة عن العاصمة السابقة تتضمن بالمثل ملامح تحميها من مثل هذا التزييف. فعلى سبيل المثال. فى الصورة النمطية عن الامبريالى، تصور الامبراطورية على أساس كونها تعمل من خلال الايدى الخفية

التآمرية. وبالتالى، فإن القرارات التى تظهر على السطح وكأنها تتم محليـا، يمكن نسبها إلى المستشارين الأجانب غير المرئيين. وفى الوقت نفسه، فـإن الأفعال التى ليس لها هدف استغلالى واضح يمكن النظر إليها على أسـاس كونها حيلاً ذكية ومؤامرات مصممة للتضليل.

وتعتمد صور الحليف بدرجة أقل على معتقدات التآمر وأكثـر علـى الأبنية الخاصة بالموقف لمقاومة المعلومات المتضاربة. وفى تلـك الحالـة، يمكن استمرار تعزيز النوايا الحميدة من خلال عزو السلوك العدائى العنيـف إلى الاستفزاز الوضعى وأخذ المبادرة فى الدفاع عـن الـذات والروايـات التبريرية الأخرى (Scott and Lyman, 1968).

الصور المثالية كمرجعيات

قد تعمل الصور النمطية كمخططات، ولكن هذا لايعنى أنهـا تـصف بشكل مفيد المعتقدات الشخصية لشخص معين. ولا يعارض مناصرو نظرية الصورة (Cottam 1977; Herrmann, 1985) أن آراء معظم النـاس هـى آراء نمطية، بل يجادلون بأن فهم علاقة ما يمكن أن يمثل من خلال بناء مخـتلط من ثلاثة أبعاد. وفى حالة الصور المثالية يجوز تعريف القيم فى كل من تلك الأبعاد الثلاثة (تداخل الأهداف، والقدرة النسبية والمكانة الثقافية النسبية) على أنها تصل إلى نقطة نهائية على المقياس. (Alexander, Brewer and Herrmann 1999) مما يخلق مرجعًا يمثل الصورة القصوى للمعتقد. ويمكن قيـاس آراء الناس الفعليين على أنها تشبه بعض الشئ النمـوذج الأمثـل. ونظـرًا لأن الصور المثالية مرتبطة بالصور النمطية المعترف بها، فإن التشابه بين آراء شخص معين وجوهر الصور النمطية يمكن اعتباره مقياسًـا للتـشابه بـين معتقدات الشخص والبناء المختلط النموذجى.

وكما شرح ليفى بالفصل الثامن، فإن من الصعوبة بمكان تعريف سوء

الإدراك وتحديده وقياسه. ولهذا السبب تعتبر مقارنة الآراء الفعلية بالصور النمطية أمرًا قيمًا، فهى توفر وسيلة لقياس وتحديد الإدراكات بدون التعامل معها بالضرورة كسوء إدراك. فبدلاً من مقارنة آراء الشخص بالواقع المفترض، تقارن هذه الاستراتيجية بين آراء الشخص والصور النمطية المعروفة. وليس من الضرورى التحقق من دقة الصورة النمطية، بالرغم من أن دورها فى توازن النزعات العاطفية والإدراكية قد يشير إلى تحيز فى إدراك الأشخاص، كما سوف نشير لاحقًا.

إن خلق الابنية المفهومية واستراتيجيات القياس أمر ضرورى لتفحص المعتقدات إمبريقيًا. إلا أن الألغاز المهمة تظل موجودة، ولعل أكثرها إثارة هو ما يفسر التباين بين الأفراد فى الشخصية النمطية للمعتقدات. بمعنى آخر، لماذا ينزع بعض الناس إلى المعتقدات النمطية ولا يتجه إليها الآخرون؟ هل هو ميل الشخصية الذى يؤدى بشخص ما إلى أن يتمسك بالصور النمطية فيما يتعلق بكافة الفاعلين؟، أم أنه شئ خاص يتعلق بفاعلين معينين ومواقف محددة؟ ويرتبط بالسؤال الخاص بسبب وجود اختلافات شخصية، سؤال نظرى أكثر اتساعًا، وهو الخاص بمن أين تأتى الصور وما الذى يحدد أشكالها. وتجذب هذه الأسئلة اهتمامًا واسعًا لأنها فى مركز النقاش الدائر حول كيفية تغيير الصور وهندسة العلاقات السياسية. وقبل الانتقال إلى مناقشة النظريات التى تستخدم الصور فى تفسير ديناميات التفاعل فى العلاقات بين المجموعات، أستعرض فى الجزء التالى النظريات التى تزعم تفسير تلك الصور.

نظريات الصور:

بالطبع كان السؤال الخاص بما الذى يسبب المعتقدات ويصدر بالصور فى مركز السجال الدائر بين الحقلين المعرفيين فى علم النفس الاجتماعى،

الذى قام كرونباخ بتعريفهما (١٩٥٧، ١٩٧٥). كما أنه أيضا فـــى مركـــز الجدل بين المقاربتين المادية والأخرى الخاصة بالأفكار التصورية بالنـــسبة لنظرية العلاقات الدولية. ومن وجهة النظر المادية، تتسبب البيئة الموضوعية وأهداف الشخص فى ظهـــور المعتقـــدات. إذ يتوقـــع نمـــوذج الـــسياسات البيروقراطية، على سبيل المثال، أن تتبـــع معتقـــدات الـــشخص مـــن دوره والحوافز التنظيمية التى ينطوى عليها هذا الدور. وأما النماذج ذات النكهـــة الاقتصادية، فتفترض أن المعتقدات عن سياسات العالم تـــشكلها المـــصلحة الذاتية الاقتصادية التى تتجلى فى الظروف المادية (Snyder 1991، Solingen, 1998). وقد يحفز المعتقدات أيضا الانجذاب العاطفى (المواتى) أو عدائية مع المجموعات الخارجية، أو الرغبة فى حماية الصورة الذاتية والاعتداد بالذات (Kunda، ١٩٩٠).

ويصعب اختبار النظرية التى تزعم أن المعتقدات تتبع عوامل ماديـــة معينة، لصعوبة ضبط الآثار المحتملة لعوامل أخرى عديدة مثل الشخـــصية والإيديولوجية المسبقة وخبرات الأسرة. وقد ثبتت الصعوبة الشديدة حتى فى المختبر، لتحديد إذا كان الدافع وراء اعتقاد ما هى مصالح خفيـــة. (Tetlock and Levi ١٩٨٢). ولعله من المستحيل تحديد ذلك فى السياق الطبيعى، على الرغم من أن حاييم كاوفمان (١٩٩٤) يميل إلى استراتيجية معينة تحقق ذلك، فهو يبحث عن حالات يشعر من خلالها بإمكانية افتراض أن الزعماء جميعًا عندهم قدرة على الحصول على نفس المعلومات، ثم يعزو الاختلافات فـــى الأحكام إلى العقلانية المدفوعة motivated وللصعوبة الشديدة لتحديـــد كيـــف يمكن للعوامل العديدة المؤثرة فى العقلانية أن تتضافر لإنتـــاج المعتقـــدات، ركزت الثورة الإدراكية اهتمامها على الجوهر ونتائج المعتقدات، بدلاً مـــن السؤال المسبق الخاص بمسبباتها (Gardner١٩٨٥). إن هذا الشك فيما يتعلق

بالقدرة على إظهار الدقة التفسيرية والتنبؤية -بقوة امبريقية- للنظريات التى تزعم تفسير أصول الصورة، لم تردع الدارسين عن استطلاع الوظائف التى تخدمها الصورة والتى تتضمن وظائف إدراكية ووظائف عاطفية.

الصور كطرق إدراكية مختصرة:

تؤدى الصور والصور النمطية وظيفة إدراكية ضرورية. فهى تـوفر الفئات التى تسمح للناس بتصنيف وفهم البيئة السـياسية وعلاقـاتهم بهـا. وكأدوات للتبسيط الإدراكى، فهى تدير عبء المعلومات الذى لا يمكن تجنبه وتسهل عملية اتخاذ القرارات. كما إنها تؤدى إلى ظهور المساعدات المعرفية المختصرة التى تتواءم وصورة الناس كبخلاء إدراكيين يسعون إلى فهم العالم بأسلوب يتسم بالشح. ويجادل علماء النفس الاجتماعيين نموذجيا أن هذا النوع من التبسيط والتصنيف مطلوب بسبب أوجه القصور المتأصلة فـى قـدرات الناس على معالجة المعلومات. وقد وصف روبرت جيرفيس عمليات الإدراك التى كان علماء علم النفس الاجتماعى يشعرون بدرجة كبيـرة مـن الثقـة بشأنها، فى علاقتها بالسياسة الدولية. وأوضح كيف يمكن استخدام الطـرق المختصرة الإدراكية وقواعد المساعدة لتفسير أنماط التحيـز فـى التفكيـر الخاصة بالسياسة الخارجية. وجادل بأن الانماط التى كثيرًا ما كانت تنسـب إلى الدوافع الذاتية يمكن تفسيرها بهذا الأسلوب الإدراكى بدون إثارة نظرية الدوافع والتفكير الرغبى (١٩٧٦، صـفحة ١١٧ - ٢١٦ و٣٥٦ - ٣٨١). وفى ذلك الوقت، جادل العلماء الآخرون الناشطون فى مجال العلاقات الدولية الذين شاركوا جيرفيس اهتماماته بالإدراك، أن الجانب العاطفى من الـصور النمطية بشكل خاص أمر يصعب إنكاره، وأن الارتباط بين الصور والدوافع المشكوك فيها أمر مهم.

الصور كتبرير مدفوع images as motivated reasoning:

فى دراسته عن المبادرة بالحرب، دفع ريتشارد نيدليبو Richard Ned Lebou على سبيل المثال، بأن أحد الطرق المؤدية إلى الحرب تشمل سوء الإدراك المدفوع. فقد وجد أنه عندما واجه الزعماء تحديات داخلية قوية، وكانوا بحاجة إلى إحراز نصر فى مجال السياسة الخارجية، كثيرًا ما كانوا يعتقدون أن مثل هذا النصر كان ممكناً بالرغم من أنه لم يكن كذلك. ولقد دعا ذلك الزعماء إلى تحدى الخصوم والمبادرة بعمليات عسكرية توقعًا للنجاح. وتلك المبادرات، بدلاً من إثبات نجاحها، أدت إلى النزاع والحرب. ويرى روبرت جرفيس (١٩٨٥) أن التحيزات غير المدفوعة والمدفوعة على حد سواء قد أثرت فى إدراك التهديد، وناقش باستفاضة آثار الوجدان affect والحاجة اللاشعورية فى مشاهدة العالم بطرق معينة. وعلى الرغم من أن ليبو وجيرفيس لم يثيرا النظريات النفسية الدينامية، كان بعض العلماء السابقين قد جادلوا بأن الحاجات الشخصية مثل الحاجة إلى السلطة والإدراك والتفكير المشترك، كثيرًا ما تؤدى إلى الأمراض (Lasswell, 1930, 1948).

وقد جادل رالف ك وايت Ralph K. White (١٩٦٨) أن الصور النمطية، كصورة العدو الشيطان وما سماه بالتفكير "الأبيض والأسود" بشكل عام، استتبع عددًا من الدوافع غير الشعورية، بما فى ذلك رغبات السلطة والهيبة والمقام. وفحص لويد ايثرريدج Lloyd Etheredge (١٩٧٨) المسار المهنى للعاملين بالمجال الدبلوماسى بوزارة الخارجية الأمريكية، وبنى على أعمال Lasswell لاسويل السابقة. ودفع بأن الشخصية تؤثر فى الإدراك وركز على ما سماه الحدس الإسقاطى، والمتلازمات القائمة على أساس العواطف. كما طور روبرت روبنز Robert Robins وجيرولد بوست Jerold Post (١٩٩٧) نظرية فى هذا الاتجاه واستطلعا بالتفصيل ظاهرة جنون

العظمة. واقترحا أن الحاجة إلى أعداء قد تكون هى أيضا دافعًا لاشعوريًا مؤثرًا فى الفهم الإدراكى، كما طورا صورة متعددة الأبعاد لعقل المجنون بالعظمة ومعتنقى نظرية المؤامرة. كذلك استطلع روبنز وبوست الجوانب الواعية وغير الواعية للكراهية وقاما فى هذا السياق بتحليل بول بوت وعيدى أمين وجوزيف ستالين وأدولف هتلر والمتطرفين والإرهابيين الدينيين.

كما أكد ريتشارد كوتام Richard Cottam (١٩٧٧) دور العواطف، وطور نظرية تؤكد على العقلانية المدفوعة. إلا أن كوتام لم ينهل من أسس الدينامية النفسية، بل استند إلى نظرية التوازن لفريتز هايدر Fritz Heider (١٩٥٨). وتقترح هذه النظرية إحدى طرق تفاعل العوامل الإدراكية والعاطفية لتشكيل الحكم والقرار، وهو موضوع أقر ليفى (الفصل الثامن) أنه لم يتم دراسته بشكل كاف. ويشك كوتام فى أن الصور مدفوعة ولكنه فصل بين تحديد الدوافع الخاصة والعمليات الإدراكية العامة. ويجادل كوتام أن كثيرًا من الدوافع المحددة المختلفة قد تكون أساسًا لرؤية التهديدات والفرص، كما دفع بأنه مع نمو مشاعر التهديد والفرص لتصبح أكثر حدة، تتزايد النزعة نحو الصور النمطية. واقترض كوتاتم من فريتز هايدر (١٩٥٨) فكرة أن الناس يسعون إلى إيجاد توازن متناغم بين مشاعرهم تجاه الفاعل الآخر والصفات التى يولونها لهذا الفاعل فى سياق تمثيلاتهم الإدراكية له. بمعنى آخر، عندما يستفز فاعل أجنبى درجة عالية من التهديد المحسوس من جهة شخص مدرك، سوف يميل المدرك للإيمان بصورة إدراكية لهذا الفاعل المستهدف تتوازن مع هذا التهديد المحسوس. ويعنى التوازن فى هذه الحالة أن الصورة الإدراكية للفاعل الآخر سوف تتضمن صفات تسمح للمدرك بالتصرف بشكل يقلل من التهديد بدون النهى الاخلاقى. على سبيل المثال، من شأن التهديد المدرك الحاد أن يولد الصور النمطية الشيطانية التي- نظرًا لتأكيدها على النوايا الشريرة واتخاذ القرار المركزى المتناغم - تبرر استخدام القوة لتحطيم العدو.

إن فكرة أن الناس مدفوعون إلى موازنة الشعور تجاه الفاعل الآخر ومعتقداتهم الإدراكية تجاهه، تختلف بعض الشئ عن فكرة أن الناس تسعى إلى التوافق فى الصفات الإدراكية التى يولونها لفاعل آخر. وفى كثير من الصور النمطية التى توازن بين الشعور والإدراك، ثمة معتقدات إدراكية متناقضة. على سبيل المثال، هناك اعتقاد فى صورة العدو أن العدو قوى للغاية وخطير، وهناك فى نفس الوقت اعتقاد بأن العدو نمر من ورق وخصم أجوف. فقد وصفت إدارة الرئيس ريجان الاتحاد السوفيتى على أنه امبراطورية شر، وحذرت من أن المؤسسة العسكرية قد نمت بشكل قوى حتى أن الولايات المتحدة اضطرت إلى اتخاذ إجراءات طارئة للحاق بها، واصفة هذا البلد، فى نفس الوقت، بأنه قوة تالفة جاهزة لأن يدفع بها فى سلة مهملات التاريخ. والتناقض فى تقرير القدرة الروسية يمكن فهمه كتوازن المشاعر الذى يدره التهديد المحسوس. وتقدم عملية التوازن هذه صورة تدعو إلى العمل ضد العدو وتبرر استخدام الوسائل غير العادية، وفى نفس الوقت تحمل هذه الصورة وعدًا بالنجاح إذا تم إظهار القوة والإرادة.

والصورة النمطية للعدو ليست هى الصورة النمطية الوحيدة التى توازن المشاعر العاطفية والمعتقدات الإدراكية، فقد استنتج كوتام Cottam (1977) ومن بعده هيرمان Herrmann (1985 ,1988) صورًا نمطية اعتقدا أنها وازنت بين المشاعر المتولدة فى سلسلة من العلاقات النموذجية، وتضمنت الصور النمطية التى وازنت الفرص بالإضافة إلى التهديد. أما الصورة النمطية المنحلة، على سبيل المثال، فيعتقد أنها تسهل اغتنام الفرصة لاستغلال فاعل آخر. وهى تفعل ذلك من خلال تقديم صورة تعرف ممارسة التحكم على فاعل آخر كفعل من أفعال الخير، أو حتى الواجب الأخلاقى، لانتشال الفاعل المنحل من الانحطاط الأخلاقى. وقد فعلت الصورة النمطية عن المستعمرة نفس الشئ من خلال تقديم صورة ظهرت فيها ممارسة التحكم

على الفاعل الآخر كفعل من أفعال الإيثار بتقديم الإرشاد المطلوب وتحـديث المساعدة للشعوب المتأخرة التى تعتمد على الآخـرين. وتـوازن الـصورة النمطية للمستعمرة الهواجس الأخلاقية المتعلقة بانتهاك السيادة وحق تقريـر المصير من خلال تصوير المجتمع المستهدف بشكل متخلف للدرجة التى لا تسمح بأى نوع له معنى من السياسة الجماهيرية. كما توازن الصورة أيضا المخاوف الخاصة بانتهاك حقـوق الإنـسان أو الممارسـة الديموقراطيـة. وبتصوير السكان والثقافة على أنها متخلفة وغير متحضرة، تصرف الصورة النمطية الاهتمام عن ملاءمة وعملية مثل هذه الأنواع من المخاوف السياسية.

وتفترض مقاربة نظرية التوازن أن عملية التوازن غير واعية. وإلـى الدرجة التى تعتبر إنتاج الصورة النمطية التى تخدم الذات عن الفاعل الآخر تبريرًا تاليًا، لا تخدم هذه الصورة النمطية وظيفة التوازن النفسى. فإذا ساور الجنود، على سبيل المثال، الشك فى الصور النمطية التى تبرر قتل الأعداء، يصبح التوقع أنهم سوف يعانون من الألم النفسى مما يفترض بالطبع أنهـم مدفوعون بالاحتفاظ بصورة إيجابية عن الذات. ووفقًا لنظرية هايدر Heider (1958)، من الجائز موازنة صورة ذاتية سلبية عن طريق عزو كافة الصفات السلبية للذات وتوصيف الأفعال على أنها شريرة. ويفترض المنظرون الذين يطبقون نظرية التوازن فى تفسير العلاقات الدولية أن هذه الحالة التى تتصف بكراهية الذات تصبح غير عادية بالمرة عندما يدور الموضوع حول زعـيم وطنى. والمفترض أنه حتى يكون الشخص زعيمًا لجماعة عريضة، لابد له أن يستثمر جزءًا مهما من هويته الذاتية فى المجتمع وأن يقنع التابعين له أن له أثرًا إيجابيًا على المجتمع. فالزعماء الـذين يقـدمون صـورًا للـسلوك المعاصر لمجتمعهم بصورة سلبية من الناحية الأخلاقية، مـن المـرجح ألا تستمر شعبيتهم. وقد يكون من الممكن بالطبع أن يستخدم الزعماء ببـساطة الصور النمطية لتبرير الأفعال وتعبئة الدعم العام. وفى تلك الحالـة، تخـدم الصور النمطية وظيفة التوازن للتابعين وليس للزعماء.

ومن الصعب بمكان اختبار ما إذا كانت صور الزعيم هى الدافع وراء عمليات التوازن. فيتعامل جاك سنايدر Jack Snyder (1991) مع الصور النمطية كأساطير يقوم الزعماء بتطويعها لتعبئة الجماهير وهو بالطبع أمر خطير فى زمن يتسم بالجيوش والسياسة الجماهيرية. ويفترض ذلك أن الزعماء لا يحتاجون إلى الإغاثة النفسية التى يقدمها التوازن بل يحتاجون فقط إلى التبرير الذى تقدمه الصور النمطية لتعبئة الجماهير. ولكن من ناحية أخرى، يجادل هانز مورجنتو Hans Morgenthau (1973)، صفحة ٨٨ – ٩١، أن الزعماء فى حاجة إلى الإغاثة من التوتر الأخلاقى الذى توفره الصور المتوازنة، أكثر من التابعين لهم. ويشعر مورجنتو بأنه كلما اقترب الشخص من التمتع بالسلطة ومسؤوليات اتخاذ القرار، كان فى حاجة إلى تنكر إدراكى وهو ما أطلق عليه الإيديولوجيا، لحماية صورته الذاتية من حقائق السياسة. وافترض أن الزعماء يتصرفون وفقًا لمشاعرهم ويعتقدون بمحض إرادتهم فى الدعاية الخاصة بهم حتى يتمكنوا من النوم فى راحة ليلاً.

ويذكر روبرت جيرفيز Robert Jerviz (١٩٧٦، صفحة ١٢٨ – ١٤٢) أن التوتر الناجم عن اتخاذ القرار يمكن أن يجعل الزعماء على القمة ينخرطون فى اتساق غير عقلانى. أى أنه حتى يشعرونا براحة أكبر فيما يتعلق بقرار ما، كثيرًا ما يكون الزعماء مدفوعين بألا يروا التنازل وأن يعتقدوا بدلاً من ذلك، أن اعتبارات عديدة، إن لم تكن كافة الاعتبارات، تشير إلى نفس النتيجة المتعلقة بالسياسات. بمعنى آخر، يقضى الاتساق غير العقلانى على توتر اتخاذ القرار عن طريق تقديم صورة إدراكية لا تنطوى على أى داع للتضحية بأى شئ. ويجادل Jervis أن الزعماء كثيرًا ما يقررون السياسة التى يفضلونها ثم يبدأون فى تصديق أن كافة الاعتبارات الأخلاقية والمادية وغيرها تشير فى هذا الاتجاه. ويشير تحليله إلى أن الفشل النفسى فى الإقرار بالتنازل، من الأرجح أن يزداد مع المسؤولية والتوتر المرتبطين

باتخاذ القرار، مما يعنى أن الزعماء مثلهم مثل التابعين معرضون للوقـــوع فريسة لتلك الأمراض. ويوضح جيرفيس المقولة باللجوء إلى حالات الزعماء الأمريكيين البارزين، الذين يدعى أنهم قد عانوا من الاتساق غير العقلانـــى والإسراف فى تدمير نظام المعتقدات.

ويعرض كوتـــام وهيرمـــان Cottam (1977)، Herrmann (1988, 1985) مقولات موازية لما قدمه مورجنتو وليفيس Morgenthau وJervis لبيان ترجيح تباين النزوع نحو التوازن بين الأفراد وباختلاف الظروف. واستخدما دراسة نزوع زعيم بإلحاق صورة نمطية بدولة أخرى لاستنتاج المشاعر النشطة فى ذلك الوقت، بمعنى أخر، استخدما الـــصور النمطيـــة كمؤشـــرات إجرائيـــة للتهديدات المحسوسة والفرص المحسوسة وتمنيا أن يحل ذلك جزئيًا مـــشكلة التمييز بين الفاعلين التنقيحيين revisionist من أصـــحاب العقـــول العدائيـــة، والفاعلين من أنصار الوضع القائم من ذوى العقول الدفاعية. فتشير الصور النمطية عن العدو، على سبيل المثال، إلى التهديد المحسوس، بينمـــا تـــشير الصور النمطية الخاصة بالمستعمرة والمنحل إلى الفرص. وبـــالطبع إذا لـــم يكن الزعيم يوازن اختياراته بل يبررها بطريقة واعية تالية، فإن التخـــيلات سوف تظهر استراتيجية تعبئة الجماهير التى كان يوظفها. وفى تلك الحالـــة، قد تصبح مؤشرًا للإنذار المبكر عن السلوك القادم ولكنها لن تكون مؤشـــرًا صحيحًا عن المشاعر والدوافع وراءها. ويفترض ذلـــك بـــالطبع، ارتبـــاط الصور والصور النمطية بالسلوك الذى يمكن التنبوء به.

الصور والسلوك الاستراتيجى:

وجد فيليب كونفيرس Philip Converse (1975, 1964)، من بين علمـــاء آخرين، أن المعتقدات المعرفية لا تـــؤدى دائمـــا إلـــى اختيـــارات خاصـــة بالسياسات يمكن التنبؤ بها، وأنه من الجائز أن تكون هناك فجوة كبيرة بـــين

المواقف والاتجاهات المعلن عنها، والسلوك الملاحظ. ولتحـــرى إذا كانـــت الصورة متعلقة بالاختيارات الاستراتيجية الخاصة بالسياسات، فحص Keith Shimko (1991) العلاقة بين الصور وتفضيلات سياسات الحد مـــن التـــسلح داخل إدارة الرئيس ريجان. ووجد تباينات فردية كبيرة فى الإدارة، وأنه كلما اقتربت صورة الشخص عن الاتحاد السوفيتى من الـــصورة النمطيـــة عـــن العدو، كان هذا الشخص أكثر عدائية تجاه الحد مـــن التـــسلح. ولـــم يفـــسر Shimko لماذا يتمسك الأفراد بآرائهم ولكنه دفع بأن دراسة تخيلاتهم أضافت بعض الفهم للاختيارات التى قاموا بها.

ودرست مارتا كوتمان Martha Cottam (1994) العلاقة بـــين الـــصور واختيارات السياسات فى السياسة الأمريكية تجاه أمريكا اللاتينية ووجدت أن صورة العدو وصورة التابع كانت مرتبطة بالتفضيلات الـــسياسية المحـــددة، وارتبطت صورة التابع بالسياسات التدخليـــة، وصـــورة العـــدو بـــالاحتواء واستخدام القوة. وعند خلط الصورتين حيث رأى الزعماء الأمريكيون بلدان أمريكا اللاتينية فى صورة التابعين، ورأوا فى نفس الوقت الاتحاد السوفيتى فى صورة العدو، وجدت أن شعورًا ملحًا هو الذى أدى إلى التدخل الذى اتسم بالعنف والتصميم.

وبصرف النظر عن إيجاد علاقة بين الصور النمطيـــة والاختيـــارات الاستراتيجية، أثبتت مارتا كوتمان الدلالة السببية للـــصورة. ودفعـــت بـــأن الأوضاع المادية والبنائية بأمريكا اللاتينية لم تنجح فى تفسير التبـــاين فـــى التدخل الأمريكى. فقد تدخلت واشنطون على سبيل المثال فى جواتيمالا فـــى عام ١٩٥٤ وفى كوبا فى ١٩٦٠ ولكنها لم تتدخل فى بوليفيا فى عام ١٩٥٢ على الرغم من تشابه الظروف المادية فى الدول الثلاث. وقـــدمت كوتمـــان مقولة شبيهة حين قارنت السياسة الأمريكية تجاه شيلى بين ١٩٧٠ و١٩٧٣ حيث لم تتدخل الولايات المتحدة، وتجاه بيروبين ١٩٦٨ و١٩٧١ عندما لـــم

تتدخل، أى أنها جادلت بأن الأوضاع السياسية والجيوسياسية البنائية كانــت شبيهة بعضها ببعض، وكان من شأنها أن تتنبأ بالتدخل فى كلتــا الحــالتين، بينما تنبأت دراسة التخيلات السائدة بالتدخل فقط فى الحالات التى حدث فيها بالفعل. وقدمت Cottam تفسيرًا تخمينيًا عن أسباب تكوين الصور النمطية فى بعض الحالات فقط وليس فى كلها. ودارت مقولتها حول تأثير زعماء معينين وعملية الصراع السياسى الداخلى وأكدت، بصرف النظر عن سبب انتــشار آراء معينة فى واشنطون، انتشار تلك الصور المرتبطة بسلوك معين.

وقام هيرمان وفيــشركيللر Fischerkeller و(Herrmann(1995 بتطــوير نصوص استراتيجية رأيا أنها كانت مرتبطة بخمس صور نمطية. وجــادلا بأنه على الرغم من أن الصور النمطية قد لا ترتبط بقوة بأفعال الــشخص، فهى ترتبط بمجموعة من الأفعال. وباستخدام مفهوم (1976) Robert Abelson عن نص لوصف مجموعة من الأفعال المتداخلة، قاموا ببناء خمسة نصوص استراتيجية تتألف من أهداف متعددة ومسارات خاصة بالسياسات. ووصلا – نظريًا – صورة العدو بنص الاحتواء وصورة الحليف بنص عــن التعــاون المؤسسى وصورة المنحل بنص عن التنقيحية وصورة الإمبريالى بنص عن الحصن المستقل، وصورة المستعمرة بنص عن التدخل. واســتطلعا القــوة الإمبريقية لهذا الارتباط بشكل مبدئى عن طريق التعامل مع خلــيج الفــرس كعالم صغير للعلاقات الدولية وفحص العلاقــات المتعــددة بــين الولايــات المتحدة، والاتحاد السوفيتى وإيران والعراق.

الاختبارات التجريبية:

بالتأكيد، لا يمكن للأنماط الموجودة فى السياق الطبيعــى أن تؤســس ارتباطا واضحًا أو علاقات سببية، فهى تصلح كأدلة مبدئية عــن التــوازن والنظريات الأخرى عن العقلانية المدفوعة Motivated reasoning. وفى علــم

النفس الاجتماعى، أجريت دراسات قوية عن العقل المدفوع فى الدراسات التجريبية (Kunda, 1990). وفى سياق السياسة الخارجية، سعى Herrmann وزملاؤه (1997) إلى تقديم أدلة قائمة على أساس التجربة، للافتراضات الجوهرية الخاصة بالتوازن وراء الصور النمطية المتعددة. وقد قاموا بذلك عن طريق تطويع الشعور. وتنبأوا أن المستويات الأعلى من الشعور يجب أن ترتبط بالصور الأكثر نمطية وتفضيلات السياسات التى تبدو كنص مكتوب. وتأكد لهما ذلك فى حالة الشعور السلبى وتخيلات العدو. ووجد هيرمان وبريور والكسندر Alexander وBrewer وHerrmann (1999) فى مجموعة مختلفة من التجارب، العلاقات المتوقعة بين الإثارة الوجدانية والتنميط بالنسبة للحليف والعدو والتابع والهمجى، وبالتالى فى الاختيارات الخاصة بالسياسات. وكانت الإثارة الوجدانية ذات أهمية خاصة فى تحفيز الصورة النمطية عن الهمجيين من المجموعات الخارجية.

وعلى الرغم من أن الدلائل التجريبية متسقة مع فكرة أن الصور النمطية تؤدى غرضًا وظيفيًا مدفوعًا، فإن الدور الذى تلعبه المشاعر فى هذه العملية لا يزال غير واضح. (Jost and Banaji 1994; Fiske, 1998; Sane, Goethals, Ferrari and Worth, 1989). وأحد الاحتمالات هو أن عملية التقييم المنطوية على المشاعر عن التهديدات والفرص بالإضافة إلى القدرات النسبية والوضع الثقافى تثير مشاعر معينة تعزز من التنميط. وهذه الصور النمطية بدورها تؤدى إلى سلوك متسق مع النص. ومع اتخاذ الأفعال، قد يؤدى ذلك إلى تكثيف المشاعر وإلى الحاجة لإيجاد توازن بين تلك المشاعر والصور النمطية. ويحدد كزتام وكوتام Cottam and Cottam (2001، ص ١٠٥ – ١٢٢) عددًا من المشاعر التى قد ترتبط بالصور المثلى. فيجادلان على سبيل المثال، بأن الغضب والحسد والخوف هى مشاعر ترتبط بصور العدو وأن الاشمئزاز والازدراء والغضب ترتبط بصور المنحل. ويعتقد أن

الصور الإمبريالية ترتبط بالخوف والاحترام فيما يتعلق الصور الاستعمارية بالشفقة والازدراء والاشمئزاز.

إن فهم الديناميات العاطفية- والمحتمل أن تكون مدفوعة- للتخيلات أمر مهم لأسباب نفسية (Bodenhausen 1993; Vanman and Miller 1993) وهى مهمة أيضا لارتباط الصور بالاختيارات الاستراتيجبة. ويعنى ذلك أن العوالم التى تؤثر فى الصور تؤثر أيضا فى الاختيارات الخاصة بالسياسات وفى عملية التفاعل فى العلاقات. وعندما ينظر إلى الصور على أساس أنها تتأثر بأكثر من الواقع الموضوعى الخارجى، يصبح ضروريًا تطوير نماذج للتفاعل الاستراتيجى أكثر تعقيدًا من تلك التى تفترض التواصل التام والتعلم الرشيد الفعال. وقد تنتج الصور التى تؤدى دورًا مبسطًا من الناحية الإدراكية أنماطًا للتعلم يمكن التنبؤ بها، إلا أنها قد لا تكون نفس الأنماط المتوقعة فى النموذج الرياضى التحديثى التام. فالصور التى تغذيها المشاعر والتى تخدم الدوافع الوظيفية ووظائف التوازن قد تحتفظ بشكلها وقد تخضع للتغيير بشكل مستقل عن التغيير فى الوضع الموضوعى. بالإضافة إلى ذلك، قد يرى الناس على اختلاف صورهم نفس الموقف بشكل متباين للغاية، فيخلصون إلى استنتاجات مختلفة. وعلى الرغم من الإقرار الشائع بهذه المسألة، يتم التغاضى عنها فى نماذج التفاعل الاستراتيجى. ويظل الأثر الأكبر للنماذج القائمة على أساس الصور على نظرية العلاقات الدولية فى مجال تحليل التفاعل.

التفاعل الاستراتيجى:

تفترض النماذج البسيطة للعلاقات بين المجموعات أو بين الدول أن هناك فاعلين اثنين فقط فى النظام وأن كلاً منهما يخطط تحركاته فى ضوء توقعاته بالنسبة لتحركات الفاعل الآخر بالتركيز على كيف تؤثر الحركات

الراهنة فى الحركات المستقبلية للفاعـل الآخـر (Lake-and Powell, 1999). وبمعنى آخر، يعمل الفاعلون الاستراتيجيون وفى أذهانهم درجة ما من التوقع بالنسبة للمستقبل. وإحدى وسائل تمثيل هذا الوضع هى افتراض أن الفاعـل يشكل صورة للفاعل الآخر من خلال قراءة الإشارات التى يرسلها الفاعـل الآخر ويسعى إلى تحديث تلك الصورة بمرور الوقت مع وصول معلومـات جديدة. ولتبسيط عملية النمذجة، قد نفتـرض أن الفـاعلين يفهمـان معنـى الإشارات بنفس الطريقة ويحدثان صورهما بطريقة عقلانية ربما عن طريق استخلاص النتائج من المعلومات الجديدة بنفس الأسلوب الذى حدثنا عنه بايز Bayes.

ويقدم تفاعل النمذجة كعملية للتواصل الدقيق والعقلانى أدوات مفيـدة لتحليل الـمساومة الاقتـصادية. إلا أن العلمـاء مـن أصـحاب التوجـه الـظاهراتى ومنظرى الصور يجادلون بأنه من المهم تضمين دلالات الثورة الإدراكية، وأن تلك النماذج العقلانية المنمطة عن نظرية المباراة تفشل فـى ذلك. ونظرًا لأن تلك النماذج تستخدم فى استخلاص نتائج وصفية تؤثر فـى القرارات المالية والسياسات العامة، فإن المناقشات الدائرة عن كيفيـة فهـم التفاعل الاستراتيجى كثيرًا ما تكون ملحة بشكل خاص.

واتضح ذلك جليًا فى المناظرات عن استخدام النماذج العقلانية لنظرية المباراة، لتوجيه سياسة الردع الذرى الأمريكى حيث اعتبرت المخاطر عالية بشكل غير عادى. وقد وجد أن النماذج العقلانية يعتريهـا أوجـه القـصور بصورتين على الأقل. الصورة الأولى أنها فشلت فى الأخذ فـى الاعتبـار أهمية الافتراضات المبدئية عن وجهات النظر عن العالم worldviews والقيم. (George and Smoke, 1974, 1989, Jervis 1989b). ثانيا: إن النمـاذج قـدمت افتراضات غير واقعية عن عملية التحـديث والـتعلم. (leLebow and Stein, 1989) والمطلوب نظرة أكثر تمحيصًا لدراسة تلك الأمور الجوهرية.

القيم الأولية initial values

على نماذج التفاعل أن تؤسس نقطة بداية، فنظريات الردع العقلانيـــة، على سبيل المثال، فى حاجة إلى تقديرات ما يثمنه الفاعلون، كمدخل أساسى. كما أنها فى حاجة إلى تقديرات توقعات الفاعلين فيما يتعلق بنتـــائج أفعـــال معينة. وفى بعض الأحيان تستدعى هذه النمـــاذج تحديـــد متخـــذ المبـــادرة والمدافع عنها، وهذه المدخلات ليست بطبيعـــة الأمـــر مـــدخلات معروفـــة ببساطة. وكما أشار الكسندر جورج Alexander George وريتـــشارد ســـموك Richard Smoke (1974) بالإضافة إلى روبرت جيرفيس Robert Jervis (1985) أنها ملامح جوهرية لصور الفاعلين عن أنفسهم وعن الآخرين. وبـــافتراض أن تلك الصور تتأثر بالعمليات الإدراكية والخاصة بالدوافع التى نوقشت آنفًا، فمن الموجح أن تتباين بشدة بين فاعل وآخر. بمعنى آخر، يبدأ الفاعلون فى نموذج نظرية المباراة من صور مبدئية مختلفة من المرجح أن تكون متحيزة وموجهة لخدمة الذات. ويوضح فزيد جرينشتاين Fred Greenstein وريتشارد ايمرمان Richard Immerman (1992) فى سياق اللقاءات بين جون ف. كينيدى ودوايت د. أيزنهاور التى ناقشا خلالها السياسات تجاه الهند الصينية، كيـــف يمكن لمشاركين فى لقاء واحد أن يستمعا إلى نفس الشىء ثم يستعيدا لاحقًـــا أشياء مختلفة تمامًا وذلك حسب الاهتمامات والتوقعات التى يجلبانهـــا إلـــى اللقاء.

ومن الممكن خلق نماذج تصورية تفترض أن الفاعلين يبدأون بصور مبدئية مختلفة (Bennett, 1977; Bennett and Dando, 1979). وإلى الدرجة التى تسمح بها نظرية الصورة فى المساعدة على تحديد المعتقدات التـــى يمكـــن اعتبارها تلك المدخلات، فهى تكميلية ولا تتناقض مـــع النمـــاذج العقلانيـــة لنظريات المباراة. وكما يجادل هربيـــرت ســـيمون Herbert Simon (1985)،

فبمجرد أن يتم تقدير تلك المدخلات امبريقيًا، يعتبر القدر الأكبر من عملية الشرح قد تم بالفعل. وبنفس الطريقة قد يساهم منطق النموذج العقلاني لنظرية المباراة فى فهم تكرار عملية التفاعل بافتراض أن النموذج يحيط بعملية التغيير والتحديث. وتتباعد وجهات النظر العقلانية والقائمة على أساس الصورة فيما يتعلق بفهم عملية التعلم تلك.

عمليات التعلم:

ونظرًا لأن صورة دولة ما عن دولة أخرى تلعب دورًا فى عملية اتخاذ القرار، يصبح تطويع تلك الصورة هدفًا استراتيجيًا. ويعنى ذلك أن الفاعلين قد لا يدخلون فى عملية تفاعل مع المعتقدات المبدئية المختلفة فحسب، بل قد يستخلصون دلالات متباينة للغاية فما يحدث خلال هذا التفاعل. فقد يمكن تفسير معنى فعل أو إشارة ما بشكل مختلف من جهة الفاعلين المختلفين حتى بافتراض أن كافة الفاعلين يسعون إلى إرسال رسائل واضحة ومباشرة (Lebow, 1985; Stein, 1985a, 1985b). وفى كل الحالات، فإن المعنى الملحق بفعل معين يستمد جزئيًا من السياق أو الخلفية التى يتم فيها. فإذا قام الفاعلون بتعريف السياق بأشكال مختلفة، سوف يكتسب الفعل معانى مختلفة. وفى السياسة، يرى الفاعلون، بطبيعة الأمر، السياق بصور متباينة. فالإسرائيليون على سبيل المثال، لا يرون فى الاستعمار والاحتلال مبررًا كافيًا للفرض والعداء، بعكس ما يراه الفلسطينيون فإذا ما أخذنا الاختلاف فى الخلفيات فى الاعتبار، اكتسب نفس الفعل معانى متباينة وأدى إلى استنتاجات مختلفة فيما يتعلق بكيفية تحديث المعتقدات السابقة (Heradstveit, 1981)

إن الأثر المحتمل للافتراضات السياقية يجعل التنبؤ بالمعنى الذى يوليه الفعل لإشارة معينة، والاستنتاجات التى يخرج بها، أمرًا فى غاية الصعوبة.

إن معرفة أن الفاعلين قد يحاولون خداع بعضهم البعض، وقد يسعون إلـــى التلاعب بصور الفاعلين الآخرين عنهم، يجعل من مهمة التنبؤ أمـــرًا شـــبه مستحيل. فقد يعقل الفاعلون أن الغرض من رسالة ما واضح ومصمم بشكل يسهل الإقناع، ولكنهم فى الوقت نفسه يفهمون الرسالة على أنها جـــزء مـــن استراتيجية الخداع (Jervis, 1970)، فبدلاً من تصديق الرسالة، قـــد يـــستنتج المدرك أنه بسبب أن الفاعل الآخر يرغب فى أن نصدق "س"، لابد أن يكون الوضع "ص". ويمكن بالطبع أن يمتد هذا النوع من المنطق إلى مجال تكرار ذهنى آخر من المنطق. بمعنى آخر، قد يرى الفاعل المدرك أن الفاعل الآخر يشير إلى "س" معتقدًا أننا سنفترض أنه يعنى أن الوضع لابد وأن يكون "ص" وعلى ذلك لابد وأن يكون الوضع "س" أو ربما يكون شيئًا مختلفًا تمامًا كـــ "أ".

ونظرًا لأن منطق الخداع متكامل، يصبح نمذجة التفاعل الكامن فـــى غاية التعقيد. وينطبق ذلك ليس بسبب صعوبة تخيل سلسلة المنطق الكـــامن، بل بسبب سهولة تخيل احتمالات استنتاجية كامنة عديدة.

وتفترض النظريات القائمة على أساس الصور، أن الـــصور الـــسابقة سوف تؤثر على تفسير الإشارات والأحداث وتوجه عملية التحـــديث بـــشكل تدفعه النظريات. ونتيجة لذلك، لن تتماثل عملية التعلم مع المعادلة العقلانيـــة وفقا لـــ Bayes. فليس من المتوقع أن يقارن الفـــاعلون النتـــائج بالتوقعـــات السابقة ويتعرفون بدقة على الإصابات والأخطاء، ثم يقومون بالتحديث وفقًا لأوزان تشخيصية سابقة مرتبطة بالتنبؤات المحددة. فعلى العكس من ذلـــك، من المتوقع أن ينخرط الفاعلون فى عملية بحـــث انتقائيـــة ومتميـــزة عـــن المعلومات ويتعرفون على المعلومات التى تؤكد ما فى أذهانهم، حتى لا يروا أو لا يدخلوا فى الحسبان المعلومات التى تتنـــاقض مـــع الـــصور القائمـــة

فيصبحوا سجناء بشكل أساسى لتصوراتهم السابقة. (Tetlock, 1999 , Jervis, 1976 , pp 217-282). وإذا ما أثرت الصور السابقة فى المعنى المرتبط بالأفعال والأحداث الملاحظة، وإذا ما اختلفت تلك الصور بين الفاعلين، قد تتبع عملية التفاعل نمطًا مختلفًا تمامًا عن النمط المتوقع وفقا لنظرية المباراة العقلانية. فالإشارات التى يرسلها فاعل ما قد لا تصل أبدًا إلى الفاعل الآخر أو قد لا تصله بالمعنى المقصود، بينما قد تقرأ بعض الأحداث التى لم تكن إشارات على أنها كذلك، وقد تنسب إلى فاعلين ليس لهم أى دخل بها.

تسفر كافة الصور النمطية التى تمت مناقشتها سابقًا عن توقعات عن سلوك الفاعل، فعلى سبيل المثال، تجذب صورة العدو الانتباه إلى الشخصية السلطوية والشريرة للعدو وتتوقع سلوكًا عدائيًا. كذلك تتوقع الخداع وقد تثير نظرية التآمر لتفسير التحركات التى تبدو غير متوقعة من ناحية الطرف الآخر. وتتنبأ صورة المستعمرة أن الزعماء المسئولين المعتدلينe فى المستعمرة سوف يواجهون تحديات مدمرة يدعمها بشكل خفى عملاء عدو دولة كبرى أخرى. كما قد تثير أيضا منطق التآمر إذا دعت الحاجة إلى ذلك مثلها فى ذلك مثل الصور الامبريالية، التى تتنبأ بجهود لممارسة التحكم من خلال العملاء الخفيين. إن الصور المختلفة، يحذبها الانتباه لأشياء متباينة تثير عمليات استنتاجية مختلفة تدفعها النظريات. وعلى ذلك، يمكن الوصول إلى استنتاجات مختلفة من نفس الحدث. وبدلا من نمذجة التفاعل بين فاعلين بنظام واحدة بواحدة لعملاء يتجاوبون بشكل عقلانى لإشارات لها معان واضحة بيِّنة الذاتية ومتفق عليها، تدرك وجهات النظر القائمة على أساس الصور عملية التفاعل على أساس كونها تتألف من فاعلين يتجاوبون جزئيًا فقط مع أفعال الآخرين وربما كثيرًا ما يتبعون مفاهيم ورؤى سابقة الإدراك عن البيئة بشكل يتسم ببعض الذاتوية autistic.

الصورة والسمعة:

ترى نظرية الردع العقلانى أن الإشارات وبناء السمعة عن العزم والتصميم تعد من الأمور المهمة. وتم تكريس جهود عظيمة فى سياق المساعى النظرية الرسمية والامبريقية لمهمة تحديد أية أفعال ترسل إشارات ردع واضحة وتدعم المصداقية (George and Smoke 1974) ولسوء الحظ فإن الاستنتاجات المنطقية أسهل فى إدراكها عن الاختبارات الإمبريقية، فعلى سبيل المثال، كان الجدل المنطقى فى الحرب الباردة عن كيفية عمل الردع النووى، أسهل فى بنائه عن الاختبارات الدالة على عمله من عدمه (Jervis 1984, Lebow & Stein, 1990, 94). ففى بداية الثمانينيات، أثارت إدارة الرئيس ريجان المقولة القائلة بأن الزعماء السوفيت قد يساورهم الشك بشأن الردع الأمريكى. وارتأت الإدارة الأمريكية أن الزعماء السوفيت سوف يرون بارقة أمل حيث إن الولايات المتحدة قد نشرت أكثر قوات الردع الخاصة بها فى نظم بحرية وبرية لا يمكن أن تنتقم سريعًا ضد الصواريخ السوفيتية البرية. ووفقًا لمنطق إدارة ريجان، فإن الزعماء السوفيت اعتقدوا أنه بعد الضربة السوفيتية الأولى الموجهة ضد الصورايخ الأمريكية البرية القاذفة بين القارات، سوف يواجه الرئيس الأمريكى وضع الاختيار بين (١) الانتقام باستخدام بقايا نظم برية لم تكن تكفى من حيث الدقة أو الأعداد إلا لتحطيم المدن السوفيتية والدعوة لتحطيم المدن الأمريكية. (٢) الانتقام باستخدام القوات البحرية التى لم تكن دقيقة بصورة تسمح لها بضرب الـ مبانى البرية العالية أو قوات جوية بطيئة للغاية وغير قادرة إلا أن تضرب المبانى الخالية بينما قام الاتحاد السوفيتى بتوجيه التحذير و(٣) عدم اتخاذ أى إجراء انتقامى. ووفقًا لسلسة المنطق هذه، قد يثير الزعماء السوفيت بعض الأسئلة عن مصداقية الردع الأمريكى، والنظر على المدى البعيد فى إمكانية نزع

سلاح جزء من القوات الأمريكية ومواجهة الرئيس الأمريكى بتقديم اختيار معين.

وهدفى من فحص الجدل الذى دار حول نشر الصواريخ MX فى الولايات المتحدة ليس الدخول فى مجال مناقشة هذا الموضوع الجوهرى، بل جذب الانتباه إلى تعقيد الاستنتاجات المنطقية الممكنة فيما يتعلق بالأفعال والتطورات التى قد ترسل إشارات ذات مصداقية أولا ترسلها. إن تعقيد المنطق الممكن يعنى إمكانية الاعتقاد بأن مجموعة من العوامل والأحداث والأفعال المحتملة قد تؤثر فى صورة فاعل آخر.

لذلك فإن الفاعلين فى العالم الحقيقى، بالإضافة إلى الملاحظين الدارسين قد يصدقون كافة أنواع سيناريوهات الردع، ويتصرفون وفقا لذلك، ويصبح حينئذ من الصعب للغاية تحديد أى من هذه السيناريوهات هو الأكثر عقلانية. ولكن قد يكون من الممكن التنبؤ بنوع المنطق السليم الذى يقبله الناس إذا كنا على علم بصورهم المسبقة عن الفاعل الذى يرغبون فى التأثير عليه. فالصقور، على سبيل المثال الذين نظروا إلى القيادة الشيوعية بموسكو كعدو نمطى وجدوا منطق إدارة الرئيس ريجان قويًا، بينما الحمائم الذين لفظوا هذه الصورة للاتحاد السوفيتى وجدوا هذا المنطق غير مقنع. وفى مركز هذا المنطقة نفسه بالطبع كان هناك افتراض قائم على أساس الصورة، فيما يتعلق بالخسائر المدنية التى قد يخاطر بها العدو الشيوعى، إذ قدرها الذين اعتقدوا فى فكرة صورة العدو بالملايين، بحيث تصل إلى ٥٠% من السكان السوفيت، فى الوقت الذى تنبأ الآخرون من أصحاب الصور المختلفة عن موسكو أرقامًا أقل بكثير.

وقد تؤدى الصور عن العدو إلى الانشغال بمسألة الحفاظ على رادع فعال. وفى نفس الوقت لابد من الأخذ فى الاعتبار صورة الفاعل الآخر عن الفاعل المهموم بمسألة إسقاط الحاجات الخاصة بالردع. فالزعماء كثيرًا ما

يفترضون أنه ينظر إليهم على أساس كونهم حمداء، ويقللون من قيمة كيفية انشغال الآخرين بهم. (Jervis, 1976, pp. 354-55)، مما يؤدى إلى تزايد قلقهم من أن ينظر إليهم على أنهم رخويون Soft ومشكوك فى قوة تصميمهم، فى الوقت الذى ينظر إليهم فى واقع الأمر على أنهم أشداء وقادرون على التهديد. وفحص جون مرسر John Mercer (1996) فى سياق متابعته للنمط الأساسى الذى وصفه Jervis هذا الاحتمال بعمق. وفى نفس الوقت، استطلع مرسر أثر الصور سابقة الوجود على تفسير الأفعال وتطور السمعة إذ رأى أن الفاعلين الذين وجدوا فى فاعل آخر صورة العدو، قد رأوا أن أفعاله تشير إلى التصميم والنوايا العدائية، وحتى الملاحظين الذين وجدوا أن أفعال العدو ليست عدائية، فقد نسبوها للقيود التى تفرضها الحالة. وهو ما ترك الأحكام الأولية عن عدائية وعزم العدو بدون أى تغير. وقد خلص مرسر (1996, p. 213) إلى أن الأعداء، عادة ما يكتسبون سمعة تشير إلى قدرتهم على العزم، ونادرًا ما يكتسبون سمعة افتقارهم لها.

ووجد مرسر نمطًا آخرًا مختلفا تمامًا بين الحلفاء، فحين يتعرف فاعل على فاعل آخر باعتباره حليفًا، لا يقوم بتفسير أفعال هذا الحليف على أنها مثال للتصميم والالتزام. بل على العكس من ذلك، فإن أفعال الحليف التى يبدو وكأنها أفعال عازمة، قد تم عزوها للعوامل السياقية. وخلص مرسر (1996, p 214) إلى أنه على الرغم من أن الحلفاء قد يكتسبون سمعة افتقارهم إلى التصميم والعزيمة، فإنهم نادرًا ما يكتسبون سمعة العزيمة أو الإخلاص. وأوضح مرسر من خلال دراسة دلالات خطأ النسب الجوهرى فى سياق أصناف مختلفة من العلاقات المدركة، أوضح طريقة للتعامل مع التفاعل الذى يتسم بالحساسية تجاه أثر الصور سابقة الوجود والاستنتاجات المرجح استخلاصها من نفس التجربة.

الصور والأطراف الثالثة:

وفقا لنموذج بسيط للتفاعل، قد يكون عدد الفاعلين فى النظام قاصرًا على اثنين وعدد الأشياء المختلفة التى يمكن لأى فاعل أن يقوم بها أيضا صغيرًا، إلا أنه فى الأوضاع الأكثر تعقيدًا، يوجد هناك لاعبون آخرون ودرجة كبيرة من عدم التيقن من العلاقة بين أفعال هذه الأطراف الثلاثة والفاعلين الأساسيين. فقد يرى أحد الفاعلين على سبيل المثال، فى فعل قام به لاعب ثالث حركة قام بإدارتها المنافس الأساسى، بينما هذا المنافس فى حقيقة الأمر، لادخل له بقرار الطرف الثالث. لقد كان هذا النوع من التعقيد جزءا أساسيًا من الحرب الباردة. ففى الخمسينيات كانت الأفعال التى اتخذتها الصين كثيرًا ما تفسر فى واشنطون على أنها تحركات موسكو. وفى الثمانينيات، كانت موسكو تنسب التحركات الصينية لواشنطون. بالطبع اعتقد العديد من الزعماء الأمريكيين أن موسكو كانت تمارس نفوذا على عدة عملاء من العالم الثالث (مثل كوبا)، بينما عزى الزعماء السوفيت معارضة المجاهدين فى أفغانستان إلى إدارة المخابرات الباكستانية، التى افترضوا أنها تتلقى أوامرها من المخابرات الأمريكية CIA (Herrmann, 1988).

إن الصور سابقة الوجود تؤثر فى العلاقة المفترضة بين الفاعلين الأساسيين والأطراف الثلاثة. فصور العدو وصور التابع أو المستعمرة، على سبيل المثال، تتضافر لخلق صلة وثيقة بين العدو والتطورات السلبية بالمستعمرة (Cottam 1944) فالمفترض أن يقوم العدو بالسعى وراء فرص توسيع نفوذه بالمستعمرة، كما أن الاضطرابات التى تحدث بالمستعمرة والتى تهدد تبعية المستعمرة على المدرك، تعزى إلى العملاء الخفيين للعدو (Cottam, 1977, pp67-70). فالزعماء الأمريكيون، على سبيل المثال، الذين رأوا موسكو فى شكل العدو وشاه إيران فى صورة المستعمرة، ساورهم

الشك فى أن آية الله الخمينى كان إما أداة للمخابرات الروسية وإما خادمًا لمصالحها (Huyser 1986, pp 176, 227, 233; Sick 1985 p. 106). وحينما تتفق صور العدو والمستعمرة بهذه الصورة، يصبح التفاعل بين الفاعلين الأساسيين أمرًا معقدًا للغاية. فسوف تنسب واشنطون التطورات التى تحدث فى مكان ثالث (فى هذه الحالة إيران) إلى موسكو. أما فى موسكو، فسوف يدرك القادة أنهم لم يتسببوا فى هذا التطور، وسوف يصلون إلى استنتاجات سلبية عن نوايا الولايات المتحدة من اتهامات واشنطون. أما واشنطون، فهى سوف تؤكد بدورها شكوكها، ويغذيها فى ذلك الصورة سابقة الوجود عن العدو حينما تعلن موسكو عن براءتها. إذن، فالتطورات التى لا تتعلق بالقرارات التى لا يتخذها أى من الفاعلين الأساسيين، قد تستفز تفاعلاً سلبيًا فى العلاقة الثنائية الأساسية.

فالصور سابقة الوجود من المرجح أن تلحق معنى للأحداث التى تنكشف. ويعنى ذلك أن الأحداث التى تعتبر حميدة من وجهة نظر جيو استراتيجية معينة، قد ينظر إليها على أنها خطرة من وجهة نظر أخرى. أى أن الأحداث التى لا تتمتع بأية أهمية تكتسب أهمية رمزية عظيمة فى منطق التفاعل الاستراتيجى. (Jervis, 1989a, pp. 174-225).

فعلى سبيل المثال، فى منتصف السبعينيات، إذا كان الوضع فى أنجولا يفهم بمعنى العلاقات بين القبائل المحلية والاستقلال فى مرحلة ما بعد الاحتلال، فإن الحرب الأهلية التى اندلعت بعد منح الاستقلال قد ينظر إليها كمعضلة محلية ذات نتائج جيواستراتيجية محدودة. أما إذا كان ينظر إلى الوضع باعتباره صورة نمطية للعدو والمستعمرة، فسوف يفهم على أساس أنه منافسة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وأن كلاً منهما يتصرف من خلال عساكره pawns. وبدون معرفة كيفية فهم الساحة فى واشنطون وموسكو، من الصعوبة بمكان تخيل الصورة التى يكون عليها التفاعل الثنائى

الأمريكى السوفيتى، فإذا نظر الجانبان إليها من وجهة نظر إقليمية، كما كان الحال فى التسعينيات، فان أيا من الجانبين لن يولى أهمية كبيرة للعلاقة الثنائية حتى وإن كان القتال بشعًا. فإذا نظر الجانبان إليها من وجهة نظر العدو – المستعمرة، حتى وإن كان القتال المحلى أقل حدة، فهما سيتدخلان لمحاربة المحاولات المفترضة للتوسع التى تتبناها القوى العظمى الأخرى. وإذا نظرت إحدى القوى العظمى إلى الساحة من وجهة نظر العدو والمستعمرة، فقد يصبح التفاعل الثنائى معقدًا وصعب التنبؤ به، كما أشارت المناقشة فى الجزء السابق.

وحين يكون للصور أصول ودوافع عاطفية، يمكن لبناء صورة الأمور الإقليمية والهامشية أن تتأثر بتلك العواطف والدوافع. بمعنى آخر، فإن نفس الدوافع الكامنة وراء التبسيط النمطى تدفع أيضا البحث عن معلومات فى البيئة، التى من شأنها أن تؤكد المعتقدات النمطية. وفى تلك الحالة، فإن أبنية الساحة المحلية وعلاقتها بالفاعلين الأساسيين قد لا تكون قابلة للدحض من خلال الوسائل الإمبريقية. إن المدرك لا يهمه فى حقيقة الأمر أن يتحرى أو أن يفكر بشدة فى العلاقة بين الطرف الثالث والفاعل الرئيسى. فالمدرك يرغب فى ايجاد دلائل تتسق مع الصورة سابقة الوجود عن الفاعل الرئيسى وهو على هذا الأساس يسعى إلى بناء صورة عن الساحة الإقليمية لتتواءم مع ذلك. وحين تؤثر تلك الأصناف من العوامل فى الخيال، من الأرجح أن يأخذ التفاعل شكلاً غير متناسق وهو ما أشير إليه فى نهاية الفقرة السابقة.

الصور ومعتقدات الدومينو Domino:

إن صور العدو والمستعمر لا تبنى فقط صورًا تصل بشكل وثيق بين الفاعلين الرئيسيين والأطراف الثالثة فحسب، ولكنها تبنى أيضا توقعات بأن الانسحاب فى مجال ما يصبح إشارة على الضعف، ويقوض من صور الحسم

والقوة العامة لدى الفاعل. وبالمعنى الثنائى، فإن التوقع بأن العدو، فى مواجهة الانسحاب من جانبنا، سوف يمارس ضغوطًا من أجل المزيد من المزايا، يفضى إلى المخاوف الخاصة بالسمعة التى ناقشها مرسر. وفى الأوضاع الأكثر تعقيدًا حيث يتعدد اللاعبون ويصبح هناك ثلاث طرق، قد تفرز تلك الهواجس صور لانهيار الدومينو. (Jervis and Snyder 1991). فالثورة أو التغيير فى فاعل هامشى واحد ينظر إليها على أنها تؤدى إلى التغيير فى فاعل آخر وربما فاعلين آخرين بعد ذلك. ويغذى تلك العملية الاعتقاد بأن صورة العدو عن عزمك فى الحالة التالية، هى نتيجة لتصميمك ونجاحك فى الحالة الأخيرة. وبمعنى محدد، فقد كان ينظر على سبيل المثال، إلى أن غياب النجاح فى فيتنام سوف يدعو الزعماء السوفيت إلى الاعتقاد بأن واشنطون سوف تسحب التزاماتها للحلفاء فى الشرق الأوسط وأن الثورات ضد الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط سوف تقوض من صور الاتحاد السوفيتى عن الولايات المتحدة فيما يتعلق بتصميمها على الدفاع عن غرب أوربا.

واستعارة "الدومينو" التى تشيع حين تنشط صور العدو والمستعمر، قد أفرزت خطأ جديدًا ومثيرًا للبحث. فقد حدد روبرت جرفيس المنطق الأساسى للاستنتاجات النفسية المستمدة، ودعى إلى البحث الامبريقى عن السؤال الخاص بإلى أى مدى تتأثر صورة الفاعل الأكثر عمومية عن خصم بنتائج الصراعات الهامشية (Jervis 1991). وفحص تيد هوبف Ted Hopf (1994) نفس السؤال فى سياق العلاقات الأمريكية السوفيتية، إذ درس الدروس التى استنتجها الزعماء السوفيت من سلوك الولايات المتحدة، والنتائج التى تمخضت عنها فى الصراعات الاقليمية. وبدأ بملاحظة أن الكثير فى الولايات المتحدة يعتقدون أن النكسات الأمريكية فى العالم الثالث قد دعت الزعماء السوفيت إلى تعديل صورتهم عن الولايات المتحدة عن طريق خفض

تقديراتهم عن عزيمة الولايات المتحدة. وانخرط هوبف فى دراسة مفصلة عن المصادرة السوفيتية المتعددة ووجد أن هذا التعديل فى الصورة عن الولايات المتحدة لم يحدث، وأن الزعماء السوفيت لم يتوصلوا إلى استنتاجات عامة خاصة بعزيمة الولايات المتحدة بشكل جوهرى بل على العكس، فإن الصورة سابقة الوجود عن الولايات المتحدة كعدو إمبريالى وعدائى، قد دعت إلى تفسيرات متسقة مع النظريات عن الأحداث ودعمت الثقة فى الصورة الأصلية.

تغير الصورة:

أقر منذ زمن بعيد أن صورة المرآة الخاصة بالعدو قد تؤدى إلى تصاعد العداء (Broffenbrenner 1961). فمع محاولات الطرفين لردع بعضهما البعض وإقناع كل من الطرف الآخر بتصميمه وعزيمته، يرفعان المناقشة إلى أعلى. إن التفاعل الدينامى بين طرفين حين يرى أحدهما الآخر بشكل امبريالى نمطى، ويراه الآخر فى شكل المستعمرة النمطى، لا يؤدى بالضرورة إلى تصعيد عسكرى، ولكنه يبقى محبوسًا فى دائرة من الإحباط والبغض، ويظل السؤال هو كيف يمكن التخلص من هذه الدوائر التفاعلية التى تغذيها جزئيًا الصور النمطية؟. وهو السؤال الذى يحتل مركز البحث والدراسة فى المجال الخاص بحل النزاع conflict resolution. وعلى سبيل المثال، قامت ديبورا لارسون (1997) Deborah Larson بتحليل كيف أدى غياب الثقة لدى الزعماء السوفيت والأمريكيين إلى ضياع – ما وصفته لارسون – بفرص تخفيف تصعيد الحرب الباردة، فقد وجدت أن استراتيجية ضربة بضربة لم تكن كافية لتخليص الزعماء من صورهم النمطية عن الخصم. فمن الواضح أن الصور – بمجرد تشكيلها – يصعب تغييرها، كما أنها لا تتغير بالشكل العقلانى الذى توقعته النماذج الـ Bayesian. وفى نفس

الوقت، يمكن أن تتأثر الصور، كما يمكن كسر دوائر المواجهة وقد تم بالفعل استطلاع العديد من الاستراتيجيات لتحقيق ذلك.

وأكثر الاستراتيجيات المعروفة لـتلطيف العلاقات التفاعلية لـصورة المرآة الخاصة بالعدو الآخذة فى التصاعد هى النهوض بالخفض التـدريجى المتبادل للتوتر gradual reciorocal reduction in tension (GRIT)، كما أطلـق عليه تشارلز أوسجود Charles Osgood (1962). وتختبـر اسـتراتيجية GRIT احتمال أن تكون التحركات العدائية للآخر مدفوعة بخوفه منا. ونظـرًا لأن الجانب الذى يأخذ المبادرة يظل غير متأكد من نوايا الطرف الآخـر، فهـو يحمى أمنه الأساسى، ولكنه يتبنى تحركات مبدئية لخفض التصعيد فى منطقة هامشية. أما الطرف الأول، فنتيجة توقعه بأن الطرف الآخر سوف يـساوره الشك، قد يقوم ببعض التحركات من هذا النوع آملاً أن يشجع الطرف الأول على اتخاذ خطوات متبادلة.

وبتحليل الدبلوماسية المحيطة بمعاهدة الدولة النمساوية، تدفع ديبـورا لارسون (١٩٨٧) بأنه عندما يتنامى سوء الظن، ولا يكون أى من الطرفين مستعدًا لاتخاذ مبادرات إيجابية متعددة، قد يكون مصير GRIT الفشل.

يمكن اتباع GRIT بشكل أكثر تسامحًا أو بـصورة ضـربة بـضربة صارمة، فقد استطلع روبرت أكسلرود Robert Axelrod (1984) فى محاكـاة للكمبيوتر، الأثر المحتمل لاستراتيجيات عديدة بالنظر إلى بعض الافتراضات عن جمود المعتقدات سابقة الوجود. ويشرح وزير الخارجية الأمريكى جيمس بيكر James Baker (1995, p7174) أن مثل هذا المنطق قد أدى بإدارة الرئيس بوش إلى اختبار "التفكير الجديـد" لجورباتـشيف عـن طريـق اسـتطلاع الاحتمالات فى الصراعات الهامشية الإقليمية بـدلا مـن سـاحة الأسـلحة الاستراتيجية النووية. إن ساحة الحد من التسلح قد تضمنت قـضايا وثيقـة الصلة بالمخاوف الخاصة بالأمن القومى، بينما الصراعات فى أماكن مثـل

أنجولا وناميبيا لم تواجه هذا الوضع. بالإضافة إلى ذلك، فإن المصالح المحلية التى كانت الدافع وراء المواقف المتخذة تجاه الحد من التسلح، كانت أقوى بكثير من تلك المواقف المتصلة بأكثر الصراعات الإقليمية.

وتوضح حالة الحرب الباردة نقطتين مهمتين فيما يتعلق بتغيير الصورة. الأولى هى أن الأفعال المتكررة، فى هذه الحالة من جهة الاتحاد السوفيتى، التى لا تتسق والتوقعات التى تفرزها الصور سابقة الوجود، قد تؤدى إلى إعادة التفكير فى الصورة القائمة. فالأفعال المبدئية من الأرجح أن تفسر على أنها متسقة مع الصورة سابقة الوجود. فعلى سبيل المثال، تم تفسير تحركات جورباتشف الأولى من قبل الزعماء الأمريكيين على أنها حيل وأفعال تدل على الجسارة فى مجال العلاقات العامة. إلا أن هذا النوع من التفسيرات يصعب الاستمرار فيه فى مواجهة التحركات المتكررة والتحركات التى تنطوى على تغيرات مادية معنوية لا تتسق مع التفسيرات عن صور العدو، كاتفاقات الحد من التسلح التى خفضت من قدرة موسكو على توجيه الضربات. وحتى تعمل هذه الاستراتيجية، لابد بالطبع أن يعمل الطرف الآخر فى صورة العدو وليس بصورة مختلفة، مثل الصورة التى ترى أن الطرف الأولى منحل. بالإضافة إلى ذلك، لابد وألا يكون الدافع وراء الطرف الآخر مصالح ثانوية لإنتاج صورة عن العدو لتبرير سياسات أخرى.

إن العلاقة بين المصالح التحتية والخيال هى النقطة الثانية التى تشير اليها حالة الحرب الباردة. إن الصور القائمة التى تؤدى إلى برامج استراتيجية عريضة من شأنها أن تخلق قواعد ممأسسة ذات مصالح عظيمة فى استمرار السياسات المتسقة مع الصورة. تلك المصالح، كما يتضح فى حالة الحد من التسلح، قد تتضمن مخاطر كبيرة تتجاوز المخاوف الخاصة بالأمن القومى، كما قد تتضمن مصالح مهنية أو مالية أو بيروقراطية،

بالإضافة إلى السلطة الشخصية والشعبية السياسية. ولتغيير الصور، لابد إذن على مستوى الفاعلين السياسين المتفاعلين جماعيًا – بالتمييز بينهم وبين الأفراد المتفاعلين– أن يتم تحديد المصالح السياسية والائتلافات المحلية المحتملة. فقد يكون من شأن خلق بيئة تشجع على الانفتاح وتدر أفعالاً تتحدى التوقعات، كافيًا للتأثير فى الركائز الإدراكية لصورة ما، ولكنها ليست بالضرورة كافية لتخفيف الركائز العاطفية والمدفوعة. ولإدرار التغيير فى هذه الأبعاد، قد يكون من الضرورى التفكير فى إعادة النظر فى توزيع المصالح بين الزعماء فى المجتمع (Solingen 1998). هذا هو بالضبط نوع المنطق الذى تقوم على أساسه استراتيجيات الانخراط التى تهدف إلى خلق مصالح شخصية جديدة بين القادة فى سياق علاقات تعاونية مع المجموعات الخارجية الأجنبية.

وسوف يتناول الفصل التالى استراتيجيات حل الصراعات بشكل أكثر تفصيلاً، فتلك الاستراتيجيات مثلها فى ذلك مثل استراتيجيات الردع، تهدف إلى التأثير فى الصور التى تحدد للفاعلين صفة العلاقة. ولدراسة أبنية الموقف تلك بشكل مقتصد، توصل الدارسون إلى إدراك الصور كبناء يمزج بين ثلاثة أبعاد. فالتقييمات المثلى لعلاقة ما قد تم التمييز بينها مفهوميًا وفقًا للأحكام الخاصة بتداخل الأهداف، والقدرات النسبية والوضع الثقافى النسبى. تلك الجشتالت قد تقضى بأن يرى الناس الفاعلين الآخرين فى شكل يتسق مع المخطط النمطى. وقد يحدث ذلك لأسباب إدراكية حين يسعى الناس إلى فهم بيئتهم وتصنيفها بشكل مقتصد، وأيضا لأسباب مدفوعة، حين يوازن الناس بين مشاعرهم العاطفية وأبنيتهم الإدراكية. ولأن الصور من المتوقع أن تؤثر فى الخيارات الخاصة بالسياسات، علاوة على تلقى وتفسير المعلومات الجديدة، فهى تؤثر أيضا فى التفاعل بين الفاعلين.

وتسلط الأسئلة الخاصة بحل الصراعات والردع – أى التفاعل بشكل عام، على بعض الأمور الأكثر أهمية التى يحتاج منظرو الصور إلى فحصها بشكل أكثر تفصيلا. فمن المهم أولا، النظر فى عما إذا كانت تلك الجشتالت والصور المثلى تعمل على مستوى شامل عبر المجتمعات الثقافية المختلفة. ثانيا، يحتاج منظرو الصور، من أجل توجيه التغيير، إلى المزيد من الفهم عن الأصول العاطفية والمدفوعة للخيال. وهناك حاجة للمزيد من العمل التجريبى لفحص المنفعة الوظيفية للصور والنمطية وخاصة العلاقة بين المشاعر المختلفة والأبنية الإدراكية. وبنفس المنطق ثمة حاجة إلى المزيد من البحث لتحديد العلاقة بين المشاعر والسلوك. وأخيرا، فإن التركيز على التفاعل يجذب الانتباه إلى أنماط التفاعل المحتملة التى قد توجد فى سياق العلاقات التى لا تتصف بصورة "العدو إلى العدو". إن تلك النماذج الحلزونية لصور العدو فى المرآة قد جذبت قدرًا أكبر من الاهتمام مقارنة بالعلاقات الأقل اتساقًا، على سبيل المثال، العلاقات القائمة بين الصور الإمبريالية وصور المستعمرة. (Herrmann and Fisherkeller, 1995). وكما أن فائدة نظرية الصورة قد تم فحصها فى العلاقات العرقية والإثنية، لابد من فحص تلك الاحتمالات التفاعلية الأخرى وكذلك العلاقة بين الهوية الاجتماعية والخيال. وسوف يتم تناول تلك الأمور فى فصل لاحق.

1998). This is precisely the sort of logic that underpins strategies of engagement that aim to create new personal interests among leaders in cooperative relations with foreign outgroups.

Conflict resolution strategies are taken up in more detail in the next chapter. Like deterrence strategies, they aim to affect the images that define for the actors the character of the relationship. To study these constructions of the situation in a parsimonious way, scholars have conceived of images as a three-dimensional combinatorial construct. Ideal-typical appraisals of a relationship have been conceptually distinguished according to the judgments regarding the interdependence of goals, relative capabilities, and relative cultural status. These gestalts can lead people to see other actors in terms consistent with stereotypic schemata. This can happen for both cognitive reasons, as people attempt to make sense and categorize their environment in a parsimonious way, and for motivated reasons, as people balance their emotional sentiments and cognitive constructions. Because images are expected to affect policy choices as well as the reception and interpretation of new information, they also affect the interaction between actors.

Questions related to conflict resolution and deterrence—that is, to interaction in general—highlight some of the most important questions that image theorists need to explore further. First, it is necessary to see if these ideal-typical gestalts and images operate at a generic level across different cultural communities. Second, image theorists, to engineer change, need to understand more about the emotional and motivated origins of imagery. More experimental work is needed to examine the functional utility of stereotypes and especially the relationship between different emotions and cognitive constructs. In the same vein, more research is needed to identify the relationship between emotions and behavior. Finally, the focus on interaction draws attention to the possible interactive patterns that may exist in relationships that are not characterized by enemy-to-enemy images. These spiral models of mirror enemy images have received far more attention than the more asymmetric relationships, for example, such as those between imperial and colonial images (Herrmann and Fischerkeller, 1995). As the usefulness of image theory is explored in ethnic and racial relations, these other possible interactive possibilities need to be examined. So too must the relationship between social identity and imagery; I leave the further discussion of that subject as well to a later chapter.

References

Abelson, R. (1976). Script processing in attitude formation and decision making. In J. Carroll & J. Payne (Eds.), *Cognition and social behavior*. Hillsdale: Erlbaum.

Abelson, R., Dasgupta, N., Park, J., & Banaji, M. (1998). Perceptions of the collective other. *Personality and Social Psychology Review, 2*, 243–250.

Alba, J. W., & Hasher, L. (1983). Is memory schematic? *Psychological Bulletin, 93,* 203–231.

Alexander, M., Brewer, M., & Herrmann, R. (1999). Images and affect: A functional analysis of out-group stereotypes. *Journal of Personality and Social Psychology, 77,* 78–93.

Asch, S. (1952). *Social psychology.* Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall.

Axelrod, R. (1976). *The structure of decision: The cognitive maps of political elites.* Princeton: Princeton University Press.

Axelrod, R. (1984). *The evolution of cooperation.* New York: Basic Books.

Baker, J., & DeFrank, T. (1995). *The politics of diplomacy: Revolution, war and peace, 1989–1992.* New York: Putnam.

Bennett, P. G. (1977). Toward a theory of hypergames. *OMEGA, 5,* 749–751.

Bennett, P. G., & Dando, M. (1979). Complex hypergame analysis: A hypergame perspective of the fall of France. *Journal of Operational Research Society, 30,* 23–32.

Bodenhausen, G. V. (1993). Emotions, arousal, and stereotypic judgments: A heuristic model of affect and stereotyping. In D. M. Mackie & D. L. Hamilton (Eds.), *Affect, cognition, and stereotyping: Interactive processes in group perception* (pp. 13–37). San Diego, CA.: Academic Press.

Boulding, K. (1956). *The image.* Ann Arbor: University of Michigan Press.

Boulding, K. (1959). National images and international systems. *Journal of Conflict Resolution, 3,* 120–131.

Brecher, M. (1972). *The foreign policy system of Israel: Setting, image, process.* New Haven: Yale University Press.

Brecher, M. (1973). Images, process and feedback in foreign policy: Israel's decision on German reparations. *American Political Science Review, 67,* 73–102.

Broffenbrenner, U. (1961). The mirror image in Soviet-American relations: A social psychologist's report. *Journal of Social Issues, 17,* 45–56.

Byman, D. & Pollack, K. (2001). Let us now praise great men: Bringing the statesman back in. *International Security, 25,* 107–146.

Campbell, D. T. (1967). Stereotypes and the perception of out-group differences. *American Psychologist, 22,* 812–829.

Converse, P. E. (1964). The nature of belief systems in mass publics. In David Apter (Ed.), *Ideology and discontent,* (pp. 206–261). New York: Wiley.

Converse, P. E. (1975). Public opinion and voting behavior. In F. Greenstein & N. Polsby (Eds.), *Handbook of political science* (Vol. 4, pp. 75–169). Reading, MA: Addison-Wesley.

Cottam, M. (1986). *Foreign policy decision making: The influence of cognition.* Boulder, CO: Westview.

Cottam, M. (1994). *Images & intervention: U.S. policies in Latin America.* Pittsburgh, PA: University of Pittsburgh Press.

Cottam, M., & Cottam, R. (2001). *Nationalism and politics: The political behavior of nation states.* Boulder, CO: Lynne Rienner.

Cottam, R. (1977). *Foreign policy motivation: A general theory and a case study.* Pittsburgh: University of Pittsburgh Press.

Cronbach, L. J. (1957). The two disciplines of scientific psychology. *American Psychologist, 12,* 671–684.

Cronbach, L. J. (1975). Beyond the two disciplines of scientific psychology. *American Psychologist, 30,* 116–127.

Deutsch, K. & Merritt, R. (1965). Effects of events on national and international images. In H. Kelman (Ed.), *International behavior: A social-psychological analysis* (pp. 130–187). New York: Holt, Rinehart and Winston.

Etheredge, L. (1978). *A world of men: The private sources of American foreign policy*. Cambridge, MA: MIT Press.

Finlay, D., Holsti, O., & Fagen, R. (1967). *Enemies in politics*. Chicago: Rand McNally.

Fiske, A. P. (1991). *Structures of social life: The four elementary forms of human relations*. New York: Free Press.

Fiske, S., & Taylor, S. (1991). *Social cognition*. New York: Random House.

Fiske, S. T. (1998). *Stereotyping, prejudice, and discrimination*. In D. T. Gilbert, S. T. Fiske, & G. Lindzey (Eds.), *The handbook of social psychology* (4th ed., pp. 357–411). New York: McGraw-Hill.

Gardner, H. (1985). *The mind's new science: A history of the cognitive revolution*. New York: Basic Books.

George, A., & Smoke, R. (1974). *Deterrence in American foreign policy: Theory and practice*. New York: Columbia University Press.

George, A., & Smoke, R. (1989). Deterrence and foreign policy. *World Politics*, *41*(2), 170–182.

Greenstein, F. & Immerman, R. (1992). What did Eisenhower tell Kennedy about Indochina? The politics of misperception. *Journal of American History*, *79*, 568–587.

Heider, F. (1958). *The psychology of interpersonal relations*. New York: Wiley.

Heradstveit, D. (1981). *The Arab-Israeli conflict: Psychological obstacles to peace*. Oslo: Universitetsforlaget.

Herrmann, R. (1985). *Perceptions and behavior in Soviet foreign policy*. Pittsburgh: University of Pittsburgh Press.

Herrmann, R. (1988). The empirical challenge of the cognitive revolution: A strategy for drawing inferences about perceptions. *International Studies Quarterly*, *32*, 175–203.

Herrmann R., & Fischerkeller, M. (1995). Beyond the enemy image and spiral model: Cognitive-strategic research after the Cold War. *International Organization*, *49*, 415–450.

Herrmann, R., Voss, J., Schooler, T., & Ciarrochi, J. (1997). Images in international relations: An experimental test of cognitive schemata. *International Studies Quarterly*, *41*, 403–433.

Holsti, K. J. (1970). National role conceptions in the study of foreign policy. *International Studies Quarterly*, *14*, 233–309.

Holsti, O. (1967). Cognitive dynamics and images of the enemy. In D. Finlay, O. Holsti, & R. Fagen (Eds.), *Enemies in politics* (pp. 25–96). Chicago: Rand McNally.

Holsti, O. (1970). The 'operational code' approach to the study of political leaders: John Foster Dulles' philosophical and instrumental beliefs. *Canadian Journal of Political Science*, *3*, 123–157.

Hopf, T. (1994). *Peripheral visions: Deterrence theory and American foreign policy in the third world, 1965–1990*. Ann Arbor: University of Michigan Press.

Horowitz, D. (1985). *Ethnic groups in conflict*. Berkeley: University of California Press.

Huyser, R. (1986). *Mission to Tehran*. New York: Harper and Row.

Jervis, R. (1970). *The logic of images in international relations*. Princeton: Princeton University Press.

Jervis, R. (1976). *Perception and misperception in international politics*. Princeton: Princeton University Press.

Jervis, R. (1984). *The illogic of American nuclear strategy*. Ithaca, NY: Cornell University Press.

Jervis, R. (1985). Perceiving and coping with threat. In R. Jervis, R. N. Lebow, & J. G. Stein (Eds.), *Psychology and deterrence* (pp. 13–33). Baltimore: Johns Hopkins University Press.

Jervis, R. (1989a). *The meaning of the nuclear revolution: Statecraft and the prospect of Armageddon*. Ithaca, NY: Cornell University Press.

Jervis, R. (1989b). Rational deterrence: Theory and evidence. *World Politics, 41*(2), 183–207.

Jervis, R. (1991). Domino beliefs and strategic behavior. In R. Jervis & J. Snyder (Eds.), *Dominoes and bandwagons: Strategic beliefs and great power competition in the Eurasian rimland* (pp. 20–50). New York: Oxford University Press.

Jervis, R., & Snyder, J. (Eds.). (1991). *Dominoes and bandwagons: Strategic beliefs and great power competition in the Eurasian rimland*. New York: Oxford University Press.

Jost, J. T., & Banaji, M. R. (1994). The role of stereotyping in system-justification and the production of false consciousness. *British Journal of Social Psychology, 33*, 1–27.

Kaufman, C. (1994). Out of the lab and into the archives: A method for testing psychological explanations of political decision making. *International Studies Quarterly, 38*, 557–586.

Kunda, Z. (1990). The case for motivated reasoning. *Psychology Bulletin, 108*, 480–498.

Lake, D., & Powell, R. (1999). *Strategic choice and international relations*. Princeton: Princeton University Press.

Larson, D. W. (1997). *Anatomy of mistrust: U.S.-Soviet relations during the Cold War*. Ithaca, NY: Cornell University Press.

Larson, D. W. (1987). Crisis prevention and the Austrian state treaty. *International Organization, 41*, 27–60.

Lasswell, H. (1930). *Psychopathology and politics*. Chicago: University of Chicago Press.

Lasswell, H. (1948). *Power and personality*. New York: Norton.

Lebow, R. N. (1981). *Between peace and war: The nature of international crisis*. Baltimore: Johns Hopkins University Press.

Lebow, R. N. (1985). Miscalculation in the South Atlantic: The origins of the Falklands war. In R. Jervis, R. N. Lebow, & J. G. Stein (Eds.), *Psychology and deterrence* (pp. 89–124). Baltimore: Johns Hopkins University Press.

Lebow, R. N., & Stein, J. G. (1989). Rational deterrence theory: I think, therefore I deter. *World Politics, 41*(2), 208–224.

Lebow, R. N., & Stein, J. G. (1990). Deterrence: The elusive dependent variable. *World Politics, 42* (3), 336–369.

Lebow, R. N., & Stein, J. G. (1994). *We all lost the Cold War*. Princeton: Princeton University Press.

Mercer, J. (1996). *Reputation and international politics.* Ithaca, N.Y.: Cornell University Press.

Morgenthau, H. (1973). *Politics among nations: The struggle for power and peace* (5th ed.). New York: Knopf.

Northway, M. L. (1940). The concept of the "schema." *British Journal of Psychology, 31,* 22-36.

Osgood, C. (1962). *An alternative to war or surrender.* Urbana: University of Illinois Press.

Owen, J. (1997). *Liberal peace liberal war: American politics and international security.* Ithaca, NY: Cornell University Press.

Riker, W. (1962). *The theory of political coalitions.* New Haven: Yale University Press.

Robins, R. & Post, J. (1997). *Political paranoia: The psychopolitics of hatred.* New Haven: Yale University Press.

Rummel, R. J. (1975). *Understanding conflict and war: The dynamic psychological field.* New York: Wiley.

Sande, G. N., Goethals, G. R, Ferrari, L., & Worth, L. T. (1989). Value-guided attributions: Maintaining the moral self-image and the diabolical enemy-image. *Journal of Social Issues, 45,* 91–118.

Scott, M., & Lyman, S. (1968). Accounts. *American Sociological Review, 33,* 46–62.

Scott, W. (1965). Psychological and social correlates of international images. In H. Kelman (Ed.), *International behavior: A social-psychological analysis* (pp. 70–103). New York: Holt, Rinehart and Winston.

Sherman, S., Judd, C., & Park, B. (1989). Social cognition. *Annual Review of Psychology, 40,* 281–326.

Shimko, K. (1991). *Images and arms control: Perceptions of the Soviet Union in the Reagan administration.* Ann Arbor: University of Michigan Press.

Sick, G. (1985). *All fall down: America's tragic encounter with Iran.* New York: Random House.

Silverstein, B. (1989). Enemy images: The psychology of U.S. attitudes and cognition regarding the Soviet Union. *American Psychologist, 44,* 903–913.

Simon, H. (1985). Human nature in politics: The dialogue of psychology with political science. *American Political Science Review, 79,* 293–304.

Skinner, B. F. (1960). *Behavior theory and conditioning.* New Haven: Yale University Press.

Snyder, J. (1991). *Myths of empire: Domestic politics and international ambition.* Ithaca, NY: Cornell University Press.

Snyder, R., Bruck, H., & Sapin, B. (1962). *Foreign policy decision-making: An approach to the study of international politics.* New York: Free Press.

Solingen, E. (1998). *Regional orders at century's dawn: Global and domestic influences on grand strategy.* Princeton: Princeton University Press.

Sprout, H., & Sprout, M. (1965). *The ecological perspective on human affairs with special reference to international relations.* Princeton: Princeton University Press.

Stein, J. G. (1985a). Calculation, miscalculation, and conventional deterrence I: The view from Cairo. In R. Jervis, R. N. Lebow, & J. G. Stein (Eds.), *Psychology and deterrence* (pp. 34–59). Baltimore: Johns Hopkins University Press.

Stein, J. G. (1985b). Calculation, miscalculation, and conventional deterrence II: The view from Jerusalem. In R. Jervis, R. N. Lebow, & J. G. Stein (Eds.), *Psychology and deterrence* (pp. 60–88). Baltimore: Johns Hopkins University Press.

Stuart, D., & Starr, H. (1982). Inherent bad faith reconsidered: Dulles, Kennedy, and Kissinger. *Political Psychology, 3,* 1–33.

Steinbruner, J. (1974). *The cybernetic theory of decision.* Princeton: Princeton University Press.

Tetlock, P. (1999). Theory-driven reasoning about plausible pasts and probable futures in world politics: Are we prisoners of our preconceptions? *American Journal of Political Science, 43,* 335–366.

Tetlock, P., & Levi, A. (1982). Attribution bias: On the inconclusiveness of the cognition-motivation debate. *Journal of Experimental Social Psychology, 18,* 68–88.

Vanman, E. J., & Miller, N. (1993). Applications of emotion theory and research to stereotyping and intergroup relations. In D. M. Mackie & D. L. Hamilton (Eds.), *Affect, cognition, and stereotyping: Interactive processes in group perception* (pp. 151–78). San Diego, CA: Academic Press.

Waltz, K. (1979). *Theory of international politics.* Reading, MA: Addison-Wesley.

White, R. K. (1965). Images in the context of international conflict: Soviet perceptions of the U.S. and the U.S.S.R. In H. C. Kelman (Ed.), *International behavior: A social-psychological analysis* (pp. 236–276). New York: Holt, Rinehart, and Winston.

White, R. K. (1968). *Nobody wanted war: Misperception in Vietnam and other wars.* Garden City, NY: Doubleday.

الفصل العاشر

تحليل وحل النزاع[185]

هربرت س. كلمان
وروناالد ج فيشر

يعرض هذا الفصل مقاربة اجتماعية نفسية لتحليل وحل النزاعات الدولية والصراعات بين المجتمعات. ويركز هذا الفصل على الحل التفاعلى للنزاع (انظر Fisher, 1997) ومجموعة من النماذج للتدخل فى النزاعات عميقة الجذور والممتدة بين مجموعات الهويات المختلفة التى نجد أساسها فى مبادئ علم النفس.

ويمكن وضع حل النزاعات الدولية فى سياق مجال للممارسة آخذًا فى النمو وأكثر اتساعًا، يطبق على مستويات مختلفة وفى مجالات متباينة ويجد جذوره فى حقول معرفية وتقاليد نظرية ومجالات ممارسة متباينة. وعلى الرغم من هذا التنوع، هناك بعض الخيوط المشتركة فى معظم الأعمال فى هذا المجال، إذ تدعو تلك المقاربات لحل الصراعات بشكل عام إلى إطار غير مجحف أو مسيء لتناول الصراع، ونقطة انطلاق تحليلية وتوجه يسعى إلى حل المشاكل، والاشتراك المباشر للأطراف المتصارعة فى جهد مشترك لتشكيل الحل، وسعى من جهة طرف ثالث مدرب على عملية حل الصراعات، لتسهيل العملية إذ تعتبر التبادلات عبر المستويات قيمة للغاية لتطوير مبادئ عامة، غير أن تطبيق تلك المبادئ يتطلب حساسية للملامح الفريدة للسياق الذى تطبق فيه.

---

(185) قامت بترجمة هذا الفصل مشيرة الجزيرى

وبهذه الروح، نستهل هذا الفصل بتقديم وجهة نظر اجتماعية نفسية عن طبيعة الصراعات الدولية والعمليات المعيارية والمعرفية التى تساهم فى تصعيدها واستمرارها. ولتحليل الصراع الدولى دلالات واضحة على مقاربتنا نحو حل الصراعات. ثم يعرض هذا الفصل نقاشاً موجزًا للتفاوض والتوسط وهما الوسيلتان الأكثر شيوعًا فى المقاربات الدبلوماسية التى يتم تناولها فى الأبحاث الواسعة فى مجال علم النفس السياسى. ويقدم هذا العرض نقطة مرجعية مفيدة لنقاشنا عن حل الصراعات التفاعلية نفسه. ولتوضيح مجموعة المقاربات المندرجة تحت هذه الشريحة الأساسية، نتجه نحو وصف أكثر تفصيلاً للافتراضات والإجراءات الخاصة بحل المشاكل بصورة تفاعلية ولاسيما كما تم تطبيقها فى الصراع الإسرائيلى الفلسطينى (Kelman, 1997a, 1998b) وينتهى الفصل بتحديد بعض التحديات التى تواجه الدارسين والممارسين فى مجال تحليل وحل الصراعات.

طبيعة الصراع الدولى:

من شأن وجهة النظر الاجتماعية النفسية أن توسع من النظرة للصراع الدولى التى تقدمها المدرسة الواقعية أو الواقعية الجديدة للعلاقات الدولية أو مدارس أخرى لها مقاربات أكثر تقليدية وتركز على العوامل البنائية أو الاستراتيجية (Kelman 1997b). وبدون إنكار أهمية المصالح الوطنية المتأصلة موضوعيًا، وأسبقية أحقية الدولة فى النظام الدولى، ودور القوة فى العلاقات الدولية، وأثر العوامل البنائية فى تحديد توجه الصراع الدولى، فإن التحليل يصبح أكثر ثراءً بتطبيق وسائل متعددة مثل استطلاع العوامل الذاتية التى تضع قيودًا على العقلانية عن طريق فتح الصندوق الأسود الخاص بالدولة كفاعل موحد، وتحليل العمليات التى تتم داخل وبين المجتمعات والتى تستند إليها أفعال الدولة، وتوسيع مدى عمليات التأثير (وأيضا تعريفات القوة)

التى تلعب دورًا فى العلاقات الدولية، وعن طريق إدراك الصراع الدولى كعملية ديناميية تشكلها الحقائق المتغيرة والمصالح والعلاقات بين الأطراف المتصارعة.

ويشير التحليل الاجتماعى النفسى إلى أربع فرضيات عن الصراع الدولى. ولتلك الفرضيات صلة خاصة بصراعات الوجود بين مجموعات الهوية – تلك الصراعات التى تنخرط فيها الهويات الجماعية للأطراف والتى ترى أن الوجود المستمر لمجموعة يتعرض للخطر. إذن، فإن تلك الفرضيات تنطبق بشكل أكثر مباشرة على الصراعات العرقية أو الإيديولوجية كما تنطبق على الصراعات الأكثر واقعية داخل الدولة، حيث تتفاعل المسائل الخاصة بالهوية الوطنية والوجود، وهو أمر كثير الحدوث.

تقول الفرضية الأولى إن الصراع الدولى عملية تدفعها الحاجات الجماعية والمخاوف وليست تمامًا نتاجًا للحساب العقلانى للمصالح الموضوعية والقومية من جانب صانعى القرار السياسيين. فالحاجات الإنسانية كثيرًا ما يتم مفصلتها وإشباعها من خلال بعض المجموعات مثل المجموعة العرقية والمجموعة القومية والدولية. وينشأ الصراع حين تواجه مجموعة موقفًا يتسم بعدم تحقيق الحاجات الأساسية أوالتهديد بعدم تحقيقها، ليس فقط الحاجات المادية الواضحة مثل الطعام والمأوى والأمان الجسدى والرفاة البدنية، ولكن أيضا وبشكل مركزى للغاية، الحاجات النفسية مثل الهوية والأمن والاعتراف والاستقلالية والاعتداد بالذات والإحساس بالعدل (Burton 1990). بالإضافة إلى ذلك، تساهم حاجات الهوية والأمن وبالمثل أيضا فإن الحاجات الجماعية القوية والمخاوف والهواجس الخاصة بالبقاء المرتبطة بها – تساهم بشدة فى تصعيد واستمرار الصراع بمجرد أن يبدأ. وحتى عندما تصل الأطراف المتصارعة إلى نتيجة أنه من مصلحتها أن تضع حدًا للصراع، فهى تقاوم الذهاب إلى مائدة المفاوضات أو اتخاذ التدابير

الضرورية حتى تتجه المفاوضات قدمًا خوفا من أن تدفع نحو تقديم تنازلات تقوض فى نهاية الأمر من وجودها. وتتموقع المخاوف التى تدفع الصراعات الوجودية فى قلب العلاقة بين الأطراف المتصارعة وتتجاوز دائرة المخاوف التى تنتج عن ديناميات مأزق الأمن Security dilemma (Jervis, 1976).

وتلعب المخاوف والحاجات الجماعية دورًا فى كافة الصراعات الدولية، بالرغم من تركيزها على الصراعات العرقية، إذ تمتزج مع العوامل الموضوعية، على سبيل المثال موارد الدولة والتكوين العرقى لسكانها ووجود منفذ لها على البحر من عدمه لتحديد كيف تدرك شرائح مختلفة من المجمتع مصالح الدولة وما يصبح فى نهاية الأمر المصلحة الوطنية كما تعرفه النخب المهيمنة. وبالمثل، فإن الصراعات – سواء كانت عرقية أو داخلية– تمثل توليفة من العوامل العقلانية وغير العقلانية، وفى كل نوع من الصراع قد يختلف المزيج من حالة إلى أخرى. فقد تتصف بعض الصراعات العرقية بأنها طاغية العقلانية، بينما تتصف بعض الصراعات الأخرى الداخلية بشدة غياب العقلانية. بالإضافة إلى ذلك، تقوم القيادة فى كافة الصراعات الدولية بتعبئة حاجات ومخاوف السكان والتلاعب بها باستخدام درجات متفاوتة من الغوغائية والسخرية، وحتى حين يتم تطويع الحاجات والمخاوف، فهى تمثل ردود أفعال حقيقية بين السكان وتصبح مركز العمل المجتمعى. فهى قد ترتبط بالحاجات أو المخاوف الفردية. ففى الصراعات العرقية شديدة العنف، كثيرًا ما يصبح الخوف من إبادة المجموعة التى ينتمى إليها الفرد مرتبطًا بالخوف من الإبادة الشخصية (وذلك لأسباب وجيهة).

إن مفهوم الصراع كعملية تدفعها الحاجات والمخاوف الجماعية يدل أولاً وأخيرًا على أن حل الخلاف إذا كان من شأنه أن يؤدى إلى سلام مستقر يعتبره الطرفان عادلاً، وإلى علاقة جديدة تدعم الرخاء والتنمية بالمجتمعين، لابد له وأن يتناول الحاجات الأساسية والمخاوف الأكثر عمقًا للسكان. ومن

ناحية معيارية، يمكن اعتبار هذا الحل تعريفاً إجرائيًا للعدالة داخل إطار مقاربة حل المشاكل فيما يتعلق بحل الصراع (Kelman 1996b). وإحدى الدلالات الأخرى للتوجه الخاص بالحاجات الإنسانية هو أن الحاجات النفسية الذى يستند إليها مثل الأمن والهوية والاعتراف ليست مسألة مكسب تام أو خسارة تامة بشكل أصيل (Burton 1990)، على الرغم من أنه غالبًا ما ينظر إليها على هذا النحو عادة فى الصراعات عميقة الجذور. من المحتمل إذن تشكيل حل تكاملى يرضى مجموعتى الحاجات مما يسهل من حل المسائل مثل الأراضى أو الموارد من خلال المساومة التوزيعية. وأخيرا، تشير النظرة إلى الصراع على أساس كونه عملية تدفعها الحاجات والمخاوف الجماعية إلى أن حل الصراع لابد فى مرحلة ما أن يأخذ فى الاعتبار بعض العمليات التى تتم على مستوى الأفراد والتفاعل بين الأفراد، كأخذ وجهة نظر الآخر فى الحسبان، أو التعاطف الواقعى (White 1984)، وحل المشاكل بصورة مبتكرة، والاستبصار والتعلم.

إن التركيز على حاجات ومخاوف السكان فى الصراع تذكرنا بافتراض اجتماعى نفسى آخر ألا وهو أن الصراع الدولى ليس مجرد ظاهرة تتم داخل الحكومات أو داخل الدولة، بل عملية تجرى داخل المجتمع. إن الصراع، خاصة فى حالة الخلافات العرقية الممتدة، حيث يصبح جزءًا يصعب تفاديه من الحياة اليومية لكل مجتمع وعناصره المكونة. لذلك لا يتطلب تحليل الصراع اهتمامًا بأبعاده الاستراتيجية والعسكرية والدبلوماسية فقط، بل أيضا بأبعاده الاقتصادية والنفسية والثقافية والاجتماعية الثقافية. إن التفاعلات حول هذه الأبعاد داخل وبين المجتمعات المتصارعة تشكل البيئة السياسية التى تنشط فى سياقها الحكومات كما تحدد القيود السياسية التى تعمل فى ضوئها.

وتنبهنا وجهة النظر القادمة من داخل المجتمعات إلى دور الانقسامات الداخلية داخل كل مجتمع والتى كثيرًا ما تلعب دورًا أساسيًا فى تعظيم أو حتى خلق الصراعات بين المجتمعات. وتضع مثل هذه الانقسامات قيودًا على القادة السياسيين الذين يتبعون سياسات توفيقية، فى شكل اتهامات من قبل عناصر من المعارضة بأنهم يعرضون الوجود القومى للخطر، فضلا عما تثيره تلك السياسات من توتر وشكوك داخل صفوف السكان تقوم عناصر المعارضة بدعمها واستغلالها. غير أن الانقسامات الداخلية قد تتضمن أيضا وسائل ضغط كامنة للتغير فى اتجاه حل الخلاف عن طريق تحدى الصورة الثابتة عن العدو والتى يميل أطراف الصراع إلى الاحتفاظ بها، وتمكين تلك الأطراف من التعامل مع بعضهم البعض بشكل أكثر اختلافًا وتميزًا. وتشير الخلافات الداخلية إلى وجود شركاء محتملين للتفاوض على الجانب الآخر وتوفر بذلك الفرصة لتشكيل جبهات لما قبل التفاوض عبر خطوط الصراع (Kelman 1993)، وللمساهمة فى حل الخلاف، لابد لمثل هذه الجبهة بالضرورة أن تبقى "جبهة غير متساهلة"، حتى لا يخسر أعضاؤها مصداقيتهم وكفاءتهم السياسية داخل مجتمعاتهم.

وإحدى الدلالات الأخرى للنظرة من داخل المجتمعات للصراعات هى أن المفاوضات وجهود الطرف الثالث لابد فى الوضع الأمثل أن توجه ليس لمجرد التسوية السياسية للصراع، فى شكل اتفاق سياسى يتم التوسط فيه، ولكنها ينبغى أن تسعى إلى حل الصراع. فالاتفاق السياسى قد يكون كافيًا لإنهاء الخلافات المحددة نسبيًا والتى يمكن احتواؤها داخل الدولة، ولكن الصراعات التى تتضمن الهويات الجماعية والهواجس الوجودية للخصوم تستدعى عملية دؤوبة للتغير البنائى وتغيير المواقف، وللتوفيق وتغيير العلاقة بين المجتمعين. وأخيرًا، يشير التحليل داخل المجتمعات للصراع إلى النظر إلى الدبلوماسية كمزيج معقد من الجهود الرسمية وغير الرسمية مع

المساهمات التكميلية. إن الإنهاء السلمى للصراع أو إدارته يستدعى اتفاقــات ملزمة يمكن تحقيقها فقط على المستوى الرســمى وإن كــان ضــروريًا أن تشترك قطاعات مختلفة عديدة فى المجتمعين فى خلق بيئة مواتية للتفــاوض وتنفيذ مثل هذه الاتفاقات.

ويقوم الافتراض الثالث على القول بأن الصراع الدولى عملية متعددة الأوجه للنفوذ المتبادل، وليست مجرد ممارسة للقوة القسرية. وينطوى قــدر كبير من السياسة الدولية على عملية تبادل للنفوذ يسعى بموجبها كل طــرف لحماية ودعم مصالحه الخاصة عن طريق تشكيل سلوك الطــرف الآخــر. ويحدث الصراع حين تصطدم تلك المصالح: أى حين يهدد تحقيق مــصالح أحد الطرفين (وتحقيق الحاجات من ورائها)، أو يتم إدراكها على أساس أنها تهدد مصالح (وحاجات) الطرف الآخر. وخلال الصراع، تشترك الأطــراف فى تبادل النفوذ الذى يتم تصميمه لدعم مواقفها ومنع تقدم الخــصم الآخــر. وبالمثل، تمارس الأطراف فى حل الصراع عن طريــق التفــاوض أو أيــة مسائل أخرى – تمارس النفوذ لإقناع الخصم بالجلوس إلى المائــدة وتقــديم بعض التنازلات وقبول الاتفاق الذى يشبع حاجاتها ومصالحها، واحترام هذا الاتفاق. كذلك، يمارس ممثلو الطرف الثالث النفوذ فى التأثير على أوضـــاع الصراع عن طريق دعم أحد الأطراف من خلال التوسط بين الطــرفين، أو المناورة لحماية المصالح الخاصة بها.

ويعتمد النفوذ فى الصراع الــدولى علـــى مــزيج مــن التهديــدات والإغراءات فيما ترجح فى أحيان كثيرةٍ كفة القوة والتهديد بــالقوة. وعلــى ذلك، فقد تم تأطير العلاقات الأمريكية السوفيتية فى الحرب البــاردة بــشكل واضح فى سياق نظرية مفصلة للردع– وهو شكل من أشكال الردع المصمم لمنع الجانب الآخر من فعل ما لا تريده أن يفعل. (George and Smoke, 1974; Jervis, Lebow and Stein, 1985; Schelling 1963; Stein 1991) وفى علاقــات

الصراع الأخرى، قد يقع التركيز على الإذعان وهو نوع من النفوذ المصمم لجعل الطرف الآخر يفعل ما توده أن يفعله. وتتضمن الاستراتيجيات القسرية تلك تكاليف ومخاطر خطيرة وقد تكون آثارها شديدة المحدودية فمن المرجح، على سبيل المثال، أن يتبادلها الطرف الآخر وأن تؤدى إلى تصعيد الصراع، كما أنه من غير المرجح أن تغير السلوك الذى يلتزم به الطرف الآخر. إذن، تستدعى الممارسة الفعالة للنفوذ فى العلاقات الدولية توسيع مخزون تصانيف استراتيجيات النفوذ لدرجة الجمع على الأقل بين "الجـزرة والعـصا" – أى إضافة حوافز أخرى إيجابية إلى الحوافز السلبية التى تهيمن نموذجيًا على علاقات الصراع الدولى (راجع (Baldwin 1991, Kriesberg, 1982) مثل الفوائد الاقتصادية والموافقة الدولية أو التقليل العام فى مستوى التوتر. وأحد الأمثلة الدالة على المقاربة القائمة على الاستخدام المنظم للحوافز الإيجابية هـو استراتيجية "المبادرات المتدرجة والمتبادلة فى تخفيف التوتر" graduated and reciprocal initiatives in tension reduction، والتى صاغها أوسـجود Osgood (1962) والمعروفة باستراتيجية.GRIT وعلى سبيل المثال، فقد اتخذ الـرئيس أنور السادات رئيس مصر فى رحلته عام ١٩٧٧ للقدس، مبادرة من طرف واحد، مع توقع رد فعل تبادلى من جهة إسرائيل (تم التفاوض حوله مـسبقًا بشكل جزئى). ولكن على النقيض من استراتيجية GRIT، فقد بـدأ الـسادات بتنازل كبير وجوهرى[١٨٦] مع توقع أن تقوم المفاوضات باستكمال الخطوات اللازمة. (Kelman 1983).

---

(١٨٦) يقصد كلمان – فيما يبدو – بالتنازل الكبير الجوهرى، إقدام الرئيس السادات على زيارة القـدس دون الاتفاق مسبقا مع إسرائيل على المقابل، مراهنا على أن الزيارة فى حد ذاتها سوف تدفع إلى قبولهـا بالسلام، بدلا من أن تكون الزيارة تتويجا لنجاح المفاوضات وفقا لاستراتيجية أوسجود، وعلـى أى حال فقد أشار كلمان فى الفقرة التالية إلى ما أحدثته الزيارة من أثر كالكهرباء علـى العامـة مـن الإسرائيليين (المراجع)

ويتطلب الاستخدام الكفء للحوافز الإيجابية أكثر من مجرد تقديم المكافأت والوعود أو إجراءات بناء الثقة المتوفرة، فهو يتطلب أفعالاً تتجاوب مع الحاجات الأساسية والمخاوف الخاصة بالطرف الآخر. فالمفتاح إذن لاستراتيجية فعالة تقوم على تبادل الحوافز الإيجابية هو التجاوب مع مخاوف الآخر عن طريق الاستطلاع النشط للوسائل التى تسمح لكل طرف من الأطراف بتلبية حاجات الطرف الآخر والتقليل من مخاوفه وإيجاد وسائل لكى يساعد كل طرف الآخر على التغلب على القيود الداخلية التى تحول دون تطبيق الأفعال التى يريد كل طرف أن يتخذها الطرف الآخر. وتكمن مزايا تلك الاستراتيجية الاستجابية فى أنها تسمح للأطراف بممارسة النفوذ على بعضهما البعض من خلال الخطوات الإيجابية (وليست تهديدات) التى تكون فى مقدرتها اتخاذها. وتسهل هذه العملية بشكل كبير التواصل بين الأطراف حتى يتم تحديد الأفعال الممكنة سياسيًا لكل من الطرفين والمرجح أن تترك أثرًا على الطرف الآخر.

والعنصر الأساسى فى استراتيجية التأثير القائمة على الاستراتيجية الاستجابية هو الطمأنة المتبادلة وهى عنصر خطير بشكل خاص فى أى جهد لحل صراع وجودى. وتشير أدبيات التفاوض إلى أن الأطراف كثيرًا ما يقودها إلى مائدة المفاوضات مأزق يؤلم الطرفين، ويجعل التفاوض أكثر جاذبية من الاستمرار فى الصراع (Touval and Zartman, 1985; p. 16; Zartman and Berman 1982). إلا أن أطراف الصراع الوجودى(١٨٧) تخشى المفاوضات حتى وإن أصبح الوضع القائم أكثر إيلامًا وأن الاتفاق الذى يمكن الوصول إليه عن طريق التفاوض فى مصلحتها، ولدفع عملية التفاوض تحت

---

(١٨٧) المقصود هو أن يعتقد المتصارعون أن مجرد وجود الطرف الآخر يعنى نفى وجوده هو، ومن ثم فإن أية بادرة تقارب تعتبر تهديدا لوجود أحد الطرفين، وقد شاع فى أدبيات الصراع العربى الإسرائيلى تساؤل حول طبيعة تلك الصراع وهل هو صراع وجود أم صراع حدود (المراجع)

هذه الظروف، من المهم على الأقل التقليل من مخاوف الأطراف بنفس درجة زيادة آلامها.

وقد تأخذ الطمأنة المتبادلة شكل اعترافات معلنة أو حركات رمزية أو إجراءات لبناء الثقة. وحتى تصل إلى الحد الأقصى من الكفاءة، لابد لتلك الإجراءات أن تتناول الحاجات والمخاوف المركزية للطرف الآخر بأكثر الطرق الممكنة مباشرة. فحين تحدث الرئيس السادات أمام الكنيست الإسرائيلى خلال زيارته الدرامية للقدس فى نوفمبر ١٩٧٧، اعترف بوضوح بعداء مصر السابق تجاه إسرائيل وأقر بذلك بصحة رؤية إسرائيل لتلك العلاقة. وحين فعل ذلك، فقد عزز بشكل كبير مصداقية تغيير المسار الذى كان يعلن عنه. وفى بداية الزيارة، كسرت الإيماءات الرمزية التى قام بها السادات بتبادل المصافحة بالأيدى بشكل ودى مع المسئولين الإسرائيليين الذين أتوا لتحيته - كسرت "التابو" التاريخى. وقد أشارت تلك الإيماءات إلى بداية علاقة جديدة مما ترك أثر الكهرباء على العامة من الإسرائيليين. ففى الصراعات عميقة الجذور، يعد الاعتراف بما كان يتم إنكاره اعترافا بإنسانية الآخر وقوميته وحقوقه ومظالمه وتفسيره التاريخ، مصدرًا مهمًا من مصادر الطمأنينة إلى أن الطرف الآخر قد يكون بالفعل مستعدًا للوصول إلى اتفاق عن طريق التفاوض يتناول كافة المخاوف الجوهرية. ومع إعطاء الإشارة عن قبول مشروعية الآخر، يطمئن كل من الطرفين الطرف الآخر إلى أن المفاوضات والتنازلات لم تعد تمثل تهديدات مميتة لأمنه ووجوده القومى. ويطمئن كل من الطرفين الطرف الآخر إلى أن الحلول الوسطية لا تمثل تخليا عن الهوية.

إن استراتيجية التأثير القائمة على أساس الاستجابة لحاجات الطرف الآخر ومخاوفه وما يترتب على ذلك من بحث عن وسائل طمأنة وإفادة الطرفين بعضهما البعض لها مزايا مهمة من وجهة نظر بعيدة المدى. فهى

لا تثير سلوكيات مرغوبة تحديدًا فحسب من الطرف الآخر، بل قد تساهم أيضا فى تقديم إعادة تعريف مبتكر للصراع، والاكتشاف المشترك للحلول المرضية للطرفين وتغيير العلاقة بين الأطراف.

واستراتيجيات التأثير التى توظف فى علاقة الصراع قد تكتسب دلالة خاصة فى ضوء الافتراض الرابع، ألا وهو أن الصراع الدولى عملية تفاعلية ذات دينامية تصاعدية ذاتية الاستمرار، وليست مجرد تسلسل للأفعال وردود الأفعال من قبل الفاعلين المستقرين. ففى علاقات الصراع الحادة، يتجه المسار الطبيعى للتفاعل بين الأطراف إلى تدعيم الصراع وتعميقه بدلاً من تقليله أو حله. ويحكم هذا التفاعل مجموعة من المعايير وتوجهه حزمة من الصور التى تخلق دينامية تصاعدية ذاتية الاستمرار. ويمكن عكس تلك الدينامية من خلال الدبلوماسية الماهرة والقيادة الخلاقة. وتدخل الأطراف الثالثة والآليات المؤسسية لإدارة وحل الصراع. ولكن فى غياب مثل هذه الجهود العمدية، من المرجح أن يزيد التفاعل التلقائى بين الأطراف من سوء الظن وعداء وشعور بالظلم.

وتملى حاجات ومخاوف الأطراف المنخرطين فى الصراع الحاد قيودًا إدراكية على معالجتها للمعلومات الجديدة مما يترتب عليه اتجاه نحو التقليل من قيمة احتمال وحدوث التغيير، وتقويض شديد للقدرة على لعب دور الآخر. إن تجريد العدو من إنسانيته يجعل الإقرار بوجهة نظر الآخر والوصول إليها أمرًا أكثر صعوبة. وتساهم عدم القدرة على الوصول إلى وجهة نظر الآخر بشكل كبير فى خلق بعض الحواجز النفسية لحل الصراع التى وصفها روس وورد (Ross and Ward 1995). فديناميات تفاعل الصراع تتجه إلى تحصين كل طرف لوجهة نظره الخاصة بالتاريخ والعدالة. فالأطراف المتصارعة تبدى اتجاهات قوية لإيجاد دلائل تؤكد صورها السلبية عن بعضها البعض وتقاوم القرائن التى تدحض تلك الصور (راجع الفصل

التاسع لمناقشة أكثر استفاضة عن مفهوم الصورة). فالتفاعل إذن لا يفشل فقط فى المساهمة فى إعادة النظر فى صورة العدو فحسب، ولكنه يساعد فى حقيقة الأمر فى تدعيمها واستمرارها. ويخلق التفاعل القائم على صور المرآة عن العدو الشيطان والذات الطيبة نبوءة ذاتية التحقق[١٨٨] عن طريق حفز الطرفين على الانخراط فى الأفعال العدائية التى يتوقعانها من بعضهما البعض (انظر Bronfenbrenner 1961, While 1965).

وتتبع النبوءات ذاتية التحقق من خلال معايير الصراع التى تحكم التفاعل بين الأطراف المنخرطة فى الصراع الحاد. إن تعبيرات العداء وسوء الظن تجاه العدو ليست مجرد تجليات تلقائية عن الصراع، ولكنها سلوك موصف معياريًا. إن افتراض القادة السياسيين أن تقييم العامة لهم يعتمد على التزامهم بهذه المعايير، يؤثر فى قراراتهم التكتيكية والاستراتيجية وتوجههم للمفاوضات وتصريحاتهم العامة، وفى نهاية الأمر، فى طريقة تثقيفهم للجماهير. أما بالنسبة للجماهير، بدورهم، فكثيرًا ما يعتبر الالتزام بهذه المعايير مؤشرًا عن الولاء للجماعة. يتصف الخطاب السائد فى الصراعات عميقة الجذور بالتفاعل الذى يتسم بالتجريد من المشروعية والإنسانية. ويساهم التفاعل الذى تحكمه تلك المعايير على المستويين الجزئى والكلى فى تصعيد واستمرار الصراع. فمن الأرجح أن تزيد الأطراف التى تتعامل مع بعضها البعض بعداء وسوء ظن من عدائها وسوء ظنها.

إن ديناميات تفاعل الصراع تخلق احتمالاً كبيرًا لتفويت فرص حل الصراع. فالأطراف التى يحكم تفاعلها المعايير والصور التى تضرب

---

(١٨٨) self-fulfilling prophecy يقصد بالتعبير أن بعض توقعات الفرد رغم عدم صوابها تؤثر فى سلوكه بما يؤدى إلى حدوثها بالفعل، وقد أدخل عالم الاجتماع روبرت ميرتون Robert Merton هذا المصطلح الأدبى ضمن مصطلحات العلوم الاجتماعية فى كتابه "النظرية والبنية الاجتماعية" الصادر عام ١٩٤٩.(المراجع)

بجذورها فى تاريخ الصراع تشعر بالتقييد فى قدرتها على الاستجابة لحدوث التغيير واحتمال حدوثه، إذ تجد صعوبة فى التعبير عن التغييرات التى حدثت من جانبها، أو ملاحظة التغييرات على الجانب الآخر واستطلاع احتمالات التغيير التى قد تخدم مصالح الطرفين. ومن ثم، فإن جهود حل الصراع تستدعى النهوض بنوع مختلف من التفاعل قادر على عكس الديناميات التصعيدية وذاتية الاستمرار للصراع – أى التفاعل المواتى لاقتسام وجهات النظر والتمييز بين صور العدو وتطوير لغة الطمأنة المتبادلة وخطاب جديد قائم على أساس معايير الاستجابة والتبادلية.

العمليات المعيارية والإدراكية التى تدعم الصراع

من شأن التحليل الاجتماعى النفسى أن يساعد بشكل خاص فى تفسير لماذا وكيف بمجرد أن يبدأ الصراع، تعمل العمليات المعيارية والمعرفية التى تدعم تصعيده واستمراره وتخلق حواجز أو تكثفها لتحول دون حل الصراع. وبنفس المنطق، من شأن التحليل الاجتماعى النفسى أن يشير إلى وسائل التغلب على تلك الحواجز وذلك بالمساعدة فى تحديدها وفهمها.

العمليات المعيارية normative processes:

تحكم نوعية عريضة من عمليات التفاعل على مستوى العامة والنخب فى المجتمعات المتصارعة التى تؤثر فى النهج الذى يسلكه الصراع – تحكمها مجموعة من المعايير الاجتماعية القوية التى تشجع الأفعال والمواقف المواتية لإفراز وتصعيد واستمرار الصراع والتى تحول دون إدراك وحدوث التغيير فى اتجاه الحد من التوتر وحل الصراع (Kelman, 1997b, pp. 212-222).

وإحدى هذه العمليات هى تكوين الحالات المزاجية الجماعية، فمع التغير الدورى فى المزاج الجماعى، من شأن الرأى العام أن يصبح مصدرا

للزعماء السياسيين وكذلك محددا لحركتهم فى عملية السياسة الخارجية. ومن حيث المبدأ، قد يقدم المزاج الجماعى دعمًا للسياسات العدائية أو التوفيقيـــة، وإن كان وفقًا للمعايير السائدة فى الصراع الطويل المكثف، من الأرجـــح أن يتوقع الزعماء - وأن يسعوا إلى - تعبئة الدعم العام للسياسات الأولى - أى العدائية - وليس الأخيرة - أى التوفيقية. وبصرف النظـــر عـــن الحـــالات المزاجية المرحلية أو المؤقتة، تظهر بعض حالات الوعى النافذة بين الـــرأى العام فى المجتمعات التى يحيطها صراع عميق الجذور يعكـــس الهـــواجس الوجودية والخطاب القومى المركزى المنتشر بين الـــسكان. وفـــى حـــالات عديدة، مثل الصرب وشمال أيرلندا والشرق الأوسط، تـــصبح الـــصدمات التاريخية نقاطا مرجعية للأحداث الراهنة، وعلى الرغم مـــن أن الزعمـــاء الغوغائيين قد يلجأون إلى استغلال مثل تلك الذكريات، فإنها - بالإضافة إلى الشعور بالظلم والضعف والتخلى المرتبط بها - تعد جزءا من وعى النـــاس جاهز للاستغلال. أما أثر مثل تلك الحالات المزاجية الجماعية، فهـــو تقـــديم معايير اجتماعية تدعم الأفعال التصعيدية وتحول دون حدوث تحركات فـــى اتجاه الحلول الوسطية والتنازلات. وحينما يدور الحديث حول البقـــاء علـــى الحياة والهوية، يصبح الزعماء الوطنيون أكثر استعدادًا للمخاطرة بالـــدخول فى حرب مقارنة بقبول السلام، إذ يتوقعون الدعم العام، وذلـــك اتفاقًـــا مـــع الفرضية المستمدة من نظرية التوقع التى ترى أن النـــاس غيـــر مـــستعدين للمخاطرة من أجل تحقيق مكاسب عن تجنب الخسارة (راجـــع Levy. 1992). وأى تغيير فى الرأى القائم عن العدو وعن دواعى الدفاع الوطنى، ينظر إليه كتهديد لوجود الدولة.

ويعد الدعم الجماهيرى موردًا ضروريًا للزعماء السياسيين المنخرطين فى علاقة صراع، وذلك من أجل ضمان استعداد الجماهير لقبول التكـــاليف التى قد تتضمنها سياستهم وتعزيز مصداقية تهديداتهم ووعـــودهم للجانـــب

الآخر. والوسيلة الأولى لكسب الدعم الجماهيرى هى تعبئة ولاء المجموعة. إن إثارة المشاعر الوطنية والقومية خاصة فى سياق الأمن القومى والبقاء، هى آداة قوية فى تعبئة الدعم الجماهيرى، ومن شأنها أن تستثير تصديقًا آليًا على السياسات التى يعرفها الزعماء السياسيون على أنها ضرورية، كما قد تفضى إلى استعداد لتقديم تضحيات لا يمكن دائمًا فهمها تمامًا على أنها حسابات منطقية للتكاليف والفوائد. إن الدولة تخلق مثل تلك الولاءات لأنها تجمع بين نزعتين نفسيتين مركزيتين ألا وهما الحاجات لحماية الذات وتجاوز الذات فى نفس الوقت (Kelman, 1969, 1997c).

ويمكن تعبئة الولاء للجماعة لدعم السياسات التوفيقية، فقد يطرح الزعماء السياسيون تنازلات وحلولاً وسطية مؤلمة للخصم استنادًا إلى دواعى أمن ورفاة وسلامة وبقاء الأمة. والحقيقة أن الزعماء السياسيين الذين يتمتعون بسمعة وطنية لا ينالها الشك مثل شارل ديجول، واسحق رابين، وف. ودى كلارك، كثيرا ما يظهرون كفاءة عظيمة فى قيادة شعوبهم نحو الحل السلمى للصراعات وذلك بمجرد أن يصلوا إلى قرار أن تلك المقاربة هى الأفضل فى خدمة المصالح الوطنية. إلا أنه بشكل عام، تعتبر ولاءات الجماعة أكثر ملاءمة لتعبئة الدعم للسياسات العدائية عن السياسات التوفيقية. فاقتراحات الأفعال العدائية يسهل استنادها إلى مفردات الوطنية التى تميز بين من هم داخل الجماعة عمن هم خارجها، وذلك على حساب الجماعة الأخرى. إن مناشدة الشعوب لحماية الأمة ضد هجوم وشيك، بشكل خاص، أقوى من مناشدتهم لاغتنام فرصة واعدة، كما قد تتنبأ بذلك نظرية التوقع (Farnham 1992, Levy 1992). ومن شأن مثل تلك الدعوة أن تثير استجابة تكاد تكون بالإجماع بين أفراد الشعب، بينما لا تجد الدعوة لاغتنام فرصة لبناء السلام جاذبية وذلك بالنسبة لتلك الشريحة من السكان التى تعتبر السلام مرادفًا للاستسلام.

وتخلق ولاءات الجماعة حواجز تحول دون التغيير في علاقة الصراع. فالولاء للجماعة يتطلب الالتزام بمعاييرها التى تستدعى بدورها فى حالات الصراع الممتد، الدعوة لموقف متشدد لا يقبل بالتسليم ويساوره الشك تجاه العدو. وفى تلك الحالة، يصبح التشدد والعناد هما المعبران عن الولاء. ومن ثم، وخاصة فى الأوضاع التى تتسم بتصورات الأزمات الوطنية، يمارس المتشددون نفوذًا لا يتناسب مع جمهم، وكثيرا ما يعترضون على الإجراءات والسياسات الرسمية، كما يملون قيودًا شديدة على قدرة الزعماء على استطلاع الخيارات السلمية. ويصبح تعريف المخالفة عن قيم الصراع السائدة فعلاً من أفعال الخيانة يتم كبته، مما يؤدى إلى استمرار تقويض فرص استطلاع البدائل السلمية.

تتجه عمليات اتخاذ القرار فى أوضاع الصراع إلى منع البحث عن بدائل واستطلاع الاحتمالات الجديدة خاصة حين يعمل صناع القرار فى جو مشحون بالأزمة. وتلك النزعات ليست أمرًا محتمًا. وهناك من الحالات التاريخية مثل أزمة الصواريخ الكوبية[١٨٩] الدالة على القدرة على اتخاذ قرارات مبتكرة فى أوضاع الأزمات الخطيرة (Allison, 1971, Lebow, 1981) غير أن معايير الصراع تملى فعلاً أعباء خطيرة على عملية اتخاذ القرار.

وأحد المصادر الرئيسية للنفور من استطلاع خيارات جديدة يتمثل فى القيود الداخلية التى يعمل فى سياقها صناع القرار. ففى أوضاع الصراع الممتد، يتجه النظر إلى الالتزام بمعايير الصراع على أنها أكثر الإجراءات أمنًا. ويفترض صناع القرار الحذرون أنهم يكونون أقوى داخليا إذا تمسكوا

---

(١٨٩) بدأت أزمة الصواريخ الكوبية بعد علم الرئيس الأمريكى جون كينيدى فى أكتوبر ١٩٦٢ بوجود الصواريخ السوفياتية المنصوبة فى كوبا وقد انتهت الأزمة بتوصل كينيدى مع أمين الأمم المتحدة «يوثانت» لفكرة اتفاق مع السوفييت لإزالة الصواريخ، شريطة تعهد أمريكى بعدم التعرض لكوبا مجددًا. (المراجع)

بالوضع القائم للصراع والتزموا بخطاب ينم عن العداء وسوء الظن أو التهديد باتخاذ أفعال تصعيدية عن أن يتخذوا خطوات تجاه الجانب الآخر فى اتجاه التوفيق والحلول الوسطية. كذلك يحول الجمود المؤسسى فى جهاز اتخاذ القرار، دون البحث عن بدائل استجابة للحقائق المتغيرة. ويعمل صناع القرار وبيروقراطياتهم فى إطار افتراضات عن الخيارات المتاحة والاستراتيجيات الفعالة وتوقعات قواعدهم الانتخابية التى تشكلها معايير الصراع السائدة، وهو ما قد يجعلهم غير واعين بحدوث التغيير أو احتمال حدوثه. بالإضافة إلى ذلك، فهم كثيرًا ما يعتمدون على الإجراءات والتقنيات القائمة التى من الأرجح أن تدفع فى اتجاه استمرار الصراع من خلال الوسائل العسكرية أو الوسائل الأخرى، بدلا من حله.

كما تحول العمليات الجزئية الخاصة بعملية اتخاذ القرار فى أوضاع الأزمات دون استطلاع الخيارات الجديدة. فعلى مستوى صناع القرار كأفراد، يؤدى التوتر الذى يختبرونه فى أوضاع الأزمات حين يصبح من المتعين اتخاذ قرارات متتالية تحت ضغوط الوقت، إلى الحد من عدد البدائل التى يمكن لهم النظر فيها، ويفرض عليهم القبول السريع لرد الفعل المهيمن وهو من المرجح فى أوضاع الصراعات المحتدة، أن يكون عدائيا وتصعيديا (Holsti, 1972; Lebow 1987). أما على مستوى مجموعات اتخاذ القرار، فكيرًا ما يؤدى اتخاذ القرار فى أوضاع الأزمات إلى "تفكير جماعى" (Janis, 1982) يحكمه السعى أساسا للاحتفاظ بتماسك المجموعة. ومن الأرجح فى تلك الحالة، أن يفرز صنع القرار سياسات وإجراءات تؤدى إلى استمرار وتصعيد الصراع بدلاً من إنتاج أفكار مبتكرة لحل الخلاف.

إن المعايير التى تحكم عمليات التفاوض والمساومة بين الأطراف المشتركة فى الصراع المستمر منذ أمد بعيد، تشجع بشدة على التفكير بمنطق إما غالبًا وإما مغلوبًا الذى يساوى بين خسارة العدو والمكسب الشخصى

(Zero-sum). فالتفاوض – حتى بمعنى المساومة التوزيعية فى أضيق أشكالها – أمر ممكن فقط فى حالة إذا ما قام الطرفان بتعريف الوضع – على الأقل على مستوى ما – كلعبة تتضمن مكسبًا مختلط الدوافع للطرفين، حيث يكون لكل من الطرفين أهداف متنافسة وتعاونية معًا. بحيث إن كل طرف فى سعيه لتحقيق مصالحه، يسعى أيضا إلى إيجاد وسائل تسمح بفوز الخصم وتظهره بمظهر الفائز. ولكن هذا هو تمامًا نوع الجهد الذى لا تشجعه معايير الصراع.

وعلى المستوى الجزئى، يتجه المفاوضون فى حالات الصراع الحاد إلى تقييم أدائهم من خلال فحص قوة تقديمهم لحالتهم أو وضعهم وكفاءتهم فى مقاومة التنازلات. فالإنصات لما يحتاجه الطرف الآخر ومساعدته على تحقيق أهدافه قد يخل بمعايير الصراع وقد يعرض المفاوضين للنقد من قبل قاعدتهم الانتخابية وخاصة من قبل المعارضة الداخلية المتشددة. وعلى المستوى الكلى، تتجه الأطراف، حتى حين تدرك مصلحتها المشتركة فى التفاوض حول قضايا معينة، تتجه إلى السعى وراء نتيجة شاملة تدعم وضعها الاستراتيجى وتضعف من وضع الخصم. ومن شأن مثل تلك الاستراتيجية أن تقلل من حوافز الطرف الآخر لعقد اتفاق، كما تضعف من قدرته على تعبئة الدعم العام لأى نوع من الاتفاق يتم التفاوض حوله. فالتفكير بمنطق "إما غالبًا وإما مغلوبًا" على المستويين، يضعف من عملية التفاوض ويؤدى إلى التأخير والنكسات وتكرار الفشل.

وأخيرًا، يخلق الصراع بعض الالتزامات البنائية والنفسية التى تنتهج فيما بعد مسارها فى الحياة (راجع Pruitt and Gahagan, 1974; Rubin and Pruitt and Kim 1994) ومن الأمور الأكثر وضوحا، أنه فى أوضاع الصراع طويلة الأمد، يطور أفراد مختلفون ومجموعات ومنظمات عسكرية وسياسية وصناعية وعلمية مصالح فى الاحتفاظ بالصراع كمصدرمن مصادر الربح

والقوة والوضع ومبرر للوجود وقد لا يستفيد الآخرون من الصراع بهذا المعنى ولكن قد يكون لديهم مصلحة قوية فى تعطيل الحل الوسطى لأنه لن يتناول شكواهم الخاصة أو يحقق تطلعاتهم. ولا تظهر المصالح الشخصية نفسها بالضرورة فى المحاولات العمدية لإضعاف جهود حل الصراع. وقد تتخذ أشكالاً غير مباشرة وحاذقة مثل تفسير الحقائق الغامضة والاختيار بين بدائل السياسات غير الأكيدة بطرق تحبذ استمرار الصراع.

إن المصالح الشخصية والالتزامات البنائية الشبيهة تدعم الالتزامات النفسية نحو الصراع، إذ يتجه الأفراد المنخرطون فى الصراع الممتد عميق الجذور إلى تطوير نظرة عن العالم تدور حول الصراع ويهددها إنهاؤه. والأرجح أن تزداد مقاومة التغيير كلما اتضح البناء المعرفى أو الإيديولوجية التى يتأصل فيها الصراع، حيث إنه من شأن تغيير هذا الرأى أن يفضى إلى تداعيات أوسع نطاقًا. ففى الصراع الحاد، كثيرا ما تكون صورة العدو جزءًا مهمًا من نظرة الناس عن العالم، كما يكون له تداعيات على هويتهم الوطنية ورأيهم فى مجتمعهم وتفسيرهم للتاريخ. وهذا هو أحد الأسباب الذى تفسر لماذا تكون صور العدو شديدة المقاومة للتغيير وتساهم فى تدعيم الديناميـة التصعيدية للصراع وتساعد على استمراره وهو ما سوف نتناوله الآن.

العمليات الإدراكية

تلعب العمليات الإدراكية – أى الطرق التى نستخدمها فى تفسير وتنظيم المعلومات الخاصة بالصراع، دورًا أساسيًا فى تصعيد واستمرار الصراع كما تخلق حواجز تحول دون إعادة تعريف وحل الصراع بالرغم من تغيير الحقائق والمصالح. وهناك عمليتان إدراكيتان تتصف بهما الصور المتبادلة لأطراف الصراع، يمكن لها أن تفسر هذا الأثر ألا وهى: تشكيل صور المرآة mirror image ومقاومة الصور للمعلومات المناقضة (Kelman, 1997b pp 222-231 راجع أيضا الفصل التاسع).

لقد أشار علماء النفس الاجتماعيون الذين تناولوا العلاقات الأمريكيــة السوفيتية (Bronfenbrenner, 1961, White, 1965) أولاً إلــى ظــاهرة تكــوين صورة المرآة كإحدى خصائص العديد من علاقات الصراع، إذ يتجه كل من الطرفين إلى تطوير صور موازية للذات والآخر مع عكس القيمــة. يمكــن الإمساك بناصية جوهر محتوى صور المرآة من خلال بعد الطيب/ الــشرير أى أن يرى كل جانب من الجانبين نفسه طيبًا وسلميًا، مسلحًا فقط لــدواعى الدفاع عن النفس ومستعدًا لتقديم التنازلات. وعلى النقيض من ذلك، ينظــر إلى العدو كشرير وعدائى وكمسلح لأسباب عدائية ومتجاوبًا فقط مــع لغــة القوة.

وإحدى الــنتائج المباشرة لصور الطيب/ الــشرير فــى الــصراعات الممتدة هى الرأى القائل بأن عدائية الطرف الآخر متأصــلة فــى طبيعتــه (الإيديولوجية والعقيدة والشخصية الوطنية والنظام السياسى الخاص به)، فى الوقت الذى تعتبر فيه إشارات العدائية من جانب الطرف نفسه ردود أفعــال ودفاع عن النفس تمامًا. ففى لغة نظرية العزو[١٩٠] attribution (انظر الجزء التالى)، يتم تفسير عداء الخصم على أنه أمر يرجع لطبيعته، بينما يفسر عداء الطرف نفسه على أنه متعلق بالموقف أو الوضع. ويشير نموذج جون فوستر دالاس[١٩١] John Foster Dulles عن "سوء الظــن المتأصــل" لــدى الاتحــاد

---

(١٩٠) نظرية نفسية معرفية تتعلق بكيفية تفسير الأفراد لما يصدر عنهم أو عن الآخرين من أفعال، ويعــد مفهوم مركز الضبط Locus of control بمثابة المفهوم الرئيسى فى النظرية حيث يصنف الأفــراد على متصل يحتل أقصاه ذوو مركز الضبط الخارجى الذين يرجعون ما يصادفهم من أحــداث إلــى أسباب خارجية لا يحملون أنفسهم مسئوليتها، وتتدرج مواقع الأفراد على ذلك المتصل ليحتل أقــصاه أولئك الذين يرجعون تلك الأحداث إلى أسباب تتعلق بتصرفاتهم ومن ثم يتحملون مسئولية وقوعهــا (المراجع)

(١٩١) وزير الخارجية الأمريكى خلال رئاسة دوايت أيزنهاور من ١٩٥٣-١٩٥٩ وقد عرف بتشدده حيال الاتحاد السوفييتى خلال الحرب الباردة، وتأييده لحرب فرنسا فى فيتنام والهند الــصينية،كما لعــب دورا فى الإطاحة بحكومة مصدق فى إيران، ويعرف عنه أنه رفض مــصافحة شــو ان لاى فــى مؤتمر جنيف ١٩٥٤ (المراجع)

السوفيتى (Holsti 1962)، ورأى السوفيت المقابل عن الغرب، إلى هذا الملمح من ملامح صور المرآة. كذلك، فإن إحدى النتائج المباشرة الشائعة عن صور الطيب والشرير وهى إحدى الصور المستمدة من صورة الذات الطيبة، هى الافتراض على كل جانب من الجانبين أن العدو يعرف تمامًا أننا لا نهدده، إذ إن الصفات التى نتحلى بها من ذوق وأدب ومسالمة، وكذلك ما تعرضنا له من استفزاز، كلها أمور بالغة الوضوح، بحيث إنها لابد وأن تكون واضحة أيضا بالنسبة للطرف الآخر (راجع النقاش عن الواقعية الساذجة فى (Ross and Ward 1995) وإلى جانب أن تلك الملامح العامة لصور المرآة، إنما تنبع من الديناميات العامة للصراع داخل الجماعات، فإنها قد تعكس صور المرآة فى أية حالة من حالات ديناميات صراع بعينه، فقد تتصف الصراعات العرقية بالإنكار المتبادل للهوية القومية للآخر مصحوبًا بجهود لتجريد الآخر من مشروعية حركته الوطنية والقومية (انظر Kelman 1987 ;1978) والخوف المتبادل من الإبادة القومية والشخصية والشعور المتبادل بأن أحد الطرفين هو ضحية للطرف الآخر أو الرأى المتبادل عن أن الطرف الآخر هو مصدر إهانة واستضعاف للطرف الأول.

ويتضمن مفهوم صورة المرآة أن بعض التماثل فى ردود أفعال الأطراف تنشأ من طبيعة تفاعل الصراع وأنها تلعب دورًا مهمًا فى تصعيد الخلاف. وليس هناك افتراض بأن كافة الصور عن الذات والعدو هى صورة مرآة وأن الصور على الجانبين متساوية من حيث عدم الدقة أو أن هناك تناسقًا إمبريقيًا فى الخبرات التاريخية والوضع الحالى للطرفين، أو تكافؤًا أخلاقيًا فى مركزهما، لكن ديناميات علاقة الصراع تنتج درجة من الموازاة فى بعض الصور التى يطورها المشاركون فى تلك العلاقة، والمستمدة من السياقات الدافعية والمعرفية التى يعملون فى إطارها. فمن حيث الدوافع، يسعى كل جانب من الجانبين إلى "الظهور بمظهر طيب"، حين يتعلق الأمر

بتحديد من يوجه إليه اللوم، إذ يشعر الزعماء السياسيون بحاجة قوية لإقناع أنفسهم وشعوبهم وبقية العالم ومؤرخي المستقبل أن اللوم ينصب على الخصم. ويرى كل جانب من الجانبين، إدراكيًا، الصراع من وجهة نظره ويقتنع بأنه يتصرف بشكل دفاعي وبأفضل النوايا الممكنة وأن ذلك من الجلاء، بحيث لابد وأن يكون واضحًا أيضا للعدو وذلك استنادًا إلى شعوره المؤلم بحاجاته ومخاوفه والصدمة التاريخية والظلم والشكوك والقيود السياسية الخاصة به.

وتنتج صور المرآة أثرًا حلزونيًا (يمثله النمط الكلاسيكي لسباق الأسلحة) لأن كلاً من الجانبين يفسر أى فعل عدائى من قبل الآخر على أنه إشارة إلى نوايا عدائية ينبغي التصدى لها، بينما ردود أفعاله هو ذات طبيعة دفاعية، كما يفترض وضوح ذلك بالنسبة للعدو – فى حين يعتبرها الطرف الآخر إشارات عن النوايا العدائية. ويتم التركيز على أثر صور المرآة حين يتم إدراك إيديولوجية العدو أو شخصيته القومية باعتبارها ذات طبيعة عدوانية توسعية. وبالإضافة إلى أثرها التصعيدى، تتجه صور المرآة إلى جعل الصراعات أكثر صعوبة إذ إن التناقض الحاد بين الذات البريئة والآخر العدائى يجعل من الصعب الخروج من مفهوم "إما غالبًا وإما مغلوبًا" الخاص بالصراع. إلا أن مفهوم صور المرآة قد يكون أداة مفيدة فى حل الصراع. ففى ورش العمل الخاصة بحل المشكلات على سبيل المثال، قد يساعد اكتشاف أحد الأطراف أن إدراك الطرف الآخر عن أفعاله يختلف عن إدراكه هو، على تفتحه على احتمال أن يكون العكس أيضا صحيحًا وقد يسمحان لبعضهما البعض بالتعرف على وجهات نظرهما والنفاذ إلى الآثار التصعيدية لمثل هذه التباينات ثنائية الاتجاه فيما يتعلق بالإدراك، والوعى بالحاجة للطمأنة المتبادلة حتى يمكن البدء فى عملية لإزالة التصعيد.

أما الملمح الثانى لصور الصراع أى الدرجة العالية لمقاومة المعلومات المتناقضة، فهو يحظر إدراك التغيير وتوقعه فى المستقبل. لقد انصب قدر كبير من التنظير والبحث فى المجال الاجتماعى وعلم النفس على الظاهرة العامة المتعلقة بصمود المواقف والمعتقدات فى مواجهة المعلومات الجديدة التى تبدو من وجهة النظر الخارجية أنها تتحدى مصداقيتها، بحيث يتم تحييدها أو إغفالها بصورة ما. لقد ركز البحث على أنواع عديدة من الآليات التى تفسر مقاومة تناقض المعلومات: الانتقاء والاتساق والعزو والتحقق الذاتى للنبوءة. وتشير كافة مفاهيم التعرض الانتقائى والإدراك الانتقائى والاستعادة إلى أن موقفنا يساعد على تحديد نوع المعلومات المتاح بالنسبة لنا. فمن الأرجح أن نسعى وراء المعلومات التى تؤكد مواقفنا القائمة وأن ندرك ونتذكر المعلومات الجديدة بشكل يتواءم وإطارنا الإدراكى سابق الوجود. وتشير نماذج الاتساق الإدراكى المختلفة مثل نظرية هايدر Heider (1988) عن التوازن الإدراكى ونظرية التنافر الإدراكى cognitive dissonance ل Festinger (1957) أنه من أجل الحفاظ على الاتساق، ينحى الناس إلى فحص واستبعاد المعلومات التى لا تتفق ومعتقداتهم ومواقفهم القائمة. وعلى الرغم من أن المعلومات غير المتسقة قد تحرض على تغيير المواقف، من الأرجح أن يتم مقاومتها حين يتم التمسك بالمواقف الراهنة ويكون لها دلالات وآثار واسعة كما هو الحال مع صور العدو. وتدعم آليات العزو (Jones and Nisbett 1971) التأكيد على الصورة الأصلية للعدو لأن الأفعال العدائية من جهة العدو تتجه لأن تنسب لطبيعته الأصيلة مما يدعم الدلائل التى تشير إلى شخصية العدو على أساس كون شخصيته عدائية وعنيدة بينما يتم تفسير الأفعال التوفيقية على أنها ردود أفعال موقفية مؤقتة، ولا تستدعى إعادة نظر فى الصورة الأصلية (لمزيد من البحث الذى يدعم هذا الافتراض راجع Heradslveit 1981; Rosenberg and Wolsfeld, 1977; Rouhana, 1977). وأخيرًا فإن التفاعلات بين الأطراف المتصارعة تتجه إلى خلق نبوءات ذاتية التحقق

عن طريق التسبب فى أن يسلك خصومنا سلوكًا يتماشى وتوقعاتنا ويضطلعون بالأدوار التى رسمناها لهم (Weinstein El Deutschberger 1963)، مما يؤكد موقفنا الأصلى.

وتعتبر الآليات التى تفسر مقاومة المعلومات المثيرة للشك قوية بشكل خاص فى سياق علاقات الصراع وذلك لأسباب عديدة. السبب الأول هو أن صور العدو والصور الذاتية المتعلقة بالصراع تعتبر مظاهر مركزية للإجماع الوطنى، ولذلك تدعم الضغوط القيمية القوية مقاومة المعلومات المشككة. ثانيًا، فى علاقات الصراع، تعتبر الفرص والقدرة على قبول وجهة نظر الجانب الآخر محدودة مما يقلل من أثر المعلومات الجديدة المحتملة من نوعيات وتغيرات وإشارات المرونة فى آراء الجانب الآخر. ثالثا، تعظم المعتقدات القوية عن عدم قابلية العدو على التغير مقاومة صور العدو للتشكيك التى يدعمها الرأى القائل بأنه من الخطر أو حتى من الخيانة اقتراح أن العدو قد تغير أو سوف يتغير.

وعلى الرغم من كافة الأسباب وراء مقاومة صور الصراع للمعلومات المتناقضة، فهى ليست عصية على التغيير، إذ تشير الدلائل الاجتماعية النفسية إلى أنها من الممكن أن تتغير. كما تشير البراهين التاريخية إلى أنها بالفعل تتغير. أما التحدى الذى يواجه الدارسين والممارسين فى مجال حل الصراع الدولى، فهو إيجاد الوسائل للتغلب على مقاومتها للتغيير. فالحل التفاعلى للصراع قد تم تصميمه بالتحديد لتناول هذه الأنواع من المقاومة بالإضافة إلى العمليات الاجتماعية النفسية الأخرى التى تساهم فى تصعيد واستمرار الصراع. وقبل أن نتناول موضوع الحل التفاعلى للصراع، نقدم فى الجزء التالى عرضًا موجزًا للتفاوض والتوسط – أى المقاربات الأكثر تقليدية للتعامل مع الصراع الدولى – وبعض الأدبيات الاجتماعية النفسية التى تتعرض لها.

التفاوض:

يعد التفاوض أكثر المقاربات شيوعًا لتناول الصراع الدولى فى إطـــار الدبلوماسية وهو عملية تفاعلية لها طابع العالمية على المـــستوى الـــشامل على الرغم من أن التباينات الثقافية من حيث المقاربـــات والأســـاليب هـــى موضوع دراسات عديدة فى الوقت الراهن (مـــثلاً Cohen 1997). ويعـــرف التفاوض نموذجيًا على أنه نقاش بين الأطراف بهدف إيجاد حـــل للأهـــداف المتعارضة (Pruitt and Carnevale, 1993)، على الـــرغم مـــن أن التعريـــف الأوسع يرى التفاوض كعملية تطور الأطراف بموجبها اتفاقـــات لتوجيههـــا وتنظيم سلوكها في المستقبل (Sawyer El Guetzkow 1965). وينبهنا التعريـــف الأوسع إلى أن كافة القضايا على المستوى الدولى يتم تناولهـــا مـــن خـــلال التفاوض بدءا من الخلافات التجارية مرورًا بالتدابير المالية وانتهاء بالمشاكل البيئية، فيما يضع التعريف الأكثر تركيزًا التفاوض فى مركز حل الـــصراع حول الأرض والحوكمة والهوية مع وجود وسائل وتـــدخلات تلعـــب دورًا تكميليًا ومدعمًا. فمن الضرورى إذن فهم العمليات والنتائج والسياق الخاص بالتفاوض الدولى حتى يمكن توجيه طيف من الجهود تجاه تحقيق التـــسويات المقبولة للطرفين التى تساهم فى إقامة علاقات مستدامة وتعاونية.

ولابد من تناول تمييزين مهمين فيما يتعلق بمـــصطلحات التفـــاوض الدولى ألا وهما: الثنائية مقابل التعددية والتنافسية مقابل التكاملية. واكتـــسب التمييز الأول أهمية منذ نهاية الحرب الباردة مع الابتعاد عن صراع القـــوى ثنائى القطبية واتجاهه إلى مجال يتسم بتعدد الفاعلين فى محاولة بناء نظـــامٍ عالمى جديد. وقد قام توفال (1989) Touval بتقديم معالجة محكمة للتفـــاوض متعدد الأطراف، تناول فيها كافة المراحل والمعوقات والعوامل الميسرة، وما يمثله التوصل إلى توافق من تحد، ومقارنة كل ذلك بالتفـــاوض الثنـــائى. إن

الجهود الرامية إلى فهم تعقيدات المفاوضات متعـددة الأطـراف والقـضايا الساعية إلى الوصول إلى إجماع فى الاتفاق، ينبغـى أن تتجـاوز المفـاهيم المشتركة المطبقة فى مجال المفاوضـات الثنائيـة (المـساومة ومعالجـة المعلومات) لتضمين مفاهيم إضافية (بناء التحالفات والتمييز بين الأدوار) فى سياق منظورنظامى. والأمل أن تساعدنا معالجة التفاوض متعدد الأطراف فى فهم هذه الوسيلة التى تزداد شيوعًا فى التعامل مع القضايا الدولية بـصورة أكثر عمقًا (مثلا Hompson 1995).

أما التمييز الثانى، فقد كان محوريًا فيما يتعلـق بالأدبيـات الخاصـة بالتفاوض لفترة طويلة من الزمن، ويستمد من التباينات بين الهيمنة والحلول الوسطية والتفاعل التى قامت مـارى بـاركر فوليـت Mary Parker Follett بتعريفها، مع سعى المقاربة الأخيرة إلى التعبير عن مصالح كافة الأطـراف بدون التضحية بأية مصالح أساسية. وتمت بلورة هذا التمييز فى الأدبيـات التنظيمية من خلال تمييز والتون وماكرس Walton and Mekersie (1965) بين المساومة التوزيعية والاندماجية فالأولى تتضمن المصالح المتنافـسة علـى الموارد شحيحة العرض، بينما تنطوى الثانية على التحركات التعاونية لزيادة مجال الموارد حتى يمكن إرضاء كافة المصالح الأساسية. وقد تم تمثيل هذه الثنائية فى معالجات عديدة للتفاوض حتى أنه أصبح بالإمكان التحدث عـن نظريات متنافسة عن التفاوض (Murray 1986)، أحدهما تتنـاول المـساومة الصلبة ومقاومة التنازل من أجل تحقيق الحد الأقصى من المكاسـب، أمـا الثانية فموجهة نحو التحليل المشترك وحل المشاكل فى اتجاه تحقيق نتـائج متبادلة طيبة. وقد قام هوبمان Hopmann (1995) بتطبيق هذا التمييـز علـى المستوى الدولى، إذ يرى إمبريقيا أن المساومة أكثر تواترًا فى المفاوضـات الدولية، على الرغم من أن حل المشاكل يولد درجة أكبر من المرونة ودرجة أعلى من الاتفاقات من حيث المرتبة. ويرجع الـسبب فـى التفـاوت بـين

الممارسة والكفاءة جزئيًا فى أن أسلوب المساومة الأكثر تقليدية وتنافسية يجد دعمًا فى النموذج الأساسى المهيمن للواقعية فى العلاقات الدولية، بينما يتفق حل المشاكل أكثر مع افتراضات وتوجهات الليبرالية، ولذلك، فهو قد اكتسب مؤخرًا فقط اعتبارًا من جانب الدبلوماسيين الأجانب والمفاوضين الآخـــرين. لقد انصب اهتمام النظرية والبحث عن التفاوض فى علم النفس الاجتمــاعى والسياسى على دعم الانتقال من عقلية مجموع الصفر التوزيعية إلى وجهـــة نظر تكاملية وليست "إما غالبًا وإما مغلوبًا"، ويتم التعبير عنها مـــن خـــلال التوجه الحاسم والتعاونى.

لقد تم تبنى مقاربات عديدة نحو دراسة التفاوض الدولى فيحدد فيـــشر، Fisher (1990) توصيفات عامة على أساس التجارب الدبلوماسية والدراســـات القائمة على أساس النماذج الحسابية ونظرية المباراة والتحلــيلات المقارنـــة للحالات ذات الطبيعة النظامية. ويقدم كارنفال وبرويت Carnevale and Pruid (1992) كتبًا تضم نصائح للمفاوضين ذات طبيعة إرشادية (مـــثلاً Fisher and Ury 1981)، ومعالجات حسابية للتفـــاوض العقلانـــى ذات طبيعـــة وصـــفية بالأساس (مثلا Raiffa 1982) ودراسات سلوكية فى الميدان والمختبر على حد سواء ذات طبيعة وصفية ولكنها تقدم أيضا إرشادات قد تكون مفيدة بالنـــسبة للمفاوضين (مثلا Pruitt 1981). ويقدم دراكمان (Druckman 1997) التغطيـــة الأوسع نطاقًا لوجهات النظر التى تم تبينها نحو فهم التفاوض، معتبرًا إياهـــا حلاً لمعضلة يتجه إلى تحقيق الاختيارات المثلى، كلعبة مـــساومة يـــتم مـــن خلالها تبادل الامتيازات، كالإدارة التنظيمية التى تتطلب بناء الإجماع داخل الأطراف وبينها وبين بعضها، أو كالسياسات الدبلوماسية التى يكون التفاوض هو أحد خيوط العلاقات الدولية متعددة الأوجه بها. لقد قدم علمـــاء الـــنفس الاجتماعيون والسياسيون مـــساهمات للمعالجـــات الوصـــفية والتوصـــيفية للتفاوض.

وفى أحد النماذج الأولى المؤثرة، قدم سوير وجوتسكو Sawyer and Guetzkow (1965) عملية التفاوض كمسار زمنى يتأثر بما يسبقه ويزامنه ويليه من ظروف. ولقد استخدام دراكمان (Druckman 1977, 1983) هذا النموذج لتنظيم البحث فى الميدان كأساس لشرح عملية التفاوض كسلسلة من المراحل ونقاط التحول والأزمات التى يمكن من خلالها بناء الزخم نحو الاتفاق النهائى. كما يدافع عن توسيع البحث فى مجال التفاوض للأخذ فى الاعتبار العوامل السياقية، وهو الاتجاه الذى تأخذه الآن الدراسات على المستوى الدولى على محمل الجد (مثلاً Hopmann 1996). ويستعرض كارنفال وبرويت (Cannevale El Pruitt 1992) الدراسات السلوكية عن التفاوض من منظور الدوافع، بحيث يتم التنبؤ بالنتائج على أساس الاختيارات الاستراتيجية المتأصلة فى دوافع المفاوض، وكذلك من منظور التوجه المعرفى بحيث يتم التنبؤ بالنتائج على أساس مدركات المفاوض ومعالجته للمعلومات. ومن خلال جهود برويت (Pruitt 1986)، ينتقل الموقف الوصفى للتوجه السلوكى إلى الاتجاه التوصيفى فى مجال النظرية والبحث عن حل المشاكل من خلال وسائل تحقيق الاتفاقات التكاملية. وإلى جانب تقنية تبادل المعونة والخدمات المختبرة والموثوق فى آدائها، لتحويل الأوضاع التوزيعية التى تتضمن قضايا متعددة إلى نتائج تكاملية، ويحبذ برويت توسيع الكعكة، والتعويض غير المحدد، وتخفيض التكلفة، وبناء الجسور، حيث يتم خلق خيار جديد لإرضاء المصالح التحتية ويمكن تحقيق تلك النتائج إذا أمكن حقن درجة كافية من المرونة فى عملية التفاوض مصحوبة بالقدر الكافى من الحسم الضرورى (Druckman and Mitchell, 1995).

والسؤال الشائع فى أبحاث التفاوض هو كيف تؤثر عناصر موقف التفاوض (مثلا خبرات ما قبل التفاوض والضغوط المكونة لها) فى العملية والنتائج؟. ويضيف دراكمان (Druckman,٢٠٠١) السؤال الأكثر تحديًا عن

كيفية تأثير العمليات والنتائج فى العلاقات طويلة المدى الخاصة بمرحلة ما بعد التسوية بين الأطراف وهى مسألة لها أهمية فيما يتعلق بحل الصراع. وفى الوقت ذاته، علينا أيضا أن نتساءل كيف يمكن توجيه وسائل أخرى فى مجال حل الخلاف نحو تحقيق وتنفيذ اتفاقات تكاملية تسعى إلى تحسين العلاقة بين الخصوم السابقين والمساعدة فى بناء سلام دائم.

التوسط:

عندما لا يوجد التفاوض أو حين لا يكون مجديا فى مواقف الصراع المدمر أو الممتد، يصبح رد الفعل الشائع هو أن يدخل طرف ثالث محايد الحلبة إما عن طريق الدعوة من الأطراف الأخرى وإما بمبادرة منه. وهناك نوعية عريضة من الأنشطة التى يمكن بشكل عام للوسطاء أن يقوموا بتنفيذها. حدد كريسبرج (1990) Krieseberg الأنشطة التى تتراوح بين توفير المساحة للتواصل لحفظ ماء الوجه، والمساعدة فى اختراع بدائل جديدة وإضافة موارد وتوليد الضغوط للوصول إلى اتفاق. ويعرض فيشرو كيشلى (Fisher and Keashley 1990) تصنيفاً لتدخلات الطرف الثالث تصف أدوارًا تعتبر تقريبًا متسقة مع المفردات التقليدية المذكورة بالأدبيات على المستويين المحلى والدولى. ويتم تحديد ستة أدوار فيما يتعلق بأدوارهم الأولية وعلى مقياس متصل من التحكم الذى يمارسه الطرف الثالث فى عملية ونتيجة التفاعل على حد سواء، داخل الأطراف أو بينها. ويقع التوفيق والتشاور فى الناحية الدنيا من القوة على هذا المقياس، ويتم تعريفهما أساسًا على التوالى على أنهما يوفران حلقة اتصال غير رسمية ويسهلان الحلول المبتكرة للمشاكل. وعلى الجانب الأعلى من مقياس التحكم، ينظر إلى حفظ السلام على أنه الحفاظ على وقف إطلاق النار مضافاً إليه أنشطة إنسانية وسياسية، بينما يقدم التحكيم تسوية ملزمة من جهة الطرف الثالث فيما يتعلق بالقضايا الجوهرية التى يدور حولها الخلاف.

وفى المستوى المتوسط من مقياس التحكم يقع دور الوساطة الذى يقوم به الطرف الثالث وهو - كالتوفيق والتشاور - يعتبر مقاربة غير قسرية وغير ملزمة لإدارة الصراع، ويتم بموافقة الأطراف. ويعرف التوسط بالتحديد على أنه التدخل من جهة طرف ثالث محايد، مصمم لخلق تسوية يتم التفاوض عليها وتكون مقبولة من جهة الطرفين حول القضايا الجوهرية للصراع. بالإضافة إلى ذلك، يتبع فيشر وكيشلى (Fisher and ١٩٩٠ Keashley) خطوات المنظرين الآخرين فى المجال حين يميزون بين الوساطة الخالصة ووساطة القوة. وتسعى الأولى إلى الاتفاق من خلال استخدام العقل والإقناع والتحكم فى المعلومات واقتراح البدائل. أما الثانية فتتجاوز تلك الوظائف التسهيلية، لتتضمن استخدام الضغوط فى شكل المكافآت والعقاب. وكثيرًا ما يشارك الطرف الثالث كضامن قوى للتسوية. ويمكن لهذا التمييز أن يتصل بالوظائف الأساسية للوسطاء التى قام بتعريفها توفال وزارتمان Touval and Zartman (1985) وهى أن الوساطة الخالصة تتضمن وظائف التواصل والصياغة بينما تتجاوز وساطة القوة ذلك لتتضمن المناورة. وفيما يمكن اعتبار تلك الوظيفة متماشية مع عالم سياسة القوة الذى تعمل فى سياقه، فهى تثير بالفعل مخاوف أخلاقية حول استخدام القوة من قبل أطراف ثلاثة، وكسب الاتفاقات التى تتضمن تسويات، ولكنها لا تؤدى إلى حل دائم.

وقد شهدت وسيلة الوساطة نموًا ملحوظًا فى النظرية والبحث والممارسة على مدى العشرين عامًا المنصرفة على المستويين المحلى والدولى (مثلاً Kressel Pruitt and Associates ويعرض مور Moore (1996) تغطية شاملة لتاريخ الوساطة والتعبيرات عنها فى كافة ثقافات العالم تقريبًا وكيف يمارسها نوعية من الأفراد والمؤسسات فى سياق أدوار رسمية وغير رسمية. وفى المجتمعات الغربية، شهدت العقود الثلاثة الماضية وفرة فى أدوار الوسيط لمواجهة أنواع مختلفة من الصراع، وكثيرًا ما يتم ذلك كبديل

للعمليات القانونية الرسمية الخاصة بالتقاضى والتحكيم. وعلـــى المـــستوى الدولى، للوساطة تاريخ طويل كتاريخ الدبلوماسية نفسها، كما أنها حـــصلت على مزيد من الاهتمام العلمى فى الفترات الأخيرة (مـــثلا Bercovitch and Rubin 1992). ويقدم بيركوفيتش (Bercovitch 1997 عرضـــاً مـــوجزًا لـــذلك المجال من الدراسة، مشيرًا إلى الخـــصائص الفريـــدة للوســـاطة كامتـــداد للمفاوضات من خلال وسائل أخرى. كما يجمـــع دلائـــل امبريقيـــة تـــشهد بالاستخدام المتكرر للوساطة فى العلاقات الدولية من قبـــل أشـــخاص ودول ومؤسسات عديدة. ويحدد عددًا من المتغيرات المرتبطة بفعالية الوساطة (مثلاً Bercovitch and Houston 1991). ومن الواضح أن أنشطة الوساطة لابد وأن تكون مكونًا محوريًا فى إدارة وحل الصراع، فى سعى العالم نحو آليات بديلة للردع والإخضاع وآلة الحرب.

ومع نمو الوساطة، يوجه الاهتمام إلى القضايا الصعبة العديـــدة التـــى تنشأ من خلال تدخلات الطرف الثالث فى صراعات الآخرين. ويحدد فيشر Fisher (2001) عددًا من تلك القضايا فيما يتعلق بالهوية والدوافع والخصائص ومجالات القوة الخاصة بالطرف المتـــدخل، وتوقيـــت التـــدخل وأخلاقياتـــه وفعاليته. وتصبح مسألة القابلية للتعميم الثقافى بارزة بشكل خـــاص، حينمـــا يدخل الطرف الثالث من منطلق ثقافة مختلفة ومهيمنة بالنسبة لثقافات طرفى الصراع. وتثير المسائل الخاصة بـــاللاتماثل فى القوة بين الأطراف ودخول طرف ثالث قوى، الأسئلة حول حدود قابلية وسائل التدخل للتطبيـــق. ويـــتم الآن تحدى الرأى التقليدى الخاص بالطرف الثالث المحايد، من خلال القـــول بفعالية الوسطاء المتحيزين الذين قد تساعد مصالحهم فـــى الوصـــول إلـــى تسوية. وتثير المسألة الخاصة بالتوقيت أسئلة خاصة بعما إذا كان ينبغى على الصراعات أن تصل إلى مستوى من الدمار ونقطة الطريق المسدود قبل أن يبدى الأطراف استعدادهم للتخلى عن إجراءاتهم القسرية المتخذة من جانـــب

واحد للسعى وراء حل وسط. إن فعالية الوساطة تعد من القضايا ذات الأهمية الكبيرة، فى ضوء الدراسات عن التدخلات المحلية التى تحقق درجة أعلى من النجاح مقارنة بمعدلات النجاح على المستوى الدولى، خاصة فيما يتعلق بالصراعات العرقية السياسية الممتدة حول موضوع الهوية والحوكمة. وأخيرًا، تعتبر أخلاقيات التدخل أحد الهواجس المستمرة، التى يمكن تناولها من خلال تطوير الوساطة كشكل من أشكال الممارسة المهنية بصرف النظر عن المنبر الذى تمارس فيه. ولابد من تناول كافة هذه القضايا، حتى تستطيع الوساطة والأنواع الأخرى من تدخلات الأطراف الثلاثة من تحقيق إمكانياتها للحد من القدرة البشرية على الدمار وتسهيل التحول الاجتماعى نحو مزيد من التناغم والإنصاف والعدالة.

الحل التفاعلى للصراع:

تعتبر الإحباطات التى حدثت فى سياق تحقيق التسويات التى يدور بشأنها التفاوض والفشل فى جهود الوساطة خاصة فى الصراعات العرقية السياسية المعقدة، جزءًا من الدافع نحو استطلاع وسائل بديلة أخرى لحل الصراع لا تنبع من الافتراضات الواقعية حول العلاقات الدولية. ويرجع لجون بيرتون John Burton الفضل ليس فقط فى تحدى النموذج الأساسى المهيمن عن الواقعية، ولكن أيضا فى خلق مقاربة لحل المشاكل فى اتجاه تحليل وحل الصراعات الدولية أسماها بالتواصل المحكوم. (Burton, 1969) ووفقًا لوسيلة بيرتون، يتم جمع ممثلين على مستوى رفيع، يمثلان أطراف الصراع المدمر فى مناقشات غير رسمية مع ممثلين عن الطرف الثالث، تضم علماء اجتماعيين يعملون من أجل بناء مناخ مفتوح وداعم يسمح للمتخاصمين بتحليل مواقفهم وفحص إدراكاتهم وتقييماتهم وخلق خيارات مقبولة من قبل الطرفين عن حل الصراع. وقد كان هريرت كلمان

Herbert Kelmanعضو مجموعة المشرفين فى إحدى ورش العمل الأولى عن الصراع فى قبرص وانطلق إلى تطوير وسيلته الخاصـــة بالحـل التفــاعلى للمشاكل الذى نصفه فى الجزء التالى بالإشارة إلـى الـصراع الإسـرائيلى الفلسطينى. وقد قام ليونارد دووب Leonard Doob بتجربة تطبيـق وسـائل تدريب العلاقات الإنسانية على الصراعات المدمرة فـى القـرن الأفريقـى وشمال أيرلندا (Doob, 1970; Doob El Toltz, 1973) ويعرض فيـشر (Fisher 1972, 1983) نوعية من التدخلات والدراسات التى طبقت هذه الأنـواع مـن الوسائل على الصراع بين المجموعات والـصراع الـدولى (Fisher 1972, 1983)، كما قام أيضا بتطوير نموذج شامل عن تشاور الطرف الثالث لتمثيل المكونات الضرورية للمقاربة.

وقام فيشر (Fisher 1997) مؤخرًا بالإمساك بناصية أعمـال بيرتـون وكلمان وآخرين فى سياق قاعدة الحل التفـاعلى للـصراع الـذى يعـرف كمناقشات لحل المشاكل تتم فى مجموعة صغيرة بين الممثلين غير الرسميين لمجموعات أو دول الهوية المنخرطة فى صراع مدمر، ويقوم بتسهيل مهمتها طرف ثالث محايد من العلماء الاجتمـاعيين الممارسـين (ص٨). ونظـرًا لانتشار الوسائل التفاعلية على مدى العقد الماضى، يقدم فيشر (Fisher 1997) أيضا نظرة أكثر عمومية للحل التفاعلى للصراع على أساس أنـه يتـضمن أنشطة يتم تسهيل أجرائها وتنطوى على تواصل وجهًا لوجه، وتدريب وتعليم أو تشاور يدعم التحليل التعاونى للصراع وحل المـشكلات بـين الجهـات المتناحرة. وفى أى من الحالتين تستند الوسيلة إلى افتراضات اجتماعية نفسية عن الصراع بين المجموعة والصراع الدولى التى ترى أهمية العوامل الذاتية (المواقف والإدراكات والعواطف) بالإضافة إلى العناصر الموضوعية التـى تقترح أن التفاعل ذا المعنى بين الأطراف المتصارعة هو شرط ضـرورى لإزالة التصعيد كما هو شرط ضرورى للتصعيد. إلا أن الوسيلة تتخذ أيـضا

وجهة نظر المنظومة، إذ إن أية تغييرات فى الأفراد تتم فــى ســياق ورش عمل حل المشاكل، أو أية ملتقيات تفاعلية أخرى، لابد أن تتحول بنجاح إلى مستوى الخطاب السياسى وصنع السياسات حتى تحدث أية آثار إيجابية. حل الخلاف التفاعلى هو إذن شكل من أشكال الدبلوماسـية غيــر الرســمية أو دبلوماسية الــمسار الثانى (Montville 1987) التى اكتسبت رواجها الأول من خلال المساهمات التكميلية التى يمكن أن تقدمها للجهــود الرســمية لــصنع السلام. وفى نفس الوقت، تكتسب الوسائل التفاعلية أهمية أكبــر فــى بنــاء السلام فى مرحلة ما بعد الصراع، للمساعدة فى تنفيذ التسويات وإعادة بنــاء العلاقات التى مزقتها الحروب حتى يتم منع دورات إعادة تصعيد العنف.

وهناك نوعية عريضة من الأشكال المختلفة للحل التفاعلى للــصراع بالإضافة إلى نموذج ورش العمل الكلاسيكية لحل المشاكل الذى قام بيرتون (Burton 1987) وميتشل (Mitchele 1981) وكلمان (Kelman, 1986) وعــازار (Azar 1990) وفيشر (Fisher 1986) وآخرون بتحديده. وقد قام فاميك فولكــان Vamik Volkan وزملاؤه بتطوير مقاربة سيكوديناميية تسعى إلى فهم وتحسين الصراع العرقى السياسى بين المجموعات المتناحرة فى الجماعات الداخلية. ويصرح فولكان (١٩٩١) بأنه لابد من تناول العمليات النفسية الأكثر عمقًا، مثل الإسقاط واتخاذ صورة الضحية victimization، بالإضافة إلــى القــضايا السياسية والاقتصادية. وقام بتطوير منهجية لورشــة عمــل لجمــع أفــراد المجموعات المتصارعة من ذوى النفوذ، لبناء علاقات قابلة للعمل وتطــوير خيارات مقبولة من أطراف النزاع. وقد تم تطبيق المقاربــة بنجــاح علــى الصراع العربى الإسرائيلى (Julius 1991) وعلى صــراعات أخــرى فــى جمهوريات البلطيق فى الاتحاد السوفيتى سابقًا بين الــسكان مــن الأغلبيــة والأقليات الروسية (Volkan and Harris 1993). وعلى الرغم مــن اخــتلاف الأسس السيكوديناميية التى اتبعها فولكان عن أســس النمــوذج الاجتمــاعى

النفسى، فإن تصميم الورش ودور ميسرى الطرف الثالث متشابه بدرجة كبيرة.

وقد قام هارولد سوندرز Harold Saunders، الدبلوماسى الأمريكى وصانع السياسات السابق بتطوير شكل آخر من أشكال الحل التفاعلى للخلاف. وكان سوندرز قد نشط كعضو من أعضاء فريق الطرف الثالث فى ورش العمل التى نظمها فولكان وكيلمان كما كان منخرطًا لسنوات عدة فى مؤتمردار تموث Dartmouth حيث سعى إلى جمع المسئولين السوفيت (الروس الآن) والأمريكان من ذوى النفوذ، للاشتراك فى حوار مواطن لمواطن. كما خدم كرئيس مشارك لمجموعة عمل الصراع الإقليمى التى فحصت تفاعل القوى العظمى فى الأماكن الساخنة أثناء الحرب الباردة كوسيلة من وسائل فهم العلاقة بين البلدين. وقام تشوفرين Chufrin وسوندرز Saunders (١٩٩٣) بطرح تصورًا لعملية سلام عامة تتضمن خمسة مراحل من الحوار غير الرسمى بين المجموعات المتصارعة. وعقب نهاية الحرب الباردة، عمل سوندرز ورندا سليم Randa Slimمع زملاء أمريكان وروس لتطبيق نموذج الحوار بدرجة كبيرة من النجاح على الحرب الأهلية فى جمهورية طاجكستان السوفيتية سابقا (Saunders 1995). وبناء على هذه التجربة وتجارب أخرى بما فى ذلك الحوار عن العلاقات العرقية فى الولايات المتحدة الأمريكية، قام سوندرز (١٩٩٨) بصياغة نموذج قابل للتطبيق بشكل كبير، لتسهيل الحوار المستمر بين أعضاء المجموعات المتناحرة.

وقد ساهم عدد من الدارسين الممارسين فى تطوير وسائل للحوار داخل المجتمعات من شأنها أن تعود بالفائدة فى التطبيق على الصراعات العرقية السياسية على المستوى الدولى. وتتجه هذه الأشكال من الحلول التفاعلية للصراع إلى إشراك الأعضاء العاديين من المجموعات المتصارعة

- أو نظرائهم فى الشتات المهتمين بهذه الأمور إن لم يكونوا من ذوى النفوذ فى صنع السياسات، ولكنهم يمثلون المشاعر الشكلية للأطراف المتصارعة. ويتجه مثل هذا الحوار إلى التركيز بشكل أكبر على تطوير التفاهم المتبادل من خلال تحليل الصراع بدلاً من خلق حلول بديلة للصراع. إلا أن هذا الحوار قد يؤدى إلى خيارات خاصة بالسياسات تستدعى تحركات مفيدة لإزالة التصعيد من قبل الأطراف المشاركة أو المهتمة. وقد أطلق لويس كريسبرج وزملاؤه مبادرة حوار الشرق الأوسط فى منطقة سيراكيوز فى بداية الثمانينيات من أجل جمع الأمريكيين من اليهود والعرب معًا فى محاولة لزيادة التفاهم المتبادل وتطوير أفكار خاصة بالسياسات لتستخدمها الحكومة الأمريكية فى تحسين العلاقات الإسرائيلية الفلسطينية. ويعرض ريتشارد شوارتز (1989) Richard Schwartz وصفًا مفيدًا لعملية الحوار التى تنطوى على قدر كبير من التحدى، وعرضا قيمًا للأساس المنطقى والإجراءات المنهجية التى تم تطويرها. والمثل الآخر عن إقامة عمليات حوار هيكلية يأتى من أعمال ريتشارد تشازين Richard Chasin وزملائه. وكان تشازين يعمل سابقًا بمركز علم النفس والتغير الاجتماعى ويعمل الآن بمشروع الحوارات العامة. وتعد مقاربة تشازين التى تجد جذورها فى علاج النظم الأسرية[١٩٢] Family system therapy عملية منظمة لزيادة التفاهم بين الأطراف المتنازعة وإقامة التعاون عبر خطوط الصراع.

وقد تم تطبيق النموذج فى أول الأمر على العلاقات الأمريكية السوفيتية خلال الحرب الباردة، ثم تم تطويره من خلال التطبيق على نوعية عريضة من الصراعات الأخرى، بما فى ذلك مسألة الإجهاض فى الولايات المتحدة الأمريكية (Chasing and Herzig, 1993; Chasin et al. 1996). وتقدم هذه

---

(١٩٢) نوع من أنواع العلاج النفسى. يطلق عليه اختصارا العلاج الأسرى ويقوم على معالجة المشكلات النفسية من خلال لقاء الزوجين أو الأسرة كاملة مع المعالج النفسى فى جلسات جماعية (المراجع)

الأمثلة وأمثلة أخرى عديدة عن مشاريع الحوار مصدرًا غنيًا لتطوير منهجية شاملة للحوار يساهم بشكل كبير فى إثراء مجال الحل التفــاعلى للــصراع .(Fisher 1997)

ورش عمل حل المشاكل

من أجل توضيح العملية الدقيقة للحل التفاعلى للصراع ســوف نقــوم بوصف ورش عمل حل المشاكل التى نظمها هربرت كلمان وزمــلاؤه مــع أفراد من الإسرائيليين والفلسطينيين ذوى النفوذ بدءا من بدايـــة الــسبعينيات Kelman, 1992, 1998b; Kelman and Cohen, 1976; Rouhana and Kelman, (1994. وتعتمد مقاربة كيلمان للحل التفاعلى للمشاكل (Kelman, 1986,1998a على أعمال جون برتون (راجع أيــضا Kelman 1972 – .1969, 1979, 1984 1987 وهى أعمال تستند إلى أساس أكاديمى ومقاربة غير رســمية للطــرف الثالث لحل النزاعات تجد أصولها فى المبادئ الاجتماعية النفسية. فهى تجمع أعضاء من الأطراف المتصارعة من ذوى النفوذ السياسى للتواصل المباشر الذى تقوم بالتنسيق له هيئة من العلماء الاجتماعيين من ذوى الخبــرة فــى العمليات الجماعاتية، والصراع الدولى، فضلا عن الإقليم المحدد الذى يتم فيه الصراع. والهدف الأخير من الحل التفاعلى للمشكلة هو دعم تغيير الأفــراد من خلال التفاعل المباشر وجهًا لوجه، فى مجموعــات صــغيرة (Kelman 1997a) كوسيلة لتغيير السياسات الوطنية ونظام الصراع الأوســع. إن لــب العمل هو عمليات دقيقة محددة أفضل تمثيل لهــا هــو ورش العمــل لحــل المشاكل، التى تهدف إلى المساهمة فى العمليات الدقيقة لحل الصراع.

العلاقة بالمفاوضات:

إن ورش العمل لحل المشاكل والأنشطة المرتبطة بها ليست جلــسات للتفاوض. فالمفاوضات يمكن أن تجرى فقط من خلال المسئولين المخول لهم

سلطة إبرام الاتفاقات الملزمة. أما ورش العمل، فهى – بالتعريف – غير ملزمة إطلاقًا. وحقيقة الأمر أن تلك الطبيعة غير الملزمة لورش العمل هى مصدر قوتها الخاصة وهى مصدر مساهمتها الفريدة للعملية الأكثر اتساعًا. فهى تقدم فرصة لتقاسم وجهات النظر واستطلاع الخيارات والتفكير المشترك. إن مثل هذا التفاعل الاستطلاعى ضرورى للمفاوضات فى كافة مراحلها ولكنه صعب التنظيم فى سياق رسمى خاصة حول مائدة المفاوضات.

وعلى الرغم من أن ورش العمل لابد وأن يتم التمييز بوضوح بينها وبين المفاوضات الرسمية، فإنه يمكن اعتبارها جزءًا لا يتجزأ من عملية التفاوض الأوسع، فى كافة مراحل هذه العملية. ففى مرحلة ما قبل التفاوض، يمكن أن تساهم الأطراف على الانطلاق قدمًا فى اتجاه مائدة المفاوضات عن طريق المساهمة فى خلق البيئة السياسية المواتية للتفاوض. أما فى مرحلة التفاوض ذاتها، فيمكن أن تعود بالفائدة فى أداء وظائف محاذية للمفاوضات، أى المساهمة فى التغلب على العقبات التى تواجه المفاوضات وخلق الزخم وإحياء الإحساس بالإمكانية وتجديد الخيارات وإعادة تأطير القضايا حتى يمكن التفاوض حولها بشكل أكثر فعالية حين تصل إلى المائدة. وأخيرًا، يمكن لورش العمل أن تساهم فى مرحلة ما بعد التفاوض على حل المشاكل فى تنفيذ الاتفاقات التى تم التفاوض حولها علاوة على عملية بناء السلام والتوفيق فى أعقاب الاتفاق وتغيير العلاقة بين الأعداء السابقين.

التجارب الإسرائيلية الفلسطينية:

سعت أعمال كيلمان وزملائه عن الصراع الإسرائيلى الفلسطينى إلى المساهمة فى كافة المراحل الثلاث من عملية التفاوض على مدى الأعوام. وقد تم تنظيم كافة ورش العمل فى السبعينيات والثمانينيات بطبيعة الحال، فى

مرحلة ما قبل التفاوض. كما صممت لاستطلاع احتمالات الاتجاه نحو مائدة التفاوض. وقد تم تنظيم نوعية عريضة من ورش العمل خلال تلك الفترة من سياقات مختلفة ومع أنواع متباينة من المشاركين. إلا أن كافة المشاركين كانوا أعضاء (أو أصبحوا بالفعل أعضاء فيما بعد) فى النخبة السياسية. وقد ضموا فاعلين سياسيين مثل البرلمانيين وزعماء أو نشطاء فى الأحزاب السياسية أو الحركات السياسية وأفراد من ذوى النفوذ السياسى مثل الصحفيين والمحررين ومديرى مراكز الأبحاث والأكاديميين ذوى النشاط السياسى والدبلوماسيين السابقين أو العسكريين وأفراد واعدين مثل طلبة الدراسات العليا فى المراحل المتقدمة ممن يبدون اهتمامًا بالانطلاق نحو الوظائف المهمة سياسيًا (وقد أصبح بعضهم بالفعل من ذوى النفوذ السياسى مع تقدمهم فى مسارهم المهنى). بالإضافة إلى ذلك، كانت كافة ورش العمل التى نظمت فى ذلك الوقت من أحداث "المرة الواحدة" أى أن مجموعة الإسرائيليين والفلسطينيين التى اشتركت فى ورشة عمل معينة، التقت فقط فى هذه المناسبة على مدى عطلة طويلة لنهاية الأسبوع. واشترك بعض الأفراد فى أكثر من واحدة من تلك الورش، كما كان لورش العمل التى عقدت مرة واحدة على مدى الأعوام تأثير تراكمى فى المجتمعين حيث ساعدت على ضخ أفكار جديدة فى الثقافتين السياسيتين. إلا أنه حتى عام ١٩٩٠ لم تحدث أية محاولة لإعادة انعقاد نفس المجموعة من المشاركين فى مناسبة أخرى.

وفى عام ١٩٩٠، ولأول مرة فى هذا البرنامج، نظم كيلمان ونديم روحانة Nadim Rouhana ورشة عمل مستمرة من مجموعة من الإسرائيليين والفلسطينيين من ذوى النفوذ – ستة على كل جانب – واتفقوا على المشاركة فى سلسلة من ثلاثة لقاءات على مدى عام. وفى النهاية، استمروا فى اللقاء (مع بعض التغييرات فى الأفراد) حتى أغسطس / آب ١٩٩٣ (Rouhana El

(Kelman 1994. وما حدث هو أنه مع بداية المفاوضات الرسمية فى ١٩٩١، أولا فى مدريد. ثم فى واشنطون، مثلت ورشة العمل المستمرة هذه أول تجربة للمنظمين مع الحل التفاعلى للمشاكل كعملية تسير بمحاذاة المفاوضات. وزادت الأهمية السياسيية لهذا العمل بعد تعيين أربعة من المشاركين الفلسطينيين الستة فى مراكز حيوية فى فرق التفاوض الرسمية وذلك فى عام ١٩٩١، وتعيين عدد من المشاركين الإسرائيليين فى عام ١٩٩٢ فى مناصب دبلوماسية ووزارية فى حكومة رابين. وعند هذه النقطة، اضطر بعض المشاركين إلى ترك المجموعة إذ رأوا أن هناك تعارض مصالح بين أدوارهم فى العملية الرسمية وغير الرسمية (Kelman, 1998b, pp 19-20).

وقد ساعدت هذه الورشة من السبعينيات وحتى أوائل التسعينيات، بالإضافة إلى أنشطة غير رسمية أخرى، على تهيئة الجو لاتفاق أوسلو فى سبتمبر ١٩٩٣ (Kelman, 1995, 1997d). كما ساهمت تلك الجهود فى إعداد أفراد مهيئين لتنفيذ المفاوضات المنتجة من خلال اقتسام المعلومات وصياغة أفكار جديدة ساهمت فى تقديم مدخلات جوهرية فى المفاوضات، كما جعلت الأطراف منفتحين لإقامة علاقة جديدة من خلال دعم بيئة سياسية.

وبعد اتفاق أوسلو، بادر كيلمان وروحانه بإطلاق مشروع جديد وهو مجموعة العمل المشتركة الخاصة بالعلاقات الإسرائيلية الفلسطينية التى التقت بشكل منتظم بين ١٩٩٤ و١٩٩٩. ولأول مرة فى سياق هذا البرنامج، حددت مجموعة العمل لنفسها هدف إصدار وثائق مكتوبة وأوراق نظرية مشتركة عن مفاهيم مختلف القضايا فى مفاوضات الوضع النهائى، من زاوية ما هو مطلوب من أجل إقامة علاقة سلمية طويلة المدى ومفيدة للمجتمعين. فقد اتجهت نية المجموعة إذن إلى المساهمة فى المفاوضات نفسها وفى عملية ما بعد المفاوضات الخاصة ببناء السلام وإعادة الوفاق. وقد تم إصدار

ثلاث ورقات عن المبادئ العامة لمفاوضات الوضع النهائى (مجموعة العمل المشتركة – عن العلاقات الإسرائيلية الفلسطينية ١٩٩٨)، ومشكلة اللاجئين الفلسطينيين وحق العودة (Alpter and Shikaki 1998)، ومستقبل العلاقات الإسرائيلية الفلسطينية (مجموعة العمل المشتركة ١٩٩٩). وكان العمل قد أوشك على الانتهاء فى ورقة رابعة عن المستوطنات الإسرائيلية، إلا أنها لم تنشر بعد.

الغرض الثنائى:

الوصف الأمثل لورش العمل التى تسعى إلى حل المشكلات هو أنها "ورش" بالمعنى الحرفى للكلمة، أى أنها توفر مساحة تم تشييدها بشكل خاص يسمح للأطراف بالانخراط فى عملية استطلاع وملاحظة وتحليل وابتكار منتجات جديدة يمكن تصديرها إلى الحلبة السياسية. فلورش العمل إذن غرض ثنائى، فهى مصممة أولاً لإنتاج التغيير والتعلم الجديد فى شكل فهم جديد وبصائر جديدة وأفكار جديدة لحل الصراع موجهة نحو الأفراد أنفسهم المشاركين فى ورش العمل، وثانيا، نقل هذه التغيرات إلى عملية السجال السياسى واتخاذ القرار فى المجتمعين. وبإمكان المشاركين كأفراد توصيل آرائهم المتبصرة وأفكارهم من خلال الكتابة والمحاضرات والأنشطة السياسية أو المشورة التى يقدمونها لصناع القرار وذلك حسب وضعهم الخاص فى المجتمع. وقد اتخذ المشاركون فى مجموعة العمل المشتركة خطوة إضافية، بتضمين تلك الآراء والأفكار فى أوراق تم توفيرها لصناع القرار والنخب السياسية والعامة، مع انتقال الجانبين إلى مفاوضات الوضع النهائى.

وإحدى العواقب النظرية والعملية – لورش العمل ذات الغرض الثنائى هى أن الغرضين قد يخلقان متطلبات متناقضة وأفضل الأمثلة الدالة على هذه

العلاقة الجدلية للحل التفاعلى للمشاكل هو فى اختيار المشاركين. فالانتقال إلى العملية السياسية يصل حده الأقصى من خلال المسئولين القريبين لجهاز صنع القرار ممن هم فى وضع يسمح لهم بالتطبيق الفورى لما تعلموه. ومن ناحية أخرى، يصل التعبير إلى حده الأقصى من خلال المشاركين البعيدين عن عملية اتخاذ القرار ممن هم أقل تقييدًا فى تفاعلهم وأكثر حرية فى اللعب بالأفكار واستطلاع السيناريوهات الافتراضية. ومن أجل تحقيق التوازن بين هذه المتطلبات المتضاربة، ركز الاختيار على المشاركين من غير المسئولين ولكن ممن يتمتعون بالنفوذ السياسى، إذ إنهم أكثر حرية نسبيًا للانخراط فى العملية، ولكن فى نفس الوقت أى أفكار جديدة يطورونها خلال فترة الورشة، يمكن أن يكون لها أثر على تفكير صناع القرار والمجتمع بشكل أوسع.

قواعد الملعب الخاصة بالتفاعل:

تتبع ورش عمل حل المشكلات مجموعة من قواعد اللعب يتم تقديمها للمشاركين بدرجة كبيرة من التفصيل. وأما القاعدة المركزية فى الملعب، فهى مبدأ الخصوصية والسرية. ففى ورش العمل الإسرائيلية الفلسطينية الأولى، كان للسرية أهمية خاصة لحماية المشاركين حيث إن مجرد لقاء العدو كان أمرًا مثيرًا للجدل يعرضهم للمخاطر السياسية والقانونية وحتى الجسدية. إلا أن السرية مهمة أيضا لحماية العملية التى تسعى ورش العمل للنهوض بها. وقواعد اللعب مصممة بشكل يسمح للمشاركين بالتحدث والإنصات لبعضهم البعض، بدلا من التركيز على مجتمعاتهم أو الجمهور أو الأطراف الثلاثة أو التسجيل، إذ يطلب منهم التفكير بصوت عال وتجربة الأفكار واستطلاع الخيارات المختلفة بدون الحاجة إلى التفكير فى رد فعل الآخرين، إذا ما تم نشراقتباس تصريحاتهم ونشرها خارج المكان. ولهذا ليس هناك جمهور، ولا دعاية ولا تسجيل ولا نسب للتصريحات. فالتركيز فى

الأطراف الأخرى يمكن أن يشجع المشاركين على الدخول فـي نـوع مـن التفاعل يكون بشكل عام غير ممكن بين الأطراف المنخرطة فـي صـراع مرير – نوع من التفاعل ينحرف بالفعل عن معايير الصراع التى عادة مـا تحكم سلوكهم –. تفاعل تحليلى وليس هجوميًا، أى تفاعل تسعى الأطـراف من خلاله إلى استطلاع وجهات نظر بعضها البعض واكتساب بصيرة عـن مسببات وديناميات الصراع، وتفاعل يسعى إلى حل المشكلات بدلا مـن أن يكون خصاميًا، أى أن الأطراف تتخطى المحاولة المعتـادة لإلقـاء اللـوم، وتعتبر الصراع، بدلاً من ذلك، مشكلة مشتركة تستدعى جهدًا مشتركًا لإيجاد حل مرض لكافة الأطراف.

وإحدى قواعد اللعب الأخرى هى أنـه علـى النقـيض مـن جلـسة المفاوضات، ليس هناك أية توقعات خلال ورشة العمل أن تصل الأطـراف إلى اتفاق. وكما هو الحال فى أى جهد يسعى إلى حل الخلاف، هناك مصلحة فى إيجاد أرض مشتركة، إلا أن حجم الاتفاق الذى يتم الوصول إليـه فـى النقاش ليس بالضرورة مقياسًا لنجاح المشروع. فإذا توصل المشاركون إلى فهم أفضل لوجهة نظر الآخر، والأولويات الخاصة به وديناميات الـصراع، تكون الورشة قد حققت الغرض منها حتى وإن لم تصدر مخططًـا تمهيـديًا لاتفاقية سلام. وقد كانت مجموعة العمل المشتركة استثناء فى هذا الـشأن إذ كان الغرض منها إنتاج أوراق مشتركة، على الرغم من أنـه حتـى هـذه الأوراق لا تخرج بحل واحد متفق عليه، بينما تـستطلع خيـارات مختلفـة وتسعى إلى إعادة تأطير القضايا. وتختلف مجموعة العمل المشتركة أيـضا عن الأنشطة السابقة فى أن المشاركين أعلنوا إصدار تلـك الأوراق كاملـة علانية على الملأ، إلا أنه قد تم الالتزام بمبدأ السرية بصرامة، حتى مرحلـة النشر.

إلا أن إحدى قواعد اللعب الأخرى تدعو إلى المساواة بـين الطـرفين داخل سياق ورشة العمل، فغياب التناسق فى القوة والوضـع الأخلاقـى أو السمعة تلعب بوضوح دورًا فى الصراع ولابد أن تؤخذ فى الاعتبار فى أية مناقشات داخل الورشة. إلا أن الطرفين يقفان على قدم المساواة فى الورشة بمعنى أن كلاً منهما يتمتع بالحق فى الاهتمام بحاجاته ومخاوفه وهواجسه. وفقًا لقواعد الورشة، لا يحق للمشاركين الإسـرائيليين دحـض المخـاوف الفلسطينية على أساس أن الفلسطينيين هم الطرف الأضـعف وعلـى هـذا الأساس فإن موقفهم أضعف من حيث وضع المساومة. وبنفس المنطـق، لا يجوز للمشاركين الفلسطينيين أن يتجاهلوا المخاوف الإسرائيلية على أسـاس أن الإسرائيليين هم المعتدون وعلى ذلك لا يستحقون التعاطف. فلكل طـرف من الطرفين الحق فى الاستماع إليه خلال الورشة ولابد من مـنح حاجـات ومخاوف كل من الطرفين درجة متساوية من الاهتمام فى البحث عن حـل يرضى الطرفين.

أما القاعدة الأخيرة للعب، فتتعلق بالدور التيسيرى للطـرف الثالـث. فالطرف الثالث وفقًا لهذا النموذج لا دور له فى المناقـشات الجوهريـة ولا يعطى المشورة ولا يقدم اقتراحات ولا يتبنى مواقف مؤيدة لأى من الطرفين ولا يسعى إلى تقييم الأفكار المقدمة ولا يحكم بين التفسيرات المختلفة للحقائق التاريخية أو القانون الدولى. فمهمته هى خلق الظروف التى تسمح للأفكـار الرامية إلى حل الخلاف إلى الخروج من التفاعل بين الأطراف أنفـسها، إلا أن التيسير الذى يقوم به الطرف الثالث هو جزء مهم من العملية. فـالطرف الثالث يؤسس قواعد اللعب ويراقب الالتزام بها ويساعد على استمرار النقاش فى اتجاهات بناءة ويسعى إلى التحفيز على الحركة ويتدخل إذا دعت الحاجة، فإثارة الأسئلة وإبداء الملاحظات وحتى التحديات المتعلقة بمحتوى وعمليـة التفاعل، كما يؤدى وظيفته كمستودع لثقة الطرفين اللذين، كما هو معروف،

لايثقان ببعضهما البعض فيشعران بالأمان فى المشاركة لأنهما يثقان فى الطرف الثالث وفى قدرته على الحفاظ على السرية وحماية مصالحهما.

أجندة ورشة العمل:

وفقًا لورشة العمل النموذجية التى تنظم لمرة واحدة يكون جدول الأعمال مفتوحًا نسبيًا ولا يتبع هيكلاً معينًا فيما يتعلق بالقضايا الجوهرية محل النقاش. إلا أن أسلوب تناول تلك القضايا وترتيب مناقشتها منظم بشكل يسهل على تقديم نوع الخطاب التى صممت قواعد اللعب لتشجيعه. ويتصف جدول الأعمال داخل لقاءات ورشة العمل وبين أحداثها المستمرة بوجود هيكل مماثل مع إضافة بعض التعديلات الضرورية.

وتكرس عادة أول جلسة نقاش فى أية ورشة عمل لتبادل المعلومات بين الجانبين، مما يساعد على إذابة الجليد والتمهيد لنوع التبادل الذى تسعى ورشة العمل إلى إفرازه. فيطلب من كل طرف أن يتحدث عن الوضع فى الواقع وعلى الحالة المزاجية الراهنة داخل مجتمعه وعن قضايا النزاع كما يتصورها المجتمع وعن مدى الآراء عن الصراع وحله وعن مواقع المشاركين داخل هذا الإطار. ومن شأن مثل هذا التبادل أن يقدم أساسًا مشتركًا لتبادل المعلومات، كما يؤسس سابقة يقوم الطرفان بموجبها بالتعامل مع بعضهما البعض على أساس أنهما موارد متبادلة وليس فقط كمتحاربين

وفى أعقاب نقاش الافتتاح، يتكون لب جدول أعمال ورشة العمل من أربعة أجزاء. يبدأ الجزء الأول بتحليل للحاجات يطلب من خلاله من كل من الطرفين أن يناقشا مخاوفهما المركزية فى النزاع، وحاجاتهما الأساسية التى يتعين تناولها، والمخاوف الوجودية التى يجب التخلص منها إذا ما كان الحل مرضيًا لهما. كما يطلب من الطرفين ألا يناقشا القضايا المثارة ولكن يمكن لهما طلب توضيح ما يقوله الطرف الآخر. والغرض هو أن يكتسب كل من

الطرفين قدرًا كافيًا من الفهم عن حاجات ومخاوف وهواجس الطرف الآخر من وجهة نظره. وبمجرد أن يظهرا أنهما يتفهمان حاجات بعضهما البعض بدرجة كبيرة، تنتقل ورشة العمل إلى المرحلة التالية من جدول الأعمال وهى مرحلة التفكير المشترك عن الحلول المحتملة. والمهمة الطبيعية التى يتولاها الطرفان فى هذه المرحلة، هى تطوير الأفكار عن الشكل العام لحل للصراع برمته من خلال عملية تفاعلية، أو ربما قضية معينة فى الصراع يمكن أن تتناول حاجات ومخاوف الطرفين.

ومع تطوير المشاركين لأرضية مشتركة في سياق هذه العملية من التفكير المشترك، يتجهان إلى المرحلة التالية من الورشة أى مناقشة العوائق السياسية والنفسية فى المجتمعين التى من شأنها أن تخلق حواجز تحول دون تنفيذ أفكار الحل التى طورتها المجموعة. وتعتبر هذه الخطوة جزءًا مهمًا للغاية من النقاش حيث إن أطراف الصراع عادة ما يجدون صعوبة بالغة فى فهم العوائق على الجانب الآخر أو حتى الإقرار بأن الطرف الآخر، يواجه قيودًا مثلها. ولكن من الأفضل ترك النقاش عن القيود إلى مرحلة تالية حتى لا تعطل العملية الخلاقة للإفراز المشترك لأفكار جديدة. وأخيرا، وحسب كم التقدم الذى تم إحرازه والقدر المتبقى من الوقت، يطلب من الطرفين أن يشاركا فى دورة أخرى من التفكير المشترك. وهذه المرة عن وسائل التغلب على العوائق المقدمة. ويطلب من المشاركين الخروج بأفكار جديدة عن ما يمكن لهما ولحكوماتهما ومجتمعاتهما أن تفعله – بشكل مشترك أو فى المستقبل للمساعدة فى التغلب على الحواجز التى تعوق التفاوض حول الجدول المرضى للطرفين.

التحديات التى تواجه هذا المجال:

يعتبر تحليل الصراع وحله على أساس اجتماعى علمى مع وجود توجه للممارسة المهنية، مجالاً جديدًا نسبيًا. فبالإضافة إلى أنه يواجه العديد من

القضايا الصعبة فضلاً عن تصلب الظواهر التى يتناولها، لابد له أن يواجه عدة مسائل صعبة ويتغلب عليها. وفى الجزء التالى سوف نعرض بإيجار عددًا من أهم تلك القضايا.

الثقافة والنوع الاجتماعى:

على الدارسين والممارسين فى مجال حل الخلاف أن يأخذوا الأسئلة الخاصة بتأثيرات الثقافة والنوع الاجتماعى على محمل الجد (Avruch, 1998; Taylor and Miller 1994) ومن غير المناسب افتراض كونية المفاهيم والوسائل بصرف النظر عن البيئة المجتمعية التى تطبق فيها. فلكل مجتمع ثقافة الصراع الخاصة به التى تتضمن المعتقدات والممارسات والمؤسسات التى تقوم بإدارة الخلافات والتى تؤثر فى ما يعرف بالصراع وكيفية تناوله (Ross, 1993a). وتلعب الثقافة دورًا مهما فى تأثيرها على أساليب التفاوض وأدوار الطرف الثالث والممثلين والوسطاء الذين يعملون عبر الحدود الثقافية بالحساسية تجاه ثقافتهم الخاصة والفهم عبر الثقافى حتى يتمكنوا من التفاعل بشكل مناسب وفعال. والخطوة الأولى هى القيام بتحليل ثقافى للموقف حتى يمكن تفهم آثار التباينات الثقافية على التعبير عن الصراع بشكل جيد. (Avruch El Black 1993). ويمكن الإشارة إلى نقاط مثيلة عن اختلافات النوع الاجتماعى كما يتم التعبير عنها فى الصراع، خاصة بالنظر إلى الطبيعة والتراتبية الأبوية لمعظم المجتمعات التى تتضمن بدورها تباينات معنوية فى الوضع والقوة. ويقارن التحليل القائم على اختلافات النوع الاجتماعى التى تخلقها التنشئة التقليدية بين المقاربة التنافسية، والخصومة التى يهيمن عليها الذكور والمستندة إلى الحقوق من ناحية، والمقاربة الأخرى القائمة على الأسلوب التعاونى، ذات اللمسة الأنثوية الحانية والتوجه الذى يركز على العلاقات. إلا أن الأبحاث فى أمريكا الشمالية تتجه إلى نبذ الدعم لتلك

الخلافات بوضوح فى دراسات التفاوض أو الوساطة (Keashly 1994; Stamato 1992) وربما يعود السبب فى ذلك إلى أن متغير الجنس البيولوجى كثيرًا ما يتم خلطة بمفهوم النوع الاجتماعى وهو مفهوم مبنى اجتماعيًا. ومع ذلك، هناك ما يشير إلى أن أسلوب النساء فى الدخول إلى تحليل وحل الصراع يختلف عن أسلوب الرجال وهو أمر له دلالات على تركيز ونتائج النشاط. فعلى سبيل المثال، استنادًا إلى تحليل ورش عمل الحل التفاعلى للمشاكل، استنتج ديستريه d'Estree وبابيت (1998) Babitt أن النساء يتجهن إلى الانخراط فى حالة عميقة من الكشف عن الذات تؤدى إلى التعاطف مع العدو وإقرار متبادل بالمخاوف، مصحوبة بتوجه نحو بناء العلاقات وقدرة على إظهار القضايا العاطفية والاستراتيجية. ودلالة ذلك، أنه ربما كانت النساء أفضل إعدادًا لبناء العلاقات فى مرحلة ما قبل المفاوضات وإبرام اتفاقات أكثر تكاملاً ذات إمكانية أكبر على الاستمرار عقب التسوية. من المهم إذن استمرار الاهتمام بالأمور الخاصة بالنوع الاجتماعى والثقافة.

المهنية والتدريب والأخلاق:

أغلب من يدخلون مجال تحليل وحل الصراع من المهنيين فى مجال مرتبط بمجال الصراعات كالعلاقات الدولية أو القانون أو علم النفس أو العلاقات الإنسانية أو الدبلوماسية أو الطب النفسى، مما يمكنهم من تحليل المشاكل الاجتماعية وتقديم شكل ما من أشكال الخدمة. وتم مؤخرًا إنشاء عدد قليل من البرامج متداخلة الحقول المعرفية فى مرحلة الدراسات العليا لتدريب الدارسين الممارسين فى مجال صعوبات الصراع وحله وهى مهمة شاقة تتضمن تطبيق عدد من المفاهيم والنماذج من العلوم الاجتماعية، واكتساب نوعية من الاستراتيجيات والمهارات من المجالات المختلفة، فى الممارسة الاجتماعية. ويبدأ كثير من الممارسين ممارستهم بقدر قليل من الأدوات

التحليلية والمهارات الاجتماعية التى يحتاجونها وعليهم أن يتعلموا بالتجربة من المهنيين الأكثر خبرة. هناك إذن تحد فى تطوير برامج التدريب، على مستوى الدراسات العليا والمستوى المهنى المتقدم على حد سواء، الذى يمكن أن يوفر للمارسين المعرفة والقدرات التى يحتاجون إليها للمشاركة بنجاح كوسطاء ومستشارين للطرف الثالث وميسرين للحوار أو كمدربين على حل الصراع. كما أن هناك حاجة أيضا إلى توفير فرص مستمرة للتطور المهنى للدارسين الممارسين لتوسيع معارفهم المفاهيمية ودعم المصنفات الاستراتيجية والتكتيكية الخاصة بهم. ومثل هذه العروض موجودة الآن ولكن ليس هناك تقدير لجدارتها أو عمقها أو كيف يمكن لمجموعة منها أن تتحد نحو تقديم مستوى فعال من المهارة المهنية. فمن الأمور القيمة إذن، إطلاق الأنشطة التى يمكن أن تساعد على تقديم الصنعة المهنية لهذا المجال على المستوى الدولى حتى يمكن اقتسام قواعد المعرفة والممارسات المثلى نحو تحسين الرفاه الإنسانية. وفى الوقت الراهن يتصل كثير من الدارسين الممارسين ببعضهما البعض من خلال الجمعيات القائمة مثل الجمعية الدولية لعلم النفس السياسى، كما ينخرطون فى عمليات تشبيك مفيدة فى تلك المحافل. ولابد من دعم تلك التفاعلات حتى تتوفر حلبة مستمرة لمناقشة القضايا التنموية مثل التدريب وأخلاقيات الممارسة التى تؤثر فى شخصية وفعالية المجال.

التقييم:

من أهم التحديات التى تواجه مجال الحل التفاعلى للخلاف هو تقييم مدى فعالية جهوده فى تحقيق الأهداف التى يرسمها وكونه مجالاً يقترح تقديم أشكال أكاديمية مبتكرة من التدخل فى الصراع إلى العملية الدبلوماسية الأوسع، فعلى عاتق الحل التفاعلى للصراع تقع المسئولية الخاصة بتوضيح

نفعه ونجاحه من خلال الدلائل الإمبريقية المنظمة التـــى تتـــسق والمعـــايير العلمية. وقد انتقل الكتاب فى هذا المجال بشكل متزايد نحو الاستجابة لهـــذا التحدى (مثلاً Ross and Rothman, 1999; Rouhana

; d'Estree, Fast, Weiss تحت الطبـــع 2000; Saunders 2000; Chataway and Jacobsen, 2001)) فالهدف النهائى للحل التفاعلى للصراع هو المـــساهمة فى التوصل إلى اتفاق يتم التفاوض حوله يعتبر مرضيًا ومـــستمرًا بالنـــسبة للطرفين ومن شأنه أن يعيد تشكيل العلاقة بين الأطراف المتصارعة. وحيث إن الحل التفاعلى للمشاكل – وهو لا دخل له بمجال التفاوض حول الاتفاقيات – لا يمكن أن يفضى إلى مثل هذه النتيجة، ولكن يساهم فقط فى إنتاجها، فإن المعايير الأكثر مواءمة لتقييمه تعود إلى نجاحه فى تحقيق أهدافه الوســيطة وليس أهدافه النهائية. وتتمثل تلك الأهداف الوسيطة فى التغيرات فى الثقافات السياسية للأطراف المتصارعة التى تجعلهم أكثر اســتعدادًا للتفــاوض مـــع بعضهم البعض (Kelman. 1996a). ولا تنطبق النماذج القياسية للتقييم – مثل الاختبار التجريبى بالميدان – على هذه المشكلة. بالإضافة إلى ذلـــك، فـــإن استخدام الملاحظات المتطفلة والتطويع التجريبى، كثيرا مـــا تكـــون غيـــر أخلاقية أو غير مقبولة منهجيًا فى البحث على التدخلات الراهنـــة. ويكمـــن التحدى إذن فى تطوير نماذج للتقييم ووسائل بحث تتواءم وطبيعة المشروع والغرض منه. ولابد للنماذج المناسبة أن تستند إلى التراكم التدريجى لقطـــع البراهين التى تدعم الفرضيات الأساسية للمقاربة. وقد تتضمن تحديد واختبار الخطوات الفردية فى عملية للحل التفاعلى للصراع التى من المفتـــرض أن تكون السبب وراء فعاليته، أو اختبار بعض الفرضيات النظريـــة الخاصـــة بالمقاربة، فى سياقات أخرى، بما فى ذلك الـــمتناظرات التجريبية ومحاكـــاة المختبرات.

تكامل التدخلات:

هناك تحد فى فهم كيف تساهم أدوار الطرف الثالث بشكل مختلف ومنفرد فى نجاح التفاوض والحل المستدام. وقد كان المدافعون الأوائل عن الحل التفاعلى للصراع واضحين فيما يتعلق بقدراته على أن يكون نشاطًا مفيدًا فى مرحلة ما قبل التفاوض (مثلاً Burton 1969; Kelman EL Cohen, 1976)، تمشيًا مع الأساس المنطقى الذى قام فيشر Fisher بصياغته بشكل مستفيض، ولكن من الواضح الآن أنه من الممكن أن يساهم فى كافة مراحل التفاوض وعملية حل الصراع (Kelman, 1992, 1998b).

ونظرًا لأن الصراع، خاصة الصراع ذا الطبيعة العرقية السياسية بين مجموعات الهوية، هو مزيج قوى من العوامل الموضوعية والذاتية، فالتدخلات إذن مطلوبة لمواجهة الأخير فيما يتعلق بسوء الإدراك وسوء التعليل والمواقف العدائية وغياب الثقة والكراهية والثأر التى تغذى التصعيد وتؤدى إلى زيادة التعقيد. والحقيقة أنه من الصعوبة بمكان معرفة كيف يمكن تناول الصراعات القائمة على أساس الهوية بدون الوسائل التى تركز على الجوانب الإنسانية والنفسية من المعادلة (Ross, 1993b, Rothman 1997) ويبقى السؤال هو كيف يمكن ربط تلك الوسائل وتسلسلها بالأشكال الأكثر تقليدية من إدارة الصراع. وقد قام فيشر وكيشلى (Fisher and Keashley 1991)، بتطوير مقاربة احتمالية Contingency لتدخل الطرف الثالث، باقتراح مقابلة الوسائل المختلفة مع مرحلة تصعيد الصراع للمنفعة القصوى. كما اقترحا أن ترتب الوسائل بشكل تكميلى حتى يمكن لتدخل رائد أن يسمح بتدخلات أخرى مصممة لإزالة التصعيد وحل الصراع. وهناك نقطتان تتعلقان بمسألة التكميل بين الحل التفاعلى للصراع (الذى تمثله المشاورة مع الطرف الثالث) والتوسط، فى أشكاله الخالصة والمتعلقة بالقوة. يحدث الأول حين تكون

المشاورات نشاطًا لمرحلة ما قبل التوسط تعمل على تحسين التفاهم وتسعى إلى بناء الثقة فى العلاقة، حتى يمكن للتوسط الخاص أن يتعامل بشكل أكثر فعالية مع الوسائل الموضوعية. ويرى الثانى أن المشاورة تعقب وساطة القوة التى حققت وقف إطلاق النار أو التسوية المبدئية حول القضايا الجوهرية من أجل إعادة بناء العلاقة الممزقة نحو الوصول إلى اتفاق شامل وسلام مستدام.

وفيما لا تجد مقاربة الأحداث غير المتوقعة إلا قدرًا محدودًا من الدعم (Keashley and Fisher 1996)، فإنها تظل بمثابة تمثيل هيكلى لمجموعة معقدة من العلاقات التى قد لا تبدو متماشية مع تعقيد ديناميات العالم الواقعى. ومع ذلك، تتحدى مقاربة الإمكانية والمحاولات الشبيهة الأخرى (مثلا Kriesberg, 1996)، المنظرين والممارسين ليفكروا بشكل أكثر جدية فى شأن تنسيق وتكميل التدخلات التى قد تكون مطلوبة من أجل تناول الصراعات العرقية السياسية المعقدة بشكل واف.

مقاربة شاملة للدبلوماسية:

ينادى الرأى الذى يدعم وجهة النظر بين –المجتمعية إلى مزيج معقد من العمليات الرسمية وغير الرسمية التى يكمل بعضها البعض نحو تحقيق الهدف الدبلوماسى الشامل. وفيما يمكن للاتفاقات الملزمة أن توقع فقط من خلال المفاوضات الرسمية، إلا أن هناك مسارات أخرى مثل الدبلوماسية الشعبية ومشروعات من الشعوب إلى الشعوب وبرامج الأعلام وتغييرات المناهج والحملات الداعية للأفعال التى لا تتسم بالعنف، بالإضافة إلى الحل التفاعلى للصراع، من شأنها أن تقدم مساهمتها الفريدة للمشروع الأكبر. فالحل التفاعلى للصراع يعتبر مفيدًا بشكل خاص فى تقديم الفرص للأطراف للانخراط فى عمليات استطلاع الأفكار واقتسام وجهات النظر والتفكير التحليلى والحل المشترك للمشاكل التى تعد ضرورية فى مجال البحث عن حل مرض للطرفين ولكنها كثيرًا ما يتم كبتها بسبب القيود التى تتصف بها

التفاعلات حول مائدة التفاوض. تساعد إذن العملية الدقيقة للحل التفاعلى للصراع على النهوض بأربعة مكونات لحل الصراع وهى التى يجب أن تتم فى مكان ما فى سياق عملية كلية تتسم بالكفاءة لحل الصراع وهى: تحديد وتحليل المشكلة فى العلاقة التى يمثلها الصراع، التشكيل المشترك للأفكار نحو حل مقبول للطرفين، التأثير المتبادل من خلال الطمأنة والحوافز الإيجابية الأخرى، وخلق بيئة داعمة سياسيًا. (Kelman 2000). ويكمن التحرى فى الاستخدام الكفء للمساهمات الممكنة للحل التفاعلى للصراع والمسارات غير الرسمية الأخرى فى العملية الدبلوماسية الرسمية. والوضع الأمثل هو أن تستخدم منتجات ورش عمل حل المشكلات والأنشطة الأخرى ذات العلاقة بذلك فى استطلاع الاحتمالات الممكنة وصياغة الاختيارات وتأطير القضايا بوسائل تساعد على دعم المفاوضات فى مراحلها المختلفة وقد حدث ذلك من قبل فى مناسبات عدة ولكن المطلوب أن تتم بشكل منظم، والتأكد من أن الجهود التى تتم فى المسار الثانى تحتفظ بسلامتها واستقلالها ولا ينظر إليها على أساس أنها مجرد مكون آخر لعملية المسار الأول. ومن شأن المفاوضات الرسمية أن تستفيد من تبنى بعض الوسائل الاستطلاعية والتحليلية ووسائل حل المشاكل الخاصة بالحل التفاعلى للصراع، فى محاضر أعمالها، وبذلك يتم تضمينها داخل إطار قيود العملية الرسمية، وأما ممارسو الحل التفاعلى للصراع، فعليهم من جهتهم أن يكونوا على معرفة جيدة بالقضايا والمشاكل والتقدم الذى يحدث فى العملية الرسمية حتى يتمكنوا من تقديم المدخلات ذات الصلة المباشرة بوضع المفاوضات الجارية.

المأسسة

قد يكون من المفيد، على مستوى صراع معين: مأسسة الحل التفاعلى للصراع كجزء من عملية بناء السلام التى لابد وأن تصاحب وتتبع التفاوض حول اتفاق السلام. وتعتبر الآلية المستمرة لحل الصراع بشكل عام مكونا أساسيًا فى مؤسسات المجتمع المدنى عبر الخطوط الوطنية التى ينبغى أن

تبنى لضمان سلام مستقر وعلاقة تعاونية بين الأعداء السابقين الذين يواجهون مهمة العايش معًا قريبًا من بعضهما البعض. وعلى المستوى الدولى، يشير إصدار وانتشار الصراعات المميتة بين المجموعات العرقية حول العالم إلى الحاجة الملحة إلى منظمة غير حكومية واسعة النطاق وذات مصادر مضمونة، تهب نفسها لرصد مثل هذه الصراعات فى مرحلة تطورها وتكون مستعدة للتدخل بجهودها للمساعدة فى منع تلك الصراعات وحلها (Burton, 1983) والغرض من تلك المؤسسة هو الإضافة إلى الأعمال القائمة للمنظمات الحكومية وغير الحكومية وبين الحكومية، التى تكرس جهودها لتحقيق السلام والحفاظ عليه وتقديم الدعم الإنسانى فى مرحلة ما بعد الصراع عن طريق جميع الممثلين ذوى النفوذ السياسى من الجانبين المتضادين فى صراع نشط أو وشيك للاستطلاع المشترك – فى إطار حل المشكلات – للخطوات المتخذة فى اتجاه منع أو تخفيف التصعيد أو حل الخلاف وقد تضم المؤسسة عضوًا دائمًا لرصد مناطق الصراع وتقديم البيئة الأساسية الضرورية لتنظيم ورش العمل إذا دعت الحاجة إلى ذلك وكادرًا من المتخصصين فى حل الصراع يكون موجودًا لتنظيم وقيادة الورش وكادرًا آخر من الممثلين المحليين لإصدار التوصيات الخاصة بالإجراءات الملائمة أو لتقييم مقترحات العاملين ومساعدتهم عن طريق تنظيم الورش والمشاركة فيها حسب الحاجة. وليس هناك دليل مباشر على إلى أية درجة يمكن لمؤسسة عالمية منظمة بهذا الشكل ومكرسة للتطبيق المنظم لتقنيات الحل التفاعلى للصراع أن تساهم فى منع مثل هذه الصراعات العرقية حول العالم وتهدئتها إذا ما تحولت إلى العنف، وإعادة بناء المجتمعات التى مزقها العنف. إلا أن البحث والملاحظة يشيران إلى أن الافتراضات وراء الحل التفاعلى للصراع هى افتراضات صحيحة وتشير التجارب إلى قدرتها الكامنة على تحويل علاقات الصراع. وإذا أمكن إدرار الموارد الضرورية لمثل هذا الجهد الواسع، فهناك على الأقل أمل فى أن تبدأ فى التصدى لمشكلة العنف العرقى الذى أضحى كالطاعون فى تهديده للمجتمع الدولى.

ensure a stable peace and cooperative relationship between former enemies who must coexist in close proximity to one another. At the global level, the persistence and proliferation of deadly conflicts between ethnic groups around the world suggest the urgent need for a large, well-endowed, mostly nongovernmental organization devoted to monitoring such conflicts as they evolve and ready to intervene with efforts to help prevent and resolve them (Burton, 1983). The purpose of such an institution would be to supplement the work of existing governmental, intergovernmental, and nongovernmental organizations devoted to peacemaking, peacekeeping, and postconflict humanitarian aid by bringing together politically influential representatives of the opposing sides in an active or impending conflict for joint exploration, within a problem-solving framework, of steps toward preventing, deescalating, or resolving the conflict. The institution might include a permanent staff to monitor conflict regions and provide the infrastructure for workshops as the need arises; a cadre of regional and conflict resolution specialists available to organize and lead workshops; and a cadre of local representatives to recommend appropriate actions or evaluate proposals from the staff and to assist by organizing and participating in workshops as needed. There is no direct evidence of how much a global institution organized along these lines and dedicated to the systematic application of interactive conflict resolution techniques to ethnic conflicts around the world could contribute to preventing such conflicts, defusing them once they have turned violent, and rebuilding the societies torn apart by violence. But research and observation suggest that the assumptions behind interactive conflict resolution are sound, and experience suggests that it has the potential for transforming conflict relationships. If the resources needed for a large-scale effort of this kind can be generated, there is at least the hope that it can begin to tackle the problem of ethnic violence that has been plaguing the international community.

Note

This chapter represents a joint effort to which the two authors made equal contributions. Herbert Kelman gratefully acknowledges the William and Flora Hewlett Foundation's support for the Program on International Conflict Analysis and Resolution (PICAR) that he directs at the Weatherhead Center for International Affairs, Harvard University.

References

Allison, G. T. (1971). *Essence of decision: Explaining the Cuban missile crisis.* Boston: Little, Brown.

Alpher, J., & Shikaki, K., with the participation of the additional members of the Joint Working Group on Israeli-Palestinian Relations (1998). *The Palestinian*

refugee problem and the right of return. Weatherhead Center for International Affairs Working Paper No. 98–7. Cambridge, MA: Weatherhead Center for International Affairs, Harvard University. (Reprinted in *Middle East Policy,* February 1999, *6*[3], 167–189).

Avruch, K. (1998). *Culture and conflict resolution.* Washington, DC: United States Institute of Peace.

Avruch, K., & Black, P. (1993). Conflict resolution in intercultural settings: Problems and prospects. In D. J. D. Sandole & H. van der Merwe (Eds.), *Conflict resolution theory and practice: Integration and application* (pp. 131–145). Manchester, England: Manchester University Press.

Azar, E. E. (1990). *The management of protracted social conflict.* Hampshire, England: Dartmouth.

Baldwin, D. (1971). The power of positive sanctions. *World Politics, 24,* 19–38.

Bercovitch, J. (1997). Mediation in international conflict. In I. W. Zartman & J. L. Rasmussen (Eds.), *Peacemaking in international conflict: Methods and techniques* (pp. 125–153). Washington, DC: United States Institute of Peace.

Bercovitch, J., & Houston, A. (1996). The study of international mediation: Theoretical issues and empirical evidence. In J. Bercovitch (Ed.), *Resolving international conflicts: The theory and practice of mediation* (pp. 11–35). Boulder, CO: Lynne Rienner.

Bercovitch, J., & Rubin, J. Z. (Eds.). (1992). *Mediation in international relations: Multiple approaches to conflict management.* New York: St. Martin's Press.

Bronfenbrenner, U. (1961). The mirror image in Soviet-American relations: A social psychologist's report. *Journal of Social Issues, 17*(3), 45–56.

Burton, J. W. (1969). *Conflict and communication: The use of controlled communication in international relations.* London: Macmillan.

Burton, J. W. (1979). *Deviance, terrorism and war: The process of solving unsolved social and political problems.* New York: St. Martin's Press.

Burton, J. W. (1983, April). *A continuing seminar and an international facilitating service.* A proposal by members of the Centre for the Analysis of Conflict (University of Kent, Canterbury, England) presented at the annual meeting of the International Studies Association, Mexico City.

Burton, J. W. (1984). *Global conflict: The domestic sources of international crisis.* Brighton, England: Wheatsheaf.

Burton, J. W. (1987). *Resolving deep-rooted conflict: A handbook.* Lanham, MD: University Press of America.

Burton, J. W. (Ed.). (1990). *Conflict: Human needs theory.* New York: St. Martin's Press.

Carnevale, P. J., & Pruitt, D. G. (1992). Negotiation and mediation. *Annual Review of Psychology, 43,* 531–582.

Chasin, R., & Herzig, M. (1993). Creating systemic interventions for the sociopolitical arena. In D. Berger Gould & D. Hilleboe DeMuth (Eds.), *The global family therapist: Integrating the personal, professional, and political* (pp. 149–192). Boston: Allyn and Bacon.

Chasin, R., Herzig, M., Roth, S., Chasin, L., Becker, C., & Stains, R., Jr. (1996). From diatribe to dialogue on divisive public issues: Approaches drawn from family therapy. *Mediation Quarterly, 13,* 323–344.

Chataway, C. (in press). Assessing the social-psychological support for Kelman's interactive problem-solving workshops. In A. Eagly, R. M. Baron, & V. L. Hamilton

(Eds.), *The social psychology of group identity and social conflict: Theory, application, and practice.* Washington, DC: American Psychological Association.
Chufrin, G. I., & Saunders, H. H. (1993). A public peace process. *Negotiation Journal, 9,* 155–177.
Cohen, R. (1997). *Negotiating across cultures* (2nd ed.). Washington, DC: United States Institute of Peace.
d'Estrée, T. P., & Babbitt, E. F. (1998). Women and the art of peacemaking: Data from Israeli-Palestinian interactive problem-solving workshops. *Political Psychology, 19,* 185–209.
d'Estrée, T. P., Fast, L. A., Weiss, J. N., & Jacobsen, M. S. (2001). Changing the debate about "success" in conflict resolution efforts. *Negotiation Journal, 17,* 101–113.
Doob, L. W. (Ed.). (1970). *Resolving conflict in Africa: The Fermeda workshop.* New Haven: Yale University Press.
Doob, L. W., & Foltz, W. J. (1973). The Belfast workshop: An application of group techniques to a destructive conflict. *Journal of Conflict Resolution, 17,* 489–512.
Druckman, D. (1973). *Human factors in international negotiations: Social-psychological aspects of international conflict.* Sage Professional Paper in International Studies 02–020.
Druckman, D. (1983). Social psychology in international negotiations. In R. F. Kidd & M. J. Saks (Eds.), *Advances in applied social psychology* (Vol. 2, pp. 51–81). Hillsdale, NJ: Erlbaum.
Druckman, D. (1997). Negotiating in the international context. In I. W. Zartman & J. L. Rasmussen (Eds.), *Peacemaking in international conflict: Methods and techniques* (pp. 81–123). Washington, DC: United States Institute of Peace.
Druckman, D. (2001, June). *New advances in negotiation theory and research.* Paper presented at the annual conference of the International Association for Conflict Management, Paris.
Druckman, D., & Mitchell, C. (Eds.). (1995, November). Flexibility in international negotiation and mediation. *Annals of the American Academy of Political and Social Science, 542.*
Farnham, B. (Ed.). (1992). Special issue: Prospect theory and political psychology. *Political Psychology, 13,* 167–329.
Festinger, L. (1957). *A theory of cognitive dissonance.* Stanford, CA: Stanford University Press.
Fisher, R., & Ury, W. (1981). *Getting to "yes": Negotiating agreement without giving in.* Boston: Houghton Mifflin.
Fisher, R. J. (1972). Third party consultation: A method for the study and resolution of conflict. *Journal of Conflict Resolution, 16,* 67–94.
Fisher, R. J. (1983). Third party consultation as a method of intergroup conflict resolution: A review of studies. *Journal of Conflict Resolution, 27,* 301–334.
Fisher, R. J. (1986). Third party consultation: A problem-solving approach for de-escalating international conflict. In J. P. Maas & R. A. C. Stewart (Eds.), *Toward a world of peace: People create alternatives* (pp. 18–32). Suva, Fiji: University of the South Pacific Press.
Fisher, R. J. (1989). Prenegotiation problem-solving discussions: Enhancing the potential for successful negotiation. In J. G. Stein (Ed.), *Getting to the table: The process of international prenegotiation* (pp. 206–238). Baltimore: Johns Hopkins University Press.

Fisher, R. J. (1990). *The social psychology of intergroup and international conflict resolution.* New York: Springer-Verlag.
Fisher, R. J. (1997). *Interactive conflict resolution.* Syracuse, NY: Syracuse University Press.
Fisher, R. J. (2001). Methods of third party intervention. In N. Ropers, M. Fischer, & E. Manton (Eds.), *The Berghof handbook of conflict transformation* (pp. 1–27). Berlin: The Berghof Centre for Conflict Management.
Fisher, R. J., & Keashly, L. (1990). Third party consultation as a method of intergroup and international conflict resolution. In R. J. Fisher, *The social psychology of intergroup and international conflict resolution* (pp. 211–238). New York: Springer-Verlag.
Fisher, R. J., & Keashly, L. (1991). The potential complementarity of mediation and consultation within a contingency model of third party intervention. *Journal of Peace Research, 28,* 29–42.
Follett, M. P. (1924). *Creative experience.* Boston: Longmans Green.
George, A. L., & Smoke, R. (1974). *Deterrence in American foreign policy: Theory and practice.* New York: Columbia University Press.
Hampson, F. O. (1995). *Multi-lateral negotiations.* Baltimore: Johns Hopkins University Press.
Heider, F. (1958). *The psychology of interpersonal relations.* New York: Wiley.
Heradstveit, D. (1981). *The Arab-Israeli conflict: Psychological obstacles to peace* (2nd ed.). Oslo: Universitetsforlaget.
Holsti, O. R. (1962). The belief system and national images: A case study. *Journal of Conflict Resolution, 6,* 244–252.
Holsti, O. R. (1972). *Crisis, escalation, war.* Montreal: McGill-Queen's University Press.
Hopmann, P. T. (1995, November). Two paradigms of negotiation: Bargaining and problem solving. *The Annals of the American Academy of Political and Social Science, 542,* 24–47.
Hopmann, P. T. (1996). *The negotiation process and the resolution of international conflicts.* Columbia: University of South Carolina Press.
Janis, I. L. (1982). *Groupthink* (2nd ed.). Boston: Houghton Mifflin.
Jervis, R. (1976). *Perceptions and misperceptions in international politics.* Princeton: Princeton University Press.
Jervis, R., Lebow, R. N., & Stein, J. G. (1985). *Psychology and deterrence.* Baltimore: Johns Hopkins University Press.
Joint Working Group on Israeli-Palestinian Relations (1998). *General principles for the final Israeli-Palestinian agreement.* PICAR Working Paper. Cambridge, MA: Program on International Conflict Analysis and Resolution, Weatherhead Center for International Affairs, Harvard University. (Reprinted in *Middle East Journal,* February 1999, *53*[1], 120–175).
Joint Working Group on Israeli-Palestinian Relations (1999). *The future Israeli-Palestinian relationship.* Weatherhead Center for International Affairs Working paper No. 99-12. Cambridge, MA: Weatherhead Center for International Affairs, Harvard University. (Reprinted in *Middle East Policy,* February 2000, *7*[2], 90–112).
Jones, E. E., & Nisbett, R. E. (1971). The actor and the observer: Divergent perceptions of the causes of behavior. In E. E. Jones, D. E. Kanouse, H. H. Kelley, R. E. Nisbett, S. Valins, & B. Weiner (Eds.), *Attribution: Perceiving the causes of behavior* (pp. 79–94). Morristown, NJ: General Learning Press.

Julius, D. A. (1991). The practice of track two diplomacy in the Arab-Israeli conferences. In V. D. Volkan, J. V. Montville, & D. A. Julius (Eds.), *The psychodynamics of international relationships.* Vol. 2: *Unofficial diplomacy at work* (pp. 193–205). Lexington, MA: Lexington Books.

Keashly, L. (1994). Gender and conflict: What does psychological research tell us? In A. Taylor & J. B. Miller (Eds.), *Conflict and gender* (pp. 217–235). Cresskill, NJ: Hampton Press.

Keashly, L., & Fisher, R. J. (1996). A contingency perspective on conflict interventions: Theoretical and practical considerations. In J. Bercovitch (Ed.), *Resolving international conflicts: The theory and practice of mediation* (pp. 235–261). Boulder, CO: Lynne Rienner.

Kelman, H. C. (1969). Patterns of personal involvement in the national system: A social-psychological analysis of political legitimacy. In J. N. Rosenau (Ed.), *International politics and foreign policy: A reader in research and theory* (Rev. ed., pp. 276–288). New York: Free Press.

Kelman, H. C. (1972). The problem-solving workshop in conflict resolution. In R. L. Merritt (Ed.), *Communication in international politics* (pp. 168–204). Urbana: University of Illinois Press.

Kelman, H. C. (1978). Israelis and Palestinians: Psychological prerequisites for mutual acceptance. *International Security, 3,* 162–186.

Kelman, H. C. (1985). Overcoming the psychological barrier: An analysis of the Egyptian-Israeli peace process. *Negotiation Journal, 1,* 213–234.

Kelman, H. C. (1986). Interactive problem solving: A social-psychological approach to conflict resolution. In W. Klassen (Ed.), *Dialogue: Toward interfaith understanding* (pp. 293–314). Tantur, Jerusalem: Ecumenical Institute for Theological Research.

Kelman, H. C. (1987). The political psychology of the Israeli-Palestinian conflict: How can we overcome the barriers to a negotiated solution? *Political Psychology, 8,* 347–363.

Kelman, H. C. (1992). Informal mediation by the scholar/practitioner. In J. Bercovitch & J. Z. Rubin (Eds.), *Mediation in international relations: Multiple approaches to conflict management* (pp. 64–96). New York: St. Martin's Press.

Kelman, H. C. (1993). Coalitions across conflict lines: The interplay of conflicts within and between the Israeli and Palestinian communities. In S. Worchel & J. Simpson (Eds.), *Conflict between people and groups* (pp. 236–258). Chicago: Nelson-Hall.

Kelman, H. C. (1995). Contributions of an unofficial conflict resolution effort to the Israeli-Palestinian breakthrough. *Negotiation Journal, 11,* 19–27.

Kelman, H. C. (1996a, November). *An approach to evaluation of NGO contributions to the resolution of ethnonational conflicts.* Paper presented at the Carnegie Corporation Conference on the Role of International NGOs in Ethnic and National Conflicts, New York.

Kelman, H. C. (1996b) Negotiation as interactive problem solving. *International Negotiation: A Journal of Theory and Practice, 1*(1), 99–123.

Kelman, H. C. (1997a). Group processes in the resolution of international conflicts: Experiences from the Israeli-Palestinian case. *American Psychologist, 52,* 212–220.

Kelman, H. C. (1997b). Social-psychological dimensions of international conflict. In I. W. Zartman & J. L. Rasmussen (Eds.), *Peacemaking in international conflict:*

Methods and techniques (pp. 191–237). Washington, DC: United States Institute of Peace.

Kelman, H. C. (1997c). Nationalism, patriotism, and national identity: Social-psychological dimensions. In D. Bar-Tal & E. Staub (Eds.), *Patriotism in the lives of individuals and nations* (pp. 165–189). Chicago: Nelson-Hall.

Kelman, H. C. (1997d). Some determinants of the Oslo breakthrough. *International Negotiation, 2,* 183–194.

Kelman, H. C. (1998a). Interactive problem solving: An approach to conflict resolution and its application in the Middle East. *PS: Political Science & Politics, 31*(2), 190–198.

Kelman, H. C. (1998b). Social-psychological contributions to peacemaking and peacebuilding in the Middle East. *Applied Psychology: An International Review, 47,* 5–28.

Kelman, H. C. (2000). The role of the scholar-practitioner in international conflict resolution. *International Studies Perspectives, 1,* 273–287.

Kelman, H. C., & Cohen, S. P. (1976). The problem-solving workshop: A social-psychological contribution to the resolution of international conflict. *Journal of Peace Research, 13,* 79–90.

Kressel, K., Pruitt, D., & Associates. (Eds.). (1989). *Mediation research: The process and effectiveness of third-party intervention.* San Francisco: Jossey-Bass.

Kriesberg, L. (1982). Non-coercive inducements in international conflict. In C. M. Stephenson (Ed.), *Alternative methods for international security* (pp. 105–120). Washington, DC: University Press of America.

Kriesberg, L. (1996). Varieties of mediating activities and mediators in international relations. In J. Bercovitch (Ed.), *Resolving international conflicts: The theory and practice of mediation* (pp. 219–233). Boulder, CO: Lynne Rienner.

Kriesberg, L. (1998). *Constructive conflicts.* Lanham, MD: Rowman and Littlefield.

Lebow, R. N. (1981). *Between peace and war.* Baltimore: Johns Hopkins University Press.

Lebow, R. N. (1987). *Nuclear crisis management: A dangerous illusion.* Ithaca, NY: Cornell University Press.

Levy, J. S. (1992). Prospect theory and international relations: Theoretical applications and analytical problems. *Political Psychology, 13,* 283–310.

Mitchell, C. R. (1981). *Peacemaking and the consultant's role.* Westmead, England: Gower.

Montville, J. V. (1987). The arrow and the olive branch: The case for track two diplomacy. In J. W. McDonald & D. B. Bendahmane (Eds.), *Conflict resolution: Track two diplomacy* (pp. 5–20). Washington, DC: Foreign Service Institute, Department of State.

Moore, C. W. (1996). *The mediation process: Practical strategies for resolving conflict* (2nd ed.). San Francisco: Jossey-Bass.

Murray, J. S. (1986). Understanding competing theories of negotiation. *Negotiation Journal, 1,* 23–29.

Osgood, C. E. (1962). *An alternative to war or surrender.* Urbana: University of Illinois Press.

Pruitt, D. G. (1981). *Negotiation behavior.* New York: Academic Press.

Pruitt, D. G. (1986). Achieving integrative agreements in negotiation. In R. K. White (Ed.), *Psychology and the prevention of nuclear war* (pp. 463–478). New York: New York University Press.

Pruitt, D. G., & Carnevale, P. J. (1993). *Negotiation in social conflict.* Pacific Grove: Brooks/Cole.

Pruitt, D. G., & Gahagan, J. P. (1974). Campus crisis: The search for power. In J. T. Tedeschi (Ed.), *Perspectives on social power* (pp. 349–392). Chicago: Aldine.

Raiffa, H. (1982). *The art and science of negotiation.* Cambridge, MA: Harvard University Press.

Rosenberg, S. W., & Wolfsfeld, G. (1977). International conflict and the problem of attribution. *Journal of Conflict Resolution, 21,* 75–103.

Ross, L., & Ward, A. (1995). Psychological barriers to dispute resolution. In M. P. Zanna (Ed.), *Advances in experimental social psychology* (Vol. 27, pp. 255–304). New York: Academic Press.

Ross, M. H. (1993a). *The culture of conflict: Interpretations and interests in comparative perspective.* New Haven: Yale University Press.

Ross, M. H. (1993b). *The management of conflict.* New Haven: Yale University Press.

Ross, M. H., & Rothman, J. (1999). *Theory and practice in ethnic conflict management: Theorizing success and failure.* London: Macmillan.

Rothman, J. (1997). *Resolving identity-based conflict.* San Francisco: Jossey-Bass.

Rouhana, N. N. (1997). *Palestinian citizens in an ethnic Jewish state: Identities in conflict.* New Haven: Yale University Press.

Rouhana, N. N. (2000). Interactive conflict resolution: Issues in theory, methodology, and evaluation. In P. C. Stern & D. Druckman (Eds.), *International conflict resolution after the Cold War* (pp. 294–337). Washington, DC: National Academy Press.

Rouhana, N. N., & Kelman, H. C. (1994). Promoting joint thinking in international conflicts: An Israeli-Palestinian continuing workshop. *Journal of Social Issues, 50* (1), 157–178.

Rubin, J. Z., Pruitt, D. G., & Kim, S. H. (1994). *Social conflict: Escalation, stalemate, and settlement* (2nd ed.). New York: McGraw-Hill.

Saunders, H. H. (1995). Sustained dialogue on Tajikistan. *Mind and Human Interaction, 6(3),* 123–135.

Saunders, H. H. (1998). *A public peace process.* New York: St. Martin's Press.

Saunders, H. H. (2000). Interactive conflict resolution: A view for policy makers on making and building peace. In P. C. Stern & D. Druckman (Eds.), *International conflict resolution after the Cold War* (pp. 251–293). Washington, DC: National Academy Press.

Sawyer, J., & Guetzkow, H. (1965). Bargaining and negotiation in international relations. In H. C. Kelman (Ed.), *International behavior: A social-psychological analysis* (pp. 466–520). New York: Holt, Rinehart and Winston.

Schelling, T. C. (1963). *The strategy of conflict.* Cambridge, MA: Harvard University Press.

Schwartz, R. D. (1989). Arab-Jewish dialogue in the United States: Toward track two tractability. In L. Kriesberg, T. A. Northrup, & S. J. Thorsen (Eds.), *Intractable conflicts and their transformation* (pp. 180–209). Syracuse, NY: Syracuse University Press.

Stamato, L. (1992). Voice, place and process: Research on gender, negotiation and conflict resolution. *Mediation Quarterly, 9,* 375–386.

Stein, J. G. (1991). Deterrence and reassurance. In P. E. Tetlock, J. L. Husbands, R.

Jervis, P. C. Stern, & C. Tilly (Eds.), *Behavior, society, and nuclear war* (Vol. 2, pp. 8–72). New York: Oxford University Press.

Taylor, A., & Miller, J. B. (Eds.) (1994). *Conflict and gender.* Cresskill, NJ: Hampton Press.

Touval, S. (1989). Multilateral negotiation: An analytic approach. *Negotiation Journal, 5,* 159–173.

Touval, S., & Zartman, I. W. (Eds.). (1985). *International mediation in theory and practice.* Boulder, CO: Westview Press.

Volkan, V. D. (1991). Psychological processes in unofficial diplomacy meetings. In V. D. Volkan, J. V. Montville, & D. A. Julius (Eds.), *The psychodynamics of international relationships. Vol. 2: Unofficial diplomacy at work* (pp. 207–222). Lexington, MA: Lexington Books.

Volkan, V. D., & Harris, M. (1993). Vaccinating the political process: A second psychopolitical analysis of relationships between Russia and the Baltic States. *Mind and Human Interaction, 4*(4), 169–190.

Walton, R. E., & McKersie, R. B. (1965). *A behavioral theory of labor negotiations.* New York: McGraw-Hill.

Weinstein, E. A., & Deutschberger, P. (1963). Some dimensions of altercasting. *Sociometry, 26,* 455–466.

White, R. K. (1965). Images in the context of international conflict: Soviet perceptions of the U.S. and the U.S.S.R. In H. C. Kelman (Ed.), *International behavior: A social-psychological analysis* (pp. 238–276). New York: Holt, Rinehart and Winston.

White, R. K. (1984). *Fearful warriors: A psychological profile of U.S.-Soviet relations.* New York: Free Press.

Zartman, I. W., & Berman, M. R. (1982). *The practical negotiator.* New Haven: Yale University Press.

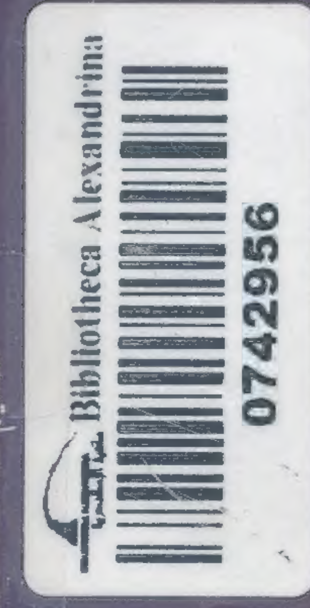
التصحيح اللغوى: **عايدى جمعة**

الإشراف الفـــنى: **حسن كامل**



لقد بدأت الاستفادة من الحقائق النفسية فى المجالات المتعددة لممارسة السياسة مع بداية ممارسة الإنسان للسياسة، أى قبل ظهور علم النفس باعتباره علماً. وعلى سبيل المثال، فقد عرف البشر الحرب النفسية ومارسوها منذ عرفوا ومارسوا الحرب بأشكالها المختلفة، أى منذ فجر التاريخ، رغم أن المصطلح لم يبدأ تداوله إلا مع نذر الحرب العالمية الأولى، بعد أن تطورت الممارسة القديمة من صرخة توقع الرعب فى قلب العدو، أو تثير الشجاعة فى قلب المهاجم، إلى أن أصبحت على ما نشهده اليوم من منشورات وإذاعات ومحطات بث تلفزيونى، إلى آخر تلك الخطط الفنية المعقدة التى يضعها المتخصصون فى فروع الحرب النفسية.

ويعتبر علم النفس السياسى، بشكل بالغ العمومية، وكما ورد فى هذا الكتاب، "تطبيقاً لعلم النفس البشرى فى دراسة السياسة، حيث يستفيد علم النفس السياسى من منجزات علم النفس فى مجال النظريات النفسية، وبحوث الشخصية، والأمراض النفسية، وعلم النفس الاجتماعى، وعلم نفس النمو، وعلم النفس المعرفى، والعلاقات داخل الجماعات؛ كما يتناول علم النفس السياسى ظواهر سياسية مثل السير الذاتية، والقيادة، والسلوك السياسى الجماهيرى، وتأثيرات الإعلام الجماهيرى، والتنشئة السياسية والتربية المدنية، والصراع الدولى، واتخاذ القرارات فى مجال السياسة الدولية، وحل الصراعات، والصراعات القائمة على العرق والنوع الاجتماعى والقومية وغير ذلك من تجمعات، والتيارات السياسية، والحراك السياسى".



تصميم الغلاف : محمد إبراهيم